
مواد البيان
لعلي بن خلف الكاتب
تحقيق
الدكتور حسين عبد اللطيف
الأستاذ المشارك بكلية التربية
جامعة الفاتح - طرابلس
منشورات جامعة الفاتح



تحقيق

الدكتور حسين عبد اللطيف

الاستاذ المشارك بكلية التربية

جامعة الفاتح - طرابلس

منشورات جامعة الفاتح

١٩٨٢

مقدمة المحقق

هذا كتاب كنت قد سمعت باسمه ، منذ زمن ، في مجالس الأدباء والعلماء، ثم علمت أن بعضهم يبحث وينقب عنه ، وآخرين يقومون بالثناء عليه وعلى مؤلفه وذلك على إثر قراءاتهم لمقتطفات منه أوردها صاحب « صبح الأعشى » مقدماً إياها تارة بقوله «قال علي بن خلف :»وتارة بقوله «قال صاحب مواد البيان:» فازداد شوقي إلى العثور على هـــذا الكتاب ، ووددت لو تحقق ذلك ، كما رجوت أن يكون لي شرف تحقيقه لو يسر الله وكان في العمر بقية .

وكان أن تحقق ما وددت ، ومنّ الله بكرمه فحقق ما رجوت . فقد ظهرت مخطوطة للكتاب باستانبول ، ووصلتني مصورة لها من باريس ، كما حصلت على أخرى من معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية وكانت مطابقـة للأولى . وتعذر الحصول بعدئذ على مخطوطة أخرى من الكتاب ، وعلمت من العالمين بشؤون المخطوطات والمهتمين بها والمنقبين عنها أنه ليس ثمة ما يدل أو يشير الى وجود نسخة أخرى . فسألت الله العون وشرعت في التحقيق .

سبب وضع الكتاب :

السبب في ذلك – كما ذكر المؤلف في نهاية الباب الأول من كتابه – رغبته في أن يصنف « كتاباً جامعاً لما تنظمه صناعة الكتابة من العلوم والآداب الخاصة بها ليجد من يعنى بهذه الصناعة جميع ما يرومه من أصولها وفروعها التي فرقها المصنفون في كتبهم مودعة فيه ، ويعرف بها الطالب جلالة خطرها وارتفاع قدرها من بين الصنائع ، ويصرف همته إليها ليتميز من انتمى إليها بالإسم دون الرسم ، وبالزي دون المعنى » .

ولا شك أن الكتابة لها آداب خاصة بها ، وعلوم لا بد لكل صاحب مرتبة من مراتبها من معرفتها والتمهر فيها ليقوم بعمله فيما وكل إليه على الوجه الأكمل.

مؤلف الكتاب :

عكفت طويلاً على كتب الطبقات والتراجم ، وعلى المصادر الأدبية والتاريخية ، علني أجد من بينها ما يميط اللثام عن شخصية مؤلفنا أويقدم مادة ولو صغيرة تكون سنداً في الكتابة عنه ، فلم أظفر بذلك . وكل ما استطعت العثور عليه إشارتان وردتا في اثنين من الكتب الحديثة : إحداهما [1] تفيد أنه كان أحد كتاب الإنشاء في الدولة الفاطمية ، وله في مصطلح الإنشاء

(1) وقد وردت في المنتخب من أدب العرب جـ٢ جمع وشرح : أحمد الاسكندري ، أحمد امين ، علي الجارم ، عبد العزيز البشري ، أحمد ضيف ص ١٠٥ .

كتاب « مواد البيان » وكثيراً ما ينقل عنه صاحب صبح الأعشى . وتتبع هذه الإشارة ، رسالة صغيرة من إنشائه كتبها في الدعوة إلى وليمة . والثانية[1] : تفيد ما أفادته الأولى ، إذ تذكر أنه « من كتاب الإنشاء في الدولة الفاطمية ، وألف في مصطلح الإنشاء كتابه المسمى (مواد البيان) وكثيراً ما ينقل عنه صاحب صبح الأعشى ».

وكنا نتوقع أن يورد صاحب هذه الإفادة نصاً له في كتابه ، وبخاصة أنه قال : « سنذكر نماذج من الشعر والنثر ... ونبدأ بتعريف موجز ببعض الشعراء والكتاب في هذا العصر (أي الفاطمي) ، ولكنه عند ذكر النماذج أورد لابن الصيرفي [2] ولابن قادوس [3] وأغفل علي بن خلف فلم يورد له مع الأسف شيئاً .

---

(١) وقد وردت في « صفحات من الأدب المصري » : عبد الحميد حسن ص ١٩ و ٢٠ .

(٢) ذكر في التعريف به أنه : أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب . وقد اتصل بديوان الرسائل في أيام الآمر بأحكام الله الفاطمي سنة ٤٩٥ وبقي يعمل في هذا الديوان نحواً من أربعين سنة . وله كتاب « الإشارة إلى من نال الوزارة » أتى فيه على تاريخ وزراء الفواطم من أول عهد أولهم يعقوب بن كلس إلى وقته .

وله كتاب آخر باسم « قانون ديوان الرسائل » طبع في مصر ١٩٠٥ نقلا عن نسخة خطية في أوربا . وقد عني بنشره والتعليق عليه المرحوم علي بك بهجت وكيل دار الآثار العربية بالقاهرة وصدره بمقدمة مفيدة أوضح فيها السبب في إغفال كتب التاريخ والتراجم لابن الصيرفي وأمثاله (وللأسف تعذر علي الوصول إلى نسخة من هذا الكتاب) . وقد روى صاحب « صبح الأعشى » عن ابن الصيرفي كثيراً من الكتب الديوانية .

(٣) ذكر في التعريف به أنه : القاضي كافي الكفاة محمود بن القاضي الموفق أسعد بن قادوس ، من رؤساء كتاب الإنشاء في الدولة الفاطمية في أيام الآمر والحافظ .

و صاحب « صبح الأعشى » الذي نقل عن مؤلفنا كثيراً وأورده فيكتابه مقدماً إياه بقوله « قال علي بن خلف : » أو « قال صاحب مواد البيان : » لم يذكر عنه شيئاً ، وإنما أورد لنا في الجزء التاسع بعضا من كتابته الإنشائيـــــة (الديوانية) تتمثل فيما يلي :

أ — تهنئة بولاية الوزارة ص ٩ .

ب — تهنئة بولاية الحجابة ص ١٥ .

ج — تهنئة بولاية القضاء ص ١٦ .

د — تهنئة بولاية الدعوة على مذهب الشيعة ص ١٩ .

هـ — نسخة عهد يذكر القلقشندي أنه أوردها في كتابه « مواد البيان » لترتيب الكتابة في زمن الفاطميين .

وقد أورد حاجي خليفة في كشف الظنون هذا الكتاب باسم « موارد البيان » ونسبه إلى مؤلفه علي بن خلف . ولم يقدم لنا شيئاً عن الكتاب أو المؤلف .

وكنت قد عثرت عدة مرات في أثناء تنقيبي في بعض المراجع وكتب الطبقات على هذا الإسم « علي بن خلف » ولكني كنت أجد اختلافاً في سلسلة النسب، وعلى الرغم من ذلك كنت أقرأ ما كتب عنه ، ولكن سرعان ما يتبدد الأمل الذي كان يراودني حين أدرك أن ما كتب لا يمت إلى مؤلفنا بصلة ، أو أجد تاريخاً للوفاة من المستبعد أن يكون تاريخاً لوفاة مؤلفنا .

ورأيت من الخير أخيراً أن ألجأ إلى البحث عن تواريخ وفيات من استشهد المؤلف بشعرهم لأقف على تاريخ وفاة أحدثهم فأحصر المدة بينه وبين انتهاء

العصر الفاطمي – الذي ذكر المؤلفون أن مؤلفنا أحد كتاب انشائه – لأكون على الأقل قد فعلت ما بوسعي حين بخلت المراجع بمدّي بما كنت أرجوه منها[1].

كان بعض الأبيات التي استشهد بها مؤلفنا لشعراء جاهليين أو مخضرمين وهذه نحيتها جانباً ، وبعضها لشعراء ولدوا في ظل الإسلام . وهذه تتبعت تواريخ وفيات أصحابها فوجدتها تبدأ في القرن الأول الهجري وتتدرج لتصل إلى أوائل القرن الخامس . وكان من أولئك الذين توفوا في أوائل القرن الخامس واستشهد بشعرهم الشريف الموسوي (المتوفي سنة ٤٠٦) .

وإذا علمنا أن نهاية الدولة الفاطمية كان في عام ٥٦٧هـ أمكننا أن نحصر المدة التي نرجح وجوده فيها بين هذين التاريخين : تاريخ وفاة الشريف الموسوي (وهو عام ٤٠٦هـ) – أو قبله بعدد من السنوات إذ من المحتمل أن يكون حياً حين استشهد بشعره –وتاريخ نهاية الدولة (وهو عام ٥٦٧هـ) .

مع ملاحظة أن هناك عدداً من الأبيات أوردها المؤلف ولم أستطع الاهتداء إلى قائلها ، ولعل من بينها ما يكون منسوباً لمن هو أحدث وفاة من الشريف الموسوي .

ثم علمت – قبيل تقديم هذه المقدمة للطبع – أن إسم مؤلفنا ورد في كتاب

---

(١) ويحضرني الآن ما ذكره المرحوم د. حفني شرف في مقدمة تحقيقه لكتابه « البرهان في وجوه البيان » حين وجد أن التاريخ أغفل كثيراً من جوانب حياة مؤلفه (أبي الحسين اسحاق ابن وهب) وتاريخ ميلاده ووفاته « لقد كان ذلك متوقعاً ، ولا سيما أننا قد علمنا أن التاريخ لم يسجل من حياة هؤلاء إلا من اشترك منهم في الحكم أو تقلد الوزارة . وأبو الحسين قد شغله علمه وتأليفه عن أن يتطلع إلى الحكم وولاية المناصب ، فجازاه التاريخ بالسكوت عن أكثر جوانب تحقيق وجوده » .

النقد الأدبي في العصر المملوكي (الأنجلو ١٩٧٢) وهو الرسالة التي كان قد تقدم بها زميلنا وصديقنا د. عبده عبد العزيز قلقيله للحصول على درجة الدكتوراه[١] ؛ فاتصلت به وقدم إلي – مشكوراً – كتابه. والذي يهمنا مما جاء به خاصاً بعلي بن خلف هذه الإشارة التي وردت في هامش ص ١٣٠ .

يقول المؤلف : « وقد قرأت مؤخراً [٢] لابن الصيرفي في كتابه « الاشارة إلى من نال الوزارة» ط. القاهرة سنة ١٩٢٤[٣] قوله عن الوزير الفاطمي محمد ابن محمد بن علي بن خلف : « انه من رؤساء العراقيين ، كان أبوه وزيراً لبهاء الدولة بن عضد الدولة فناخسرو بن بويه ، كما أن جده علي بن خلف من كتاب ديوان الانشاء في الدولة الفاطمية » .

ونقول : ان ابن مؤلفنا هذا الذي كان وزيراً لبهاء الدولة [٤] ، ثم لسلطان الدولة أبي شجاع من بعده [٥] ، مات – كما ورد في وفيات الأعيان – سنة ٤٠٧ ، فإذا كان قد مات بعد موت أبيه بفترة – وهو الغالب – فإن أباه حينئذ يكون قد توفي في أواخر القرن الرابع ، وإذا كان موت الابن قريباً من موت

---

(١) أعلمني بذلك الصديق الأستاذ الدكتور شكري عياد وكان عضواً في اللجنة التي ناقشت الرسالة .

(٢) إذ كان قد حدس أن يكون علي بن خلف معاصراً للقلقشندي . يقول « وصح ما توقعت وقد وجدت له ترجمة بالدرر الكامنة رقم ١٧٣٤ وهذه هي : علي بن خلف بن خليل بن عطاء الله السعدي الغزي ولد سنة ٧٠٩ » .
ثم رجع عن هذا حين قرأ ما أثبته في هامشه وذكرناه أعلاه .

(٣) تعذر علي الحصول على هذا الكتاب ، وذلك لندرتـه .

(٤) وقد قال عنه ابن خلكان (٤ : ٢٠٩) : كان من أعظم وزراء آل بويه على الاطلاق بعد أبي الفضل محمد بن العميد والصاحب بن عباد . أصله من واسط وكان أبوه صيرفياً .

(٥) كما ذكر ابن خلكان (٤ : ٧٠٩) .

الأب – سابقاً كان أم لاحقاً – كانت وفاة مؤلفنا في مطلع القرن الخامس .

ولعلنا بهذا نكون قد حصرنا المدة التي يقع فيها تاريخ وفاته في نطاق أضيق.

ونشير إلى أن ما وصلنا إليه أخيراً يوافق ما استنتجناه – حين لجأنا إلى البحث عن تواريخ وفيات أصحاب الشواهد – من حيث بدء المدة .

وشاءت المصادفة أخيراً أن تلعب دوراً لكنها لم تكمله ، فبعد أن قدمت أصول عملي في الكتاب ومعه المقدمة إلى المطبعة ، وكانت ما تزال لديّ بقية قليلة أنسخها من « الفيلم » وأقوم بتحقيقها – تسنّى لي فجأة أن أقف على تاريخ تأليف الكتاب ، وبالتالي على زمن غير محدد البداية والنهاية لمؤلفه ؛ فقد ورد قرب نهاية الفصل المعنون بـ (الكتب في التوفقة بين السنين الهلالية والخراجية) ما يلي :

« وأنه لو أغفل إلحاق السنة الخراجية بالهلالية لكان بينهما من سنة الهجرة إلى سنتنا هذه – وهي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة – أربع عشرة سنة بالتقريب وقبح ذلك غاية القبح ».

عرفنا إذن – أخيراً – تاريخ التأليف ، وظل مغيباً عنا تاريخ مولدالمؤلف وتاريخ وفاته . وأسرعت إلى كتب التاريخ والطبقات أبحث في السنوات السابقة واللاحقة لتاريخ التأليف الذي ظفرنا به ، فما استطعت أن أقف للرجل على ترجمة ، ووجدتني أردد في النهاية : لقد بات في عداد من نسيهم التاريخ .

وصف النسخة المخطوطة :

النسخة التي اعتمدنا عليها في التحقيق ، والتي لم يصل إلى علمنا وعلم المشتغلين بالمخطوطات وجود غيرها توجد في الكتبخانه السليمانية (قسم

الفاتح) باستانبول – كما هو مبين على الخاتم المستطيل الموضوع على الصفحة الأولى – ورقمها ٤١٢٨ وعدد أوراقها ٢٠٢ وعدد الأسطر في الصفحات ١٥ .

وعلى الصفحة الأولى تجد عنوان الكتاب «كتاب مواد البيان» مكتوباً بخط الثلث وعليه الشكل . وكما وضع السكون على اللام بهذه الصورة(<) وضع أيضاً على ألفات المد . (انظر الصورة).

وتحت العنوان كتب في سطرين :

(تصنيف الشيخ الإمام العالم العلامة أبي الحسن علي)

(بن خلف بن علي بن عبد الوهاب الكاتب رحمه الله تعالى)

بالخط النسخ المشكل. ويلاحظ أن« ابن »وقعت في أول السطر ولم تكتب بالألف كما هو المتبع في الرسم الإملائي في وقتنا الحاضر . كما يلاحظ نقط الياء للتفرقة بينها وبين الألف المقصورة التي ترسم ياء في الكتابة ، وقد ظل هذا متبعاً إلى الآن في بعض الدول العربية .

كما نجد على هذه الصفحة عدة كتابات :

ففي أعلاها جهة اليمين : حسبي الله . من كتب (؟) بن رستم أحمد الشرواني،وفي أعلاها جهة الشمال: استصحبه العبد الفقير عفيّ عفا الله عنه .

وأسفل ذلك : تم في نوبة العبد الفقير (؟) عرب عفا الله عنه وعن أسلافه (توقيع :) جلال ١٤٢ .

وفي الوسط إلى اليمين ، خاتم كبير مستدير كتب فيه : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » ثم التوقيع على شكل الطرة : مصطفى محمود خان .

وإلى اليسار ، خاتم مربع كبير لم يتبين لنا منه كتابة أو رسم ، وأغلب الظن أنه وضع لطمس ما يكون تحته :

وأسفل الخاتم الأول (المستدير) كتب بخط التعليق ما يلي :

قد وقف هذه النسخة الشريفة حضرت سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم خادم الحرمين المحترمين السلطان بن السلطان الغازي محمود خان لا زالت دولته باقية إلى انقراض الأنام وقفاً صحيحاً شرعياً لمن طالع واستفاد وأنا الفقير إلى خالق الكونين نعمة الله المفتش بأوقاف المحترمين غفر الله له . (ثم خاتم كتب عليه : المتوكل على الله عبده نعمة الله).

وأسفل الخاتم الثاني (المربع) توقيع متشابك أشبه بالحلية ، يحتاج إلى خبير بالطرر وأشباهها لقراءته .

وتاريخ النسخ كما في بطاقة معهد المخطوطات الملحقة بالمصورة : القرن السابع تقريباً .

ملاحظات على النسخة المخطوطة :

(١) درجت الكتابة على عدم تحقيق الهمزة ، ومن ثم كانت ترد الكلمات :

(الصنائع ، القرائح ، عائداتها ، قائلون ، أوائلها ، القائمة ، الحائرة، دائرة ، الحائزة ، سائر ، الفضائل ، المائت ، نظائر) وأشباهها على هذه الصورة :

(الصنايع ، القرايح ، عايدتها ، قايلون ، أوايلها ، القايمة ، الحاير ، دايرة ، الحايزة ،ساير ، الفضايل ، المايت ، نظاير).

(٢) يوجد في بعض الأحيان فراغ ، قدره كلمة أو أكثر . وكنت أكمله مشيراً إلى ذلك إن استطعت ، أو أنبه على وجوده عند عدم الاستطاعة .

(٣) كثيراً ما ترد بعض الكلمات دون إعجام للمعجم من حروفها ، أو لبعضه . فمثلاً (القص) وردت (العص) ، و (المخرج) وردت (المحرح)

(٤) ورد بعض الكلمات مصحفة . مثل (نعت) وردت (تعب) ، و (الحباء) وردت (الحياء) .

(٥) الرسم الإملائي أحياناً يخالف رسمنا الحالي . فمثلاً (أعلى) رسمت (أعلا) ، و (أرائهم) رسمت (أآْرايهم) ، و (آثر) رسمت (أأْثر) و (خلفاءه) رسمت (خلفآه).

(٦) أحياناً يخطىء الناسخ في كتابة بعض الكلمات لعدم درايته ، فـ (جثمانية) مثلاً يكتبها (جسمانية).

(٧) في بعض الأحيان تسقط كلمة أو كلمات من إحدى العبارات أو من أشطر بعض الأبيات ، فمن الأول « أن الله تعالى جعل عدم نبيه لها من أعظم دلائل النبوة » وتستقيم الكلمة بوضع كلمة مثل (تحصيل) بين « عدم » و «نبيه » .

ومن الثاني « قول بعض السعديين :

سأمنعها وأجعـــل أمرهـــا إلى ملك أظلافه لم تشقق »

والأصل :

سأمنعها (أو سوف) أجعل أمرها إلى ملك أظلافه لم تشقق

وكنت أضع الزيادة بين معقوفين ، مكتفياً بذلك إن كانت من عندي ، ومشيراً في الحاشية إلى مصدرها إن كانت منقولة .

(٨)وأحياناً تضاف كلمة من الشطر الأول إلى كلمات الشطر الثاني ، مثل :

إذا العيس لاقت بن أبي دلف فقد تقطع ما بيني وبين النوائب

والكلمة (فقد) ـ كما لا يخفى ـ من الشطر الأول .

(٩) ترد قليلاً بعض الأخطاء النحوية ؛ كقوله (وهذه الثلاثة أشياء) التي .. وصحته (وهذه ثلاثة الأشياء) أو (وهذه الثلاثة الأشياء) ، وكوجود ضبط إعرابي على آخر الكلمة ولا وجه له .

(١٠) قد تسقط بعض الكلمات فيكتبها الناسخ مائلة في أعلى السطر مردفة

بـ (صح) أو أسفل مكانها في السطر .

(١١) أحياناً ترسم الكسرة هكذا (١) : التي : ينبغى ، حقوق .

(١٢) توضع تحت الحاء حاء صغيرة (ح) تمييزاً لها من الجيم والخاء .

(١٣) العناوين الفرعية كتبت وسط الكلام بالخط الثلث ، وبحــروف أكبر ، وفوقها خط .

منهجي في التحقيق :

آثرت أن يهدف عملي في تحقيق هذا الكتاب إلى أمور ثلاثة :

١ – **تقديم نص صحيح إلى القارىء بقدر الإمكان** ؛ ومن أجل هذا تريثت كثيراً أمام بعض الكلمات التي يصعب الاهتداء إلى قراءتها ؛ وكنت أعود إليها مرات في أوقات مختلفة ، بغية الوصول إلى أنسب القراءات ؛ وإن كانت متعلقة بمثال أو بنص أو تعريف ، أو كانت مصطلحاً من المصطلحات رجعت إلى المظان التي توجد فيها مثل هذه الكلمات أو الأساليب أو المصطلحات. كما حاولت – جاهداً – عند سقوط كلمة أو كلمات من النص أن آتي بالساقط ، وكنت أضعه بين معقوفين ، مكتفياً بذلك إن كان من عندي ، ومشيراً في الحاشية إلى مصدره إن كان منقولا .

وقد وازنت بين ما أورده صاحب « صبح الأعشى » من نقول في بعض المواضع وبين ما جاء في هذه المخطوطة ، مؤتنساً بهذه الموازنة ومشيراً إلى ما ورد في أحدها من أخطاء ، وإلى ما حدث من تصرف . ومما لا شك فيه أن صاحب الصبح قد اطلع وقت تأليفه على نسخة غير التي عثرت عليها ، فيها زيادات وفيها تصحيف وتحريف ، وربما يحس القارىء في بعض ما نقل منها بسقط هنا وبتر هناك .

٢ ـ التوفر على خدمة هذا النص ؛ وكان ذلك :

(أ) بنسبة الشواهد الشعرية إلى قائلها .

فقد لاحظت في أثناء عملي في تحقيق الكتاب أن بعض الأبيات لم ينسبها المؤلف إلى أصحابها ، وإنما أوردها مسبوقة بـ (قال الشاعر) أو (قال الآخر) أو (كقول بعضهم). وبعضها كتب اسم قائلها خطأ ، فقد قال (عبدالله بن الصمة القشيري والصواب أنه (الصمة بن عبدالله القشيري) . وقال (خالد بن أبي صفوان) والصواب (خـالد بن صفوان) وقال (زيد بن مالك الغامدي) والصواب (يزيد بن مالك) .

وتجدر الإشارة إلى أن البيت الآتي :

الله أنجـح ما طلبـت به	والبر خير حقيبـة الرحـل

ورد منسوباً إلى أمرىء القيس (مراداً به امروؤ القيس بن حجر الشاعر المشهور صاحب المعلقة).

وهذا خطأ وقع فيه أكثر المؤلفين والمحققين . والصحيح أن البيت المذكور لامرىء القيس بن عابس[١] . وقد أشار إلى هذا صاحب شعراء النصرانية في الجزء الثاني من كتابه هذا ، وهو الخاص بشعراء ما بعد الإسلام [٢] ، علماً

---

(١) انظره في المؤتلف والمختلف ، عند ترجمة امرىء القيس بن عابس .

(٢) حيث قال في ص ٥٨ عند ترجمته لامرىء القيس بن عابس : « ومما ورد في كتاب الأغاني (٣ : ٩٧ ـ ٩٨) من الابيات التي عليها أصوات ما روى لامرىء القيس بن عابس ، وقد رواها قوم لامرىء القيس بن حجر بالغلط . وهي الأبيات الآتية من (الكامل) .

حـي الحمـول بجانـب العـزل	إذ لا يوافـق شكلها شكلي
الله أنجـح مـا طلبـت بـه	والبـر خير حقيبـة الرحـل
إنـي بحبلـك واصـل حبـلي	وبريش نبلـك رائـش نبـلي
وشـمائلي مـا قـد علمـت ومـا	نبحـت كلابـك طارقـا مثـلي

بأنه قد وقع في الخطأ نفسه حين ذكر الأبيات نفسها في الجزء الأول ص ٥٧ على أنها لامرىء القيس بن حجر ، مورداً إياها في ترجمته له .

(ب) وبذكر الروايات الواردة في الشواهد ، وهذه كنت أذكرها مبيناً أماكن وجودها في بعض المراجع أو نشرات الدواوين .

(جـ) وبالتعريف مما ورد في الكتاب من أعلام .

وكنت أوجز في التعريف ، مقدماً أهم النقاط ، وذاكراً سنة الوفاة أو العصر الذي وجد فيه العلَم . وإذا كنت لم أخص علماً بترجمة فذلك لأحد أمرين : إما لأنه معروف وليس ثمة ما أود الإشارة اليه ، وإما لأنني لم أعثر عليه في المراجع التي أتيحت لي .

(د) وبالتعقيب في الحاشية بما يوضح نقطة؛ أو يلقى ضوءاً على موضوع ، أو يبين أماكن تتبعه .

٣ ـ **معاونة القارىء وتيسير الأمر على الباحث**؛ ومن صور ذلك :

(أ) ذكر مواضع أنواع البديع في الكتب المتخصصة .

فقد رأيت حرصاً على الفائدة أن أشير عند كل نوع من أنواع البديع إلى موضعه من هذه الكتب ؛ وذلك ليتسنى للدارس أن يرجع في وقتٍ وجيز إلى هذه الكتب أو المراجع ليلمّ بكل ما جاء في هذا النوع ، ويقف على ما قد يكون من رأي أو خلاف ، ويشهد إلى جانب هذا رصيداً من الأمثلة والشواهد.

(ب) ذكر الشواهد في طبعات مختلفة معينة من الديوان ، وفي مراجع أخرى .

وكان غرضي من ذلك (بالنسبة للطبعات المختلفة من الديوان) أنني إذا اقتصرت على طبعة واحدة ، فإن لم أعيّنها مكتفياً بقولي (ديوانه : ١١٤) أوقعت القارىء في حيرة ، فهو لا يدري أية طبعة أو نشرة ، فيلجأ إلى الديوان في مكتبته أو المكتبة العامة وينظر في الصفحة المشار إليها فقلّ أن يجد ما يريد لاختلاف الطبعات؛ وإن عيّنت هذه الطبعة الواحدة التي ذكرتها فمن الممكن ألا تكون بمكتبة القارىء أو بالمكتبة العامة التي اعتاد الاختلاف إليها . وكذا لا يخفى أن ذكر روايات الشواهد التي أشرت إليها تتطلب تبيين أماكن هذه الروايات . ومن أماكنها النشرات المختلفة للديوان .

كما كان ذكرى المراجع الأخرى وعدم الاكتفاء بذكر الديوان سواء — أكانت له نشرة أم نشرات — لأمور :

منها : أن يكون الديوان نادراً أو غير موجود لدى القارىء ، وقد يريد مراجعة البيت أو الرجوع إليه لأمر من الأمور .

ومنها : أن يكون هناك خلاف بين ما ورد في الديوان وما ورد في المراجع الأخرى .

ومنها : كون السبب الذي من أجله ورد البيت في بعض المراجع غير السبب الذي ورد في بعضها الآخر . فالقارىء حينئذ يفيد من كلٍ فائدة ، ويضيف إلى معارفه كثيراً عن البيت وبسبب البيت .

وأيضاً هذه المراجع لها طبعتان أو أكثر ، والإشارة إلى الطبعة تيسّر[1] ، وقد فعلت ذلك في إيجاز : فقلت على سبيل المثال : الأغاني (دار الكتب ، أو (بيروت) أو (بولاق) . أما إذا قيل — مثلا — الأغاني ٧ : ١١٤ دون ذكر الطبعة والقائل يقصد طبعة دار الكتب فقد لا تتوافر هذه الطبعة لدى

(١) ومن المفيد ذكر الطبعة أيضاً لما له طبعة واحدة ، إذ سوف يظهر له في المستقبل غير هذه الطبعة .

الناس أو في بعض المكتبات ؛ والمتوافرة الآن طبعة بيروت . نعم كان ذلك كافياً قبل أن تصدر النشرات المختلفة من المراجع والكتب والدواوين .

ولم يكن ذلك بمقتصر على ورود هذه المراجع من أجل بيان الشواهد ، بل كان هذا هو المتبع عند ورود ها في أي موضع ولأية مناسبة .

وحيث أنني قد انتهجت هذا النهج لما فيه من الفائدة والنفع فقد وضعت بين القوسين بعد اسم الكتاب : الطبعة ، أو التحقيق مشيراً إليه بالحرف (ت :)

(ج) وضع الفهارس المفصلة المناسبة للكتاب :

وكانت على النحو الآتي : فهرس موضوعات الكتاب ، فهرس الآيات القرآنية ، فهرس الأحاديث النبوية ، فهرس أبيات الشعر (وقد ذكرت عدد الأبيات التي وردت في الموضع الواحد) ، فهرس أنصاف الأبيات ، فهرس الأعلام (وإذا تكرر العلم في صفحة كنت أشير إلى عدد المرات بين القوسين في أعلى رقمها في الفهرس).

وقد أغفلت ما عدا هذه الفهارس مما درج المحققون على وضعه ، كفهرس الأماكن ، والقبائل والأمم .. نظراً إلى أنني لم أجد من كل نوع منها ما يستحق أن يجعل له فهرس .

وبعد ؛ فالكتاب من تراثنا الذي نعتز به ، ونسعى جاهدين في إحيائه . ونحمده تعالى أن وفق للعثور عليه ، وأعان على تحقيقه .

د. حسين عبد اللطيف



صفحة العنوان في المخطوطة

(ظهر الورقة ٣٤ ووجه الورقة ٣٥ من المخطوطة)

كتاب مواد البيان

تصنيف الشيخ الإمام العالم العلّامة أبي الحسن
علي بن خلف بن علي بن عبد الوهاب الكاتب
رحمه الله تعالى

تحقيق
الدكتور حسين عبد اللطيف
الاستاذ المشارك بكلية التربية
جامعة الفاتح - طرابلس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على سيّدِنا محمّد خيرِ خلْقِهِ وآلهِ وصحْبِهِ أجمعين ، ولا حوْل ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم .

قال عليٌّ بنُ خلَف بن عليِّ بن عبدِ الوهابِ الكاتبُ رحِمَهُ الله :

أما بعدُ ، فإن العقولَ أشجار والعلوم ثمَرُها ، والأفهامَ بحارٌ والآداب جوهرُها ، والبصائرَ (١) نجومٌ والحكم نورُها . ومن لطيفِ صُنْعِ الله تعالى وصنعتِهِ أن جعل لكلٍّ ذي بصيرةٍ بصيرةٍ وغريزةٍ منيرةٍ قوةً يقتَدِرُ بها على اقتضاب الصنائع (٢) وارتجالِها ، والوصولِ بما قصّرتْ قرائح(٣) مقتضبيه عن تكميل غاياتِ كمالِها ، فليس المبْتكِرُ أولى بما ابتكَرهُ ممن اقتفى فيه أثرَه (٤) ، لا سيما إذا جرَّد صُورَ المعاني من موادِّها ، وخلّص أوراحَها من أجسادِها ، وبدّلها بمعارض (٥) أرَقّ من معارِضها شفوفاً ، وأدقّ تطريزاً وتفويفاً ، ورتّب مُخلّطَها وألّفَه ، ونظّم منثُورَها وعكّفَه (٦) ، وكمّل

(١) في الأصل : البصاير .
(٢) في الأصل : الصنايع .
(٣) في الأصل : قرايح .
(٤) في الأصل : إثره .
(٥) في الأصل : بمعارض .
(٦) عكفه : نضده .

منقوصَها ، وراش مخصوصَها [1] ، وتنخّل [2] فُصُوصَها ، وزيّن عاطِلها وحلاّه ، وألبَس عاريَها وكساه ، وصفّى مُرَنّقها [3] ونقّى قذاه ، فإن اللهَ وهو المحمودُ قد سوّى في هذه الموهبة بين التالدين والطّارفين ، وأقدر الآنفين على استِنَانِ سَنَن السالفين ، فنحن جُدراءُ أن نَشِيمَ مقاصلَ اللَّبابةِ ، فنطبق بها مفاصلَ الإصابة ، ونتصرّف بين اقتضاب رائع [4] وتصنيفِ بارع واختيارٍ واقع ، فإن اقتضَبْنا اقتنَصْنا نوادرَ الكلام ، وإن صنَّفنا ألّفْنا فرائد [5] النظام ، ولولا سَبْق الأولين إلى ما اخترعوه ، ووجودهم بتقدّم الزمانِ إلى إفراغ ما أفرغوه ، حتى لا يكون مُلغىً مُهملاً ، ومُلقىً مرسلا ، لأمكنَ أن يقع المُحْدثون على ما وقعوا عليه ، ويصلوا إلى ما وصلوا إليه ، إذ المعاني قائمةٌ في نفوس المميّزين وليس المتقدِّم أحق بالولاء عليها من المتأخّر ، ولذلك تواردت فيها الخواطر ، وتوافت إليها توافي الحوافر ، ولمّا كان كثيرٌ من مستَنْبِطي الصناعات يعجزون لاستفراغهم قُوى قرائحِهم في إقامةِ صور ما استنبطوه وإخراجه من القوة إلى الفعل عن إلباسه بُرُودَ التّنميم ، وتحليته كعقود التنظيم ــ خصّنا الله تعالى بالفضيلةِ في استدراك ما أغفلوه ، وتحليةِ ماصوروه ، وأقْدَرنا بما حملوه عنّا من مؤونةِ الابتداع ، وأبقوه على قرائحنا

---

(١) ما سقط شعره او تناثر ريشه .

(٢) وردت الكلمة في الاصل (دون نقط) . ولعلها كما ذكرت . وبها يستقيم المعنى ففي اللغة (تنخل الشيء : صفاه واختاره وأخذ أفضله) .

(٣) اي : مكدرها . يقال رنّق الماء : كدره ، وايضا : صفاه (ضد) .

(٤) في الاصل : رايع .

(٥) في الاصل : فرايد .

من فضلٍ [١] ، على تفصيل ما أجملوه وتلخيصِ ما اقتضبوه ، فلهم حقُّ التشكيلِ والتّركيب ، ولنا حق التكميلِ والتّرتيب ، ولذلك لاشيء من العلوم والصنائعِ [٢] إلا وتغيير حليتِه وتبديل صِيغته وبسطه واختصاره ممكنٌ متسهّل ، إلا أن القرائح [٣] تخصُّ كل صناعةٍ من العنايةِ بتنقيحِها وتهذيبِهـــا ، وتصحيحِها وترتيبِها ، بقدر شرفِ تلك الصناعةِ وفضيلتِها ، وما يستثمرُ من جدواها وعائدتِها [٤] ، ولما كانت الصناعةُ الكتابية ، والفضيلة البراعيّة ، من أنبل الصنائعِ خَطَراً ، وأحسنِها على أهلها أثَراً ، لاشتراك الخاصةِ والعامة في استعمالها ، وأخْذِ كلٍ منهم بما تقتضيه حاجتُه ومنزلته منها — أكثرَ الناسُ من وضع الكتبِ فيها ، وصار المُعتَنّى بالتصنيف فيها إنما يقتدي على مثل السالِف مُغيراً على معانيه ، مُغيّراً لألفاظه ومبانيه ، إلا أننا لما طالعنا الكتبَ الموضوعةَ منها وجدنا أكثرَها معدولاً به عن الطريق القاصدِ إليها ، لأنّ من الواضعين مَن اختصر وقصّر ، ومنهم من أسْهبَ وكثّر ، ومنهم من شغلَ كتابه بأجزاء من العلوم القائمةِ بأنفسها ، الموجودة في مظانها ، لما للصناعةِ من الشّركةِ فيها ، وأخلّ بما هو من نفسها ، وهو أخصُّ بها ، ومنهم من اقتصر على ايداعِ كتابه رسوماً لا تُستعمَل إلا في دوْلةٍ بذاتها وبلادٍ بعينها ، فلا ينتفع بكتابه في غيرها،ومنهم من نصّ على طريقةٍ قد صار عرفُها وأمرُها إمْراً ، لوقوع الاصطلاح على هجرها وإلغائها والاستبدال منها بما هو أليَقُ بالزّمانِ

---

(١) بياض بالأصل ، ولعلها « الاتباع » .

(٢) في الاصل « الصنايع » وكذا كلما وردت .

(٣) في الاصل « القرايح » .

(٤) في الاصل « وعايدتها » وكذا كلما وردت .

والمكانِ وأهليهِما ، ومنهم استوفى الفنَّ الذي بَهَرَ فيه ، وتدرب به ، وقصَّر في غيره من الفنون الأُخَر وهي من أجزاء الصناعة وأقسامِها ، فرأينا لذلك — وبالله التوفيقُ — أن نُصنِّف كتاباً جامعاً لأصولها وفروعِها ، ورسومِها المستعملةِ وأوضاعِها ، وأقسامِ البلاغة وأنواعِها ، ليكون علَماً يُهتَدى بنارِه ، ودليلاً يُسعى على آثارِه ، وحاكماً يُتحاكم إليه ، ومحكّاً يُعرض من اعتزى إلى هذه الصِّناعةِ عليه ، وأشرنا إلى ما لا بُدَّ للكاتب الكامل من معرفتِه من العلوم الأُخَر ، التي هي وإن كانت من أجزائها فإنها تؤخذُ من معادنِها ، وتوجد في أماكنِها ، لأن المتفرِّدين لها قد فرغوا منها ، واستوفوا القول عليها فإن مَرَّ في أثناء الكلام شيء من نصوصها ، فإنما أتيْنا به على القدر الكافي منها وإشارةً إلى موقع الحاجة في الصناعة إليه ، ونَعَتْنا هذا الكتابَ بموادِ البيان ، لوقوع هذا النعتِ منه في موْقع الحقيقة . والله تعالى نسألُ عوناً يُفرغه ، وتوفيقاً يُسبغه ، وهو مانٌّ بهما بفضله . وهو عشرة أبواب :

الباب الأول

في حدِّ صناعةِ الكتابة وفضيلتِها ، ومنفعتِها وقسمتِها ، ورسمِ الكتاب وعلّة وضعه .

الباب الثاني

في البلاغة وأقسامها الأصلية

الباب الثالث

في أقسام البلاغة الفرعية

الباب الرابع

في صناعة البديع وأبوابِها

الباب الخامس

في ما يخرج الكلام عن أحكام البلاغـــــة

الباب السادس

في أن الطبع هو قوامُ الصناعة ونظامُهـــا
واحتذاء مذاهبِ السابقين بكمالها وتمامهـــا

الباب السابع

في أوضاع الخط وقوانينِه وترتيب الصّدور والأدعية
والعنوانات والتاريخ والخَتْم

الباب الثامـن

في رسِوم المكاتبـات

الباب التاسـع

في آداب الصناعة

الباب العاشر

في آداب السياسة

ونحن قائلون [1] في كل بابٍ من هذه الأبواب ما يبلغ إلى قاصيةِ الإقناع والإحـْسَاب . والله الموفقُ للسداد والصَّواب بمنّه ويُمنِه .

(١) في الأصل « قايلون » . وكذا كلما وردت .

الباب الاول

في حدّ صناعة الكتابة وفضيلتِها ومنفعتِها [1] وقسمتها ورسمِ الكتاب وعلةِ وضعه

(الحَدُّ) ما يدلّ على ذاتِ الشيء المحدودِ ويُميِّزه عن غيره بما يحصُرُه ، فلا يدخُل فيه ما ليس منه ، ولا يخرجُ عنه ما هو له ، وأما (الفضيلة) فإن بظهورها وقيام الدلالة عليها تَسْلم الصناعة من المطاعن والمثالب ، وتخلص من المناقص والمعايب . وأما (الغرض) فإن حصول العلم به يُسهِّل على الراغبين المشقّةَ في الوصول إلى الغاية . وأما (القسمة) فليؤخذ في الأهم فالأهمّ من الأقسام ، ويؤخذ الطريق إلى امتحانِ المُعتَزى إلى الصناعة ، فإن لكل صناعةٍ دُخَلاءَ يَنْظِمهم فيها اسمُها ، ويخرجُهم منها حدُّها ورسمُها ، وأكثرُ ما يتوجّه النقصُ على الصنائع التامةِ منهم ، لأن أكثرَ الناسِ يحكمون على الصناعة بوَزْن من حضرهم من أهلها وإن كان ناقصاً ، ولا يُراعون الكاملَ

(١) لعله قد سقط « وغرضها » إذ ان المؤلف قد ذكر بعد (القول على المنفعة) وقبل (القول على القسمة) : (القول على الغرض) .

فيجعلون التحدّي به، فيتوجّه الغلَط عليهم، لأنهم ينسبون التخلّف الذي في المقصرين إلى الصنائع ، ولو أنعموا النّظر لعلموا أن كمالَ الصناعة لا يوجد إلاّ عند من تطرّق من أوائلها [1] إلى أواخرِها ، ومن صدورها إلى أعجازها . وإن من تعلّق بالسبب الضّعيف لا يجوز الحكم به عليها ، نعم ولا أن ينسب إليها . وهذا موجود في جميع الصنائع المهينة وغيرها ، لأنّا لا نسمي من عانى يسيراً من النجارة نجّاراً ، ولا من مارس حقيراً من البِناء بنّاءً . وكذلك لا نُسمّي من وصف دواء واحداً طبيباً . وأما (الرسم) فإنه يُنبيء عن الغرض بقَول وخَبَر . وأما (علة الوضع) فإنه يدلّ على السبب الذي لأجله وضع الواضعُ كتابَه .

ونحن قائلون في ذلك بحسب الطاقة . والله الموفق بكرمه .

القول على الحد :

أما حدّ صناعةِ الكتابة ، فإنها صناعة ترسم صوراً دالة على الألفاظ دلالة الألفاظ على الأوهام . وهذا الحدُّ وإن كان ظاهرُ لفظِه يدل على أن جملة الصناعة إنّما هو رسم الصور الخطّية ، فإنه إذا تُدُبّر وُجد مشتملاً على حواشيها ، مُحيطاً بكل ما يقع فيها . لأن الخطّ تِربُ اللفظِ وقسيمُه ، بل هُوَ هُوَ في الحقيقة ، لأنه لا سبيل إلى رسم صوره الموضوعةِ للدلالة على الألفاظ إلاّ بعد توسطِ اللفظ بينها وبين الأوهام القائمةِ [2] في النفس ، حتى

---

(١) في الاصل « أوايلها » .

(٢) في الاصل « القايمة » . وكذا كلما وردت .

إن مَن يكتب وهو صامتٌ لا بدّ أن يكون مشكِلاً للّفظ في نفسه ، قبل إن تنقُلَه يدُه خطّاً إلى طِرسه ، وكذلك الناظر في الكتاب من غير جهْرٍ لا بدّ له من حكاية اللفظ بضميره ، ليكون ذلك سبيلاً إلى تمييز معناه وتحصيله ، ولو اقتنع بالنّظر دون تشكيل اللفْظِ لتعذر عليه إدراكُ غرضه وكان كالحائرِ[1] في طريق . ولذلك قال صاحب المنطق « إنّ النُطْقَ نُطقان : نطقٌ داخل، وهو صور المعاني القائمة في النفْس ؛ ونطقٌ خارجٌ ، وهو الألفاظ المعبرة عن تلك الصُّور » فأطلق على صُوَر المعاني اسْمَ النطق ولا نطق فيها يقرع الأسماع . وإذا انتظم الخطُّ ما ينتظمه اللفظ ، وانتظم اللفظُ ما ينتظمه الأوهامُ ، فقد اشتمل الرسمُ على كلّ ما يحيط به دائرة[2] الصناعة ، ولم يخرج عنه شيء مما هو لها .

القول على الفضيلـــة :

أما الكلامُ على فضيلة هذه الصناعة فإنّها من الصّنائعِ الظاهرة[3] الشرفِ والجلالة ، الحائزةِ[4] للسيادة والنّبالة ، وذلك لاختصاصِها بالقوة الإنسانية ، وعَوْدِها بتمام الفضيلةِ التمييزية ، من قسمَيْها العلميّ والعملي ، لأنّا إنما نميِّز فاضلَ الصنائع من مفضولها بتأمُّل أحوالها . فما كان منها مختصّاً بهذه القوةِ كصناعة الطبّ والنجوم فهو الفاضلُ . ومما كان مختصاً بالحسّ كالبناء والنجارةِ وما شابههما فهو المفضول ، وصناعة الكتابةِ مختصةٌ بالقوة المميزة

---

(١) في الاصل « كالحاير » .

(٢) في الاصل « دايرة » .

(٣) في الاصل « الطاهرة » .

(٤) في الاصل « الحايزة » .

من قسمَيْها العلميّ والعمليّ .

أما العلمي ، فهو البيانُ عما يخرجه الكاتبُ من الصُّور القائمة في ضميره بالقوّة إلى الفعلِ بالألفاظ البليغة ، والحساب الذي يُبْرِزُه من وهْمِه إلى العقْد . والبيانُ والحساب مختصّان بالقوة المميزة التي بها فُضِّل الإنسانُ على سائر أنواع الحيوان ، لأنه إنما انحاز عنها وانفصل منها بالمنطق . وكما أن بالتمييز وقع الفصْل [1] بين الإنسانِ وأنواع جنسه فكذلك يجب أن يفصل به في الفضيلة والنقيصةِ بين أشخاص نوعِه ، فمن علتْ طبقتُه في البلاغة والإبانة حُكِمَ له بالفضيلة ، ومن انخفضت درجته فيهما حُكِم عليه بالنقيصة ، لأن أثر القوة المميّزةِ في البليغ الألْسَنِ أظهرُ من أثرها في المفحِمِ الألكن . والطريق إلى اعتبارِ ذلك أن تُتأمل ألفاظُ الإنسان التي تخرج بها المعاني القائمة في نفسه بالقوّة إلى الفعل ، فإن كانت ألفاظاً يُطابقُها ، ويقرّبُها من الإفهام ، ويشمِّرُ عيها سجوفَ الإبهام [2] ، ويجلوها في حُلَلِ الابانة وحُلَى البلاغة ، دلّ ذلك على مُمكِنِ القوة المميزة وجودة تحصيلها وصحة تمييزها ، وإن كانت ألفاظاً معقّدة دالة عليها دلالةً بعيدةً ، لا يحصل حقيقتها من أول وهلة ، ولا يوضحها إلاّ في زمان طويل ومهلة [3] ، دلَّ ذلك على ضعف القوّة المميزة ، ورداءةِ تحصيلها ، وفسادِ تمييزها ، واختلاط الصُّور التي فيها ، وعجزِها عن تفصيلها والحكم عليها من العبارة بما يوضِحها . فهذه الصناعة

---

(1) في الاصل « الفضل » .

(2) في الاصل « الابهام » .

(3) في الاصل « مهملة » .

أخصُّ الصنائع بالقوة الناطقة ، لأنّها المفردة باستعمال الأشياء الخاصة بها التي هي تأليف الكلام المنثور ، وتقييده بالخطّ الحافظ له على تعاقب الدهور ، وعقد الحساب وحصر المعدودات به . وقد كان حكماء اليونانيين يسمون علم البلاغة العِلْمَ المحيط ، وذلك لحاجة جميع الناسِ اليه ، وإنّما فضّل الإنسانُ على سائر [1] الحيوان بالمنطق ، فأحق الناس بالرياسة أبلغُهم في منطقه ، وأوصلُهم للعبارة بذاتِ نفسِه ، وأوضعهم لقوله في موضعه . وأحسنهم اختياراً لأوجزه وأغربه . وكما أن الحكمة أشرفُ الأشياء فكذلك ينبغي أن تكون العبارة عنها بأحكمِ المنطق وأوْجز اللفظ وأبعده من الزَّلل ، وإن سماجة المنطقِ واللُّكنةِ والعيّ تذهب نور الحكمة ، وتُفْسِدُ المعاني ، وتورث الشبهة ، وتقصر عند الحاجة ، وتلتبسُ على المستمع .

فأمّا العمليُّ ، فهو الخطّ ، وهو لاحق بالمنطق في إيضاح المعاني وإبانة الأغراض والدلالة على المقاصد ، وهو معبّر صامتٌ مسِرٌّ ، وهو مع ذلك يفعل فِعْل الناطق المفصح والمعْرِب الموضّح ، لأنّه يدلّ على المعْنَى برسْمِه كما يدلّ عليه المتكلم بلفظه . وكما أنّ أوهامَ الإنسان تدلّه على الصور القائمة في نفسه وألفاظَه تدل من يخاطبه على أوهامه . فكذلك الخط يدلّ من بعُدَ عن سماع لفظِه دلالةَ الألفاظ . واللفظ يفضل الخطّ بأنه دليل طبيعيٌّ وآلتُه طبيعيةٌ وهي اللسان ، والخطّ دليل صناعيٌّ وآلتُه صناعيةٌ وهي القلم . ولمّا كان اللفظ في السّيَلانِ لا يلبثُ إلا ريثما [2] يقْرَعُ الأسماعَ ثم ينحلّ على المكان ، وكان حِفْظ المسموعاتِ كالأمر العَرَضِيّ إنما يُحتاج إليه في حراسة

---

(1) في الاصل « ساير » . وكذا كلما وردت . (2) فصلت « ما » عن « ريث » في الاصل .

صُوَر المحفوظات من مُداومة الدروس ومطالعة المحفوظ وتعهُّده بالفكر والقراءة ، وكان النسيان كالأمر الطبيعيّ لما نجدُه من رجوع الإنسان إليه عند إهمالِه ما حفظه ـ ألْهَم الله تعالى الأنسان اقتضابَ الخطّ ، وأقدره به على استكمال معنى النطق الذي خصَّه بفضله واستتمام قوته ، وأوجده بما هَداه إليه من ذلك السَّبيلِ إلى الفهم والإفهام على تغاير الأحوال ، من قُرب وبُعد ، وغيبةٍ وحضور . ولولا ذلك لما تمّتْ منفعةُ النطق ، لأنه لو عدم الخط لم يُتوَصَّل بالنطق إلا إلى إفْهام المخاطب القريب من الصوت المنفصل عن لسان القائل إلى أذن السامعِ دون غيره ممّنْ بعُد عن سماع اللفظ ، ولتعذّر على الآنفين [1] الاطلاعُ على أنباء السالفين وآثارِ عقولهم في الفضائل [2] والآداب ولم يصل إليهم منها إلا ذروٌ [3] يسير مما تتحمله الصدور ويؤديه [4] الحفظ ، ولم يكن وصوله أيضاً على فصوصِه ونصوصِه لما يدخل عليه من التغيير والتبديل باضمحلال الشيء فالشيء منه عن الأوهام التي تحضره والقُوى الحافظة له .

فلمّا أنعم الله تعالى على الإنسان بإلهامه تقييد ألفاظه بالرسوم التخطيطيّة شمل نفعُ هذه النعمة وعمّ جميعَ مميّزي الأزمنة . وذلك أن العبارةَ التي يُتَوصَّل بها إلى الفهم والإفهام حروفٌ يركبها اللفظ في حالِ المقارنةِ ويركبها الرسمُ في حال المباعدة ، وبهذا يرتبط جميع ما يدخل تحتها من المعاني للإنسان

---

(١) يقصد من سبق من المحدثين .

(٢) في الاصل « الفضايل » .

(٣) في الاصل « دور » وقد استخدم المؤلف هذه الكلمة التي اثبتناها ـ مرجحين ان تكون هي المقصودة إذ بها يستقيم الكلام ـ قبيل نهاية هذا الجزء (انظر ص ٤٢٧ و ٤٢٨) في تاريخ الطبري : (١ : ٥٣٨ ـ ٥٥٧) وغزوة العرب (١ : ٥٥٨ ـ ٥٦٠) .

(٤) في الاصل : ويوديه .

ومعاصريه واللاحقين به . وإذا انقرض أهلُ عصرٍ نابتْ هذه الصور في الفضائل التي استنبطوها ، والمعاني التي استخرجوها ، والمعادن التي سهّلوا سبيلَها، إذا قُيِّدت بها وأودعتْ فيها مَنَابَ التشافهِ والمُلافَظَة وأغنت مغناهما . وهذه فضيلةٌ عامة شاملة ، تامّة كاملة ، لا مزيدَ لفضيلة عليها . ولهذا قال بعض المنطقيين في تحديد الإنسان إنه الحيّ الناطقُ المائت [1] الكاتب . وإنّ الكتابة متى لم تدخل في حدِّه لم يقض له بالنطق التام لعجزه عن إفهام من يبعُدعن سماعِ صوته . ولولا أن من لا يُحسن الكتابةَ يخدم بحسْنها لنقَصَ عن معنى الإنسانية نقصاً بيِّناً . فإن اعترض معترضٌ بأن هذه الصناعة َ وإن كانت في المنزلة اللطيفةِ والرتبةِ الشريفة ، وكانت نعمةُ الله تعالى بها جليلة الخطرِ عظيمة القدر ، فإنها موهبة مشْتَركةٌ لكل من عبّر عن ضميره بلسانه ، وخطَّ بيده ، وعقَد بأصابعه — فقد نكب عن سَنَن الصواب في أغراضه ، وذاك أنه وإن كان لكل من وصف نصيبٌ من تأليف الكلام ورسْم الخطّ وعقد الحساب ، فإن شرفَ الصناعةِ وفضيلتها إنما تحصل للكتّاب الذين يحوزون هذه الأوصافَ على التمام . وإنّما تقع في الحقيقة على الكاتب الجامعِ لآلاتِ الصناعةِ وأدواتها ، المستقلَ بعَمَلَيِ التفصيل والترسيل ، دون غيره ممّن يشارك الكتّابَ في استعمال بعض أجزاء الصناعة . وليس هؤلاء فقط يجب [2] أن لا يسمّوا كتاباً، بل وغيرهم ممّن هو أقرب منهم إلى الكتابة ، من الشعراء والخطباء والوراقين وممن يحاذيهم ، لأن لكل طبقةٍ من هذه الطبقات صناعة قد تفرَّد بها ووقع اسمُها عليه .

---

(١) في الاصل « المايت » .

(٢) وردت في الاصل (دون نقط) .

فصل – في فضائلها [1] المستنبطة من كتاب الله عز وجل :

فأما فضائلُها المستنبطةُ من كتاب الله عزّ وجل فإنّ الله تعالى شرّفها بإضافتهـا إلى نفسه ، وإن كان الحكم في إضافتها إليه سبحانه على غير الحكم في إضافتها إلى خلقه فقال جلّ وعزّ « وكتبنـا له في الألواح مـن كلّ شيء موعظةً وتفصيلاً لكل شيء » [2] وقـال « وكتبنـا عليهم فيهـا أن النفْسَ بالنفس » [3] وقـال « ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلاّ » [4] ونسب تعليمـها إلى نفسه فقال تعالى « اقرأ باسم ربّك الذي خلق . خلق الإنسانَ من عَلَق . اقرأ وربُّك الأكرم . الذي علّم بالقلم . علّم الإنسانَ ما لم يَعْلَم [5] » وجاء في التفسير أن هذه السورة مفتتحُ الوحي ، وأولُ آية أنزلها اللهُ تعالى من كتابه على رسوله صلى اللهُ عليه وسلّم . وفي ابتداء الله تعالى فيما عدّده من نِعَمِه على الإنسان بذكر القلم وتعليمه إياه به ما لم يعلم من قبلُ أظْهَرُ دليلٍ على عِظَم رتبة الخط . وقال في عيسى عليه السّلام « ويُعلّمه [6] الكتابَ والحكمة [7] » وأقسم تعالى بالقلم فقال « نَ . والقلم وما يسطرون [8] » وبالكتاب

---

(١) في الأصل : « فضايلها » وكذا في السطر الذي يليـه .

(٢) سوف الأعراف . الآية ١٤٥ .

(٣) سورة المائدة . الآية ٤٥ .

(٤) سورة الحديد . الآية ٢٧ .

(٥) سورة العلق . الآيات من ١ – ٥ .

(٦) في الأصل « ونعلمه » .

(٧) سورة آل عمران . الآية ٤٨ .

(٨) سورة القلم . الآية الاولى .

. ، ، ـــور . وكتاب مسْطو رٍ ، في رَقٍّ منشور [1] » . والأقسام لا تقعُ منه سبحانه إلا بشريف ما ابْـدَعَ كالشمس والقمر والنجوم وما أشبهها مما [2] به نظامُ الخلق واتساق التدبير . وإلحاقه القلم والخطّ بها في القسامة بهما وإجراؤه [3] إياهما مُجراها في ذلك مُنْبِىءٌ عن شرف رتبة الخطّ ، وأنه أصلٌ عظيم من أصول منافع الخلق . وسمى عزَّ اسمُه ملائكتَه [4] كُتّاباً فقال « وإن عليكم لحافظين . كِراماً كاتبين [5] » وقال « أم يحسَبون أنّا لا نسمع سرَّهم ونجواهم ، بلى ورُسُلُنا لديهم يكتُبون [6] » . وعظّم تعالى شأنَ الصحف والكتب فقال سبحانه « كلاّ إنّها تذكرةٌ . فمن شاء ذَكَرَه . في صُحُفٍ مكرمةٍ ، مرْفوعةٍ مطهّرَة . بأيدي سَفَرَةٍ . كِرامٍ بَرَرَة [7] » وقال تعالى « إن هذا لفي الصُّحُف الأولى . صُحُفِ ابراهيمَ وموسَى [8] » وقال « هذا كتابُنا ينطق عليكم بالحقّ إنّا كنّا نَسْتَنْسِخُ ما كنتم تعملون [9] » وقال « وكُلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائِرَهُ في عنقِه ونُخْرِج له يومَ القيامة كتاباً يلقاه مَنْشورا [10] » ونظائرُ [11] هذا كثيرٌ . وسمّى سبحانه ما أوْحاهُ إلى

---

(1) سورة الطور . الآيات من ١ — ٣ .

(2) في الاصل « بما » .

(3) في الاصل « واجراه » .

(4) في الاصل « ملايكته » .

(5) سورة الانفطار — الآيتان ١٠ ، ١١ .

(6) سورة الزخرف . الآية ٨٠ .

(7) سورة عبس . الآيات من ١١ — ١٦ .

(8) سورية الاعلى . الآيتان ١٨ ، ١٩ .

(9) سورة الجاثية . الآية ٢٩ .

(10) سورة الاسراء . الآية ١٣ .

(11) في الاصل « ونظاير » .

رُسُلِه الكرام كُتُباً، فقال في موسى وهرون «وآتيناهُما الكتابَ المُستَبِين[1]» وقال «ولقد آتينا بني اسرائيلَ الكتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّة[2]» وقال «قُل من أنزَل الكتاب الذي جاء به موسى نُوراً وهُدًى للناس[3]» وقال فيما أنزله على نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم «آلم. ذلك الكتاب[4]» «وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ[5]». والوحي لم ينزل كتاباً، ولكنه لمّا أُنْزل كتاباً أشار سبحانه إلى تمامه وغايته، لأن الأشياء إنّما تُحدّ بتمامها وغاياتها. والأشياء التي تدلُّ ويُدلّ عليها أربعة، وهي :

[الأول] الأعيانُ التي تقع عليها الأسماء، والثاني : صورُها الوهمية التي انتزِعتْ بها، وانتسِخت عنها، القائمة في النفوس، والثالث : الألفاظ التي تدلُّ على هذه الصور وتخرجُها من القوة إلى الفعل بالنطق، والرابع : الرسومُ التي تقيّد الألفاظَ وتحفظُها على ممر الأزمان. فالكتابةُ تمامُ قوّة النطق والمبلِّغُ به إلى أكمل غاياتِه، ولذلك جعلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عِقالَ العلوم، فقال «قَيِّدوا العلمَ بالكتاب». ومن شريف صفاتِها أن الله تعالى جعل عَدَمَ [تحصيل] نبيّه لها من أعظم دلائل[6] النُّبوَّة، (لتوصُّل) الإنسانِ بها إلى تأليف الكلام المنثورِ وإخراجِه في[7] الصور التي تأخذ

(١) سورية الصافات . الآية ١١٧ .

(٢) سورية الجاثية . الآية ١٦ .

(٣) سورية الانعام . الآية ٩١ .

(٤) سورة البقرة . الآيتان ١ ، ٢ .

(٥) سورية الانعام . الآية ٩٢ (وايضا الآية ١٥٥) .

(٦) في الأصل « دلايل » .

(٧) في الأصل « من » .

بمجامع القلوب، ([فكان عدم علمه بها من] أقوى الحجج على تكذيب معانديه وحسم أسباب الشكِّ فيه) [1] يدلك على ذلك قولُه تعالى ، مخاطباً له عليه السلام « وما كنت تتلو من قبلِه من كتابٍ ولا تخطُّه بيمينك إذاً لارتاب المُبْطلون [2] ». ولما أعْدَمه هذه الصناعةَ عوَّضه ما هو أجلّ منها ، وهو رفعُ الارتياب في أمره وتنزيهه عن ظِنّةٍ في [3] ، فعدَمُ هذه الصناعة فيه فضيلة وفي غيره رذيلة [4] . ولما كانت هذه رُتبتها في الصنائع [5] (صار السلطان الذي هو رئيس الناس ، ومستخْدِم أربابِ كلّ صناعة ومُصَرِّفهم على أغراضه ، يفتخر بأن تكون فضيلتها له [6] حَاصلةً ، مع ترفُّعِه [7] عن التلبس بصناعةٍ من الصنائع [8] الحِسِّية [9] ، واستنكافه [10] أن يقع اسم من أسمائها عليه . وذلك أنا نرى كلَّ ملكٍ وسلطان يُوثر أن يكونَ له حظٌّ من بلاغة العبارة وجودة الخط . وفي رضى السلطانِ الذي يسودُ أهل نوعِه

---

(1) ما بين القوسين ورد في صبح الاعشى ١ : ٤٢ مع زيادة ما بين المعقوفين .

(2) سورة العنكبوت . الآية ٤٨ .

(3) بياض بالأصل !

(4) يقول العتبي فيما أورده القلقشندي : « الأمية في رسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة وفي غيره نقيصة ، لان الله تعالى لم يعلمه الكتابة لتمكن الانسان بها من الحيلة في تأليف الكلام واستنباط المعاني فيتوسل الكفار إلى ان يقولوا اقتدر بها على ما جاء بـه (انظر صبح ١ : ٤٣) .

(5) في صلب المخطوطة (الصناعة) ويقابلها في الهامش : (يع) .

(6) في صبح ذكرت « له » بعد « حاصلة » .

(7) في الاصل : « رفعه » .

(8) في الاصل : « الصنايع » .

(9) في صبح : « الحسنة » .

(10) في صبح « وأنفته » . وما ذكرناه هو الانسب لما سياتي بعده ، وبه ورد النص في صبح الاعشى .

بالتحلّي بهذه الصناعةِ ما يدل على أنها أشرف الصنائع رتبة، وأعلاها درجة[1]) .

فصل – في [2] فضائلها المأخوذة من مراتب أهلها ومنازل أربابها :

فأما مراتب أهلها ومنازل أربابِها (فقد عُرِف أن الذين وضعوها ورسموا رسومَهَا هم الأنبياء عليهم الصلاة والسّلام [3]) . وفيما رَوَاه نقلةُ الآثار أنّ أول من كتب بالقلم واقتضبَ الخطّ آدمُ عليه السلام ،وأنه وضع حسب ما علمه الله تعالى لأهل كل ملّةٍ قلماً . وقيل أنّ أوّل من خط بالقلم إدريسُ[4] عليه السلام ، وإنه إنّما سمّى إدريس لدراستِه الكتبَ المنزّلةَ [5] . وكان

(١) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٣٨ ما عدا « وفي رضى السلطان الذي يسود اهل نوعه بالتحلي بهذه الصناعة » فقد حل محلها « وفي ذلك » .

(٢) في الأصل : « من » وما ذكرته هو الأنسب والمماثل لما جاء بعنوان الفصل السابق .

(٣) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٣٩ بزيادة « وابتدعوها » بعد « وضعوها » .

(٤) ويقال أيضاً إنه اول من خاط الثياب ، وكان الناس قبل ذلك يلبسون الجلود . وإدريس أحد أنبياء الله ، ورد ذكره في القرآن في موضعين : الاول في سورة مريم « واذكر الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً » وفي سورة الأنبياء « وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين » – ويذكر صاحب القاموس الاسلامي (١ : ٥٣) أن بعض المستشرقين حاولوا ان يطابقوا بين شخصية إدريس كما وصفها القرآن الكريم وبين بعض الأسماء التي وردت في الإنجيل أو التواريخ اليونانية مثل إلياس وأندرياس وهرمس الهرامسة ، ولكن ذلك – كما يقول – مجرد محاولة . وانظر ما ورد عنه في البداية والنهاية ١ : ٩٩ .

(٥) هناك صحف نزلت على شيث وإدريس ونوح وإبراهيم وموسى وداود وغيرهم صلى الله عليهم كما أخبر به القرآن ، قال تعالى « إن هذا لفي الصحف الاولى ، صحف إبراهيم وموسى » (سورة الأعلى : ١٨ ، ١٩) .

يُسمّى الكاتبَ . وقيل إن اسمعيل بن إبراهيم عليه السلام اخترع القلم العربيَّ ، وكتب به ، ولم يُسْبق إليه .

فأما من تحلّى بها في الأيام الخالية ، والأعصُر الماضية ، من ذوي الأخطار العالية في الدِّين والدنيا ، فكثيرٌ لا نُحصيهم إلا أن (أصحاب التواريخ ذكروا أنَّ منهم : يوسف بن يعقوب عليه السلام وكان عزيز مِصْر استوزَره ، وهو أوّل من اتخذ القراطيس . وهرون بن عمران [١] . ويوشع بن نون [٢] ، وكانا يكتبان لموسى عليه السلام ، وسُليمان بن داود [٣] وكان يكتب لأبيه . وقد ذكر الله تعالى بلاغتَه في كتابه بقوله « إنه من سُليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم [٤] . أن لا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين [٥] » . وآصف بن برخيا [٦] .

---

(١) انظر ذكر وفاته في تاريخ الطبري (ت : ابي الفضل) ١ : ٤٣٢ .

(٢) انظر قصته في « البدء والتاريخ » ٣ : ٩٦ وفي « الإلمام » ٣ : ١٣٠ واخباراً عنه في « تاريخ الطبري » (ت أبي الفضل) ١ : ٤٣٥ — ٤٥٢ .

(٣) قالوا واستخلفه داود وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وجعله يستشيره في أمره ويدخله في حكمه (انظر البدء والتاريخ ٣ : ١٠٣) وانظر اخباره في تاريخ الطبري (ت : ابي الفضل) ١ : ٤٨٦ — ٤٨٨ وما انتهى إلينا من مغازيه ١ : ٤٨٩ — ٤٩٥ .

(٤) اول من كتب في أول الكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم » سليمان عليه السلام حين كتب لبلقيس كما أخبر الله تعالى عنه بقوله « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » ثم كتبها النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت (صبح ١ : ٤٢٢) .

(٥) سورة النمل . الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

(٦) في دائرة المعارف الاسلامية « آصف بن برخيا ، وبالعبرية آسف بن بركة : اسم الوزير المزعوم للملك سليمان — وتقول الأسطورة إنه كان صديق سليمان وكان لا يرد عن ابوابه ، ولما وجد آصف « جرادة » صفية سليمان تعبد صنماً قام في الناس خطيباً ، فأثنى على من مضى من أنبياء الله ، ولما انتهى إلى سليمان أثنى على شمائله في صغره ، فغضب =

وهو [1] القائل في عرش سبأ : أنا آتيك بهِ قبلَ أن يرتدَّ إليك طرفُك .
ويوسف بن عنقا ، وكانا يكتبان لسليمان بن داود عليهما السلام [2] . ويحي
ابن زكرياء [3] وكان يكتب لعيسى المسيح صلى الله عليه وسلم)[4] . وبختنصّر [5]

- سليمان وسأله لماذا قصر الثناء عليه في صغره ، فلامه آصف على وجود الصنم في القصر . فكسر سليمان الصنم وعاقبَ جرادة وتاب إلى الله . وقصة « جرادة » والصنم يرويها الطبري بشيء من التفصيل في تاريخه (انظر ١ : ٥٨٦ طبعة دى غويه) وكذا ابن الأثير (انظر الكامل ١ : ١٣٣) .

(١) ذكر المفسرون أنه اختلف في المراد المقصود بـ « الذي عنده علم من الكتاب ، فقيل : رجل كان عنده اسم الله الأعظم ، وهو يا حي يا قيوم ، وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام. وقيل هو جبريل ، وقيل ملك أيد الله به سليمان، وقيل هو سليمان نفسه كأنه استبطئ العفريت فقال له : أنا اريك ما هو أسرع مما تقول . (انظر الكشاف ٣ : ٦٧) وفي تفسير أبي حيان : قيل هو من الملائكة وهو جبريل ــ وقيل ملك أيد الله به سليمان ــ وقيل رجل من الانس واسمه آصف بن برخيا كاتب سليمان أو أسطوم أو هود أو مليخا أو اسطورس او الخضر عليه السلام . ومن أغرب الاقوال انه سليمان عليه السلام كأنه يقول لنفسه أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، أو يكون خاطب بذلك العفريت حكى هذا القول الزمخشري وغيره كأنه استبطأ العفريت فقال له سليمان ذلك على تحضير العفريت (البحر المحيط ٧ : ٧٦) . وقد ذكر في (الكامل ١ : ١٣٢) عند قوله تعالى « فقال الذي عنده علم من الكتاب » : وهو آصف بن برخيا ، وكان يعرف اسم الله الأعظم » .

(٢) حدث اضطراب في الاصل ــ فقد ذكر بعد الآية الكريمة (وآصف بن برخيا . ويوسف بن عنقا ، وكانا يكتبان وهو القايل في عرش سبأ انا آتيك به قبل ان يرتد إليك طرفك وكانا يكتبان لسليمان . وقد رأيت وضع العبارة على الصورة المذكورة فوق ، بعد حذف ما تكرر .

(٣) احد انبياء بني اسرائيل قتل في العقد الثالث من الميلاد ، أي سنة ٢٨ م تقريباً .

(٤) ما بين القوسين اورده القلقشندي في صبح ١ : ٣٩ بإيجاز ، مشيراً الى ان علماء التاريخ قد ذكروه . ولم يذكر بعد « المسيح » : صلى الله عليه وسلم ، بل ذكر : عليه السلام .

(٥) قال في القاموس وبخت نصر بالتشديد اصله بوخت ومعناه ابن ، ونصر كبقم صنم ، وهو الاسم الذي اطلقه مؤرخو العرب على الملك « نابو شانزار » الثاني ملك بابل وكان قد خلف أباه « نابوبولازار » عام ٦٠٥ ق.م . انظر في تاريخ الطبري خبر غزو بختنصر بني اسرائيل وتخريبه بيت المقدس : (١ : ٥٣٨ ــ ٥٥٧) وغزوه العرب (١ : ٥٥٨ ــ ٥٦٠) .

وكان أحدَ كتابِ سنحاريب [1] ، وغلب بعده على بابل وبيت المقدس والشام.

فأمّا من وقع عليه اسمُ الكتابةِ في الملة الإسلامية ، وبلغ إلى المنزلة العالية من الخلافةِ والرتبة السنيّة من الإمارة ، فكثيرٌ أيضاً . ومنهم أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو ذو القرابةِ والصهرُ له والشرف والسّابقة . ومنهم عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان ، كانا يكتبان للنبي صلى الله عليه وسلم . ومنهم زيد بن ثابت ، صاحب الفرائض [2] ، كان يكتُب لرسول الله صلى الله عليه وسلم [3] ، ومنهم عثمان بن عفّان ، وكان يكتب لأبي بكرٍ وانتقل الأمرُ إليه . ومروان بن الحكم ، وكان يكتب لعثمان وانتقل الأمْر إليه . وعبد الملك بن مروان ، وكان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان وانتقل الأمرُ إليه ، وفي كونِ واضعِي هذه الصّناعة من الأنبياء والمعتزين إليها من العظماء والخلفاء والسادات والرؤساء – ما يدلّ على علوّ خطرِها وارتفاع قدرِها .

وأمّا من قرع الذروةَ العاليةَ من السيادة ، والسنامَ الباذخَ من الرياسة ، من أهل هذه الصّناعةِ ، على تعاورِ [4] الدول وتنقلها بيْن العربِ والعجم ، فاشتهار آثارهم وانتشار أخبارِهم يُغني عن النصّ على أسمائهم ، وذكر

---

(1) ملك بابل . (انظر بعضاً من اخباره في « الكامل » ١ : ١٤٤) .

(2) في الأصل « الفرايض » . والمراد – سواء حققت الهمزة أو سهلت – : علم المواريث .

(3) المشهور أنه كان كاتب وحي . اما معاوية فقد كان من كتاب رسائل النبي صلى الله عليه وسلم . وانظر كتّابه صلى الله عليه وسلم في تاريخ ابن الوردي ١ : ١٨٤ .

(4) في الأصل « تعاير » . وفي صبح ١ : ٤٠ « تغير » .

ما تهيّأ لهم من المنازل التي نالوها بالاستيجاب والاستحقاقِ لا بالحظ والإنفاق ، والسعاداتِ التي قيّضت لهم ملوكاً فاضلين فولّوهم في دُولِهِم على ما تقتضيه الكفايات لا ما يقتضيه الأحاظي . (قيل : تسقط الحظوظ في زمن الملك الفاضل ، فلا يتسنّم الرتبةَ العاليةَ إلا موصوف بالفضيلة)[1] . فسَموْا بالعلوم التي حلّقت خواطرُهم إلى أعنانها ، وجالت أفهامُهم في ميْدانها ، وأثاروا غوامضَها ودقائقَها[2] ، وعبّدوا مذاهبَها وطرائقها[3] ، وما اقتضبُوه[4] من بليغ المكاتبات وارتجلوه من بديع السجلاّت ، في الهُدَن والعقودِ والتقاليدِ والعهود المشتملةِ على تمثيلِ الرسوم والأعمالِ والأمرِ والنهيِ والوعد والوعيد والترغيب و الترهيب والحمد والذّم ، إلى الرتب الجليلة الشريقةِ ، والمنازلَ النبيلةِ اللّطيفة ، وحلولهم في أعلى[5] طبقات الإكرام ، وأبعد غاياتِ الإنعام ، وفوزهم بموفور المِنَح الجسام التي أقدرتهم على تطويقِ الأعناق بالمنن ، وادّخار الحسن .

(ولعلم الملوك الحزَمةِ بخطَر هذه الصناعة وأهلها، وعائدتهما[6] في أمور السلطان صرفوا العنايةَ إلى الكَتَبَة ، وخصُّوهم بالحُظْوة ، وعرفوا

---

(١) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٤٢ على الصورة الآتية : (فمن كلام بعض الحكماء : تسقط الحظوظ في دولة الملك الفاضل فلا يتسنم الرتبة العلية إلا مستوجبها بالفضيلة).

(٢) في الأصل « ودقايقها » .

(٣) في الأصل « وطرايقها » .

(٤) معطوف على « ما تهيأ » .

(٥) في الأصل « أعلا » .

(٦) في الأصل « وعايدتهما » .

لهم فَضْلَ ما جَمَعُوهُ من ال ... ال أي وافرِ الأدب ،
وهم أسوَسُ ملوك الأمم وأعرفُ ... فاضلَ الطبع
وجمال المُلك ، وبهاء السلطان ،
والأمناء على رعيّته وبلاده . وهم أ
بالحباء والكرامة ، وأحقُّهم بمحبّة ا
جميع الطبقات من وَليَ أسرارَ الملوك
على الصاحب ثلاثُ خصال : رفع الحجاب ... وإفشاء
السرِّ إليه . (وكانوا يجمعون أحداثَ الكُتّاب ... هم [3] المتعرضين لأعمال الملك ، ويتقدمون إلى رؤساء الكُتّاب بامتحانِهم والفحصِ عن عقولهم ، فمن رُضي أقرَّ بالباب ليُستعان به ، ثم يأمر الملك بضمِّهم إلى العمال ، وينقلُهم في الخِدَم من حالٍ إلى حالٍ حتى ينتهي كلُّ واحد منهم إلى ما يستحقُّه من المنزلة . ولم يكن يتهيّأ لمن عرضَ نفسَه على الملك أن يخدُم أحداً من الناس إلا بأمْرِ الملك وإذْنِه [4]) . وكانوا إذا نفّذوا جيشاً قرنوا بقائده [5] وجْهاً من وجوه الكتاب وأمروه أن لا يحلّ ولا يعقِدَ [6] إلا برأيه ، تعويلاً على فضل رأي الكاتب وحزامتِه . (لم يكن يركبُ الهماليجَ [7] في أيامهم إلا الملك

---

(١) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٤٤ وسقطت منه كلمة « الحزمة » .
(٢) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٤٤ بنقص بعض الجمل .
(٣) الأصل « ونواشيهم » .
(٤) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٤٤ بتصرف .
(٥) في الأصل « بقايده » .
(٦) في الأصل « يعقدُ » .
(٧) ج. هملاج : البرذون الحسن السير . يقال « دابة هملاج » اي حسنة السير في سرعة =

والكاتبُ والقاضي [1]) . وكانوا يقولون ينبغي أن تفرَّغ أذهانهم لما يُمضُونه على الناس .

(وفي عهدِ سابور [2] « ووزيرُك [3] فليكن مقبولَ القول عندك ، رفيع المنزلة لديك ، يمنعه مكانُه منك وما تثق به من لطافة موضعه عندك من الضراعة لأحد والمداهنة في شيءٍ مما وليته ، لتبعثه الثقةُ بك على محْضِ النصيحة لك ، ومنابذة من أراد غِشّك وانتقاصَ حقك [4]) . وإن أوردَ عليك رأياً يخالفك ولا يوافق الصوابَ عندك فلا ترده عنك[5] بالتّجهُّم فينقبضُ[6] عن إتيانك بكل رأيٍ يلوحُ له ، ولكن اقبل ما رضيت ، وعرّفه ضرر ما سخطت ، لينتفع وُزراؤك بأدبك فيما يستقبلونَ النّظر فيه . واحْذَر كل الحذر أن ينزِلَ سواهم عندك هذه المنزلةَ ، وأن يَسْهل لغيرهم سبيل الانبساط بالنطق عندَك والإفاضةِ في أمورِ مُلْكك ورعيّتك ، فإنه لايوثق بصحة آرائهم [7] ، ولا يؤمن انتشار ما وصل من الأسرار إليهم » . وكانت الفُرسُ تقول : ينبغي

= وبخترة (ويطلق البرذون على دابة الحمل الثقيلة ، وعلى التركي من الخيل وخلافها العِراب) .

(١) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٤٥ دون نسبة إلى قائل ، أو وضْعٍ بين علامتي التنصيص .

(٢) أحد ملوك العجم . انظر ما جاء عنه في المعارف (ط دار الكتب) : ٦٥٤ وفي تاريخ الطبري (ت : أبي الفضل) ٢ : ٥٥ – ٦٢ والاصل فيه « شاه بور » معرب ، والشاة بالفارسية : الملك . وبور : ابن فكأنه قال : ابن الملك ؛ وعادة العجم تقديم المضاف إليه على المضاف .

(٣) في صبح ١ : ٤٥ « وليكن كاتبك » .

(٤) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٤٥ بتصرف . وقد ورد « وليكن كاتبك » موضع « ووزيرك فليكن » .

(٥) في الأصل « عليك » .

(٦) في الاصل « فينقبضْ » .

(٧) في الاصل : أآرايهم .

للمَلك أن لا يكون عنده آثر [1] من وزير صالح العقل والرأي وافرِ الأدب ، بصيرٍ بالأمور . فإذا ظفر به فلا يبعده ولا يقصيه . على أن الفاضلَ الطبع لا يمنَع نُصحتَه وإن حُفِيَ .

وأما فضائلُها [2] المأخوذة من [3] في أمور الممالكِ والدّول والسلاطين والملوك المؤهلين لسياسة العباد وعمارة البلاد ، فهم الذين يزِنُون الأمور بزنتها ، ويقوّمون الأشياء بقيمتها ، ويرتّبون كلَّ طبقةٍ من الطبقات التي تشتمل ممالكهم عليها في الموضع الأخصِّ بها ، ويُرقّونها إلى الدرجة التي تستوجبها بكفايتها وعائدتها في مصالح السلطان ورعيّته ، فمن قربت منهم منزلته ، ولطفت عندهم حالته من كُفاةِ أعمالِهم وحَمَلةِ أثقالِهم – فهي أفضلُ الصنائع وأعودها باتّساقِ الأمور وانتظام التدبير . (وليس في متولي خِدَم السلطان والمتصرفين في مُهِمّاته أخصّ من الكتاب به ، لأنهم دونَ جميع الناظرين في أمور الدولة خاصّة الملك وبطانته ، والمنفردون بالاطلاع على سرائره [4] والعلم بأخباره . وأخصُّهم كاتبُ الرسائل [5] ، فإنه أوّلُ داخل على الملك وآخر خارج عنه ولا غنى له عن مفاوضته في آرائه والإفضاء إليه بمُهمّاته ، وتقريبه من نفسه في آناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة

---

(١) في الاصل : اأثر .

(٢) في الاصل « فضايلها » .

(٣) بياض بالأصل .

(٤) في الاصل « سرايره » .

(٥) في الأصل « الرسايل » وكذا كلما وردت .

وخلواته،وإطلاعه على حوادث دولته ومهمّات مملكته،فهو لذلك[1] لا يثق بأحدٍ من خاصته ثقتَه به ، ولا يركنُ إلى قريب ولا نسيب ركونَه إليه)[2] ، ومحلُّه منه لما ذكرناه من عائد خدمته وأثره في دولته محلُّ قلبه الذي يؤامُره في مشكل رأيه حتى يتنقح ، ويراجعُه في مهمٍّ تدبّره حتى يتوضّح ، ولسانه الذي يقرّ بترغيبه أولياءه [3] على الطّاعة والموافقة،ويستغني [4] بترهيبه أعداءه [5] عن المعصية والمشاقة ، ويقرّر بأوامره ونواهيه أمورَ سلطانه في متوطّد منازلها ، ويُحلّها في متمهّد محالّها ، ويتمكن من سياسة أجناده وعمارة بلاده ومصلحة رعيته ، واستجلاب مودّتهم واستخلاص نيّاتهم ، وعينه التي تلاحظ أعوانَ سلطانه ، وترعى مهمّات شأنه ، وسمعه الذي يثق بوعيه ولا يرتابُ بما سمعه ، ويده التي يبسطها بالإنعام ، ويبطش بها في النقض والإبرام.ومن كانت هذه رتبتُه فالسبب الذي رتّبه فيها أفضل الأسباب وأجدرُها بالتقديم،على الاستحقاق والاستيجاب[6]). وهذا أمرٌ « ظاهرٌ »،لأنه (قد عُلِم أن الصَّنائع كلّها مَعَاوِنُ ومرافق لا تنتظم عمارة العالم إلاَّ بها.وهي على ضربين : خاصيّة وعامية ؛ فالعامية صنائعُ المهنة [7] وأهل الأسواق والحرف ، وإن شاركهم الخاصّةُ في الحاجة اليها ، لأن بها تنتظم أمورُ المعاملات ، وهم عمارةُ البلاد ؛

---

(١) في الأصل « كذلك » .

(٢) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ١٢٨ و ١٢٩ .

(٣) في الأصل « أولياه » (٤) في الأصل « ويستقي » .

(٥) في الأصل : أعداه .

(٦) ما بين القوسين ورد بتصرف في صبح ١ : ١٠١ و ١٠٢ ـ كما ورد إلى « ركونه إليه » في ص ١٢٧ و ١٢٩ من الجزء نفسه .

(٧) في الأصل « المهن ». وما أثبتناه في الأصل هو الانسب، وقد ورد في صبح الاعشى ١ : ٣٨ .

والخاصيّة هي التي تقع في حيّز الملوك والسلاطين ، ويتوزعها أعوانهم وأتباعُهم .

وهذه الصّنائع إنما يقع التمييز بين أقدرها بأن يُنْظر إلى مقدار عائدتها في أمور الملك والسلطان والرعية ، فما كان معلقاً بالأمر الأهمّ وكانت الحاجة إليه ألزم ، وقدر المنفعة به أجسم ، والفساد العائد [1] بوقوع خللٍ فيه على أسباب المملكة أعظم ، فرتبته في الصنائع الخاصيّة أشرف وألطف .

وليس من الصنائع صناعةٌ تجمع هذه الفضائلَ [2] إلا صناعة الكتابة ، لأن الملِك محتاج في انتظام أمور سلطانه إلى ثلاثة أشياء لا ينتظم ملكُه مع وقوع خللٍ فيها :

أولها : رسم ما يجبُ أن يُرسَم لكلٍ من العمّال والمكاتبين عن السلطان في الأمور والأعمال المنوطة بهم ، ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسةُ من أمرٍ ونهيٍ ، وترغيبٍ وترهيب ووعد ووعيد ، وحمْد وذمّ .

والثاني : استخراج الأموال من وجوهها واستيفاء الحقوق السلطانية .

والثالث : تفريقها في مستحقيها من أعوان الدولة وأوليائها الذين يحمون بيضتَها ، ويسدّون ثغورَها ، ويحفظون أطرافها ، ويذبّون عنها وعن رعاياها ، وغير ذلك من وجوه النفقات الخاصة والعامة . وهذه أعمال لا يقوم

---

(١) في الأصل « العايد » .

(٢) في الأصل « الفضايل » وكذا كلما وردت .

بها إلا كتاب السلطان [و] [1] لا سبيل للكتاب إلى الكتابة [2] فيها إلا بالتبريز في صناعة الكتابة، فهي إذاً من أشرف الصنائع لعظم عائدتها على السلطان وأسبابه) [3] .

وفصائلُ هذه الصناعة أكثر من أن نُحصيها ونعدّدها . وفيما أثبتناه دلالة على ما ألغيناه ، وهو كافٍ في إبانة فضلها على سائِر الصناعات الخاصيّة الملوكيّة ، وأن لها رتبة الفضيلة والتقدم الحقيقي .

القول على المنفعـــة :

أما منفعة هذه الصناعة فظاهرةٌ متجلّية ، عامّةٌ شامِلةٌ،لتتميمها قوةَ النُّطق التي هي معنى الإنسانية ، وبلوغها [4] به إلى أبعد غايات كماله كما ذكرنا فيما سلف ، وكونها من المرافق المشتركةالتي [5]لا يخلو خاصٌ ولا عامٌ من الأخذ بحظ منها ، ، لحاجته وضرورته إلى استعمالها ، ولقيامها بمصالح الملوك الذين هم نظام الأمور وقوام الجمهور ، ووُقوع الاضطرار إلى المتحلّين بها من الكتّاب لتوسُّطهم بين طبقتي السلاطين والرعيّة ، لأنّ كلاً من هاتين الطبقتين في الطرف الأبعد من الأخرى ، وقوامُ كلٍّ واحد منهما بأن يتّصل بصاحبه ، ولا سبيل إلى اتصالهما بأنفسهما مع تباينهما ، وإنما يتمُ ذلك بحصول

---

(١) في الأصل « لا سبيل » ورأيت من الأنسب إضافة الواو ، وقد ثبتت في صبح الأعشى ١ : ٣٩ .

(٢) في الأصل « الكفاية » وما أثبتناه ورد في صبح ١ : ٣٩ .

(٣) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٣٨ و ٣٩ بزيادة ونقص ومخالفة في بعض الكلمات .

(٤) في الأصل : وبلوغها (والضم محير) . (٥) في الأصل : « الذي » .

طبقةٍ ثالثةٍ مساهمةٍ لهما في خواصِّ أفعالهما ، آخذة من أخلاقهما بنصيب ، لتؤدي عن كلّ طبقة إلى الأخرى ما يصلُها بها ، إذ لا يوصل [1] بين الطرفين المتباعدين إلا بمتوسط بينهما آخذ من كل منهما بمجاورته له . (وليس من طبقات الناس من حصَل في هذه الرتبة ، أعني رتبة التوسُّط بين الملوك والسوقة ، فساهم الملوك في كِبَر الهمّة وجلالة الخطر ، وساهم العامة في التواضع والاقتصاد ، سوى الكتّاب ؛ ولذلك جعلت إليهم السفارة في مصالح الرعية عند السلاطين ، واستيفاء حقوق السلاطين من الرعيّة ، والتلطُّف في الصلة بينهما) [2] ، فالحاجة إليهم ضرورية ، وسنستوفي القولَ في هذا المعنى :

(اعلم أن جميع الصنائع وَسائل إلى درْك المطالب ونَيْل الرغائب ، وأن عوائدَها تتفاضل في الكثرة والقلّة بحسب تفاضُلِها في الرفعة والضعة ، إذ كان منها ما لا يفي بالبُلْغَة من قوام العيش نحو الصّنائع المَهينة السُّوقيّة الداخلة في المرافق العاميّة ، ومنها ما يُوصلُ إلى الثّروة ويتجاوز حدّ الكفاية ويُحظي[3] بالمال الدثِر والنّعم الخطيرة ، وهي الصّنائع الخاصّة [4] . وإذا تُؤُمِّلَ ما هذه صفته منها علِم أنّه ليس منها ما يلحق بصناعة الكتابة ولا يُساويها في هذا النوع ، ولا ما يُكسِب ما تُكسِبُه من الفوائد والمَعَاون مع حصول الرَّفاهية ومُجانبة التبذّل والتنزّه عن دنايا المكاسب ، ولا ما يوصل إلى ما

---

(1) في الاصل « يصل » .

(2) ما بين القوسين . ورد بتصرف في صبح ١ : ٤٤ .

(3) في الاصل : ويخطىء .

(4) في الأصل « الخاصية » وما أثبته ورد في صبح الاعشى ١ : ٣٨ .

توصل إليه من الحظوة ورفاغة العيش ومشاركة الملوك المستعبدين للكافة ، في المساكن الفسيحة ، والملابس الرقيقة ، والمراكب الجميلة ، والدّوابّ الفرهة ، والخدم والحشم ، وغير ذلك من الآلات والأدوات الملوكية . ومن العجب أن صاحبَ هذه الصِّناعة ينتهي إلى الحال التي ذكرنا،ويحصِّل الفوائد [1] التي عددنا ، على أكثر الأحوال في أقرب المُدَد وأقل الأزمنة) [2]، فإن كان ما يصل إليه من ذلك أمراً يتحمله رئيسه له ، لعلمه بخَطَر صناعته وعنايته في خدمته، واستنجابه لتنويله ما نوّله بكفايته، (وناهيك بذلك من فضل هذه الصِّناعة وشرفها)[3] وإن كان ما يخلص إليه من الاكتساب والمرافق أمراً يوصله إليه استقلاله بصناعته ويُقْدره عليه تبريره في معرفته ، حتّى ينتهي إلى الحال التي وصَفْناها ، من غير خيانة [4] للسلطان ولا إشكاء للرعية ولا تطرّق بيْعَة في دين ولا دنيا . فإن اعتُرض بمن يقعد به الجدُّ ويتخلّف عنه الحظّ من أهلها ، فلسْنا نقول إنّ ما وصَفنا به هؤلاء القوم مطّردٌ في حقِّهم ولا لازمٌ في كافِّهم . وكيف ذلك والأقدار تعترضُ دون الأوْطار ، وتجري بحرمان الكافي المشمِّر ، وتنويل العاجز المقصّر ! لكن الذي جرت العادة به أن يؤخذَ الاعتبار مما يكثر وقوعه .

---

(١) في الأصل « الفوايد » .

(٢) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٣٧ و ٣٨ بزيادة ونقص ومخالفة في بعض الكلمات .

(٣) تتمة الجملة كما ورد في صبح ١ : ٣٨ « .. وشرفها وارتفاع خطرها وسحر قدرها إذ كان لها سعة لمثل هذه الجدوى التي لا يوجد مثلها في غيرها من الصنائع » .

(٤) وردت في الأصل « حتايه » .

(على أن المبرّز في هذه الصناعة إن قعدت به الأيام في حالٍ ، فلا بد أن تنهض به في أخرى : لأن دَوْلَةَ الفاضل من الواجبات ، ودولة الجاهل من الممكنات)[1] ، ولا نسبة بين الواجب والممكن .

ومما يتّصل بالقول على هذا الفصل أنه (ما من أحدٍ يتوَسّل إلى السلاطين بالأدب ، ويمت إليهم من العلم بسبب ، إلاّ وهو نافلةٌ لا ينوّل ما ينوّله إلا على وجه الإرفاق خلا الكاتب ، فإنه يُنوّل الرغائب[2] العظيمةَ من طريق الاستحقاق ،لموضع الافتقار إليه[3]،والحاجة)[4] الحادثة عليه . وهذا كافٍ في الدلالة على منفعة هذه الصناعة ، وجلالة عائِدتّها .

القول على الغرض :

كلُ صانعٍ يعاني صناعةً من الصنائع فلا بُدَّ له في معاناة تلك الصناعة من مادةٍ جسيمةٍ تظهر فيها الصورة ، وآلة تصوّربها ، وغرض يقطع الفعلَ عندَه ، وغاية تستثمر من صنْعتِه . وقد استعمل بعضُهم الغرضَ في مكان الغاية . وبينهما فرق ، وهو أن الغرضَ هو الحدُّ الذي يقطع كل[5] فاعلٍ الفعل عنده ، والغايةُ هي الشيء المسْتثمر المجتنى من ذلك الفعل ، فلذلك مادتان : إحداهما لطيفةٌ (روحانيّة وهي الألفاظ التي يتخيلها[6] الكاتب

---

(١) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٤٢ بتصرف يسير .

(٢) في الأصل « الرغايب » . (٣) في الأصل « الافتقاد » .

(٤) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٤٤ .

(٥) في الأصل « كلَّ » بالنصب ؛ ولا يستقيم المعنى به . (٦) في الأصل « يجلها » .

في أوْهامه ويُصورّ من ضمٍّ بعضها إلى بعض صورةً باطنةً قائمةً في نفسه بالقوة ؛ والأخرى مادة جثمانيّة [1] ، وهي الخط الذي تخطّه بالقلم وتقيّدُ به تلك الصُورة [2] فتصير بعد أن كانت صورةً معقولةً باطنة صورةً محسوسةً ظاهرة [3]) .

وأما غرضُها الذي ينقطع الفعل عنده ، فهو تقييدُ الألفاظ بالرسُوم الخطية ، لتكمل قوة النطق ، وتحصل فائدته [4] للأبعد كما تحصل للأقرب ، وتصل إلى الغابر كما تصل إلى الحاضر ، فتُحفظ صُورَه [5] ، ويؤمن عليه من التغيّر والتبدّل والتفلّت .

وأما غايتُها ، وهي الشيء المستثمر منها ، فإنّ بها ينتظم جمهور المعاون والمرافق ، العظيمة العائدة في أحوالَ الخاصَّة والعامّة ، الجسيمة العائدة في الأحوال الخاصة والعامة إلى [6] أمور الدين والدنيا . وهذا أمرٌ ظاهرٌ للعقل ، داخل تحت الحس ، يُستغْنَى فيه بالإيجاز عن الإسهاب ، وبالإجمال عن الأطناب ، لأننا إن أخذنا نُعدّد جميعَ الأشياء المجتَباة منها طال القولُ وامتدّ ، واحتجنا إلى إيراد كل ما تنتظمه الصناعة ، ممّا قد تقسّمتْه وتوزّعتْه رتبُه

(١) في الاصل « جسمانية » . وفي الحق أن النسب إلى جسم « جسمي » وإلى جثمان « جثماني » . وما اثبته في الأصل ورد في صبح الأعشى ١ : ٥١ .

(٢) في الاصل « الصور » .

(٣) ما بين القوسين ورد بتصرف في صبح ١ : ٥١ .

(٤) في الأصل « فايدته » .

(٥) في الاصل « وتحفظ صوره » .

(٦) في الأصل « في » .

ومنازله[1] من كتابنا هذا . والصنائع كلّها وإن كانتْ مفتقرةً في كمالها إلى وجود المادّة والآلة والغرض والغاية ، فليست هذه الأربعة فيها بمتكافئةٍ[2] في الشرف والفضيلة ، لأن من الصّنائع ما يشرف بمادته وآلته ، وغرضه وغايته ، كصناعة الطب ، فإن مادّتَهَا أجسام البشر الذين هم أفضل الجنس الحيواني ، وآلتها الأغذية الحافظة للصحة الحاسمة للمرض ، وغرضها الصحة للبدن ، وغايتها حفظها على حال الصحة . ومن الصنائع ما يشرُفُ ببعضها دون بعض ، وصناعة الكتابة تشرفُ من كل وجه .

أما مادتّها ، فقد قلنا إن لها مادتين ، وهما : اللفظ والخط : وهاتان المادتان من الشرف والفضيلة كما تقدم ، لتقاسمهما البيان وتشاطرهما الدلالة على المعاني وخدمة النطق الذي هو خاصّة الإنسان .

وأمّا آلتها التي هي القلم ، فقد أنبأ الله تعالى عن جلالتها وشرفها بإقسامه بها وإضافته تعليم ما يخطه إلى نفسه ، وما لقائل أن يقول إنّ القلَم يراعة لا تستحق هذا التفخيم ،لأن اللسانَ مضغةٌ من لحم ، وقد جعله الله تعالى أداةً لتقديسه وتمجيده وتوحيده وإبراز ما في الافهام بالقوة إلى الفعل وتكميل فضيلة المنطق ، والأشياء إنّما تُقدَّرُ بغاياتّها لا بجواهرِها .

وأما غرضها الذي هو تقييد ما تبرزه الخواطرُ من أوهامها حتى تتساوى في عِلْم من حَضَرَ وغابَ وبعُد وقرُبَ ، فغرضٌ شريفٌ جَليل العائدة نبيل الفائدة .

---

(1) في الأصل « ومنازِله » .

(2) في الأصل « بمتكافية » .

وأما غايتُها المجتباةُ منها ،والتي[1] تُعدُّ أشرفَ موقعاً وألطف موضعاً ، لانتظامها بتعاظم المعاون والمرافق التي لا تستقيم أمور الملوك والسوقة إلاَّ بها — فغرضٌ[2] يبرز الصناعةَ من أنفس الأغراض وغايتَها من أجلّ الغايات.

القول على القسمـــة :

هذه الصناعةُ تنقسم أقساماً كثيرة ، وترجع إلى أصلين :

أوّلهما أوْلاهما بالتقديمَ والتفضيل ، وهو الإنشاءُ والتّرسيل . والثاني ، الحسابُ والتفصيلُ ، وإنّما يُمَيّز الأصلُ الأول على الثاني لما تُفيده الريادةُ من قوة التمييز وجودة الروية وثبوت الفطنة ، واشتماله على البيان الدال على المعاني ، وهو أقدم من الحساب لأن المتولي لعمل هذا الأصل هو الذي يُمثّل لكلِّ عامل من عمّال السلطان ما يجب أن يُجري عليه في عمله ، فهو بهذا الحكم حائزٌ[3] للقسمين ماهرٌ فيهما . وكاتب التّرسيل يحتاج إلى التّصرف في المعاني المتداولة ، والعبارة عنها بألفاظ غير الألفاظ التي عبّر بها مَن سَبَق إلى استعمالها ، يحفظ صورها ويؤديها على حقائقها[4] . وفي هذا من المشقّة ما لا خفاء[5] به على مَن مارَس الصّناعة ، ولا سيما إذا طاب الزيادةَ والإبْراز على من تقدمه في استعمال تلك المعاني ، أو حذا حذْوَ[6] رسُوم بعض المبرِّزين

(١) في الأصل « فهى » ورايت لاستقامة الكلام أن يكون مكانها « والتي » .
(٢) المرجع السابق .
(٣) في الأصل « حايز » .
(٤) في الأصل « حقايقها » .
(٥) رسمت في الأصل « خفآء » .
(٦) في الأصل « حدى حد و » .

الذين ينتخلون الكلامَ ويوقعونه في مواقعه في غايةٍ من الرشاقة والحلاوة ومناسبة المعنى . ويحتاج أيضاً إلى اختراع معان أبكارٍ في الأمور الحادثة التي لم يقع مثلها ، ولا سَبَق سابقٌ إلى المكاتبة فيها لأن الحوادثَ السلطانية لا تتناهى ولا تقف عند حدٍّ . ولاختصاص متولّى هذا العمل بالسلطان ، وقرب منزلته منه ، وإعظام خواصِّه له ، واعتمادهم في المهمات ونيل الأمل وبلوغ الأوطار عليه ، ولأنه متى صانَ نفسَه ولزَم الطريقةَ المشاكِلةَ لمنزلته كان أجدر بالسلامة عن سائِر [1] أرباب الأقلام الذين يتصرفون في الأموال والأمر . وفي تقدم الأصل الأول على الأصل الثاني ما هو أوضح من أن نتكلّفَ [2] فيه بياناً أو نقيم عليه برهاناً . على أن الأصل الثاني عظيم المحلّ في الدول وأمور السلطان . وسنستوفي القول في الفائدة [3] به وبالمبرِّزين فيه في كتاب الخراج إن شاء الله تعالى .

واعلم أنّ صناعة تأليف الكلام تنقسِمُ على ثلاثة أنواع هي كالجنس لها ، وهي : الكتابة ، والخطابة ، والشعر . ومن ههنا وقع التناسب بينهما . ولكل منها رتبةٌ من الشرف والفضل ، إلا أنّ صناعة الكتابة ترأسُ صناعة الخطابة ، وصناعة الخطابة ترأس صناعةَ الشعرَ . وإنْ عددنا جميع الأشياء التي تتميزَ بها الكتابةُ على هاتين الصناعتين طال الكتابُ وأفضينا إلى الإسهاب ،

---

(١) في الأصل « سـايـر » .

(٢) في الأصل « يتكلف » .

(٣) في الأصل « الفايدة » .

غير أنّا نأتي من ذلك بما يقع عليه إبانته من تقدمها عليهما بالقول الموجز فنقول :
إن صناعتي الخطابة والشعر ، وإن كانتا متوفرتي الحظّ من الفضل والشرف ، غيرُ[1] بالغتين مدى صناعة الكتابة ، ولا مجاريتين لها في دوام الحاجة إليها وقدر الانتفاع بها وكثرة غنائها في أسباب الملك والسلطان ، وذلك أن الخطيبَ إنّما يُحتاج إليه في الأحيان المتباعدة مرّةً ليقومَ على رؤوس الأشهاد في المجالس الحافلة ، مزيّناً لها بما يقضي حقّ المشهد ، ولا يتجاوزُ ما يُودعه خُطبته فنّاً واحداً من فنون الكلام ، وهو الدعاءُ والثناءُ والوعظُ والحضُّ[2] على لزوم الطاعة والتحذير من المعْصية. والشّاعرُ إنّما يحتاج إليه أيضاً لتَزْيين مثل هذه المجامع بما يُوردُه من كلام موزُون مقصور على المدْح والإطراء ونحوهما. ومجَالُهما أضيق من مجال الخطيب لحاجته إلى إقامة الوزن. وأين يقعُ هذان النوعان من الرسَائِل التي ينشئها الكاتبُ في أنواع المعاني الصادرة عن الملوك والسلاطين في سياسة الملك ومخاطبة الخاصة والعامة ، ككُتب البيعة التي بها تَنْعَقِدُ إمامَةُ الأئمة[3] وتستقرُّ خلافَةُ الخلفاء ، وهم عمادُ الدين والدنيا ، وسياسة العِباد والبلاد ، وبوقوع الإجماع عليهم تمضي الأحكام في النقض والإبرام ، وكتب الهُدَن المشتملة على الشروط القاضية بحقن الدِّماء وسكون الدهماء وصلاح ذات البَيْن واتِّصال العمارة واسْتِمْداد المرافق والمعَاون التي يُستعان بها على مصالح الدَّوْلَة والملّة ، من الأسْلحة والعُدَد والآت الحرب وغيرها مما يُرهِفُ الشوْكةَ ويقوي المُنَنَ ويَعُود

---

(١) في الأصل : غير .
(٢) في الأصل « والحظ » .
(٣) في الأصل « الايمة » .

بالجمال ، وكتُب تقاليد الوزراء والقضاة والعمّال والنظار في الأموال الذين هم أركانُ الدّول وقواعدُها ، وبهم ينتظمُ عقودُها . ثم إنا نجدُ الحاجةَ إلى الكاتب في كلّ وقتٍ من ساعات النهار وآناء الليل وأحيان الحركة والاستقرار والسّلم والحرب ضروريةً وليستْ داخلةً في باب الرُّتبة التي يقع الغَناء[1] عنها كالخطيب والشاعر اللذين إنّما يعدان ليزيّنا وقتاً بعينه . وان اعتُبر فضلُ ما بين هذه الصناعة والصّناعتين الأُخريَين من طريق المرفق والجدْوى ظهر أنه لا نسْبة بين ما يحصُل عليه الكاتبُ من الحظّ وبين ما يحصل عليه الخطيب والشاعر من طريق البرّ والصّلة والرَّغبة في حسن السُّمْعة ، هذا على استمْرار ما يُحبَى به الكاتبُ وانقطاع ما يُحبَى[2] به الخطيبُ والشّاعرُ . وإن اعتُبرَ أيضاً فضلُ ما بيْن صناعة الكتابة وصناعتي الشّعْر والخطابة برُتَب أهْلها علم أن الكتّابُ هم أهل التقْدمَة وذوو الحُظوة والرُّتبة والمنزلة العالية ، وأنّ مفالِقَ[3] الشعراء خُدّامهُم ومتعرضون لصلاتهم ، وبيْن من يُعطى ومنْ يأخذ ومن يصلُ ومن يوصَل بَوْنٌ بعيد وفرقٌ واضح . وإن اعتُبر عناء الترسيل والشعر في الأمور التي يستعملُ فيها الكلامُ المؤلّف عُلم أنّ الشعرَ لا يغنى فيما يغنى فيه الترسيل ، لأنه لو كتَب كاتبٌ في حادثٍ من الحوادث السُّلطانية إلى صنف من أصْناف الرعيّة ، عوضاً من رسالةٍ يتضمّنُها الغرضُ التي تقتضيه تلك الحادثة ، قصيدةً تشتمل

---

(١) في الاصل « الغنا » .

(٢) عجيب أن تكتب (يحبى) هذه الثانية في الاصل بالالف ، مع ورود الاولى فيه بالياء .

(٣) أفلق الشاعر : أتى بالفلق ، أي الامر العجيب .

على مثْل ذلك المعنى لما جاز ولا حسُنَ في رسوم السلطان ، ولو شاء [1] أن يُودعَ ما يُودعُه الشاعرُ قصيدتَه من جميع سائر أنواع الشِّعْر رسالةً لما قبحُ ذلك ، فالترسيلُ يشارك الشعرَ في جميع وجوهِه ، من مدحٍ وهجاء ، وسلوى واجتداءٍ ، وشكر وثناءٍ ، وهناء وعزاءٍ ، ويأخذُ منها بالحظِّ الأوفى . وفيما أورَدناه كفاية في الدلالة على استحْقاق صناعة الرسائل التقدُّمَ على الصناعتيْن الأخرييْن اللتين يقاسمَانها استعمالَ الكلام المؤلّف .

فأمّا ما يفضل به صناعةُ الخطابة على صناعة الشّعْر فإنَّ الخطابةَ من الصنائع المتعلّقة بأسباب الدين والسلطان ، إذ الخطبةُ شَطْرُ الصلاة ، والمشتملة على المواعظ الوازعة والذّكرى النافعة المنبّهة للسّاهِي الغافل ، الموقظة للّاهِي الذاهل ، العائدة [2] بترقيق القلوب وكشف ماغشيَهَامن زيْن الاغترار والإخْلاد إلى هذه الدار ، والحضِّ على الاستعداد لمنزل القرار ، وغير هذا ممّا كانت الخُلَفاءُ [3] تتخوَّل به الرعايا اقتفاءً لسنن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنَّ خطبَهُ كانت تنوبُ منابَ الوحي إذا تأخرتْ موادُّه . وإذا اعتبر فضل ما بين الخطابة والشعر بفضل ما بين الخطباء والشعراء عُلم أن التقدُّمَ للخطباء على الشعراء . قال : لأنَّ رسولَ [4] الله صلّى الله عليه سلّم أول من يُعزَى إلى الخطابة ، وخُطَبُهُ أفضلُ الخُطَب ، وقد حازَ

---

(1) في الاصل بدون همز .

(2) في الاصل « العايدة » .

(3) في الأصل « الخلفا » وكذا كلما وردت .

(4) في الأصل « رسول » .

رتبةَ الخطابة على أكمل حدودها وأتمّ رسومِها ، فأما الشعر فإن اللهَ تعالى نزّهَه عن نظمِه بل عن إنْشاده ، فقال : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له »(١) وقال : « وما هُوَ بقوْل شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون (٢) » . ثم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . وهو بعدَ الرسول الخطيبُ المسقعُ (٣) ، وخُطَبه أجزلُ الخطب وأجمعُها للفوائد والمواعظ . ثم الخُلفاء الذين خلَفوا في الإسلام ، فإنّهم كانوا يوصفون بالخطابة ولا يُوصَفون بالشعر ، لترفّعهم عن الإتّسام بسمته . ومما تفضُل به الخطب الشعر أيضاً أن الخطبَ كلامٌ مبنيٌّ على الصدق والإرشاد إلى الخير ، أمّا (٤) الخطبُ الجاهليّة التي كان خطباءُ العرب يقومون بها في الأنْدية والمحافل فمقصورةٌ على الأمرْ بالصَّلاح والإصلاح ، والتحضيص على التّبَارّ والتعاطف ، ورفْض التباغض والتقاطُع ، وصلة الرَّحم ، ورعاية الذّمم ، ونحو هذا ؛ وأما الخُطبُ الإسلامية فلا حاجة بنا إلى ذكر ما تشتمل عليه من وجوه الخيرات ، وما تتضمّنه من تمجيد الله تعالى وتوحيده والثناء عليه ، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، والترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا ، وقدح الهمم في طلب الثواب ، والورع عن احتقاب (٥) ما يُوجِب العقاب . والشعر إنّما بُنِيَ على معان أكثرها مستحيلٌ ، وأقوالٍ جُلّها

(١) سورة يس . الآية ٦٩ .
(٢) سورة الحاقة . الآية ٤١ .
(٣) لغة في (المصقع) ، والمعنى : العالي الصوت . البليغ . من لا يرتج عليه في كلامه .
(٤) في الأصل « وامّا » .
(٥) احتقب الشيء : شده في مؤخر رحل أو قتب واحتمله خلفه . واحتقب الإثم : جمعه كأنه .

كذبٌ ، لا سيّما الشعرُ الجاهلي الذي هو أفحلُ الأشعار ، فإنه يشتمل على قول البهتان ، وشهادة الزُّور،وسب الأعراض ، وقذْف المحصنات ، والقدْح في الأنساب الصريحة ، وقبحِ الهجاء ، وما يجاري هذا مما يجب التنزّه عن الخوض فيه والتصوّن عن إطلاق اللسان به . وهذا كاف فيما رُمْنا إبانتَه من فضْل الخُطَب على الأشعار .

وأمّا ما يشْرفُ به الشِّعْرُ غيره من الكلام ، فبوزْن الأجزاء ، وتساوي الحروف ، وطول بقائه على أفواه الرواة ، فإنه لا شيء أبقى على الدهر من الشعر ، لتمكّن القوة الحافظة [1] بارتباط أجزائه ، وتعلّق بعضها ببعْض من تقييده ، لأنهم مُجْمعون على أنَّ أبقى سيَرهم وأخبارهم ما اشتلمت عليه الأشعار ، وهذه فضيلة جليلةُ الخَطَر ، لأن بقاءَ الشيء وطولَ مدّتِه من أشرف فضائِلِه [2] ؛ ومنها:اشتهارُه واستفاضتُه ، لأنه لا شيء أشهر من المعنى الجيّد ، وهو جارٍ مجْرى الأمثال ، وقد قيل لا شيء أسْبق إلى الأسْماع من بيْتٍ نادرٍ ومثَل سائر [3] ؛ ومنها:تزيينُه مجالسَ الملوك الحافلة بالثناء عليهم وتعديد محاسنهم ؛ ومنها:ما يحصلُ عليه الشاعرُ المجيد من الحباء [4] الجسيم الذي يستحقّه بحسن موقع ألفاظِه ومعانيه من النفوس وما يحدثه فيها من الأريحيّة ؛ ومنها:عمارته لمجالس الأنسِ التي لا تعمر إلاّ بإنشاد الأشعار

---

(١) في الأصل « الحايطة » ولعله تحريف من الناسخ .

(٢) في الأصل « فضايله » .

(٣) في الأصل « ساير » .

(٤) في الأصل « الحياء » .

وروايةِ الأخبار ومنها قبولُه لما يركّب عليْه من الألحان المطْربَة المؤثّرة في الأنفُس اللطيفة والطباع الرقيقة ؛ ومنها:أن ألفاظَ العربية وشواهدَ القرآن وغيره من الكلام العالي ككلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما يُستنبطُ منه ؛ ومنْها؛معرفةُ أمثال العرب وحكمها وعلم تواريخ أيامها ووقائعها [(١)] . فقد وضح بذلك غاية رتبتها في الفضل ، وأن المجلّيَ السابق صناعةُ الرسائل[(٢)] ، والمصلّيَ اللاحق صناعةُ [(٣)] الخطب ، والمُسَلِّيَ التابعُ صناعةُ الشعر .

وذهب قومٌ لما عددْناه من محاسِن فضائِل [(٤)] الشعر إلى تفضيله على الرسائل ، وتابَعَهم على ذلك من أَصْغى هَواه إلى أهويتهم وضعُفَ نقده عن إعطاء الأشياء حقّها من التأمل واستعمال النظر الشافي في المقايسة والتمييز ، واستعملوا المغالطة في تقديم النظم فنقول وبالله التوفيق :

إنَّ الشِّعرَ وإنْ كان في المنزلة التي أشرنا إليها فـ (إنه هابط عن درجة الرسائل هبوطاً بيِّناً لا يخفَى عن ذوي المعارف المميّزين . ويدل على ذلك خبر امرىء القيس [(٥)] مع أبيه حُجْر[(٦)] حين همَّ [أبوه] بقتْله ، لما

---

(١) في الأصل « وقايعها » .

(٢) في الأصل « الرسايل » وكذا كلما وردت .

(٣) في الأصل « صناعة » .

(٤) في الأصل « فضايل » .

(٥) من شعراء الطبقة الاولى من فحول الجاهلية ومعلقته مشهورة وله ديوان طبع عدة مرات . وفي مولده ووفاته خلاف . فبعض المراجع تذكر (٤٩٧ ـ ٥٤٥ م) وبعض =

(٦) انظر : تاريخ الجاهلية د. عمر فروخ ٨٩ ـ ٩١ والاغاني (بيروت) ٩ : ٨١ .

سمِعَه بعد أن نَهَاه عن قول الشِّعر يترنّم في مجلس شرابِه بقوله :

اسْقِيَا حُجْراً على علاَّتِــه من كُمَيْتٍ لَونُها لَوْنُ العَلَق[1]

وما رواه الرواة من حديث النّابغة الجعديِّ ، وأنه كان سيّداً في قومه لا يقطعون أمراً دونه وأنَّ قول الشّعْر حَطَّ رتبتَه) [2] . ولإيضاع الشِّعر في نفوس سادات العرب وملوكهم نزّه الله تعالى رسولَه عنه ومنَعَه منه ، وليس إعدامُه الشعرَ كإعدامه الخطَّ ، لأن الذي جاء به ليس بشعرٍ ، فيقع الارتياب فيه إذا كان يقولُ الشعَر ، لأنه لا يجوز أن يبعث الله تعالى رسولا يريد أن ينقاد الناسُ إليه بما ينقص من قدره في أنفُسِهم . ولو كان الشعر أعلى [3] رتبةً من النثر لم يجز أن يتحدى الله تعالى العبادَ إلاّ به ، لئلا يكون

= (٥٠٠ - ٥٤٠) ويذكر « هيوار » في دائرة المعارف الاسلامية أن وفاته كانت فيما بين عامي ٥٣٠ و ٥٤٠ ، ارجع في ترجمته إلى طبقات ابن سلام ٤٣ ، ٦٧ - ٨٠ ودائرة المعارف الاسلامية ٢ :٦٢٢ [هيوار Huart] ، والأغاني (دارالكتب) ٩ :٧٧ - ١٠٧ و (بيروت) ٩ : ٧٦ - ١٠٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة ٥٢ - ٨٦ وتاريخ آداب اللغة العربية . جرجي زيدان ١ - ١٠٧ والزوزني (بيروت) ٥ ، ٦ وخزانة البغدادي ١ : ١٦٠ و ٢ : ٥٣٢ والمؤتلف ٥ وتهذيب الاسماء واللغات ١ : ١٢٥ وجمهرة أشعار العرب (ت : الحاوي) ٦٤ - ٦٦ وسرح العيون (بولاق) : ١٨١ - ١٨٣ و (ت . أبي الفضل) : ٣٣٣ - ٣٣٦ وشرح شواهد المغنى ٦ - ٩ .

(١) لم يرد البيت في : ديوانه (ت : أبي الفضل) وديوانه (ت : السندوبي) ولم أعثر عليه فيما وصل إلى يدي من مراجع .

(٢) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٦٠ و ٦١ بتصرف في الاسلوب .

(٣) في الاصل (أعلا) بالألف .

قد تحدّاهم بما يوجد أبلغ منه ، لكنّه سبحانه لعِلْمه بِفضل الكلام المنثور أنزل كتابَه العزيز منثوراً ذا مقاطع وفواصل ، ولم يُنْزِلْه قصائدَ [1] ذوات قوافٍ وأوزان ، وعرّاه من حلْيَة النظام الذي يصْقُل صفْحَة الكلام ، ليظهِر العجز من غير طريق القوم الذين [2] أنزله بلسانِهم . ولو كان النظمُ أيضاً أفضل من النثر لوجَبَ أن يجيءَ ما نقله الشُّعراءُ من معاني الكلام المنثور إلى النظم في [أعلى] صورة من البلاغة ، وهذا مستحيل ، لأننا إذا أعرْنا ما نقل من معاني النثر إلى النظم وجدْنَاه قد انحط عن درجته في النثر . ومن ذلك قول الله تعالى : « يحْسبون كل صيحةٍ عليهِم هُم العدوّ [3] » فإن جريراً [4] نقله إلى قوله :

حَمَلَتْ عليْكَ [5] حُماةُ قيسٍ خَيْلَهَا [6]
شُعْثاً عَوابِسَ تحمِلُ الأَبْطَالاَ

---

(١) في الأصل « قصايد » .

(٢) في الأصل « الذي » .

(٣) سورة المنافقين . الآية ٤ .

(٤) من فحول شعراء الاسلام ٢٨ ــ ١١٠ هـ وكانت بينه وبين الفرزدق نقائض ، وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق وطبعت ، له ديوان شعر مطبوع . انظر ترجمته في الشعر والشعراء (ت . شاكر) : ٤٦٤ : ٤٧٠ طبقات ابن سلام ٣١٥ والاغاني (دار الكتب) ٨ : أوله و (بيروت) ٨ : ٣ ــ ٨٩ ووفيات الأعيان (ت : محيي الدين) ١ : ٢٨٦ ــ ٢٩١ وشرح شواهد المغنى ١٦ وخزانة البغدادي (ت : هارون) ١ : ٧٥ ــ ٧٧ ، وانظر أخباره في الموشح ١٨٧ ودائرة المعارف الإسلامية ٦ : ٣٧١ .

(٥) في الحماسة البصرية ٢ : ١٩٧ « عليه » .

(٦) في جمهرة أشعار العرب « خيلهم » .

ما زِلْتَ تَحسِبُ كلَّ شَيْءٍ بعدَهَا
خَيْلاً تكرّ عليْهِمُ ورِجالاً[1]

والفرْقُ بين الكلاميْن ظاهرٌ لمن كان ذوقُه مستقيماً وطبعُه سليماً .

ومنه قولُه تعالى : « كمَثَل الحمار يحمل أسفاراً » نقله الشاعرُ[2] إلى قوله[3] :

زَوَاملُ[4] للأشْعار لاعِلْمَ عندَهم بجيّدِها إلا كعِلْم الأباعِرِ
لعمرُك ما يدْري البعيرُ إذا غدا بأوساقِه أوْراح ما في الغرائِرِ[5]

وبيانُ هذين الكلاميْن واضحٌ أيضاً . فإن قيل إنّه يجب أن تُوقَعَ[6] المقايسَةُ بين النظمِ والنثر من كلام المخلوقين دونَ كلام الخالِق عزَّ سلطانُه، لتفرّده بالمعجِز وحلُوله في الدرجة العالية من البلاغة التي لا يصل البشرُ

---

(١) انظر البيتين في الديوان (طبعة الصاوي) ٤٥١ و (طبعة دار صادر بيروت) ٣٦٢ وفيهما ورد الأول على الصورة التي ذكرها المؤلف ، أما الثاني فقد ورد على هذه الصورة :
ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تشد عليكم ورجالا
وانظرهما في الديوان (ت: د. نعمان طه) ١ : ٥٣ وهما كما في الديوان الاول و « تكر » مكان « تشد » وقد أشار المحقق إلى أنه ورد في بعض النسخ « تشدّ » وانظرهما كذلك في جمهرة أشعار العرب (ت: البجاوي) ط١ : ٨٩٤ وانظر الثاني في معجم الأدباء (مرجليوث) ٦ : ٥٠٨ .

(٢) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة (اللسان ــ زمل) .

(٣) يهجو قوماً من رواة الشعر .

(٤) في الأصل « روامل » .

(٥) البيتان في الحماسة البصرية (حيدر آباد ١٩٦٤) ٢ : ٢٩٩ واللسان (زمل) .

(٦) في الأصل « توقع » .

إليها ــ سلّمنا ذلك وأوقعنا المقايسة بيْن كلام البشر ، وأتينا في التمثيل بأبلغ النوعيْن ، أعني المنظومَ والمنثور ، فمن ذلك قولُ النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار رضي الله عنهم « إنكم لتكثرون عندَ الفزَع وتقلُّون عنْدَ الطّمع ». قال عنترةُ بن شدّاد [1] :

يُخبرْكِ من شَهِدَ الوقيعةَ أنّني ... أغْشى الوغى وأعِفُّ عِند المغْنَمِ [2]

يشْتمِل هذا البيتُ على معنى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُوازنه في عذوبة اللفْظ ، فقد ساواه كلام النبيِّ صلى الله عليه وسلم بنفسه لا بسببٍ من خارج ، والنّظم إنّما تمّمَ حُسْنَه المعرض الذي هو لابِسُهُ من الوزن والقافية ، وذلك أنّ الشعرَ حالٍ من الأوْزَان والقوافي وقيام كلّ بيْتٍ بنفسه وانفصاله عن غيره بما النثر عاطل مِنْه . وهذه أسبابٌ تزيدُ في روْنقه وجوهره وتقضِي بتقبُّل الأنْفُس له ، ولذلك يعجبُ به كثير مِمّن لا يفهم معنى الشّعر ويتحفظه وإن كان ملحوناً مستحيلَ المعْنَى . والنثر إنّما [3] محلّيه بلاغتهُ ، فإذا ساوى وهو عاطِلٌ بنفسه ما هو حالٍ فقد زاد عليه لا محالة ، لأنّه لو كانت له حِلْية لفُضِّل بها على ما سواه بنفسه لا غير .

---

(1) أشهر فرسان العرب في الجاهلية . ومن شعراء الطبقة الأولى (وفاته نحو ٢٢ ق هـ) . معلقته معروفة ، وله ديوان شعر مطبوع . انظر ترجمته في : خزانة البغدادي ١ : ٦٢ ، والأغاني (دار الكتب) ٨ : ٢٣٧ والشعر والشعراء (ت: شاكر) : ٢٥٠ ــ ٢٥٤ .

(2) شرح المعلقات للزوزني (دار صادر ــ ودار بيروت ١٩٦٣) : ١٤٧ وديوانه (ت : عبد المنعم شلبي) : ١٥٠ وديوانه (دار صادر بيروت) : ٢٥ وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٤٥٣ .

(3) في الأصل « فانّما » .

ومثال ذلك أنّا لو استعرضنا شخصيْن : أحدهما حالٍ كاسٍ ، والآخر عاطل عار ، فتوازنا في الوضاءَة والصَّباحة ، لحَكَمْنا للعاطل العاري بالإرباء والإبراز على الكاسي الحالي ، لأن الحالي الكاسي لو نزع حلاه وكساه وقايسَ العاطل العاري لما ساواه . وأما وَجازةُ البيْت فلأنه مُعبِّرٌ عن حالٍ يخصُّ قائِلَه [١] ولا يعدوه ، وفي كلام النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم زيادةٌ في المعنى أوجبت زيادةَ اللفظ ، وهي العموم في الحال المعبَّر عنها ، وخطاب الجماعة بقوله « تكثرون وتقلّون » وقوله « عند الفزع » بجمْع الجنْس الذي من أنواعِه الوغى وغيره ، وكذلك « الطمعُ » فقد يكون مغْنماً وغير مغْنَم، ففي الكلام فوائد [٢] ليست في البيت ، ومطابقَةٌ لفظيةٌ وهي ذكر القلّة والكثْرة ، ومع هذا فإنَّ صاحبَ النثر مطالبٌ بطَبْق معانيه على ألفاظِه ، غيرَ مسامَحٍ بضرورةٍ ولا مجازف باستعمال كلمة مرفوضةٍ ، وليس كذلك الشِّعر ، لأنه يتبع الوزنَ وينْقَادُ إلى ما تقتضيه القافيةُ ، وصاحبُه مساهِلٌ فيما خالف القياسُ ، مسامَحٌ بما لا يُسْمح به لمترسّل ولا خطيب .

فإن قيل : إذا كان النَّثرُ في أعلى [٣] طَبقَةٍ من البلاغة ، لخلوه من سَبَب يُحسِّنُه [٤] واكتفائِه [٥] ببلاغته وتأليفِه المخصوص ، فما يمنع أن يكون الشعرُ أفضَلَ من أجل أنّه لو قُدِّر أنّ كلاماً منثوراً بلغ الغايةَ من البلاغة

---

(١) في الأصل « قايله » .

(٢) في الأصل « فوايد » .

(٣) في الأصل (أعلا) بالالف .

(٤) في الأصل « نحسنه » .

(٥) في الأصل « واكسافه » .

من حالتِه بنفسِه وتأليفِه ونُقِل على صورتِه الموزون لصارَ في أفضلَ[1] الأولى، لجمعِه بين بلاغته وهو نثرٌ وما اكتسبَه من تحسين الوزْن ، لا سيَّمَا ولا منزلة من البلاغة في غير الشعر إلا ونقلها إلى الشِّعر ممكنٌ — قلنا : هذا لا يصح ، لأن الكلامَ البليغَ نمطٌ من التأليف وضربٌ من الترتيب . ونَقَل الشاعرُ[2] قولَ عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي اللهُ عنه : « قيمة كلِّ امرىء ما يُحْسِنُ[3] » ، فقال :

فيا لائمِي[4] دَعْنِي أغالي بقيمتِي فقيمَةُ كُلِّ النّاسِ ما يُحْسِنُونَهُ[5]

فإنه وإنْ كان قد أوْرَدَ المعنى في نصف بيْتٍ على سبيل التضمين والاهتدام والنقل[6] ، لم يأت بما ينسُبُ إليْه إلاَّ لفظاً بدّله وزاده لإقامة الوزن . والذي طبعُه سليمٌ وحسه مستقيمٌ لا يفتقر إلى تعريفِه فرقَ ما بين الكلامَيْن ، إلا أن هذا الشاعر (زادَ فاءً في قوله « فقيمة » وهي مستكرهَةٌ ثقيلة في هذا الموضع ، وأبدل لفظةَ « امرىء » بلفظة « الناس » وامرؤٌ أعذبُ وألطفُ ،

---

(١) في الأصل « أفضل » .

(٢) هو ابن طباطبا .

(٣) في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢٢٣ ، وفي التمثيل والمحاضرة (ت: الحلو) : ٢٩ « ما يحسنه » .

(٤) في الأصل « فيالايمي » . بالتسهيل .

(٥) انظر في الصناعتين (النشرة السابقة) : ٢٢٣ .

(٦) هذه الكلمة وردت في الأصل في بداية السطر قبل « فإنه » . وواضح ان الكلام على هذا الوضع غير مستقيم ؛ فرجحت ان يكون موضعها في بداية السطر الذي يليه — وهو ايضاً موضعها في المخطوطة — ويبدو ان الناسخ نقلها سهواً من السطر الذي يليه ثم عاد بعد ذلك إلى السطر الأول .

ونقل قوله « ما يُحسِن » إلى قوله « ما يحسنُونَه » والجمع بين هاتين النونين وليس بينهما إلا حرف ساكن – والساكن لا يُعتد به – مستوخم [1]) . وفي هذا دلالةٌ على بُطلان نقل المنثور إذا علَتْ طبقتُه في البلاغة إلى المنظوم وهو على الصورة التي كان عليها في المنثور ، وهنا في الوجيز [من] النثر فكيف بالمسْهب الكثير الذي يُحتاج فيه إلى التبديل والتغيير . ولولا خوف التطويل لأتيْنا بأمثلةٍ من النثر والنظم . وفي الذي أوردناه كفايةٌ في مناقضةِ من ذهب إلى تفضيل النظـم على النثر .

وأما المراتبُ التي تنقسمُ إليها صناعة الكتابة فخمس عشرة مرتبة .

وهي : الوزارةُ ، والتوقيع ، والرّسائل [2] ، والخراج ، والضياع ، وبيْت المال والخزائن ، والنفقات ، والجيش ، والزمام ، والبريد ، والقص ، والمظالم ، وكتابة القضاء ، وكتابة القوّاد والأمراء ، وكتابة المعاون . وقلنا فيما سلف إنّ (٣) اسم الكاتب إنّما يقع في الحقيقةِ على الكاتب المستقلِّ بجميع آلاتها ، المحيط بكليةِ أدواتها ، لا مَنْ تعلّق منها بالسَّبب المتصرّم واستند إلى الركن المتهدّم . وينبغي لمن تمسَّك بحبلها ، وأحبّ أن يكون من صُرَحاء أهلها ، أن يتحلى بحليةِ فضلِها ، ويَصْبر [4] على المشقة في اجتياز مداها ،

---

(١) ما بين القوسين ورد في صبح ١ : ٥٩ بتصرف يسير .

(٢) في الأصل « الرسايل » .

(٣) في الأصل « أن » .

(٤) في الأصل « وصبر » .

ولم يقتصر على اسمها دونَ معناها ، لتحصُل[1] له حقيقةُ ما انتسبَ اليه ، ولا يكون دعيّاً ملصقاً ، ويفوزَ[2] بمعنى ما يُسمّى به ولا يكون صفْراً منه مُملِقاً ، فإن عجزَ عن استتمامِها ، وقصَّرَ عن استيفاءِ أقسامِها ، فلا يقفُ في الفنِّ الذي يعتزى إليه من فنونها دون غايتها ، ولا يرضَى بالخروج من خاصته إلى عامّته . وقد مثّلتِ الحكماء الملكَ وأعوانَه بالنفس والأعضاء فقالوا : مثال الملك مثالُ النفسِ التي تسوس جميع الجسدِ ، ومثال الخَدَمِ مثال الأعضاءِ التي تخدم النفسَ . وقسموا الخدَم بحسب انقسام الأعضاء فقالوا : إنَّ منهم من يخدمُ الملكَ خدمة القلْبِ للنفس التي هي التفكيرُ وإجالةُ الرأي ، وهذا عمل وزير السلطان الذي يستعين بآرائه في مصالح الملك . ومنهم من يخدم الملكَ خدمةَ اللسان للنفس التي هي العبارةُ عن الضمائر وإخْراج الصّورِ الوهميّةِ إلى المخاطبين ، وهذا عمل كاتبِ الملك الذي يأمرُ عنه وينهى ويخاطِبُ . ومنهم من يخدمُ الملكَ خدمةَ اليد للنفس التي هي تُنَاول الحاجات ، وتقرب ما يحتاجُ إلى تقريبِه ، وتدفع الأذى عن الجسم والمغالبة والمباطشَة إذا احتيج إليهما ، وهذا عملُ أجنادِ الملكِ وأنصارِه وخدّامه الذين يقومون بمرافق الملك . ومنهم من يخدم الملكَ خدْمةَ الرِّجْل للنفس التي هي للسعي والحركةِ إلى المواضعِ التي يستدعى بها حاجاتِه ومهماتِه ، وهذا كرسلِ الملك . ومنهم من يخدُمُ الملكَ خدمةَ البصرِ للنفس التي تلحظُ له الأشياءَ وتحفظُها وتشاهِدُها ، كأمناء الملكِ وعمّاله . ومنهم من يخدمُ الملكَ خِدْمةَ

---

(١) في الأصل : لتحصَل .

(٢) في الأصل : ويفوزُ .

السّمعِ للنفسِ التي هي آتيةٌ بالأصواتِ والأخبارِ على حقائِقها ، وهذا عمل أصحابِ البُرُدِ الذين يفحصون عما غاب عن الملكِ ويطالعونَه به . وهذا دالٌّ على أن أهل هذه الصناعة هم المتحمِّلون لمعاظم شئون الملك والقائمون بجمهور أموره . ولا ينبغي لأحد منهم أن يتعرض لنوع من أنواع خدمتِه إلا بعد مَهَارتِه في ذلك النوع ، وارتياضه به ، وثقته بنفاذه [1] فيه .

ونحن نذكرُ ههنا ما يلزم كلَّ طبقة من هذه الطبقات الخمسَ عشرةَ أن تستقلَّ به من العلوم والآدابِ بالقول المُجْمل ، ليأخذها من معادِنها ويجتلبها من مظانِّها . والله المستعان :

١ – الــوزارة :

هي الرياسةُ . وصاحِبُها يجب أن يكون قيِّماً بجميع أنواع الكتابةِ وأقسامِها ، عالماً بشروطِها وأحكامها ، لأن كلَّ ناظرٍ في فنٍّ من فنونِها إليه يرفع ما ينظُر فيه ، فلا يجوز أن يكون جاهلاً بشيءٍ منه ، وأن يكون نافذاً في علوم الدين ، لأن الدِّين أساسُ المُلك الذي يبنى عليه أمرُه ، وأن يكونَ فاضلَ العقل ، أصيلَ الرأي ، جيّدَ الرويَّة ، ثاقبَ البديهة ، جميلَ الصفح ، مترفِّعاً عن المباهاة برياستِه والمطاولة بمنزلتِه ، عفيفَ الطعمة ، شريفَ النفسِ ، وقوراً ، صموتاً عن الخوض فيما لا يُعنيه ، كثيرَ الأناة ، منتهزاً للفرصة ، متصرِّفاً لبلاغتَي المنطق واليد ، فاضلَ الطبع ، مجبولاً على

---

(١) في الأصل « بنفاده » .

العدْل ، عاليَ الهمة ، صادقَ اللهجة ، متأنياً في وعيده ، يلاينُ أهلَ الطاعة والانقياد ويُغلِظُ على ذوي المعصية والعِناد، لا يسرعُ إلى العقاب مُتَهَوِّراً ولا يُطمع في إغفالِه مضجعاً ، آخذاً بالتقوى ، عادلاً عن الهوى ، لا يشقَى به المُحِقُّ وإن كان عدوًّا ، ولا يسعدُ به المبطلُ وإن كان وليًّا ، سهلَ الحِجاب ، مفتوحَ الباب ، لطيفاً باللهيف المظلوم ، عَسوفاً على الغَشوم الظّلوم ، محبّاً للخَيْر ، مستكمِلاً شرائطَ المروءة وأقسامَها ، في سَعَة المنزل والطعام ، وجَودة الفرْش والثياب ، وعطر الرائحة ، وفراهة الدّوابّ، وكثرة الأصحاب من غير مبالغةٍ تُطغِي وتزدهي ولا تقصير يغضّ ويغمض ، متجنّباً للغَضَب ، قليلَ اللهو والطَّرب ، مُداوساً للتجارب ، ملابساً للنوائب ، عارفاً بتصرّف الأحوال ، عالماً بوجوه الأموال ومَصالح الأعمال ، مستوفياً لحقوق السلطان من غير حيْفٍ على معاملته ورعيتِه ، معتمداً للإنصاف لهم والانتصاف منهم ، مقدماً أهل الفضيلة والدين والغناء ، مستكفياً للكفاة ، عارفاً لذوي البيوتات والرتب أقدارهم ومنازلَهم ، منزلاً لهم بحيث يستحقّون منها ، بصيراً بمكايد الحروب ومعاجمة الخطوب وتدبير الدولة وسياسة الرعيّة ، عارفاً بما يعتمد كل طبقة منها من عسْفٍ ولطفٍ وخشونةٍ ولين وما يصلح عليه من السِّيَر المتضادة ، لا يَشْغله [1] كبير أمر عن صغيره ، مقدّماً للحزْم ، عاملاً بالعزم ، ناظراً في العواقب ، مخلصَ النيّة ، صحيح الطوية حارساً [2] .

---

(١) في الأصل « يشغله » .

(٢) فراغ مقدار كلمة .

وسنذكر في الباب العاشر ما يحتاج اليه كافة الكتاب ، من الاعتقاد والتخلّق والعمل إن شاء الله تعالى :

٢ ـ التوقيـــع :

صاحبُ التوقيع هو يدُ الوزير ونائبُه ، ومتُولّي العرض [١] على الخليفة إذا غاب . وإذا لم يكن للسلطان وزيرٌ منصوبٌ فالموقّع يدخلُ مدخلَه . وينبغي أن يكونَ مستقلاً بكل ما يستقلّ به الوزراء،ماضياً في جميع علوم الدواوين على اختلافِها ، عارفاً بأوضاعها وبوجوه الأموال وتثميرها وصلاح الرجال وسياستِها . وقد يحتمل تقصير [٢] الكاتب في أشياء ، فمنها : أن يكون عفيفاً أميناً وإنْ لم يكن ناقداً بصيراً [٣] ، ومنها أن يكون عارفاً بوجوه المال موفّراً له عاجزاً فيما سوى ذلك من أقسام الصناعة ، ومنها أن يكون مقصّراً في البلاغة إلاّ أنه يعبّر عن نفسه وعن صاحبه بما يؤدي الغرضَ من غير إخلالٍ بمعنى ، وقد تمهّدت له حرمةٌ ، وعرفت منه مخالصةٌ ، واستمرّتْ له صحْبَةٌ ـ فأما صاحبُ التوقيع فلا يحتمل تقصّيره في شيء بالجُملة ، لأنه يدُ السلطان ولسانُه . وإذا علم منه أصحاب الدواوين غباوة وتخلّفاً وجهلاً بما يخرجونه أدْغلوا في المؤامرات ووَرَّوْا عمّا يؤديهم إلى الارتفاق . وينبغي أن يكون مع

---

(١) في الأصل : الغرض .

(٢) في الأصل « تقصّر » . وكذا في السطر الخامس بعد سطرها وكانه .

(٣) كان الاولى ان تعكس هذه الجملة الواقعة بعد « منها » لانه بصدد ذكر الاشياء التي يحتمل تقصير الكاتب فيها ، وكذا الجملة التي تليها . أما الثالثة فقد أجراها على ما ينبغي أن يكون ، وكأنــه قد فطن إلى ذلك .

تحصيل هذه الأدوات كلها حسن الخط ، سريع البديهة ، ديّناً ، أميناً ، نزه النفس ، لا يخرج عما يؤمرُ به ولا يتعداه لغرض من الأغراض كُلّها .

٣ ــ الرسائــل :

صاحبُ هذه الرتبة هو لسانُ الملك الناطق بحجته ، المترجم عن عقله ومقالتِه . (وهو حليةُ المملكة وزينتُها ، يرفع ذِكرَها ، ويُعلي قدرَها ، ويُعظم خطرَها ، ويدلّ على فضل ملكها ورئيسها . وهو المتصرّف [١] عن السُّلطان في الوعْد والوعيد ، والترهيب والترغيب ، والإحماد والإذمام ، واقتضاب المعاني التي تُقِرُّ الوليَّ على ولائه وطاعته ، وتُبعِد العدوَّ العاصي عن عداوتِه ومعصيتِه [٢]) . وينبغي أن يكون قيّماً بكل [٣] ما يشتمل عليه كتابُنا هذا من الآداب الأُخَر التي تؤخذُ من مواضعِها . ومتولّي الرسائل إذا لم يكن للسلطان صاحبُ توقيع ينوبُ منابَه ويكفي فيما يتولاه . ويجب أن يكون مُوجزاً في موضع الإيجاز ، مطنباً في موضع الإطناب ، حتى إذا وقّع جَمَعَ المعاني وأجملَها ، وإذا كتب بَسَطها وفَصَّلها . وهو يرؤس طبقات الكتاب ، ويتقدّمهم بالفضائل التي ذكرناها في الباب الأول من هذا الكتاب [٤] وبما خُصَّ به من وقار العِلم ، وفصل الحكم ، ورجاحة الفهم ، وصواب المنطق ، والتميّز عما في الطبقات الأخر من الطيش وخفة الأحلام وزلل الألسن .

---

(١) في الأصل « التصرف » .

(٢) ما بين القوسين ورد بتصرف في صبح ١ : ٥٦ .

(٣) في الأصل « بكلما » . (٤) ارجع إلى ص ٤٥ و ٤٦ .

وقالت الحكماء : الكُتّابُ كالجوارح ، كلٌّ جارحةٍ منها ترفِدُ الأخرى في عملها ، وكاتبُ الرسائل بمنزلة الروح المشاركة للبدن المدبرة لجميع جوارحِه وحواسِه . (وهذا تمثيلٌ صحيحٌ لأن هـــذا الكاتب هو الذي يمثّل لكل عاملٍ في تقليده ما يعملُ عليه ، ويتصفّح ما يردُ منه ، ويصرّفه بالأمر والنّهْي على ما يؤدي إلى استقامة ما عُدق به)[1] . وهو يحتاجُ إلى أن يكون بين يديه كُتّاب يُعينونه في الإنشاء،وآدابُهم كآدابه .

فأما آدابُ الصناعة والسياسة التي يفتقر إليها كاتبُ الترسيل فقد استوفينا القولَ عليها في البابين التاسع والعاشر من هذا الكتاب . والله الموفق للصَّواب بمنّه وكرمه .

٤ ـ الخَــرَاجُ[2] :

خطرُ مُتَولي الخراج بحسب ما يتولاه من أموال السلطان التي يستظهرُ بها على جهاد أعدائه ، وإرهاف عزائم أوليائه . وهو يحتاج إلى المعرفة بوجوه الأموال ومصالح الأعمال ورسوم الخراج وايستئداء ما يجب منه في أوقاته وتناوله من جهاته ، والاستقلال بجزءٍ غير يسيرٍ من كتابة الرسائل ، لما يحتاج

---

(١) ما بين القوسين ورد بتصرف في صبح ١ : ٥٦ .

(٢) يقال أول من وضع الخراج وأزال المقاسمة كسرى أنو شروان ، وذلك أنه مر على زرع وامرأة تمنع ولدها منه ، فسألها عن ذلك ، فقالت : إن للملك فيه حقا ، ولا نستحله حتى يأخذ الملك حقه ، فقرر على الزروع قدراً معلوماً وخلى بين الغلة وأصحابها (صبح ١ : ٢٤٢) .

إلى إنشائه من العهود الخراجيّة المودعة شروط العمالة ، والمناشير المتعلقة بالعاملين ، وكتب القبالات [1] والضمانات ، والكتُب النافذة إلى العمّال في جباية [2] الأموال والحثّ والاستبطاء في حملها والاحتجاج بما يوجبُ المبادرة بها واستدعاء الحساب وشواهده وغير ذلك ممّا يَقَع في عمله ، والعلم بالفروض والزكوات [3] والأخماس والأعشار [4] التي أوجب الله تعالى على المسلمين إخراجَها [5] من أموالهم ، لتناولها على حقها الذي أُمرَ به ، والشروط الفقهية ليستعملها إذا ضمّن وقبّل ، والرسوم الديوانية التي يستعملها السلطان استظهاراً على معامليه ، على أنه لا يجوز له أن يخرج عن حكم الفقه والدين ، والتميز في الحساب وجودة العقد وتأليف أنواعه واستيفائه من رافعيه على الصحة والحقيقة . وهذه الثلاثة الأشياء[6] التي هي العقد والتأليف والاستيفاء

---

(١) القبالة : اسم لما يلتزمه الإنسان من عمل ودين وغير ذلك .

(٢) الجباية : الجمع ، يقال جبي الخراج والماء يجباه ، ويجبيه : جمعه — ويقصد بها في التاريخ الإسلامي تحصيل الدخل العام للدولة . (انظر مصادر الجباية ، وطرقها ، ومقدارها في القاموس الإسلامي ، وضع أحمد عطيه الله ١ : ٥٧٣) .

(٣) في الأصل : والركوات .

(٤) الأعشار جمع عشر ، وهي ضرائب كانت مقررة في الدولة الإسلامية على أساس العشر من قيمة التجارة أو نحوها . واستخدام العشر أو أجزائه مقرر في الزكاة ؛ ففي زكاة النقد من ذهب أو فضة وجب إخراج ربع العشر ، ومثاله في زكاة التجارة ؛ وفي زكاة الزرع وجب العشر إذا كانت الثمار خارجة من أرض تسقى بالمطر ونصف العشر إذا كانت تسقى بالدلاء (القاموس الإسلامي ١ : ١٣٣) ويقال أرض عشرية وهي التي تفرض عليها ضريبة العشر من ثمارها ومحصولاتها لصالح بيت المال (وانظر أنواع هذه الأرض في المرجع السابق ١ : ٦٩) .

(٥) في الأصل : إخراجُها .

(٦) في الأصل « وهذه الثلاثة أشياء » . والصحيح أن يقول « وهذه الثلاثة أشياء » كما =

هي أصولُ الأعمال الديوانية ، فلْينظرْ فيما يحتاج إليه العمال من أحكام المساحة والزراعات وأوقاتها ، وفساد ها وصلاحها ، والأصناف العالية منها ، والآفات الداخلة عليها ، ورسوم السقْي ، وتقسيم الشِّرب والعمارات ، وعمل الجسور والترع وغير ذلك ، والإحاطة بارتفاع كل ناحية ، فمتى سُئِل عن ذلك أجاب من غير رجوعٍ إلى شواهده – وإن أمكنَه أن يعرفَ ارتفاع جميع الكُوَر [1] كان أزيد في فضله – وحفظ المستخرج والمحمول إلى بيت المال والحاصل ، حتى متى كشف من جهته عن شيء من ذلك ذَكَرَه من غير أن يطالع تعليقاً ولا غيره ، والمعرفة بالعمّال الذين يتصرّفون من قِبَلِه والكتابِ والخزّان وأسمائهم وأسماء آبائهم ومنازلهم وطرائقهم وسيرهم ومبالغ أرزاقهم [2] ، وأن يكون مع ذلك صبوراً ، أميناً ، نزِهاً ، مستوفياً للحجة في المناظرة،متفقداً لديوانه ، معتمداً للحق ، عادلاً عن الهوى ، مستشعراً خيفةَ الله تعالى .

٥ – الضِّيـــاع :

كتابةُ الضياع جليلة المقدار ، لم تزل عناية الملوك مصروفةً إلى من يعرفها

= ذكرنا ، لأن أل تدخل على المضاف إليه لا على المضاف . ويغتفر دخولها على المضاف إذا وصلت أيضاً بالمضاف إليه : يقول ابن مالك : ووصل أل بذا المضاف مغتفر (هذا بيت شعر ويكتب على سطر مستقل ويفصل بين شطريه) إن وصلت بالثان كالجعد الشعر .

(١) جمع : كورة ، وهي البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى .

(٢) الأرزاق في اللغة : جمع رزق ، وهو العطاء وكل ما ينتفع به . والأرزاق من المصطلحات الشائعة في كتب التاريخ الإسلامي ؛ وتعني الرواتب التي كانت تقدمها الدولة الإسلامية لعمالها وجنودها وغيرهم . (انظر القاموس الاسلامي ١ : ٦٦) .

ويُسندُ إليه أمرُها من ذوي السابقة والقَدْر والحُرْمة والوجاهة . وصاحبها يحتاجُ إلى أمْر كثيرٍ وجزء كبير من المعرفة بأحكام الترسيل لما يكتبه من مناشير الوكلاء والأمناء والمُسّاح والخزّان وكُتُب القبالات ، وعلْم الحساب ، ومعرفة التأليف ، والجباية ، والاستخراج . وهذه وإن كانت أنواعاً فهي ترجع إلى جنسٍ واحد وهو استيفاء حقوق السلطان ، وترتيب الارتفاع والحمول والنفقات والحواصل والبواقي ، ليضع كلاً من ذلك في مكانه ، والنفاذ في المسايح علماً وعملاً والكيل والنقدين ، والعلم بأمور الزراعة وأصناف النبات من الشّجر والزّرع وما يفضُل بعضُه بعضاً منها ، وأوقات الغرس والزراعة ، والآفات العارضة للنّبات ، وأخذ العاملينَ بالتوفّر على ما يلزمهم من العمائر والمصالح ، والنّظر في أمور الحرث والاهتمام بذلك واحتفار الخلج والحوطة على المياه وتقسيمها على قوانين الرَّيّ[1] ، وتعهّد ما يسقى بالدَّوالي[2] والسّواقي، وتقوية ما يجب تقويته من أصناف الزَّرع والبذار والحصاد والدراس ورفع الغلات، ومطالبة المستخدمين بعمل كل شيء من ذلك في وقتِه . وسنستوفي القولَ في كتاب الخراج إن شاء الله .

٦ ـ بيتُ المالِ والخزائن :

متولي هذه الكتابة هو أمين السلطان على أمواله وعروضه وذخائره[3] وزين

---

(١) في الأصل « الريّ » .

(٢) جمع دالية ، وهي آلة لرفع الماء قوامها دولاب كبير وقواديس مركبة على دائرة . ويطلق عليها أهل الشام : الناعورة ؛ وأهل مصر : الساقية .

(٣) في الأصل « وذخائره » .

دولته في الجواهر والملابس والأواني ، وغير ذلك من الأسلحة والمراكب وآلات المواكب [1] وما يجاريها.ويجب أن يكون ثقةً ، حافظاً ، عارفاً قدر ما ائتمن عليه ، متجنباً للخيانة ، عالماً بالأصناف التي تحت يده ، حازماً لا تتم عليه حيلة ، وأن يكونَ قيّماً في الحساب بما يكفيه في ضبط ما يُحمل إليه من ذلك .

٧ ــ النفقــات :

متولّي النفقات كأنه ضدّ متولي الخراج ، لأن صاحبَ الخراج موضوعه جمع أموال السلطان من جهاتها ، وصاحبُ النفقات موضوعُه تفرقتُها في مستحقيها من رجال الدّولة وحماتها الذين يسدّون ثغورها ويذبّون عنها . وعليه القيامُ بحساب ما يُنفق فيهم وفي غيرهم من سائر [2] النفقات الخاصة والعامة . وينبغي أن يكونَ قيماً بالحساب ، عارفاً بنصب دفاتره وتتبّعه واستيفائه ، وأن يُقدّمَ ما يجب تقديمُه من النفقات ويؤخّر ما يجب تأخيره منها ، فإنّ مؤن السلطان التي يحتاجها للاستظْهار في عُدّته وتزيين مملكته مؤسّسَةٌ على مساواة دخْلِه،ولا يصحّ ذلك إلاّ بالحزْم في نفقاته وتقديم الأهمّ منها وتأخير ما يمكن التّسويف به ، حتّى لا يخلوَ بيتُ المال من حاصلٍ يكون

---

(١) انظر آلات المواكب . مثل التخت (وهو ما يجلس عليه الملوك في المواكب) والمظلة (وهي قبة من حرير اصفر تحمل على رأس الملك ، على رأس رمح بيد أمير يكون راكباً بحذاء الملك يظله بها من الشمس) والرقبة (وهي لباس لرقبة فرس السلطان) والأعلام ، والطبول (في صبح ٢ : ١٢٦ ــ ١٢٨) .

(٢) المراد جميع النفقات .

ذخيرةً فيه إن عرَض للسلطان مهمٌ يدعوه للاستعانة بماله ، فإنّه إن فقد ذلك وقت الحاجة إليه اتّهم كاتبه بالخيانة وإن كان أميناً ، وقلة الاضطلاع وإن كان كافياً ، وإن وجد ما يستعين به على بلوغ غرضه زادت حُظوته ، وعلَتْ رتبتُه ، وتأكّدت القربةُ له .

ومراتب كتّاب النفقات تختلف على اختلاف ما يتولّونه .

٨ ـ الجيــش :

خطرُ منزلة كاتب الجيش بمقتضى خطر ما ينظرُ فيه من أمور الرجال الذين هم أعْضادُ السلطان وأعوانُه . وهو يحتاج إلى الاستقلال بجزء[(١)] كثير من الحساب ؛ وإلى معرفة شيات[(٢)] الخيْل وأسنانِها[(٣)] وعتاقِها[(٤)] ، وأوصافها المحمودة والمذمومة[(٥)] ، وعيوبِها الأصلية والحادثة[(٦)] ، وأخلاقها

---

(١) في الأصل « بحــرو » .

(٢) جمع : شية ، وهي كل لون يخالف معظم لون الشيء . ومن شيات الخيل : الغرة ، وهي البياض الذي يكون في وجه الفرس إذا كان قدره فوق الدرهم ، فان كان دون الدرهم قيل في الفرس أقرح . (انظر تفصيل ذلك في صبح ٢ : ١٩ ـ ٢١) .

(٣) أول ما تضع الحِجْرة جنينها قيل مهر ، والأنثى مهرة . فإذا فصل عن أمه قيل فَلْوٌ . فإذا استكمل حولا قيل حولى ، والانثى حولية . فإذا دخل في الثانية قيل جذع ، والأنثى جذعة .. (انظر مايلي ذلك في صبح ٢ : ٣٠) .

(٤) من علامات العتق : دقة الأذنين وطولهما وانتصابهما ، ودقة أطرافهما ، وقرب ما بينهما . ومن علاماته أيضا : عظم الرأس وطوله ، وسعة الجبهة ، وأسالة الخد وملاسته ودفته ، وقلة لحم الوجه ، وعرى الناهضين (وهما عظمان في الخد) ، وسعة العين ، وصفاء الحدقة (صبح ٢ : ٢١) .

(٥) انظر ذلك في صبح ٢ : ٢١ ـ ٢٤ .

(٦) انظر ذلك في صبح ٢ : ٢٤ ـ ٢٨ .

وخَلْقها ؛ والمعرفة بالأسلحة وأنواعها (١) ، والسيوف وجواهرها ومياهها ، والرماح وأجناسها والمختار منها ، والقِسِيِّ والسهام والدروع وما يجاريها من الآلات التي ألهمَ الله تعالى الإنسانَ إعدادَها للدفاع عن نفسه ، وجعلها له عوضاً ممّا جعلت اتخاذها باقي الحيوانات الأخر من الأعضاء التي يدافع بها عن نفسِه كالأنياب والمخالب والقرون والحوافر ؛ وأن يطالبَ الأجناد بتحصيلها وعَرْضها في كل وقت،كما يعرض الخيول التي يُثْبت شياتِها (٢) في ديوانه ، ولا يفسح لأحد منهم في الاستبدال من جيد برديءٍ ولا من عتيق بهجينٍ ولا من أصيلٍ بدنيء ، ومن غيّر شيئاً ألزمه بتعويض ما غيّره ، ولهذا أوقع حزَمةُ الملوك الوسوم (٣) على الخيول والعلامات على الأسلحة.ولا بأس بأن يكون قد تأدبَ بالفروسية وأخذ بطرفٍ من العمل بالسلاح ، وأن يكونَ فيه حُسنُ مداراة ، وجميل ملقى ، وصبرٌ على مرِّ أخلاق من عامله ، فإنه مدفوع إلى سياسة طوائف عدة من أهل الحمية وعزّة النفس ، وهو محتاجٌ إلى رياضتهم وحُسْن السيرة في معاملتهم ليتمكن من حملهم على الحق ، وأن يبنيَ أمرَه على النزاهة عن الطمع ، ليقتدر بذلك على ما يرومه من تنزيلهم منازلهم ، ولْيحذرْ وضع الأعلى ورفع الناقص، ولْيأخذْ بالحزم والأمانة فإن خيانةَ كاتب

---

(١) انظر آلات السلاح في صبح ٢ : ١٣٢ ـ ١٣٥ (السيف ، والرمح ، والطبر ، والسكين ، والقوس ، والنشاب ، والكنانة ، والدبوس ، والعصا ، ..) .

(٢) في الأصل « شياتَهَا » .

(٣) جمع وسم ، وهو العلامة .

الجيش يتوجّه على المال والرجال ، ولا يخصّ أحداً دون آخر ، فإنه إذا اعتنى بمن لا كفايةَ عنده نزّله منزلة الكافي ، وفرضَ له من مال السلطان ما يُفرضُ للكُفاة ، فيكون خائناً بإعطائه من لا يستحقّ . ولا غنى [1] به عن جُزء من كتابة الترسيل ، لأنه ربما نُدبَ مع والي حرْب واحتاج إلى المكاتبة عنه بخبر الفتح وغيره مما يعرض له .

٩ ـ الزِّمـــام :

كاتبُ الزمام يجبُ أن يكون ذا رئاسة وموضع في نفوس الناس ونفاذ[2] في نوع الكتابة التي تُجعلُ زماماً عليه ، ذا علمٍ بأحكامه ورسومه ، فيحتاج إلى التمهُّر فيما يتمهّر فيه كاتبُ النفقات ليطالب عمّاله بما يقتضيه خِدْمته ويستوفي منه شروطَها وقوانينَها ، وينبغي أن يكونَ أميناً ، متحرّزاً محتاطاً ، غير مقصّرٍ ولا مُمَال . وقد جرت العادةُ بأن يردّ إلى صاحب الزمام خاتم الخليفة ، ويكون إليه ختم الكتب التي تنفذ عنه . وسنذكر الرسمَ المستعملَ في ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

١٠ ـ البريـــد [3] :

هذه الكتابة كتابة خطيرةُ الشأن في أعمال السلطان ، وذلك أنّ السلطانَ

---

(١) في الأصل : غنـا .

(٢) في الأصل و « نفاد » .

(٣) البريد كلمة دخلت اللغة العربية عن الفارسية أو اللاتينية المحرفة ، والجمع برد . وقد استخدم البريد في الدولة الإسلامية منذ خلافة معاوية ووضعت له النظم الخاصة =

كمايحتاجُ الى كاتبٍ يُعبِّر عنه ويُخاطِبُ بلسانِه الجمهور ، وكاتبٍ يجمع أمواله ، وكاتب يفرّقها في وجوهِها ، وكاتب يتولّى أمر جُنده ، فكذلك يحتاجُ الى كاتب بريد يُنهِي إليه أخبار الحكّام والعمّال ووُلاة الأعمال وقتاً وقتاً ، ليقابلها من في التدبير بما يجري الأمرَ أحسنَ مجاريه . ولولا أصحابُ الأخبار والبُرُد لم يُحَطِ السُلْطان من الأحوال إلا بما دَنا منه ، وصاحبُ هذا العمل يحتاج إلى حظّ وافرٍ من كتابة التّرسيل لأنه يكاتبُ السلطانَ في المُهِمّات والأسرار التي لا يطّلعُ عليها غيرُه . وينبغي أن يكون قادراً على مخاطبتِه من الكلام البليغ الجامع للمعاني بما تقتضيه رتبته ، متمكّناً من التصرّف في الصناعة ، ليتأدب في مكاتبته لَه ، ويتجنّب مقابلته بما لا يجوز أن يقابَلَ به ، وأن يستقل من الحساب بما يقدره على ضبْط ما يجري على يده من أرزاق المستخدمين في البُرُد [1] وغيرهم ، وأن يتخلّق بالشفقة والنصيحة والأمانة واتباع الحق والفحص عن المستور من الأخبار وإيثار ما يعود بصلاح السّلطان والرعية ، وأن يستوي عنده الوليّ والعدو في الحق ، فلا يقبّح ما يُكاتب به في العدو ، ولا يحسّنه في الصديق ، ولا يُهادي أحداً من العمّال في عمله ، ولا يداعبُهم ، ولا يقبل هداياهم ، ولا يحضُر

= على عهد عبد الملك ، واتسعت شبكته على يد الوليد . وصاحب البريد كان يشغل إحدى الوظائف الكبرى في الدولة الإسلامية ، يبعثه الخليفة أو السلطان إلى أنحاء المملكة للتقصي فإذا آب دخل على الخليفة من فوره ينقل إليه الأخبار أو يقدم إليه الكتب والرسائل .

(انظر القاموس الإسلامي ١ : ٣٠٩) .

(١) في الأصل « البرْد » .

دعوتهم[1] ولا يأنس بهم، ولا يكتم شيئاً[2] من أمورهم. ويحضر مجالسَ الولاة، ويطالعُ ما يحتاجُ إلى عمله مما يجري في كلٍّ منها .

١١ ـ القصّ :

كاتبُ القصّ يجب أن يكون بليغاً ماهراً في صناعة التّرسيل ، قادراً على جَمْع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة ، وكاتب[3] المصْريين يسمُّونه المخرِّج ، وخدْمته في مجلس الوزارة ، وموضوعُه أن يخرِّج من الكتب الواصلة إلى السلطان من عمّالِه جوامعَها ويُوردُها بقول وجيزٍ في سَرَاح[4] ليخرجَ أمرُه في معنى كل كتاب بما يراه ، إذ لا يتّسع زمانَه لقراءةِ[5] فصوص الكتُب الواردة عليه . وينبغي أن يكونَ هذا الكاتب كتوماً للأسرار، خازناً للسانِه ، حافظاً لما يمرّ عليه .

١٢ ـ المظالم :

معاملة متولّي هذا الديوان جارية مع أهْلِ الخراج ومن تجري مجراهم ممّن يتظلّم من عمّال السلطانِ الذين لا يمكن الحكام إحضّارهم ، ولا بتّ الحِكم بينهم وبين من يدّعي عليهم ، لأن جلّ دعاوى هؤلاء في أشياء[6] من

(١) في الأصل « دعواهم » .
(٢) في الأصل « شيا » .
(٣) في الأصل « وكتاب » .
(٤) أي : في سهولة .
(٥) رسمت في الأصل هكذا « لقراأه » .
(٦) رسمت في الأصل هكذا « اشيأ » .

أمور الزراعات وحقوق [1] الأرضينَ والسّواقي والضّياع التي لا تقوم البيّنات عليها بالشهود المعدّلين ، ويمكن أن يُستدلّ على الحقّ فيها بشواهد وعلامات[2] يُرجع إلى مثلها ، ويقع التّراضي بشهادة من يشهد عليها من المجاورين والمستورين ، ولذلك حيز هذا الديوان عن الحكّام . وينبغي أن يُردّ النّظر فيه إلى رجل ذي أمانةٍ وعدلٍ ورحمة ليعملَ بالحقّ ويَرْؤُفَ بالضّعيف . وأولُ ما يجبُ عليه أن يَطلب البيّنةَ من المترافعين إليه كما يطلبها الحكّام ، فإن قامت له بينةٌ مرضيةٌ استغنى عن الاستدلال بالشّواهد والعمل على الشائع الذائع [3] ، فإذا اختلفت عليه الأمورُ فليدْع إلى الصّلح ولا يَدخل فيما يتقلّد منه إثماً . وينبغي أن يتأدّبَ بكثير من آداب [4] الحكم التي يشتمل عليها رسْم تقليدِ القضاءِ الذي يأتي في موضعه من هذا الكتاب .

١٣ ــ كتابَةُ القَضَاءِ :

هذه الكتابةُ كان حكماءُ الفرسِ يسمّونها كتابةَ العدْلِ . وهي تلي منزلةَ الحكم في الشرفِ والفضيلة ، لأن كاتبَ الحاكم يدُه ولسانُه الذي يخاطبُ به نوابَه وخلفاءَه [5] ، ويمثل لكلٍّ منهم ما تجري الأحكام عليه في عمله . والمرشّح لهذه الكتابة لا يَغْنَى عن التمهّرِ في البلاغة وتأليف الكلامِ

---

(١) في الأصل « حدود » وقد كتب في الهامش الأيمن « حقوق » وفوقها « صح » .
(٢) التاء من هذه الكلمة وضعت في الهامش .
(٣) في الأصل « الشايع الذايع » .
(٤) رسمت : « الاداب » .
(٥) رسمت في الأصل هكذا « خلفاه » .

والقيام بعلمٍ موفورٍ من علم الفقه والأحكام الشرعية ، لاسيّما ما دخل منها في الدّعاوى ، والبيّنات ، والإقرار ، والشهادات ، والمصالحات ، والشروط ، والوثائق ، والسجلاّت ، وما أشبهها . وينبغي أن يكون ديّناً ، حليماً ، وقوراً ، أميناً ، عفيف النفس والجوارح ، موسوماً بجميل السّيرة وحسن السريرة .

١٤ ـ كتابةُ الأمراء والقــواد :

كتّابُ الأمراء والقواد يحلّون منهم محلّ الوزراء من الملوك والخلفاء . وينبغي لهم أن يتصرّفوا في جميع فنون الكتابة ، لأنهم الذين يكاتبون الناس عن أصحابهم ، فلا يَغْنَوْن عن حظٍّ متوفرٍ من التّرسيل ، والذين ينظرون في أموالهم ، فلا مَنْدوحة لهم عن المعرفة باستخراج المال وأسبابِ العمارة والمهارة في كتابة التفصيل ، والذين يستوفون حقوقَهم من ديوان الجيوش ويعرضون رجالهم ودوابّهم ، ولا غنى لهم عن العلم بأمور الجيشِ ورسومه وكذلك سائر ما يدخل في أعمالهم . وينبغي أن يكون فيهم مع ذلك لطفٌ ، وحسنُ مداراةٍ وعشْرة،ووفاءٍ وأمانةٍ ، وحسْن مناب وسفارة عن أصحابِهم عندَ الرؤساء .

١٥ ـ كتابةُ المعَاونِ والاحداث :

كاتبُ المعاون يحتاج مع شَدْو ما لا غَناءِ به من أدوات الكتابة التي يدعى مع شدْوها إلى المعرفة بالأحكام الشرعية في الحدود التي أمرَ الله تعالى بها[(١)] على

(١) « تعالى بها » كتب مائلة أسفل الصفحة اليمنى وفي أقصى اليسار مردفة ب (صح) .

مَنْ تعدَّى إلى محارمِه ، من القَوَدِ والقِصاص والقتل والدّيات والأرش والضّرب والصّلح وغير ذلك مما يجاريه ، ليمضي الحكم فيه على ما يسْلم معه من ديْنِه ودين مَن استكتبه .

فهذه مراتبُ الكتابةِ التي تنقسمُ إليها الصناعة ، وما يلْزم المرتّبين فيها أن يقوموا به من العلوم [1] والآدابِ والأخلاق .

---

(١) رأيت أن أذكر هنا ما حكاه عمرو بن مسعدة وزير المعتصم ، وأورده صاحب صبح الأعشى ١ : ١٤٢ – ١٤٥ وذلك لطرافته وتأييده ما سبق أن ذكر ، فقد حكى أن المعتصم طلب إليه أن يخرج إلى عمر بن الفرج والي الأهواز لأمر . يقول « ولم أجد بداً من الخروج رضا للخليفة . وأتى إلي بزورق ففرش لي فيه ، ومضيت حتى إذا صرت بين دير هرقل ودير العاقول إذا شاب على الشط يقول : يا ملاح ! رجل غريب يريد دير العاقول فاحملني بأجرك الله ! فقلت : يا غلام ، قرب له – فقال : جعلت فداك . يؤذيك ويضيق عليك – فقلت له لا أم لك ! فقرب له وحمله على مؤخر الزورق . وحضر الطعام ، فهممت أن لا أدعوه إلى طعامي ، ثم قلت : هلم يا فتى ، فوثب وجلس ، فأكل أكل جائع نهم إلا أنه نظيف الأكل ، فلما فرغ من الطعام أحببت أن يفعل ما يفعل العوام فيتنحى ويغسل يديه ناحية فلم يفعل ، فغمزه الغلمان ليقوم فلم يفعل ، فتناومت عمداً لينهض فلم يفعل ، فاستويت جالساً وقلت يا فتى ما صناعتك ؟ فقال جعلت فداك ! أنا حائك . فقلت في نفسي : أنا والله جلبت هذه البلية ، وتغير لوني ، ففطن أني استثقلته ، فقال : جعلت فداك ! إنك قد سألتني عن صناعتي فأجبتك ، فأنت ما صناعتك ؟ فقلت : هذه والله أضر من الأولى ، ألا ينظر إلى غلماني ونعمتي فيعلم أن مثل هذا لا يسئل عن الحرفة ؟ ولم أجد بداً من الجواب ، فلم أذهب إلى المرتبة العظمى من الوزارة لكني قربت عليه ، فقلت : أنا كاتب . فقال : جعلت فداك ، الكتاب خمسة فأيهم أنت ؟ فأورد على ما لم أسمع به من قبل – فقلت : بيّنهم لي – قال : نعم ، هم كاتب رسائل يحتاج إلى أن يعرف المفصول والموصول ، والمقصور والممدود ، والابتداء والجواب ، حاذقاً بالعقود والفنوح – قلت : أجل ، وماذا ؟ قال : كاتب خراج يحتاج أن يعرف السطوح والمساحة والتقسيط ، خبيراً بالحساب والمقاسمات . قلت : وماذا ؟ قال : كاتب قاض يحتاج أن يعرف الحلال والحرام ، =

القول على هذه الصناعة في أي مذهب من المذاهب :

قد قلنا فيما سلف أن حكماء اليونانيين كانوا يسمون صناعة الكتابة

والتأويل والتنزيل ، والمتشابه والحدود القائمة والفرائض والاختلاف في الأموال والفروج ، حافظا للأحكام ، حاذقاً بالشروط ـ قلت : وماذا ؟ قال : وكاتب جند يحتاج أن يعرف الحلى والشيات ـ قلت : وماذا ؟ قال : وكاتب شرطة يحتاج أن يعرف القصاص والجراحات ، وموضع الحدود ، ومواقع العفو في الجنايات ـ قلت : حسن . قال : فأيهم انت ؟ فكنت متكئا فاستويت جالساً متعجباً من قوله ، فقلت : أنا كاتب رسائل ـ قال : فإن أخاً من أخوانك واجب الحق عليك معنياً بأمورك لا يغفل عنها عن صغير ولا كبير يكاتبك في كل محبوب ومكروه وأنت له على مثل ذلك تزوجت أمه كيف تكتب إليه ؟ أتهنيه أم تعزيه ـ قلت أهنيه . قال فهنه . فلم يتجه لي شيء ـ فقلت : لاأعزيه ولاأهنيه ، فقال : إنك لاتغفل له عن شيء ولاتجد بدأ من أن تكتب إليه ـ فقلت: أقلني فأنا كاتب خراج ـ قال : فإن امير المؤمنين وجه بك إلى ناحية من عمله ، وأمرك بالعدل والانصاف وانك لا تدع شيئاً من حق السلطان يذهب ضياعاً ، وحذرك الظلم والجور ، فخرجت حتى قدمت الناحية فوقفوك على قراح أرض خطه قابل قسيا كيف تمسحه ـ قلت : آخذ وسطه وآخذ طوله فأضربه فيه ـ قال : تختلف عليك المطروف ـ قلت آخذ طوله وعرضه من ثلاثة مواضع ـ قال : إن طرفيه محدودان وفي تحديده تقويس وذلك يختلف فأعياني ذلك ـ فقلت : أقلني فأنا كاتب قاضي ـ قال : فإن رجلا هلك وخلف زوجة حرة وسرية حاملتين فوضعتا في ليلة واحدة وضعت الحرة جارية ، ووضعت السرية غلاماً ، فوضعت الجارية في مهد السرية ، فلما أصبحت السرية قالت الغلام لي ، وقالت الحرة بل هو لي ، كيف تحكم بينهما ؟ قلت : لا أدري فأقلني ، فأنا كاتب جند ، قال : فإن رجلين من أصحاب السلطان أتياك اسمهما واحد ، وأحدهما مشقوق الشفة العليا والآخر مشقوق الشفة السفلى ، ورزق أحدهما مائة والآخر الف ، كيف تحيلهما ؟ قلت : فلان الأعلم وفلان الأعلم قال : إذن يجيء هذا ورزقه مائة فليأخذ الالف ، ويجيء هذا ورزقه ألف فيأخذ المائة ـ قلت أقلني : فأنا كاتب شرطة ـ قال : فإن رجلين تواثبا فشج أحدهما صاحبه موضحه ، وشجه الآخر مأمومة كيف يكون الحكم فيهما ؟ ـ قلت : لا أدري فأقلني ، قال فقلت : إنك قد سألتني فبيّن لي ـ قال نعم . أما الذي تزوجت أمه فتكتب إليه : أما بعد ، فإن الأمور تجري على غير محاب المخلوقين والله يختار لعباده ، فخار الله لك في قبضها إليه فإن القبور =

العلمَ المحيط . وهذا اسم واقع ، لافتقار جميع الأشياء وحاجتها إلى الاستعانة بها في تكميل معانيها . وهي لذلك حقيقة بأن تكون العلوم والصنائع في حيِّزها أو في حيِّز شيء منها ، وأن يكون لها رتبة السّلطنة والمملكة عليها ويؤكّد ذلك أن هذه الصناعةَ تستعمِلُ جميع العلوم والصنائع الخاصة على وجهين : (أحدهما) أنها تستخدم[1] بعضَها لما لها من الشركة ، (والآخر) أنها تستعملُ بعضاً على طريق الأدب والتحلية من غير مشاركة [2] نحو علم البلاغةِ ، واللّغةِ والنحْوِ ، والحساب ، والمساحة ، والهندسةِ ، والمنطق . والتي تستعملها على طريق الأدب والتحلية هي ما لا تفتقر[3] في تمامها إليه ، نحو صناعة الطبِّ ، والنجوم ، والموسيقا ، فإن هذه الصنائعَ وإن كانت غيْرَ متعلقة بالكتابة ولا مشاركةٍ لها ، فإن الكاتب لا يَغْنَى عن التأدب بمعرفة جُملها وجوامِعها ، إذ لا يخلو أن يؤمرَ بالكتابة فيها بما يفتح به جهلَه وأن يُحاضر في مجلس

= اكرم الاكفاء ، والسلام . وأما الفراح من الارض ، فإنك تمسح اعوجاجه حتى تعلم كم قبضة تكون فيه ، فإذا استوى في يدك عقد تعرفه ضربت طرفه في وسطه . وأما الحرة والسرية فيوزن لبنهما فأيهما كان لبنها أخف فالبنت لها . وأما المشقوق الشفة العليا فأعلم والمشقوق الشفة السفلى فأفلح . وأما المأمومة ففيها ثلث الدية وهي ثلاث وثلاثون من الإبل وثلث ، وأما الموضحة ففيها خمس من الابل . فقلت : ألست تزعم أنك حائك ؟ فقال : أنا حائك كلام لا حائك نساجة . قال عمرو بن مسعدة : فأحسنت جائزته واستصحبته معي حتى عدت إلى المعتصم ، فسألني عما لقيت في طريقي ، فقصصت عليه القصة فأعجب به وقال : لم يصلح ؟ فقلت للعمائر : فقرره فيها وعلت رتبته ، فكنت ألقاه في الموكب النبيل فينزجل لي فأنهاه ، فيقول : هذه نعمتك وانه أفدتنيا » . ويعقب القلقشندي بقوله : فقد تبين بهذه الحكاية أن لكل نوع من الكتابة مادة يُحتاج إليها بمفردها ، وآلة تخصها لا يُستغنى عنها .

(١) في الأصل « يستخدم » . (٢) بياض في الأصل مقدار كلمتين .

(٣) في الأصل « يفتقر » .

سلطانه من علمائها من يضطر إلى مفاوضته فيها [1] جميع العلوم والصناعات كالأجزاء والأعضاء لهذه الصناعة ، وهي تحلّ فيها محلّ كلٍّ من بعض ، وأصلٍ من فرع ، إلا وأنها وإن كانت كما ذكرنا فإنا إذا عدْنا إلى قسمة الصنائع وجدْناها تنقسم إلى ثلاثةِ أقسام : إما عملية كالنجارة،أو علمية كالهندسةِ ، أو علمية وعملية كالموسيقى ، ووجَدنا صناعةَ الكتابة من الصناعات العلمية العملية لأنها تفْتقر في كمالها إلى معرفة العلومِ التي عددناها وإلى رسْمِ الرسوم الخطية للإبانة عن المعاني وعقد الحسابِ الذي تُبرزُه الأوهام باليديْن ، فهي على الجملة حائزة للصنائع ذوات الأخبار ومحيطة بها فليست في حيز شيء منها ، وعلى التقسيم الصناعيّ من حيّز الصنائع العلمية العملية .

القول على الرسم :

الرسمُ منبئٌ[2] عن غرض الشيء للمرسوم مثل الرسوم الواقعة على الصنائع وغيرها ، فإننا إذا قلنا صناعة الكتابةِ وصناعة التجارة وصناعة الصياغة عُرِفت من هذه الرسوم أغراض تلك الصناعة. ورسمُنا [3] كتابنا هذا بموادٍّ البيان دالّ على إحاطته بالأشياء التي تمدّ صناعةَ البيان . وعلى هذا يجب أن يجري الأمر في سائر ما يرسم ، أعني [4] أن يكونَ الرسم دالاً على غرضه .

---

(1) بياض بالأصل مقدار كلمة .
(2) في الأصل : مبنيّ .
(3) في لأصل : ورسمْنَا .
(4) في الأصل : اغنى .

القول على علّة وضع الكتاب :

المعرفة بعلة وضع الكتاب يدلّ على السبب الذي من أجله وُضِع الكتاب . وعله وضعِنا لكتابنا هذا رغبتُنا أن نصنّف كتاباً جامعاً لما تنظمه صناعةِ الكتابة من العلوم والآدابِ الخاصة بها ، ليجدَ من يعنى بهذه الصناعة جميع ما يرومهُ من أصولها وفروعها التي فرقها المصنفون في الكتُبِ مودعةً فيه ، ويعرف به الطالب جلالة خطرِها وارتفاع قدرِها من بين الصنائع ، ويصرف همته إليها ليتميز من انتمى إليها بالاسم دونَ الرسمِ وبالزيّ دون المعنى .

وإذ قد أتينا بما فيه كفاية ، فإنا نقفُ عند هذا الحد من هذا الباب ، ونأخذ فيما يليه إن شاء الله تعالى .

الباب الثاني

في البلاغة وأقسامهـا

البلاغةُ هي العبارةُ عن الصُوَرِ القائمةِ في النفس بمعان جامعةٍ لتلك الصُّوَر محيطة بها ، وألفاظٍ مطابقة لتلك المعاني مُساوية لها . ولصعوبة المرام في تركيب الكلام من ألفاظ ومعانٍ مشتملة على الصفة التي وصفناها قلَّ البلغاءُ وصارت البلاغةُ صناعةً تخصّ قوماً دونَ قوم . ولو كانت البلاغة إنّما هي العبارة عن هذه الصُّور بما يحضُر كلّ معبّر لتَساوى الناسُ في حيازة فضيلتها ولم يكن لأحدهم مزية على الآخر فيها ، لكن أكثرهم يعدلُ عن طريقها من وجهين : (أحدهما) أن يأتي بألفاظ عاميةٍ متبذّلةٍ [1] سخيفة النسج لا تدلُّ على المعاني في أول وَهْلة ، و (الآخر) [2] أن تكونَ الألفاظ مكررة بأعيانها أو مترادفة ينوبُ بعضها عن بعضٍ في الدلالة على المعنى المدلول عليه ويؤخذ

---

(١) في الأصل « مبتدّلهٍ » .

(٢) في الأصل « والاخرى » .

الطريق إلى الإبانة عنه بجزء منها، على أن استعمال الألفاظ المترادفة أيسرُ قُبْحاً من استعمال الألفاظِ المكرّرة لما تفيده المترادفة من توكيدِ المعنى . وفي التنزيل العزيز «ومن الجبالِ جُدَدٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سود»[1] والغربيب هو الأسود ؛ قال ذو الرمة[2] :

لَمْيَاءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ   وفي اللِّثاةِ وفي أنيابِها شَنَبُ[3]

واللعَسُ حوّة ، فرادفَه لمّا اختلفَ اللفظان ، ويجوز أن يكون لمّا ذكر الحوةَ خشي أن يتوهّم السامعُ سواداً قبيحاً فبينّ أنه لَعَس ، واللعسُ حسنٌ في الشفاه ، وأمثال هذا كثير . وإنما يجب تجنّب الألفاظ المترادفة في المواضع التي تقتضي الإيجاز والاختصار ، ولا يحسن فيها الإطالةُ والإكثار ، كمخاطبة الأعيان من الرؤساء الذين لا يجوز أن تُشْغَل أسماعُهُم بما يقطعُهم عن أمورهم المهمة ولا أن ينفدَ زمانُهم فيما هِمَمُهم مصروفةٌ إلى مطالعة غيره ، وهذه الطبقة من الناس لا يجوز الإقدام عليهم بمخاطبةٍ ولا مكاتبة إلا بعد المعرفةِ

---

(١) سورة فاطر . الآية ٢٧ .

(٢) غيلان بن عقبة ، شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره (٢٧ـ١١٧ هـ/ ٦٩٦ـ٧٣٥) له ديوان مطبوع ـ انظر ترجمته في : دائرة المعارف الإسلامية ٩ : ٣٩٢ ـ ٢٩٤ والأغاني (بيروت) ١٧ : ٣٠٦ ـ ٣٤٦ والشعر والشعراء (ت: شاكر) ٥٢٤ ـ ٥٣٦ ووفيات الأعيان (ت: محي الدين) ٣ : ١٨٤ ـ ١٨٩ وخزانة البغدادي (بولاق) ١ : ٥١ ـ ٥٣ والموشح ١٧٠ ـ ١٨٥ . وقد علق المحقق بقوله « كذا في الأصل ، وقد وردت هذه القصة في البيان والتبيين ١ : ٥٤ جـ ١ الفتوح الأدبية » .

(٣) ديوانه ص ٥ وجمهرة أشعار العرب (ت: البجاوي) ٩٢٦ وفيهما « اللثات » موضع « اللماة » .

برُتب الألفاظِ والمعاني ليخُصّها منها بما تقتضيه منزلتُها ، ومخاطبة أهل الذكاء ـ والفطنة الذين يستدلّون بصدورِ الأمورِ على أعجازها ، ويتطرّق فِكرُهم من أوائلها إلى أواخرِها ، ويكون الإيجاز عِنْدهم أوقع من الإطناب والاختصار أنجع من الإسهاب . فأما مواقفُ الخطباء بينَ العامة ، وفي الأنديةِ الحافلةِ ، والعهود السلطانيّة ، والمكاتبات في الفتوحاتِ ، والمخاطبات المبنيّةِ [1] على إيصال المعاني إلى من لا يتصوّرُها بأدنى اشارة ، وما جرى هذا المجرى ـ فإن الإطالةَ فيها وترديد الألفاظ المترادفة داخلٌ في عقدِ البلاغةِ وغير خارج عنه .

فأما البلاغةُ عند العرب فهي الإشارةُ إلى المعنى بلمحةٍ تدلّ عليهِ لأنهم يستحبُّون أن تكون الألفاظُ أقلّ من المعاني في المقدار والكثْرة ، قال بعضهم يصفُ كلاماً : كأنَّ ألفاظَه قوالب لمعانيه ، يريد أنها مُطابقةٌ لها غير زائدة عليها ولا ناقصةٍ عنها. وهذا هو الطريقُ القاصدُ إلى البلاغة ، وعليه يجب أن يُعتَمَد إلا في الأماكن التي يحسن بها الأطناب . وحكى عن جعفر بن يحيى البَرْمكيّ [2] ، وكان من بلغاء عصرِه ، أنه قال : إذا كان الإيجاز كافياً كان الإطناب عياً ، وإذا كان التطويلُ واجباً كان التقصير عجْزاً . وعلى هذا الترتيب تنقسمُ البلاغةُ إلى ثلاثة أقسام : إشارةٌ دالة ، ومساواة لفظٍ لمعنى ، وإسهاب يقتضيه الحال . وبين البلاغة والإبانة فرق ذكَرَه أفلاطون ، وهو أن الإبانة وصفُ الشيء بأخْصَرِ الألفاظ وأوجزها وترتيبها في القول على مراتبها فيه واعتماد المتكلم أن يكون كلامُه كالقالب لمعناه ، والبلاغة وصفُ الشيء

---

(١) في الأصل المبيّنة .

(٢) وزير الرشيد العباسي . وحين نقم الرشيد على البرامكة نقمته المشهورة قتله في مقدمتهم ، ثم أحرق جثته بعد سنة (انظر مقتله في تاريخ الطبري حوادث ١٨٧) .

بالغايةِ مما يليق به وتوخّي أحسن ما في اللغة من اللّفظِ وأقربه الى أفهامِ المستمعين .

وفضيلة البلاغة إنما يحوزُها ويفوز بها من بَعُدَ خاطره في تأليف الكلام مخاطباً ومكاتباً،لأن لكلٍ من المخاطبة والمكاتبة موضعاً تكون الحاجة فيه إلى البلاغة بوزن الحاجة اليها في الآخر ، فأما من استقلّ بإحدى الحالين وعجز عن الأخرى فهابطٌ عن الدرجة العاليةِ التي تُوجبُ حيازةَ الفضيلة .

وقد حُدّت البلاغةُ بحدود ورسمت برسُوم رأينا أن نوردَ بعضها على سبيل التحليةِ والترصيع ، فمنها قولهم :

البلاغةُ إيصال المعنى إلى النفس في أحسن صورةٍ من اللفظ .

والبلاغةُ حُسْن اللفظ مع صحة المعنى .

والبلاغة حسنُ العبارة مع صحة الدلالة .

والبلاغة أن يبلغ السامع أقصى نهايةِ المعنى بالإبانه له والإفصاح عنه .

والبلاغة الإيجازُ مع الإفهام والتصرف من غير إضْجار .

والبلاغة القوةُ على البيان مع التصرُّف والقران – والقرانُ المشاكلة .

والبلاغة القوة على البيان مع حُسْن النظام .

والبلاغة إدراك المطالب وإقناع السّامع .

وقال اليوناني : البلاغة تصحيحُ الأقسامِ واختيار الكلام [1] .

---

(١) ورد في البيان والتبيين (ت : هارون) ١ : ٨٨ .

وقال الرُّومي : البلاغة حسنُ الاقتضاب عند البداهة والغزارةُ يوم الإطالة [1] .

وقال الهنديُّ : البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفُرصةِ وحسن الإشارة[2] .

وقال الفارسيُّ : أن يقرب الوصلُ من الفصْلِ .

وقال العربيُّ : البلاغةُ أن يكون اللفظ محيطاً بمعناك مجلِّياً عن مغزاك [3] .

وقال معاويةُ لصُحار [4] العبديّ [5] : ما هذه البلاغةُ التي فيكم ؟ قال : شيءٌ تجيش به صدورنا ثم تقذِفُه ألسنتنا [6] . وقال الأصمعيُّ : البليغ مَنْ طبّق المفصَّل وأغْناك عن المُفسَّر . وقال الريْحانيُّ : القول بالإيجاز أنجع من البيان بالإطناب . وقال أرسطاطاليس : الزيادةُ في المنطق بعض منه . وقال خالد بن صفوان [7] : أحسنُ الكلام ما قلّت ألفاظُهُ وكثُرتْ معانيه . وقيل :

---

(١) المرجع السابق : ٨٨ .

(٢) المرجع السابق : ٨٨ .

(٣) في الأصل « معراك » .

(٤) في الأصل « صحّار » .

(٥) هو صحار بن عَيّاش العبدي ، من بني عبد القيس ، خطيب مفوه ، وعلامة نسابه ، كان من شيعة عثمان . توفى نحو سنة ٤٠ (انظر الاصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١) وله كتاب « الأمثال » (انظر ص ١٦٨ مصادر الشعر الجاهلي) .

(٦) البيان والتبيين ١ : ٨٨ وفيه « فتقذفه » موضع « ثم تقذفه » . وفي نهاية الارب ٧ : ٨ « سأل معاوية صحار العبدي : ما هذه البلاغة ؟ قال : أن تجيب فلا تبطىء ، وتصيب فلا تخطىء » وقد علق المحقق بقوله « كذا في الأصل ، وقد وردت هذه القصة في البيان والتبيين ١ : ٥٤ جـ ١ الفتوح الأدبية » .

(٧) من فصحاء العرب المشهورين ، كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك (انظره في أمالي المرتضى ٤ : ١٧٢) .

خيرُ الكلام ما شوّق أوّلهُ إلى استماع آخرِه . وكلّم رجلٌ سقراط بكلامٍ طويلٍ ، فقال : أنْساني أول كلامِك بُعدُ العهْدِ به وفارق وهمي . وقيل : قليل يُشْتَهَى خير من كثيرٍ يُجتَوى . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « رحم الله عبْداً أوجز في كلامِه واقتصر على حاجته » وقيل : لا يستحقّ كلامٌ اسم البلاغة حتّى يسبق لفظه معناه ومعناه لفظه ، فلا يكون لفظُه أسبقَ إلى سمعك من معناه إلى قلبك . [1] .

ولما كانت البلاغةُ ، كما قلنا فيما سَلفَ ، إنّما هي العبارة المركبّة من الألفاظ والمعاني وجب أن نتكلّم على الألفاظ البسيطة الجارية مجرى الموضوع لها بمفردها ، وما يلزمُ من تصحيحها على شرائط اللغةِ وينبغي مِنْ تخيّر ما يقع منها في الصناعة ، وعلى المعاني الحالّة منها محلّ الصورة بمجرَّدِها ، ومنزلتها من الألفاظ ، وما يتعين من تهذيبها وتحريرها ، وعلى الجملة المركبة منهما التي هي ذات البلاغة ، وتعرّف الطريق الأقصد إلى تركيب اللفظ والمعنى التركيب الذي ينتظم في سلك البلاغة . ونحن قائلون في ذلك بحسب الاختصار إن شاء الله .

قول في الألفاظ البسيطة :

الكلام في الألفاظ البسيطةِ ينقسم إلى قسمين : أحدها[2] أحكامها واستعمالُها على أحكام اللغة ، والثاني تخيّر ما يقعُ منها في صناعة الكتابة .

(١) وانظر أيضاً حدوداً للبلاغة في العمدة (ت : محيي الدين) ١ : ٢٤٢ و ٢٤٥ ـ ٢٤٧ ونهاية الأرب ٧ : ٧ و ٨ ، وفقرا في وصفها في زهر الآداب (ت: محيي الدين) ١ : ١٥٨ و ١٥٩ وانظر كذلك في هذا المرجع البلاغة عند اهل الهند ، والبلاغة عند ابن المقفع ١ : ١٤٥ .

(٢) في الأصل « أحدها » .

فأما أحكامها واستعمالُها على أحكام اللغة فإنه ينقسم إلى قسمين : أحدهما يحلّ من الصناعة محلّ المادة ، والآخرُ يحلّ منها محل الأداة .

فأما الذي يحلّ منها محل المادّةِ فهو بسائط اللغة من الأسماء والأفعالِ والحروف . والكاتب يحتاج إلى التوسّعِ فيها ، والمعرفةِ بسهلِها ووعرِها ، وتناولها من العلماء بها والكتبِ الموضوعة فيها الصحيحة النَقل ، ليسلم من الزلل والتصحيف وتقليد العامة فيما وضعته غيْر موضعِه ، والمهارةِ في معرفة مشترَكِ الألفاظ ومتواطئِها ومشتقّـها ومتباينها (فأمّا المشتَركة : فهي التي تدلُّ على أسماء متباينةِ الذّوات ، كلفظة العينِ الدّالةِ على العين المبْصرة ، وعين الماء،وعين الذهب ، وغير ذلك[1]. وأما المتواطئة : فهي التي تدلُّ على أشياء متفقة الذوات كلفظة الحيوان الدّالة على الإنسان ، والفرس ، وكل حيّ[2] . وأما المُشتقة : فهي التي اشتقّتْ من معانيها ، كفصيحٍ من الفصاحة ، وعالمٍ من العلم ، وحكيمٍ من الحكمة ، ونحوها.وأمّا المتباينة : فهي التي يدلُّ كل منها على خلاف ما يدل عليه الأخرَ[3] . وأما المترادفة فهي التي يدلُّ كل واحدٍ منها على مثل ما يدلُّ عليه الآخرُ ، نحو قطرٍ وغيثٍ ومطرٍ[4] ، والعلـيم

---

(١) عرف العلوي الألفاظ المشتركة بقوله « وهي اللفظة الواحدة الدالة على أزيد من معنى واحد مختلفة في حقائقها على الظهور بوضع واحد » (الطراز ٢ : ١٥٥ و ١٥٦) .

(٢) عرف العلوي الالفاظ المتواطئة بقوله « وهي اللفظة الدالة على أفراد متعددة باعتبار أمر جامع لها » (انظر : الطراز ٢ : ١٥٣) .

(٣) عرف العلوي الالفاظ المتباينة بقوله « وهي الالفاظ المتعددة الدالة على المعاني المختلفة » وذكر أن مثالها : سماء ، وأرض ، وجسم ، وعرض ، فإنها ألفاظ مختلفة دالة على حقائق مختلفة (الطراز ٢ : ١٥٤) .

(٤) عرفها العلوي بقوله « هي الالفاظ المختلفة في أنفسها دون معانيها » ومثل لها بقولنا : =

بتصرّفها في وجوه الدلالات ليقتدرَ على استعمالها ويأمنَ من تداخُلها وتكريرها المهجّنيْن للمعاني ويجدَ السبيل إلى التصرّف في العبارة عن الصُّور القائمة في نفسه ، فإن التعبير عن المعاني من طريق البلاغة غير ممكن – وإنْ كانت المعاني عتيدةً في نفس المعبّر – إذا كانت الألفاظ نزرةً عنده ، وإنّما يقوى على إبانة المعاني متى توفر حظّه من الألفاظ واقْتدَر على التصرّف فيها ، لأنها حاملة المعاني ومرْكبُها .

وأمّا القسمُ الثاني الذي هو كالأداة ، فهو ما يتضمّنُه علم النحو من معرفة تصريفِ الأفعال واختلاف أبنيةِ المصادر ، ووجوه الإعراب ، والجمع والتوحيدِ ، والتأنيثِ والتذكير ، والمقصور والممدودِ ، والاشتقاق ، ومراتب الأفعال والنعوت . والكاتب محتاجٌ إلى النظر في هذه الأشياءِ كلّها لأسباب نحن ذاكروها .

فأما حاجتُه إلى علْم التصريف فلأنّه يقعُ من أقسام الكلام الذي هو كالمادة للصناعة في الأفعال ، والأفعال عليها مدار الكلام ، فلا غِنى[1] به عن العلْم بالجليل من تصرُّفها الواقع في الفعل الثلاثيِّ وما تشعّب منه دون الدقيق الذي يتكلفه النحويون . والذي يكفيه من ذلك أن يعلمَ أن الأفعالَ ثلاثة أصولٍ ، وهي الثلاثيةُ والرباعية والخماسيّة ، لا تنقص عن الثلاثي إلا بنقصانٍ يدخلُ على البناء ، ولا تزيدُ على الخُماسيِّ إلاّ بزيادة تدخلُ على البناء ، فإنّ ما يزيد على الثلاثيِّ حتى يصيرَ رباعياً أو خُماسياً يسمى الأفعال

= نظر ، وفكر ، وعلم ، ومعرفة ، وليث ، وأسد .. وكذا : سيف وصارم ، ومهند (الطراز ٢ : ١٥٥) .

(١) في الأصل « غنا » .

المتسعة ، والذي يدخُلُ منها في الكلام ثمانية أمثلة ، وهي التي مصادرها : الإفعال ، والانفعال ، والافتعال ، والمفاعلة ، والتفعيل ، والتفعّل ، والتفاعل ، والاستفعال ، ولكلٍّ واحدٍ من هذه الأفعال دلالةٌ تخصُّه ، وقد توجدُ للواحد منها دلالاتٌ عدةٌ وبها يتغيّر معاني الكلام . وكلُّ واحدٍ من هذه الأصول ينقسم من جهة مخارج الكلام إلى أربعة أقسام ، وهي الأفعال المضاعَفة والصَّحيحة المعتلّة والمهموزة . ولا بدّ لمن يروم تصحيحَ ألفاظ اللغة أن يعرف تصرفَها ، وطريق استعمالها في الماضي والحاضر والمستقبل والأمر والنهي ومخاطبة الشاهد والإخبار عن النفس والغائب ، واستعمال أحكام التوحيد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث ، وكيفية استعمال هذه الأمثلة في الفعل الذي لا يسمّى فاعلُه .

وأمّا الحاجةُ إلى علم المصادر فلأمريْن : أحدهما ــ ألاّ يجهل الصَّوابَ فيها فيضع في موضعه ما لا تجوّزه اللغةُ ، وذلك أن مصادر الفعل الثلاثي تكثر وتتغيّر ألفاظُها ودلالاتُها وليس حالها كحال مصادر الأفعال المشتقّة من الفعل الثلاثي التي لها أمثلةٌ محصورةٌ ، لكنها تقْبلُ الاختلافَ وتكثر جداً ولا تحصل إلاّ بالسماع والأخذ من الكتب الموضوعة فيها ، ومتى استُعمِل شيءٌ منها على سبيل القياس والحدس وقع الخَطَأ [1] فيه ، وأكثر ما يغمضُ الأمرُ في الأفعال التي تتفقُ أبنيتُها في الماضي والمستقبل ولا يفرق بيْن معانيها إلا بالمصادر المختلفة ، وذلك مثل قولهم (وجدَ يجدُ) فإنّ هذه اللفظةَ يشترك فيها عدةُ معان ولا تتميّز إلاّ بالمصادر ، فإنه يقال في ضدّ العدَم (وجَد

---

(1) في الأصل « الخَطَاءُ » .

يجِدُ وُجوداً) [1] وفي الظّفر بالضَّالة (وجَد يجدُ وِجْداناً) وفي الثّروة (وَجَدَ يَجِد وُجداناً وجِدَةً) وفي الحزن [2] (وَجِد يجِدُ وجْدا) وفي العنت (وجَد يجُدُ موْجِدةً) وأمثال هذا . ومن المصادر ما يزيد في رونق الكلام ويفخّمه ، ولا يُستغنَى عن معرفة ما يحلو في الذَّوق منها ، فليستْ وإن تساوتْ في الدلالة متساوية في العذوبة والفخامة ، ألا ترى إلى قوله تعالى « ومن يَعْمَلْ من الصَّالحات وهو مؤمنٌ فلا كُفْران لسعْيه » . ولذلك كانت العربُ تختار مصادرَ الكلام وتوقعها في المواقع اللائقة بها .

وأما حاجته إلى علم النحو فلأنه ثقافُ اللّسان وحليةُ الكلام وميزان الألفاظ التي لا تصحّ على أحكام اللغة العربية[3] إلاَّ به [4] .

وأما هذه اللغةُ فإنّها بما يلحقها من لواحق الإعراب تعطى دلالات زائدة في المعاني يتغيّر بها الكلام تغيُّراً ظاهراً ويستحيل لأجلها إلى وجوهٍ مختلفة . وصاحب هذه الصناعة جديرٌ أن يأخذ منه بالنصيب المتوفر الذي يصونُه عن هجنة اللحن من غير إغراق يقطعُه عن حيازة الأعود عليه من الأمور الخاّصة لصناعته .

---

(١) في اللسان : وجد مطلوبه والشيء يجده وجودا ، ويجده أيضاً – بالضم – لغة عامرية لا نظير لها في باب المثال : قال لبيد وهو عامري :

لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة ... تدع الصوادي لا يجدن غليلا

ومحقق الصحاح « أحمد عبد الغفور عطار » يذكر ، أن هذا البيت لجرير وليس للبيد كما في ديوانه ص ٤٥٣ .

(٢) في الأصل « في الحرب » .

(٣) في الأصل « الغريبة » وهو تصحيف .

(٤) فراغ مقداره نصف سطر .

وأمّا حاجته إلى معرفة علم التوحيد والجمْع فإنّ أمثلة الأسماء تختلف اختلافاً كثيراً حتى تشابه مصادرَ الأفعال الثلاثية في التشعّب ، وكلها مأخوذٌ من السماع دون القياس ، وقد يقعُ فيها نوادرُ لا نظائرَ لها ، نحو جمعهم « دخان » على « دواخن » و « ورَشان » و « كروان » على « ورشان » و « كروان » بكسر الفاء . ومتى لم يتمهر الكاتب في معرفة الجمع وعوّل على القياس أخطأ ولم يعْلم ، ودلّ ذلك على قُصوره في صناعته .

وأما حاجتُه إلى علْم المذكّر والمؤنث فلما يقعُ فيه من الافتنان أيضاً ، وذلك أن المؤنث على ضربين : ضرب فيه علامةٌ من علامات التأنيث الثلاث ، وهي الهاءُ والألفان الممدودة والمقصورة نحو طلحة وحمزة ولمياء وظمياء [1] ، وهذا لا خِلاف فيه ، وضرب لا علامةَ فيه وإنما يوجد من السّماع ، ويقع فيه أشياء كثيرة تحتمل التذكير والتأنيث كاسم السلطان واللسان [2] ، فإنّ من العرب من يذكّرهما ومنهم من يُؤنثهما ، ومتى لم يعرف الكاتب الحكْمَ في ذلك نقصَ من وضعه .

وأما حاجتُه إلى الممدود والمقصور فلاختلافهما في الدلالات على المعاني ، وذلك أنّ اللفظةَ الواحدة نفسها تدلّ على معنيْين متغايريْن إذا مدّت وقصرت ، كقولنا : « هوًى » بالقصر و « هواءٌ » بالمدّ [3] ، و « صَفًا » بالقصر و « صفاءٌ » بالمد ، و « سناً » بالقصر و « سناء » بالمدّ ، ولأنه يحتاج

(١) في الأصل « ظميا » .

(٢) والطريق ، والسبيل ، والموسى .

(٣) فمعناه بالقصر : هوى النفس . ومعناه بالمد : ما بين السماء والارض .

إذا أضاف الممدودَ أن يضيفه في موضع الرفع بزيادة واوٍ وفي موضع النصب بزيادة ألفٍ وفي موضع الخفض بزيادة ياءٍ ، ومتى أضاف المقصورَ لم يحتج الى إيقاع زيادةٍ فيه وإنّما تُبْدل الياء فيما يكتب بالياء ألفاً مقصورة ، فمتى لم يكن عارفاً بالمقصور والممدود جمع بيْن إحالة المعْنى وخطأ [1] الهجاء .

وأمّا حاجتُه إلى الاشتقاق فلأنّ الأسماء في كل لغةٍ تنقسم إلى قسميْن : موضوعٌ ،ومشتق من الموضوع الذي ليس وراءه اشتقاق وإنّما هو سِمة واقعة على ذاتٍ من الذّوات . وهذا تقسيم ضروري ، لأنّه لو أدّعى مدّعٍ أن الأسماءَ كلّها مُشتقةٌ لأوْجبَ ذلك أن تكون غيْرَ متناهيةٍ إلى مبادٍ اشْتُقّتْ منها ، وهذا محالٌ ، ولو ادّعى أن الأسماء كلّها موضوعةٌ لناقض ما يُوجبُه الامتحان ، لأن حكم الاشتقاق مطّردٌ في أكثرها نحو مركب ومجْلس ومحمل ومنزل مما ينطق بأنه مشتقٌ ، ولولا الاشتقاق لضاق المذهب في التّسمية ولم تكن سبيلٌ إلى التوسع في المنطِق . وقد كان الأمر في معرفة الاشتقاق في الأزمان السالفة مرجوعاً فيه إلى أهل صناعة الكتابة دون غيْرهم . والاشتقاق وإن كان موجوداً في كل لغةٍ فإنه في اللغة العربيةِ أكثرُ تطرقاً وتصرّفاً . فمتى لم يكن الكاتبُ عالماً بالاشتقاق ظنّ أن كلّ لفظة من الألفاظِ المشتقّةِ موضوعة ، واذا ظنّ ذلك لم يتمكّن من التصرّفِ في الكلام واستعمالِه في وجوه أغراضِه ، وإذا علم بالوجْهِ في الاشتقاق أمكنه أن يستعملَ الكلامَ في جميع المعاني التي لها شِركةٌ فيه ، ألا ترى أنه إذا علم لِمَ سُمّيَ الجنين الذي في الحشا جنيناً وأنّه لمعنى السّتر والتغطية أمكنه أن يتصرّف في هذه

---

(١) في الأصل « وخطاء » .

اللفظة بردّها إلى أصْلها فيقول : كان أمرُ كذا وكذا أمراً جنيناً حتى ظهرَ كذا وكذا ، وأمثال ذلك كثير .

وأمّا حاجته إلى العلم بمراتب الأفعالِ والنعوت فإن الألفاظ إنّما هي عبارة عن المعاني ، وإذا كانت كذلك فيجب أن يكونَ بازاء كل معنىً خاصٍ لفظٌ خاصٌ يدلّ عليه دلالةً خاصيّةً تعطيه حقّه من العبارة على التّمام ، وهذا عزيز في اللغات ولا تكاد لغة تستوفيه ، إلا أنّها وإن كانت كذلك فإنها تختلف فيه ، فمنها ما يوجد أحسن لتمييز مراتبِ النعوت والأفعال من غيرها وأتمّ عبارة ، وللّغة العربية من هذا الباب حظٌ متوفّرٌ تتميّز به عن كثير من اللغات لأن مراتبَ النعوتِ فيها متقسّمة ، وذلك مثل ما قسموا نعوتَ الحسن فقالوا : حسنٌ ، وجميلٌ ، وبهيٌّ ، ووسيمٌ ، وقسيم ، وغير هذا ، وكذلك فعلوا في ترتيب القبح والسخاء والبخل والشجاعةِ والجبن ، وعلى مثل هذا رتّبوا الأمثال فقالوا : سرّني الشيء ، وأفرحني ، وأبْهجني ، وأجذلني — وضدّه : غمّني الشيء ، وأوحشني ، وأترحني ، وأحزنني ، وأقلقني ، وأمرضني ، ومضّني ، ونحو هذا .

وقد عَنِي أربابُ الكلام وأهل النظر بترتيب الأوصاف ، لحاجتهم إلى المعرفة بما يجوز أن يطلق بها في الله تعالى وما لا يجوز ، وذلك أن الله تعالى لا يحسن أن يُوصَف إلاّ بالأفضل الأشرف ممّا يقع في كلٍّ باب من أبواب الثناء والتمجيد ، لقوله تعالى « ولله الأسماءُ الحسْنَى فادعوه بها [1] » ، ولهذا المعنى يُطلق فيه تعالى آسمُ الجوادِ ولا يطلق فيه اسم السخيّ ، لأن رتبةَ

---

(1) سورة الأعراف ، الآية ١٨٠ .

الجوادِ أعلى [1] من رتبة السخاء ، ويطلق فيه صفةُ الحليم ولا يطلق فيه صفةُ الصبور ، لأن رتبة الحلم أعلى من رتبة الصَّبر إذ في الصَّبر من المشقّة الواصلة إلى النفْسِ ما ليس في الحِلْم ، ويُوصَفُ بأنه مُصَوِّرٌ ولا يُوصَفُ بأنه مُشكِّلٌ لأنَّ مرتبةَ التصوير أعلى من مرتبة التشكيل ، ونحو هذا ممّا يَطول تعدادُه . وعوامُّ أهل اللغة لا يراعون مراتب النعوت والأفعال ، فلذلك لا تقع ألفاظُهم مطابقةً لمعانيهم مطابقةً تامةً . والكُتاب لا يحتملُ ذلك لهم ، لأنهم الذين يكتبون عن الملوك ، والملوك هم الذين يتكلّفون ترتيبَ الأمور العامة ووضع الصغير والكبير منها في رتبتِه ولا يرضَوْن أن يخرجَ ما يكتبُ عنهم عن الاعتدال والترتيب الفاضل ، وليسوا أضنَّ بشيء منهم بالكلام الذي يخاطبون به الخواصَّ والعوامَّ ، ألا ترى أنهم يصلونَ بالصِّلات العظيمة والأموال الجسيمة ولا يسمحون بزيادة الرُجل اللفظةَ الواحدةَ من الدعاء ، وإذا سمحوا بذلك كان موقعه في النّغم الموقعَ الذي لا يُكافأ[4] .

ومتى لم يعرف الكاتب مراتبَ النعوت والأفعال أزال مخاطبةَ السلطان عن جهاتها بالتقديم والتأخير والرفع والحطّ [و] هجن كتابه ووضَع منه ودلّ على تقصيره في كتابته . وليس سواءً أن نقولَ وقع هذا الأمرُ لمحنتي وأن تقول وقع لمسرّتي فإنَّ بينهما بوناً بعيداً ، ولا أن تقول أوحشني هذا الأمرُ

---

(١) ، (٢) ، (٣) كتبت في الأصل بالالف .

(٤) في الأصل : لا يكافى .

وأن تقول ساءني وغمّني . وليس يُحكَم هذا الأمر إلا بمعرفة خواصّ النعوت والأفعال وإيقاعها في مواقِعها .

فأمّا القسمُ الثاني الذي هو تخيّر ما يقع في الصناعة من الألفاظ فانّ الألفاظَ على ثلاثة أضربٍ :

ضربٌ متوعرٌ ، حوشي معتاصٌ [1] لا يُدرك ما يدلّ عليه حتى يعربَ ويفسّر ، مثل الذي يوجد في الأشعار الجاهليّةِ والخطب العربيّة ، ولوقوعه في هذين النوعيْن من الكلام احتاجا إلى ما ضيفَ فيهما من التفاسير .

وضرب فصيحٌ ، جزلٌ سهلٌ ، سافر المطالع ، عذبُ المشارع ، مطابقٌ للمعاني أصحّ مطابقة ، دالّ عليها أقرب دلالة ، وهو الذي تخيّره بلغاءُ الكتاب لرسائلهم واستعملوه في كتبهم ، إذ الغرض فيها تقريبُ المعاني التي تشتمل عليها من الأفهام وإيصالها إليها بسُرعة وسهولة من غير إبطاءٍ ولا عُسْر .

وضربٌ مبتذل سوقيٌّ ، ساقطٌ عاميٌّ ، وهو ما يقع في المخاطباتّ والمكاتبات الدائرة بين العوام الذين لا تنقاد طباعُهم إلى تأليف الكلام .

وينبغي لمن يؤثرُ التحققَ بهذه الصناعة أن يسلك في الألفاظ مذهبَ التوسط الذي سلكَه من تقدمه من أهل صناعتِه ، فإنّه هو الاعتدال ولا شيءَ أفضلَ

---

(١) في الأصل « معتاض » .

من الاعتدال في [1] الأمور التي يقع فيها تفاوت من جهتي الإفراط والتقصير ، وقد عُلِم أن المعتدلَ من كل شيءٍ هو الأفضل الأحسن ولا سيّما في الكلام . وقلّ من يوفّقه الله تعالى في أفعاله ومذاهبه ، لِمَا رُكّبتْ عليه الطبائع من الميل إلى الأطراف والخروج عن الاعتدال ، فمن نال مرتبةَ التوسّط فيما يقصده فقد أحرزَ الفضيلة في ذلك الأمر المقصود . ولحيازة الكتّاب هذه الفضيلة أجمع نَقَدَةُ الألفاظ والمميّزون لصُوَر التأليف على أنه لا يُوجَد لصنفٍ من أصناف المتعاطين لنظْم الكلام من البلغاء والخطباء والشعراء ما يناسبُ ألفاظَ الكتاب في العذوبة والرقّة والحلاوة والرشاقة ، وأن كلامَ المؤلفين ينحو نحْوَهم ويرومُ التشبّه بهم بإيقاع المناسبة بين ألفاظه وألفاظِهم ، علماً منه بأنهم قد قَصَدُوا في الألفاظ الطريقةَ المثلى ، فاستعملوا السّلسَ السّهلَ الفصيحَ الجزل ، واجتنبوا الطرفين فتركوا ما كان حوشيّاً وحشياً مبتذلاً عامياً ، وانحطّوا عن مرتبة الكلام الذي يستعملُه فُصَحاء أهل البدو ومتشدّقو [2] اللغويين ، وارتفعوا عن مرتبة العامّة الذين لا يتأتّون لنظْم الكلام وتأليف البيان وإنّما يعربون عن أغراضهم بما سَنَح لهم ممّا يعربُ عنها . ولا سبيل إلى نيْل هذه الرتبة في الكلام إلاّ باختيار الأخفّ منه على الطباع الأسْوغ في الأسماع ، والطريق إلى اختيار ما هذه صفته إنّما هو بتنخّل الأسماء وتصاريف الأفعال ومصادرها ، لأنّها متى اعتدلت مخارجُها

---

(١) وضعت « في » مكان الواو الموجودة في الأصل ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل « ومتشدقوا » .

وتبدّل اللسان بها ولطفت في ذوّاتيها وكثرت في استعمال الخاصّة حَسُن جرسُها في السّمع وخفّت على النفس ، ومتى كانت مُتنافرة المخارج ثقيلةً على اللسان مستكرهةً في ذاتها أو غريبةً في الاستعمال أبَتْها الطّباعُ ومجّتها الأسماعُ ونَبَتْ عن التأليف .

فأما تنخل الأسماء فإنّ الأسماء المترادفةَ على الذات الواحدة،منها ما هو أخفّ وأعذبُ ، ومنها ما هو أثقل وأبشع ، ومنها ما هو أعرفُ وأشهر ، ومنها [ما هو] أغرب وأغمض ، وعدول الكاتب عن الخفيف العذب والمعروف المشهور إلى الثقيل البشع والغريب الغامض غيرُ مناسبٍ لصناعته ، ألا ترى أن الماءَ العذْبَ يُسمّى في غريب اللغة نُقَاخاً ، والجاري منه يُسمّى فَلَجاً (1) ، والسّماء تسمّى الصكاكة (2) ، والشمسُ تسمّى براح ، والقمر أو غلافه يُسمّى الساهور (3) ، والظّل يسمى تُبّعاً (4) لأنّ الشمس تبيعة منتسخة ، والسرابُ يسمّى دسقاً ، والدهر يسمّى سنةً وسُنيَّة ، والريح يسمى حرجفاً (5) ، ولو استعمل كاتبٌ هذه الألفاظ في الترْسيل لعيبَ بها ،

---

(1) في اللسان (فلج) : والفَلَج ، بالتحريك : النهر ، وقيل : النهر الصغير ، وقيل : هو الماء الجاري قال عبيد : أو فلج ببطن واد للماء ، من تحته ، قسيب الجوهري : ولو روى في بطون واد ، لاستقام وزن البيت ، والجمع أفلاج .

(2) انظر (السكاك والسكاكة) في المخصص ٩ : ٨ وانظرهما وكذا (الصكاك) في معجم متن اللغة ، وقطر المحيط .

(3) في فقه اللغة للثعالبي (١ : ١١٨ الحلبي) « الساهور : غلاف القمر » .

(4) إذ هو يتبع الشمس حينما زالت .

(5) ذكر الثعالبي في فقه اللغة (١ : ٢٥٤ الحلبي) : إذا كانت باردة ، فهي : الحرجف ، ـ

لأنّ منها غريباً غير متعارف وثقيلاً في السّمع غيرَ مقبول ، وينبغي أن يقعَ الاختيار من الأسماء على الأخفّ الأوضح دون الثقيل الأغمض .

فأمّا تنخّل أمثلة التصاريف فإن منها الحماسية الثقيلة على الألسن البشعة في الإسماع؛ ومنها المضاعفة التي تتجاور[1] فيها حروف الحلق فلا تعذب ولا تحلو في النفس، نحو الأفعال التي مصادرها الاقعنساس والاشمئزاز والاهتِنْعَاع[2] والاسحنكال والاحرنجام والتسلسل والتطحطح[3] ، وما شابهها من الأمثلة الخشنة المُسْتوخمة؛ ومنها الأمثلة المهجورة وإن كانت خفيفة نحوَ العَطْوّ الذي هو التّناول ، فإنّ هذه اللّغةَ ثلاثية خفيفة لم يستعملوها إلا في التفاعل، فإنهم يقولون فلانٌ يتعاطى كذا وكذا فلا يستثقلون ذلك لاستفاضته ، فإذا رجعوا إلى الثلاثيِّ من هذه اللفظة فقالوا فلانٌ لا يزال يَعْطُو ثَقُل عندهم لقلّته في الاستعمال وإن كان أقدَم في التّرتيب ، لأن أفعل أقدم من تفاعل الذي هو مشتق منه ، ونحو لفظة « امتحُن » فإنها من المحنة ، وقولهم مُحُن يَمحن أقدم منها لأنه مثال ثلاثي،ألا ترى أنه لو قيل مُحُن فلانٌ بكذا فهو ممحونٌ به بدلاً من

= والصرصور ، والعَريّة (انظر في هذا المرجع تفصيل الرياح) .

(1) في الأصل : بتجاور (بدون نقط الحرف الاول) .

(2) الكلمة خلت من النقط ويحتمل أن تكون « الاهتنماع » وأن تكون « الاهبنقاع » . فإن كانت الأولى فقد ورد في اللسان (مادة ــ هقع) : « وحكى عن بعض الاعراب أنه يقال : اهتكعه عرقُ سوء واهتقعه واهتنعه واختضعه وارتكسه إذا تعقله وأقعده عن بلوغ الشرف والخير » . وإن كانت الثانية ففي اللسان (مادة ــ هبقع) « واهبنقع : جلس الهبنقعة ، وهي جلسة المزهو » .

(3) أفعال هذه المصادر على الترتيب : اقعنس : اشمئز ، اهتنمع (أو) اهبنقع ، اسحنكل ، أحرنجم ، تسلسل ، تطحطح .

إمتُحِن فهو ممتحن به لاستثقِل ، وكذلك ما يجري هذا المجرى إلا أن يقع في الشعر فإنه غيرُ مستثقلٍ ، فإنّ الشعر يحتمل من الألفاظ المهجورة ما لا تحتمله الرسائل .

وأمّا تنخل المصادر فإن منها الواضح الأقرب ، ومنها المشكل الأغرب مثل قولهم ذهبَ ذهاباً وذُهوباً ، وهما مصدران أصليان إلا أن الذّهابَ أقربُ وأوضح من الذهوب. وينبغي أن يكون المستعمل من المصادر ما شهر وظهر وكثر في الاستعمال دون ما غمض وبطن وقلّ استعماله. وقد يُستعمل مصدر التفْعال في مكان مصدر الفعل لاشتراكهما في المعنى ، مثل استعمال التضْراب في موضع الضرب ، والتّسيار في موضع السير، وهو مستثقلٌ لقلته ، ويُستعملَ بالجارية كالتحوال والتقّوال والترحال فلا يثقُل لكثرته ، فيجب أن يُرجَع في المصادر إلى المستعمل المشهور دون المُغْفَل المهجور . ونحن وإن كنا قد حَضَضْنا الكاتبَ على لزوم طريقة التوسّط في الألفاظ فلسْنا نقول إنه [يجب] [1] أنْ يلزمَ هذه الطريقة في جميع الأحوال التي يحتاج فيها إلى المكاتبات والمخاطبات ولا يتعداها إلى غيرها ، لكنا نقول(إنهُ يجب أن يتنقّل في استعمال الألفاظ على حَسَب ما تقتضيه رتب الخطاب والمخاطبين وتوجُبهُ الأحوال المتغايرة والأوقات المختلفة ليكون كلامه مشاكلاً لكلٍ منها ، فإنّ أحكامَ الكلام تتغير بحكم تغيّر الأزمنة والأمكنة ومنازلِ المخاطبين والمكاتبين)[2] من الرؤساء والعظماء والأكفاء والنُظراء والمرؤسين والأتباع ومراتب الأشياء التي تنفذ فيها الكتب ومواقعها من مهمّات السلطان ومواضعها من أعماله ،

(١) بياض بالأصل مقدار كلمة . والسياق يوحي بأنها « يجب » .

(٢) ما بين القوسين في صبح ٦ : ٢٩٧ .

ومتى لم يحْصل التشابه والتشاكل بين ألفاظ الكتاب وبين ما يقتضيه الحال المكتوب فيها والزمان والمكان والكاتب والمكتوب إليه عاد ذلك بالخلل على الصناعة والنقص على الكاتب والمكتوب عنه.(ولتحرّي الصّدر الأول من الكتاب إيقاع المناسبة بين كتبهم وبين الأشياء التي عددناها استعمل كتابُ الدولة الأموية من الألفاظ العربية الفحلة [1] ما لم يستعمل مثله كتاب الدولة العباسية ، وذلك لأن أولئك قصدوا ما شاكل زمانهم التي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها حتى عدّت في جملة الفضائل التي يثابرُ على اقتنائها ، والأمكنة التي نزلها ملوكُهم من بلاد العرب ، والرجال التي كانت الكتُب تصدر إليهم وهم أهل الفصاحة واللّسن والخطابة والشعر)[2] وهؤلاء استعملوا من التسهل والألفاظ البيّنة ما شاكل زمانهم ، والمواضع التي نزلها ملوكُهم ، والقوم الذين كانوا يكاتبونهم . فأمّا زمانُهم (فإنّ الهِمَمَ تقاصرتْ فيه عما كانت مقبلةً على تطلّبه ممّا تقدّمه من العلوم التي ذكرناها ، وشغلت بغيرها من علوم الدين . وأمّا المواضع التي نزل بها ملوكُهم فهي ديارُ العراق وما يجاورها من بلاد فارس ، وليس استفاضة لغة العرب فيها كاستفاضتها في أرض الحجاز والشام . وأما القوم الذين كانوا يُكاتبونهم فمن المعلوم أنهم لا يجارون تلك الطبقة في الفصاحة والمعرفة بدلالات الكلام . وكما انتقل الكتّاب المتأخرون عن ألفاظ المتقدمين إلى ما هو أعذب منها وأخفّ للعلل التي ذكرناها فكذلك انتقل الخطباء والشعراء التالون عن ألفاظ الخطباء والشعراء الأولين وتنكّبوا ما فيها من اللفظ المتين [3] الجزل إلى ما استعملوه من الرقيق السهل .

---

(١) زيد في صبح « والمتينة الجزلة » .

(٢) ورد في صبح بتصرف .

(٣) في الأصل (الميْن) .

فينبغي للكاتب أن يراعي هذه الأحوال ويوقع المشاكلة بين ما يكتبه وبينها ، وإذا احتاج إلى إصدار كتاب إلى ناحيةٍ من النواحي فلينظر في أحوال قاطنيها ، وإن كانوا من الأدباء والبلغاء العارفين بنظْم الكلام وتأليفه فليودع كتابه الألفاظَ الجزلةَ التي إذا حُلّيت بها المعاني زادتها فخامةً في القلوب وجلالةً في الصدور ، وإن كانوا ممّن لايفرق بين خاصٍّ الكلام وعامِّه فليضمّن كتابه الألفاظَ التي يتساوى سامعوها في إدراك معانيها ، فإنه متى عدل عن ذلك أضاع كلامه ولم يصل معنى ما كتب فيه إلى منْ كاتَبَه ، لأن الكلامَ البليغَ إنما هو موضوعٌ بإزاء إفهام البلغاء والفصحاء ، فأمّا العوامّ والحُشْوة [1] فإنما يصل إلى أفهامهم الكلام العاطل من حلى النظم،العاري من كُسى التأليف . ويجب للكاتب إذا كاتب مَن هذه صورته أن يستعملَ في مخاطبته أدنى منازل البلاغة وأقربها من أفهام العامة ، وكذلك إذا كانت أمّة من الأمم الأعجميّة فليعتمد تصوير المعاني التي يودعُها كتابه في صورٍ يتهيّأ نقلها إلى لغة المكاتبين على حقائقها ولا يعتاص على المترجملها)[2]فبهذا جرت عادةُ بلغاء الكتّاب . وأول مَن سَلَك هذه السبيل في كُتبه سيّدُنا محمد صلى الله عليه وصلم ، فإنّ مكاتباته التي نفذت إلى ملوك العجم كانت في نهاية البيان والوضوح وسهولة الألفاظ وقربها على الناقل لها ، فأما مكاتباته التي صدرت إلى رؤساء العرب فإنها بخلاف هذه الصفة ، وذلك أنها مشتملةٌ من غريب الألفاظ وجزلها على ما يليقُ بمخاطبة من نفذت إليه . وفيما توخّاه ﷺ من ذلك ما يوضح أن استعمال الكلام إنّما هو بحسب مراتب المخاطبين وأحكام الأزمنة والأمكنة .

---

(١) الحشوة (بالكسر والضم) : رذال الناس . يقال « هو من حشوة بني فلان » أي من رذالتهم .

(٢) ما بين القوسين ورد بتصرف في صبح ٦ : ٢٩٧ و ٢٩٨ .

فأمّا مراتبُ الأشياءِ التي تنفذ فيها(الكتبُ عن السلطان فإنّ منها كتب الفتوحاتِ والسلامات ونحوها ، فهذه تحتمل الألفاظَ الفصيحةَ الجزلة،والإطالةَ القاضيةَ بإشباع المعنى ووصوله إلى أفهام كافّة سامعيه من الخاص والعام ؛ ومنها كتبُ الخراج وأمور المعاملات والحساب ، وهذه لا تحتملُ اللفظَ الفصيح ولا الكلامَ الوجيز ، لأنّها مبنيّة على تمثيل ما يعمل عليه وإفهام من لا يصل المعنى إلى فهمه إلاّ بالبيّن الشافي من العبارة ؛ وأما الكتب الإخوانيّة النافذة في التّهاني والتعازي وما يُجاريها فإنّها تحتمل الألفاظَ الغريبةَ القويّة الآخذةَ بمجامع القلوب الواقعةَ أحسن المواقع من النفوس ، مع الإيجازِ والاختصار،لأنها مبنيّة على تحسين اللفظ وتزيينِ النظم ، وإظهارُ البلاغةِ فيها مُستحسن واقعٌ في موقعه[1])،وهذا كافٍ في تعرّفِ أحكام الألفاظ البسيطة والطريق إلى استعمالها على شرائط اللّغةِ والصناعة ، ونحن نشفعه بالقولِ على المعاني إن شاء الله تعالى .

قول في المعاني المجردة :

المعنى ما يمكنُ أن يدلّ النفْس ويدلّ عليه . وأصلُه القصد إذا كان مصْدراً ، ولكنه كثُر حتى صار مستعملاً في كل ما يصحّ أن يُقصدَ . والمعاني هي مثالات الصُور القائمة في الأوهام المقصودة بالعبارة لتخرج من القوّة إلى الفعل فيتعرّف بعضُ المميزين بخروجها في الموادّ اللفظيّة بحقائق تلك الصُور القائمة البعضِ . ومحلّها من الكلامِ محلّ الأرواحِ من الأجسام والمستخدمين من الخدام . والحاجة إلى أحكامها ألزم من الحاجة إلى أحكام الألفاظ ، لأن مدارَ الصناعةِ إنّما هوَ على إصابتها . وإذا كان حظُّ الألفاظ

(١) ما بين القوسين ورد بتصرف في صبح .

من العنايةِ الحظّ الذي تقدّم شرحُه وهي في الرتبةِ التي ذكرناها ، فينبغي أن يكون حظّ المعاني من التهذيبِ أوفر ونصيبها من الترجيح أكثر ، لأنها أساس المنطق وقاعدته وجناه وثمرته ، ولو حصلت صناعة الكتابةِ بالألفاظ دونَ المعاني لاستقلّ بها كل من بهرَ في معرفة الألفاظ من أعراب البدوِ وعلماءِ اللغويين ، ونحن نجد الأمرَ في الشاهد بخلاف ذلك ، فنستدلّ على أن الصناعةَ إنّما تحصلُ لمنْ جمعَ بين المهارَةِ والمعاني والألفاظ ، لأن مثالَ صاحب الألفاظ البسيطةِ مثال الصّيدلانيِّ الذي يجمع أصنافَ الأدوية المفردة ولا يتأتى لتركيبها ومثال الكاتبِ الذي يأخذ تلكَ الألفاظ فيظهر فيها صورة تأليف مثالُ الطبيبِ الذي يركّب الأدوية المفردة التركيب الشّافي من الأدواء المعْضلَة ، ولهذا صار من يُحسنُ الكتابةَ بلُغةٍ من اللغات يمكنه إذا استفاد لغةً أخرى أن يستعملَ معانيَ الصناعةِ في ألفاظ تلك اللغةِ ولا تفارقه صناعتُه ، ولهذا أمْكن المبرّزون في اللغتين العربية واليونانيّة نقْل كتب الحكمة إلى اللّسان العربي بالألفاظ الفصيحة المطابقة لمعانيها أشدّ مطابقةً . وقد سلك هذا المذهبَ متقدّمو الكتاب ، فنقلوا رسُومَ المكاتباتِ المستعملة [التي] كانت في اللّغةِ الفارسيّةِ إلى اللغة العربيّة ، نعم ونقلوا أوضاعَ الحساب وقوانينَه أيضاً ، لأنّ الدواوين لم يزل ما يجري فيها من أعمال الخَراج بلُغةِ الفرس وقلمِهم إلى أن نقلت في أيّام الحجاج بنِ يوسفَ إلى العربية .

والطريق إلى تصحيح المعاني وتفصيحها[1] وتهذيبها وتنقيحها ، أن تُصفّى مما يشوبُها وتحصّل وتميّز في الأوهام وتخلّص التخليص التامّ ، فلا

(١) مطموسة في الأصل ؛ وشكلها العام يوحي بما أثبتناه .

تختلطُ ولا تتشارك ولا يدخل فيها ما يكون فضْلةً ولا يخرجُ عنها ما لا تتمّ إلاّ به ، ثم تكسى من الألفاظ ما يكون عليها طبعاً ولها لِفْقا [1] ، على أنهم قد استحبّوا أن تكونَ الألفاظُ أقلَّ من المعاني في المقدار والعدد ، ولهذا موضع تحسنُ فيه قد ذكرناه فيما سلف .

فأمّا حصْرُ أنواع المعاني بقوانين كليّات تجمعُها فمتعذّرٌ ، لأن المعاني مبسوطةٌ إلى غير غايةٍ وممتدّة إلى غير نهايةٍ ، وليس حكمُها حكمَ أسمائها ، لأن أسماءَها محصورة معدودة ومحصّلة محدودة . فإن قيل : كيف يصحّ أن تدل أسماء متناهية على معانٍ غير متناهية قيل : يصحّ ذلك من وجهين : جملة وتفصيل ، فأما الجملةُ فتدلّ عليها الكلمةُ ، كقولك غير متناهية ، وأمّا التفصيل فيدلّ عليه النقْل والتأليف ، وذلك أن المعاني على ثلاثة أضرب : محقق ومقدّر ومجهول ، فالمحقق هو الذي عرفَه أهل اللغة فوضعوا له اسماً يدلّ عليه ، والمقدّر هو الذي توهّموه فقدَّروا له اسماً يدلّ عليه على جهة التوهّم لمعنىً ، والمجهول لم يضعوا له اسماً إذْ لم يخطر لهم ببال . ولهم في هذا ثلاثة أشياء :

أحدها : تمييز المُقدّر حتى أخرجوا بعضَه على التقدير وأخرجوا بعضَه على التحقيق ،كالحركةِ والسكون والاجتماع والافتراق [2] وسائر الأغراض ، فإنهم أخْرجوها إلى تحقيق معان غير الأجسام ، وكانت في الأصلِ على التّقدير فأخرجوها إلى التحقيق ، فأمّا العدمُ والوجود والقدَم والحدوث فأبقوها على

(١) اللفق : الشقة من شقتي الملاءة .

(٢) في الأصل « والافراق » .

التقدير ، إذ كان الاستنْباط يوجبُ أنّه لا مُسمّى تحتها في الحقيقة ، فإنما [1] يَدل على تقدير مسمّى يزيد في الموصوف معنى .

والثاني : نقل الأسماءِ لما عرفه العلماءُ مما يجهلُه [2] أهل اللُّغةِ قبلَ الاستدلال ، وذلك كنقلِهم الحدّ إلى ما يحصُر المعاني ويحيطُ بها وإنما أصلُه نهاية الجسْمِ ، وقد ورد مثل هذا في ألفاظ الدين ، كالكافر والفاسق ، وأصْلُهما السّاتر والخارج . والنقل على ضربين : نقل يفيد معنى الوصف ، ولا بدّ فيه من مراعاة معنى الأصلِ ليكون النقلُ إلى ما قرُب منه ، ونقل لا يفيد معنى الوصفِ ، فلا يراعى فيه معنى الأصل ، وإنما يجري مجرى التلقيب في أنه يخصّ الذات بعينها .

والثالث : الدلالة على ما عرّفه العلماء بالاستنباط مما لم يعرفْه أهلُ اللغة بالتّأليف ، وذلك أن تأليف الكلام لا نهايةَ له ، ويدلّ على هذا ما نجده من اختلافه في الرسائل والخطب والأشعار وغيرها من فنون الكلام ، وليس هذا بواقفٍ عند غاية .

ومَنْ مراده إحكام الصّناعة الكُتّابية إذا تطلّعت نفسُه إلى تحصيلِ هذا العلم افتقر إلى تقديم مقدّمات كثيرة يقطعه الاشتغال بها عن مرامه . ولما كانت الطباعُ الفاضلة تواقع الصَّواب وتُباينُ الخطأ وتقوى على نظم المعنى الذي يحتاج إلى إبرازِه مؤلفاً تأليفاً حسناً في أكثر الأحوالِ غني عن صرفها

---

(١) ارتباط هذه الكلمة غير واضح .

(٢) في الأصل « يجهلَه » .

عما يسّرت له إلى إلزامها أعظم مشقة ، وتبديلها من الأسهل بالأصعب ومن الأرفه بالمتعب .

قول في المركب من الألفاظ والمعاني :

لمّا كانت المعاني هي المقصودة بالعبارة حسبما قلنا فيما تقدّم من القول ، وكانت صُورها لا تخرُج من القوّة إلى الفعْل فتصير حقائقُها معلومةً لمن قصد إعلامه إيّاها إلا بالألفاظ الموضوعةِ للتعبير عنها والدلالة عليها – أوجبَ ذلك اشتّراك المعاني والألفاظ وارتباطهما كما ترتبط الصُّور بموادها والأرواح بأجسادِها ، واقتضى هذا الاتّصال بالتّواشج [1] والاختلاط والتّمازُج مراعاةَ الحال في تأليفهما وتنزيل ما تركّب منهما على حسب منازل الأغراض التي تقع المخاطبة والمكاتبة فيها والأزمنة والأمكنة ومراتب المخاطبين وتوفية كلّ موضعٍ ما تقتضيه رتبتُه كما قلنا فيما سلف .

والسبيل إلى تركيب المعاني والألفاظ هذا التركيب يكون بتدبير الكلام من جهة كيفيّته،ومن جهة كميّته ، ومن جهة ترتيبه .

الكيفيّة :

أمّا تدبيرُه من جهة الكيفية فمن وجوه عدة :

منها– أن يتخير له من الألفاظ ما يناسبُ الامور التي عددناها ، فيستعمل كلاً من جزْلها وفصيحها وسلسِها وسمحها في موضعه .

ومنها – أن يسْلُك في تأليفه الطريق الذي يُخرجُه عن حكم

(١) التواشج : الاشتباك .

الكلام المنثور العاطل الذي يستعمله العامة في المخاطبات والمكاتبات إلى حكم المؤلفِ الحالي بحلى البلاغـة والبديـع ، كالاستعارات والتشبيهات والأسجاع والتقسيم والتتميم [1] والمقابلات وغيرها من الأنواع التي سنستوفي القولَ عليها فيما بعد إن شاء الله تعالى ، فإنَّ الكلام إنما يخرجُه من حدِّ النثرِ إلى حدِّ النظم ما يقع فيه من هذه الفنون ، إلاّ أنّها وإن كانت كذلك فإنّه لا ينبغي للكاتب أن يستعملَ شيئاً منها على سبيل استكراهٍ وتعسّف ، وإنّما يجبُ أن يستعمل منها ما جادتْ به قريحتُه من غير كدٍّ ودرّت به غريزته من غير غصْب ، فإنه إذا تكلّف إيقاع هذه الأنواع في كلامه ولم يأته عفواً لم يخْلُ من إفساد المعنى وإحالتهِ وإدخال الخلل فيه والاضطرار إلى وضع اللّفظةِ في غير موضعها ، اللّهم إلاّ أن يكونَ مطبوعاً على النظم ، متمكّناً من قران الألفاظ بأخواتها وتنزيلها في منازلها ، لا يحيل معنى عن وجهه ولا يستعملُ لفظاً في غير مكانه ، فإنّه إذا توخّى ترصُّعَ كلامه بهذه الأساليب زادت في رونقه وبهجته وتزيينه وحليته .

ومنها — أن يؤسس كلامه بمقدمات في صدره ليخّرجه من حدّ النثار إلى حد النظام ، فإن منزلة هذه المقدمات من كل كلام مؤلف منزلة الرأس من الجسدوالأساسمن البناء،وكما أنالرأس يضمأعضاء الجسد ويرأسها[2] كذلك[3] المقدّمة التي يقدّمها المنشىءُ في صدرِ كلامه تضم ما تتبعُه ويقع في ضمنْه ،

(١) في الأصل « والتنميم » .

(٢) في الأصل « وترأسها » والفعل السابق « يضم » خلا حرفه الاول من النقط . وقد جعلتهما بالياء . يقول صاحب (تاج العروس) عند ذكر الرأس : وأجمعوا على أنه مذكر .

(٣) في الأصل « وكذلك » وقد حذفت الواو لعدم استقامة الكلام بها .

وكما أن الباني لا بدّ له من وضع أساس لما يبنيه يعتمِدُ عليه ويستند إليه [1] كذلك مؤلف الكلام لا يغني عن تقديم مقدّمةٍ يتطرّق منها إلى ما يروم التأليف فيه ، لأن كلّ كلامٍ لا يخلو من فرش يفرش قبله غير داخل في حكم الكلامِ المنظوم ، وإنّما تخلو من المقدّمات كتبُ الأخبار التي تتضمّن نصوصَ ما يخبر به ، وما يدور بين الناس في العوارض والحاجات من الكلام المبتذل . وهذه المقدّمات يشترك في استعمالها أصناف المؤلفين من الخطباء والشعراء والكتاب وغيرهم من المصنّفين ؛ أما الخطباء فإنّ عادتَهم جارية بافتتاحِ خطبِهم بفنون محامدِ الله تعالى والثناء عليه والصلاة على رسوله محمد ﷺ ، وإتْباع [2] ذلك بمُقدّمةٍ جامعة لما يرومونَ القولَ فيه والإرشاد [3] إليه من مصالح الدينِ والدنْيا ؛ وأمّا الشعراء فإنّ عادتَهم جارية أن يفتتحوا قصائِدَهم المنظومة في مدائح الملوك والعظماء التي يزينون بإنشادِها المجالس الحفلة ويقومون بها بين السّماطين [4] بالتشبيب الرقيق الغزل ، وإن لم يكن مناسباً لهذه المواقف ، قصداً لتقديم ما تهشّ الأسماعُ إليه وتقبل القلوب عليه قبل الأخذ في الغرض الذي يرومون القول فيه ، فإذا ارتاحتْ له وتحرّكت نحوَه وانبَسَطتْ بعد الانقباض وأخذتْ حظّاً من الطّلاقةِ والهشاشة ورد عليها ما اشتمل عليه النظمُ من المعاني وهي متهيئة لقبولهِ متطلّعة إلى سماعه ؛

---

(١) في الأصل « عليه » . والأنسب أن تكون « إليه » ولعل ذلك سهو من الناسخ . صلبه .

(٢) في الأصل « واتّباع » .

(٣) ابتداء من هذه الكلمة إلى « القول فيه » كتب في هامش الأصل بعد أن أشير إليه في الأصل بعلامة تدل على أنه داخل في صلبيه .

(٤) سماط القوم : صفهم .

فأمّا الكتّابُ فإنّ عادتَهم جارية بأن يفتنّوا في المقدّماتِ التي يقدّمونَها أمام رسائلِهم بحسَب أفننانِ أغراضها ، ولا يخلوا [1] رسالة منْها من فرش يتطرق به إلى ما بعْده . ولموضع عنايتِهم بذلك قال بعضُهم إنه لا يحسُنُ بالكاتب أن يخلي كلامَه وإن كان وجيزاً نافذاً في أحقَرِ الأمور من مقدّمةٍ يفتتحه بها وإن وقعت في حرفَيْن [2] أو ثلاثةٍ ليوفي التأليفَ حقّه .(وعلى هذه السبيلِ جَرْوا في جميع الكتب ، كالعهودِ والفتوح والتّهانِي والتّعازِي والتّهادي والاستحثاثِ والاستبطاءِ والإحْمادِ والإذْمامِ ، من افتتاحها بمقدماتٍ تكون من طريقِ اللفظِ بسَاطاً لما يريدون القول فيه ومن طريق المعْنى علةً لما يأمرُ به السُّلطانُ وحجةً يستظهرُ بها)[3] مثل ما يصدر به الكتب في افتتاحِ الخراج ، فإنّ الكُتابَ مع علمهم بمعرفةِ الرعايا بالحقوق الواجبةِ عليهم وأنّها مما لا يجوز الإغضاءُ عنه لا يقنعون في اسْتِئذانها بأن يقتضوها بالقول المطْلقِ حتى يقدموا في ذلك مقدّمات مشتملة على حاجةِ السلطان إلى الاستعانة بما يسْتخرجُه من حقوقهِ في عمارة الثغور وتحصين الأعمال وتقويةِ الرجالِ وقمْع أعداءِ الملّة والدّولة وغير هذا من المصالح الراجعةِ إليهم العائدةِ عليهم .

فأمّا كيفية استعمالِ هذه المقدمات فلا يمكن الإبانة عنها برسومٍ كليّةٍ تجمعُها ، وإنّما يرجعُ في ذلك إلى معرفة الكاتبِ بما يستحقّه كل نوع من

---

(١) في الأصل « يخلّوا » . وقد وضعت الحاء صغيرة .

(٢) من معاني « الحرف » : الكلمة ، يقال « هذا الحرف ليس في القاموس » أي هذه الكلمة ، وهو المراد هنا .

(٣) ما بين القوسين ورد بتصرف في صبح ٦ : ٢٧٨ .

أنواع الكلام من المقدّمات التي تشاكلُه . فأمّا ما يمكن الإخبار عنه بالقول المجمل فتدبيرُ هذه المقدّمات من جهة ألفاظها ومن جهة معانيها ؛ فأمّا ألفاظُها فيجب أن تُتخيّر من أوجز الألفاظ وأشرفها وألطفها وأخفّها ، لأنها مبادئ[1] الكلام التي تقرعُ الاسماعَ أولا ، وإذا شرفتْ شرف ما يلحقُها ويُرادفها لتعلّق القلْب بالابتداء والمقطع وإقْبال المستمع عليهما دون ما ينطوي بينَهما ، ودلالتهُما إذا حَسُنا علا[2] تأتّى الصنائع للدخول في الصناعة والخروج منها ، ولهذا وُصِفَ البارعُ من الكلام والحديث والغناء بحسن مفتتحه ومختتمه ؛ وأمّا معانيها فيجبُ أن يودعَها كل ما يحتاجُ إلى الإبانة عنه ، لتدلّ بصدورها على أعجازها وبمباديها على تواليها ولا يخفى عن سامعها ما ينتهي إلى خاتمتها ، لأن المقدّمةَ متى لم تكن بهذه الصفة لم يستحق الكلام اسم البلاغة . وببراعة مقدّمات الكلام يظهر فضْلُ بعض الكُتاب على بعض ، ويُستَدَلُ على مهارة الماهر وتقصير المقصّر . والنافذ في الصّناعة المطبوع عليها لا يفتقرُ إلى زيادة على ما ذكرنا .

وأمّا عن هذه الثلاث الطبقات من المصنّفين فإنّ عادتَهم جارية بأن تكون مقدمات مصنّفاتهم مستنبطة من أنفس العلوم التي صنّفوها ودالةً على أغراضها . ومن نظرَ في التصانيف الموضوعة في جميع أفانين العلم لم يكد يقع على كتاب خالٍ من مقدمةٍ يتطرق منها إلى ما بعْدَها ويرتقي عليها إلى ما يتلوها .

ومنها — ألاّ يتمثلّ في الكتب النافذة الى الملوك والصّادرة عنهم بشيءٍ

(١) في الأصل « مبادىء » .

(٢) في الأصل : عـلى .

من الشعرِ إجلالاً لهم عن ثوب العبارة [1] عن عزائم أوامرهم ونواهيهم والأخبار المرفوعة إليهم بما يخالفُ نمطَها .

ووضعَها ، وذلك أن الشعرَ صناعةٌ مغايرة لصناعة الترسيل ، وإدخالُ بعض صنائع الكلام في بعضٍ غيرُ مستحسن؛ فأمّا الكتبُ الإخوانية والرقاعُ المبنية على المُداعبة وفنون التهاني والتعازي والتزاور والتّهادي [فله] [2] أن يُودِعَ الأبياتَ على وجه التمثيل وعلى وجه الاختراع ، فقد كان الصدرُ الأولُ من الكتاب يستعملون ما ذكرناه في المواضع التي بيّناها ، وكذلك كان الخطباءُ في المحافل والمجامع يرتجلون في عرض الخطبِ الأبياتَ من الشعر إظهاراً لفضيلةِ البيان والتوسع في المنطق .

ومنها ــ أن يقتصر فيما يستعيره من آيات التنزيل العزيز في المكاتبات النافذة في الأمور الجليلة للترصيع والتحلية والاستشهاد للمعاني على ما يقع في موقعه ويليق بالمكان الذي يوضع فيه ، ولا يستكثر منه حتى يكونَ هو الغالبُ على كلامه تنزيهاً لكلام اللهِ تعالى عن الابتذال،فإنّه إنّما يُستعار على جهة التبرك والزينةِ لا ليجعل حشواً للمسهب من العبارةِ ومادة الألكن المفحم ، وإذا استعار منه شيئاً فليحْكِهِ على هيئته ولا ينقله عن صنعته ليسلم من تحريفه عن مواضعه ومخالفة اختيار اللهِ تعالى فيه ، وكما لا يجوز الإكثار منه فكذلك لا يجوزُ أن يخليَ كلامَه من شيءٍ منه يحليه ، فإن خلوّ الكلام من القرآن يتخون محاسنه وينتقص بهجته ، ولذلك كانوا يسمون الخطبة الخالية من القرآن بَتْراء . وحالُ الكتبِ الجليلة النافذة في معاظم أمور الدينِ والسلطان مناسبةٌ لحال

---

(1) بياض بالأصل قدره نصف سطر .

(2) سقطت هذه الكلمة ، وسياق الكلام يقتضيها .

الخُطبِ في استحقاقها ما تستحقّه من العيب إذا خلت من وقوع شيءٍ من القرآن فيها .

ومنها ـ ألا يُؤخّر ما يجبُ تقديمُه ولا يقدّم ما يجب تأخيره ، ولا يستعملُ في الرسائل ما جاء به القرآنُ العظيمُ من الحذف ومخاطبة الخاصّ بالعامّ والعام بالخاصّ والجماعة بلفظ الواحد والواحد بلفظ الجماعة وما يجري هذا المجرى ، لأن القرآنَ نزل بلُغة العرب وخُوطب به فصحاؤُها ولا يجوز حملُ الرسائل على طريقته ، وكذلك لا يجوز أن يستعمل فيها ما يُستعملُ في الشعر من صرف ما لا ينصرف وحذف ما لا يحذف وقصر الممدود ومدّ المقصور والإضمار في موضع الإظهار وتصغير الاسم في موضع التكبير إلاّ أن يُريد تصغير للتعظيم ، وهو كقول القائل (١) : أنا جُذيْلها المحكّك وعُذيْقُها المُرَجّب (٢) . وقول الشّاعر :

وكلّ أناسٍ سوفَ يدخُل بينَهم
دُوَيْهِيّةٌ تَصْفرُّ منها الأناملُ (٣)

---

(١) أول من قال ذلك الحباب بن المنذر الانصاري يوم السقيفة ، حين اجتمع الانصار إلى سعد بن عبادة ، يوم مات النبي (صلعم) في سقيفة بني ساعدة ، وأرادوا تأميره فذهب إليهم أبو بكر وعمر ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وقال الحباب بن المنذر : منا أمير ومنكم أمير ، إلى أن كان من كلامه هذان المثلان . وأراد بالأول أنه يستشفى برأيه ، وبالثاني أنه كريم في قومه عزيز عليهم .

(٢) الجذيل : تصغير الجذل وهو أصل الشجرة الخشبي . والمحكك : الذي تحتك به الإبل الجرباء . والعذيق : تصغير العذق وهو النخلة . والمرجب : الذي له رُجبة وهي دعامة تبنى حولها من الحجار ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت فتخوّف الناس أن تسقطها الرياح .

(٣) ورد البيت في الصناعتين غير معزو (ت : البجاوي وأبي الفضل) : ٣٥١ .

ومنها ـ أن يرفع الرؤساءَ والعظماءَ عن المدح بما يتمدّح به العامة من صدقِ الحديث ووفاءِ القول وتأدية الأمانة وإنجاز الوعدِ وردّ الوديعة والمحافظة على العهد والقيام بالغرض ، وإن كانت هذه الأشياءُ [1] من الفضائل التي يتمدّح بها ، لأنها مما يشترك الخاصّ والعام في إيجابه واقتراضه ، ولا يمدح الملوك بالخروج من الواجبات وإنما يمدحون بتحمل النوافل وسنّ السنن الجميلة والسيْر بالسِّيَرِ الفاضلة وابتناء المحامدِ والمكارم واحتقار الجسائم والمعاظم ، ولهذا عيب على الأحوص قولُه [2] في مخاطبة ملك :

وأراكَ تفعَلُ ما تقــولُ وبعضُهم
مَذِقِ الحديثِ يقولُ ما لا يَفْعَلُ [3]

ومنها ـ ألاّ يخاطب أحداً بالصّلاة على أنّ معناها الرحمة ، لأنها لفظةٌ قد قصرت على مخاطبة الأنبياءِ والخلفاء ، ولا بأمير المؤمنينَ وإن أمَر فيهم ، لأن هذه اللفظة قد خُصَّتْ بها الخُلَفاءُ فقط .

ومنها ـ ألاّ يصفَ ملِكاً بالكَيْس وإن كانت هذه اللفظة من الألفاظ المستعملة في موضِع العقْل ، يدلّ على ذلك قولُ عليٍّ عليه السلام « أما تراني كَيِّسا مُكَيَّسا » يريد عاقِلاً معقلاً ، لأن العامّة قد وضعتها في غير موضعها ،

---

(1) في الأصل « الأشياءَ » . وقد سقطت الكلمتان « الاشياء من » فكتبتا في الهامش مائلتين إلى أعلى ومردفتين بـ « صح » .

(2) في الأصل « قوله » .

(3) وانظره في خزانة الأدب لابن حجة (الخيرية بمصر) : ١٨٦ وفي وفيات الأعيان (ت: محيي الدين) ٢ : ٥٧ وفي المستطرف (مصطفى الحلبي) ١ : ١٩٨ وفيه « اللسان » موضع « الحديث » في الشطر الثاني .

وكذلك ما جرى مجراها من الألفاظ التي قد أُحيلت عن حقائقها وأوقعت في غير موقعها .

ومنها ـ أن يتحفظ في الكتب النافذة عن الأتباع إلى الرؤساء من تفخيم اسم المكتوب عنه ، كقولك تقدمتُ وخرج أمري بكذا وأنهى إلى كذا ، فهذه الألفاظ وأمثالها مما لا يُخاطبُ به الأتباعُ رؤساءهم ، وأن يعدل عنها إلى ما يحفظ معانيها فيقول وجدتُ صوابَ الرأي يوجبُ كذا ففعلته ، ورأيت السياسة تقتضي كذا فأمضيته وما أشبه هذا[٢].

ومنها ـ ألا يكتب بنون العظمة إلا عن الخلفاء والملوك والرؤساء من الوزراء وعظماء الأمراء وفضلاء الكتاب والعلماء دون غيرهم ، لأنها لفظة لا يستعملها إلا آمرٌ أو ناهٍ أو جليل الخطر والمرتبة في الدين والدنيا .

ومنها ـ أن يتوقى الشكل والإعجام إذا كاتب رئيساً ، لأن في ذلك تعريضاً باستنقاصه؛ فأما إذا كتب الرئيس إلى من هو دونه فجائزٌ أن يشكل ما يشكل ويُعجمه إيجاباً للحجة وزيادةً في الإيضاح ، ولولا ذلك لما حَسُنَ . وقد استعمل بعضُهم الشكلَ والإعجام في المكاتبات النافذة إلى الرؤساء واحتج بأن فيهما ترفيهاً لهم عن مراجَعَةِ الفكْرِ فيما يشكل ، وهذا تأويل لا ترتضيه الخاصّةُ لما في شكل الكُتُب من استغباء المكاتَب . وحكى أنّه عرض على المأمون [١] كتابٌ قد أخل كاتبُه بضبط ما يشكل من حروفه فتوقف في

---

(١) وهو ابن هارون الرشيد ومراجل الفارسية . في عصره ازدهرت العلوم والفنون الإسلامية ، ونقلت مؤلفات اليونان إلى العربية .

(٢) هذه الفقرة وردت بتصرف في صبح ٦ : ٣٠٢ .

قراءته وصحفَ ألفاظاً منه واستثقل ترجيعَه والنظر فيه وقال : « ما لهؤلاء[1] الكُتّاب لا يشكلون ويُعجمون المواضيع المشكلةَ من كتبهم » فاعتلّ له من حضر بما يتأوّلونه فقال : «ليس هذا بحجة ولا ينظر في هذا منْصف من الملوك ، لأن الخطّ تلوُ اللّفظِ في الدلالةِ على المعاني ، وكما أن التعقيد في اللفظ يهجّنه ويحمل سامعيه على استثقالِه وملالِه فكذلك الإشكال في الخطّ يهجّن محاسنَه ويدعو قارِئَه إلى التضجّر منْه والإضْرابِ عنه وإن كان جليل الفائدة » ، وقد ذهبَ المأمونُ في هذا إلى المذْهبِ الصحيح إلا أنّه لا سبيل إلى مفارقةِ الإجماع والاصطلاحِ . والصوابُ عندي للكاتبِ أن يعتمدَ في إثبات الشكل والإعجام وحذفهما على ما يعلم من فهْم المكاتبِ وتقصيرِه ، فإنّ الغرضَ إيصالُ المعنى إليه لا غَيْر .

ومنها ـ أنْ يفرق بيْنَ من يكتُب عنه ومن يكتب إليه . وقال الأخفش « إنّ أقلّ الناسِ تقول للسّلطان انظر في أمْري؛لفظُه لفظُ الأمرِ ومعناه معنى السؤال » وحجة الكتاب أن المشافهة تحتملُ ما لا تحتملهُ المخاطبة ، لأن المشافهة خاطر يخطر للإنسان لا يُمكِنُه تقييدُه وترتيبه والمكاتبةُ بخلاف ذلك ؛ فلا عذر لصاحبها في الاخلال بالأدب ؛ فأمّا من دون هذه المنْزلة فيقول للمكاتب منهم ينبغي أن تفعل كذا ، ومن دون ذلك فجميعهم ينبغي أن يخاطَب بأن يقال افعلوا كذا ؛ وأمّا النُّظراء والمتساوُون في المراتب فخطابُهم فإن رأيت أن تفعل كذا ، وهذا شرط لا بدّ في جوابه من الفعل والفاء للمستقبل وان جئتَ به مستقبلاً تقول فإن تردْ ذلك فافعله ونفعله ، وإن شئت أتيت بالأول مستقبلاً وبالثاني ماضياً . ويقول الرجل لمن دونه قليلاً وأحبّ

(1) كتبت في الأصل : « قالِ هؤلاء » .

أن تفعَل كذا . وهذا كافٍ في معرفة تدبيرِ الكلام من جهة كيفيّتـه .

الكميّةُ :

فأمّا تدبيرُ الكلام من جهة كميتـه فقد قلنا فيما سلَف إنّ البلاغةَ تنقسم إلى ثلاثة أقسامٍ : أحدُها الإيجاز والاختصار وجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة والإشارة إلى الغرض بلمحةٍ تدل عليه . والثاني مساواة اللفظ للمعنى وحذْو أحَدِهما على الآخر حتى يكونَ له لِفْقاً وعليْه طِبْقا . والثالث الإطناب والإشباع والشفاء والإقناع وترديد الألفاظ المترادفة على المعنى الواحـــد .

وهذه قسمةٌ طبيعية ، لأنه لا يخلو شيءٌ من طرفيْن ووسَط ، إلا أنّه قد مال قومٌ إلى اختيار الإيجازِ ففضّلوه واحتجوا بأنّه صورةُ البلاغةِ على الحقيقةِ وقالوا إنّ ما يجاوِز مقدار الحاجة من الكلامِ فضْلة داخِلةٌ في حيّز الهذَرِ واللغو ، ومَال قومٌ إلى اختيار التوسّطِ والاعتدال ومساواة اللفظِ للمعنى ففضّلوه واحتجّوا بأن منزع الفضيلةِ من الأوساط دون الأطرافِ وأنّ الحسن إنّما يوجد في الشيء المعتدل ، ومال آخرونَ إلى اختيار الإسْهاب ففضّلوه واحتجّوا بأن المنطقَ إنّما هو بيانٌ ، والبيان لا يحصل إلاّ بإيضاحِ العبارة ، وإيضاحُ العبارة لا يتهيأ إلا بمُرَادفةِ الألفاظِ على المعاني حتى تحيطَ بها إحاطة يؤمن معها من اللّبس والابهام،فإن الكلام الوجيز لا يؤمن وقوعُ الأشكالِ فيه ، ولذلك لا يحصلِ معانيه إلا خواصُّ أهلِ اللغة العارفين بدلالات الألفاظ ، وأنّ المشبع الشافي سالمٌ من الإلباسِ لتساوي الخاصّ والعام في فهْمِه . والاختلاف الواقع في اختيار أقسام الكلام بين مختاريها مطّرد بين الناسِ في سائر الآراء الاختياريّةِ ، لأنّ من الناس من يميل

باختيارِه إلى الأطراف ويخرج إليها عن الأوساطِ وهم الأكثر، ومنهم من يفضّل التوسط وهم الأقلّ .

والذي يُوجبه النّظر الصحيح أن الإيجازَ والمساواة والإسهابَ صفات موجودة في الكلام ولكلٍّ منها موضعٌ لا يخلفُه فيها رديفه وعقيبه، إذا وُضع به انتظم في سِلك البلاغة ودلّ على فضْل الواضعِ ، وإذا وُضِع بغيره وَهَى[1] منه ودلّ على نقص الواضعِ وجهله برسوم الصناعة؛لأنه لو استعمل كاتبٌ ترديد الألفاظ ومرادَفتها على المعْنى الواحدِ في مكاتبةِ ملك مصروفِ الهمّم إلى أمور كثيرةٍ متى انصرف عنها إلى غيرها دخلَها الخَلَلُ – لرتب كلامَه في غير رتبته ودلّ على جهله بها ، وكذلك لو بنى كتاباً يكتبه في فتح جليلِ الخطرِ حسن الأثر ليُقرأ في الحفْلِ والمساجد الجامعةِ على رؤوس الأشهاد من العامة ومن يراد تفخيمُ شأن السلطانِ في نفسه على الايجاز – لأوقع كلامه في غيْرِ موقعه ونزّله في غير منزلتِه ، لأنه لا أقبح ولا أسمج من أن تستنفر الدهماء لسماع كتاب قد ورد من السُّلطان في بعض معاظم أمور الملك أو الدين ، فإذا حضَر النّاس كان الذي يمرّ على أسماعهم من الألفاظ[2] التي اشتمل عليها كتابُ المهلب بن أبي صفرة الذي كتبه[3] في فتح الأزارقة[4]

---

(١) وَهَى : ضعف وسقط .

(٢) وضعت في الأصل بعد هذه الكلمة علامة كتلك التي توضع إذا اريد زيادة كلمة ، ولكن لم يزد شيء . وما بين المعقوفين ورد إلى قرب نهايته في صبح الأعشى ٢ : ٣٢٨ . [واردا مورد الايجاز والاختصار لم يحسن موقعه وخرج من وضع البلاغة لوضعه في غير موضعه ؛ كالألفاظ] .

(٣) كتبه إلى الحجاج .

(٤) من الخوارج .

على ارتفاع خطرِ هذا الفتْح وطول زمانه وعظم صيت السلطان به ، فإنّه قال في هذا الكتاب : « الحمد لله الذي كفى بالإسْلام ِ فقْد [1] ما سواه ، وجعَل الحمد متّصلاً بنُعْماه ، وقضى ألاّ ينقطع المزيدُ من فضْله حتى ينقطع الشكر من خلقه . ثم إنّا كُنّا وعدُوّنا على حالتين مختلفتين نرى منهم ما يُسرُّنا أكثَرَ مما يسرّهم [2] فلم يزل ذلك دأبَنا ودأبهم [3] ، ينصرُنا الله ويخذُلهم ويمحّصنا ويمحقُهم ، حتى بلغ الكتابُ بنا وبهم أجلَه ، (فقُطِعَ دابِرُ القوم ِ الذين ظلموا والحمْد لله ربِّ العالمين .) [4] . وهذا اللفظ وإن كان وجيزاً بليغاً جامعاً للمعاني محيطاً بها مُدَوّناً في المختار من الكلام ِ البليغ فإنمّا حسن في موضعه وهو مخاطبةُ السلطان،والغرض الذي قصده كاتبُه هو البِدار بإنْهاءِ صُورةِ الحال ؛ فإن كتبَ كاتبٌ مثل هذا الكتاب عن السُلطان في مثل ِ هذا الفتح أو ما يقاربُه ليُورد على العامة ويقرّر في نفوسهم به قدرَ النعمة الحادثة وموضعَ السلطان من التمكن وعلوِّ الشأن لم يحسن موقعُه وخرج عن شرْط البلاغة بوضْعِه أياه في غير موضِعِه .

فأمّا المواضعُ التي يجب أن يستعمل فيها كل من المذاهب الثلاثةِ فإنّنا نذكرُها بقول مجمل ٍ ، ثم نشفعه بقول ٍ مفصّل :

فأمّا المجمل فإنّ الموجز يصلح لمُخاطبة الملوك ، وذوي الأخطار العالية

---

(١) في صبح الأعشى ٢ : ٣٣٧ « قصد » .
(انظر كتاب المهلب ابن الأصفر في الصفحة المذكورة تر تحريفاً عجيباً فيه) .
(٢) في صبح الأعشى ٢ : ٣٣٧ زيدت الجملة « ويرون منا ما يسوءهم أكثر مما يسرهم » .
(٣) في الأصل « دابنا ودابهم » .
(٤) سورة الأنعام . الآية ٤٥ .

والهمم المتصنمة [1] ، ومَنْ لا يجوز أن يُشغل زمانُه [2] بما همّته مصْروفة إلى مُطالعة غيْره ، ومساواة اللفظ للمعنى يصلح لمخاطبة الأكفاء والنُّظَراء والطبقة الوُسطى من الرؤساء ، وكما أنّ هذه الرتبة متوسّطة بين طرَفي الكلام فلذاك يجبُ أن تُخصّ بها الطبقة الوُسْطى من الناس ، والإسهاب يصلح للمكاتبات الصادرة في الفتوحات ونحوها مما يقرأ في الحفل ، والعُهود السّلطانية،ومخاطبة من لا يصل المعنى إلى فهْمه بأدنى إشارة . والكاتبُ إذا عرف هذه الجملة عمل في تفْصيلها بما يقتضيه .

وأما القَولُ المفصّل فإن ترتيبَ ما يُوضع في كل موضع من هذه المواضع لا يستقلُّ به إلاّ المبرّز الماهر في الصناعة ، العالم بمراتب الأشياء التي يكتب فيها وما يخصّ كلاّ من أنواع المخاطبات . وهذا ما لا تتناهى الإبانةُ عن أحكامه وشروطه بقَول مبسوط يشتملُ على أطرافه وحواشيه ، وإنما نتكلم عليه بكلام جامع نعرف الوجهَ فيه فنقول :

إنّ المعاني التي يحتاجُ الكاتبُ أن يُنشِىءَ الكُتبَ فيها عن السلطان وإليه ترجعُ إلى أصول محدودة وأجناس معدودة ، كالأمر والنّهْي ، وهما جنس واحد لأن كلّ مأمور به منهيّ عن خلافه ، والخَبَر الذي يقع مرةً فيما يخاطبُ به السُّلطانُ عمّاله ورعاياه ، كإطلاعه إياهم على ما يتجدّدُ له من عطيّة ورزيّة ليقرّر في نفوسهم جلالةَ خطر المنح التي جدّدها الله عنده وسهولةَ موقع المحن الحادثة به ، ويقعُ أخرى فيما يخاطبُ به العمالُ سلاطينَهم

---

(1) في صبح الأعشى ٢ : ٢٣٦ « المستقيمة » .

(2) في الأصل : زمانه .

ورؤساءهم ، كمطالعتهم إياهم باستقامة الأحوالِ المعذوقة بهم واطّرادها أو اضطرابها وفسادها ، وما يحتاجُ السلطانُ أن يخاطب به نُوّابَه وتُبّاعه وكفاته في معنى الإحْماد والإذْمام والثناء والتفريط والعدل والتوبيخ والاسْتقصاء والوعدِ والوعيد ، فإنّ هذه كالأجناس لما يكتبُ السلطانُ فيه ويُكتبُ إليـــه .

فأمّا ما يكتبُ فيه السلطانُ إلى رعيّتِه ؛ فإن كان خيْراً[1] يريد تقرير صورتِه في نفوسهم ، كإنبائهم بالفتوحات المتجددة في أعداء الدين والدولة والسلطان ، فيجب أن يشبَع القولُ فيها ويبنى على الإسْهاب وتكرير الألفاظِ المترادفة ، ليعرفوا قدْر النعمةِ الحادثة وتزيد بصائرهم في الطاعة ويعلموا موضعَ سلطانهم من عناية اللهِ عزّ وجل ، فتقوى منن أوليائه وتنخزل قوى أعدائه ؛ وإن كان خبَراً يريد التوريةَ عنه وستْرَ حقيقته ، كإعلامهم بالحوادث الحادثة على الملة[2] والنوائب الملمّة بالدّولة ، من هزيمةِ جيش ، أو تغيير رسم أو إحْداثِه ، أو تكليف الرعية ما لا يسْهل عليها تكلّفه ، أو ما أشبه ذلك ، فيجب أن يقصدَ إلى الاختصار والإيجاز ، ويعدل عن استعمال الألفاظِ الخاصّة بالمعنى إلى غيرها ، ممّا يحتمل التأوّلَ ولا تنفر الأسماعُ منه ولا تُراع القلوبُ له ، من غير أن يحكَى كذِباً صراحاً ولا محالاً تتَواترُ الأخبار بخلافه ، فإنّه لا شيءَ أقبحُ بالسلطان ولا أغمض لشأنه وقدرِه من أنْ يتضمّن كتابُه ما ينكشف للعامّة بطلانُه . وينبغي للكاتب أن يتخلّصَ من هذا الباب التخلُّصَ الحسن الذي يُزَيّنُ به الأثرَ من غير تصريحٍ بكذب ،

(١) كذا في الأصل . والأنسب « خبرا » . ليوافق ما عطف عليه بعد ، وهو « وإن كان خبراً يريد التورية عنه .. » .

(٢) في الأصل « الملل » .

ويتأبى الاعتدال والاعتذار ، ويتحيّل في إحالة العجز تماماً والحيف إنصافاً والتقصير تشميراً [١] ، ويخرجُ الباطل في صورة الحق ، ويُعرّض السّلطان للإحماد والتقريظ من حيث يستحق التأنيب والإذْمام ، فإنّ هذه سبيلُ البلاغة وطريقةُ فضلاء الصناعة . وقد أوضح ذلك عبدُ الله بن المقفع في صفة البلاغة وتحديدها أنها كشفُ ما غمض وتصوير الباطل في صورة الحق . وهذا كلام يشهد لنفسه بالصحة ، لأن الأمرَ الجميلَ الشاهد ، الحسن الظاهر ، المجمع على الاعتراف بفضله ، لا يحتاج في العبارة عن حسنه والدلالة على جماله إلى كدّ الخاطر وإتْعاب الفِكْر ، لأنّه يعضُد الألكنَ فكيف بالألسن ويوجده الطريقَ إلى البيان بما يستميله منه وينتسخه عنه ، وإنّما الفضْلُ في تحسين ما ليس بحَسَن وتصحيح ما ليس بصحيح بضروبٍ من التّمويه والحيل وخلق المعاذيرِ والعلل المعفّية على الإساءة والتقصير التي لا يشوبُها كذبٌ صراح ولا زور مطلق .

وإن كان أمراً ونهياً ، فيجبُ أن يؤكدَ ويجزمَ القولَ فيه من جهة كمّية الكلام لا من جهة كيفيته ، لأنّ حكمَ كتب الأوامرِ والنواهي السلطانية حُكْمُ [٢] التوقيعات الجازمة الوجيزة الجامعة للمعاني . هذا إذا كان الأمرُ والنهيُ واقعين في معنىً واحد لا يحتاج أن يرسم فيه ويمثل ما يكون العمل بحسبه ، فإن كانا ممّا يحتاج إلى رسْم رسوم أو تمثيل مثل يعمل عليها فإن

---

(١) ذكر في الاصل بعد هذه الكلمة « وما على الكاتب له » وقد حذفت هذه العبارة لعدم استقامتها في الكلام معها .

(٢) في الأصل « حكمَ » .

الحكم فيها مخالفٌ لما تقدّم ، لأنّها محتاجةٌ إلى الإطالة والتكريرِ دون الحذفِ والإيجاز ، وذلك كالذي يؤمرُ به ويُنهى عنه في الكتب المختصّة بالخراج وجباية الأموال وتدبّر الاعمال ، فإن سبيل هذه الكتب أن يقتص فيها ما رآه السلطان وأمر به ثم يختم بفصْل [١] مقصور على التوكيد في امتثال أمره وإنفاذه ، ولا يقتصر على ما تقدم من الاقتصاص إيجاباً للحجة وتضييعاً للعذر وحسْماً لأسبابِ الاعتلال .

وإن كان إحماداً وتفريطاً وثناءً ووعداً ، أو استقصاراً وتوبيخاً وعذلاً وتوعداً وجب أن يشبع الكلامَ ويمدّ القولَ بحسب ما يقتضيه آثار المكتوب إليه في الإساءة والإحسان والاجتهاد والتقصير ، لينشرحَ صدرُ المشمِّر المحْسن ويبسط أملُه ورجاؤُه [٢] ويُراع قلبُ المقصِّر المسيء ويرتدع عمّا يُذمّ منه ويتلافى ما فرّط فيه .

وأمّا ما يكتبُ فيه الأتباعُ إلى السلطان ومن يجاريه من الرؤساء فسبيل ما كان واقعاً منه في باب الإخبار بأحوال ما ينظرون فيه من الأعمال ويجري على أيديهم من المهمّات ، أن يوفي حقّه من الشّرح والبيان ويسلك فيه طريقة تجمع بين إيضاح الأغراض من غير هذرٍ يُضجر ويملّ ولا اختصار يقصّر ويخلّ ، وأن يقصد إلى استعمال الألفاظ السهلةِ التي تصل معانيها إلى الأفهام من غير مماطلة ، ويتجنب ما يقع فيه تعقيد وتوعر وإبهام وتعسّر ، إلا أنّه قد تعْرض في هذا النوع من المكاتبات حاجةٌ إلى استعمال الكنايةِ مكان

(١) في الأصل « بفضل » .

(٢) في الأصل « املـه ورجاءَه » .

الإفصاح)[1]، والتورية موضع الإيضاح ، والاستبدال من اللفظ الخاصّ بالمعنى المطابق له بلفظ يحفظ صورته ويخالفُ طريقتَه ، ولا يصرّح بالمعنَى كل التصريح ، فإنّه قد يتفقُ لمن يطالع الرؤساء بالأخبار والأنباء الحادثة أن يدفع إلى المُكاتبة بما لا يجور كشفُه وإنهاؤه على فصّه ، أو ممّا في ذكره على نصّه هتك سرٍّ ، أو في حكايته اطّراحُ مهابةِ السلطان وإسماعُه ما يلزم في حق الأدب إجلالُه عن سماعِه ، مثل لفظ قبيحٍ يطلقه عدوه فيه ، أو ما في الصِّدقِ عنه ما يسوءه ويخالف محبّته ، فيحتاج المنشيء إلى استعمالِ التورية في هذه المواضع ، والتلطّف في العبارة عن هذه المعاني ، وإبرازها في صُور تقضي حقّ السلطان في التوقير والإجلالِ والإعظام والتنزيه عن المخاطبة بما لا يجوز إمرارُه على سمعه ، وإيصال المعنى إليه من غير جناية في طي ما لا غناء به عن علمه ، وهذا ما لا يستقلّ به إلا المبرِّز في الصناعة المتصرّف في تأليف الكلام (وسبيل ما يقع في باب الشكر عن نعمْةٍ يسبغُها سلطانُه عليه ، وعارفةٍ يُسدِها إليه ألا يبني على إسهاب يتجاوز الحدّ ، فإن إطناب الأصاغر في شكر المتبوعين داخلٌ في باب الإضْجار والإبرام ، ولا سيّمَا إذا رجعوا إلى [2] تقدّم حرْمة ، وإنّما ينبغي أن يؤتى في هذا الفن باللفظ الوجيزِ الجامع لمعانيّ الشكر المشتمل على أساليب الاعتراف والاعتداد ، وكذلك لا يحسُن بالخواصّ الإكثار من الثناء على رؤسائهم ، لأنّ ذلك تملّق لا يليق إلا بالاباعدِ الذين لم يتقدّم لهم من المواتّ والحرم ما يدلّ على صحة عقائدِهم ولم يُضْف عليهم من النِعَم ما يوجبُ خلوصَ نياتهم ، فأمّا إن كان المُثْني أجنبيّاً متكسِّباً

(1) ما بين القوسين في صبح ٦ : ٣٢٢ بتصرف .

(2) بياض بالأصل مقدار كلمة .

بالتقريظ والثناء لم يقبح به الإيغال والإغراق فيهما ، وكذلك لا ينبغي للخاصّة أن يُكثروا من الدعاء ويكرروه في صدور الكتبِ وأثنائها ، لأن تكلّف ذلك أمر يستثقله حزَمةُ الملوك)[1] ويحملونه على التملّق الذي لا ترتضيه الحُصَفاء .

وسبيلُ ما يكتب به في مسئلة حُسْنِ النظرِ ألاّ يُبْنى على شكاية الحالِ من جُهدٍ وضرٍ وإقلال وفقر ، فإن التصاغر بذلك والتطويل فيه يجمع بين الإملال والاستثقالِ وذمِّ السلطان بتقصيره في أمره وإغفالِه النظرَ في حاله وبخسِه حظه من نعمته ، بل يجب أن(يُبنى القولُ على الإيجاز في الشكوى وتُمزج)[2] بالشكر والاعْتدادِ بالآلاء والرغبةِ في مضاعفة الإحسان والزيادة في البرّ والإلحاقِ بالطبقة الرائعة في أ يلاء العوارف ، فإنّ ذلك أعطفُ لقلب الرئيس وأدعى إلى بلوغ الغرض)[3]. وسبيلُ ما يكتب في باب التنصّل والاعتذار مما رُقّي إلى السلطان عن التابع(أن يُبنى على الاختصار ، ويُعدل فيه عن الإطناب والإكثار ، ويقصد إلى النكت التي تزيل ما عرضَ من الشبهة في أمرِه وتمحو الموجدةَ السابقة إلى ضميره ، ولا يصرّح ببراءةِ الساحة فإنّ ذلك مما يكرهه الرؤساءُ من أتباعهم ، لأنّ عادتَهم جارية بإيثار اعترافِ الخدم لهم بالتقصير والتفريط والإخلال بالفروض ، ليكونَ لهم في العفو عند الإقْرار عارفةٌ توجبُ شكراً مستَطْرَفاً ويدٌ تقتضي نشراً مستأنفاً ، فأما إذا أقامَ التابع الحجةَ على براءته ممّا قرن به فلا موضع للإحسان إليه في إقراره على منزلتِه والرضى عنه ، بل ذلك من الواجب له الذي إنْ منعَه إياه ظلمَه وتعدّى عليه)[4]. فهذا هو الحكم فيما يكتب به السلطان إلى أتباعه ويكتبُ به الأتباع إليه .

فأما أنواعُ المكاتبات البسيطةِ فليست مما يمكن الإبانةُ عما يجب استعمالُه

(١) ما بين القوسين في صبح ٦ : ٣٢ بتصرف ، وتقديم وتأخير .

(٢) في الأصل : « ويمزجها » .

(٣) ما بين القوسين في صبح ٦ : ٣٢١ بتصرف .

(٤) ما بين القوسين في صبح بتصرف .

فيها من إسهابٍ وتوسُّط وإيجاز بقوْلٍ جامع ، إلا أنّنا قد أنشأنا في المشهور منها الكثيرِ الدور في الاستعمال رسوماً ومُثُلاً أودعناها البابَ الثامن من هذا الكتاب ، وأوردنا في صَدْر كلٍّ مثالٍ القوانين الّتي ينبغي أن تستعمل فيه ، على أننا لا ندعي أنّنا وفّينا ذلك حقّه لان مَرامَ الإحاطة بكل ما ينتظمه يصعب ويتعذّر ، وصاحبُ الغريزة المطبوع إذا وقف على ما أوردناه اكتفى به إن شاء الله تعالى .

الترتيب :

وأما تدبيرُ الكلام من جهة ترتيبه ، فإنَّ الوجهَ فيه أن يضع الكاتب كلامَه من جهة ألفاظه ومن جهةِ معانيه في المواضع الّتي تقتضيها الصناعةُ ، ويستعمل في كلّ موضع ما يليق به من إيجازٍ ومساواة وإطْناب ، ويتصرف في تفخيم الألفاظ تارةً وتلطيفها أخرى التصرفَ الذي توجبه الأحوال الّتي تقعُ فيها المكاتبــة .

وهذا باب خطير الشأن يجب على الكاتب أن يصرفَ إليه عنايتَه ، ويوفّر عليه رعايتَه ، ويتحفظ من أن يتخلّله خلل أو يلمّ به زلل . ومدار الأمر في أحكامِه على تقسيم الألفاظ والمعاني على أقدار المخاطبين والمكاتبين والأمكنةِ والأزمنة والأحوال الّتي تقع فيها المكاتبة حسْبما قلنا فيما سلف .

فأمّا تقسيم المعاني فإنّها (وإنْ كان كل معنىً منها جنساً بعينه ، كالتّهنئة والتعزية والاعتذار والعتاب والاستبطاء ونحو ذلك ، فلا يجوز أن يخرجَ المعنى لكل مخاطبٍ على صيغة واحدةٍ من اللفظ ، وإنّما ينبغي أن يخرجَ في الصيغة

المشاكلة للمخاطب اللائقة بقدره ورتبته ، ألا ترى أنك لو خاطبت سلطاناً أو رئيساً بالتعزية عن مصيبة من مصائب الدنيا لما جاز أن يبنى الكلام على وعظه وتبصيره وإرشاده وتذكيره ، وحضّه على الأخذ بحظ من الصبر ومجانبة الجزع وتلقّي الحادث بالتسليم والرضى ، وإنّما الصوابُ أن يُبنَى الخطابُ على أنه أعلى شأناً وأرفع مكاناً وأوضح حزماً وأرجح حلماً من أن يعزى تنبيهاً وتذكيراً وهدايةً وتبصيراً ، ويعرف بالواجب في تلقيّ السرّاء بالشكر والضرّاء بالصّبر ، فإنك إنّما تبعثُ السُنّة في تأدية حقوق النائبة والعائدة والقيام بفروض المحبوب والمكروه ، وكذلك إذا كاتبت رئيساً في معنى الاستزادة والشكوى لا يجوز لك أن تأتي بمعناهما في ألفاظهما الخاصّة بهما ، بل يجب أن تعدلَ عن ألفاظ الشكوى إلى ألفاظ الشكر ، وعن ألفاظ الاستزادة إلى ألفاظ الاستعطاف والسؤال ، لتكون قد رتّبت كلامك في رتبته ، وأخرجت معناك مخرجَ من يستدعي الزيادة لا من يشكو التقصير[1])، حسبْـما بيّناه فيما تقدم ، وكذلك لو رفعَ رافع إلى السلطان نصيحةً لم يجز أن يوردَها مورد المُنبّه[2] له على ما أغفَله ، الموقظ لما أهمَلَه ، المعرف من الصّواب بما جهلَه ، القاصد إلى الشورى عليه برأي أضلّه ، لأنّ ذلك قبيح جداً لا يحتمله الرؤساءُ من الأتباع ، على أنّ السلطان أعلى عيْناً وأصحّ رأياً وأكثر إحاطةً بصدور الأمور وأعجازها ، وأن آراء[3] خَدَمِه أجزاء من رأيه ، وأنّهم إنّما يتفرسون في مخايِل الإصابة بما وفّقوا له من سلوك مذْهبه والتأدّب بأدبه والارتياض بسياسته والتنقل في خدمته، وأنّ ممّا يفرضونه في

(١) ما بين القوسين في صبح ٦ : ٣٠٤ (بتصرف) .

(٢) في الأصل : « التنبيه » . وما أثبتناه أعلاه هو المناسب للكلمات التالية : « الموقظ » .. « المعرف » ... « القاصد » ...

(٣) رسمت في الأصل « أاْراْأَ » .

المشاكلة للمخاطب اللائقة بقدره ورتبته ، ألا ترى أنك لو خاطبتَ سلطاناً أو رئيساً بالتعزية عن مصيبة من مصائب الدنيا لما جاز أن يبنى الكلام على وعظه وتبصيره وإرشاده وتذكيره ، وحضّه على الأخذ بحظ من الصبر ومجانبة الجزع وتلقّي الحادث بالتسليم والرضى ، وإنّما الصوابُ أن يُبنى الخطابُ على أنه أعلى شأناً وأرفع مكاناً وأوضح حزماً وأرجح حلماً من أن يعزى تنبيهاً وتذكيراً وهدايةً وتبصيراً ، ويعرف بالواجب في تلقيَ السرّاء بالشكر والضرّاء بالصّبر ، فإنك إنّما تبعثُ السُّنّة في تأدية حقوق النائبة والعائدة والقيام بفروض المحبوب والمكروه ، وكذلك إذا كاتبت رئيساً في معنى الاستزادة والشكوى لا يجوز لك أن تأتي بمعناهما في ألفاظهما الخاصّة بهما ، بل يجب أن تعدلَ عن ألفاظ الشكوى إلى ألفاظ الشكر ، وعن ألفاظ الاستزادة إلى ألفاظ الاستعطاف والسؤال ، لتكون قد رتّبت كلامك في رتبته ، وأخرجت معناك مخرجَ من يستدعي الزيادة لا من يشكو التقصير[1])، حسبَما بيّناه فيما تقدم ، وكذلك لو رفعَ رافع إلى السلطان نصيحةً لم يجز أن يوردَها مورد المُنبّه[2] له على ما أغفَله ، الموقظ لما أهمَلَه ، المعرف من الصّواب بما جهلَه ، القاصد إلى الشورى عليه برأي أضلّه ، لأنّ ذلك قبيح جداً لا يحتمله الرؤساءُ من الأتباع ، على أنّ السلطان أعلى عيناً وأصحّ رأياً وأكثر إحاطةً بصدور الأمور وأعجازها ، وأن آراء[3] خدَمه أجزاء من رأيه ، وأنّهم إنّما يتفرسون في مخايل الإصابة بما وفّقوا له من سلوك مذهبه والتأدّب بأدبه والارتياض بسياسته والتنقل في خدمته، وأنّ ممّا يفرضونه في

(١) ما بين القوسين في صبح ٦ : ٣٠٤ (بتصرف) .
(٢) في الأصل : « التنبيه » . وما أثبتناه أعلاه هو المناسب للكلمات التالية : « الموقظ » .. « المعرف » ... « القاصد » ...
(٣) رسمت في الأصل « اَاْراْاَ » .

لا يجوز خطاب طبقةٍ من الطبقات من الألفاظ إلا بالمتعارف الدّائر بينها ، وما أحسن قولَ الإسكنْدر لنوقوس الخطيب ، وقد خطب بين يديه في الحفل فطوّل الخطبةَ وأغْرَبها : « ليس الحسنُ أن تكون الخطبة على إطاقة الخاطبِ ولكن على إطاقة السامع » ، وإلى مكاتبةِ سُلطانه عن نفسه بما تدعوه الحاجة إلى المكاتبة به ، وهذا النوع لا يحتمل قويَّ الألفاظ ولا ضعفَيها ، لأنه يحرك فيه غير سلطانه منه على تعاطيه البلاغة في مكاتبته ، ويكلفه الفصاحة في مخاطبته ، وذلك غير جائز في الأدب ، ولا محتمل من خادم ، وإن تنازل إلى الطرف الآخر – أعني الألفاظ المبتذلة [1] الدائرة في مخاطبات السوقة – لوضع من السلطان بمقابلته إياه بما لا يشبه رتبته من الخطاب ، والدلالة على أنه إنّما يسهُل في مكاتبته لعلمه بتقصيره عن إدراك المعاني إذا وردتْ عليه في الألفاظ الكتابية . وإنما يجبُ أن يستعملَ في خطابه اللفظ المتوسّط الذي يشبه موضعَه من الخدمة ، وفي الخطاب عنه اللفظ العالي المشابه لموضعه من السلطان إذا اقتضتِ الحال ذلك .

هذا هو الأصل الذي تجب مراعاتُه أولاً ، فأمّا ما يتبعُه من آداب ترتيب اللفظ فإن الألفاظ المترادفةَ على المعنى الواحد مع تقاربها وتشاكلها ليست بمتكافئة في الدلالة عليه ، بل بينها مع التشابه والتقارب فروق لطيفة تميّز بعضها من بعض ، ومنها الأرفع الذي يدلّ على غايات المعنى ونهاياته ويحيط به أشدَّ إحاطة ، ومنها الأوضع الذي يدلّ على مبادئه وأوائله ولا يحيط به كليةَ الإحاطة ، وكل لفظةٍ من هذه الألفاظ يصلح للعبارة عن حال

(١) في الأصل « المتبدلة »

من الأحوال التي ينتظمـُها المعنى دون الأخرى ، ولطبقة من طبقات المخاطبين دون طبقة ، وينبغي للكاتب أن يعرف الفروقَ بينها وخواصّها في الدلالة ، ليعدل نظم كلامه ، ولا يشوب رفيعَه بوضيعِه ، ولا يدخل خطابَ[1] طبقةٍ في خطاب طبقةٍ أخرى .

ومثالُ ما حكيناه في هذه الألفاظ المتشابهةِ الواقعة في جنس واحد من المعاني المميّزة بالفروق الموجودة منها : أن يقولَ القائلُ « حسُن موقعُ الشيء منّي ، ولطُفَ موضِعهُ عندي ووقع بوفاقِ محبّي، ومشاكلةِ إرادتي » ، وأن يقول « آنسني الشيءُ ، وسرّني ، وأبهجني ، وأجذلني » وما شابهَهَا ، فإنها توجدُ متشابهةً لما بينها من التقارب والتشاكلِ والتّرادف على المعنى ، وهي مفترقة بدلالتها الخاصيّة وكلٌّ منها بازاء معنًى هو المطابق . وممّا يوضح التقاربَ الواقعَ بين الألفاظ المتشابهة التي يتخيّل سامعـُها أنها تدلّ على معنًى واحدٍ ما يوجدُ من الفرق بين منزلتي « التقريظ » و « الإحماد » ، فإنهما وإن كانا يشتبهان في بعض الوجوه حتى يُظَنَّ أنّهما يقتضيان معنًى واحداً فإنّ بينهما فرقاً واضحاً ، فما كلّ من يؤهّل للإحماد يؤهل للتقريظ ، وكذلك ما يُوجَد من الفرق من « الاستقصار » و « التوبيخ » فما كل من يستقصِر في فعلٍ يجوز توبيخُه ، بل هذه مراتب مختلفة في بابِي الرضا والسخط ، وذلك أن أول مراتب الرضا[2] التأهيل للإحماد والاحتباء ، والثاني للمدح والتقريظ ، والثالث للثناء والدعاء ، والرابع للوعد والتمنية وكريم المكافأة والجزاء — وأوّل مراتب السخطِ الاستبطاءُ والاستقصار ، والثاني التعجيزُ والتقريع ، والثالث

---

(١) في الأصل « خطابُ » .

(٢) كتبت في الأصل بالياء ، مع أنها كتبت في السطر السابق بالألف .

العذل والتوبيخ ، والرابع الإعْذار والوعيد . هذا هو المستعملُ في مكاتبة السلطان لمن دونه من كفاة أشغاله،وقد تقع في مكاتبة الإخوان شبيهٌ بهذا ، كالابتداء بالمعاتبة ، ثم يجاوزُها إلى الاستزادة ، ثم يُخطئُها إلى الشكاية ، ولهذا الألفاظ نظائرُ كثيرةٌ ، وقد تقدّم من القول على مراتب الأفْعال والنعوت ما فيه إقناعٌ وكفاية .

وينبغي للكاتب أن يتمهّر في العلم بهذا النّوع من الكلام ، ويعرفَ [1] الوجهَ في تصرّف هذه الألفاظ في الدلالة على المعاني ، لئلا يظنّ أنها متواطئةٌ فيُساهِلُ نفسَه في وضْع بعضِها مكان بعض ، وإنّما يجب أن ينظرَ إلى منزلة المخاطب في نفسه من رئيسٍ ونظيرٍ وتابع ومرتبة الأمر الذي تقع فيه المخاطبة ، فيختار الأجلّ من الألفاظ للأجلِّ من المخاطبين ، والأفخم منها للأفخم من المعاني التي يرومُ العبارةَ عنها ، وكما أن هذه الألفاظ ليست بمتساويةٍ في الحقيقة ولا متكافئة فليس سواءً أن يؤتى بها مفردةً وأن يؤتى بها مزدوجةً أو مثلثةً أو مربعةً ؛ لأن المراتب تتغيّر بحسب تغيّرِ هذه الألفاظ وزيادتها ونقصها ، فإنّ المخاطب إذا أفردَ اللفظةَ فقال « سرّني الشيء » كان ذلك دون أن يزاوج بين لفظتين فيقول « سرّني وأبهجني » ، وكذلك إن اقتصر على مزاوجةٍ واحدة كان ذلك في الترتيب دون أن يقرن بها مزاوجةً أخرى فيقول « سرّني وأبهجني وأجذلني وأفرحني » وكذلك إن أتى بمزاوجةٍ كان ذلك أكثر إجلالاً وتعظيماً ، إلا أن ما جاوز مزاوجتين من أمثال ما ذكرناه يثقل ويستقبح ، ولا يحسن الاختصار على اللفظة الفريدة ، بل يجب أن يؤتى

---

(1) في الأصل : ويعرفُ .

بمزاوجة واحدة أو مزاوجتين ، ليكون القطع على الأزْواج دون الأفراد ، فإن ذلك أحسن في السّمع وأبلغ في تزيين نظمِ الكلام .

ومن أدب ترتيبِ الكلام أن يبني الكاتب على ما أسّسَه من كلامه ، وإذا سلك طريقةً أن يمرَّ فيها ولا يتنازل عنها إن كانت رفيعةً ولا يرتفع منها إن كانت وَضيعةً ، ولا يخرج عن غرض إلى غيره يكمل كلّ [1] ما ينتظمُه ويتسلك فيه، ولا يأتي بما يخالفُه كأن ينشىء كتاباً في العدل فيشوب ألفاظَه بألفاظ تخرج عن الخشونة إلى اللين ، فإن اختلاف رقعةِ الكلام من أشدّ عيوبه ، وكذلك إذا افتتح كتابَه بخطاب فلا ينتقل عنه إلى غيره ، مثل أن يقول في صدره « أطال الله بقاءَ سيدي » ويقول في موضعٍ آخر « وحرس مدتك » ونحوه ، لأنه مخالفٌ على ما عُقد عليه الخطاب ، على أن النحويين قد أنكروا أن يُخاطب أحدٌ بغير الكاف وقالوا : قول الكُتّابِ « أطالَ الله بقاءَ سيّدي » دعاءٌ لغائبٍ ، إلا أن هذا من الاصطلاح الذي [2] لا يجوز مخالفتُه .

ومما يدخل في هذا الباب ترتيبُ الأجوبة ، فإنّ كُتب الرئيس إذا صدرتْ إلى عامله وتابعِه جواباً عما ورد إليه من جهته كان له أن يبنيها على الاختصار ويجمع معانيها في ألفاظٍ وجيزةٍ محيطة بما وراءها ، كأن يقول « وصل كتابُك في معنى كذا وفَهِمْناه» . فأمّا كتبُ التابع إلى الرئيس فإنها لا تَحتمل ذلك، بل الواجبُ أن يخلّي فصولَها على نصّها ويفيض على وجهها من غير إخْلالٍ

(١) في الأصل : كلما .

(٢) في الأصل : التي .

بشيء منها ، إعظاماً لقدر الرئيس وإجلالاً لخطابه . وليس للمجيب إنْ مرَّ في الخطاب الذي يقتضيه لفظةٌ غيرها أوقعُ في موقعها أن يبدلها بها ، لما في ذلك من الإشارة إلى أن له نقداً أصحّ من نقدِ رئيسه في ألفاظه ومعانيه ، فإن كان الفصْلُ مبنياً على شكره وتقريظه والثناء على مسعاه في الخدمة لم يجُزْ أن يأتي به على وجهه لأنّ ذلك غير مستحسن ، ولا أن يُغفِل ذكره دفعة فيكون قد أخلَّ بما يجب شكره من تشريف رئيسه له بوصفه وإحماده ، بل الواجبُ في اقتصاص ما هذه حالُه أن يرفع تلك الصفةَ على جملة يجعلُ نفسَه بعضَها ، كأن يقول « فأمّا ما وصَفَه من اعتدادِه بخادمه في جُملةِ من نهضَ بحقوق خدمتِه وقام بفروض طاعتِه ، وأهّله لما يرفع الأقدار من إحمادِه وثنائه ويُعلي الأخطارَ من شكره ودعائِه » وما يضاهي هذا من العبارة التي تشتمل على معاني ألفاظ الرئيس ، فإنّه إذا قصد هذه السبيلَ في الاقتصاص جمعَ بين البلاغة والإتيان على معاني ألفاظ رئيسِه والأدب في ترك التفخيم لنفسِه بإضافته إيّاها إلى جملةِ الخاصةِ دون إيقاعِ المدح عليها . وسنستوفي القولَ على ترتيب الأجوبة في الباب الثامن من هذا الكتاب ، بعد انقضاء أمثلة البُداءاتِ ورسومِها إن شاء الله .

وممّا يجب العملُ عليه في ترتيب الكلام أن يقصدَ الكاتبُ إلى استعمال ألفاظِ الصناعة التي نصَصْنا على فضلها ، ولا يخرجُ منها إلى ألفاظِ غريبةٍ عن الصناعة غيْرِ مجانسةٍ لها . وإنّما يؤتى الكاتبُ في هذا الباب من جهة أن يكون له شركة في صناعةِ غير الكتابة ، مثل صناعةِ الفقه والكلام وغيرهما ، ومثل صناعةِ أصحاب الاعراب والمتَعاطين لعلم الغريب ، ولكل أهلِ طبقةٍ من هذه الطبقات ألفاظٌ خاصةٌ بها يستعملونها فيما بينهم عند المحاورةِ والخوض

في الصناعة ، ومن عادة الانسان إذا تعاطى باباً من هذه الأبواب أن يسبقَ خاطرُه إلى الألفاظ المتعلقةِ به ، فيوقعُها في الكتب التي يُنشئُها لغلبة عادةِ استعماله إياها ، فيُهجِّنُها بإدخالِه فيها ما ليس من ألفاظها .

وممّا يجب العملُ به أيضاً في ترتيب الكلامِ أن يضيفَ الكاتبُ إلى كل معنىً ما يليق به وينخرطُ في سلكه ، فإذا ذكر النعمَ وسبُوغَهَا أتبعها بإخلاص الحمد والشكرِ لموليها سبحانه والاستزادةِ من فضله ، وإذا ذكر الشكوى شفعها بالاستغاثة بالله تعالى والرجوع إليه فيها وردَّ الأمرَ إلى حوْلِهِ وقوَّته ، وإذا ذكر البلوى قَرَنَها بسؤاله تعالى في دفع المحذور وصرف السوء[1] ، وإذا ذكر المصيبةَ أقرَّ بالرجوع لله تعالى فقال « إنّا لله وإنّا إليه راجعون »[2] .

ومما يتبعُ ما ذكرناه في باب ترتيب الكلام ، التأني لتدبير المقدمات المبينة عن أغراض الكتاب لتكون محيطةً بما وراءها جامعةً لبارع الألفاظِ وناصع المعاني .(والطريق إلى إصابة المرمى في هذه المقدمات أن تجعلَ مشتملةً على ما بعدها من الأغراض والمقاصد . وأن يوضعَ للأمر الخاصِ مقدمةٌ خاصة وللأمر العامِ مقدمة عامة ، ولا يطوّل في موضع الاقتصار ولا يقصر في موضع الإكثار ، ولا يجعل أغراضَها بعيدةَ المآخِذِ معتاصةً على المتصفِّح ، وذلك أنَّ الكاتب ربما قصد إظهارَ القُدرةِ على الكلام وتصرَّف في وجوه المنطقِ فخرجَ إلى الإمْلال والإضجار اللذين تُسرع النفوس إليهما ، ولا سيّمَا نفوسُ الملوك وذوي الأخطار . ولا يجعل بإزاءِ النثر مثلَ رقاعِ

(١) في صبح : وإذا ذكر البلوى شفعها بالاستعانة بالله تعالى (إلى تتمة السطر قبله) .
(٢) سورة البقرة : ١٥٦ .

التحف والهدايا مقدّمة تكثر ألفاظُها ، فإنّ ذلك غير جائز [١] ولا واقع في موقعه ، ألا ترى أنهم استحسنوا قولَ بعضهم في صدر [٢] رقعةٍ مقترنةٍ بتحفة « هذا يومٌ جرتْ [٣] فيه العادة بأن يُهدي العبيدُ إلى السادَة » واستطرفوا الكاتبَ لإيجازه وتقريبه المأخذ [٤]، وعلى هذا السبيل يجب أن يكون مذهبُ الكلام في التخفيف عن الرؤساء ، والإتيان باللفظ الخفيفِ والمعنى اللطيف ، وينبغي أن يكون الكلامُ في هذه المقدمات — مع لزوم شريطةِ الإيجاز وحذف الفضول — مجانساً لما يقع فيه الخطاب ، محركاً للقوة التي يعتمدُ عليها في نجاح المطْلبِ . ومثال ذلك أن يكون الكلام في التنصّل عند السلطانِ واستلال موجدتِه فيُبنى على تجزيل قوة الصفح والتجاوزِ والإذكار بما يؤمّله أولياؤه وخدّامُه من تغمده وصفْحِه ، أو يكون في الاستعطاف ومسألة حسْنِ النظر فيُبنى على هزّ قوة الجود والسَّماح والتنبيه على ما يلزم الخاصةَ والرؤساء والسادة من المحافظة على شروط الكرم ، أو يكون في النصْحِ والمطالعة بما يقتضيه الحزمُ وسداد السياسةِ فيُبنى على تجزيل قوّةِ الرأي والعقل نحو إعْمال الرّويّة في الأمور التي يُقدم عليها ويحجم عنها ، والإصغاء إلى ما يُورِدُه النصحاء والخلصاء الذين إنّما يَستخلصُهم للمطالعة بما يحضُرهم من الآراء وتدبير الخطوبِ التي يشاركونه فيها ، فينتحل ما يختارُه ويستصْوبُه ويرذّل ما يذمّه ويخطئُه [٥]. وفي جُملة القول أنه يجب على الكاتب أن لا تُخالفَ مقدمات كتبِه أغراضَها ومعانيها إلى ما لا يطابقُها . فقد قُلنا إن محلّ المقدمة من

(١) في الأصل « جايز » .

(٢) ذكر « في صدر » مرتين . وهو سهو من الناسخ .

(٣) في الأصل : جرتِ .

(٤) ما بين القوسين ورد بتصرف في صبح ٦ : ٢٧٩ . (٥) في الأصل « ويخطيه » .

الكتاب محل[1] الرأس من الجثمان والأساس من البنيان . والذي أتينا به كاف في معرفة أحكام البلاغة ، وأقسامها الأصليّة التي هي الألفاظ البسيطة والمعاني المجردة ، والمركّب منهما الذي هو ذاتُ البلاغة ، وتدبيره من جهة كيفيّته ومن جهة كميّتيه ومن جهة ترتيبه . ونحن نختم هذا البابَ على هذا الحد ، ونأخذ في القول على ما يليه إن شاء الله تعالى .

---

(١) في الأصل : محَلٍّ .

الباب الثالث

في أقسام البلاغةِ الفرعيّة

وإذا كنا قد استوفينا القولَ على أقسام البلاغة الأصلية الحالّة منها محلَّ الأركانِ والقواعد والأساسِ والأروم ، فلنأخذ الآن في القول على أقسامها الفرعية الواقعةِ منها موقع الأعضاء والأجزاء والأفنان والأغصان ، وهي عشرةُ أقسام : الإيجاز ، والاستعارةُ ، والتشبيه ، والبيان ، والنظم ، والترتيب ، والتلاوم ، والتصرّف ، والمشاكلة ، والمثل . ولنقدم قبلَ الأخذ في هذه الفنون القولَ على الحقيقة والمجاز ، والفرق بينَهُما ، والوجه في استعمالهما؛لحاجة الكاتب إلى العلم بهما في تصريف الكلام واختراع الاستعارات إن شاء الله تعالى .

قول في الحقيقة والمجاز[1] :

لمّا كانت العبارةُ هي الدلالةُ التي يُتوصَّل بها إلى الإفهام ، وكان لا

(1) انظر في معجم البلاغة العربية : ما ورد عن الحقيقة ١ : ٢٠٧ — ٢١١ وما ورد عن المجاز =

سبيلَ إلى إيصال المعنى المحمولِ عليها إلى الفهم إلاّ بأن تكون مبيّنة على التحقيق دون التوسع – احتيج إلى معرفة الفَرْقان بين الحقيقة والمجاز ، لئلا يُطلق القولُ مجازاً على معنىً فيظن سامعُه أنه حقيقةُ ذلك المعنى .

فالحقيقة : هي القولُ الدالّ لصيغة اللفظ الذي لم يُغيّر عن أصله المستغنى في الإبانة عن وسيطه من مراجعة شيءٍ يكون أصلاً لذلك اللفظ . وهي على ضربين : أصلية ، وفرعيّة ، فالأصلية هي التي لم تغيّر العبارة فيها عن أصلها ، كقولك « اللهُ العادلُ »؛والفرعيّة هي التي تقلب إلى أصْلٍ ثانٍ يحل منها محلّ الأول في الإبانة عن المعنى من غير تقدير الأصل ، كقولك « الله العدل » ، وذلك أنّ العدْل يصدر ، ولكنه كثر فظهرَ معناه كظهور معنى الأوصافِ وصار دالاً من غير تقديرِ الأصل كما تدل الحقيقة الأصلية .

وأما المجاز : فهو القولُ المعبّر عن أصله الدالّ بتقدير الأصلِ المفتقر في الإبانة إلى وسيطةِ مراجعة [1] شيء يكون أصلاً لذلك اللفظ ، وهو كقوله تعالى « واسئل القرية » [2] ، لأنه يدلّ متى قدّر أصله ورجع إليه ، وهو : واسئل أهل القرية . ولكلّ مجازٍ حقيقة وهي ذكرُ الأصل ، وجميعه مُغيّر عن أصله ، وأصله حقيقتُه المرجوع . وأكثر ما يقع المجاز في الحذف والاستعارة والتقديم والتأخير توسعاً في اللغة .

= ١ : ١٦٧ – ١٧٢ وانظر : باب المجاز في العمدة (ت: محيى الدين) ١ : ٢٦٥ – ٢٦٨ وانظر ما يتعلق بالمجاز على الخصوص في الطراز (المقتطف ١٩١٤) ١ : ٦٣ – ٨٩ ثم ذكر الأحكام المشتركة بين الحقيقة والمجاز في المرجع نفسه ١ : ٨٩ – ١٠٣ .

(١) في الأصل : مراجعَةٍ .

(٢) سورة يوسف . الآية ٨٢ .

والفرق بين الحقيقة والمجاز ، أن المجاز إنّما يظهر معناه بردّه إلى أصله ، والحقيقة معناها ظاهرٌ في لفظها لا يحتاج أن يردّ إلى غيره . ولا يخلو استعمال المجازِ من أن يكون للبلاغة ، أو للتوسّع في العبارة ، أو لإيضاح المعنى وتقريبه ، ولهذا يُعدل عن الحقيقة إليه .

ومن المجاز في كتاب الله تعالى قولُه في الكافر : « فأمّه هاوية » [١] لمّا كانت الأم كافلةَ الولدِ وكانت النار للكافر كذلك جعلها أمَّه ، وقوله في أزواج رسولِ الله ﷺ « وأزواجُه أمهاتُهُم [٢] » أي كأنهن أمهاتُهم[٣] في الحرمات ، وقوله تعالى : « سنفرغُ لكم أيُّها الثقلان [٤] » ومجازه سنقصد لكم بعد طول التّرك والإمهال ، لأنّ الله تعالى لا يشغله شأنٌ عن شأن .

ومن المجاز في كلام النّاس قولُ القائل « سل الأرضَ : من شقّ أنهارَك ، وغرس أشجارَكِ وجنى ثمارَكِ ، فإن لم تجبْك حوارا ، أجابتك اعتبارا » فاستعار لفظ « سل » وإنما يريد استَدِلّ ، واعتبر بالأرض ، وفيه حذف أيضاً ، لأنه أراد فقل[٥] من شقّ أنهارك . ومنه قولُ امريءِ القيس[٦] :

---

(١) سورة القارعة . الآية ٩ .

(٢) سورة الأحزاب . الآية ٦ .

(٣) في الأصل « أمهاتِهم » .

(٤) سورة الرحمن . الآية ٣١ .

(٥) هذه الكلمة سقطت من الناسخ فذكرها راسية في أعلى السطر بين « أراد » و « من » وأردفها بقوله « صح » .

(٦) امرؤ القيس بن حجر الكندي . في اسمه أقوال (انظر : التصحيف للعسكري ، وشرح شواهد الإيضاح لابن يسعون ، وإلى جانب لقبه امرؤ القيس كان يلقب ذا القروح . (انظر سبب هذه التسمية في شرح الدريدية لابن خالويه وكذا في الصحاح للجوهري) =

وليلٍ كموج البحْرِ مُرخٍ سُدُولَه
عليّ بأنواعِ الهُموم ليبتَلي

فقلتُ لـه لما تمطّى [1] بصُلْبِـه
وأرْدَفَ أعجازاً [2] وناءَ بكَلْكَلِ :

ألا أيها اللّيلُ الطويلُ ألا انْجَلي
بصبْحٍ ، وما الإصباح فيك بأمثل [3]

فاستعار السدولَ وهي الستور ، وتمطّى ، وأردف ، والكلكل وهو

= وكان يطلق عليه الملك الضليل أيضاً . وكنيته أبو الحرث (المزهر ٢ : ٤٢٤) . وانظر ترجمته وأخباره في : المزهر ٢ : ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠ ؛ والأغاني (دار الكتب) ٩ : ٧٧ والشعر والشعراء ٣١ وخزانة البغدادي ١ : ١٦٠ ودائرة المعارف الإسلامية ٢ : ٦٢٢ . وانظر البيت الثاني في المزهر ١ : ٣٦٤ .

(١) كتب أسفل هذه الكلمة بخط التعليق الصغير « امتدت » .

(٢) كتب أسفل الكلمتين (أعجازا وناء) بخط التعليق الصغير : « يعني ازدادت مآخره امتداداً » .

(٣) كتبت أسفل هذه الكلمة بخط التعليق الصغير « أي بأفضل » . كما كتب إلى يمين الأبيات بخط التعليق وبحجم أكبر من حجم ذلك الذي كتب به أسفل الكلمات :
« وفي الصلب ثلاث لغات مشهورة : بضم الصاد وسكون اللام ، وبضمهما ، وبفتحهما ، ولغة غريبة وهي الصالب » وأردف ذلك بكلمة « زوزني » إشارة إلى النقل عنه . وكتب أيضاً على شمال الأبيات بخط التعليق وبمثل الحجم الذي كتب به عن يمينها : « والمعنى قلت لليل لما فرط طوله ، وناءت أوائله ، وازدادت أواخره تطاولا . وطول الليل ينبيء عن مقاسات للأحزان والشدائد والسهر المتولد منها ، لأن المغموم يستطيل ليله والمسرور يستقصره » وأردف ذلك أيضاً بكلمة « زوزني » . وانظر الأبيات في ديوان الشاعر (ت: أبو الفضل) : ١٨ وديوانه (شرح السندوبي) : ١٥١ ـ ١٥٢ وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط) : ١٥١ ، ١٥٢ وانظر البيت الثاني أيضاً في المزهر ١ : ٣٦٤ وقواعد الشعر (ت: عبد التواب) : ٥٧ .

الصَّدر ، وخاطب الليلَ بالأمر على جهة استعارة اللفظ ، والأصل في « مُرْخٍ سدولَه » متكاثف الظُلْمة ، وفي « تمطّى بصلبه » امتدَّ الوقت ، شبّهه بالكسلان الذي يتمطّى ولا يبرحُ في موضعه ، وفي « أردف أعجازاً » أتى بظُلمةٍ بعد ظلمة ، وفي « ناء بكلكل » تهيأ أولُه للذهاب ، شبهه بالبعير اذا نهض بصَدْره ، وفي « ألا انجلي » ليتَ الليل انْجلَى بالصباح . ومنه قولُ الكُمَيْت [1] :

أخبَرتْ عن فعالِه الأرضُ واستنْـ ـطقَ منها اليَبابَ والمعمورا

أراد أنّه حفر فيها الأنهارَ وغرس الأشجارَ وأبّر الآبار ، فلما تبيّنَتْ للنّاظر صارت كأنّها مُخْبِرةٌ بذلك . وقولُ عوف بن الخَرِع [2] ، وذكر الـدّارَ :

وقفْتُ بها ما يبيـنُ الكـلام لسائلها القولَ إلا سِرَارا [3]

يقول ليست تبين الكلام لمخاطبها ، إلاّ أن ظاهرَ ما ترى دليل على الحال ، فكأنّه سرارٌ من القول .

وقول الآخر : شكا إليَّ جملي طُولَ السُّرَى [4]

---

(١) اشتهر في العصر الأموي ويطلق عليه شاعر الهاشميين ، وله في مدحهم عدة قصائد تسمى « الهاشميات » وهي مطبوعة . توفى ١٢٦ هـ .

(٢) انظر ترجمته ص ٣٢٧ من المفضليات بقلم المحققين : أحمد شاكر هارون .

(٣) الموازنة (ت: السيد صقر) : ٤٧٩ وفيها « تبين » موضع « يبين » .
وانظر البيت في المفضليات (ت: أحمد شاكر وهارون ط ٤) : ٤١٣ « بها أصلاً ما تبين لسائلها » .

(٤) تمامه : صبرٌ جميل فكلانا مبتلي . والبيت ورد في كتاب سيبويه غير معزو (انظره =

والجملُ لم يشكُ ، ولكنه خبّر عن كثرة أسفاره وإتعابه جملَه ، فقضى على الجمل بأنّه لو كانَ متكلّما لاشتكى ما بِهِ . ومثله قول عنترةَ ، وذكرَ فرسه :

فازورّ من وقعِ القَنَا بلَبانِـهِ وشكا إليّ بعَبْرَةٍ وتحَمْحُمِ [١]

ليس للفرس شكوى ولا استعبار ، لكنه لما كان الذي أصابه يُشكى منه ويُستعبر جعله شاكياً مُسْتَعْبَراً ، ولهذا قالت الحكماء « كلُّ صامت ناطق » يُريدون أن أثر الصنعة يدل على محدثه ومدبّره . ومنه قوله تعالى : « فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضَّ [٢] » ومثله قولُ الشاعر [٣] :

إن دهراً يلفّ شملِي بسَلْمَى [٤]

لزمــان يعــمّ بالإحســانِ [٥]

= في نشرة : هارون) ١ : ٣٢١ وفيه « يشكو » موضع « شكا » وذكر وروده في أمالي المرتضى ١ : ١٠٧ ، وكذا في شروح سقط الزند ٦٢٠ برواية « صبراً جميلاً » .

(١) شرح المعلقات للزوزني (دار صادر ــ ودار بيروت ١٩٦٣) : ١٥٢ وديوانه (ت: عبد المنعم شلبي) : ١٥٣ وديوانه (دار صادر ببيروت) : ٣٠ والصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ١١٥ وجمهرة اشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٤٦٣ وفيها « وازور من وقع القنا فزجرته فشكا ... » .

(٢) سورية الكهف . الآية ٧٧ .

(٣) هو بشار بن برد (كما ورد في الظرائف واللطائف ص ٩) وهو حسان (كما ورد في نهاية الأرب ٧ : ٨١) وهو عمر بن أبي ربيعة (كما ورد في ديوانه « الوطنية بيروت » ٢٨٦) .

(٤) في الأصل « بشملي » .

(٥) ديوانه (الوطنية بيروت) : ٢٨٦ وديوانه (نشرة الطاهر عاشور) ٤ : ٢٢٠ =

وقول الآخر [1] :

يريدُ الرمحُ صَدْرَ أبي بــراءٍ ويرغبُ عن دماءِ بني عقيلِ

وأمثال هذا كثير .

وقد يجيء من المجاز ما يشكل ، وهو المصادر ، كالتحرّك والسكونِ ، والبقاءِ ، والوجود ، وذلك أن هذه الأسماءَ موضوعةٌ على تقدير أنّه إنْ كان للموصوف معنى لأجله صار على ما وُصفَ به فالاسم له حقيقةٌ ، وإن لم يكن له معنىً لأجله صار على ما يوصفُ به فالاسم له مجازٌ ، فلما كان التحركُ والسكون واقعيْنِ على معنىً كان الاسم لهما على الحقيقة إذ هُما على ما قُدِّر ، ولما كان البقاء والوجود لا يقعان على معنىً لم يكن الاسم حقيقةً وكان مجازاً . والأصلُ في وضْع الجميع التشبيهُ بما يتيقن أنه من أجلِ معنىً كقولك « والدٌ » من أجل الولد ، و « موسرٌ » من أجل اليسار ، وما أشبهه فهو على التقدير ، والأصل في التقدير كان معنى بهِ صار بالبقاء باقياً كما صار الموسِرُ باليسار موسِراً ، فأجرى المصدر الذي لا يتيقن على التقدير ، وجعل اللفظ موقوفاً في الحقيقة والمجاز على ما يُخرجُه الاستنباط ، ولغموض هذا

= نقلا عن الظرائف واللطائف : ٩ ـ وفيه « يضم » مكان « يلف » و « قدهم » مكان « يعم » . ونهاية الأرب ٧ : ٨١ وروايته « يلف شملي بجُمْلٍ . لزمان يَهُمْ » . ودلائل الإعجاز : ٢٣٠ ـ وروايته « يلف شملي بسعدي . لزمان يهم » . والصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٢٧٧ وذكر قبل البيت « وأنشد الفراء : » والطراز (ط : المقتطف) ٢ : ٢٢٠ وفيه « يضم » موضع « يلف » و « يهم » موضع « يعم » و « سهدى » موضع « سلمى » .

(1) ورد في البيت في الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٢٧٧ وفي الاضداد لابن الانباري (الحسينية بمصر) : ١٤٧ .

المعنى غلط قوم فجعلوا الحركةَ والسكون كالبقاء والوجود في أنهما أسماء لا مسمّى تحتها ، وإنّما تم ذلك عليهم لأنهم راعوا المقايسةَ بالألفاظ دون الاستدلالِ والاعتبار ، ومن حُكْم المجاز أن لا تقعَ عليه مقايسةٌ ، وذلك أنه لو سأل سائلٌ عن قوله تعالى«فوجدا فيها جداراً يُريـد أن ينقضّ»فقال : هذه الإرادةُ من فعل مَنْ ؟ لأخطأ ، إذ المجاز لا يقعُ فيـه قياس وإنمـا يقاس بالحقيقة ،والمجازُ لا يتصرّف تصرف الحقيقةِ ولا يطّرِد اطرادها ، ألا ترى أنّه يقال إن الله تعالى بكلِّ مكان ولا يُقالُ إنه في البيتِ ولا في السوق . ومن المجازِ ما يشكل معناه حتى يفسّر بالحقيقة ، ومن ذلك قولُه سبحانه « فأتى الله بنيانـَهم من القواعـدِ [1] » معناه أتاهم ببأسه ، وقوله « ثم استوى على العرش [2] » أي استولى ، وقوله « استوى إلى السماء [3] » أي قصَدَ وعمدَ . وقد تتداخل الحقيقةُ والمجاز فيشتبهان ، والطريق إلى تمييز أحدهما عن الآخر أن يراعى الكلام ، فما كان مفتقراً إلى إحضار ذِكْرِ الأصل فهو مجاز ، وما استْغنى عن مراجعة الأصل فهو حقيقة أصلية ، وما دلّ وهو [4] فرعٌ واستغنى عن مراجَعَةِ أصْله لكثرته وظهوره فهو حقيقة فرعية .

وتنفصلُ الحقيقة من المجاز بتغيرِ الكلام عن أصله ، إما بزيادة ، أو نقصان ، أو حذفٍ،أو إبدالٍ ، أو تقديمٍ ، أو تأخير :

فالزيادة أن يكون الكلام بإدْخالِ الكلمة وإخْراجِـها لمعنى واحد ،

---

(1) سورة النحل . الآية ٢٦ .

(2) سورة الأعراف ، انظر الآية ٥٤
وسورة الرعد ، انظر الآية ٢
وسورة السجدة ، انظر الآية ٤
وسورة يونس ، انظر الآية ٣
وسورة الفرقان ، انظر الآية ٥٩
وسورة الحديد ، انظر الآية ٤
وسورة فصلت ، انظر الآية ١١

(3) سورة البقرة . انظر الآية ٢٩

(4) في الأصل « فهو » .

كقوله تعالى :

« فبما رحمةٍ من اللهِ »[1] « ولما أن جاءت رسُلُنا[2] » « للذين هم لربِّهم يرهبون[3] » « ما أريدُ منهم من رزقٍ[4] » « فليحذَرِ الذين يخالفون عن أمره[5] » « ولقد مكنّاهم فيما إن مكنّاكم فيه[6] » و « عمّا قليل[7] » و « أيّاًما تَدْعوا[8] » و « ليس كمثْلِه شيءٌ[9] » ونظائر لهذه كثيرة في كتاب الله سبحانه وتعالى ؛ وكقولك : ما جاءني من أحد ، وليس زيد بقائمٍ .

والحذف أن يكونَ الكلامُ لا يصحّ حتى يقدر معه شيء آخر ، كقوله تعالى :

« واسئل القرية » أي أهل القرية ، وقول العربِ : بنو فلانٍ تطؤُهُم الطريقُ ، أي أهل الطريق .

والإبدال أن يكون الأصلُ غيرَ الملفوظ في الاستعمال ، وهو يقع في باب الاستعارة كثيراً ، كقوله تعالى : « سميع الدعاء » أي مجيب الدعاء .

---

(١) سورة آل عمران . الآية ١٥٩ .

(٢) سورة العنكبوت . الآية ٣٣ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٥٤ . في الأصل « والذين ... » .

(٤) سورة الداريات ، الآية ٥٧ . في الأصل « وما » .

(٥) سورة النور . الآية ٦٣ .

(٦) سورة الأحقاف . الآية ٢٦ .

(٧) سورة المؤمنين . الآية ٤٠ .

(٨) فوق « تدعو » كلمة (صح) . سورة الإسراء الآية ١١٠ .

(٩) سورة الشورى . الآية ١١ .

والتقديم والتأخيرُ أن يكون الكلام على غير أصْلِه في الترتيب ، كقولهم : أدخلتُ القلنسوة في رأسي ، وإنّما هو أدخلتُ رأسي في القلنسُوَة . وقد يُغيّر الشيء عن الأصْلِ ولا يغير ما كان في معناه ، وذلك كقولهم في صفة الله تعالى : عليٌّ بمعنى قاهر ، ولا يقولون : رفيع بمعنى قاهر . وأول التغير مجاز ، فإذا كثر حتى يستغنِي في دلالته عن مُراعاةِ أصله فهو حقيقة ، فتقول : لم يزلِ اللهُ عليّاً ، لأن هذه اللفظة قد كَثُر استعمالُها بمعنى قاهر حتى صارت حقيقةً .

والفصْل بين الحد والحقيقة أنّ الحدَّ يُفيدُ علماً بالمحدود غيرَ العلم الأول ، والحقيقة إنما تأتي بالدلالة الموضوعةِ له على التحقيق دون المجاز ، فإن قال قائل : ما حقيقة سميعِ الدعاءِ ؟ قلنا : مجيبُ الدعاءِ ، وهذا ليس بحدٍّ إذ لا يفيد علماً غير العلم الأوّل ، والحدّ [ليس] من التفسير اللُّغويِّ في شيءٍ . والحد لا بد أن يفصل المحدود من غيره ويميّزه من سواه ، والحقيقة قد تكون ما ليس له غير ، كقولك : الشيء فإنه لا غيْر له فيفصل منه . وأيضاً فإن الحدَّ يقُوم من الجنس والفصل ، والحقيقةُ تقوم من الأصل . والحقيقة نظير الأصل في العبارة ، والتحقيق نظير التحديد ، ومُطابقةُ اللفظ للمعنى نظيرُ الحقيقة ، والفرع في الكلام والتعبير عن الأصْلِ نظير المجاز ، والعلةُ التي من أجلها كان القول حقيقةً دلالته على المعنى بغير وسيطةٍ ، وسواء كان ذلك في أول الوضع أو صار عليه فيما بعدُ ، والعلةُ التي لأجلها كان القول مجازاً دلالتُه على المعنى بتقدير الأصْلِ ، ولا يكون كذلك إلاّ وهو معبّر عن

الأصل . وقد تكونُ دلالة المجاز أوضح من دلالة الحقيقة وذلك بالإيجاز والاستعارة ، أما الإيجاز فلسُهُولة المطلبِ وقربِ المتناوَل ، وأمّا الاستعارة فلإخراج ما لا تقعُ عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة.والمجاز كلّه مع ذلك إذا وقع فيه التباسٌ[1] فُسِّر بالحقيقة ، وإنّما يكونُ المجازُ أوضح إذا أوْصَلَ إلى النفس معنى الحقيقة وزاد عليه في الدّلالة ما يكون تميّز له المثل المضروب للحقيقة ، فأمّا إذا عَزُبَ عن النفس معنى الحقيقة فلا بدّ من الرجوع إليه بالتفسيرِ له .

وقد ذهب قومٌ إلى أن المجاز كذبٌ . وهذا قولٌ فاسدٌ ، لأن الصدق والكذب إنّما يدخُل في الاخبار ، ولو كان المجاز كذباً وكل فعل ينسب إلى من لا يصح منه الفعل باطلاً لفسد أكثر الكلام ، لأنهم يقولون : نَبَتَ البقلُ ، وطال السّحَر ، وأينع الثمر ، ورخص السِّعْرُ،وكان هذا الفعل منك في وقت كذا ، والفعل لم يكن وإنما كوّن ، والله سبحانه يقول « فإذا عزم الأمرُ[2] » والأمر لا يعزم وإنما يعزم[3] عليه ، ويقول « فما ربحت تجارتُهم»[4] والتجارة لا تربح وإنما يُربح فيها . ولو شاء معبّر أن يعبّر عن هذه الأحوال وأمثالها بعبارةٍ لا ينسب إليها فعلٌ لتعذّر عليه في هذه اللغة ، نعم وفي غيرها من اللغات . والعرب تقول : بأرض بني فلان شجرٌ قد صاح ، إذا طال،لما تبين الشجر للناظرين بطوله دلّ على نفسه جعلوه كأنه صائحٌ ، لأن الصائح

(١) في الأصل « الناس » .
(٢) سورة محمد . الآية ٢١ .
(٣) في الأصل « عزم » وكتب في الهامش « صوابه يعزم » .
(٤) سورة البقرة . الآية ١٦ .

يدل على نفسه . ومثله قولُ العجاج [1] :

كالكَرْمِ إذ نادى من الكافور [2]

وتقول : هذا شجرٌ واعدٌ ، كأنّه لما نوّر وعد أن يثمر ، ونبات واعد ، إذا أقبلَ بماءٍ ونَضْرة . قال سُوَيْد بن كُراع [3] ، وذكَر النّورَ :

رَعَى غيْرَ مَذْعورٍ بهنّ وراقَه
لَعَاعٌ تَهاداهُ الدكادكُ واعِدُ [4]

وهذا كافٍ في تعرف أحكام المجاز .

قول في الإيجاز [5] :

قد [6] ذكرنا عندَ القول على كمية الكلام المواضعَ التي تصلح للإيجاز والاختصار وحذفِ فضول الكلام ، واستوفينا ما يختصّ بهذا المعنى هناك استيفاءً لا نحتاجُ معه إلى إعادةِ قولٍ فيه . ونحن نذكر ها هنا ماهية الإيجازِ

---

(1) عبد الله بن رؤبة . راجز مجيد . ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها ، ثم أسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك . توفي نحو سنة ٩٠ هـ .
(2) ورد في العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٦٧ .
(3) شاعر فارس . توفي نحو سنة ١٠٥ هـ (انظر ترجمته في الأغاني ١١ : ١٢٣ والشعر والشعراء ٢٤١) .
(4) ورد في العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٦٧ وفيه « لعاع » « بضم اللام » .
(5) انظر « الحذف – من الإيجاز » في معجم البلاغة العربية ١ : ١٧٧ – ١٨١ .
(6) هذه الكلمة في الأصل « قد » والأنسب ان تكون « عند » .

وأوضاعه والوجه في استعماله ، لنكون قد وفّينا هذا الكتاب حقّه بوضع كل فنٍّ منه في موضعه ، فنقول : إنّ الايجازَ هو العبارة عن الغرض بأقلّ ما يمكن من الحروف . وهو على ضربين : أحدُهما – مطابقة العبارة للغرض من غير زيادةٍ ولا نقص ، وهذا الذي قلنا فيما تقدّم أنه مساواة اللفظ للمعنى . والآخر – أن يكون في اللفظ حذفٌ للغناء عنه في ذلك الموضعِ ، كقولك : بنُو فلانٍ يطؤهم أهل الطريق ، والسخاء سخاء حاتم ، والمحذوفُ بنو فلانٍ تطؤهم الطريق ، والسخاء حاتمٌ .

وقد يحذفون المبتدأ ، كقولهم : الهلالُ واللهِ ، وقوله تعالى « سورةٌ أنزلناها [١] » ، أي هذا الهلال ، وهذه سورةٌ . ويحذفون الخبر ، كقوله سبحانه « طاعةٌ وقولٌ معروف [٢] » ، أي طاعةٌ وقول معروف أمثل . ويحذفون خبرَ إنّ ، كقول الشاعر [٣] :

إنَّ محلاًّ ، وإنّ مُرتحـــلاً ، وإنّ في السّفْرِ إنْ مضَوْا مَهَلا [٤]

---

(١) بدء سورة النور .

(٢) سورة محمد . الآية ٢١ .

(٣) هو الأعشى الأكبر (ميمون بن قيس) وكنيته « أبو بصير » من شعراء الطبقة الأولى الجاهلية . توفي سنة ٧ هـ .

(٤) مطلع قصيدة له يمدح فيها سلامة ذا فائش . ديوانه (دار صادر ١٩٦٦) : ١٧٠ وفيه « ما مضى » مكان « إن مضوا » وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٣٦٤ وفيه « من مضى » مكان « إن مضوا » وكتاب سيبويه (ت: هارون) ٢ : ١٤١ واورد المحقق « ابن الشجري ١ : ٣٢٢ والخصائص ٢ : ٢٧٣ وابن يعيش ١ : ١٠٣/٨ : ٧٤ والخزانة ٤ : ٣٨١ والهجمع ١ : ١٣٦ ويس ١ : ١٦٩ » والطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ٢ : ٢٢١ =

أي إنّ لنا محلاً . ويحذفون الجواب ، كقوله عزّ اسمه « ولو أنّ قرآنا سُيّرتْ به الجبالُ أو قُطِّعَتْ به الأرض أو كُلِّمَ به الموتى [1] » كأنه قيل : لكان هذا القرآن ، وقولِهِ تعالى « وسيق الذين اتقوا ربّهم إلى الجنة زُمَراً حتى إذا جاءوها وفتّحت أبوابها وقال لهم خزنتُها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين [2] » فكأنه قيل : حصلوا على النعيم الذي لا يشوبُه تكدير ، وإنما صار حذفُ الجواب ها هنا أبلغ من إبيانه لأن النفسَ تذهبُ فيه كل مذهب ، ولو ذكر لكان مقصوراً على ما ذكرناه . ويحذفون المضاف ويقيمون المضاف إليه مقامه ويجعلون الفعلَ له ، كقوله تعالى « وأُشْرِبوا في قلوبهم العجْلَ [3] » أي : حب العجل ، وقوله « ولكن البرَّ من آمن بالله [4] » أي : بِرُّ من آمن بالله ، وقوله « واسئل القرية [5] » أي : أهل القرية ، وقول الهذلي [6] :

يُمَشّى بَيْنَنا حانوتُ خَمْرٍ
من الخُرْسِ [7] الصَّراصِرَةِ القِطَاطِ [8]

= وفيه « إذ » موضع « إن » . وكذا في نهاية الأرب ٧ : ٨١ وفي معاهد التنصيص (بولاق) ٩٢ « وإن في سفر من مضى مثلا » ورواية اللسان (حلل) : « وإن في السفر ما مضى مهلا » .

(١) سورة الرعد . الآية ٣١ .

(٢) سورة الزمر . الآية ٧٣ .

(٣) سورة البقرة . الآية ٩٣ .

(٤) سورة البقرة . الآية ١٧٧ .

(٥) سورة يوسف . الآية ٨٢ .

(٦) هو المتنخل .

(٧) لم يثبت في الأصل من كلمة (الخرس) سوى الالف واللام . وانظره في جمهرة أشعار =

(٨) انظر البيت في ص ١٧٣ من « خلق الإنسان » للأصمعي (ضمن مجموعة الكنز اللغوي =

أي : صاحب حانوت خمرٍ . ومن الحذف أن يُوقعَ الفعل على شيئين وهو على أحدهما ويضمر للآخر فعله ، كقوله تعالى « يطوفُ عليهم ولدانٌ مخلّدون . بأكواب وأباريق وكأسٍ من معين. وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . وحور عين [1] . » والفاكهة والحور واللحم لا يطاف بها ، وإنّما أراد : ويؤتون بفاكهةٍ ولحم وطير وحور ، وكقول الشّاعر [2] :

إذا ما الغانياتُ بَرَزْنَ يوماً وزجّجْنَ الحواجبَ والعيُونا [3]

والعيون لا تزجج ، وإنما أراد : وزججن الحواجب وكحّلن العيون . ويحذفون الكلمةَ والكلمتين اختصاراً ، كقوله تعالى « ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربّهم ، ربّنا أبصَرْنا وسمعنا [4] » أي يقولون ربنا أبصَرنا وسمعنا ، وكقول ذي الرّمة يصف حميرا :

= العرب للقرشي (ت: البجاوي ط1) : 597 ورواية البيت فيها :
ويمشي بيننا ناجود خمر مع الخرص الضباطرة والقطاط
وفي الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : 181 .

= باعتناء الدكتور أوغست هفنر) وانظره في ديوان الهذليين 2 : 21 وفي الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : 181 .

(1) سورة الواقعة . الآيات 17 و 18 و 20 و 21 و 22 .

(2) هو الراعي النميري ، عاصر جريراً والفرزدق وكان يفضل الفرزدق فهجاه جرير هجاءً مراً ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل . توفي 90 هـ .

(3) العيني 3 : 91 و 4 : 173 وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (المعارف) : 148 والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : 182 .

(4) سورة السجدة . الآية 12 .

فلمّا لَبِسْنَ اللّيْلَ أو حين نصّبَتْ
لَهُ من خَذَا آذانها وهْوَ جامِحُ [1]

أراد : أو حين أقبل ، وكقوله تعالى « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة [2] » أي : هي للذين آمنوا في الحياة مشتركةً وفي الآخرة خالصةً . ويحذفون بعض الكلام بالاختصار والإضْمار فيشكل ، كقوله تعالى « أفمن زيّن له سوءُ عمله فرآه حسَناً فإن الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء ، فلا تذهب نفسُك عليهم حسَرات [3] » والمعنى: أفمن زيّن له سوءُ عملِه فرآه حسناً ذهبت نفسُك حسرةً عليه فلا تذهب نفسُك حسراتٍ عليهم فإن الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء ، وكقول الشاعر [4] :

فلا تدفنوني إنّ دفني مُحرَّم
عليكُمْ ولكنْ خامري أمَّ عامرِ [5]

يريد : لا تدفنوني ولكن دعوني للّتي يقال لها إذا صيدت : خامري [6]

---

(1) انظر البيت في الديوان (طبعة كلية كمبردج) : ١٠٨ وقد وردت فيه الكلمة الأخيرة : « جانح » .

(2) سورة الأعراف . الآية ٣٢ .

(3) سورة فاطر . الآية ٨ .

(4) هو الشنفري الأسدي . جاهلي ، يماني ، من فحول الطبقة الثاني . توفي سنة ٧٠ ق‌هـ .

(5) ورد البيت في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ١٨٣ وبدؤه « لا تدفنوني » بدون الفاء ، وفي حماسة البصريين (حيدر آباد ١٩٦٤) ١ : ٩٤ وبدؤه « لا تقبروني إن قبري » . والذي في اللسان (مادة ــ عمر) :

لا تقبروني إن قبري محرم عليكم ولكن ابشري أم عامر

(6) سقطت الكلمات « إذا صبدت خامري » من الاصل وكتبت في الهامش راسية مردفة بـ « صح » .

أمّ عامر ، يعني الضيغم ليأكلني . ويحذفون جواب القسم ، كقوله تعالى « ق ، والقرآن المجيد . بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب . أئذا مِتْنا وكنا تراباً [1] » كأنه قيل : ق ، والقرآن المجيد لتبعثُنَّ ، فقال الكافرون هذا شيء عجيب ، أئذا متنا نُبْعث ، ثم قالوا : ذلك رجع بعيد . ويحذفون « لا » من الكلام ، والمعنى إثباتها ، كقوله تعالى « تالله تفتأ تذكر يوسف [2] » والمعنى : لا تزال تذكر يوسُف ، وكقول الشاعر [3] :

فقلتُ يمينَ اللهِ أبرحُ قاعِــداً [4]

ومن الحذْفِ أن يضمروا لغير مذكور اختصاراً ، كقوله تعالى « حتّى توارتْ بالحجاب [5] يعني : الشمس ، ولم يذكرها قبْلُ ، وكقول لبيد [6] :

---

(١) سورة ق . الآيات ١ ــ ٣ .

(٢) سورة يوسف . الآية ٨٥ .

(٣) هو امرؤ القيس .

(٤) هذا صدر بيت ، وعجزه : ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي . ديوان الشاعر (ت: أبي الفضل) : ٣٢ . وقد ورد في الصناعتين (ت : البجاوي وأبي الفضل) : ١٨٤ .

(٥) سورة ص ، ٣٢ .

(٦) أحد الشعراء الأشراف الفرسان في الجاهلية . أدرك الإسلام ووفد على النبي ويعد من الصحابة ، وترك الشعر فلم يقل إلا بيتاً واحداً ، قيل : هو « ما عاتب المرء الكريم كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح » توفي سنة ٤١ هـ .

والبيت في شرح ديوانه (ت: د. احسان عباس) : ٣١٦ ، وشرح المعلقات للزوزني (صادر وبيروت ١٩٦٣) : ١١١ وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٣٢٣ ، والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ١٨٥ .

حتّى إذا ألقتْ يداً في كافـــــــرٍ

وأجَنّ عَوْرَاتِ الثغورِ ظَلامُهَا [1]

ويحذفون الصفات ، كقوله عزّ اسمه « وإذا كالوُهم أو وَزنوهم [2] يخسرون [3] » والمعنى : وإذا كالوا لهُمْ أو وزنوا لهم يُخْسِرون . ومن مُستحسنِ الإيجاز المطابق قوله تعالى « ولكم في القِصاصِ حياة [4] لما فيه من حُسنِ النظم ، وقلّةِ الحروف ، ووُضُوح الإبانةِ ، وقوله تعالى « يحسبون كلّ صيحة عليهم [5] » والغرض فيه المبالغةُ في وصفهم بالفزع ، وقد باغ في سهولة العبارة وقلة النظم كل مبلغ في الوصف بذلك ، وقول النبيّ ﷺ « إنكم لتكثرون عند الفزَع وتقلون عند الطمع » وقوله « المرءُ كثير بأخيه » ، وقول عليّ عليه السلام « قيمةُ كل امرىء ما يُحسِنُ » ، وقوله « المرء

---

(1) في الأصل « طلامها » .

(2) ذكر الراغب في مفرداته (وزن) : يقال وزَنْتُ لفلان ووَزَنْتُهُ كذا ، ثم ساق الآية الكريمة . وقال أبو حيان في تفسيره : وكال ووزن مما يتعدى بحرف الجر ، فتقول كلت لك ووزنت لك ، ويجوز حذف اللام كقولك : نصحت لك ونصحتك ، وشكرت لك وشكرتك ـ والضمير في « كالوهم » و « وزنوهم » ضمير نصب أي كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجر ووصل المفعول بنفسه والمفعول محذوف وهو المكيل والموزون .
وقد ورد في الأصل « وزنوا هم » ولعل المؤلف لم يرد جعل الضمير « هم » ضمير نصب ، بل أراد جعله ضمير رفع موافقاً بذلك عيسى بن عمر وحمزة حيث كانا يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان وقيفة يبنيان بها ما أرادا . ولكن الزمخشري قال « ولا يصح أن يكون ضميراً مرفوعاً للمطففين ، لأن الكلام يخرج به إلى نظم فاسد » (انظر بيان ذلك وما قيل بشأن إثبات الألف وعدم إثباتها في الكشاف « لبنان » ٤ : ٧١٩ و « الحلبي » ٤ : ٢٣٠).

(3) سورة المطففين . الآية ٣ .

(4) سورة البقرة . الآية ١٧٩ .

(5) سورة المنافقين . الآية ٤ .

مخبوءٌ تحتَ لسانِه وتكلّموا تُعرَفوا » ، وقول ابن عباسٍ وقد سُئِل أنىّ لك هذا العلم؛فقال « قلب عَقُول ولسان سئول » . والإيجاز على ضربين : حذفٌ ، وحصرٌ ، فالحذفُ إسقاط كلمةٍ من الأصْل ، وقد مُثِّل بأمثلةٍ كثيرةٍ ، والحصْرُ إيرادُ المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة . كقول امريءِ القيس :

على هيْكلٍ يُعطيك قبْلَ سُؤالِهِ (١)
أفانينَ جَرْيٍ غيْرَ كَزٍّ ولا وَانِ (٢)

لأنه قد جمعَ بقوله « أفانين » ما لو فصّله وعدّده لكان كثيراً ، فالكلامُ يُنسبُ إلى الطُّولِ لثلاثة أشياء : الخروج عن الغرض ، وسُلوك الطريق الأبعد في الإبانة عن المعنى ، وكثْرة الفائدة ، فالأول — كالذي يدخلُ في الدعاء من الإطْراءِ والتعظيم والتشبيب الذي يتقدم المدح ، والثاني—كقولك تحرّك حركةً سريعة في مكان أسْرع ، والثالث — كقولك في المدح فلانٌ نعم الرجل ، فإن قلتَ : صحّتْ ديانته وتمّتْ مروءته ، فقد أفدت تفسير الأول ، فإن قلت : كريم الأصل زكيّ الفرع ، فقد زدْت في الفائدة ما لم يتقدّم ذكره في جُملةٍ ولا تفصيل والكلام يتفاضَلُ في الإيجاز، وذلك

---

(١) سقط من الشطر الأول في الأصل الكلمتان : « قبل سؤاله » وكتب البيت — ما عدا هاتين الكليمتين — متصلا .

(٢) ديوانه (ت: أبي الفضل) : ٩١ وديوانه (شرح السندوبي) : ٢٠٩ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٦٦ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٧ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٤٩ وفيه « سابح » موضع « هيكل » . والعمدة (ت: محيى الدين) ٢ : ٥٢ وفيه « واني » بإثبات الياء .

كقولك : لو جاز أن يُقوّم الإنسان لكانت قيمتُه بحَسَبِ ما يُحْسِنُ ،
وأحسن منه وأبلغ قولُ عليٍّ عليه السلام « قيمةُ كلِّ امرىءٍ ما يحسن » .
ومن مُسْتَحْسَنِ الشعرِ الموجَز قول زُهَيْر [1] :

مَنْ يلق يوماً على علاّتــه هَرِمــاً
يلقَ السماحةَ منه والنّدى خُلُقاً [2]

وقول جرير :

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنــو تَميـــمٍ
حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهُـــمْ غِضَابَا [3]

---

(١) هو زهير بن سلمى ، حكيم الشعراء ، وصاحب المعلقة المشهورة . توفي سنة ١٣ ق هـ .

(٢) انظر ديوانه (بيروت ١٩٦٤) : ٤٣ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٥٣٠ وفيهما « إن تلق ... تلق ... » وشرح ديوانه ، صنعة ثعلب : ٥٣ حيث يقول الشارح : وروى هو [أي أبو عمرو] والأصمعي :
من يلق .... يلق ....
ثم أتبع ذلك بقوله : وروى الأصمعي :« إن تلق يوماً ». وسر الصناعة (ت: الصعيدي): ٤٧٧ وخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ١٢٢ وشرح بديعية الباعونية (على هامش خزانة ابن حجة) : ٤٢٧ وحماسة ابن الشجري « حيدر آباد » : ٩٥٠ والعمدة (ت: محيى الدين) ١ : ٣٣٣ و ٢ : ٥١ و ١٣٤ وانظر الطراز (المقتطف) ٣ : ١٠٤ .

(٣) البيت في ديوانه (شرح الصاوي) : ٧٨ وقد ذكر محرفاً فيه كلمتان : (غضبت) ذكر (غضبتَ) و (كلهمُ) ذكرت (كلهم) بوضع سكون على الميم .
وفي ديوانه (بشرح ابن حبيب) : ٨٢٣ وفي ديوانه (دار صادر — بيروت) : ٦٤ كما ورد في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢١٦ . وجوهر الكنز (ت: د. سلام) : ١٦٠ .

وقال عبدُ الرحمن بن حسان [1] :

وإنَّ امرءاً يُمسي ويُصْبح سالماً
من النّاسِ إلاّ ما جنى لَسعيدُ [2]

والنّظم الوجيز كثير . والاختصار على ضربين : اختصار [3] بإسْقاطِ معنى ، واختصار من غير إسقاط معنى ، فالاختصار بإسقاط معنى يحسنُ عندَ ذكر الأهمّ وما كانت الحاجة إليه ألزم لتقدّم الأوْلى بالتّقدمَةِ ، والاختصار من غير إسقاط معنىً يكون لخمسةِ أوجُهٍ : الجملة ، والاستعارة والتّشبيه ، والتخليص والترتيب .

فالاختصار بالجُملة يوضحُه التمثيل بالعدد ، لأنك إذا قلت « عليه تسعةٌ وأحد عشَر وثلاثة عشَر وسبعة عشر « كان قولك وعليه خمسون » أخْصَر من التفصيل ولم يخل ، ومن الاختصار بالجملة ذكر الجنس بدلاً من الأنواع كقولك « الله خالقُ الأفلاك والأرضين والرياح والأمطار والسّحب والحيوانات وغيرها من الجزئيات والكليّات » فإذا اختصرتَ قلتَ « الله خالقُ كلِّ جوهر

---

(1) هو ابن حسان بن ثابت شاعر الرسول . وقد اشتهر بالشعر في زمن ابيـه . وفي تاريخ وفاته خلاف بعضهم يذكر سنة ١٠٤ هـ .

(2) في ديوان الحماسة (بشرح التبريزي) نسب هذا البيت واربعة قبله إلى رجل من بني قريع انظر ٢ : ١٩ . وفي المستطرف (الحلبي) ١ : ٨٦ « صعد حسان على اطم من آطام المدينة ونادى باعلى صوته : يا صباحاه ، فاجتمعت الخزرج فقالوا ما عندك ؟ قال قلت بيت شعر احببت أن تسمعوه . قالوا : هات يا حسان ، فقـال : وإن امرءاً أمسى وأصبح (البيت) .

(3) الكلمات « على ضربين اختصار » سقطت من الناسخ فكتبها مائلة أسفل السطر عنـد مكانها منه واردفها بـ « صح » .

موجود » أتيتَ بالمعنى من غير إخْلالٍ ، إلا أن تفصيل الأنواع أبْيَنُ ، فذكرُهُ يحسنُ في موضع الإطناب للبيان ، ومنه وضع الاستخبارِ على الانتظام كقولك « أين فلانٌ» فقد انتظم كل ما يستخبر عنه من الأمكنة ، وأغنى عن قولك « أفلان بالشامِ أم بمصْر أم بالعراق أم بغيْرِها ».

والاختصار بالاستعارة يبين المعنى الغامض،ويُخرج ما لا تقع عليه الحاسّةُ إلى ما تقع عليه الحاسّة وما لم تتمكن بـــه المعرفةُ إلى ما تتمكن به، ويوجب اختصاراً لا محالة ، لأنّه لو عبر عنه على الحقيقة لاحتيج إلى شرْح طويل يظهرُه بعد غموضه ، ومثال ذلك أنّك لو أسقطتَ الاستعارة من قول امريء القيس في وصف الفرس « قيد الأوابد » لاحتجتَ أن تقول : « هذا الفرسُ لشدّة عَدْوه يتمكّن من أخذ الأوابد أشدّ تمكّن فكأنّه يقيدها » وصفته بـ « قيد الأوابد » يغني عن هذا كله .

والاختصار بالتشبيه [1] يُخرجُ المعنى الأغمضَ إلى الأوضح كما تُخرجُه الاستعارة،وذاك أنك إذا قلتَ « إدراك العقل للمعاني كإدراك البَصَر للمبصرات» أوْضحتَ واستغنيتَ عن إطالة الشّرح والتفسير .

والاختصار بالتخليص أنك إذا خلّصتَ معنى ممّا اختلط به استغنيْتَ أن تذكرَ ما ليس منه مع ذكره ، وهذا يُدرك بالبحث عن الغرض وما يُحتاجُ في الغرض إليه وما يُطابقُه ، فإذا علمتَ هذه الأشياءَ بانَ الحشوُ في الكلام والفضول التي لا يُحتاج إليها .

---

(١) في الاصل « بالنسبة » وهو خطأ من الناسخ .

فأمّا الاختصار بالترتيب فانّ الترتيبَ إذا وقع في الكلام بانَ واستغنى عن الشرح ، وإذا عُدم الترتيبُ استغلق واحتاج إلى التكرير والتفسير ، ومن عرفَ مرتبةَ الشيء قصدَه واستغنى عن تطلبّه ، ولا يستوى من طلب شيئاً ومن يعرفُ موضعَه ، إذ من طلبَ شيئاً وهو يعرف موضعَه غير محتاج إلى تكلّف ما يحتاج إلى تكلّفه من طلب شيئاً وهو لا يعرف موضعَه ، وهذه سبيل المعاني إذا رُتبت وإذا لم تُرتّب .

والإيجاز والإطناب المَقرونان بالإبانة داخلان في حكم البلاغة ، كما أنّ التقصير والتطويل داخلان في حُكم العيّ كما ذكرنا فيما سَلَف . والإيجاز شرْطه ألا يخل بشيء من المعنى المفاض فيه ، وليس كذلك التقصير فإنه لا بدّ من تخلّل الإخلال له . والإطناب حكمه تفصيل المعنى وإيراد توابعه واقتصاص الفروع المتشعبة منه في المواضع التي يحْسن فيها التفصيل،وله أمكنة يفتقر فيها إلى استعماله قد عددْناها فيما تقدّم ، وأما التطويل فعيٌّ لأنه تكلّف الكثير فيما يكفي فيه القليل ، ومستعملُه كسالك الطريق البعيدة جهلاً منه بالقريبة النّزهة ، ومستعمل الإطناب البين ليس كذلك لأنه كسالك طريق بعيدة . والإيجاز أيضاً على وجهين : أحدهما — إظهار النكتة بعد الإحاطة بشرح الجملة ، وهذا يكون في العلوم القياسية ، لأن الجملة إذا حصلتْ اكتفى بحفْظ النكتة لأنها حينئذ تكون دالةً عليها ، وهذا الضّربُ من الإيجاز لا يكون إلاّ بعد ما يتقرر في النفس من المعرفة بشرح الجملة . والآخر — اختصار المعنى بأقلّ ما يُمكن من العبارة ، وهذا لم يتقرر له حال خاصّة يكون جاراً لها من حيث يعلق بها عند من فهم كيف وجْه التعلّق فيهما . وهذا كاف في معرفة أحكام الإيجاز ، ومع بسْطِنا للقول في الإيجاز تعريفنا بضُروبه

ووجوهِه فلا ينبغي للكاتب أن يستعمل أكثر ما ذكرناه من الحذف الواقع فيه في الرسائل ، ذاهباً في ذلك مذهب القرآن ، فإن القرآن نزل بلغة العرب فخوطبوا بالمتعارف بينهم وليس كذلك حكم الرسائل ، وإنما ينبغي له أن يعرف أحكامَه ، ويكون الذي يستعملُه من الإيجاز جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة ، والمطابقة التي هي مساواة اللفظ للمعنى في المواضع التي تقتضي ذلك حسبما بيّناه في باب البلاغة وأقسامِها الأصلية .

قول في الاستعارة (١) :

للاستعارة موقعٌ من البلاغة خطير ، وموضع من الإبانة كبير ، لأنها إذا وفيت حقّها ووضعتْ بحيث يليق بها أكسبت(٢) اللفظ جوهريّةً تنقله عمّا كان عليه لو استُعمل على ما وضع في اللغة [و] زادته وضوحاً يضوع أريجه ويسيغ أجيجه . والفرق بينها وبين التشبيه أن التشبيه على أصله في الكلام لا يستعمل إلاّ بأداته الموضوعة له في أصل اللغة فلم يتغيّر عن حقيقته ، وليست كذلك الاستعارة لأنها تعليق العبارة على غير ما وُضعت له في أصل اللغة . وكل استعارة فلا بدّ فيها من ثلاثة أشياء : مستعارٌ منه ، ومستعارٌ له ، ومستعار ، فالمستعار منه هو معنى الأصْل الذي وضعت له العبارة أوّلاً ، والمستعار له هو

---

(١) انظر ما ورد عنها في معجم البلاغة العربية ١ : ٢٩ و ٣٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٤١ و ١٤٢ و ٢١٣ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٤١٣ و ٤٧٥ و ٤٧٦ .
وفي العمدة (ت: محيى الدين) ١ : ٢٦٨ ــ ٢٧٧ وفي الطراز (ط ــ المقتطف) ٣ . ٣٣٤ ــ ٣٣٩ وفي البديع (نشرة خفاجي) : ٦١٣ .

(٢) في الأصل « كسبت » .

معنى الفرع وهو المعنى الذي لم توضع [1] له العبارة أوّلاً ، والمستعار هو اللفظ الذي نقل عن معنى الأصل إلى معنى الفرع . والمستعار منه والمستعار له لا بدّ من اشتراكهما في معنى واحد ، إلاّ أن المستعار منه هو الحقيقة ، وله قوة في المعنى والدلالة ليست للمستعار له ، ولولا اشتراكهما في معنىً واحدٍ لم يكن هناك مناسبة ولا مقاربة ولكان كلّ واحدٍ منهما غريباً من الآخر وكانت الاستعارة لا تحسن . وكل استعارة فهي جمعٌ بين شيئين بمعنىً مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه ، إلاّ أن الاستعارة تنقل الكلمة والتشبيه بأداته الدالة . والاستعارات كلها تتضمّن معنى التشبيه ، وليس كلّ تشبيهٍ يتضمّن معنى الاستعارة . وكلّ استعارة بليغة فهي تُوجب بياناً لا تقوم فيها الحقيقة مقامَها ، ولو قامت الحقيقة ذلك المقام لأجزْت ولم يحتج إلى الاستعارة . ولو استعرت استعارة اجتمع المستعار له والمستعار منه فيها في معنيْين متشاكلين غير متماثلين لم يخرجهما ذلك من أن يكون المشاكلة تجمعهما في معنىً من أجله تشاكلاً إمّا بالنفس وإمّا بغيْرها.ولا تخلو استعارةٌ من حقيقة ومعنى مشترك بين المستعار والمُستعار له وبيان لا يفهم بالحقيقة؛فالحقيقة هي أصل الدلالة على المعنى في اللغة ، كقول الله تعالى « وقدْمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا [2] » وحقيقةُ « قدمنا » عمدنا ، و « قدمنا » أبلغ ، لأنه يدلّ على أنّه عامَلَهم مُعاملةَ القادم من سفره ، لأنه لإمهالِه إياهم كالغائب عنهم ، فلمّا قدم رآهم على خلاف ما أمَرَ به ، والهباء المنثور ما يُرى [3]

---

(1) في الأصل : توضـع .

(2) سورة الفرقان . الآية ٢٣ .

(3) في الأصل : ترى .

في شعاع الشّمْس الداخل من الكوى ، والهباء المنبث ما سطع من سنابك الخيل ، وإنما أراد أنّا أبطلناه كما أنّ هذا مبْطل لا يلمسُ ولا ينتفع به ، وكقوله « فاصدعْ بما تؤمر [١] » حقيقته فبلّغ ، إلا أنّ للصّدع تأثيراً كتأثير صَدْع الزجاجة [٢] ، والتبليغ قد يضعف حتّى يكون لا تأثير له ويجمع معناهما الاتصال ، والاتصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغُ من الاتصال الذي لا تأثير له ، وكصفة امرىء القيس الفرس بـ « قيد الأوابد » والحقيقة مانع الأوابد ، و « قيد الأوابد » أنصع وأبلغ وكقولهم « العروض ميزان الشعر » حقيقته تقويم الشعر ، والاستعارة فيه أحسن ، والمعنى المشترك بين المستعار والمستعار له والبيان الذي يفهم بالاستعارة ولا يفهمُ بالحقيقة يتضح بهذا التمثيل ، قال الله تعالى « واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة » المستعار منه جَناح الطائر ، والمستعار له الذلّ ، والمعنى الذي يجمعهما الانخفاض ، والبيان الذي يفهم بالاستعارة ولا يُفهمُ بالحقيقة أن انخفاض الطائر بجناحه أبين من انخفاض الإنسان بدلالة أنه يساعد انخفاض الطائر بجناحه وله في ذلك قوة ليست لغيره ، لأنه على حسب قوته في الاستعارة تكون قوتُه في الانخفاض ، وقال سبحانه « واشتعل الرأس شيباً [٣] » المستعار منه النار ، والمستعار له الشيب ، والمعنى الذي يجمعهما الانبساط ، وانبساط النار فيما وقعت فيه أقوى ، فالقوة ها هنا للانبساط وهي أبْيَنُ ، وقال سبحانه « وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريحَ

---

(١) سورة الحجر . الآية ٩٤ .

(٢) في الأصل « الزجاج » ثم كتب فوق الجيم الأخيرة « جه » مردفة بـ « صح » .

(٣) سورة مريم . الآية ٤ .

العقيم[1] » المستعار منه المرأة ، والمستعار له الريح ، والمعنى الجامع لهما النشء ، والمرأة العقيم يمنع منها نشء ولدٍ والريح يمتنع منها نشء سحاب . وعلى هذا جميع الاستعارات .

والاستعارة على ضربين : حسنة ، وقبيحة ، فالحسنة : ما أوجبتْ بلاغةً ببيانٍ لا تنوبُ فيه الحقيقة منابها ، كوصْف امرىء القيس الفرسَ بقيْد الأوابد ، والمراتبُ على مراتب في القبح،فأقبحها ما خلا من وجوه البلاغة ، وأقربها من الحسنة ما كثُرت فيه وجوه البلاغة ، وما بين ذلك يرتب على حسب كثرة أسباب[2] البلاغة فيه وقلّتها . وقد عاب قومٌ على أبي تمام[3] قولَه[4] :

لا تَسْقني ماءَ المَــلام فإنّنــي
صبٌّ قد استعذَبْتُ ماءَ بكائي[5]

لأن قوله(ماءَ الملام)لا بيان فيه ، بل قوله(لا تلُمني)وهو حقيقة أوجز وأبين . ومثل هذا قد يُحسُن بعضَ الحسن لما فيه من مطابقة ماء الملام بماء البكاء ، كما تحسن الاستعارة على المزاوجة ، وهي كقوله تعالى « فمن اعتدى

---

(١) سورة الذاريات . الآية ٤١ .
(٢) في الاصل : أسباب (بضمة على آخره) .
(٣) حبيب بن أوس الطائي . توفي ٢٣١ هـ .
(٤) ديوانه (ت: عبده عزام) ١ : ٢٢ والمثل السائر (ت: د. الحوفي و د. طبانه) ٢ : ١٥٥ . والموازنة (ت: محيى الدين) : ٢٢٢ و (ت: صقر) ٢ : ٢٦١ .
(٥) هذا هو البيت الثاني من قصيدته التي يمدح فيها يحيى بن ثابت. والبيت الذي قبله هو:
قدك اتئب أربيــت في الغلواء كم تعذلون وأنتـم سجرائي

عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم [1] » ، فالاعتداءُ الثاني ليس باعتداءٍ وإنّما هو جزاء ، وفي هذه الاستعارة بيانٌ لا تبلغُه الحقيقةُ . وأما قوله [2] :

تسعون [3] ألفاً كآساد الشرى نَضجَتْ
أعمارُهم قبلَ نُضْج التّين والعنَب [4]

فاستعارةٌ في غاية القُبح ، إذ ليس فيها بيانٌ يحسن في البلاغة لا تؤديه الحقيقة ، ولا مطابقة كالمطابقة التي في البيت المتقدم ، على أنَّ بعض المفسرين قد احتجّ له في هذه الاستعارة بأن الرّوم كانوا يقولون لا ينضج التين والعنبُ حتّى يهلك هؤلاء القوم ، فلمّا أهلكهم المسلمون قبلَ الوقت الذي كانوا ينتظرونه استعمل هذه الاستعارةَ على وجه التكذيب ، وهذا ما لا يلزم أن يعرفه السامع ولا يجري إلى خلده . ومن الاستعارة القبيحة قولُ بعضهم [5] :

اسفِري للعُيون يا ضَرَّةَ الشّمْسِ [6]

لبُعدِه من جميع طرق الاستعارة وخروجه عن دائرتها ، وما جرّأ هذا المستعير على الاستعارة إلا ظنّه أن الضرّة لا تكون إلاّ وضيئة جميلة . ومما

---

(1) سورة البقرة . الآية ١٩٤
(2) أي : قول أبي تمام .
(3) في الأصل « سبعون » .
(4) ديوانه (ت: عبده عزام) ١ : ٦٩ ومعجم الأدباء (مرجليوث) ٦ : ٥١٤ و ٥١٥ .
(5) في العمدة : بعض المولدين .
(6) ورد في العمدة (ت: محيى الدين) ١ : ٢٧٢ وفيه « لي النقاب » موضع « للعيون »

يفرق بين الاستعارتين القبيحة والحسنة قول الشّاعر :

أيا مَنْ رمى قلبِي بسَهْمٍ فأنفذا

فقولُه « فأنفذا » استعارة حسنة ، لأنّها بلاغةٌ في وصف السُّرعة والسُّهولة ، وكذلك لو قال « فاقْصدا » لأنها بلاغةٌ في تحقيق الإصابة ، ولو قال « فأدخلا » أو « فأوْلَجا » لكانت استعارةً قبيحة مخالفةً للبلاغة ، لأنها لا توجب المبالغةَ في الوصف بالسّهولة والسرعة .

والأصل في الاستعارة أنّ العربَ كانت تستعير الكلمةَ فتضعُها مكانَ الكلمة إذا كانت مجاورةً لها أو بسببٍ منها ، فيقولون للنبات : نَوءٌ ، لأنه عن النوء يكون . قال رُؤبَة [1] :

وجَفَّ أنواءُ السّحاب المرتَزِقْ [2]

أي جفَّ البقْلُ . ويقولون : أصابنا ربيع باكرٌ ، أي مطرٌ ، لأنه يكون في الربيع . ويقولون للمطر : سماءٌ ، لأنه ينزل من السماء ، قال الشاعر : [3]

---

(١) أراجيز العرب : ٢٧ وديوان رؤبة (نشرة وليم بن الورد) وروايته :
وخف أنواء الربيع المرتزق .
وعلق ناشره بما يلي : (أبو عمرو) انواء السحاب .

(٢) في الأصل « المورق » .

(٣) نسب هذا البيت لمعاوية بن مالك بن جعفر المعروف بمعود الحكماء : في المفضليات (ت: شاكر وهارون) : ٣٥٩ ولسان العرب (مادة سما) ، وفي الحماسة البصرية (حيدر آباد) ١ : ٧٩ ومعجم الشعراء (ت: فراج) : ٣٩١ وبعضهم ينسبه لجرير خطأ ، كابن رشيق في العمدة (ت: محيى الدين) ١ : ٢٩٦ . وورد غير منسوب : في الصناعتين =

إذا سقَط (١) السماءُ (٢) بأرض قومٍ
وطئناه (٣) وإن كانوا غِضَابَـــا

ومنه قولُهم : ما زلْنا نطأُ السّماءَ حتى أتيناكم . ويقولون : وسم فلانٌ فلاناً بميسم سوء ، إذا ألصق به عاراً ، قال الله تعالى في الوليد بن المغيرة « سَنسِمُه على الخرطوم (٤) » أي نُلصق به عاراً ، ولا عار أفحش ممّا وصفه به من الحِلفِ والغيبة والنميمة والبخل والظُلم والإثم والجفاء والدعوة .

قال جرير :

لَمّا وضَعْتُ على الفرزدق مِيسَمِي
وضَغَا البعيثُ جَدَعْتُ أنفَ الأخطَل (٥)

= (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢٧٦ ونسبه المحققان لمعاوية بن مالك ، وفي الموازنة (ت: محيي الدين) : ٣٢ و (ت: صقر) : ٣٤ وقال المحقق الاول : ينسب لجرير وهو خطأ والصواب أنه لمعاوية بن مالك ، ونسبه المحقق الثاني لمعود الحكماء ، وفي نهاية الارب (دار الكتب) ٧ : ١٤٤ ونسبه المحقق لجرير بن عطية الخطفي .

(١) (نزل) في المفضليات ، وفي الاصمعيات ، وفي الموازنة (ت: محيى الدين) أما الموازنة (ت: صقر) ففيها « سقط » كالاصل ، وفي نهاية الأرب ، وفي شرح بديعية الباعونية على هامش خزانة ابن حجة .

(٢) (السحاب) في المفضليات ، وفي الاصمعيات .

(٣) (رعيناه) في المفضليات ، وفي اللسان ، وفي الصناعتين ، وفي الموازنة (ت: محيى الدين) و (ت: صقر) ، وفي الحماسة البصرية ، وفي نهاية الادب ، وفي العمدة ، وفي شرح بديعية الباعونية .

(٤) سورة القلم . الآية ١٦ .

(٥) البيت في ديوانه (طبعة الصاوي) : ٤٤٣ وحرفت فيه كلمة « وضعتُ » فذكرت « وضعتْ » . وفي ديوانه (دار صادر بيروت) : ٣٥٧ ، وفي ديوانه (بشرح ابن حبيب) : ٩٤٠ .

يريد أنّه أبقى عليهما من عار الهجاء ما يقوم مقام الجدع والوسم .

ويقولون :

ذُقْ ما عند فلان ، وذقِ الفرسَ ، أي : اختبرهما : وأصل الذوق بالفم ، ولكنّه لمّا كان الذوق للاختبار والاعتبار رُدّ إلى أصله . وأمثال هذا في الكلام كثير . ثم وقع التوسّع في الاستعارات واستنبط الناسُ منها ما حملوه على حكم اللّغة لتحسينها للكلام ومنابها في البيان المنابَ الذي لا تنوبه الحقائق .

ومن الاستعارة في كتاب الله تعالى قولُه سبحانه : « إنّا لمّا طغا الماء[1] » وقوله « بريح صرصرٍ عاتية[2] » وقولُه « سمِعُوا لها شهيقاً وهي تفور[3] » وقوله « ولما سكت عن موسى الغضب[4] » وقوله « وأفئدتهم هواء[5] » وقولُه « ولا يظلمون فتيلا[6] » وقوله « ولا يُظلمون نقيرا[7] » وقوله « يَوْمَ يُكشف عن ساقٍ[8] » وقوله « ما يملكون من قطمير[9] » وقوله

---

(١) سورة الحاقة . الآية ١١ . وقد كتبت « طغا » في الأصل بالياء .
(٢) سورة الحاقة . الآية ٦ .
(٣) سورة الملك . الآية ٧ .
(٤) سورة الأعراف . الآية ١٥٤ .
(٥) سورة ابراهيم . الآية ٤٣ .
(٦) سورة النساء . الآية ٤٩ .
(٧) سورة النساء . الآية ١٢٤ .
(٨) سورة القلم . الآية ٤٢ .
(٩) سورة فاطر . الآية ١٣ .

« وكذلك أعثرنا عليهم [1] » وقوله « ووضعْنا عنك وِزْرك [2] » وقوله « ولكن لا تواعِدُوهنَّ سرًّا [3] » والسرّ ها هنا النكاح ، لأنّ النكاح يكون سرّاً ولا يظهر . وقوله « نساؤكم حرثٌ لكم [4] » وقوله « هنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهنَّ [5] » وأمثال ذلك كثيرة .

ومن الاستعارة في كلام البلغاء من الناس قولُ النبيِّ ﷺ « النساء حبائلُ الشّيْطان » و « الشباب شعلة من الجنون » و « المسلم مرآة أخيه » وقول عليّ عليه السلام « السّفَرُ ميزان القوم » وقول الحسن ابنه عليهما السلام « إذا أنْكرت ذهنَك فاقدَحْه بعاقلٍ » وقول الحجاج « رَحِم الله امْرءاً جعل لنفْسِه خطاماً وزماماً فقادها بزمامها إلى طاعة الله وذادها بخطامها عن معصية الله » وقول بعضهم في وصْف حربٍ « لحِقُوهُمْ فجعلوا المُرّان أرسنةَ القلوب فاستقوا بها أرواحَهم » وقول بعض الأعراب « خرجت في ليْلة قد ألقت على الأرض أكارعَهَا فمحتْ صورةَ الأبدان فما نتعارف إلاّ بالآذان .

ومن الاستعارة في الشِّعر قول امرىء القيس :

وليْل كموج البحـــــر وقـــد تقدّم [6]

---

(1) سورة الكهف . الآية ٢١ .

(2) سورة الشرح . الآية ٢ .

(3) في الأصل « ولا تواعدوهن سرا » انظر الآية ٢٣٥ البقرة .

(4) سورية البقرة . الآية ٢٢٣ .

(5) سورة البقرة . الآية ١٨٧ .

(6) انظر ص ١٤٩ .

وقول الأعشى [1] ، وذكر روْضَة [2] :

يُضاحِكُ الشمسَ منهـا كوكبٌ شَرِقٌ
مؤزَّرٌ بعَميم النَّبْتِ [3] مكْتَهِـلُ [4]

والعرب تقول : ضحِكت الأرضُ ، إذا أنبتت ، لأنها تُبدي عن حسن النبات وتتفتّق عن الزّهر كما يفترّ الضاحك عن الثّغر ، ولذلك قالوا لطلع النخل إذا انفتق عنه كافوره : الضحك ، لأنه تبدو منه للنّاظر كبياض الثغر . وقيل : النّور يضاحِكُ الشمس ، لأنه يدورُ معها . وقال الآخر [5] :

ضحك المُزْنُ بها ثم بَكَى [6]

يريد بضحكه انعقاقه بالبرق ، وببُكائِه المَطرَ .

وقولُ ذي الرّمة :

ودوِّيّةٍ مثْلِ السمـاء عسفتُهَا
وقد صَبَغَ الليلُ الحَصَى بسَوَاد [7]

---

(1) اسمه ميمون قيس ، وكنيته أبو بصير . وكان يقال له صناجة العرب ، لكثرة ما تفنن بشعره . (المزهر ٢ : ٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٤٣١) .

(2) البيت السابق لهذا البيت : ما روضة من رياض الحزن معشبة .
خضراء جاد عليها مسبل هطل

(3) في الأصل : « البيت » . وهو تصحيف .

(4) ديوانه (ت: د. محمد محمد حسين ١٩٥٠) : ٥٧ ، وديوانه (دار صادر ١٩٦٦) : ١٤٥ وشعراء النصرانية ، (بيروت ط٢) : ٣٦٧ ، والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢٧٦ .

(5) ورد في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٠٨ غير معزو .

(6) رسم في الأصل بالألف : (بكا) .

(7) ديوانه (كمبردج) : ١٣٩ وفيه « اعتسفتها » بدل « عسفتها » .

وقولُ دُكينٍ[1] :

وقد تعالَلْتُ ذَميلَ العَنْسِ[2]

بالسّوْط في ديمُومَةٍ كالتُّرْس

إذ عَرّجَ الليل برُوح الشّمْسِ[3]

وقولُ طَرَفة[4] :

ووجْهٍ كأن الشّمسَ حلّت رداءَها

عليه ، نقيُّ اللّون لم يتخـــددِ[5]

وقول الأفْوَه[6] :

كيف الرشادُ وقد خُلِّفت في نفرٍ

لهم عن الرّشد إغْلال وإقْيادُ

---

(١) نسبها الآمدي في المؤتلف والمختلف لمنظور بن حبة الأسدي (وحبة أمه ويعرف بها) ، ثم قال « ويروى هذا الرجز لدكين » . ودكين راجز اشتهر في العصر الأموي . توفي سنة ١٠٥ هـ .

(٢) في الأصل « العيس » .

(٣) انظر الأبيات في المؤتلف (ت: فراج): ١٤٧ وفي البيت الأخير « الكَيل » موضع « الليل » .

(٤) شاعر جاهلي من الطبقة الأولى . توفي سنة ٦٠ ق.هـ .

(٥) ديوانه (بشرح الأعلم – باريس ١٩٠١) : ٩ وفيه « ووجه » بالرفع والخفض . يقول الشارح فرفعه على الاستئناف ، أي ولها وجه . وخفضه محمول على قوله (وتبسم عن ألمي) لأن معنى تبسم تبدى ، فكأنه قال وتبدى عن الُمي وعن وجه . وديوانه (بيروت ١٩٦١) : ٢١ وفيه « ووجهٌ » . وديوانه (بتحقيق د. علي الجندي) : ٣٣ وفيه أيضا « ووجهٌ » . وشرح المعلقات للزوزني (صادر وبيروت ١٩٦٣) : ٤٨ وفيه « ووجهٍ » بالخفض . و « ألقت » موضع « حلّت » .

(٦) هو صلاءة بن عمرو بن مالك الأودي . شاعر يماني جاهلي . ولقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان . توفي نحو سنة ٥٠ ق.هـ .
والبيت من قصيدة أولها :

وقول أبي ذؤيبٍ [1] :

وإذا المنيّةُ أنشبَتْ أظفارهـــا

ألفيتَ كلَّ تميمــةٍ لا تنفعُ [2]

وقولُ ذي الرمة[3] :

ألا طرقتْ ميٌّ هيوماً بذكْرهـــا

وأيدي الثُريّا جُنّحٌ في المغَاربِ [4]

وقوله أيضاً [5] :

أقامت به حتّى ذوى العود في الثرى [6]

وساق الثُريّا في مُلاءَتِه الفجْرُ [7]

= إنا معاشر لم يبنوا لقومهم وإن بنى قومهم ما افسدوا عادوا

وقد ذكر هذا البيت في المزهر ١ : ١٦٣ وأشار محققوه إلى أن في الأمالي : « فينا » بدل « إنا » .

(١) هو خويلد بن خالد الهذلي ، جاهلي إسلامي . اشترك في الغزو والفتوح . توفي نحو ٢٧ هـ .

(٢) ديوان الهذليين (طبعة دار الكتاب) ١ : ٣ ، وفي جمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٦٦٨ وفي الموازنة (ت: محيى الدين) : ٢١٦ و (ت: صقر) ٢ : ٢٥٢ وفي نهاية الأرب ٧ : ٥٥ وفي التمثيل والمحاضرة (ت: الحلو) : ٦٤ وخزانة البغدادي (بولاق) ١ : ٢٠٢ والمفضليات (ت: شاكر وهارون) : ٨٥٥ وحماسة البحتري (القاهرة ١٩٢٩) : ١٤٢ والعقد الفريد (ت: أحمد امين وآخرين) ٥ : ٢٤ . وورد شطره الأول في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢٨٤ .

وقد ورد البيت بضم تاء (ألفيت) في ديوان الشعر العربي اختيار أدونيس ١ : ٢٠٢ .

(٣) في الأصل « لبيد » .

(٤) ديوانه (كمبردج) : ٥٥ .

(٥) في الأصل « وقال الفرزدق » . (٦) في الأصل « دوى العود والثرى » .

(٧) ديوانه (كمبردج) : ٢٠٧ وورد في سر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ١١١ : على انه =

وقول ابن المعتزّ [1] :

وقد ركضَتْ بنا خَيْلُ المَلاهِــي
وقد طِرْنــا بأجنحــة السّرُور [2]

وقولُ أبي نواس [3] :

ما زلْتُ أستَلّ روحَ الدنّ في لَطَفٍ
وأستقِي دمَهُ من جوْف مجْــروحِ
حتى انثنيتُ ولي روحان في جسدي [4]
والدّن منطرحٌ جسْماً [5] بلا روحِ [6]

= قول ذي الرمة في إحدى الروايات وفيه « لفّ » موضع « ساق » .

(1) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي . شاعر مبدع . مات خنقاً سنة ٢٩٦ هـ .

(2) ديوانه (صادر ـ وبيروت ١٩٦١) : ٢٣٨ .

(3) هو الحسن بن هاني . شاعر العراق في عصره . نشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد فاتصل بالخلفاء ومدح بعضهم ، وخرج إلى دمشق . ومنها إلى مصر فمدح أميرها الخصيب ، وعاد إلى بغداد فأقام فيها إلى أن توفي ١٩٨ هـ أو ١٩٩ هـ . ويذكر في سبب تلقيبه بأبي نواس أن خلفاً الأحمر أحد عمال اليمن استدعاه يوماً وكان يوده أكثر من غيره وقال له أنت من اليمن فتكنّ بأسماء الذوين (أي المصدرة أسماؤهم بذو) فاختار ذا نواس واشتهر بهذه الكنية (انظر المقدمة التي كتبها حمزة بن الحسن الأصبهاني جامع ديوانه (ط. الحميدية المصرية ١٣٢٢ هـ) .

(4) في الأصل « جسد » ثم كتب فوق الدال ياء مردفة بـ « صح » .

(5) في الأصل « مطرحا دنا » .

(6) ديوانه (دار صادر ـ بيروت) : ١٥٣ وديوانه (ت: أحمد الغزالي) : ٩٢ . وضبطت « لطف » بفتح اللام والطاء في الأول ، وبضمهما في الثاني . وديوانه (ط. الحميدية ١٣٢٢ هـ) : ٢٣٣ وفيه « في جسد » .

والاستعارات كثيرة في سائر فنون الكلام ، والذي أتينا به كاف في التمثيل .

قول في التشبيه [1] :

التشبيه هو العقْد على أن أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر ويقوم مقامه في المشاهدة حتى لو عُدم أحدُهما ووجد الآخر لم يكن بينهما تباين في الحقيقة، كجسميْن من فضّةٍ وجسميْن من صُفْر ، فهذا أصلُ الشبه ، والتشبيه فعل المشبّه ، والتماثل ليس بفِعْلٍ وكذلك التشابه ، وإنما يتصرف تصرّف الفعل ، وحقيقة التماثل بالنفس ونظيره في ذلك الوجوب ، وذلك أنك اذا قلت في السوَاديْن أنّهما متماثلان فانهما يتماثلان بأنفسهما لا بفعل فاعل ، لأنّهما في الشاهد والغائب مستحقّان لهذه الصفة . والمماثلة من الألفاظ المشتركة ، فتارة تكون بمعنى التشبيه وتارة تكون بمعنى التماثل ، فاذا قلت ماثل بين الشيئين فهو كقولك شبّه أحدهما بالآخر ، وإذا قلتَ ماثلَ الشيءُ الشيءَ فهو بالنفس كقولك تماثل الشيْئان .

والتشبيه على ضربين : تشبيه تحقيق ، وتشبيه تقدير ، فتشبيه التحقيق المطلق هو التشبيهُ بالنفس كقولك هذا الجوهر كهذا الجوهر ، وتشبيه التقدير هو التشبيه من وجهٍ دون وجهٍ كقولك الشدة كالموت صُعُوبةً ، وهذا تشبيه من جهة الصّعوبة فيهما لا يشتبه بالنفس .

---

(١) انظر ما ورد عنه في معجم البلاغة العربية ١ : ٣٦٠ ـ ٣٧٠ وفي العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٨٦ ـ ٣٠٢ وفي الطراز (ت: المقتطف) ٣ : ٣٢٦ ـ ٣٣٤ .

والتشبيه تشبيهان : أحدُهما يعبّر عنه اللفظ ، والآخر يدلّ عليه العقل من غير عبارةٍ موضوعةٍ له ، وهو الجمع بين شيئين في معنىً يوجبُ الاستدلال التماثل فيه ، فالذي يعبر عنه اللفظُ ما كان بآلة التشبيه كقولك هذا كهذا ، ومثل هذا ، وشبه هذا ، فاذا استعملت هذه الآلة فقد وقع التشبيه ، سواءً كان الشيئان متماثلين أو غير متماثلين في الحقيقة ، وذلك نحو : جهْلُ زيد كالظلمة يتحيّر فيها صاحبُها ، وعلم زيدٍ كالنور يتصرّف فيه صاحبه ، فالجهل ليس من جنس الظلمة ، والعلم ليس من جنس النور ، وقد شبه أحدُهما بالآخر والذي يدّل عليه العقْلُ نحو الطعم جسم والريح جسم ، فهذا يلزم الاستدلال التماثل فيه .

وقائلُه مشبه وَإنْ خفى عليْه إذا كان إنّما يتعرف بالاستدلال . والتشبيه إمّا بالنفس وإما لمعنىً ، فالذي بالنّفس هو الحقيقة كقولك هذا الماء كهذا الماء ، والذي لمعنىً كتشبيه العلم بالنّور ، والمعنى الذي يجمعُهما التبيين ، لأنّ النُور يضيءُ فيتبين به والعلم يوضح فيتبين به . وبلاغة التشبيه الجمعُ بين شيئين بمعنىً يجمعهما يُكسب بيانَ أحد هما بالآخر ، كقوله تعالى « والذين يَدْعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلاّ كباسط كفّيْه إلى الماء ليبلُغَ فاه وما هو ببالِغه [1] » فقد اجتمعا في الحاجة والحسْرة على ما يفوت منْ درك الطلب ، وكقوله « خُلق الإنسانُ من صَلْصال كالفخار [2] » فقد اجتمعا في الوصْف بالخفاف والرخاوة ، وقوله « مثل الذين حمّلوا التوراة

---

(١) سورة الرعد . الآية ١٤ .

(٢) سورة الرحمن . الآية ١٤ .

ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحملُ أسفَارَاً[1] » فقد اجتمعا في الجهل بما حملا .

وقول لبيـــد :

وَجَلا السُّيولُ عن الطُّلُول كأنّها

زُبُرٌ تُجِدُّ[2] متُونَها أقْلامُها[3]

فقد اجتمعت الطلول والزبر في التبيين ، لأنَّ الطلولَ بينتها السيول والزبر بينتها الأقلام ، وقوله أيضاً :

فلها هِبَابٌ في الزِّمام كأنهـــــــا

صهْبَاءُ راح معَ الجنوب جَهامُها[4]

يقول إنّ الناقة يسوقُها نشاطها كما يسوق السحابةَ الجنوبُ .

وقول جَرير :

تُجْري السِّواكَ[5] على أغَرَّ كأنّهُ

بَرَدٌ تَحَدَّرَ من مُتُون غَمَام[6]

---

(١) سورة الجمعة . الآية ٥ .

(٢) في الأصل « تحد » .

(٣) ديوانه (تحقيق : د. احسان عباس) : ٢٩٩ وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي طـ١) : ٢٩٢ وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (المعارف) : ٥١٠ وشرح المعلقات للزوزني (دار بيروت ١٩٦٩) : ٩٤ .

(٤) ديوانه (صادر ببيروت) : ١٦٨ وشرح المعلقات (النشرة السابقة) : ٩٩ وفيهما « خف » موضع « راح » .

(٥) في الأصل « السواكُ » بالرفع وهو سهو من الناسخ .

(٦) البيت في ديوانه (شرح الصاوي) : ٥٥١ . وديوانه (دار صادر ــ بيروت) : ٤٥٢ . وفي ديوانه (بشرح ابن الحبيب) : ٩٩٠ وجوهر الكنز (ت: د. سلام) : ١٦٦ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٥٣ .

قد اجتمعا في البياض والنقاء .

وقول ذي الرّمة :

كَحْلاءُ في بَرَجٍ صَفْرَاءُ في نَعَجٍ
كأنّها فِضّةٌ قد مسّها ذَهَبُ [(1)]

فقد اجتمعا في بياض يعلوه احمرارٌ . والجواهر وإن كان اشتباهها بالنفيس فإنّ التشبيهَ يقعُ ولا يراد تشبيه النفس ، نحو قولنا « هذا الخلّ في شدّة حموضته كهذا العسَل في شدّة حلاوته » ولا يستعمل هذا الضّرب من التّشبيه إلا مقيّداً . والتشبيه البليغُ ما أخرج الأغْمَضَ إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف ، وبين البلغاء في ذلك تفاضل . والأظهرُ الذي يقع البيان بالتشبيه به على وجوهٍ : منها إخراج ما لا يقعُ عليه الحاسّة إلى ما يقع عليه الحاسّة وهو كتشبيه المعدوم بالغائب ، ومنها إخراج ما لم تجْرِ به العادة إلى ما جرتْ به العادة ، كتشبيه البعث بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم ، ومنها إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يُعلم بالبديهة ، كتشبيه إعادة الأجسام بإعادة الكتاب ، ومنها إخراج ما لا قوةَ له بالصِّفة إلى ما له قوةٌ في الصفة ، كتشبيه ضياء الذبالة بضياء النهار . وقال بعضُ أهل البلاغة : التشبيه على أربعة أضرب : تشبيه عينٍ بعين ، وتشبيه حدَثٍ بحدَثٍ ، وتشبيه عيْنٍ

---

(1) ديوانه ص ٥ . وانظر أسفلها ما أورده « مكارتني » مصححه ومنقحه من الروايات لهذا البيت . والصناعتين (ت : البجاوي وأبي الفضل) : ٣٧٧ وقواعد الشعر (ت : د. عبد التواب) : ٨٧ وفيه « في دعج » وقد أورده العلوي في الطراز وتساءل : هل يكون معدوداً من الترصيع أم لا . ثم ذكر ما يراه بعض أهل البلاغة (انظر : الطراز ٢ : ٣٧٦) .

بحَدث وتشبيه حَدَث بعيْن ، فتشبيه العين بالعين كقول امرىء القيس :

نظرتُ إليها والنُّجومُ كأنّهـــــا

مصابيحُ رهْبانٍ تُشَبُّ لِقُفّـــال [1]

فشبّه إضاءةَ النجوم بإضاءة المصابيح ، فهما عينان ، وتشبيه الحدث بالحدث كقول الآخر :

كأن مرّ شَخْبِهــا غَدِيّـــه حفيف ريح أو نشيش حيّـــه

فشبّه الصوتَ بحفيف الريح ، وهما حدثان ، وتشبيه العين بالحدث كقول النابغة [2] :

فإنّك كالّليْل الذي هو مُدْركي

وإنْ خِلتُ أن المُنْتَأى عنك واسِعُ [3]

---

(١) البيت في ديوانه (ت: أبي الفضل) : ٣١ ، وديوانه (شرح السندوبي) : ١٦١ .

(٢) الذبياني .

(٣) ديوانه (ت: كرم البستاني) : ٨١ ، ديوانه (ت: فوزي عطوي) : ٨٤ ، وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) ، وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٧٤ والصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٧٥ و ٢٣٦ و ٢٤٨ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ١٧٨ و ٢٥١ وشطره الأول في التمثيل والمحاضرة (ت: الحلو) : ٤٧ ، وخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ١٩٢ ، والمثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانة) ٢ : ٣٤٢ وأول البيت « وإنك » والبيت من قصيدة مطلعها :

عفا ذو حَسًا من فرتنى فالفوارع فشطا اريك فالتلاع الدوافع

وانظره في نهاية الأرب (دار الكتب) ٣ : ٢٦٢ والعقد الفريد (ت: احمد أمين وآخرين) ٢ : ١٦٣ ولأغاني (بولاق) ٩ : ١٦١ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٣٨ .

فالعينُ المخاطب ، والحدثُ اللّيْل ، وتشبيه الحدث بالعين كقوله تعالى « مثل الذين كفروا[بربّهم]أعمالهم كرمادٍ اشْتدّتْ به الريح [1] » فشبّه الأعمالَ وهي حدثٌ بالرماد وهو عيْن . وهذه الضروب الأربعة قد انتظمتْها كلّها أقسامُ التشبيه المتقدّمة ، وإنّما [2] مثلْناها ها هُنا ليتْبعَ القسمةَ ما يستحقّها من التفصيل . ومن التشبيه بلاغة وحقيقة : فالبلاغة كتشبيه أعمال الكُفّار بالسراب ، والحقيقة نحو هذا الذّهب كهذا الذهب . وتشبيه البلاغة يسمّى تشبيهَ التقدير ، وهو يحتاج [3] إلى تمثيل لكثْرتِه واطّراده ، والثاني كقول امرىء القيس :

إذا ما الثّريّا في السّماء تعرّضتْ
تعرُّضَ أثناء الوشَاح المفصّل [4]

وأصدق التشبيه ما إذا عُكِس لم ينتقِضْ ولم يَبطُلْ ، بل يبقى على حاله . وأحسنه ما تقابل في البيت الواحد منه تشبيهان لمشبهين كقول امرىء القيس [5]

---

(١) سورة إبراهيم . الآية ١٨ .

(٢) ذكرت إنما في آخر السطر من الأصل وكررت في أول الذي يليه . وهو سهو من الناسخ .

(٣) يبدو أن « لا » سقطت قبل الفعل .

(٤) البيت في ديوانه (ت: أبو الفضل) : ١٤ وديوانه (شرح السندوبي) : ١٤٨ وشرح المعلقات للزوزني (صادر وبيروت ١٩٦٣) : ١٧ وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ١٤٠ ، ولحن العوام للزبيدي (ت: د. عبد التواب) ٢٠٧ ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (ت: هارون) : ٥٠ وشرح شواهد المغنى (نشر الشنقيطي القاهرة ١٣٢٢) : ٢٢٣ والشعر والشعراء (ت: احمد شاكر) : ١١١ .

(٥) في صفة عقاب .

كأنَّ قلوبَ الطَّيْرِ رَطباً ويابساً
لدى وَكْرِها العُنّابُ والحشفُ البالي[1]

وقول بشّار [2] :

كأنَّ مُثَارَ النقعِ فوق رءوسنا
وأسيافَنا ليلٌ تهاوَى كواكبُهُ [3]

وقوله أيضاً :

من كلِّ مشتهرٍ في كفِّ مشتهرٍ
كأن غرّته والسيْفَ نجمَانِ[4]

---

(١) البيت في ديوانه (ت: أبو الفضل) : ٣٨ ، وديوانه (شرح السندوبي) : ١٦٦ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٦٠ واللسان (أدب) ١ : ٢٠٦ والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٩٠ ومعجم البلاغة العربية : ٨١٥ وأمالي المرتضى (ت: أبي الفضل ١٩٥٤) : ١٢٥ والأغاني (بولاق) ٣ : ٤٧ وشرح شواهد المغنى (نشر الشنقيطي) : ١١٨ وزهر الآداب (ت: البجاوي ١٩٥٣) ٢ : ٧٦٧ ومقاييس اللغة (ت: هارون) ٢ : ٢ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢٤٥ و ٢٥٠ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٣٩ .

(٢) هو بشار بن برد العقيلي بالولاء ونسبته إلى امراة « عقيلية » قيل إنها أعتقته من الرق . كان ضريراً وأدرك الدولتين الأموية والعباسية . توفي ١٦٧ هـ .

(٣) ديوان شعره (ت: بدر الدين العلوي ـ بيروت) : ٤٦ .
وورد في طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٦ و ٢٨ بإلحاق تاء التأنيث للفعل « تهاوى » انظر ص ٢٦ و ٢٨ ومعجم البلاغة العربية : ٨٤٠ . والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) ٢٥٠ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٣٩ .

(٤) ورد البيت في العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٩١ .

والتشبيهات المفردات الحسان كثيرة جداً ، فمنها قولُ الشاعر [1] :

مِن وحْش وَجْرةَ مَوْشيٌّ أكارعُه
طاوي المصير كسيْف الصّقيل الفـرِدِ [2]

وقول ذي الرّمّة :

وعيْنٌ كعَيْن الرِّئْم فيها مَلاَمةٌ
هي السِّحْرُ أو أدْهَى الْتبَاساً وأعلَقُ [3]

وقول ابن المعتزّ :

قد انقَضَتْ دولَةُ الصِّيَام ، وقـد
بَشّرَ [4] سُقْمُ الهِلاَل بالعيدِ [5]
يتلُـو الثريـا كفاغرٍ شـ ـرِه يفتـح فاه لأكْـلِ عنقود [6]

والتشبيه تشبيهان : حسن ، وقبيح ، فالحسنُ ما أخرج الأغمضَ إلى

---

(١) هو النابغة الذبياني . والبيت من معلقته ، ومطلعها :
يا دار ميـة بالعليـاء فالسـند أقوت وطال عليها سـالف الأمـد

(٢) ديوانه (ت: كرم البستاني) : ٣١ وفيه « الفرَد » والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٨٥ ومنهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ١٩٦ .

(٣) ديوانه : ٣٩٣ .

(٤) في الأصل « بُشر » بالبناء للمجهول .

(٥) ديوانه (صادر وبيروت ١٩٦١) : ١٨١ وهو ثاني بيتين أولهما :
أهـلا وسهلا بالنـاي والعـود وكأس سـاق كالغصن مقـدود

(٦) وليس هذا البيت تابعاً لما قبله كما يوحي ذكره بعده .

الأظهَر فأفاد بياناً وأخبر عن حقيقة الشيء ، وقد ذكرت أحكامَه وأمثلَته فيما تقدم ، والقبيح ما كان على خلاف ذلك ، فمنه قولُ بعضهم :

صُدْغُه ضدُّ خدِّه مثل ما الوعــدُ إذا ما اعتبرتَ ضدُّ الوعيد [(١)]

وهذا عكس ما ينبغي أن يكون عليه التشبيه ، من قِبَل أنه شبّه الأوضحَ بالأغمض وما تقعُ عليه الحاسّة بما لا تقع عليه الحاسة ، وقول الآخر :

وله غُرَّةٌ كلَوْن وِصَــالٍ فوقَها طُرَّةٌ كلَوْن صُدودِ [(٢)]

فأتى فيه من القبح بمثل ما في الأول ، وشبّه محبوباً وهو سوادُ الطرّة بمكروه وهو الصدود ، وقبحه من وجه آخر ، وهو أنه شبّه حقيقةً باستعارة غير حسَنة ، وتشبيه حقيقة باستِعارةٍ ضعيف ، لا سيّما إذا كانت استعارةً قبيحــة .

ومن التشبيه ما يفوق بعضُه بعضًا ، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ :

ما تَرَى المــدّ قــد أتــاكَ بمــاءٍ مُصَنْــدَل [(٣)]

وقول أبي بكر بن دُرَيْد [(٤)] :

---

(١) ورد غير معزو في العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٨٧ .

(٢) ورد أيضاً في العمدة ١ : ٢٨٧ غير معزو .

(٣) ديوانه (صادر وبيروت ١٩٦١) : ٣٧٩ وفيه « البدر » مكان « المد » . والمصندل : المطيب بالصندل .

(٤) هو محمد بن الحسن بن دريد الازدي ، من أئمة اللغة والادب ، وصاحب « المقصورة الدريدية » توفي ٣٢١ هـ ودريد تصغير أدرد ، والادرد الذي ليس في فيه سن . وهو تصغير ترخيم لحذف الهمزة من أوله كما يقال في تصغير اسود سويد وتصغير ازهر زهير .

وكأنَّ دجْلةَ في تموجّهـا تختال بين مَطارفٍ دُكنِ [1]

فالتشبيهان مصيبان ، إلاّ أن تشبيهَ ابن دريد أحسْن ومعناه أبلغُ وأغرب .

ومن التشبيه ما يرفع المشبّه ويضع المشبّه به ، ومنه بالعكس من ذلك ، كأن يشبّه إنساناً بكلْب فيخسه أو كلْباً بإنْسانٍ فيرفعه ، وليس يعصم من ذلك أن يقول إنما أردت الانتفاعَ بالحراسة لا التشبيه من جهة الكلبية والإنسانيّة ، ألا ترى أن قوله تعالى « كمثل الكلْب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث [2] » وقوله « كمثل الحمار يحمل أسفاراً [3] » يتضمنان معنى التخسيس والتنقيص وإن كان التشبيه بهما على وصف من الأوصاف . والتشبيه يغمض إذا أريد تشبيه حالين بشيءٍ واحد على التقدير ، كقوْل الحسن البصري « كأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تزل » ومعناه : أنه مثّل حاله في الآخرة وقد كان في الدنيا بحاله لو لم يكن فيها ولم يزلْ في الآخرة ، ويوضح ذلك أن يجعله بين شخصين أحدهما لم يزل في الآخرة والآخرقد [كان] في الدنيا ثم انتقل إلى الآخرة . ومثْل قول الهذليّ [4] :

وإذَا مَضَى شيءٌ كأن لم يُفْعَلِ [5]

---

(1) لم اجده في ديوانه (جمع وتحقيق : بدر الدين العلوي) .

(2) سورة الاعراف . الآية ١٧٦ .

(3) سورة الجمعة . الآية ٥ .

(4) هو أبو كبير .

(5) هذا عجز بيت ، وصدره : فإذا وذلك ليس إلا حينه ، (انظر ديوان الهذليين ٢ : ١٠٠) وورد البيت في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٤٤٣ ورواية الشطر الأول فيه : فإذا وذلك ليس إلا ذكره .

وقول امرىء القيس :

كأنيَ لَم أركبْ جَواداً للذّةٍ
ولمْ أتبطّنْ كاعباً ذاتَ خلْخالِ (١)

قول في البيان (٢)

البيان اختصارُ المعنى للنفْسِ في صيغَةٍ توصلُه إليها من غير مُهلةٍ ، وإنما قالوا « من غيْر مهلةٍ » ليفرق بينه وبين الدلالةِ ، لأن الدلالة تحضُر المعنى للنفس وإن أبطأت (٣) . والبيان الكشف عن المعنى حتى تدركَه النفس من غير توقّف ، وإنما قيل « من غيْر توقفٍ » لأنّه قد يأتي التعقيد في الكلام الدال فلا يستحقّ اسم البيان على الإطلاق لموضعِ الحاجة إلى التوقف عليه ومُراجعة الفكر فيه . والبيانُ على طبقات متفاضلة ، فأعلاها ما هَجَم السّامع على حقيقةِ المعنى من غير حائل يحول بينه وبين إدراكه في أسرع مدّة ، وأوسطها ما أوصَل المعنى إلى النفس بحائل كالزجاجة إلا أنه بسُهولةٍ ، وأدْونُها ما أوصل المعنى إلى النفس بحائل كالشف الرقيق والغلس اليسير من غير تعقيد . وقيل : البيان اسمٌ لكلِّ شيء كشف لك قناعَ المعنى، وهتك الحجبَ دون الضمير، حتى يفضي السّامعُ إلى حقيقته ويهجم على محصوله ، كائناً ما كان

---

(١) البيت في ديوانه (ت: أبي الفضل) : ٣٥ ، وديوانه (شرح السندوبي) : ١٦٤ ومنهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ١٥٩ وصبح الأعشى ٢ : ٢٦٤ . والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ١٤٤ .

(٢) انظر ما ورد عنه في معجم البلاغة العربية ١ : ١٠٨ و ١٠٩ .

(٣) في الأصل « أبطت » .

ذلك البيان ، ومن أي جنسٍ كان ذلك الكلام ، لأن مدارَ الأمْرِ والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنّما هي الفهْم والإفهام ، فبأي شيءٍ بلغت الإفهام وأوضحْتَ المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع .

وأصناف الدلالات على المعاني من لفظٍ وغيْرِه خمسةٌ : اللفظ ، والإشارةُ ، والخطّ ، والعَقْد ، والنصبة ، وهي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصِّر عنها . ولكلّ واحد من هذه الخمسة صورة مخصة تتفرّد بها عن الآخر ، وحلية لا يُشرِكُه فيها سواه،وهي التي تكشف أعيان المعاني في الجملة ثم حقائقَها في التفسير ، وتُوضح أجناسَها وأقدارَها وخاصّها وعامّها وطبقاتها في السارّ والضّار واللغوِ والبهْرج والساقط المخدج .

والإشارة واللفظ شريكان في البيان . والإشارة بالطّرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح ينوب كثيراً عن اللفظِ في أشياء يقصدُ سترها عن بعْضِ اللفظ ، وإخفاؤها عن قوم دون قوم من الجلاّس ، وفيها مرفق ومعونة حاضرة ، ولولاها لم يتفاهم الناس خاصّ الخاصّ وجهلوا هذا البابَ جملةً ، وخاصّ الخاصّ الدلالة على الشيء بما لا يشركه في غيره كقولك : مكّة ، وعمان ، وجنّة الخلد ، وجهنّم ، وكقولك ، هذا ، مع الإشارة إلى الشيء ، فإنّه دلالة تخصّ الشيء بعينه . قال الشاعر [1] في ذلك :

أشارتْ بطرْفِ العين خيفةَ أهْلِها
إشارةَ محزون ولم تتكلّمِ

(١) هو عمر بن أبي ربيعة .

فأيقنتُ أنَّ الطرفَ قد قالْ مرَحَبـاً

وأهلاً وسهلاً بالحبيـب المتيّمِ [1]

وقال آخـر :

ترى عينُها عيني فتعرفُ وحيَهَـا

وتعرف عيْنِي ما بـهِ الوحي يرْجعُ

وقال الآخـر :

وللقلـب عـلى القَلْـب دليـلٌ حـين يلقـاهُ

وفي النّاس مـن النّـاس مقاييـسٌ وأشبـاهُ

وفي العين غـنىً للمـرءِ [2] أن تنْطقَ أفْواهُ [3]

ومبلغ الإشارة أبعدُ من مبلغِ الصَّوتِ . وبحسن الإشارة باليَد والرأس والعين والحاجب يتمُّ حسن البيان .

وأما الخطّ ففضيلته ظاهرةٌ ، وقد برهنّا عليها فيما تقدم .

وأما العقْد فهو تشكيل الأعداد بالأنامل ، وهو صورة الحساب كما أن الخطَّ صورة اللفظ ، والحساب وإنْ كان دون اللفظ والخط في الرتبة فقد

---

(1) ديوانه (الوطنية بيروت ١٩٣٤) : ٢٣٧ وفيه « خشية » موضع « خيفة » والبيان والتبيين ١ : ٧٨ وفيه « مذعور » موضع « محزون » وقد ذكر البيتين الحسن بن وهب في كتابه « البيان » عند حديثه عن (الوحي) حيث قال : ومن الوحي الإشارة باليد والغمز بالحاجب ، والإيماض بالعين . ثم ساق عدداً من الأمثلة من بينها هذان البيتان .

(2) في الأصل « للعين » .

(3) وردت الأبيات في معجم اللغة العربية ١ : ٣٨٨ غير معزوة .

شهد التنزيل بفضْلِه ودلّ على فوائده ، وهو يشتملُ على معانٍ كثيرةٍ وفوائد جليلة . وفي عدَمِ اللّفظِ والخطّ والجهل بالعقْد فساد جُلِّ النّعم ، وفقْدان جمهورِ المنافع ، وانتقاض كلّ ما جعله اللهُ تعالى قواماً ومصلحة ونظاماً .

وأمّا النّصبةُ فهي الحال الدالّة بغير عبارة الناطقة بغير لفظٍ ، المشيرة بغير يدٍ ولا طرفٍ . وهي ظاهرةٌ في خلق السمواتِ والأرض ، وكلّ صامتٍ وناطق ، وجمادٍ ونام ، ومقيم وظاعنٍ ، وزايد وناقص ، فالدلالة التي في المواتِ الجامدة كالدلالة التي في الحيوانات الناطقة ، فالصامتُ ناطق بما فيه من الدلالة ، والأعجم معْرِبٌ بما فيه من البرهان ، ومتى دلّ الشيءُ على معنىً فقد أخبر عنه وإن كان صامتاً وأشار إليه وإن كان ساكناً . وهذا القولُ شائعٌ في جميع اللغة ، قال نُصَيْبٌ [1] :

فعَاجُوا فأثْنَوْا بالذي أنتَ أهْلُـــه
ولو سَكَتَوا أثنتْ عليكَ الحقائبُ [2]

---

(١) ونصيب بن رباح شاعر أموي فحل ، مقدم في النسب والمدائح . توفي ١٠٨ هـ .

(٢) البيت من قصيدة في مدح سليمان بن عبد الملك . وقد ورد في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢١٤ ، والمثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ٧٠ وعيون الأخبار ١ : ٢٩٩ والأغاني ١ : ١٣٠ . والحماسة البصرية (حيدر آباد ١٩٦٤) ١ : ١٥٧ ومعجم البلاغة العربية : ٨٨٠ وأمالي المرتضى (ت: أبي الفضل) ١ : ٦١ والبيان والتبيين (ت: هارون) ١ : ٨٣ وزهر الآداب (ت: البجاوي) ١ : ٣٣٥ والعقد الفريد (ت: أحمد أمين وآخرين) ٢ : ٢٦٥ وخزانة البغدادي (بولاق) ٢ : ٤١٣ وإعجاز القرآن للباقلاني (ت: صقر) : ١١٧ وأمالي الزجاجي (ت: هارون) : ٤٨ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٠٦ .

وقال أبو العالية :

ومعْشرٍ صيدٍ ذوي تَحِلّــــه   ترى عليْهِمْ للنّدى أدِلّــه

وقد تقدم استشهادنا على مثل هذا الموضع بقول الحكماءِ : كلّ صامتٍ ناطق.وقلنا إن الصَّامتَ وإن كان لا يعربُ عن حاله فإن في شاهدِهِ من الدلائل عليه ما ينوب منابَ نُطقِهِ لو نطق فهو لذلك كالنّاطق .

والكلام على ضربيْنِ : ضرْبٌ لا ينسبُ إلى البيان وإن دلّ على المعنى ، كقول الفرزدقِ [1] :

وما مثْلُه في النّاسِ إلا مُمَلَّكاً   أبو أمِّه حَيٌّ أبوه يُقارِبُه [2]

وضربٌ ينسبُ إلى البيان ، وهو كقولِه أيضاً [3] :

---

(١) يمدح ابراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك .

(٢) لم يرد في ديوانه (نشرة بيروت ١٩٦٦) وورد في خزانة الادب لابن حجة (الخيرية بمصر) : ٢٣٧ والصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ١٦٢ والمثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٢ : ٢٢٩ وشرح بديعية الباعونية (على هامش خزانة ابن حجة) : ٣٤٥ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٩٦ و ٢٦٧ ومعجم البلاغة العربية : ٥٥٠ و ٥٥٩ .

(٣) ديوانه (بيروت ١٩٦٦) ٢ : ١٩٥ وفيه « فيحتقرونها » و « فينعم » . وورد البيتان في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٤١٧ ورواية البيت الاول فيه :

تصرم مني ود بكر بن وائل   وما كاد لولا ظلمهم يتصرم

ووردا في الكامل للمبرد ١ : ١٨ ورواية الأول فيه :

تصرم مني ود بكر بن وائل   وما كاد مني ودهم يتصرم

وورد في معجم الشعراء (ت: فراج) : ٤٦٧ ورواية الأول فيه :

تصرم مني ود بكر بن وائل   وما خلت دهري ودهم يتصرم =

تصرم عني ودُّ بَكْرِ (١) بنِ وائلٍ
وما كان عني (٢) ودّهم يتصرَّمُ

قوارصُ تأتيني وتحتقرُونها
وقد يملأُ القطرُ الإناءَ فيُفْعمُ (٣)

وكقول جرير :

أدارَ (٤) الْجَميعِ الصَّالِحينَ بذي السِّدْرِ
أبيني لنا إنَّ التحيّةَ عن عُفْرِ (٥)

فلا تُوبِسُوا بيْنِي وبيْنَكم الثّرَى
فإنَّ الذي بَيْني وبَيْنُكُم مُثْرِي (٦)

فهذه الأبيات تدلّ وفيها بيانٌ ، والبيت الأول يدلّ ولا بيان فيه . وأسْبابُ الأشكال التي تخرجُ الكلام عن البيان ثلاثةٌ : التعبير عن الأغلب ،

= وورد الثاني في المثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٢ : ١٢٠ وفي الطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) : ٣١٨ وفي الأغاني (بيروت) ٢١ : ٣٣٠ وفي التمثيل والحاضرة (ت: الحلو) : ٦٩ .

(١) في الأصل « ذكر ود » .

(٢) في الأصل « منى » .

(٣) في الأصل « فيفمم » .

(٤) اللسان ٦ : ٢٦٥ « ديار » ...

(٥) البيت في ديوانه (شرح الصاوي) : ٢٧٦ وهو مطلع قصيدة له . وفي ديوانه (ت: د. نعمان) ١ : ٤١٨ و « البلية » مكان « التحية » .

(٦) أما هذا البيت فمذكور في الديوان (شرح الصاوي) : ٢٧٧ ، وبينه وبين الأول ٤٤ بيتاً وفي الديوان (ت: د. نعمان) ١ : ٤٢١ ورقمه في القصيدة ١٦ .

وسلوك الطريق الأبْعَدِ ، واستِعْمال المشْترك من اللّفظ . وكل أسباب الأشكال قد انتظمَها بيت الفرزدق الأول ، لأنّه قدّم وأخّر واستَعْمل ما يقلّ استعماله ، فعبّر الكلام عن الأغلب ، ولو أتى به على حقّه لكان « وما مِثْله في النّاسِ حي يُقَاربُه إلا مملك أبو أمّه أبوه » . وأما سلوك الطريق الأبْعد فإن أبا هذا المملك أبو هذا الممدوح ، فدلّ على أنّه خالهُ بهذا اللفظ البعيد . وأما استعمال المشْترك من اللفظ فقوله « حي » لأن هذه اللفظةَ مشْتركة بيْن حيٍ من الحياة وحي من أحْيَاء العرب .

ويحتاجُ في البيان إلى ثلاثة أشياء : النشاط ، والتمكن ، والتخيّر ، فالنشاط له أوقات تتعين مراعاتها وأسْباب يجب تصدّيها والحذر ممّا يذهبُها ويقضي بالفتور ووقوف النفس عنه ، وأمّا التمكن فإنه ينبغي أن يتلطفَ في تمكين المعنى في النفس ، في الفكر فيه ومحاولة التصورٌ له وتشبيهه بما قرُبَ منه من أبين الأشياء ، فإن تمثيلَه يزيد في وضوحِه،وأما التخيّر فينبغي أن يتخيّرَ العبارةَ بعد تمكّن المعنى في النفس ، ويقصد إلى أخصَر ما يدل عليه منها . والتنزيل كله في غاية البيان ، والذي نذكرُ منه باعث على التَدبّر والتأمّل ، قال اللهُ تعالى « وضَربَ لنا مثَلاً ونسيَ خلقه قال من يُحيي العظامَ وهي رميم . قل يُحييهَا الذي أنشأها أول مرّة [1] وهو بكل خلْق عليم [2] » وقال « الأخلاّء يومئذٍ بعضُهم لبعض عدوٌ إلا المتقين [3] » وقال « ولو رُدّوا

---

(1) في الأصل : « لمرة » .

(2) سورة يس . الآيتان ٧٨ و ٧٩ .

(3) سورة الزخرف . الآية ٦٧ .

لِيَعَادُوا لما نُهوا عنْه [1] » ومن البيِّن في كلام البشر قول سيد هم محمد ﷺ في خُطبَةٍ له « فليأخذ العبْدُ من نفسهِ لنفْسِه [2] ، ومن دنْياه لآخرتِه ، ومن الشبيبةِ قبل الكِبَرْ ، ومن الحياة قبْلَ الموت ، والذي نفس محمد بيده ما بعْدَ الموت من مستعتبٍ ، ولا بعدَ الدنيا دار إلا الجنّة أو النّار » وقول الشاعر [3] :

يأيها المتحلِّي غيْرَ شيمتـه
إن التخلقَ يأتي دُونَه الخُلُقُ [4]

فلا يؤاتيك [5] فيما نابَ من حدثٍ
إلاّ أخو ثقةٍ فانظُرْ بمَن تَثِقُ [6]

---

(١) سورة الانعام . الآية ٢٨ .

(٢) في الأصل « لنفسه من نفسه » .

(٣) هو سالم بن وابصة الأسدي ، أحد الشعراء الامويين .

(٤) ويقول د. حفني شرف محقق البرهان : ١٤٠ : وقع الاضطراب في هذا البيت حيث ترك عجزه وأتى بعجز البيت التالي وجعله عجزا لصدر البيت الأول . وترتيب الابيات كالآتي :

يا أيها المتحلي غير شيمته ... ومن سجيته الإدخال والملق
فدع التخلق يبعد عنك أوله ... إن التخلق يأتي دونه الخلق

وقد جاء في الطراز عجز البيت الأول في الأصل مضموماً إلى الصدر الآتي :

« عليك بالقصد في كل الأمور تفز » ... إن التخلق .. ..

وورد في الحاشية : الرواية عليك بالقصد فيما أنت فاعله .

(٥) في الأصل « يواتيك » .

(٦) البيتان على هذه الصورة : وردا في العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٥٠ وفي معجم البلاغة العربية : ٩٢٥ وأول البيت الثاني فيهما « ولا » .

وقول جرير :

تراضتْ ، مِن تَكَرُّمِها ، قُرَيْشٌ
بِرَدِّ الخيْل دَامِيَةَ الكُلُوم [1]

وقول الحُطيئة [2] :

وذاك فتىً إن تأتِه في صنيعَةٍ
إلى مالِه لا تأتِه بشَفيعِ [3]

وقول زهير :

على مُكْثِرِيهم حَقٌّ مَن يَعْتَريهِمُ
وعند المُقِلِّين السّماحةُ [4] والبَذْلُ [5]

---

(١) البيت في ديوانه (نشرة الصاوي) : ٥٠٨ . وديوانه (دار صادر ـ بيروت) : ٤١٢ وديوانه (بشرح ابن حبيب) : ٢١٩ ـ وأول البيت في الجميع : « تواصت » .

(٢) نقل السيوطي في مزهره ٢ : ٤٣٣ ما ذكره ابن فارس في مجمله عن سبب تسمية الشاعر بالحطيئة بشأن ترجمته وأخباره (انظر : الخصائص ٢ : ٢٨٢) .

(٣) البيت في ديوانه : ١٨٤ . وقد ورد شطره الأول هكذا :

فـذاك فتـى إن تأتـه لصنيعـه

(٤) سقطت كلمة « السماحة » من السطر فكتبت فوقه مائلة عند مكانها منه .

(٥) انظر شرح ديوان زهير ، صنعة ثعلب : ١١٤ وقد جاء في تعليق المحقق : ورواية الأعلم وهامش ب :

« عـلى مكثريهـم رزق مـن يعتريهم » .

وقد وردت في الديوان المطبوع ببيروت هذه الرواية (انظر ص ٦٢ منه) .
وكذا في شعراء النصرانية (انظر ص ٥٧٤ بيروت ط٢) وحماسة ابن الشجري (حيدر آباد) : ٩٦ وزهر الآداب (ت: البجاوي) ٢ : ١٠٨٨ ، أما في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ١٠٢ وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ١٣٤ ، والشعر والشعراء (ت: أحمد شاكر) : ١٥١ فقد وردت في رواية الأصل .

وقولُ الأعشَى :

ولكِنْ أرى الدَّهْرَ الذي هُوَ خَائِنٌ [1]

إذا أصْلَحَتْ كفّايَ عادَ فأفْسَدَا

شبَابٌ وشَيْبٌ ، وافتِقارٌ وثَروْةٌ

فللّهِ هذا الدهْرُ كيف تَرَدَّدا [2]

وقول المرَّار :

إذا شئتَ يوماً أن تسيدَ عشيرةً

فبالحلم سُد لا بالملامةِ والشتْمِ

فللحلم خيرٌ فاعلمنَّ مغبةً

من الجهْل إلاّ أن يشمش مِن ظلْمْ

وقول جميل :

لا تصْرمي يا جُمل حبلِي فإنّني

ورود علی سلكِ الأمور صَدُور

---

(١) في الأصل « خاتر » .

(٢) ديوان الأعشى الكبير (ت: د. محمد حسين) : ١٣٥ وهما من قصيدة قالها يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ومطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة ارمدا *

وديوان الأعشى (دار صادر ١٩٦٦) : ٤٥ ، وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٣٦٤ وفيه الشطر الأول على هذا النحو :

كهولا وشبانا فقدت وثروة *

وإني على سفْح الدمُوع التي تـــرى
جلدٌ على بيْن الحبيـــب صبُـــورُ
وإني بنارٍ أوقدتّها بـــذي الغـــضَى
على ما بعيْني من قـــذىً لبَصيرُ [1]
أضاءتْ لنا وحشيّة غـــير أنّهـــا
مع الإنْس ترعى ما رعَوا وتســـير
وهذا كافٍ في معرفة أحكام البيان ، واحتذاء سمْت الكلام البيّن .

قول في النظـــم

نظمُ الكلام هو تأليفُه على وضع الاتساق[2] وتساوي الأقسام واعتدال الفصول والأجزاءِ ، لأنّ الكلام قد يؤلّف مخلطاً غير متناسب ولا مقسم فلا يستحق اسْمِ النظمِ ، وإنما يستحق هذا الاسْمُ إذا كان موصوفاً مُرَتّباً ذاهباً في مذْهبِ الانتظامِ ومُوازنَة الأقسام .

والنظْم على خمسَة : نقْل ، وفصْل ، ووَزْن ، وقلْب ، ومثل .

فالنّقل في الكلام بالتقديم والتأخير ، وهو يحسن من ستّة وجوهٍ : الأول ــ أن تكون الحاجة إلى ذكره أشدّ والعلْم به أهم ، كقولك : قَطع اللصَّ الأميرُ . والثاني ــ أن يكون التأخير أليقَ بما اتّصل به من الكلام ، كقوله تعالى « وتغشى وجُوهَهم النار [3] » فهذا أليق بما بعده وهو قَوله

---

(١) في الأصل : « لبصير » .

(٢) في الأصل « الائتساق » .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٥٠ .

« إن اللهَّ سَريع الحساب [1] » ، وهو أيضاً أشكل بما قبله ، لأن قبله « مقرّنين في الأصفاد [2] » . والثالث – أن يكون الأولُ أعرف من الثاني ، وذلك في الأخبار والصِّفات ، وأمّا الأخبْار فكقولك « زيْد قائم » ينبغي أن يبدأ بذكر زيْدٍ لتطلع النفس بذِكرِ ما يعرف إلى الإخبار عنه بما لا يعرف ، فتقع الفائدة حينئذٍ على حقها وفي مرتبتها ، فهذا أصلُ الكلامِ في كُلِّ خبرٍ ، إلا الأفعال كقولك « قام زيد » فإنه يخصّ بالتقديم لقوة تعلّقه بالمخبْر إذا كانَ لا يخلو منه ، وأما الصفات فيجبُ أن يقدم الأعرف منها ، كقولك « زيد الطويل » فزيد أعرفُ من الطويل . والرابع – تقديمُ الحروفِ التي لها صدرُ الكلام ، مثل حروف الاستفهام ، كقولك « أزيدٌ في الدار » فهذا أحسنُ من قولك « زيدٌ هو في الدار » . والخامسُ – تقديم المعنى بعقْدِه في الجملة ، ثم تفسيره بذكر تفصيلِهِ ، كعقْدِ هذا الباب في الجملةِ على باب النظم وتفسير هذا العقد بتفصيلِهِ إلى الفصول الخمسَة التي ذكرناها . والسادس – أن يكونَ المعنى الأوّل يقتضي الثاني ويَدُل ، كالفعل فانك اذا فسّرته وقررته دَلَلْتَ به على الثاني ، فهو في مرتبة الدّلالة المقدمة على العلْمِ بالفاعل ، وكذلك كل نتجة فهي بعد مقدِّماتها من حيث كانت دالة عليها ، وهي قبْلُ مقدماتها من حيث كانتْ عرضاً فيها ، وكذلك كل لفظ يُحضِر النفْسَ المعنى الثاني ، كالفعْل فإنه يحضر معنى الفاعِلِ ، والحركة تحضر

---

(1) سورة آل عمران . الآية ١٩٩ .
وسورة المائدة . الآية ٤ .
وسورة إبراهيم . الآية ٥١ .
وسورة غافر . الآية ١٧ .

(2) سورة إبراهيم . الآية ٤٩ .

معْنى المتحرك ، والإرادة تحضر معنًى المريد ، فهذه الأوجهُ الستّة يحسن فيها التقديم والتأخير ، إلاّ أنّ الترتيبَ المذكور أحسنُ . ومن هذا الباب ثمانية أضْرب لا يجوز فيها التقديم جُملةً : الضّرْبُ الأول — تمام الاسم ، كالصِّلَة والمضاف ، تقول في الصّلةِ « الذي في الدار من شأنه كذا وكذا » ولا يجوز « في الدّار الذي من أمره كذا وكذا » على التقديم لتمام الاسم عليه ، والمضافُ من [1] تمام الاسم أيضاً ، كقولك « دار فلانٍ [2] » لا يجوز تقديم « فلان » على « الدار » . والثاني — توابعُ الأسماءِ ، وكل تابعٍ فهو بعد المتبوع . كقولك في التأكيد « أتاني القوم كلّهم » ، وفي الصفة « جاءني زيدٌ الطويلُ » وفي البدل « رأيت القَوم خمستَهم » ، وفي العطفِ « جاءني زيدٌ وعمروٌ » . والثالث — الفعل ، فإنه يتقدم الفاعلَ لدلالتِه عليهِ ، والدلالة قبل المدلول . والرابع — تقديمُ المضْمَر على الظّاهر في اللّفظِ والمعنَى ، لا يجوز من قبَلِ أنّه رجوع إلى الذكر بالإيجاز ، تقول « ضربَ زيدٌ غُلامَه » ولا يجوز « ضَرَبَ غلامه زيْد » . والخامس — التقديم إذا ألبس ، كقولك « ضَرَبَ هذا ذاك » لا يجوز فيه التقديم والتأخير ويجوز في « ضرب هذا زيداً » . والسادس — الحروف التي لها صَدْرُ الكلام لا يتقدّم ما بعْدَها على ما قبلها ، تقولُ « ما زيد قائماً » ولا يجوز « قائماً ما زيْد » . والسابع — ما لم يكن له قوة في العملِ كالفعل ، وهو الصِّفة المشبهة والتمييز وما عمل فيه حرفٌ وما عمل فيه معنًى ، فالأول كقولك « هو حسنٌ وجهاً » ، والثاني كقولك « تصبّبَ عرقاً » ، والثالث كقولك « إنَّ زيداً قائمٌ » ، والرابعُ كقولك

---

(١) في الأصل « فمن » وبحذف الفاء يستقيم الكلام .

(٢) هذا المثال سقط من السطر فكتب راسياً في الهامش بعد وضع علامة في السطر تدل على مكانه .

« كانتْ زيداً الحمّى تأخذ » .

والفصْل ، هو أن تجعل بيْن الشيئين حاجزاً يمنع أحدهما من الاتّصال بالآخر ، وهو على ضربيْنِ : قافيةٌ ، وسجعٌ :

فالقافية حرفُ الرويِّ ، وهي التي لا بدّ منها في كلِّ الشعرِ ، ونحن نعني بما وضعَ في القوافي عن التّشاغُلِ بالقول عليها في هذا الموْضع ، إلاّ أنّ الذي يُحتاجُ إلى ذكْرِه ها هُنا لمجانسته للأسْجاعِ واشتباهِ حالِهِ بحالها أن يعلْمَ أن القوافي على ثلاثة أضرُب : ضربٌ متمّمٌ للمعنى ، وهو كقولِ امرىءِ القيس يصفُ الفرسَ [1] :

إذَا ما جَرَى شأوَيْنِ وابتلَّ عِطْفُهُ
تقولُ هَزِيزُ الريح مرَّت بأثْأبِ [2]

والأثأب شجرٌ يكون للرّيح في تضاعيفه حفيفٌ شديد ، فزاد في الصفة أنّه يجيش بعد عرقِهِ ولا يكلّ ، وضرب متمكن ، وهو كقول زُهَيْر :

وأعْلمُ ما في اليوْمِ والأمسِ قبْلَهُ
ولكنّني عن عِلْمِ ما في غدٍ عمِ [3]

---

(1) البيت في ديوانه (ت: أبي الفضل) : ٤٩ . وديوانه (شرح السندوبي) : ٥٣ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٠ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٢٥ وفيه (هزيَز) ومعجم البلاغة العربية : ٩٦٠ . والصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٣٨١ .

(2) في الأصل « باياب » .

(3) ديوانه : ٨٦ وشرح الديوان ، صنعة ثعلب : ٢٩ وشرح الملقات للزوزني (صادر وبيروت ١٩٦٣) : ٨٦ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٥٢٢ وشرح بديعية =

فلـ « عم » ها هُنا موقع لطيف ، وضربٌ متكلف لا يُراد به غير التقفيةِ [1] ، وهو كقول أبي تمّام :

كالظَّبْيَةِ الأدْماءِ صَافتْ فارتَعتْ
زَهَرَ العَرارِ [2] الغَضَّ والجَثْجَاثا[3]

لأنّ الظبيةَ لا تنعت إلا بأنّها تعطو الشجر رافعةً رأسها مذعورةً ، فأما رَعْيُها الجثجاث فلا يزيد في حسْنِها ، والجثجاث أيضاً ليس[4] من المرعى . وينبغي لمن أراد نظمَ الشعرِ وإنشاء الرسائل أن يتخير الألفاظَ التي تقع في القوافي والفصول ، لتأتي متمـّمة المعنَى متمكّنةً غير قلقة ولا نافرة ، فإنَّ مراعاة السامع كما قلنا فيما تقدّم إنما هي مصروفةٌ إلى تتبع مبادىء[5] الكلام ومقاطعـِه .

وأما السجعُ فهو تقفية [6] مقاطع الكلام من غير وزن . واشتقاقه من السّاجِـع وهو المستقيم لاستقامته في الكلام واستواء أوزانـِهِ ، وقيل : هو مشتقّ من سجع الحمامةِ ، وهو ترجيعـُها مُكاءَها على حدْوٍ واحد ،

= الباعونية (على هامش خزانة ابن حجة) : ٤٠٥ وفيه « عمى » « بإثبات الياء » . وقد أورده العلوي في الطراز عند حديثه عن الإرصاد (انظره ط. المقتطف ١٩١٤) ٢ : ٢٢٨ .

(١) في الأصل : « التفقيه » .

(٢) في الأصل : « الفرار » .

(٣) ديوانه (ت: عبده عزام) ١ : ٣١٢ والصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٤٥٠ وفيه « زهرَ » . وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ١٤٥ . وصافت : أقامت صيفاً . العرار والجثجاث : نباتان .

(٤) في الأصل « فليس » .

(٥) في الأصل « مبادي » .

(٦) في الأصل « تفقيه » .

يقال : سجعتِ الحمامةُ تسجع سجعاً فهي ساجعة ، وإنّما اشتقّ هذا النعت لهذا النوع لأن مقاطعَ الفصول تأتي على ألفاظ متوازنة متعادلة ، وكلم متوازية[1] متماثلة ، فيشبه ذلك الترجيع . وقد تكلّم فيه أبو الفَرج قُدامة ، و أبو علي الفارسي وأبو علي الحاتمي [2] ، وأبو الحسن علي بن عيسى الرمانيّ .

فأمّا أبو الفرج قدامة فإنه قال في المنزلة الثالثةِ من كتابِ الخراج ، المرسُومة بالكلامِ على البلاغة ، بعد ما حذف من عبارتِه للاختصار : التّرصيع نصب الأجزاء والألفاظِ متناسبةَ الوضْعِ ، متقاسمةَ النظم ، متعادلةَ الوزن يتوخى في كلّ جزءين منها مثالانِ متداولا الكلام يكون مقطعاهما على حرْفٍ واحد من السّمعِ ، أو حرفين متَقَاربي المخرجيْنِ من الفم ، فإن انْضاف إلى ذلك أن تكون ألفاظ الجزءين مسْجُوعةً كان أحسن ، كما قال أبو علي البصير « حتى عَاد تعريضُك تصريحاً ، وتمريضُك تصحيحاً » ، فإن لم تتوجّه هذه المنزلة ، وهي أشفُّ المنازل وأشقّها على المتناول ، فما دونها ، وهي السجع بالحرفِ الواحد أو ما ضارعه وخرج من مخرجه من غير تزاوج الألفاظ ، كما قال بعضُ الكتاب « إذا كنتَ لا تولي من نقص كرم ، وكنت لا أوتيَ من ضعف سَبب ، فكيف أخافُ منك خيبَةَ أمل ، أو عدولاً عن اغتفار زللٍ ، أو فتوراً عن لمٍّ شعثٍ وإصْلاح خلل » فَوضْعُه النقْصَ بإزاءِ الفتورِ مناسبةً في رصْع الألفاظ وصحة

---

(١) في الأصل « متوارية » .

(٢) في الأصل « أبو حاتم الطائي » والصواب « أبو علي الحاتمي » كما اثبته حين اتى بعد بأقوال هؤلاء العلماء الاربعة (انظره ص ٢٠٨ س ١١) .

موازنة ، وإلاّ فقد كان يمكن أن يقال مكان « نقْص » « قلّة » ، ومك
« فتور » « تقصير » فكانت حينئذ غير متوازنة . وإن لم يتسهّل أن يكو
الجزءان متوازنين في القدْر فليكن الأخيرُ أطولَ .

وأمّا أبو علي الفارسي فإنّه قال : السّجعُ سجْعانِ ، حال وعاطل
فالحالي ما جاءت الكلمتان اللتان في آخرِ الفصليْنِ على رَويٍّ واحد ، وه
كقوله تعالى « والنجم إذا هوى ، ما ضلَّ صاحبُكم وما غَوى [1] »
والعاطل أن تكون الكلمتان على وزن واحد ورويٍّ مختلف ، كقوله سُبحا
« فكيف إذا توفتهم الملائكةُ يضربون وجوهَهم وأدْبارهم . ذلك بأنّه
اتّبعوا ما أسخط الله وكرهوا رِضْوانه فأحبْط أعمالهم [2] » فقابل « أدبارهم
بـ « أعمالِهم » وهما على الوزْن لا على الرويّ .

وأمّا أبو علي الحاتمي [3] فذكر في « حلية المحاضَرَة » أنّه[4] قد استوف
القول على السّجْع في كتابه المنعوت بالحالي والعاطل . ولم يقع إليّ هذا الكتاب
فأطّلع من تضمّنه على مذْهبِه فيه .

وأمّا أبو الحسنِ علي بن عيسى الرماني فإنّه كره إيقاع السجْع في الكلام
ولذلك لم يحدِّده ولا قسّمه ولا تكلّم على ماهيته فأعلم ما عنده من خلاف

---

(١) سورة النجم . الآيتان ١ و ٢ .

(٢) سورة محمد . الآيتان ٢٧ و ٢٨ .

(٣) هو محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ، اديب نقاد ، من أهل بغداد . له مؤلفات
في الأدب واللغة والنقد . توفي ٣٨٨ هـ . انظره في بغية الوعاة (ت: أبي الفضل
١ : ٨٧ وتاريخ بغداد (بيروت) ٢ : ٢١٤ ومعجم الأدباء (مرجليوث) ٦ : ٥٠١
و (المأمون) ١٨ : ١٥٤ ووفيات الأعيان (ت: محيي الدين) ٣ : ٤٨٢ .

(٤) في الأصل « فإنّه » .

ووفاق ، ولكنه قال إنَّ مُستعمِل الأسْجاع يضطر إلى أن يجعل المعاني تابعةً لها ، وأن [illegible] س ما توجبُه الحكمة في الدلالة ، إذ الغرضُ الذي هو حكمةُ الإ[illegible] لمعاني التي الحاجة إليها ماسّة ، فإذا كانت المشاكلة على خلافِ ذلك فهو عيْب ، لأنه تكلف من غيْر الوجهِ الذي توجبه الحكمة ، ومثل الفاعلِ لذلك كمن رصّع تاجاً وألْبَسَه زنجيّاً ساقِطاً ونظم قلادةَ درٌّ وطوّق بها كلباً . واستدلّ على سقوطِ السّجْع وخلوه من المعاني باشتقاقه من سجْع الحمامةِ ، وقال كما أنّه ليس في سجْعِ الحمامة إلاّ الأصوات المتشاكلة فكذلك ليس في سجعِ الكلام إلاّ الحروف المتشابكة[1].وأبو الحسن رحمه الله وإن كان الصَّدر الذي به يُقتدى ومن مصنفاته يُستْملَى ، فإنه أطلق القولَ في هذا الموضع إطلاق من سلّم إلى عفْوها حسّه وبادره خاطره ، ولم يراجع قولَه منعماً للنظر فيه ، ولو أعطاه حقّه من التأمل لهذَّبه وصقله ، ونقّحه ونقى قذاه . ونحن نقول في كلامه هذا قولاً فصْلاً ، ونحكم عليْهِ حُكماً عدلاً ، فنقول : إن اشتقاق السّجعِ في الكلام الذي هو حُروفٌ متوازنة متعادلةٌ ، وكلم متوازنة متقابلة [2] ، صحيحة المباني ، مبهمة للمعاني ، من سجع الحمامة الذي هو أصوات متشاكلة ورجيعات متماثلة لا معنى تحتها ، غير موجب لتشابههما من جميع الجهات ، وتضاهيهما من كلّ الصفات ، لأنه لو كان كل مشتقٍ يطابق المشتقّ منه مطابقَةَ المِثْل للمثْل والعقيبْ للعقيب ، لما وقع[3] التباين بينهما في الدلالة على ما يدلان عليه ، وإنما العادة جارية أن يشتق الشيء من الشيءِ إذا وقعت بينهما مناسَبَة في بعض الأحوال ، كاشتقاقِهم من لفظة « إجْنان الشيءِ » المتضمنة معنى الستر والتغطية تسمية

---

(1) في « النكت » للرماني : « وذلك انه [اي السجع في الكلام] ليس فيه إلا الاصوات المتشاكلة ، كما ليس في سجع الحمامة إلا الاصوات المتشاكلة » (ط. المعارف) : ٩٨ .

(2) في الأصل « متماثلة » وقد كتب فوقها « متقابلة » مسبوقة بـ « صح » .

(3) في الأصل « لانه يقع » .

عالمَ الأرض بالجن لاستتارهم عن الأعيُنِ ، وتسمية القلب جَناناً لتغطّية بما يستره ، وقولهم « جنّ عليه الليل » إذا ستره بظلامِهِ ، وتسمية الدرع جُنّة والترس مِجَنّاً لاستتار المحارب بهما ممّا يرد عليه من قرنه ، وتسمية الولد الذي في بطن أمّه جنيناً لاستتاره في الرحم والحشا ، وتسمية القبر جَنَناً لستره الميت . وقد فرّعوا على هذا الأصل فروعاً فسموا صنفاً من أصناف الحيّات جانّاً ، لزعمهم أن الجنّ تظهر في صُوَر الحيات ، وسمّوا الانسان الذي تعرض له الجن فتخبله مجنوناً ، وأمثال هذا الاشتقاق كثير نطيلُ بذكرها . وكذلك الحكم في التشبيه والاستعارة ، فإنّهم يشبّهون الشيءَ بالشيءِ وهم يريدون بعضه ، كتشبيهِهم المرأةَ بالظبيةِ وإنّما يريدون جيدَها وعينَها ، والسيفَ بالجدول وإنّما يريدون زرقته واطّراده ، ومن ذلك ضحكت الأرض إذا أنبتت لانها تنفتق عن النّورِ والزّهر كما يفترّ الضاحكِ عن الثغر ، وتسميتهم طلْع النّخلِ إذا انفتق عنه كافورُه الضّحك لانه يبدو كما يبدو ثغر الضّاحك . ومن اعتبر الاشتقاقات والتّشبيهات والاستعارات الواقعة في الكلام ، وضحَ له أن هذه سبيل جميعها ، وإنّما اشتقّ سجْع الكلامِ من سجْع الحمامِ لما يجمعهما من معنى التناسب في التقسيم والتعديل وتوازن المقاطع لا من طريق خُلُوِّ سجع الحمامِ من المعاني . ولو قصد قاصِد أن يؤلف كلاماً من حروفٍ متشاكلة في السّمع لا تفيد جملتُه المركبة من اللفظ والمعنى لكان هاذياً ، لأنهم قد حدُّوا الكلام بأنه ما تألّفتْ حروفُه وفُهم تأليفُه وأفاد سامعَه ، وهذا يفسدُ قولَه إنّه ليس في سجع الكلام إلا الحروف المتشاكلة كما أنّه ليس في سجْع الحمامةِ إلاّ الأصوات المتشاكلة ، لأنّا نجد جميع الكلام المسجوع مفيداً ، وإنّما يتفق أن يوجَد في بعضه استكراهٌ أو ألفاظ موضوعة في غير

مواضعها ، إما لأنّ ساجعه متكلف غير مطبوع ، فالألفاظ لا تنقادُ له إلى مطابقة المعاني . وهذا الفنّ من السجع هو الذي يضطّر صاحبُه إلى عكس الواجب في تقديم العنايةِ بالألفاظ على العنايةِ بالمعاني ، دون غيْرِه ممّا لا يدخله هذا العيب ولا يلمّ به . وما كان من الكلام هذه صفتُه فليس السجعُ بساقطٍ فيه حسب ، بل المعنى واللفظ ، وإن كان غرضُه ربما فُهِم بترديد النظر والتأمّل وإعمال الفكر ، لأن الفضيلة إنما هي للكلام البيّن الذي يُوصل المعنى إلى النفس بغيْر حائل ولا مهلة ، فالسجعُ[1] ليس بمكروه لذاته متى استُعمل على حقيقته وحدِّه ، وإنما المكروه أن يتكلّفه من ليس بمطبوع عليه فيوقعه في غيرِ موقعِه ، أو من يقصد تحسينَ كلامِه ويخل بإتقان معناه ، فأما إذا استعمله المطبوع المناسبُ له بغريزته الموفى للمباني والمعاني حقّها من التنقيح ونصيبها من التصحيح ، فوضَعه في موضعه وتمّم به معاني كلامه ونظمَه في سلك لفظه ، فلا مِرْية في حُسْنه ومزيّته ، لأن مقاطعَ الكلام إذا كانت ألفاظاً متوازيةً متمّمةً للمعنى وقعت أحسنَ موقع من القلب والسّمع . ومن المُجْمع عليه بين نقدة المعاني وجهابذة الكلام أن الشاعر إذا تمّم معنى بيته قبل القافيةِ ثم أتى بها لحاجة الشعر إليها فكمّلت المعنى أو زادته ما هو من صفته فقد حاز إلى فضيلته فضيلةً أخرى ، كقولِ امرىء القيس :

كأنَّ عيونَ الوْحشِ حَولَ خِبائِنا
وأرْحُلِنا الجَزْعُ الذي لم يُثَقَّبِ[2]

---

(1) في الاصل : فالسمع .

(2) البيت في ديوانه (ت: ابي الفضل) : ٥٣ وديوانه (شرح السندوبي) : ٥٦ وخزانة =

فإنه أتمّ التشبيه بقوله « الجزع » ثم لمّا اضْطُر إلى الإتيان بالقافية قال « الذي لم يثقب » فزاد في حُسْن التشبيه وتمّم المعنى أحسن تتميم وبلغ به في التوكيد إلى الأمد الأقصى، لأن عيون الوحش بالجزع غير المثقب أوقع في التشبيه . وحكى أبو بكر بن دريد عن التوّزي قال : قلتُ للأصمعي : من أشعَرُ الناس ؟ قال : من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه رفيعاً ، فينقضي كلامُه قبل القافية ، فإذا احتاج إلى القافية أفاد بها معنىً قلت : نحو مَنْ ؟ قال : نحو قول الأعشى حيث يقول :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليفْلِقَها

فلم يَضِرْها وأوْهَى قَرْنَهُ الوعِلُ [1]

فقد تمّ الكلامُ على قوله « وأوهى قرنَه » فلما احتاج إلى القافية قال « الوعل » فزاد معنى. قلت : فكيف صار الوعل مفضّلا على كل ما ينطح ؟

= البغدادي (بولاق) ١ : ١٦٢ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٢٧ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٩ ومعجم البلاغة العربية : ٩٥٩ وأمالي المرتضى (ت: أبي الفضل) ٢ : ١٢٥ وزهر الآداب (ت: البجاوي) ٢ : ٧٦٧ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢٤٦ والبديع لأسامة بن منقذ (ت: د. احمد بدوي وآخرين) : ٥٤ .

(١) في الأصل « الوعَل » . البيت في ديوانه (ت: د. محمد محمد حسين) : ٦١ وديوانه (دار صادر ١٩٦٦) : ١٤٨ . وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٣٦٩ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٨٠ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٥٧ والتمثيل والمحاضرة (ت: الحلو) : ٥٧ ، والكامل (ط. الاستقامة) ١ : ٣٩٧ ومعجم البلاغة العربية : ٩٦٠ ، وهو من قصيدة يعاتب فيها يزيد بن شهر الشيباني .

قال : لأنه ينحطّ من الجبل على قرونه فلا يستضر بذلك . وإذا كان هذا متسهّلاً للناظم المحصور في سجن الوزن فكيف يتوعر على الناظم المُطلَق العنان أن يوقع في مقاطع كلامـِه من الألفاظ ما ينخرطُ في سلك معناه ويتمّمه ، ولا سيما وهو غير مدفوع في جميع فصول رسالته إلى ما يُدفع إليه الشاعرُ في جميع قوافي قصيدته من الإتيان بها على حرفٍ واحدٍ ، وإنما يأتي بمزاوجة أو مزاوجتين ثم ينتقل إلى غيْرِها ، وهذا أمرٌ ظاهر لا يُدفَع . وما أرى [1] أنّ أحداً يكرهُ السجْع إذا سلم من الاستكراهِ، وطابق المعنى ، وكان مبنياً على البيانِ والفائدةُ في تكميلِه للمعنى أظهر من مزاوجة اللفظ، وسَلم مخرجه ، وحسُنَ موقعه ، وقَرب متناوله . وقد قال أبو الحسن رضي الله عنه : إنّ ما هذه صفته من السّجع ليس بسجْع ، وإنّما هو فضْلُ بلاغة . فكأنّه إذا عدنا إلى التحقيق إنّما يخالف في الاسم دون المعنى ، لأنّ هذا هو السجعُ المرغوبُ فيه المؤثَرُ المنتظمُ في سلك البلاغة . وقال : إن الأسْجاعَ التي وقعتْ في مقاطع الآي ليست بأسجاع وإنما هي فَواصِل . واحتجّ بأن السّاجعَ يأتي بالسّجع في كلامه للموازنة بين مقاطِـع فُصُوله ، والفواصِلُ تأتي للإيذان بختامِ الآية . وهي حجة صحيحة ، إلاّ أن بعضَ العرضيْنِ وإن اختلفا فلا خلاف بين الأسجاعِ والفواصل ، وذاك أنه قال: والفواصل على وجهين : على الحروف المتجانسةِ ، والحروف المتقاربة ، ومِثْل المتجانسةِ كقوله تعالى « وَالطّور . وكتاب مسطور . في رَق منشور [2] » وهذا من السجع الحالي ، ومثل المتقاربة كقوله تعالى « قَ ، والقرآن المجيد . بل عجبوا أنْ جاءهم

---

(1) في الأصل : أرى .

(2) سورة الطور . الآيات ١ ـ ٣ .

مُنْذِر منهم فقال الكافرون هذا شيءٌ عجيب [1] » فهذا من المتوازن . ولو أطلقنا وقوعَ السّجع في القرآن لم يكن ذلك مادحاً في إعجازِه ولا واضِعاً من منارِه ، لأنه إذا تضمّن ما في طباع البشر أن تأتي بمثله ثم قصّرت عن مضاهاته فلا بُرهان أنور من برهانه ، ولا إعجاز أبهر من أعجازِه . ويعضُد ما ذهبنا إليه من حسْنِ موقعِ السجْع في الكلامِ إذا طابق المعنى ، وحسُن في المختتم والمبتدأ ، ووقع في الموقع اللائق به ، وأعجز من يروم تبديلَه وُجُودُ ما ينوبُ منابه من الألفاظ .

وقد طعن أبو الفرج قُدامةُ على من ذمَّ السجْعَ وأزرى عليه بقوله :
« وقد رأيتُ قوماً يذهبون إلى كراهةِ السجعِ من غير أن يُعرف لهم في ذلك حجة ، ولا وُجد فيما ينكرونَه منه دليلٌ ، فعلمنا أنّهم ذمّوه لمّا راموه فلم يصلوا إليه ، وإلاّ فلا كَلام أجلّ من كلامِ اللهِ تعالى وكلام رسولِه ﷺ ، وقد ورد في كتاب الله ، وكان رسولُ الله يتوخّاه ويقْصِدُه ، كقوله للحسن والحسين عليهما السلام « أعيذكما من السامّة والعامة وكلّ عين لامّة » وإنما أراد مُلمّة ، فللمقارنةِ بين الألفاظِ وإتْباع الكلمةِ أخواتها في الوزن قال « لامّه » وقوله « ارْجعْنَ مأخورات غير مأجورات » وإنما أراد مأزورات من الوزر ، فجاء بها لمكان أختها ، وكذلك قوله عليه السلام « خيرُ المال مهرةٌ مأمورةٌ وسكّةٌ مأبورة [2] » والقياس مؤْمَرة ، فجاء بها لمكان أختها .

---

(1) سورة ق . الآيتان ١ و ٢ .

(2) في الأصل ، وفي جوهر الكنز (ت: د. سلام) : ٢٥٥ ، وفي سر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ١٦٩ « خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة » وما ذكرناه هو الوارد في النهاية لابن الأثير ١ : ١٣ نقلا عن الغريبين للهروي . السكة : الطريقة المصطفة من =

وقال عليه السلام في بعض كلامه : « هل من خلاص أو مناص ، أو مرار أو محار ، أو معاذ أو ملاذ » . ولست أقول إنّ تطلّب الأسجاع وغيرها من أثواب البديع بعسف واستدعاءها بعنف ممّا يصقل فرنْدَ الكلام ويزيد في جوهرِ النظام، لكن أقول إنّ الحسنَ أن يكون الكلام مطّرداً متسقاً ، فإذا تهيّأت للمتكلم فرصة السجع انتهزها ورقمها في الموضع [1] الأشبه بها ، فإن جادَ الخاطرُ في جمْعِ الكلام بالسجع من غير تكلف يُخْمد نورَ المعنى ويغض من روائه وبهجتِه فهو أشفُّ وأشْرف .

والوزنُ ، في الأصل : هو التعديل بينَ الشيئين في الخِفّة والثقل ليعلم مقدار احدهما من الآخر [و] لا يخلو من أن يكون مساوياً أو زائداً أو ناقصاً ، فأمّا الوزن في الكلام ، فهو : التعديل بالحروفِ والحركة والسكون . والتعديل بالحروف من وجهين : أحدهما المساواة من غير زيادةٍ ولا نقصان ، والآخر المساواة في الخفة والثقل ، فأمّا المساواة من طريق عددِ الحروف والحركة والسكون فهو للشعْرِ خاصةً ، لأن كلَّ بيتٍ من الكلم مساوٍ لما قبله وبعده ، إلا ما أجازوه للزحاف ، وأما المساواة في الخفّةِ والثقل على اللسان فهو في سائر الكلام ، وهو على مراتب ، والعلّة فيه أنّ من الحروف ما يتنافر في التأليف ، فكلّما جمعتِ الحروف المتنافرة كان أصْعَبَ وأعسر ، ومن ذلك ما ولّدوه من تأليف الحروف ولا يرتضيه العرب لثقله على اللسان فرفض

= النخل ، والمابورة : الملقحة . وقيل : السكة : سكة الحرث ، والمأبورة : المصلحة له ، والمامورة : الكثيرة النسل والنتاج ، يقال أمرهم الله فأمِروا ، أي كثروا . وفيه لغتان : أمرها فهي مأمورة ، وآمرها فهي مؤمرة . أراد خير المال نتاج أو زرع (النهاية ١ : ١٣ ، ٦٥) .

(١) هذه الكلمة سقطت من السطر ، فكتبها الناسخ في الهامش مردفاً إياها بـ « صح » .

وألقى ، ومن المتنافر قول ابنِ بشر :

لم يضِرْها ، والحمدُ للهِ ، شــيءٌ
وانثنت نحو عزْفِ[1] نفسٍ ذهولِ[2]

فإنّ ألفاظَ هذا البيت يتبرأ بعضُها من بعض ، وهو من معايب الكلام .
وأحسن الكلام ما التأمتْ أجزاؤه وتناسبَ نظامه وخفّ على لسان مورده ،
كقول النُّميريِّ :

من كان ذا عَضُدٍ يُدركْ ظُلاَمتَه
إنّ الذليلَ الذي ليست له عُضُد[3]
تنبو يــداه إذا ما قــلّ نــاصِرُه
ويأنفُ الضَيم إن أثرى لــه عَــدَدُ

والقلْبُ على ضربين : إبدال كلمةٍ مكان كلمةٍ ، وتغيير حرف من
صورةٍ إلى صُورة . والإبدال يكون لأمور ثلاثةٍ : الأوضح ، والأخف ،
والأشكل ، فأما الإبدال للإيضاح[4] فكقول القائل[5] :

---

(1) في الأصل « عرف » .

(2) ورد في منهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ٢٢٤ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) ١
و (نشر على فوده) : ٩١ وفي هذه النشرة « فانثنت » موضع « وانثنت » في اول البيت .

(3) أورده الزمخشري في المستقصى ١ : ٤٠٤ ونسبه إلى الثقفي وهو النميري
شاعر غزل من شعراء العصر الأموي . واسمه ـ كما ذكر في الاعلام ـ محمد بن عبد الله
ابن تمير بن خرشه الثقفي النميري . وكلمة « عضد » وردت في الأصل مكسورة الضاد .

(4) كان المفروض أن يكون للأوضح مثلما قال في الآخرين : للأخف ، وللأشكل .

(5) هو ذو الرمة .

لَيَالِيَ اللَّهْوُ يَطْبِينِي فَأَتْبَعُهُ (١)

ثم تبدل مكان « تطبيني » « تدعوني » للإيضاح ، وأمّا الإبدال للأخف فيكون من جهة الحذف والاختصار ، ويكون من جهة التأليفِ والانتظام ، ويكون من جهة الاستعمال :

فأمّا الحذفُ والاختصار فكقولك « رسْلٌ وصحفٌ وكتْبٌ » لأنه أخفّ من « رسُل وصحُفٍ وكُتب » وكذلك « الهلال واللهِ » لأنه أخفّ من « هذا الهلالُ واللهِ » ، وأما التأليف والانتظام فكقولك بدلاً من قوله :

« وليسْ قُربَ قبرِ حربٍ قَبْرُ » (٢)

« وليس عند مدفنِ حربٍ قبرُ » لأنه أسهل وأخفّ من جهة تأليفِ الحروف ، وأما كثْرةُ الاستعمالِ فكقولك « إن شاء اللهُ » بدلاً من قولك « إنّ الله شاء ذلك » لأنه تعمق وعدول عمّا كثُر في الاستعمال وقربَ مأخذه ، وأما الإبدال للأشكل فكقولِه تعالى « إنّ شجرةَ الزّقوم . طعام

---

(١) عجزه :

كأنني ضاربٌ في غمرةٍ لعبُ

والبيت في ديوانه ص ٧ . وفي جمهرة أشعار العرب (ت: البجاوي ط١) : ٩٣٩ وفيها « الدهر » موضع « اللهو » .

(٢) شطره الأول : وقبر حرب بمكان قفر *

ورد البيت في المثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ١ : ٤٠١ غير منسوب إلى قائل ، وعلق المحققان بقولهما : ذكروا أنه من شعر الجن ، وأنه لا يتهيأ لاحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتعتع ، وذكروا أن جنياً صاح على حرب بن أمية فمات في فلاة ويسمى نوع هذا الجني هاتفاً . كما ورد أيضاً غير معزو في العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٦١ .

الأثيم . كالمهل يغلي في البطون . كغلي الحميم[1] » ف« الأثيم » أشكل بالفصل من « الفاجر » لو وضع موضعه .

والمثل في النظم يكون على وجوه ، وهي : القافية ، والوزن ، والمزاوج ، والمطابق ، والمجانس . فأما القافية والوزن فقد أشرنا إليهما فيما تقدم ، وأمّا المزاوج فكقوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم[2] » وأمّا المطابق فيكون في اللفظ والمعنى ، وذلك كمطابقة الجواب للسؤال ، فيقال في هذا أنّ الجواب مثل السؤال في المقدار من غير زيادة ولا نقصان ، والمجانس كقول أبي تمام :

السيفُ أصدق أنباءً من الكتبِ
في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللّعبِ[3]

فالحدّ الثاني ليس بمثل الحد الأوّل على الإطلاق ولكنّه مجانس له . وسنذكرُ الفرقَ بين المجانِس والمزاوج والمطابق في باب المشاكلة إن شاء الله .

---

(١) سورة الدخان . الآيات ٤٣ — ٤٦ . في المصحف الجوامعي الشريف بخط قدروغلي « شجرت » بالتاء المفتوحة .

(٢) سورة البقرة . الآية ١٩٤ .

(٣) ديوانه (ت: عبده عزام) ١ : ٤٠ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢٢؛ والمثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ١٠٣ .

قول في الترتيب

الترتيبُ وضعُ الشيء في حقّه . ويقال : إيقاع الشيء في موقعه . ويقالُ : تصيير الشيء في مرتبته . وله حظ عظيم في تهذيب المعاني وتنقيحها وتعديل أقسام الكلام وتصحيحها . ولمّا كان الكلام هو الطريق إلى الإبانة عمّا في الأوهام ، وكان منه المستقيم والخطل ، والمرتّب الحسن والمخلّط القبيح ، احتيج إلى تمييزه ليسْلم من وقوع عيْب فيه ، لأنّ التخليط إذا وقَع في الكلام أفْسد بنْيتَه ، وسَلب حليته ، وقبّح صيغته ، فإن زاد فيه مع تخليطه ما ليس منه زاد ذلك في قبحه ، وإن جمع إلى تخليطه وزيادة ما ليس منه نقص ما لا يتم إلاّ به كان أشد قبحاً ، لأن الكلام إذا خالطه ما ليس منه زال عن مرتبته وصار بغير مكانه لامتزاجه بما لا يناسبُه ، وإذا خرج منه ما هو منه انتقص رُتْبتَهُ لأنه صار الخارِجُ منه بالمكان الذي ليس على التقدير .

والكلام وغيره مما يرتب يخرجُ عن رتبته بأحد ستة أشياء ، وهي : التقديمُ ، والتأخير ، والرفع ، والحطّ ، والاحد يميناً وشمالاً . وليس ترتيب الكلام بتخير[1] ألفاظه لأنه لا لفظة من الألفاظ وإن أنصعت كل الإنصاع إلاّ والحاجة ماسة إلى العلم بها لأمرين : أحدُهما أن تضْرَب مثلاً في الفتح ، ولذلك حسن التمثيل بالشعر السخيف في الموضع اللائق به ، والآخر ليحذر من تهجين الكلام بإيقاعهما فيه — وإنّما ترتيب الكلام بوضْعه في الموضع الذي يستحقه كائناً ما كان ذلك الكلام . وينبغي لمن رام ترتيبَ الكلام أن يبدأ بتمييزه ليتمكن من إلحاق كل شيء بشكله وما هو أولى به ، ثم يتبعُه بالترتيب ليضعه في الموضع الذي هو له . وحقيقة التمييز قران الشيء بما هو أولى به ، ولا

(١) في الأصل « بتخيير » .

سبيل إلى استقامة الترتيب إلا بصحته . وفي الترتيب فوائد جمّة ، منها:وجُودُ المطلوب مرتباً ، وتحسين الصورة ، والعلم بقدر كل جملةٍ ، ورفض ما لا يقع فيه ، وحضور النفس كل طبقة ، والإرشاد إلى الملتمس بالصفة ، وظهور ما تقع به المعرفة ، إلى غير هذا من الفوائد . ودلالته من أوضح الدلالات ، لأنك إذا قلت « ظنَنْتُ الرجلَ امرأةً » دلّت على معنىً ، فإذا قلت « ظننتُ المرأةَ رجلاً » دللت على معنىً آخر . ومن دلالته ما يقع في ترتيب المصنّفات ، كتعديد أبواب الكتاب وعقد كل باب على ما ينتظمُه من الفصول ، وذلك أن جميعَ الفصول متعلّقة بما عُقِد عليه الباب ومرتبطةٌ به ، فهي ما يعدله، وترتيبه بذلك المكان منها دالّ عليها ومذكّرٌ بها ومعين على ضبطها ومبين لتناسبها وموضح لمشكلها بالمقابلة والتناسب . ومن دلالته أيضاً نظم المعاني على ما هو أولى بالتقديم ، كتقديم صدْر الكتاب ، وإتباعه بما هو أقربُ منه وأشكل به ، ثم نسق ما يتلو ذلك شيئاً فشيئاً إلى آخرِ الكلام المفاض فيه . وعلى الجملة فان كلّ ما رتّب كان أوضح وأجلى ، وأملح وأبهى ممّا لم يرتب . والتخليط في الكلام وإيراد المعاني على غيْرِ نظام قبيح مسترذل . والغرض في الترتيب ما فيه من حسْنِ الدلالة ، وبهاء الصورة ، وسهولة ما يُستصْعَب . وبهاء الصورة بالترتيب ظاهر في أمور كثيرة ، كالنّفوس المرتبة المتعادلة القسمة ، والخطوط المتناسبة المتشاكلة ، والأبنية ، وغير ذلك . وهذا كلّه فإنّما هو مثال لترتيب المعاني الوهمية ، وبحُسْنِ الترتيب تفاضَلتِ البلغاءُ والشعراء والخُطباء .

ولا بدّ في الترتيب من مراعاة التناسب ، والتشاكل ، والتخير ، والتقسيم ،

والتمييز، والتحصيل ، والتحديد ، والنظم ، والوصف ، فمتى وقع الإخلال بشريطةٍ أو الخطأ في مقدّمةٍ كانت المضرّة بحسبها .

أمّا المشاكلة فلأن المشاكل أولى من المتباين ، وأما المناسبة فلأنّ النسيب في الجملة أولى من الغريب ، وأمّا التخير فلأن به يُدرك الأولى بأن يكون مع المرتّب في المرتبةِ أو بعدَه أو قَبْله ، وأما التقسيم فلأن به تتبين المناسبة ، وأما التمييز فلأنّ به ينفرد ما كان على المشاكلة ، وأما التّحصيل فلأن به يظهر المطلوب برتبته من غيره ، وأما التحديد فلأنّ به يسقط حشوُ الكلام وفضوله ، وأما النظم فلأنّ بمراعاته يتبيّن التقديم والتأخير والذّكر والإسْقاط ، وأمّا الوصف فلأنّ بمراعاته يتبيّن موضع الموصوف . فإذا حضرت المعانِي للنفْس فليس يحتاج بعدَها إلا إلى حسنِ الترتيب ، وبحسن الترتيب يكون الكمال والتّمام .

والأسباب التي يحسن بها الترتيب في الكلام كثيرة ، منها الوزْن ، ومنها المناسبة،ومنها المطابقة ، وكل ذلك في اللفظ والمعنى .

والترتيب على ضربين : ترتيب في المكان على الحقيقة ، كعقد الباب وما يذكر بعْدَه من تفصيله ، وترتيب ما قدّر تقدير المكان ، كتقديم بعض اللفظ على بعض ، وذكر بعضِه دون بعض . وهو أيضاً على ضربين : ضربٌ ينقل الصورةَ من مكان إلى مكان كترتيبِ الكُتُبِ بعد تمييزها ، [وآخـــر] تُنشأ فيه الصورة من مكانٍ دون مكان كالخَطّ .

والترتيب عُدّة للبيان ، وذلك أن أسبابَ الأشكال أربعةٌ : الاشتراك ، والتخليط ، والتبعيد ، والتعبير ، والاشتراك في الصّورة الواحدة يغلّط في اعتقاد ذاتِ المقصود ، ويصُدّ عن إدراك المطلوب ، والتخليط يمنعُ من التمييز ، والتبعيد يمنعُ من الضّبطِ والتحصيل،والتعبير يمنح من دَرك الحقيقة فقد وضح أنّ الترتيب أحدُ أسباب البيان التي تمنع الإلباس . ولفضْلِ الترتيبِ قالوا في مراتب العلم إنّها كالموافي لا توصل إلى العاشرة إلاّ من التاسعة . ويجب أن يُعتمدَ في الترتيب على الغرض ، والغرضُ ما اكْتسبَ منفعةً أو دفع مضرةً،والمُجتبى من الأغْراض على حسب العلوم المفاض فيها . وقد أشرنا فيما تقدّم إلى أنّ لغيْرِ صناعة البلاغة شركةً في هذا الباب . ونحن لذلك نقتصرُ منْه على ما أوْرَدْناه لغنى الكاتبِ بمعرفتهِ عن معرفة ما سواه .

قولٌ في التصرف

في التّصرفِ ضروبٌ من البيانِ لا يلحق بها غيْرُها ، ولا يجري مجراها سوَاها ، لأنك إذا دللْتَ على الشيء الواحدِ من وجوهٍ متباينة وطرق متشعّبة كان أوضَح له وأبين من أن تدلّ عليه من طريق واحدةٍ . ويحتاج فيه إلى علْم ما التصرف،وما الحاجةُ إليه في البلاغة،وكيف تصرّف اللفظ دون المعنى والمعنى دون اللّفظ وكيف تصرّفهما معاً ، وما الطريقُ إلى علم التصرف ، وما يناسب المعاني في التصرف ، وما يتصرّف لفظه والأصل واحد ، وما يتصرف والأصلُ مختلفٌ .

والتصرف تغيّر المعنى عما كان عليه ، ثم كثُر حتى قيل لتغيّر الدلالاتِ

عليه تصرّف وإن كان لم يتغيّر في نفسه ، وذلك أنّ المعنى قد يكون مرّةً ماضياً ، ومرّةً حاضراً ، وتارةً مفعولاً ، وتارةً غير مفعول ، ووقتاً مأموراً به ، ووقتاً منهياً عنه ، وفي حال مُستخبَراً عنه ، وفي حال مُخبَراً به ، وحيناً يكونُ مثبتاً ، وحيناً يكون منفيّاً ، وحيناً لا مثبتاً ولا منفياً ، وكرّةً تُبنى الصِّفة من الفاعل ، وكرّةً تبنى من المفعول به ، وكرةً تدلّ عليهما .

والحاجة إلى التصرف في علم البلاغة شديدة ، وذلك أنه قد يكون في موضع إطْناب وقد يكون في موضع إيجاز ، والعاجز عن التصرف فيهما يقصّر في البلاغة .

وأما تصرف المعنى دون اللفظ ، وهو أن يقع على وجوه مختلفَة بلفْظٍ واحدٍ كـ « العين » فإنّها تتصرّف في معانٍ كثيرة والأصلُ واحدٌ ، وهو : عيْنُ الحيوانِ ، ثم يُقال عيْن الماءِ ، وعين القومِ ،والعين الذهب ، وعيْن[1] الشمسِ ، وعين الميزان[2] .ولو قيل في هذا إن اللفظ يتصرّفُ لكان صَواباً لأن تصرفه وضعه في هذه المواضع المختلفة ، فعين الماء شبّه بعين الحيوان وعين القوم ، كأنهم يرون به لأنه يؤدي اليهم ما تؤدي العين . والعينُ الذهب مُشَبّهٌ بعين الحيوان لشرفه على ما يتعامل به ، فهو كالعين في شرفها على جملة البدن . وأما عيْن الميزان فمشبّه بعين الأحولِ[3] ، ألا ترى أنه يقال في الميزان حول وهو أحول .

---

(١) ابتداء من هذه الكلمة إلى « ما تؤدي العين » كتب في الهامش الأيسر راسيا ، مردفا بـ « صح » ثم زيد « والعين الذهب » مردفة بـ « صح » .

(٢) في الأصل « المران » .   (٣) في الأصل « الأحوال » .

وأما تصرّف اللفظ دون المعنى ، فهو أن يتغير اللفظ ولا يتغير المعنى ، كقولك : قربَ واقترب ، والطّلوع والمطْلع ، وقراح وقروح في جمع قرح ، والذهاب والذّهوب في مصدر ذَهَب .

وأمّا ما يتصرّف لفظه ومعناه فعليه أكثرُ الكلام ، كقولك : الضَربُ والاضْطراب والضّراب والمُضَاربة والتضارب والاستِضْراب .

وأمّا تناسُب المعاني في التّصرفِ هو أن يرجع إلى أصْلٍ واحدٍ ، ومثاله أنّ معْنى الفخرِ يدور في كل ما تصرّف منه كما يتصرف معنى الضرب في جميع بابه . وقد تتناسبُ المعاني بوجهيْنِ أحدُهما ضمّ الأصْلِ لها ، فإن الأنساءَ كلها أعني الأصلَ في أنفُسِها كما يكون ذلك في الألفاظ سواءً ، والمضْراب أقربُ إلى الضراب منه إلى الاستضراب ، لأنّ زيادته عليه حرفٌ واحدٌ والزيادة في الاستِضْراب ثلاثة أحرف . وقد يتصرف في المعنى الواحِد بألفاظ مختلفة الأصْل والفَرع ، وذلك كقولك : حركة ، وثقْلةٌ ، وزَوال ، فالأصل والفرع في اللّفظِ مختلف والمعنى واحد .

وأمّا الطريق إلى علم التصرف فهو بتوفر الخواطر على الفكْرِ والرياضة والروايةِ والدراسةِ فإن اتفق مع ذلك حُصول طبعٍ فاضل بلغَ الغاية العالية من البلاغة . وعلى حَسَب قصور الطبع يكون التقصيرُ فيها .

ومن التصرف في كتاب الله تعالى قوله « وإذ قُلْنا [1] للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين [2] » وقوله في

(١) في الأصل « وإذ قال ربك للملائكة ... » .

(٢) سورة البقرة . الآية ٣٤ .

موضع آخر « إلا إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربه [1] » وقوله في قصة موسى عليه السلام « ثم بعثنا من بعدِهم موسى بآياتنا إلى فرعونَ وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين [2]» وقوله « ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون وملئه [بآياتنا] فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين [3] » وقوله « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان [4] مبين . إلى فرعون وملئه فاتّبعو أمْرَ فرعون وما أمر فرعون برشيد [5] » .

فأمّا التصرّف في منثور الكلام ومنظومه فأشهر من أن يحتاج إلى تمثيل ، لأنّ ضروبَ المعاني التي يستعملُها الكتاب والخطباء والشعراء لو عُدّدت لكانت أصولها محصورةً . وقد تصرّف كل من هؤلاءِ في كل أصل من أصول التصرف الذي لا ينحصر ولا يتحدّد ولا يقف عند غايةٍ ولا أمد ، لأنّه مع الخواطر في السيلان على ممر الآبادِ والأزْمان .

قول في المشاكلة

أصْلُ المشاكلةِ في الاشتقاق التقييد ، ومنه شكال الدابّةِ وشكل الحروف لأنّهما يقيِّدانِهما ، والشكل في الهندسة لأنه صورةٌ تقيّد المثْلَ في النفس . والشّكْل الدَّلُّ ، لأنّه تشابه بعضِ الأحوالِ ببعض في الحسْنِ ، فهناك

(١) سورة الكهف . الآية ٥٠ .
(٢) سورة الاعراف . الآية ١٠٣ .
(٣) سورة يونس . الآية ٧٥ ولم تذكر « بآياتنا » في الاصل .
(٤) النون كتبت في الهامش لضيق السطر عنها .
(٥) سورة هود . الآيتان ٩٦ و ٩٧ .

معنىً رَبَطَ كلَّ واحدٍ منهما بالآخر وقيّده بصاحبه . والمشاكلة تكونُ في اللفظ ، وتكون في المعنى ، وتكون فيهما معاً . والمشاكلة والمماثلة تكون بالنفس ، ولمعنى غيرِ النفس ، فالمماثلة بالنفس أن يسدّ كلّ واحدٍ من الشيئين مسدّ الآخر ، كالسوادين والبياضين وما أشبه ذلك ، والمماثلة لمعنى غير النفس أن يسدّ أحدُ المتماثلين مسد الآخر من جهة ، كالعلم والنور فإنهما يتشاكلان في معنى الإبانةِ . والفرق بين المشاكلةِ والمشابهةِ أنّ المشابهة بالنفس والمشاكلة بمعنىً ، إلا أنهما قد تداخلا فصار كلُّ واحدٍ منهما يُستعمل مكان الآخر .

والمشاكلة باللفظ تكون بالحروفِ ، وبالإعرابِ ، وبالوزنِ .

فالمشاكلة بالحروف على وجوه منها : القافيةُ ، والسجعُ ، والحروف المتقاربةُ المخارج،والحروفُ المتجانسة . فأما القافية والسجع فقد مضى الكلامُ عليهما . وأما الحروف المتقاربة المخارج [1] فإن بها تكون المشاكلة في الكلام ، وذلك أن للحروف ستة عشر مخرجاً ، فإذا كانتِ الكلمةُ مؤلفةً من حروف متقاربة المخارج كان الناطق بها بمنزلة من يمشي وهو مقيّد ، وإذا كانت الكلمة مؤلفةً من حروف متباعِدة المخارج كان الناطق بها بمنزلة الواثب من مكانٍ إلى مكان ، واستكراه هذين التركيبين يظهر بثقلهما على اللسان وبشاعتهما في السمع ، وإنّما يحسنُ التأليف اذا كان من حروف معتدلة ليست بذات بعد بعيدٍ ولا قرب قريب . وأما الحروفُ المتجانسة فثلاثة عشر صنفاً ، وهي : المجهورة ، والمهموسة ، والشديدة التي تمنعُ الصوت الجريَ معها ، والرِخوةُ ، والمتحركة ، والشديدةُ التي يجري الصوت

(1) في الاصل زيدت كلمة « المتجانسة » ولا موضع لها . سيأتي بعد قليل ذكر الحروف المتجانسة .

معها ، والمُكرّرة ، واللّينةُ ، والهاوية ، والمطبقةُ ، والمنفتحة ، والمستعْليَة ، والذلق ، وينبغي أن يعرفَ كلّ جنسٍ منها ، وما يحسُنُ ويقبح من تأليفها وتركيبها ، ليختارَ المتناسبَ المتشاكلَ ويعْدلَ عن المتباين المتنافر .

وقال الخليلُ بنُ أحمد : أصناف الحروفِ تسعةٌ ، وهي : الحلقية ، واللهويّة ، والشجرية ، والأسليّة ، والنطعيّة ، واللثوية[1] ، والذلقية ، والشفهية ، والهوائية . قال : والذلاقة [2] في المنطق إنّما هي بحروفِ أسلَةِ اللسان ، وذلق اللسان تحديدُه مثل ذلق السنانِ ، ولا ينطلق شَبَا اللسان إلا بالحروف الذَلقيّة ، وهي : الراءُ ، واللامُ والنونُ ، ويلحق بها الحروفُ الشفهية ، وهي : الفاء والباء والميم . قال : ولما ذلقتْ هذه الحروفُ ومَدل بها اللسانُ سهُلت على المنطق وكثُرت في أبنية الكلام ، فليس يعري شيء من الرباعي والخماسيّ التام منها أو من بعضها ، فإن وردتْ كلمةٌ رباعية أو خماسيّة معرّاة من هذه الحروف الستة فالكلمة محدثة مولّدة ليْسَتْ من كلامِ العرب . قال : وقد قالوا « العسجد » و « القُدَاحس » ولولا ما لزمهُما من العين والقاف ما حسنتا ، إلا أن هذين الحرفين لا يدخُلانِ في بناءٍ إلاّ حسّناه ، لأنّهما أطلق الحروف ، أمّا العين فأنصعُ الحروف جرْساً وألْيَنها سماعاً ، وأما القاف فأبيَن الحروف وأصحها جرساً ، فإذا كانتا في بناءٍ حسن لنصاعتهما ، فإن كان البناء اسْماً لزمته السينُ والدال مع لزوم العينِ والقاف ، لأنّ الدال لانتْ عن صلابة الطاءِ وكزازتها ، وارتفعت عن حقوق التاء فحسُنت،وصارت حال السين بين مخرج الصّاد والزاي كذلك ،

(١) في الاصل « واللعوية » .

(٢) في الأصل : والدلايه .

ولهذا لا يضرُّ الكلمةَ ما خالطَها من الحروف الصمّ . قال : والهاء تحتمل في البناءِ لهشاشتها وأنّها نفس لا اعتياص فيها . قال : والمُضاعف بناءٌ تستحسنه العربُ وتستلذه ، فيجوز فيه جميع ما جاء من الصحيح والمعتل والذلق والطلق والصم ، وذلك : الصَّلْصَلة ، والزلزلة ، والمهارة في هذا وما يناسبُه يدل على [ما] يحسن من التأليف ويقبح ، وما يقع في أعلى الطبقات وأوْسطِها وأدْونها ، ويعين على مشاكلةِ الأعلى بالأعلى والأوسط بالأوسط والأدون بالأدون .

وأما المشاكلة بالإعراب ، فإنك إذا قلت « ضربتُ زيْداً » قلت « وعمرا كلمته » لأنك[1] بنيت الكلام على الفعل ، ومنه قولُه تعالى « يدخل من يشاء في رحمته والظالمينَ أعدّ لهم عذاباً أليماً » .

وأما المشاكلة في الوزن فتكون في أبيات القصيدة ، إذ كل بيتٍ منها على زنة ما قبله وما بعده . وتحسن في المقاطع ، كقوله تعالى « إذ نادى ربّه نداء خفيّاً . قال ربِّ إنّي وهنَ العظمُ منّي واشتعل الرأس شيْباً ولم أكن بدعائك ربّ شقيّاً »[2] .

وأما المشاكلة في المعنى فهي على ثلاثة أضرب: المجانس ، والمزاوج ، والمطابق .

فالمجانسة كقول أبي تمّام :

السّيْفُ أصْدقُ انْبَاءً مِــن الكُتُبِ
في حدِّه الحَدُّ بيْن الجِدّ واللّعِبِ[3]

---

(1) لا بل .

(2) سورة مريم . الآيتان ٣ و ٤ .

(3) مطلع قصيدة للشاعر (يمدح المعتصم ، ويذكر فتح عمورية) . ديوانه (ت: عبده عزام) ١ : ٤٠ .

فقوله « في حدّه الحد » تناسبٌ بمعنى الأصل ، وذلك أن أصْلَ الباب المَنْعُ ، ففي حدّ السيف منْعٌ ، وفي الحدّ بينَ الجدّ واللّعبِ منْعٌ أيضاً ، لأنّ معناه الفصلُ الذي يمنعُ أحدهما أن يختلطَ بالآخر . وفي هذا البيْتِ ترصيع أيضاً ، وهو مقابلةُ صورةِ الحدّ بصورة الجِدّ وهما متفقان خطاً لا لفْظاً . وقد سمّى البديعيُّون المجانسةَ تجنيساً وهو تفعيلٌ من الجنس، والجنس ما كانت تحتَه أنواع كالحيوان والنبات ، وقد قال قوم إنّ النوعَ أعمُّ من الجنس وأن الأجْناسَ تحتَه ، والأكثر هو القول الأول . ووجدْتُ عامة من نظر في البديعِ لم يفرق بينَ التجنيس والترصيع إلا أبا علي الفارسي فإنه فرقَ بينهما ، ومثّل كلاًّ منهما بأمثلةٍ تميّزه عن الآخر ، وذلك أنّ الجماعةَ يروْن أنّ ما اتفق لفظه واختلف معناه من باب التجنيس ، وأبو علي يراه من باب التّرصيع ، ولم أسمع لغير أبي عليٍّ كلاماً في الترصيع ، وهذا يدل على أنّ أبا عليٍّ قسّم ما ضمّنوه باباً في بابين وسمّى أحدَهما تجنيساً والآخر ترصيعاً ، وقد أحسن كلَّ الإحسان ، وذلك أنّ الكلمةَ إذا اتفقتْ صورُها وتقابلت في المنظر[1] بالخطِ أو في المسْمعِ باللفظ أشبهت الجواهرَ المتفقة الأجسام إذا تقابلت في النظام واذا تضمّن بعضُ الكلم ما في البعض من الحروف فقد[2]تجانسَا الاشتمالِ كل كلمةٍ على أكثر ما في الأخرى من الحروف التي ركّبت منها . ونحن نذكرُ مذاهبَ الناسِ في هذيْن البابين وغيرهما ، ونشير إلى مواضع الخلافِ والوفاق بمشيئةِ الله تعالى .

---

(١) في الاصل « المطر » . (٢) في الاصل « وقد » .

فالتجنيس [1] على مذهب عبد الله بن المعتز : أن يُؤتى بكلمتين على لفظ واحد ولهما معنيان ، أو على لفظ تتقارب حروفه ، فمن التجنيس الذي يتفق لفظه ويختلف معناه قول بعضهم « اللهم اني مُسْلم مُسَلّم » ، وهذا القسم عندَ أبي علي الفارسي داخلٌ في باب الترصيع ، ومن التجنيس الذي تتقارب حروفه قول أبي تمام :

جَلاَ [2] ظُلُماتِ الظُّلْمِ عن وجْهِ أمّةٍ
أضاءَ لها من كوكَبِ الحـقِّ آفِلُهْ [3]

وهذا هو التجنيسُ الصحيح على مذهب أبي علي الفارسيّ ، لأن حروف إحدى الكلمتين وهما « ظلماتٌ » و « ظُلم » مجانسةٌ لحروفِ الأخرى .

والتجنيس عنده – أعني أبا علي الفارسيّ – على ضربين : مجموع ، ومفروق ، فالمجموعُ ما ليس فيه بين حرفي المجانَسَةِ فاصلة ، كقول امرىءِ القيسِ :

لقد طَمحَ الطَّمّاحُ من بُعْدِ أرْضِهِ
لِيُلْبِسَني مـن دائِهِ ما تَلَبّسَا [4]

---

(1) انظر التجنيس بتوسع في الطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ٢ : ٣٥٥ – ٣٧٢ حيث بين اشتقاقه . ثم ذكر أنه ينقسم إلى قسمين : تام وناقص ، وساق عشرة اضرب للناقص ممثلا لكل ضرب .

(2) كتب هذا الفعل في الأصل بالألف والياء معا .

(3) ديوانه (ت: عبده عزام) ٣ : ٢٦ والصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٣٢٣ وفيه « العدل » موضع « الحق » . والبديع (نشرة خفاجي) : ٦٤٥ يقول ابن المعتز : وسرقه من قول النبي صلى الله عليه وسلم « الظلم ظلمات » .

(4) البيت في ديوانه (ت: أبو الفضل) : ١٠٨ وديوانه (شرح السندوبي) : ١١٧ =

وقول جرير [1] :

وما زالَ مَعْقولاً عِقَالٌ عن النّدَى [2]

وما زالَ مَحْبوساً عن الخيْرِ [3] حابِسُ [4]

لأنه ليس بين « طمَح » و « الطمّاح » حرف فاصل ، والمفروق كقولِ الكِنانيِّ :

= وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٣٣ والأغاني (بيروت) ٩ : ٧٩ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٢٥ والموازنة (ت: محيي الدين) : ١٨ ، ٢٢٥ و (ت: السيد صقر) ١ : ١٧ ، ٢٦٥ والبديع (نشرة خفاجي) : ٦٤٨ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٢ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ١٨٦ .

(١) اشار الأب صالحاني (ناشر ديوان الاخطل) في تعليقاته إلى ان هذا البيت وبيتاً قبله رويا للاخطل في تذكرة ابن حمدون (No. 750 F. 128a) ويقول البيتان هما لجرير أثبت الثاني منهما (وهو هذا البيت) في ديوانه (١ : ١٥١) .

(٢) أشار د. عبد التواب محقق (قواعد النثر) إلى ورود « عن العلى » في إحدى مخطوطات كتابه رمز إليها بـ (ز) .

(٣) كما أشار المحقق إلى ورود « عن المجد » موضع « على الخير » في مخطوطة رمز إليها بـ (ف) .

(٤) انظر البيت في الديوان (طبعة الصاوي) : ٣٢٦ و (طبعة دار صادر ــ بيروت) : ٢٥٤ و (المعارف بتحقيق د. نعمان) : ١٨٤ وكذا في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٤٦ وقد ورد في الجميع :

فما زال معقولا عقال عن العـلى وما زال محبوساً عـن المجد حابس

ورسمت (العلى) في الطبعة الأخيرة بالألف . وانظره في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٢٨ والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٣٢٥ وروايتهما كرواية الأصل ، وقد أورده العلوي في الطراز ٢ : ٣٦٠ مثالا للتجنيس المطلق وهو المختلف بالأحرف وتتفق الكلمتان في أصل واحد يجمعهما الاشتقاق ، كما أورده التبريزي أيضاً مثالا للتجنيس المطلق في الكافي (ت: الحساني) : ١٧٢ وأوله « فما زال » ، وأورده كذلك ابن سنان في سر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ١٨٦ .

فأرْدَيْنَ الفوارسَ من فراس وبالعنقا كـــررن ومَا نَهينـــا

وقول الكُمَيْت :

فقُلْ لجُذامٍ قد جَذَمْتُم وسيلـةً

إلينا كمخْتار الرّداف على الرَّحْلِ (١)

لأن بيْن « الفوارس » و « فراس » لفظةً ، وبين « جذام » و « جذمتم » لفظة « قد » . وقال أبو عليٍّ الحاتميّ : التجنيسُ نوعان ، نوع تجانسُ فيه الكلمة أُخْتَها في بعض حروفها ويشتق من معناها ، وهو كقول الله تعالى « فأقم وجْهك للدينِ القيّم » ، وقول القُطاميّ (٢) :

فلمّا رَدَّها في الشّوْلِ شالـتْ بذيّالٍ يكونُ لها لِفاعَا (٣)

وقول النّابغَة (٤) :

وأقطَعُ الخَرْقَ بالخَرْقاءِ قد جَعلَتْ

من الكَلالِ تَشَكّى الأينَ والسّأمَا (٥)

---

(١) الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٢٧ ونقد الشعر (القاهرة ١٩٤٩) : ٩٧ .

(٢) عمير بن شييم التغلبي . مات نحو عام ١٠١ هـ .

(٣) ديوانه (ت: د. ابراهيم السامرائي وأحمد مطلوب) : ٣٩ ، والصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٣٢٨ والبديع (نشرة خفاجي) : ٦٤٦ والموازنة (ت: محيي الدين) : ١٨ ، ٢٢٦ وفيها « ولما » موضع « فلما » و (ت: السيد صقر) ١ : ١٦ ، ٢ : ٢٦٥ .

(٤) الذبياني .

(٥) ديوانه (ت: كرم البستاني بيروت ١٩٦٣) : ١٠٢ وديوانه (ت: فوزي عطوى - بيروت) : ١٥٥ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٧٠٦ .
وفي الجميع : « بعد » مكان « من » في أول الشطر الثاني .

ونوعٌ تجانسُ الكلمة فيه الكلمةَ في حروفها دون معناها ، كقول رَجُلٍ من عبْسٍ :

وذلكم أنّ ذُلّ الجارِ حَالَفَكُمُ
وأنّ أنْفَكُمُ لا يأْلفُ الأنَفَا [1]

وقولِ جرير :

كأنك لم تسِرْ ببِلادِ نعمٍ ولم تنظُرْ بناظرِةِ الخيامَا [2]

وقال آخرون : التجنيسُ أن تجانس الكلمةُ الكلمةَ في مسموع حروفها ، ولم يُراعوا ما رَاعَاه غيرُهم من التقسيم المتقدِّم ، ومثلوه بقولِ امرىء القيْس :

لقَد طمحَ الطّمَاحُ (وقد كتبَ البيتُ فيما تقدّم)[3]

---

(1) البيت ورد في الموازنة (ت: محيي الدين) : ٢٢٦ و (ت: صقر) ٢ : ٢٦٥ . ونقد الشعر (القاهرة ١٩٤٩) : ٦١ والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٣٢٣ وسر الفصاحة (الرحمانية) : ١٨٤ و (صبيح) : ١٨٦ . والبديع (نشرة خفاجي) : ٥٨ وإعجاز القرآن (المعارف) : ١٢٩ ، (عن الموازنة صقر) والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٢٧ .

وفيه « وذاكم ان ذل » .. وفيه « وأن آنفكم لا تعرف » .. وورد في معجم البلاغة العربية ١ : ٢١٤ والبديع (النشرة السابقة) : ٦٤٧ وفيهما « لا يعرف » موضع « لا يألف » . وقبله في الصناعتين والبديع :

أبلغ لديك بني سعد مغلغلة * أن الذي بيننا قد مات أو دنفا

وفي الصناعتين « ينهها » موضع « بيننا » .

(2) ذكر البيت في الديوان (نشرة الصاوي) ٥٠٣ و (طبعة دار صادر ـ بيروت) : ٤٠٨ و (المعارف بتحقيق د. نعمان) ١ : ٢٢٢ وقد ورد في الجميع على الوجه الآتي :

كأنك لم تسر بجنوب قو ولم تعرف بناظرة الخياما

(3) انظر ص (٢٣٠) .

وبقول عبد الله بن طاهر :

وإنّيَ للثّغْرِ المخُوف لَكَـــالِيءٌ
وللثغْر يجرِي ظَلْمُهُ [1] لرشُوفُ [2]

وهذا تجنيسٌ على رأي الأكثرِ ، وترصيع على مذهب أبي عليٍّ الفارسيِّ .

وأمّا أبو الفرج قدامةُ فلم يذكُرِ التجنيس ، ولكنه ذكر الاشتقاق والمُضارَعَة ، وقال إنّهما من نعوت[3] الألفاظ ، ومثّلهما بأمثلة ينتظم جميعُها في باب التجنيس على القول الأعمّ ، وينتظم بعضُها في باب التجنيس وبعضُها في باب الترصيع على قول أبي عليٍّ الفارسيّ ، فقال : « الاشتقاق كقول خالد ابن صفوان : هشمتك هشام ، وخرمتك مخروم ، وقول الآخرِ : لا ترى الجاهل إلا مفْرِطاً أو مُفرِّطاً . والمضارَعَة كقول بعضِهم : إيّاكم والمشارّة فإنها تميت الغُرةَ وتحيي الغُرّة » .

وقد حكى عن أبي عليٍّ الفارسي أيضاً أنه يرى أن التجنيسَ صنْفان : لفظي ، ومعنْوي ، فاللفظي اشتراك الكلمتين في أكثر حروفهما ، كقوله تعالى « يمحقُ الله الربا ويُربي الصدقات » [4] وقوله تعالى « وأسلمتُ مع سليمان » [5] وقوله « ثم انْصرَفوا صرف اللهُ قلوبَهم » [6] وقوله « يخافون

---

(1) الظلم : ماء الاسنان وبريقها .

(2) البيت ورد في العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٣٢٣ وقبله قال ابن رشيق « وزعم الحاتمي ان افضل تجنيس وقع لمحدث قول عبد الله بن طاهر » كما ورد في نهاية الارب ٧ : ٩٠ ، وفي معجم البلاغة العربية : ٨٤٥ .

(3) في الأصل « نعرب » .

(4) سورة البقرة . الآية ٢٧٦ .

(5) سورة النمل . الآية ٤٤ .

(6) سورة التوبة . الآية ١٢٧ .

يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبْصار »[1] ، والمعنويُّ أن يأتي في الأوَّل كلام ويأتي في الثاني كلام يدل على أنّه جوابٌ له ، وهذا يقعُ في الجزاء ، كقوله تعالى « فمن اعتَدى عليكم فاعتَدُوا عليه بمثل ما اعتدَى عليكم »[2] أي جازوه بما يستحقّ على سبيلِ العَدْلِ ، وهذا هو المزاوج ، وسيأتي ذكرُه فيما بعـــدُ .

ومن مستحسنِ الشعرِ المجنّس قولُ بعضِهم :

فيُلهِيكَ عن وردِ الرياض بوجْنَةٍ
تورّدها من يانع الوردِ أينَــعُ

شهدتُ لقد أوليتـــني منك منّـــةً
شهادتُها مقبُولـــةٌ ليس تُدفَـــع

أياديَ بيضاً بيّضتْ وجـــه مطْلَبي
وقد كنتُ في ظلمائهـــا أتشكّـــع

وأغنيتني عمّـــن يمُـــنُّ بمنّـــــةٍ
ويُلفَى عـــلى النّزْرِ اللّفا يتفجّـــعُ

وقولُ الآخر :

لعمرِي لئنْ أبلى الجديدَانِ جِدَّتِي
وضَعْضَعَ مني الدهـــرُ مـــا يتضَعْضَعُ

---

(١) سورة النور . الآية ٣٧ .

(٢) سورة البقرة . الآية ١٩٤ .

لربَّ صباحٍ قــد سبقْتُ شروقَــه
صبُـوحاً ووُرق الأيكِ في الأيكِ تسجعُ

بِصِـرفٍ على صَرْف الزَّمانِ معينةٍ
وبكرٍ من البَـكْـرِ العقيلة[1] أمْنَـــعُ

وقولُ الآخر :

قِـفَـا نَسَلِ المعاهِــدَ والمَغَــانِي
بألسنــةِ الدُّمــوع عـــنِ الغواني

وأمّا المُزَاوجُ فقد تقدّم تمثيله . ومنه قول اللهِ تعالى « يخادعون اللهَ وهو خادِعـُهم [2] » الخداع الثاني إنّما ورد لمزاوجة الأول ، لا على أن الله تعالى هو يخدع أحداً من عباده،وقوله « وجزاء سيِّئةٍ سيِّئةٌ مثلُها [3] » والثانية ليستْ بسيِّئةٍ وإنما هي حقّ وجَزاءٌ ، وقوله « مستهزءون . الله يستهزىءُ بهم [4] » الاستهزاء الثاني مستعار لمزاوجة الأول .

ومن الشعر المزاوج قولُ الشاعر [5] :

ألاَ لا يجهلَــنْ أحــدٌ علينــــا
فنجْهلَ مثــلَ جهْلِ الجاهلينا [6]

---

(١) في الاصل « المقيلة » .
(٢) سورة النساء . الآية ١٤٢ .
(٣) سورة الشورى . الآية ٤٠ .
(٤) سورة البقرة . نهاية ١٤ وبداية ١٥ ووردت « مستهزءون » في الاصل : « يستهزئون » .
(٥) هو عمرو بن كلثوم .
(٦) شرح المعلقات للزوزني (دار بيروت ١٩٦٩) : ١٢٧ ، وشرح القصائد السبع الطوال =

الجهلُ الثاني إنّما هو مُزاوج للأوّل . وقول الآخر :

خليلي رُوحاً بِي إلى الرّاح واغْتَدُوا . ولا تجعلا شُربي لها شربَ تصريدِ

حمتْني مياه الورْد مِنْها مواردي فلا تحرمانِي شربَ ماءِ العَناقيد

وقولُ أبي تمام :

لا تسقِني ماءَ المَلاَمِ فإننـي صبٌّ قد استَعْذَبتُ ماءَ بُكائي (١)

وأمّا المطابقةُ فهي ذِكر الشيءِ وضدّه . وقال الخليل بن أحمد « يقالُ : طابقتُ الشيئين إذا جعلتَهما على حذو واحد وألصقتَهُما » . وقال الأصمعيُ « المطابقة وضع اليدِ موْضعَ الرجل » . وقد ذهبَ قومٌ إلى أن المطابقةَ اشتراكُ المعنيين في لفظٍ واحد . والعلماءُ بالبديع مجمعون على خلافهم ومتفقون على أن المطابقة ذكر الشيءِ وضدّه . وسبيل المطابقَةِ أن يبنى على التطابق والتوازن ، فلا يطابق اسمٌ مع فعلٍ ولا فعلٌ مع اسم ، وأن تطابق الأسماءُ بالأسماء والأفعال بالأفعال ، فإن ذلك أذهب في الصَّنْعة ، كقول النبي ﷺ للأنْصارِ « إنّكم لتكثرون عند الفَزَع وتقلّون عند الطمعِ » فإنه طابق « تكثرون » بـ « تقلّون » وهما فعْلانِ . وقد نظم عريف القوا في هذا المعنى معكوساً ، فقال يهجو :

= الجاهليات (المعارف) : ٤٢٦ ، وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٢٧٠ وفي الجميع « فوق » مكان « مثل » .

(١) سبق هذا البيت . انظر ص ١٧٢ .

ألستم أقلَّ النّاسِ عندَ لوابهم
وأكثرَهم عند الذبيحةِ والقِدْرِ

وقول عمرو بن كلثوم [1] :

بأنّا [2] نوردُ الرّاياتِ بيضاً
ونُصدِرُهُنَّ حُمْراً قد رَوينَا

فطابق « نورد » بـ « نصدر » وهما فعْلانِ . وقول زُهَيْر [3] :

ومَنْ يعْصِ أطرافَ الزِّجَاجِ فإنّه
يطيعُ العوالي رُكِّبَتْ كلَّ لهْذَمِ [4]

فطابق « يعصى » بـ « يطيع » وهما فعْلانِ . وقول بشامةَ النّهْشَلِيّ :

إنّا لنُرخصُ يومَ الرَّوعِ أنفُسَنَا
ولو نُسام بها في الرّوعِ أغلينَا

فطابق « نرخص » بـ « أغلينا » وهما فعْلانِ . وقول آخرَ [5] .

---

(1) شرح المعلقات للزوزني (صادر بيروت ١٩٦٣) : ١٢٣ وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٣٤٤ .

(2) في الأصل : « فانا » .

(3) انظر ديوانه (صادر وبيروت ١٩٦٤) : ٨٨ وشرح الديوان ، صنعة ثعلب : ٣١ وشرح المعلقات للزوزني (صادر وبيروت ١٩٦٣) : ٨٨ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٥٦ والتمثيل والمحاضرة (ت: الحلو) : ٤٧ ونهاية الأرب (دار الكتب) : ٧ : ٥٥ والكافي (ت: الحساني) : ١٨٢ وفيه « مطيع » موضع « يطيع » .

(4) الزجاج : جمع الزج وهي الحديدة التي في أسفل الرمح . واللهذم : الماضي .

(5) هو زهير بن أبي سلمى .

حلماءُ في النّادِي إذا ما جئتَهـــم

جُهَلاَءُ يومَ عجاجـــةٍ ولقاءِ [1]

فطابق « حلماء » بـ « جهلاء » وهما اسْمانِ . وقول آخَرِ :

أبا الحَسنِ اقبلها هديّةَ مخلــصٍ

من الوفر مجدود من الفهم محـــدود

فطابق مجدوداً بمحدود ، وهما اسمان . وقول عبد الله بن الزّبـــير الأسدي [2] :

فرَدَّ شعورَهُنَّ السُّودَ بيضــاً

وردّ وجوهَهُنَّ البيضَ سُودَا [4]

فطابق البيض بالسود ، وهما اسمان من أسْماءِ الجمع .

وأمّا أبو الفرج قدامَة فلم يذكر المطابقةَ في نقد الشعر ، ولا في المنزلةِ من الخراج المقصورة على ذكر البلاغةِ ، ولكنه ذكر التكافؤَ ، وأحسبُه

---

(١) انظره في شرح ديوان زهير ، صنعة ثعلب : ٣٨١ وفي نهاية الأرب ٧ : ١٠٢ وفي معجم البلاغة العربية : ٧٥٧ .

(٢) شاعر من شعراء الدولة الأموية . كوفي النشأة . مات بالري في خلافة عبد الملك . (انظره في خزانة البغدادي ، وطبقات ابن سلام) .

(٣) انظره في حماسة أبي تمام بشرح التبريزي (دمشق) ١ : ٣٩٠ وفي نهاية الأرب ٧ : ١٤٤ وفي شرح بديعية الباعونية (على هامش خزانة ابن حجة) : ٤٠٨ وقبله :

رمى الحدثان نســوة آل حــرب   بمقــدار ســمدن لــه ســمودا

وقد ورد البيتان في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٦ وفي البديع (نشرة خفاجي) ٦٦٥ وفي الأضداد لابن الانباري (الحسينية بمصر) : ٣٦ عند ذكره أن « الســمود » بمعنى الحزن والتحير .

اكتفى به ، إذ ليس بينه وبيْن المطابقة كبير فرق . على أن غيرَه قد فرّق بين المطابقة والتكافؤ وأفرد لكلٍّ منهما باباً خاصّاً به . وسنأتي بمشيئةِ الله على شرح ذلك إن شاء الله .

قول في التلاؤم (١)

الكلام المتلائِمُ هو ما تناسَبَ تأليفُه ، وارتبط بعضُ أجزائِه ببعض ، واتصلَتْ فصُوله ، وقربَ متناوَلُه ، وعذُبَ لفظُه ، ولطُفَ معناه ، وبرع مبتَداه ومُنْتَهَاه ، ووقعتْ كل كلمةٍ من كلمِه في الموضع اللائق بها ، واقترنتْ بتربِها حتى لا يوجدَ أحقّ منها بالمكان الذي رتّبت فيه فيقال لو كان كذا مكان كذا لكان أوْلَى ، وخلا من التعسيف والاستكراه في اللفظ والوخامةِ والفدامة في المعنى ، وعلق بالطباع ، وخفّ على القلوبِ والأسماع ، وحلا في الصدور حتى إنه تعلّق بنفس سامعه ويلهج بترديده وهو غير قاصدٍ لذلك . وقلّ ما تجتمع هذه المحاسِنُ في كلام المخلوقين ، وإنّما اجتمعت في كتاب الله عزّ وجل لتخصّصه بالمعجز ، إلاّ أنّه ينبغي لمن أحبَّ الحصول على فضيلة البلاغةِ أن يرمي بهمَّتِه إلى الغايةِ التي يتمكن أن يصل اليها بلغاءُ البَشَر ، وأن يقدح فِكْرَهُ بالتأمُّل والنظر حتى يبلغ الحدّ الذي تقف غريزتُه عنْدَه وتنتهي قريحتُه إليْه ، فإنّ للقرائح حدوداً لا تتعدّاها ، وللغرائز غايات لا تحوز مداها . وينبغي أن يعْلم أنّ الكلام على ثلاث طبقات : مُلتئم في الطبقة العاليةِ ، وهو كلام الله تعالى كله ، وملتئم في

---

(١) في الأصل « التلاوم » .

الطبقة الوسطى ، وهو كلام البلغاءِ والفصحاء من الناس ، وهو الذي يجب أن ترومه وتتحدّاه بطلبه ، ومتنافرٌ .

فمن المتلائم في كلام البلغاءِ المنثور قولُ عمرَ بن الخطابِ « لا يكن حبُّك كَلَفًا ولا بغْضُك تَلَفًا » ، وقول الآخر « من عرف النّاسَ دَارَاهم ومن جهِلهم مَارَاهم » ، وقولُ الآخر « دعْ ما يسبق إلى القُلوبِ إنكارُه وإن كان عندك اعتِذارُه ، فما كل من حكى عنك ذِكْراً يطيق أن يُوسعَه عُذْراً » ، وقول بعضِ الأعراب « اللهم إن كنت حرمتني داعياً لقد رزقتني ساهياً » . ومن المتلائم في كلامِ البلغاء المنظوم [1] :

رَمَتْني – وسِتْرُ الله بيني وبيْنَها –
عَشيّةَ أحجار الكِنـاسِ رَمِيمُ
رَمِيمُ التي قالتْ لجـارة بَيْتِهـا
ضَمِنْت لكُمْ أن لا يزالَ يَهِيمُ
فلو كنتُ أسطيعُ الرماء رمَيْتُهـا
ولكنَّ عَهْدي بالنِّصال قَدِيـمُ

وقول أبي كبير [2] الهذليّ :
ألا يا حَمامَ الأيكِ إلْفُكَ حاضِرٌ
وغُصنُك ميّادٌ ففيم تنُـوحُ [3]

---

(١) قائل الابيات التالية : أبو حية النميري (المتوفى ١٥٨ هـ) .
(٢) في الاصل : ابو كثير .
(٣) وقد ورد في طبقات الشعراء لابن المعتز ، وفيه « فرخك » مكان « إلفك » انظر ص =

أفِق لا تنُح من غير شيءٍ فإنّني
بكيتُ زماناً والفؤادُ صحيحُ
وُلُوعاً فشطّت غربةً دارُ زينْبٍ
فها أنا أبكي والفؤاد قَرِيحُ

وقول ذي الرّمّة :

هِيَ الشمسُ إشراقاً إذا ما تَزَيّنَتْ
وشبهُ النّقَا مغْبَرَّةٌ في المَوَادِعِ
ولما تَلاَقَيْنَا جرَتْ من عيُونِنا
دُمُوع كَفَفْنَا ماءَها بالأصابِعِ
فنِلْنا سِقاطاً [1] من حَديثٍ كأنه
جَنَى النحْلِ مَمْزوجاً بماءِ الوقائعِ [2]

وقَوْل جميل :

إذا ابتَذَلتْ لم يؤذِها ترك زينةٍ
وفيها إذا ازدانت لذي نيقة [3] حسبُ

= ١٨٦ و ١٨٧ وغير خاف أن « إلفك » افضل .
ولم أجد هذه الابيات ضمن شعر أبي كبير المذكور في ديوان الهذليين (طبعة دار الكتب) . ووجدتها في الحماسة البصرية (حيدر آباد ١٩٦٤) ٢ : ١٥٣ وفيها « في غير » موضع « من غير » في البيت الثاني .

(١) في الأصل « سُقاطا » .

(٢) الأبيات الثلاثة في ديوانه ص ٣٥٨ وأول الثالث « ونلنا » . وبين الأول والثاني يوجد البيت :

من البيض مبهاج عليها ملاحة نضار وريعان الحسان الروائع

(٣) في الأصل « لدى نمه » دون نقط .

لها النّظرةُ الأولى عليهم وبسْطة
وإن كرتِ الأبصار كان لها العقبُ[1]

والمتنافِر كثير في كلام غيرِ البلغاءِ من الناس . ومنه قول الشاعر :

وقَبْرُ حرْبٍ بمكان قفر وليس قُرب قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ[2]

والسبب في تنافر الكلام ما ذكرناه من استعمال الحروف المتقاربة المخارج والموالاة بينها ، أو البعيدة المخارج ، وذلك أنها إذا تباعدَتْ كان المتكلم كالواثب من موضع إلى موضع ، وإذا تقاربت كان المتكلم يمشي مقيّدا ، لأنّه يرفع لسانه من موضع ويَردّه إليْه وذلك صعْب ثقيل ، والسهولة والخفة إنّما تكون بالاعتدال ، ولهذا وقع في الكلامِ الإبدال والإدغام . وهذا كاف في معرفة أحكامِ الكلامِ المتلائم .

قول في المَثَل

المَثَلُ تشبيه سائرٌ ، ومعنى سائر أنه يكثر استعماله على معنى أن الثاني بمنزلة الأول ، كأنه يسير في النّاس على هذا الوجه . والأمثال كلها حكاياتٌ لا تغيّر ، وهي من أحْسن الطّرقِ دلالةً على المعنى ، لأنها تتضمّن حسنَ البيان مع شدّةِ الاختصار .

---

(١) البيتان في ديوانه (ت: د. نصار) : ٢٧ وقد ورد كل منهما في موضع الآخر . وجاء في الديوان « لم يزرها » موضع « لم يؤذها » .

(٢) سبق الشطر الثاني من هذا البيت انظر ص ٢١٩ . وقد ورد هذا البيت غير معزو في المستطرف (مصطفى الحلبي) ١ : ٤٠ وكذا في معجم البلاغة العربية : ٨٨٤ .

والأمثال تقع في النثر والنظم ، فما وقَع منها في النثر فينبغي لمستعْمله أن يوقعَه في المعنى الذي يناسبُه والحال الّتي يشابهها ، ويورده بعبارته التي[1] سبق المتمثل به إلى التعبير عنه بها ، وأمّا ما يقع في النظم منها فإنّ أحسن أبيات الأمثال ما اشتمل على ثَلاثةِ أمثال أو مثلين ، ثم ما اشتمل أحَدُ مِصْراعيه أو جميعه على المثَل . فمن الأبيات الّتي تشتملُ على ثلاثة أمثال قولُ زهير :

وفي الحلم إدْهانٌ ، وفي العفو دُرْبَــــةٌ
وفي الصّدق منجاةٌ من الشرِّ فاصْدُقِ [2]

وقول النابغةِ [3] :

الرِّفقُ يُمنٌ ، والأناةُ سعــــــادةٌ
فاستأْنِ في رفقٍ تُلاقِ نَجاحَا [4]

وقول صالحِ بنِ عبدِ القدوس [5] :

---

(١) في الاصل « الذي » .

(٢) انظر البيت في شرح ديوان زهير ، صنعة ثعلب : ٢٥٢ ، وقد روى في اللسان مادة (درس) : « وفي العفو درسة » قال : الدرسة : الرياضة ، ومنه درست السورة اي حفظتها . وورد في معجم البلاغة العربية : ٩٥٦ .

(٣) الذبياني .

(٤) ديوانه (ت: فوزي عطوي) : ١٠٩ وديوانه (ت: كرم البستاني) : ٢٨ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٧٢١ ، ورواية الديوانين : « فالرفق .. فتأن .. تنال .. » ومثلها رواية شعراء النصرانية ، غير أن « تنال » وردت فيها منصوبة ، وورد في العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٨٤ ونهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ١٠٧ وفيه « تنال » موضع « تلاق » .

(٥) شاعر حكيم ، وقد اتهم بالزندقة فقتله المهدي ببغداد (انظر تاريخ بغداد ٩ : ٣٠٣ ومعجم الادباء ١٢ : ٦) .

كلّ آتٍ لا بدّ آتٍ ، وذو الجهـ
ـل مُعَنّىً ، والغمُّ والحزنُ فَضْلُ[1]

ومن الأبيات التي تشتمل على مثلين قولُ امرىء القيس :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ بـه   والبرُّ خيْرُ حقيبةِ الرَّحْلِ[2]

وقولـه :

وإنك لم يفخر عليك كفاخر[3]
ضعيفٍ ولم يغلبْك مِثْلُ مغلّبِ[4]

---

(1) ورد في العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٨٤ ، والتمثيل والمحاضرة (ت: الحلو) : ٧٨ والكامل (الاستقامة) ١ : ٢٣٦ وفي الأخيرين « لا شك » موضع « لا بد » .

(2) البيت في ديوانه (ت: ابي الفضل) : ٢٣٨ . وفيـه « طلبـت » وديوانه (شرح السندوبي) : ١٦٩ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) ١ : ٥٧ وفيهما « والله أنجح » .. والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٨٣ وفيه « انجح » بالفتح . وجوهر الكنز لابن الأثير الحلبي (ت: د. سلام) : ٥٦٨ وفيه « الرجلَ » موضع « الرحْلِ » . وهنا تجدر الإشارة إلى ما أورده « لويس شيخو » بعد في ٢ : ٥٨ من كتابه هذا عند ترجمته لامرىء القيس بن عابس حيث قال : ومما ورد في كتاب الأغاني (٣ : ٩٧ – ٩٨) من الأبيات التي عليها أصوات ما روى لامرىء القيس بن عابس وقد رواها قوم لامرىء القيس بن حجر بالغلط وهي الأبيات الآتية :

(من الكامل) :

حـي الحمـول بجانـب العـزل	إذ لا يوافـق شـكلها شـكلي
الله انجـح مـا طلبـت بـه	والبـر خـير حقيبـة الرحـل
إنـي بحبـك واصـل حبـلي	وبريـش نبلـك رائـش نبـلي
وشـمائلي مـا قـد علمت وما	نبحـت كلابـك طارقـا مثـلي

(3) في الأصل « فإنك لم يفجر عليك كماجز » .

(4) ديوانه (ت: ابي الفضل) : ٤٤ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٢٣ .

وقول النّابغَة :

حلفْتُ فلم أترُكْ لنفْسِكَ ريبةً

وليس ورَاءَ اللهِ للمرْءِ مَذْهَبُ (1)

وقول طَرَفَة :

ستُبْدي لك الأيّامُ ما كنتَ جاهلاً

ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لم تُزَوِّدِ (2)

وقول الحطيئة :

من يفْعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوَازِيَهُ

لا يذْهبُ العُرْفُ بين اللهِ والنّاسِ (3)

---

(1) ديوانه (ت: فوزي عطوي) : ٤٥ وديوانه (ت: كرم البستاني) : ١٧ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٦٥٥ والمثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ١٨٨ والحماسة البصرية (حيدر آباد ١٩٦٤) ١ : ١٢٠ .

(2) ديوانه بشرح الأعلم (باريس ١٩٠١) : ٤٤ وديوانه (بيروت ١٩٦١) : ٤١ وديوانه (ت: د. علي الجندي) : ٦٦ وشرح المعلقات للزوزني (صادر بيروت ١٩٦٣) : ٧١ وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٤٢٣ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ١٨٠ وشرح بديعية الباعونية (على هامش خزانة ابن حجة) : ٤٣٧ والحماسة البصرية (حيدر آباد ١٩٦٤) ٢ : ٤٦ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ٢٣ والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٨٠ والعقد الفريد (ت: أحمد أمين وآخرين) ٣ : ١٤٧ والأغاني (بولاق) ٢ : ٥٠ وزهر الآداب (ت: البجاوي) ٢ : ١٠٩٣ والتمثيل والمحاضرة (ت: الحلو) : ٤٩ وصبح الأعشى ١ : ٣٠٠ .

(3) البيت في ديوانه (بيروت ١٩٦٧) : ١٠٩ وفي العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٨٣ وزهر الآداب (ت: البجاوي) ٢ : ١٠٩٣ وديوانه (ت: نعمان طه) : ٢٨٤ والأغاني (بولاق) ٢ : ٥٠ ونهاية الارب (دار الكتب) ٣ : ٧٢ والتمثيل والمحاضرة (ت: الحلو) : ٦٣ وعيون الاخبار (دار الكتب) ٣ : ١٧٩ وخزانة البغدادي (بولاق) ١ : ٥٧٠ .

ومن الأبيات [1] التي يشتمل أحدُ مِصْراعيْها على مَثَل قولُ حُميْد [2] ابن ثور :

وحسْبُكَ داءً أن تصِحَّ وتسْلَمَا [3]

وقوْل الهذليّ [4] :

تُوكّل بالأدنى وإنْ جَلّ ما يَمضِي [5]

وقوْل عنْترة :

والكُفرُ مخبثةٌ لنَفسِ المُنْعِمِ [6] وما سبق إليه

---

(1) في الأصل « الكلام الذي » ولكنه كتب فوق هاتين الكلمتين « صوابه الابيات التي صح » .

(2) في الأصل « حمد » . وحميد بن ثور شاعر مخضرم ، مات في خلافة عثمان رضي الله عنه (انظر الاغاني ٤ : ٣٥٦ ومعجم الأدباء ١١ : ٨) .

(3) ديوان حميد بن ثور (صنعة الميمنى – دار الكتب) : ٧ وشطره الأول :

* أرى بصري قد رابني بعد حدة *

وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٠٦ وفيه « خانني » موضع « رابني » في الشطر الأول والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٨ وفيه « صحة » موضع « حدة » .

(4) هو ابو خراش .

(5) هذا عجز بيت ، وصدره :

* بلى إنها تعفو الكلوم وإنما *

انظر ديوان الهذليين ٢ : ١٥٨ والأغاني (بيروت) ٢١ : ٢٢٨ .

(6) هذا عجز بيت ، وصدره :

* نبئت عمرا غير شاكر نعمتي *

ديوانه (ت: عبد المنعم شلبي) : ١٥٢ وديوانه (دار صادر ببيروت) : ٢٨ وشرح المعلقات للزوزني (دار صادر ودار بيروت ١٩٦٣) : ١٥٠ وشرح المعلقات العشر (ناصر والاندلس) : ١٦٧ وحماسة البحتري (شيخو) : ١١٠ وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٤٦٠ والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٨٣ وخزانة البغدادي (ت: هارون) ١ : ٣٣٦ .

وقَول جرير [1] :

لَيْتَ التّشَكّي كانَ بالعُوّادِ [2]

وقَول أبي ذؤيب [3] :

فإذا تُرَدُّ إلى قليــل تقْنَعُ [4]

---

(١) بصدد نسبة البيت الذي ورد شطره الثاني إلى قائله يطيب لي أن انقل ما اورده الاب انطوان صالحاني ناشر ديوان الاخطل – عند عرضه لما نسب إلى الأخطل من الشعر – حيث يقول (ص ٥٠٧) :

وفي نسخة أحسن المحاسن (٢ F - 153 b) (راجع تذكرة ابن حمدون (No. 750 F- 659) « فصل في عيادة الملوك والسادة الأعيان . من احاسنهما قول كثير عزة في عبد العزيز » ، وقيل إنه للأخطل في يزيد بن مسعود :

ونعـود سـيدنـا وسـيد غيرنـا ليـت التشـكي كـان بالعـواد

لو كـان يقبـل فديـة لفديتـه بالمصطفـى مـن طارفي وتـلادي

ويروى في تذكرة ابن حمدون : « بأناملي وبطارفي وتلادي » . قلت إن البيتين لكثير عزة يقولهما لعبدالعزيز بن مروان وهو مريض. راجع ابن‌قتيبة الشعر والشعراء (de Geoje) (٣٢٨ و ٣٢٩) . ويروى البيت الأول لجرير في ديوانه (١ : ٤٧) . وورد في وفيات الأعيان أن كثيراً انشدهما في حضرة عبد العزيز بن مروان وهو مريض ، انظر الوفيات (ت: محيي الدين) ٣ : ٢٦٩ .

(٢) هذا عجز بيـت وصدره :

* ونعـود سـيدنا وسـيد غيرنـا *

والبيت ص ١٢٢ من الديوان (شرح الصاوي) وج ١ ص ٥٠٧ (بتحقيق د. نعمـان) وص ٩٧ (دار صادر – بيروت) وفي الأخير تصحيف في الكلمة الاولى فقد وردت فيه « ونعوذ » .

(٣) الهذلي . وهو جاهلي إسلامي .

(٤) هذا عجز بيـت ، وصـدره :

* والنفـس راغبـة إذا رغبتهـا *

(انظر ديوان الهذليين ١ : ٣) وقد ورد في الأصل بهذه الصورة :

وقول الأخْطَل (١) .

والقَوْلُ يَنْفُذُ ما لا تَنْفُذُ الإبَرُ (٢)

ومن الأبيات التي يستوعب البيت منها المثل قَولُ امرىء القيس :

وقد طوّفْتُ في الآفاق حتّى   رضيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ(٣)

وقولـه :

إذا قُلتُ هذا صاحِبٌ قد رَضِيتُـهُ

وقَرَّتْ به عيْنايَ بُدِّلتُ آخَـرَا (٤)

وقول زُهيْر :

= وإذا يـرد إلى قليل يقنـع *

وانظر جمهرة اشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٦٧٠ وفيها « وإذا » مكان « فإذا » .

(١) غيات بن غوث . وكنيته أبو مالك . انظر سبب تسميته بالأخطل في المزهر ٢ : ٤٢٠٩ . وخزانة البغدادي (ت: هارون) ١ : ٤٥٩ .

(٢) الشطر الأول من البيت :

* حتى استكانـوا وهم منـي عـلى مضض *

ديوانه (نشر : الاب أنطوان صالحاني ـ بيروت ط٢) : ١٠٥ .
وانظر الشطر المذكور في الأصل في الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٣٩٣ وفي التمثيل والمحاضرة (ت: الحلو) : ٣٠٤ وفي المستقصى للزمخشري (حيدر آباد) ١ : ٣٩٥ ، وعلق ناشره بقوله (على هامش الأصل : وصدره :

حتى استكانوا وهم منـي على مضض *)

(٣) البيت في ديوانه (ت: ابي الفضل) : ٩٩ وديوانه (شرح السندوبي) : ٦٤ وديوانه (صادر) : ٧٣ .

(٤) البيت في ديوانه (ت: ابي الفضل) : ٦٩ وفيه « العينان » مكان « عيناي » وديوانه (صادر) : ٩٧ .

ومهْما تكنْ عند امرىءٍ من خليقةٍ

وَلو خالها تَخْفَى على النّاسِ تُعْلَمِ (1)

وأبياَت الأمثالِ المفردة كثيرةٌ جدّاً .

ومن الأمثال ما يكون الكلام فيه على المعنى دون اللفظ ، ومن ذلك قولُ الشاعرِ (2) يصف سُيوفاً (3) :

وبيضٌ رقَاقٌ قــد عَلَتْهُنَّ كَبْرَةٌ (4)

يُداوَى بها الصَّادُ الذي في النّواظِــرِ (5)

الصَّادُ داءٌ يأخذُ البعيرَ في رأسِهِ فيطمحُ به . ومعناهُ أنّ من كان متكبّراً طامحَ الرأس كالبعير داويناه بهذه السيوف . ومنه قول جرير :

إني امرؤ أُحسِنُ غمز الفائــقِ (6)

---

(1) انظر ديوانه : ٨٨ وشرح الديوان صنعة ثعلب : ٣٢ وشرح المعلقات للزوزني (صادر وبيروت ١٩٦٣) : ٨٩ . وفيها « وان خالها » .. والتمثيل والمحاضرة (ت: الحلو) : ٤٦ وفيها « يكن » موضع « تكن » وانظر شعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٥٢٣ ، ورواية البيت فيه كرواية الاصل المثبتة . وشرح الحماسة للتبريزي (بولاق) ٤ : ٤٧ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٧ .

(2) هو الراعي .

(3) في الأصل : سوقا .

(4) في الأصل « عليهن كبوة » .

(5) البيت ورد في ص ١٩١ من « خلق الانسان » للأصمعي ضمن مجموعة الكنز اللغوي باعتناء د. أوغست هفنر .

(6) لم يرد في الديوان ، وقد رجعت إلى طبعاته المختلفة ، وقد وجدته في لسان العرب (مادة ، سلق) ، وبعده :

بـين اللهـا الداخـل والأســالق

والاسـالق : اعالي باطـن الفـم .

أي أُعالج مَنْ به الدَّاء . وقول الجعْدِي :

وما نور من الهنْديِّ يُشفَـــى به رأسُ الكميِّ من الصُّداعِ

وقول العجّاج :

جاءوا مخلين فلاقوا [1] حمْضَا [2]

والمعنى أنّهم جاءوا يشتهون الشرَّ فوجدوا من شَفَاهُم .

---

(١) في الأصل « ولاقوا » ولكنا جعلنا الفاء بدلا من الواو لوروده بها في المستقصى ١ : ٣٨١ وفي مجموع أشعار العرب وفي الديوان ، ولانه الانسب إذ بها يكون على غرار الشطر الاول من البيت الثاني .

(٢) لتمة البيت في مجموع أشعار العرب ٢ : ٣٥ طبع ليبغ ، وديوانه (ت: السطلي) : ١٣٥ :

* طاغين لا يزجر بعض بعضا *

أما في المستقصى فتتمته :

* ورهبوا النقض فلاقوا نقضا *

وهو صدر البيت السابق في الديوان واللاحق في المجموع .

الباب الرابع

في صناعة البديع وأبوابها

إنما سُمِّي البديعُ بديعاً لأن الكلمة تأتي في الكناية والاستعارة والتشبيه والإرْدَاف والإشارة لشيء لم يوضع له في أصل اللغة فكأنها ابتدعتْ لذلك الموضع ، لا لأنّ المحدثين — كما ظن قوم — ابتدعوه وفازوا بالسّبقِ إليه واخترعوه . ويدل على ما ذهبْنا اليه أن جميع أقسامه موجودَةٌ في كتاب الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وكلامِ الأولين من البلغاء والخطباء والشعراء ، وإنّما صار أخصّ بالمحدثين لتنبيههِم عليه ، وعنايتِهم به ، واستكثارِهم منه ، واستنباطِهم للنعوت التي نعتوا بها أقسامَه ، وإضراب من تقدّم عن رومِه بكدّ القرائح والتماسِه بعسْفِ الخواطر ، لأنهم إنّما كانوا يقصدون من الكلام ما انقاد طبْعاً لا تطبّعاً وأينع غريزة لا تصنّعاً ، ولذلك كان يأتي ما وقع في كلامهم من أنواعه مرتبطاً بالمعاني أحلى [1] ارتباط ملائماً لها أتمّ

(١) كتبت في الأصل بالالف .

ملائمة،حالاً من الكلام محلّ الترصيع من الحلى .

وسنأتي في أبوابه من التمثيل بآيات التنزيل ومنثور ومنظوم البلغاء من القدماء ما يشهدُ لما قلناه بالصحة . وينبغي لمن أحب تزيين كلامه بالبديع أن يذهبَ في استعماله مذهبَ من لا يتكلّفُه ولا يتعسّف في طلبه ، فإنّ القريحة إذا جادتْ به عفواً كسب المعْنى جوْهراً ناصعاً وكسا [1] اللفظ نوراً لامعاً وأفادَه من حسن التقابل والتقسيم ما يفيدُه الترصيع للشيء المرصّع ، وإذا قصد باستكراه القريحة وكدّها قاد إلى إيقاع الألفاظ في غير مواقعها وإحالة المعاني عن وجوهها ، وعكس الواجبَ في الابتداء بتحصيل ما يشتمِلُ على الصنعة من الألفاظ قبل تحصيل المعاني التي الألفاظ خادمة لها وانتشار المعاني على أن تظهر من المباني فيما ينافرها . وقد كان لي في زمان الحداثة صديق من أهل الأدب رحمه الله مغْرماً باستعمال هذه الصنعة في كلامه مفْرطاً في تكلفها ، وكان لذلك يضْطرّ إلى ما ذكرناه من إحالة الألفاظ والمعاني وترتيبها في غير رتبتها ويحمل الاستكراه والوخامة فيهما ، وكان مع شغفه بهذه الصنعة لهجاً باستعارة آيات القرآن وحشو كلامه بها ، وكان أيضاً يحرّفها ويغيّر كثيراً من تأليفها ويعْدل بها عن مواضِعها ، فلمّا نشأت وقرأتُ كلام الناس ودلني الذوق والتأمل والطبعُ على الفُرْقان [2] بين الكلام السليم والسقيم وضح لي خطؤُه [3] في ارتكابه ما ركب وزلله في ذهابه إلى ما ذهب ، عاتبته وأعلمتْه أنّ ما يتكلّفه من هذه الصنعة مفْسدٌ لاصحابه محيلٌ لمعانيه

(١) كتبت في الأصل بالالف والياء معاً .

(٢) في الأصل : الفَرْقان .

(٣) في الأصل : خطاؤه .

قائدٌ له إلى تحريف كلام الله تعالى عن مواضعه سائقٌ إليه هُزْءَ من نظر في تأليفه وتماجنه ، فلم ينجع عدلي فيه ومرّ في طلقه تابعاً لعشقه . وله خطب ورسائل كثيرة لا تمرّ بأحدٍ إلا ضحك منها وهزأ بها ، وقد أتيتُ بفصولٍ ممّا كاتبني به دليلاً على ما حكيناه ، فمن ذلك صدْرُ رسالةٍ : « كلٌّ وقْتٍ يظْهرُ من بلاغةِ الحضرة الأجليّة — أعلا [1] الله شرفَ حظِّها وبختها ، إلى حيث تكون كواكب السماء من تحتها — من تثقيفها الكِلم ونحتها ما يعجزُ المتقدمين لزمنها فكيف بالمتأخرين لوقتها ، وتبعث بما تبعثُ من الحكم واثقةً منهم بشدّةِ مقتِها ، وآمنةً من شنانها وبغتِها ، وما نريهم من آيةٍ إلاّ هي أكبر من أختها ، فهم يجدون في تحف رسائلِها ما وجدَهُ موسى الكليم في عصاه ، من مآرب ومسَارب ومقامع ومنافِـع لمن عصاه ، بل كلّهم راكب خُطةَ غرَر ، وسالك خطة خَطَر ، إن لزموا الاقتصار وتجنّبوا الإكثار ، للإعْظام لها والإكبار ، لم يأمنوا ناقدَ تأمّلها أن يقف علمهم بيْن يدي تأمّلها موقفَ اعْتذار ، فيرجعوا بالخجل وهم يتلون ولو ترى إذْ وُقِفُوا على النار » .

وفي هذه الرسالة : « وإن اعتمدوا بعض ما يعتمدُه في المكاتبات من شريف الكلام ، وبديع النثر والنِّظام ، حركوا من غرائب ألفاظِها ساكناً ، وأثاروا من رغائب معانيها كامِنَاً ، وَمَرَوْا من ضروع فصاحتِها ما لا ينفذ لبانُه ، وخاشنوا من أصلاد مُلَحِها ما لا يساعِدُهم ليانُه ، وجهّزت إليهم من كماةِ ألفاظها وآدابها ، كتائب ومقانب جيوشٍ لا قبَل لهم بهَا ، فيموتون موْتَ عيٍّ ومن سلم منهم من الأثخانِ وشدِّ الوثاق ، تَلَتْ فضائلها على من

---

(1) كتبت في الأصل بالالف واليـاء .

طمعَ منهم لها باللحاق ، ما عندكم ينفد وما عند فلان باق » .

وصدر رسالة أخرى : « أطال الله بقاءَ حضرة مولاي ما ظَهَرَ بحنين عكن غضون ، واكتسي من الورق ثياباً خضراً جسد غصون ، ممنّعاً ممتّعاً من الضرِ والآلام » ومنها : « فهذا الذي إذا سمع السامعون [1] ذكره ، عظّموا شأنه وأكثروا شكره ، الذي يؤلم عدوّه ويطيل نكره » ومنها : « ورفع بدرَه إلى سماء كل سموٍّ ، وكفّ عنه كفَّ عدوٍّ كل عدوّ » . وجميع كلام الرجلِ كما ترى من ظهور الكلفة ، واستحالة اللفظ والمعنى ، ووضع الآيات المستعارة في غير مواضِعها . وهذا لا يحتاج إلى التنبيه عليه والإشارة إليه .

وقد اختلفت مذاهبُ العلماءِ في بعض البديع ونعوت بعضه ، واتفقوا على الأكثر ، ووُجد عند قومٍ ما ليس عند الآخرين . فأمّا أبو الفرج قدامَة فإنه قسم البديع إلى ثلاثة أقسامٍ بحسب انقسامِ البلاغة في الأصل ، فقسم يخصّ الألفاظ ، وقسم يخصّ المعاني ، وقسم يخصّ ما تركّب منهما ، ولم يسمه بديعاً وإنما قال : نعوت الألفاظِ ، نعوتُ المعاني ، نعوتُ المركب منهما . وأما غيره فلم يراع ذلك ولا ميّزه ، وأتى بالأبواب مختلطةً . ولا بدّ أن نلوحَ في كل بابٍ من الأبواب بما عرفناه من وفاقِ العلماءِ واختلافهم ، ونلغي القولَ على ما ورد من هذه الأبواب في أقسام البلاغة الفرعيـة كالاستعارة ، والتشبيه ، والسجع ، والتطبيق ، والمجانسة ، والمزاوجة ، وغير ذلك مما تقدّم القولُ عليه ، إذ لا حاجةَ إلى تكريره .

والذي وقع إلينا من البديع بعدما انتظمته الأبواب السالفة اثنان وأربعون

---

(1) النون كتبت في الهامش ، إذ قبلها وصل السطر إلى نهايته .

باباً ، وهي : أحسن ما ابتدأ به الكاتبُ والخطيبُ والشاعر ، الخروج الحسن ، التّرصيع ، المقابلة ، التقسيم ، التبيين ، الالتفات ، الاعتراض ، التفسير ، التتميم ، التكميل ، المبالغة ، التكافؤ ، الإشارة ، الإرْداف ، التمثيل ، الكناية ، التعريض ، التسهيم ، التوشيح ، الإعتاب ، الإيغال ، التّركيب ، الإلمام ، الاستفهام ، التفريع (١) ، التبديل ، التصريع ، الاستدراك ، الحشو المفيد ، الرجع ، التوشيع ، التّرديد ، التصدير ، التسميط ، التضمين ، توكيد المدح بما يشبه الذم ، الاستطراد ، المماثلة ، هزلٌ يراد به الجد ، الاستثناء ، التّفويف (٢) :

ونحن نُوردُ هذه الأبواب على تواليها ، وأقوال العلماء فيها ، إن شاء الله تعالى :

ذكرُ أحسَن ما ابتدأ به الكاتبُ والخطيبُ والشاعرُ (٣)

الكلام المؤلف وينقسم كما قلْنا فيما خلف إلى ثلاثة أقسام ، وهي : الرسائل ، والخطب والأشعار . وكل قسم منها : يحتاج إلى تقديم مقدمةٍ تكون

---

(١) في الأصل « التقريع » .

(٢) في الأصل « التويف » .

(٣) انظر « حسن الابتداء » في معجم البلاغة العربية ١ : ١٨٩ و « في المبادىء والافتتاحات » في الطراز (ط المقتطف ١٩١٤) ٢ : ٢٦٦ – ٢٧٧ وفي البديع (نشرة خفاجي) : ٧١٣ ونشير إلى ان « حسن الابتداء » تسمية ابن المعتز ، وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية « براعة الاستهلال » (حسن الترسل إلى صناعة الترسل ص ٩٣) . و « براعة الاستهلال في الكافي » (ت: الحساني) : ١٨٩ .

فرشاً وبساطاً لما يتلوها . وقد شرحنا ما جرت العادة بأن يُفتتحَ به كلّ فن من هذه الفنون ، وأوضحنا الطّريقَ إلى ترتيب هذه المقدّمات عند القول على كيفيّة المركّب من الألفاظ والمعاني وعنْدَ القول على ترتيب الكلام.والتعيين على ما يكون مثالاً لهذه المقدّماتِ من الكلام المنثور على كثرة أنواعه واختلاف بداياته لاختلاف معانيه غير ممكن ، وإنما يرجعُ في ذلك إلى معرفة الكاتب واستقلاله بوضع كل شيءٍ في موضعِهِ ، فأما المنظوم فلأن أكثر بداياته في التغزل والتشبيب يمكن التمثيل فيه .

ومن أحْسن ما ابتُدِيء به قولُ امرىء القيس :

قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حبيبٍ ومنْزِلِ

بِسقْطِ اللوى ، بيْن الدَّخُولِ فحَوْمَلِ [1]

فإنّ هذا البيتَ قد تضمن مُلَحاً من وقوفِه واستيقافه وبكائه واستبكائه وذكر الأحبّة والمنازل .

وقال الحاتمي : الابتداءات البارعةُ خمسة . قول النابغة :

كِلِيني لهم يا أميمةُ [2] ناصِبِ

وليلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكواكبِ [3]

---

(1) البيت مطلع معلقته وهو في ديوانه (ت: ابي الفضل) : ٨ وديوانه (شرح السندوبي) : ١٤٣ . وشرح المعلقات للزوزني (دار صادر) : ٧ .

(2) في الأصل « يا اميمة » .

(3) ديوانه (ت: كرم البستاني) : ٩ والبيت مطلع قصيدة له يمدح فيها عمرو بن الحارث الاصغر حين هرب إلى الشام ونزل به . وديوانه (ت: فوزي عطوي) : ٤٨ =

وصَدْرٍ أراحَ الليلُ (١) عازِبَ (٢) همِّهِ
تضاعَفَ فيه الحُزْنُ من كلِّ جانبِ (٣)

وقولــه :

يا دارَ ميّةَ بالعليـاءِ فالسَّنَـدِ
أقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأبَدِ (٤)

وقول علْقمة بن عَبدَة (٥) :

طَحَا بك قَلْبٌ في الحِسَانِ طرُوبُ
بُعَيْدُ الشّبابِ عَصْرَ حانَ مشيبُ (٦)

- وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (المعارف) : ٤٣ ، وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٦٤٤ ، ٦٤٥ والبيت الأول في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٤٣٣ ، ويقول عنه أبو هلال إنه أحسن ابتداءات الجاهلية ، وفي البديع (نشرة خفاجي) : ٧١٣ وساقه مؤلفه شاهداً على حسن الابتداء وفي كتاب سيبويه (ت: هارون) ٢ : ٢٠٧ وفي الحماسة البصرية (حيدر آباد ١٩٦٤) ١ : ١٢٠ وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٢٤١ .

(١) في الأصل : « الليلَ » .

(٢) في الأصل « غارب » .

(٣) بين البيتين يوجد في الديوان هذا البيت :

تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ ... وليس الذي يرعى النجوم بآئب

(٤) البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها النعمان ويعتذر إليه .
ديوانه (بيروت ١٩٦٣) : ٣٠ و (ت: عطوي) : ١٩ ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (المعارف) : ٢٦٢ ، ٢٩٧ ، ٤٣٧ ، وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٦٥٨ ، وكتاب سيبويه (ت: هارون) ٢ : ٣٢١ ، وانظر الشطر الأول في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ١٧٧ .

(٥) وهو المعروف بعلقمة الفحل .

(٦) ديوانه (ت: الصقال ، ودرية الخطيب) بحلب : ٣٣ .

وقولـــه :

هل ما عَـلِمْتَ وما اسْتُـودعْـتَ (1) مكتومُ

أمْ حبلُها إذْ نأتْكَ اليوْمَ مَصْــرُومُ (2)

وقول امرىء القيس :

ألا أنعَمْ صباحاً أيُّهـــا الطّلَلُ البـــالي

وهل يَنْعِمَنْ من كان في العُصُـرِ الخالي (3)

= والبيت مطلع المفضلية رقم ١١٩ ، وورد في العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٥٧ و ١٥٩ وفيه « بالحسان » موضع « في الحسان » ، والعقد الثمين : ١٥٥ ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (المعارف) : ١٧٦ ، وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٥٠٢ والأغاني (بيروت) : ٢١ : ٢٢٥ .

يقول ابن رشيق : ولعلقمة الفحل ثلاث قصائد مشهورات ، إحداهن : «

* ذهبت من الهجران في كل مذهب *

وفي هذه القصيدة وقع الحكم له على امرىء القيس . والثانية قوله :

* طحا بـك قلـب في الحسان طروب *

والثالثة قولـه :

* هل ما علمت وما استودعت مكتوم *

العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ١٠٣ و ١٠٤ .

(1) في الأصل « استَودعْت » .

(2) ديوانه (النشرة السابقة) : ٥٠ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٤٩٨ والحماسة البصرية (حيدر آباد ١٩٦٤) ٢ : ١٧٧ وانظر المفضليات (المعارف ط٤) : ٣٩٧ والأغاني (بيروت) ٢١ : ٢٢٢ ، ٢٢٨ .

(3) البيت في ديوانه (ت: ابي الفضل) : ٢٧ وديوانه (شرح السنـــدوبي) : ١٥٨ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٥٨ ومعجم البلاغة العربية : ٨٧٢ وفي الجميع ذكر البيت على هذا النحو : =

ومن الابتداءات في أشعارِ المحدثين قولُ أبي تمام [1] :

أجَلْ أيها الرَّبْعُ الذي خفَّ أهْلُـــه
لقد بلغت فيك النّوَى ما تحاوِلُـــه [2]

وقولـــه :

يا رَبْعُ لو رَبَعوا على ابـــن هُمُـومِ
مُسْتَسلِمٌ لجوَى الفراقِ سَقيمِ [3]

- الا عم صباحاً ايها الطـلل البـالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

أما رواية التبريزي في الكافي (ت: الحساني) : ٢٣ فقد جاءت مطابقة لرواية الأصل .

(1) بشأن الاستشهاد بشعر أبي تمام انظر ما أورده السيوطي (في مزهره ١ : ٥٨) نقلا عن الزركشي .

(2) ديوانه (ت: عبده عزام) ٣ : ٢١ ، والبديع (ت: خفاجي) : ٧١٤ وفيهما « أدركت » مكان « بلغت » ، والموازنة (ت: محيي الدين) : ٩٨ و (ت: السيد صقر) : ١١٢ وفيه عدا ما تقدم « الا » موضع « اجل » و : ٤٢٢ وروايته في هذه الصفحة :

اجل ايها الربع الذي بان آهلـه لقد ادركت فيك النوى ما تحاوله

و ٥١٨ وروايته :

اجل ايها الربـع الذي خف اهلـه

وقد أورد المحقق في تعليقه قول المعري بصدر الكلمة التي ابتدى بها هذا البيت « وهذا لا يمكن إلا على كلام متقدم لأن اجل في معنى نعم ، ولا معنى لقولك هذه الكلمة إلا وقد سبقها كلام من غيرك . فكأنه ادعى أن الربع كلمه وشكا إليه ، فقال له : أجل أيها الربع ! والبيت مطلع قصيدة لأبي تمام يمدح فيها المعتصم بالله .

(3) مطلع قصيدة في مدح محمد بن يوسف الطائي . ديوانه (ت: عبده عزام) ٣ : ٢٦١ . وورد شطره الأول في الموازنة (ت: محيي الدين) : ٢٢٨ و (ت: صقر) ٢ : ٢٦٧ و ٥١٨ والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٣٣ ، والبديع (ت: خفاجي) : ٧١٤ . وورد شطره الأول في منهاج الادباء (ت: ابن الخوجة) : ٢٨٤ ومعجم البلاغة العربية ١ : ١٨٩ .

وقولــه :

يا بُعْدَ غايـَةِ دمْعِ العينِ [إنْ بَعـُدُوا] [1]
هي الصَّـَابَـةُ [2] طولَ الدّهرِ والسّـهُدُ [3]

وينبغي للشاعر والمترسّل أن يتجنّبا افتتاح الكلام بما يتطير منه ويثقلُ على سامعه ، ويتحفـّظا مما يستخفي كنعي الشـّباب وتفرّق الأحباب وذم الزمان وما جارىٰ ذلك ، إذا كان مفضياً إلى مدح الرؤساء ومُخاطبةِ العظماء ، على أن أكثر ما يقع هذا في النـّظم دون النثر . وإنـّما جمعنا الشاعرَ والكاتبَ في الخطاب لاشتراكـِهما في استعمال المعاني ، فقد عيب على الأعشىٰ قوله :

ما بـُكاءُ [4] الكبيرِ في الأطلالِ وسؤالي وما يـَرُدُّ سؤالي [5]

---

(1) الزيادة من الديوان والمراجع المذكورة في الحاشية رقم (3) .

(2) في الأصل « المصابة » .

(3) ديوانه (ت: عبده عزام) 3 : 10 ، والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : 434 ، والبديع (نشرة خفاجي) : 714 ، والزهرة : 157 وفيه « والسهد » ، وجوهر الكنز (ت: د. سلام) : 219 وفيه : « والكمد » .
وورد صدره في الموازنة (ت: محيي الدين) : 228 و (ت: صقر) 2 : 268 . والبيت مطلع قصيدة للشاعر يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي .

(4) في الأصل « ما بكائي » .

(5) والبيت مطلع قصيدة للشاعر يمدح فيها الأسود بن المنذر اللخمي . ديوانه (ت: د. محمد محمد حسين) : 3 ، وديوانه (دار صادر 1966) : 163 وفيهما « فهل ترد » . وشعراء النصرانية (بيروت ط2) : 384 . وفيه « بسؤالي » . وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط1) : 242 . وفيها « وما تردُّ » .

وأنكر على ذي الرّمة قوله :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنها الماءُ ينْسَكِبُ
كأنّهُ من كُلًى مفْرِيّةٍ سَرِبُ [(١)]

وأنشد النابغةُ [(٢)] بعض الملوك قصيدته التي أوّلها :

لبِسْتُ أناساً فأفنيتُهُم وأفنيتُ بعد أناسٍ [(٣)] أناسَا [(٤)]

فقال : ذاك لفرط شؤمك . وأنكر الفضلُ بن يحيى [(٥)] على أبي نواس امتداحه إياه بقوله :

أَرْبَعَ البلَى ! إنّ الخشوعَ لبَادٍ [(٦)]
عليك ، وإنّي لم أخُنْكَ وِدَادِي [(٧)]

---

(١) ديوانه ص١ والبيت مطلع قصيدة له . وقد ورد هذا المطلع في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٤٣١ .

(٢) الجعدي .

(٣) في الأصل « اياس » .

(٤) لم أجد البيت في ديوانه الصادر في بيروت ١٩٦٣ بتحقيق كرم البستاني ، بل لم اجد للشاعر من قافية السين في هذا الديوان إلا هذا البيت :

ظللنا ببرقاء اللهَيم ، تلفنا قبولٌ تكاد من ظِلالِها نمسي

وقد ذكره المحقق في آخر الديوان ضمن « أبيات مفردة » للشاعر أو لا أدري أية رواية او أية مخطوطة اعتمد عليها المحقق في هذه النشرة ، وكذا لم اجده في ديوانه (ت: فوزي عطوي) . ووجدته في الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٩٠ منسوباً إلى الجعدي .

(٥) البرمكي .

(٦) في الاصل « لبادي » .

(٧) البيت مطلع قصيدة يهنىء بها الفضل بن يحيى البرمكي بدار ابتناها ، ديوانه (دار صادر) : ٢٢٠ ، وديوانه (ت: احمد الغزالي – بيروت) : ٤٧١ وديوانه ـ

فلمّا انتهى إلى قوله :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فُقِدْتُــمُ

بني بَرْمَكٍ من رائحينَ وغادِ [1]

استحكم نظره [2] . ويقال إنّ الأسبوعَ لم يخرج عنهم حتى نُكِبُوا . وأنشدَ البحتري يوسفَ بنَ محمد الثغريَّ قصيدته التي أوّلُها :

لك الويلُ من ليلٍ تَطَاولَ آخِرُه [3]

فقال : الويلُ والحربُ لك . وأن يكونَ افتتاح الكلام من أحسن ما يمكن وأعلقه بالقلوب والأسماع . وينبغي للشاعر أن يتجنبَ التعيين في تشبيهٍ على اسم من أسماء [4] النساءِ ، فإنّه ربما وافق بعْض من يكرهُ الممدوح ذكره . ويحسن النأي لهذا وما يجاريه .

= (ط . الحميدية) : ٦١ و ٦٢ والصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٤٣١ . وسر الفصاحة : ١٧٥ .

(١) في الأصل « وغادي » . ديوانه (نشرة دار صادر) : ٢٢١ و (ت: احمد الغزالي) : ٤٧٣ والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٢٤ ومنهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ٤٩ .

(٢) في الصناعتين « استحكم تطيّره » : ٤٣١ .

(٣) عجزه :

ووشك نوى حيٍّ تزَمُّ اباعره

ورد هذا الشطر في نهاية الأرب ٧ : ١٣٣ وفيه « تقاصر » موضع « تطاول » . وورد البيت في الديوان (المطبعة الادبية ـ بيروت) ١ : ٢٥٠ ، وفي منهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ١٤٩ وفي معجم البلاغة العربية ١ : ١٩٠ .

(٤) في الأصل : الاسماء .

ذكر الخروج الحسن [1]

حُكْم المقدّمة والتشبيَب الواقعين في المنثور والمنظوم أن يكونا متصلين بما بعدَهما وغيرَ منفصلين عنه ، فأما مقدمة المنثور فبأن يكون اتصالها بما بعدها من طريق المعنى ، وهو اشتمالها بالقول المجملِ على معاني ما جعلت مقدمةً له واشتمال ما بعدها على تفصيل ما أجمل فيها ، وأما التشبيب فبأن يكون مرتبطاً بما يليهِ من أغراض الشعرِ ارتباطاً يحسنُ معه التخلُّص إلى الغرض ، فقد مثلوا أبيات القصيدة في اتصال بعضها ببعضٍ وتناسبها باتصال أعضاءِ الإنسان ، وقالوا إنه متى تباينت وتنافت في التركيب غادرها ما يغادرُ الإنسان ببائن أعضائه من العاهات وتخون [2] المحاسن . والنص على أمثلةٍ للتطرق من مقدّمة المنثور إلى غرضه لا [3] يحتاج إليه، لاتّساع ما يقع في هذا الباب ، أعني المنثور ، فأمّا تمثيل التطرق من تشبيب الشعر إلى غرضه فغير متعذّرٍ ، لقلّة ما يقع في الشعر من المعاني .

ومن مُستحسَن الخروج قولُ مسلم بن الوليد [4] :

---

(١) انظر « حسن الخروج » في معجم البلاغة العربية ١ : ١٩٨ وفي البديع (نشرة خفاجي) : ٦٩٢ وانظر حسن التخلص في الطراز ٣ : ١٧٩ – ١٨٢ وما يسمى بـ « حسن الخروج » يطلق عليه أبو هلال والمتأخرون « الاستطراد » .

(٢) في الأصل « تحون » .

(٣) في الأصل « فلا » .

(٤) في يحيى بن خالد . ومسلم بن الوليد شاعر عباسي غزل ، لقبه الرشيد بصريع الغواني حين سمع قوله :

وما العيش إلا أن تروح مع الصبى ... وتغدو ، صريع الكأس والاعين النجل

(توفي ٢٠٨ هـ) .

أجِدَّكِ هل تدرين أنْ رُبَّ ليلةٍ
كأنَّ دُجَاهَا من قُرونِكِ يُنْشَرُ

صَبَرْتُ [1] لها حتى تجلّت بغُــرَّةٍ
كغُرَّةِ «يحيى» حين يُذكَر «جعفَرُ» [2]

وقول محمّد بن وُهَيْب [3] :

ما زَالَ يُلْثِمُني مراشفَـــهُ ويعلُّني الإبريقُ والقَــدَحُ
حتّى استردَّ الليلُ خلْعَتَهُ وبدا خلالَ ســوادِهِ وضَحُ
وبَدَا الصَّباحُ كأن غُرَّتَـــهُ وجْهُ الخليفةِ حين يُمتَدَحُ [4]

---

(1) في الأصل « نصبت » .

(2) ديوانه (ت: د. سامي الدهان) : ٣١٦ والصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٤٥٦ وفيه « لهوت » موضع « صبرت » . وقد ورد البيت الأول بمفرده ص ٢٥٤ من هذا المرجع . وروايته :

أجدك هــل تدرين ان رب ليلــة كأن دجاهــا من قرونــك تنشــر

والحماسة البصرية (حيدر آباد ١٩٦٤) ١ : ١٦٤ وفيها « ما تدرين » موضع « هل تدرين » و « لهوت » موضع « صبرت لها » وحماسة ابن الشجري (حيدر آباد) : ٢٦٧ وفيها « ما تدرين » . والطراز (ط. المقتطف) ٣ : ١٨٠ وفيه « سريت بها » ونهاية الأرب ٧ : ١٣٥ وفيها « تنشر » بالتاء و « نصبت » موضع « صبرت » ومنهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ٣١٧ وفيه « لا تدرين » و « ينشر » و « أرقت » .

(3) الحميري البصري من قصيدة يمدح بها المأمون وهو شاعر مطبوع مكثر مدح المأمــون والمعتصم (انظره في الأغاني ١٧ : ١٤١ ومعاهد التنصيص ١ : ٧٦ ومعجم الشعراء : ٣٥٧) .

وهذه الأبيات من قصيدة في المأمون ، أولها :

العــذر إن أنصفــت متضــح وشــهود حبــك ادمــع ســفح

(4) الأبيات في الأغاني (الساسي) ١٧ : ١٤٨ و (بيروت) ١٩ : ١٩٠ وفيه « ويعلني » ـ

وقوْل البحتري (١) :

قدْ قُلْتُ للغَيثِ الرُّكامِ - وَلَجَّ في

إبْراقِهِ ، وألَحَّ في إرعـــادِهِ :

لا تعرضـن بجعفـرٍ متشبهـــاً

بندى يديه فلست من أنـداده ! (٢)

وقولـه :

أقسمتُ لا أجْعَلُ الإعدامَ حادثةً

تُخشى « وعيسى بْنُ إبراهيم » لي سَنَدُ (٣)

- بكسر العين ، وهو جائز ، في اللسان : علّه يعلّه ويعِله إذا سقاه السقية الثانية . و « نشا » موضع « وبدا » .

وفي الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٦٣ و ٤٥٥ ومعاهد التنصيص ٢ : ٥٧ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٦٠ ، والبيت الأخير وبعده بيت في معجم الشعراء (ت: فراج) : ٣٥٨ ومنهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ٣٢٢ ، وفي من قصيدة له في مدح المأمون ، ومطلعها :

العذر إن أنصفت متضح وشهيد حبك ادمع سفح

الأغاني (دار الكتب) ١٧ : ١٤٨ ، وورد البيت الثالث في معجم البلاغة العربية : ٧٣٠ .

(١) انظر البيتين في الديوان (ت: الصيرفي) ٢ : ٧٠٣ وقد ورد فيه « للغيم » مكان « للغيث » في البيت الأول . والموازنة (ت: السيد صقر) ٢ : ٣١٥ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٤٥٧ وقد ورد فيهما « الغيث » كما في الأصل هنا .

(٢) كل من البيتين كتب في الأصل متصل الشطرين .

(٣) ديوانه (ت: الصيرفي) ١ : ٤٩٦ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٤٥٨ وفيهما « آليت » مكان « اقسمت » .

وأكثر ما يقع هذا الخروجُ المستحسنُ في أشعار المحدثين ، فأما الجاهلية فلم يكونوا يعنون بإيصال التشبيب بما بعده ، لأنهم يعدون التشبيب كلمة مفردة ويرْون المديحَ قصيدةً على حدَة . ومذهب المحدثين أحسن وأبرع .

ذكْر الترّصيع [1]

هذا النعت مشْتقّ من ترصيع الحليِّ بالجواهر ، لأنهم وضعوا اللفظ في موضع الحليِّ ، ورصّعوا الصَّنْعة الواقعة في هذا الباب ، وهي تماثل الألفاظ في الخطّ والسمْع ، وتقابلها مقام ما يرصّع الحليّ من الدُّرِّ وغيره . وهو نعتٌ [2] واقعٌ في موقعه ، لما بين تقابل الألفاظ المتماثلة في السمع والخط وبين تقابل الجواهرِ المتماثلة الأجسام في الترصيع من المناسبَة في المعنى ، وهو أن كلّ واحد يفعل فيما رصع به من الرتبة والتقسيم مثل فعل الآخر .

ولم أجد لأحدٍ من العلماء بصناعة البديع فيه كلاماً إلاّ لأبي علي الفارسيِّ [3] فإنه ذكره وقسمه إلى ثلاثة أنواع : ترصيع حذْو ، وترصيع لغْوٍ ، وترصيع مُوازنةٍ .

---

(1) انظر (الترصيع) في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط1) : ٣٧٥ – ٢٧٩ وفي خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٤٢٢ وفي معجم البلاغة العربية (د. طبانة) ١ : ٣٠٩ وفي الطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ٢ : ٣٧٣ – ٣٧٧ ونهاية الأرب ٧ : ١٠٤ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٣ ، وجوهر الكنز : ٢٥٤ وصور البديع ٢ : ١٩ – ٣٧ .

(2) في الأصل « تعب » .

(3) هو الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسي الاصل . احد الائمة في علم العربية . من كتبه : « الإيضاح » في قواعد العربية و « التذكرة » في علوم العربية و « الحجة » في علل القراءات و « المقصور والممدود » و « العوامل » في النحو . ولد عام ٢٨٨ وتوفي عام ٣٧٧ هـ .

فأمّا ترصيع الحذو فهو أن تأتي الكلمتان على صورة [1] واحدة وروي [2] واحد ، ولا يفترقان إلا في الشكل والإعجام ، أو في الإعجام حسب ، أو في الشكل حسب . فممّا يفترق في الشكل والإعجام قولُ النبي ﷺ « عليكم بالأبكار فإنّهن أشدّ حُبًّا وأقل خِبًّا » [3] ، وقول ابنِ الرومي [4] :

لا أسْرق الشعرَ وغيْري قالــه يكفينيَ انتحــاله انتحــالَه [5]

وممّا يفترق في الإعْجام حسْب قولُ الله تعالى « ثم لا يجدون [6] ولياً ولا نصيراً » [7] وقول النبي ﷺ « المرء يسعى بجدِّه والسيف يقطع بحدِّه » وممّا يفترق في الشكلِ حسب قولك : العِزّ والعَزّ ، القُرّ والقَرّ .

وأما ترصيع اللغو فهو أن تكون الكلمتان على صورة واحدة والروي مختلف ، مثل قولك « فلان نيله سابغ ونبله سابع » ومثل قوله تعالى « وهم

---

(١) سقطت هذه الكلمة في الأصل من السطر وكتبت فوق مكانها منه مائلة مردفة ب « صح » .

(٢) الروى : الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه فيقال قصيدة دالية أو تائية.

(٣) في الأصل « أشدّ حياءً وأقل حيا » وما ذكرته ورد في (الطراز ٢ : ٣٦٦) والخب : الخداع .

(٤) علي بن العباس بن جريج (توفي ٢٨٣) شاعر عباسي كبير من طبقة بشار والمتنبي . ومع هذا لم يترجم له صاحب الأغاني بل ذكره في موضعين .

(٥) لم أجده في ديوانه (دار الكتب المصرية) وكذا ديوانه (اختيار كامل كيلاني) .

(٦) في الأصل « ولا يجحدون » ويوجد في القرآن « ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا » سورة الفتح ٢٢ وهي التي أثبتها ، كما يوجد « ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً » سورة الاحزاب ١٧ ، وايضاً سورة النساء ١٧٣ .

(٧) لا يتضح بما ذكره من الآية ما أراد التمثيل له من افتراق الكلمتين في الاعجام حسب . وأعتقد ان هناك سقطا في الكلام ، إذ المفروض أن يجيء بكلمة ك « بصيرا » مثلا في مقابل « نصيرا » . وما ذكر هو ختام الآية ٢٢ من سورة الفتح وختام الآية ٢٤ « وكان الله بما تعملون بصيرا » .

يحسبون أنهم يحسنون صنعاً »[1] . ومثل قول أبي عبادة[2] :

ولم يكن المُغْتَرُّ باللهِ إذْ سَـــرَى
لِيُعْجِزَ « والمُعْتَزُّ باللهِ » طالِبُهْ[3]

وهذا النوع إنّما يُراعى فيه اتفاق صوره في الخطّ واختلاف رويه[4] ، وسواء بعد ذلك اتفاق حروف تأليفِه في السمع واختلافها ، ألا ترى اتفاق صُورتي المغتّر والمعتّز في الخط واختلاف رويّهما وحروفهما وكذلك سابغ وسابع ، واتفاق صورتي تحسبون وتحسنُون وحروفهما واختلاف رويّهما .

وأما ترصيع الموازنةِ فهو أن يكون البيتُ أو الفصلُ مقسوماً كلمتين كلمتين من غير زيادةٍ عليهما ، وأن تكون الثانيةُ من كل قسم على وزن الثانيةِ من القسْم الذي قبلها والقسم الذي بعدها ، ومثاله في المنثور قولُ بعضِهم « دامتْ نعمك وحمد كرمك وشفى ألمك » ومثل قولك « دامتْ

---

(١) سورة الكهف . الآية ١٠٤ .

(٢) البحتري ، في مدح المعتز بالله .

(٣) ديوانه (ت: الصيرفي) ١ : ٢١٥ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٩ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ١٩١ ، وشرح ابن حجة لبديعية عائشة الباعونية (على هامش خزانته) : ٣١٤ وفيه « المعتز » موضع « المغتر » في الشطر الأول ، وهو خطأ مطبعي ، والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٣٢٧ وفيه « إن » موضع « إذ » وقد اورده العلوي في الطراز مثالا للمصحف وهو ضرب من التجنيس الناقص ويقال لهذا الضرب تجنيس الخط أيضاً ومثاله في القرآن (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) ومن السنة (عليكم بالأبكار فإنهن أشد حباً وأقل خباً) والخب الخداع . ومن الشعر قول البحتري هذا (انظر طبعة المقتطف ١٩١٤) ٢ : ٢٦٦ وفيها « شرى » موضع « سرى » .

(٤) في الأصل « صورة في الخط واختلاف روية » .

أيامك ونصرتْ أعلامُك ونفذت أحكامك » ومثاله في المنظوم قول الشاعر :

الحربّ نزهتُه والناس همته والسيفْ عزمتُه واللهُ ناصِرُه

وقول امرىء القيس يصف الفرس :

رَقَاقُهَا ضَرِمٌ ولَحمُهَا برِمٌ وجريها جَذَمٌ والبَطْنُ مقبُوبُ
والعين قَادِحَةٌ واليَدُّ سابِحَةٌ والرِّجْلُ صارحة واللّونُ غِرْبيبُ
والماءُ منْهَمِرٌ والسّدُّ مُنْحَدِرٌ والبطن مضطمرٌ والمَتن مَلْحُوب (١)

وقد سمّى آخرون هذا تسميطاً ، قالوا : وهو تصيير الأجزاء في البيت

---

(١) الابيات في الديوان (ت: أبي الفضل) : ٢٢٥ وهي ضمن قصيدة مطلعها :

الخير ما طلعت شمس وما غربت مطلب بنواصي الخيل معصوب

وهذه القصيدة من زيادات نسخة الطوسي من الصحيح القديم المنحول . وقال ـ ويقال إنها لإبراهيم بن بشير الأنصاري . وقد وجدت اختلافاً في كل من الأبيات الثلاثة . ولذا أثبتها هنا كما وردت هناك :

رقاقها ضرم وجريها خذم ولحمها زيم والبطن مقبوب
والعين قادحة واليد سابحة والرجل طامحة واللون غربيب
والماء منهمر والسد منحدر والعصب مضمر والمتن ملحوب

وورد البيت الثاني في الكافي (ت: الحساني) : ١٨٣ موافقاً لرواية الأصل . وفي ديوانه (شرح السندوبي) : ٦٩ وقد رويت فيه على هذه الصورة :

رقاقها ضرم وجريها جذم ولحمها زيم والبطن مقبوب
واليدُ سابحة والرجل ضارحة والعين قادحة والمتن سلحوب
والماء منهمر والسد منحدر والقصب مضطمر واللون غربيب

وفي شعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٣٧ ورواية الأبيات فيه كروايتها في الديوان السابق باستثناء البيت الثاني فقد ورد :

واليدُ سابحة والرجل ضارحة والعين قادحة والمتن ملحوب

على حكم السجع أو ما شابهه مما يكون جنسُه واحِداً في التصريف والتمثيل ، ومثلوه بقول امرىء القيس :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ [1]

ويقول زهير :

كَبْداءُ مُقْبِلةً وركاء [2] مُدْبِرةً [3]

والقصْدُ توازن الأجزاءِ وإن لم تكن مسجوعةً . وقد كنتُ وقفت على كتابٍ لطيف لابن منصور الثعالبي سماه « أجْناس التجنيس » ذكر فيها أنها ثلاثة ، وأورد من فقر البلغاءِ في كل قسْمٍ أمثلةً من المنظوم والمنثور . فأوّلها:المتشابهُ الذي يشبه التصحيفَ ولم يراع اتفاق رويه ولا اختلافه ولا تباين حروفه إذا اتفقت صوره في الخط ، ومثله بقول النّبي ﷺ « عليك باليأس من الناس » وبقول الحسن البصري « ما أعطى اللهُ أحداً اختياراً إلا زواها عنه اختباراً » وبقول الآخر في الفّروجِ « يخرج كاسباً كاسياً » وبقوله في الحيوان

---

(1) هذا شطر بيت ، وعجزه :

كجلمود صخر حطه السيل من عل

انظر البيت في ديوانه (ت: أبو الفضل) : ١٩ وديوانه (شرح السندوبي) : ١٥٤ وشرح المعلقات للزوزني (دار صادر ودار بيروت ١٩٦١) وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي) : ١٥٦ .

(2) لم تثبت في الأصل همزتا « كبداء » و « وركاء » (ط) : ١٥٦ .

(3) هذا صدر بيت ، وعجزه :

قوداء فيها إذا استعرضتها خَضَع

انظر شرح ديوان زهير ، صنعة ثعلب : ٢٣٧ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٧٦ وفيه « عجزاء » موضع « وركاء » .

« سبْحان من جعل بعضَه لك غادياً وبعضه عليك عادياً » وبقول بعضهم « ليس في العظْم مخّ ولا في البيض مح » وهذا الجنسُ يجمع ترصيع الحذو واللغو .

وثانيهما المتشابه من التجنيس الصحيح ، وهو أن تتفق صورتا الكلمتين وحروفهما[1] معاً فلا يفرق بينهما إلا الشكل ، وهذا أحد أنواع ترصيع الحذو ، ومثّله بقول معاذ بن جبل[2] « الدَّينُ هدْم الدين » وبقول بعض البلغاء « من كان كله لك كان كله عليك » وبقول آخر « ذكر المِنّة من ضعف المنّة » وبقول آخر « مولاي يوليني العفوَ من عفْوه ويُوليني صفحةَ صفحه » وبقول آخر « راحة الجَنان ورائحة الجِنان وغذاء الرُّوح ومادّة الرَّوح » وبقول شاعر :

وليْلة نجْمُهَا كِلفٌ صبٌّ وفي وجه بَدْرِها كَلَفُ

وبقَول ابنِ بابك[3] :

فصــوت لسانِــه نَغَــمٌ وصوْبُ يمينِــه نِعَــمُ

والمثال في البيت « نَغَم نِعَم » لا « صوت و صوب » ، لأنهما من ترصيع اللّغوِ ، وبقول محمد بن العباس[4] :

طُول بــلا طَوْل ولا طايــلٍ سيفٌ كهامٌ وغمامٌ جَهَام

---

(١) في الأصل « وحروفها » .

(٢) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن اوس الانصاري . صحابي جليل . واحد الستة الذين جمعوا القرآن عن عهد النبي (ص) . ومن كلام عمر : « لولا معاذ لهلك عمر » وفي ذلك تنويه بعلمه . توفي سنة ١٨ هـ وفي مولده خلاف .

(٣) هو عبد الصيد بن منصور بن الحسن بن بابك ، شاعر مجيد مكثر ، من اهل بغداد (توفي ٤١٠ هـ) .

(٤) الخوارزمي ، صاحب الرسائل المعروفة برسائل الخوارزمي . كان من ائمة الكتاب . كما كان ثقة في اللغة ومعرفة الانساب (توفي ٣٨٣ هـ) .

وثالثُهما ما يتشابه لفظاً وخطاً ويختلف معنى ، ولا يدلّ عليه إلاّ قرائنه من الألفاظ دون الشكل والإعجام إذ لا يختلفان ، وهذا الجنس يُشبه[1] أن يكون قسماً رابعاً من ترصيع الحذو ، ومثّله بقول الصاحب « لبيد عنده بليد ، وعبيد وأقرانه له عبيد » وبقوله أيضاً « يضايق في حرف ويعتد المودّة على حرف » وبقوله « ما انتصفَ النهار حتّى انتصف الله للحقّ من الباطل » .

ويقول البستي[2] : « خيمُ غيرُ وخيم ، وقريحة غير قريحة »

وبقول ابن الروميّ :

كم بيْن وسْواس الحُلـــيِّ   وبين وسْوَاس الهمـــومِ

ويقول القاضي[3] التّنُوخيّ[4] :

(1) في الأصل « فيشبه » .

(2) ابو الفتح علي بن محمد بن الحسين . منسوب إلى (بست) قرب سجستان . وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان . وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها :

زيادة المرء في دنياه نقصان   فلا يغر بطيب العيش انسان   (توفي ٤٠٠ هـ)

(3) في الأصل « الناص » .

(4) هو علي بن محمد بن ابي الفهم ، ولد بأنطاكية ٢٧٨ هـ وقدم بغداد في حداثته ٣٠٦ ولفقه على مذهب أبي حنيفة ، وولي قضاء البصرة والأهواز ، وهو إلى جانب ذلك اديب ، شاعر وقد مات بالبصرة ٣٤٢ وهو والد أبي علي المحسن صاحب كتاب « نشوار المحاضرة » وكتاب « الفرج بعد الشدة » (انظر معجم الأدباء ٥ : ٣٢ والأعلام ٥ : ١٤٢) . ويحكى أن القاضي التنوخي كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسيط في القصف والخلاعة ، وهم ابن قريعة وابن معروف والايذجي وغيرهم ، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ، وكذاك كان المهلبي ، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع واخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا أثواب الوقار للعقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش ، ووضع في يد كل منهم طاس من ذهب الف مثقال مملوءاً شراباً قطربلياً أو عكبرياً ، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تشرب أكثره ثم يرش بها بعضهم على بعض ويرقصون بأجمعهم، وعليهم المصبغات، =

أسيرُ وقلبي في ذَرَاك[1] أسيرُ وحادِي ركابي ولوعةٌ زفيرُ[2]

فترصيع الحذوِ على هذا ينقسمُ إلى أرْبعةِ أقسام : قسمٌ تتفق صُوَرُه وحروفُه وإعجامُه وشكله،مثل « حرف وحرفٍ » و « قريحة وقريحة » . وقسم تتفق صورُهُ وحروفُه واعجامه ويختلف شكله،مثل « دين ودين » و « كَلّ وكُلٍ » . وقسم تتفق صورُهُ وشكله وتختلفُ حروفُه وإعجامُه،مثل « بصير ونصير » و « سفير وشفير » . وقسم تتفقُ صوره وتختلف حروفه وإعجامُه وشكله،مثل « جُبّ وخَبٍّ وغِبّ وعَبّ . وأورَدَ في أبواب الجنسِ الثاني باباً نسَبَهُ إلى ما يتشابه لفظاً لا خطاً ، ومثّله بقول البسْتِيِّ :

وإنْ أمَرَّ على رقٍّ أناملَـــه أقَرَّ بالرق كتّابُ الأنام له[3]

وهذا النّوعُ سمّاه أبو علي الفارسي «التركيب» . وله موضعٌ يذكر فيه من هذا الباب بمشيئة الله تعالى . وأما عبدُ الله بن المعتز وأبو علي الحاتمي فإنّهما يريانِ أن أحَدَ الأقسام التي أدخلْناها في الترصيع أحد قسمي التجنيس ، وهما لذلك أميل إلى موافقة أبي منصور الثعالبيِّ . وقد مرّ القولُ على هذا فيما تقــدّم .

= ومخانق البرم ، فإذا أصبحوا عادوا لعادتهم من التزام التوقر والتحفظ بأبهة القضاء وحشمة المشايخ الكبراء . (معاهد التنصيص ٢ : ١٢ ووفيات الأعيان (لبنان) ٣ : ٣٦٦ و (محيي الدين) ٣ : ٤٨ ومعجم الأدباء ٥ : ٣٣٤) .

(١) في الأصل « دراك » .

(٢) ورد هذا البيت متبوعاً بستة أبيات في معجم الادباء ٥ : ٣٣٧ وكان أبو أحمد بن ورقاء الشيباني قد خرج في بعض الأشعار فكتــب إليــه التنوخي يتشوق إليــه ويجزع على فراقــه .

(٣) ورد البيت في وفيات الأعيان (ت: محيي الدين) ٣ : ٥٩ ونهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ١٦ وقبله :

إن هز أقلامه يوماً ليعملهـا أنساك كـل كمي هـز عاملــه

ذكر المقابلة [1]

أمّا عبدَ الله بنُ المعتز وأبو الحسن علي بن عيسى الرّماني فإنهما لم يذكر المقابلةَ ، وأحْسبهما ألغَيَاها لقرب معناها من معنى المطابقة ، وذاك أن المقابلةَ التوفيق بين المعاني من جهة الموافقةِ والمضادّةِ ، والمطابقة ذكر الشيء وضدّه .

وأما أبو الفرج قُدامة فقال إن المقابلة من نعوت المعاني ، وهو أن يؤتى بمعانٍ يراد التوفيق بينها وبين معانٍ أخر ، أو المضادّة فيؤتى في الموافق بما يوافقُه وفي المُضَادّ بما يضاده ، ومثله بقول بعضهم « فإن أهل الرأي والنصح لا يساويهم ذو الأفن والغش ، وليس منْ جَمع إلى الكفاية الأمانةَ كمن أضافَ إلى العجزِ الخيانَةَ » قال : وإذا تأمّلت هذه المقابلات وُجدت في غاية المعادلة ، لأنه جعل بإزاء الرأي الأفن وبإزاء النُصح الغش ، وقابل الكفايةَ بالعجزِ والخيانة بالأمانةِ ، وبقول الشاعر [2] :

فواعجَبَا كيف اتّفَقْنا ، فناصِحٌ
وفيٌّ ، ومَطْوِيٌّ على الغلِّ غادِرُ !

فوفّى المقابلة،إذ جعل بإزاءِ ناصحٍ مطوياً على الغل وبإزاءِ وفيٍّ غادراً،

---

(1) انظر (المقابلة) في الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل ط١) : ٣٣٧ ـ ٣٤٠ وكذا في المثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ١٤٤ ـ ١٥٣ وخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٥٧ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ١٥ ـ ٢٠ ونهاية الارب ٧ : ١٠١ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٥ ومعجم البلاغة العربية : ٦٧٩ وجوهر الكنز (ت: د. سلام) : ٨٥ ـ ٨٩ .

(2) ورد البيت دون عزو في نهاية الارب ٧ : ١٠١ ومعجم البلاغة العربية : ٤٠٤ وورد ثانية في ٦٨١ وأوله « فياعجبا » ومنهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ٥٣ وأوله « فيا عجبا »=

وبقول الآخر [1] :

تقاصرْنَ واحْلَوْلَيْنَ لي ثم إنّــــه
أتتْ بعْدُ أيّامٌ طوالٌ أمـَرّتِ

فقابل القصرَ والحلاوةَ بالطول والمرارة .

وأمّا الحاتميُّ فإنه عبـّر عنها بعبارة قريبةٍ من عبارة أبي الفرج فقال : المقابلةُ وضعُ معانٍ يعتمد التوفيق بين بعضِها وبعض أو المخالفة فيؤتى في الموافق والمخالف بأمثالهما على الصحة ، أو تشترط شروط وتعدّد أحوال في أحد المعنيين فيؤتى في الموافق بموافق وفي المخالف بمخالف ، ومثّله بقولِ النابغة [2] :

فتىً تمَّ فيه ما يسُرُّ صديقَــهُ ... على أنَّ فيه ما يَسُوءُ الأعادِيَا [3]

= والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ١٥ واوله « فيا عجبا » .

(١) ورد ــ دون عزو ــ في : نهاية الأرب ٧ : ١٠١ ، ومعجم البلاغة العربية : ٤٠٥ ، والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٥ واوله في الأخير « ابا عجبا » .

(٢) الجعدي . ويقول وليم بن الورد « يقع التشابه في اسم النابغة ، ففي نسخة باريس من هذه المجموعة [اي المجموعة التي تضم شعراء امرىء القيس ، والنابغة ، وزهير ، وطرفة ، وعلقمة ، وعنترة] تجد البيتين الآتيين منسوبين إلى النابغة الذبياني :

فتـى تم فيـه ما يسـر صديقـه ... علـى أن فيـه ما يسـوء الأعاديا
فتى كملـت اخلاقـه غـير انــه ... جـواد فما يبقـي من المال باقيا

ولكنهما في نسخة اخرى ينسبان إلى النابغة الجعدي » .
اقول : والبيتان المذكوران منسوبان إلى النابغة الجعدي في اكثر المصادر ، وقد قدم ثانيهما على اولهما .

(٣) ديوانه (ت: فوزي عطوي) : ١٠٢ وديوانه (دار صادر ودار بيروت) : ١٢٧ وفيهما وردت الكلمتان الاخيرتان من البيت « ... يســيء المعاديـا » وحماسة ابي تمام =

وأما أبو عليٍّ الفارسيّ فقال : إن المقابلةَ تطبيق لفظيٌّ ، لأن الكلمةَ تقابل فيه أختها على ترتيب . وهو قول حسنٌ ، لأن المطابقةَ لا يُراعَى فيها ترتيبُ اللفظ وإنما يُراعى الإتيان بالأضداد ، ومثله بقوْلِ الشّاعر – والمثالُ في البيت الثاني :

وظبْيَةٍ من ظباء الأنسِ تُؤنِسُني
درّيّةِ الثغرِ كافوريّة النَفسِ

نبكي ونضْحكُ إن صدّتْ وإن وصَلَتْ
فنحنُ في مأتمٍ منها وفي عرسِ

فابتدأ بالبكاءِ وأتْبعه بالضحك ، وقابل البكاءَ بالصدّ والمأتم والضحكَ بالوصْلِ والعرس على ترتيب من غير تقديم ولا تأخير .

= بشرح التبريزي ، وقد ورد البيت مرتين : مرة في (١ : ٤٣٩) ورواية البيت مطابقة لهذه الرواية – ومرة في (١ : ٤٠٢) وفيها « كان فيه » مكان « تم فيه » . وخزانة الأدب لابن حجة (الخيرية بمصر) : ٥٨ ، والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ١٦ و ٤٨ ، ومنهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ٥٢ ونهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ١٠٢ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٥ . وفي الصناعتين ورد في ص ٣٣٨ منسوباً إلى الجعدي وفي ص ٤٠٨ منسوباً إلى جندل بن جابر الفزاري ، وقد ذكر المحققان (البجاوي وأبو الفضل) في تعليقهما ان الشعر للنابغة الجعدي ، واوردا (إعجاز القرآن للباقلاني : ٩٤) . وفيه « كان » موضع « تم » . وكذا في كتاب سيبويه نسب البيت الثاني « فتى كملت » .. إلى الجعدي (انظره بتحقيق : هارون) ٢ : ٣٢٧ .

ذكرُ التقسيم [1]

من شأن القسْمةِ المعتدلة أن تحسّن الصورةَ ، ولذلك سمو الحسن قساماً والوجه قسيمه ، وقالوا وجْهٌ مقسم أيّ حسن ، كأن قسمة تخطيطه متعادلة ، ورحل مقسم إذا كان وضيئاً . وكذلك تفعل القسمة المعتدلة أيضاً في المعاني الوهمية ، لأنها إذا صحت قسمتها ظهرَ أمرُها وتميّز الحسنُ من القبيح فيها . وصحة القسمةِ تكون بسلامتِها من الزيادة والنقصان والتداخل ، وفسادها يكون بدخول واحدة من هذه العللِ عليها،والقسمة الزائدة هي الفاضلة عن المقسوم ، والناقصة هي المقصّرة عن المقسوم ، والمتداخلة هي التي يدخل فيها حق بعضِ الأقسام في بعض . والتقسيم الواقع في هذا الباب على مذهب الجماعة أن يستقصي مؤلف الكلام [2] تفصيل ما ابتدأ به ويستوفيه فلا يغادر قسماً يقتضيه المعنى إلاّ أورده . وقال أبو الفرج قدامة : التقسيم من أنواع المعاني ، وهو أن يؤتى بالأقسام مستوفاة لم يخلّ بشيء منها ، ومتخلّصة لم يدخل بعضها في بعض ، ومثّله بقَول بعضهم « فإنّك لم تخلُ فيما بدأتني به من مجد أبتنيه أو شكر تعجلته أو أجْرٍ ادّخرته أو منجز أنجزته أو من أن تكون قد جمعت ذلك كلّه » قال : ولم يبق هذا القاسمُ في هذا الباب قسماً إلاّ أتى به مع خلوصها من التّداخل ، لأنه ليس فيها قسم مشاركٌ لغيره . ومِثالُه من المنظوم قول

---

(1) انظر (التقسيم) في الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل ط1) : 341 وخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : 362 والعمدة (ت: محيي الدين) 2 : 20 ـ 31 ومعجم البلاغة العربية : 701 وانظر « صحة التقسيم » في جوهر الكنز (ت: د. سلام) : 144 .

(2) ذكر في الأصل « المؤلف » وفي الهامش « صوابه : مؤلف الكلام صح » .

زُهَيْر [1] :

يَطْعَنُهم ما ارْتَمَوْا حتّى إذا اطّعَنُوا[2]

ضاربَ حتّى إذا ما ضاربُوا اعتنقا [3]

وقول نُصَيْب [4] :

فقال فريقُ القومِ : لا ، وفريقهم :

نعم ، وفريق قالَ : ويلك ما ندري [5]

---

(1) في هرم بن سنان .

(2) في الأصل « طعنوا » .

(3) ديوانه (بيروت ١٩٦٤) : ٤٣ وشرح ديوانه ، صنعة ثعلب (دار الكتب المصرية) : ٩٤ والأغاني (بولاق) ٥ : ١٧٨ و ٩ : ١٥١ وعيون الأخبار (دار الكتب) ١ : ١٩٠ و... الآداب (ت: البجاوي) ٢ : ٧٠٥ واللسان (وصل) والنهاية ٥ : ١٩٤ وفيهما : « طعنوا * ضاربهم فإذا ما ضاربوا » والبديع لأسامة بن منقذ (ت: د. أحمد بدوي وآخرين) : ١٦٣ وحماسة ابن الشجري (حيدر آباد) : ٩٦ والشعر والشعراء (ت: احمد شاكر) : ١٤٠ وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (المعارف) : ٣٩٥ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٥٣١ ومنهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ١٥٥ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٤٤٧ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٢ ومعجم البلاغة العربية : ٧٠٢ و ٧٨٨ وجوهر الكنز (ت: د. سلام) : ١٤٦ .

(4) ابن رباح ، وكنيته (أبو محجن) . شاعر فحل ، مقدم في النسيب والمدائح (توفي ١٠٨ وقيل ١١١ وقيل ١١٣ هـ) .

(5) ورد في سر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٦٦ . وفي الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٣٤١ ونقد الشعر (كما أشار محققا الصناعتين) : ٨٧ وفيه « لا يمن » موضع « قال ويلك » ، واللسان (يمن) وروايته فيه :

فقال فريق القوم لما نشدتهم نعم وفريق ليمن الله ما ندري

وخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٣٦٣ وفيه « أيمن الله » موضع « قال ويلك » . ومعجم البلاغة العربية ١ : ٤٠٦ وفيه « ويحك لا أدري » والعمدة (ت: محيي الدين) =

وليس في أقْسام الإجابة عن الشيء المستخبر عنه إلاّ هذه الأقسام الثلاثة

وقول الأسعر [١] بن حُمْران الجُعْفِيّ [٢] يصفُ فرساً على هيئته [٣] من جميع جهاتِهِ :

أمّـا إذا ٱستقبلتَـه فكأنّـه
باز [٤] يكفكف أن يطير وقد رأى

أما إذا استعرضْته متمطّـراً
فتقولُ : هذا مثلُ سِرْحان الغَضَا

أما إذا استدْبرتَه فتسوقـه [٥]
ساق قَمُوصُ الوقع [٦] عارية النّسَا [٧]

= ٢ : ٢١ وفيه « ويحك ما ندري » وفي منهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ١٥٤ ورد شطره الأول على هذا النحو :

فقال فريق لا ، وقـال فريقهم *

وفي الكافي (ت: الحساني) : ١٨٢ وروايته هنـاك :

فقال فريق الحي لا وفريقهـم بلى ، وفريـ قال ويحك ما ندري

(١) في الاصـل « الأشعر » والتصويب عن القاموس وتاج العروس .

(٢) اسمه مرثد . والأسعر لقبه ، ولقبَ به لقوله :

فلا يدعني الأقوام من آل مالـك إذا انا لم اسعر عليهم وأثقب

وقد ذكره ابن رشيق في العمدة في باب « المقلين من الشعراء » . (انظر ١ : ١٠٥ بتحقيق محيي الدين) .

وانظر ـ إن شئت ـ بعض الذين لقبوا بشيء من الشعر قالوه في المرجع المذكور ١ : ٤٦ .

(٣) في الأصل « هباته » . (٤) في الأصل « نار » .

(٥) في الأصل « فبسوقه » وفي نقد الشعر « فتفوقه » .

(٦) في الأصل « الدفع » . وما ذكرته ورد في العمدة وفي نقد الشعر وفي معجم البلاغة العربية .

(٧) وردت في الأبيات في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٢٢ ونقد الشعر (الجوائب) : ٤٦ وفيهما جاء ثالث الأبيات ثانيها ، كما وردت في معجم البلاغة العربية ١ : ٤٠٧ على النحو السابق .

وقول زهير :

فإنّ الحقّ مَقْطَعُهُ[1] ثلاثٌ يمينٌ ، أو نفارٌ ، أو جِلاء[2]

وقَولُ طُريح بن اسمعيل الثقفي[3] :

إنْ يعملوا[4] الخيرَ يخفوه، وإنْ عَلِمُوا شرًّا أذيع، وإن لم يعلموا كذبوا[5]

وقوله :

---

(١) في الاصل : يقطعه .
(٢) في الاصل لم تثبت همزة « جلاء » .
انظر البيت في شرح ديوان الشاعر ، صنعة ثعلب (دار الكتب) : ٧٥ وكذا في ديوانه (بيروت ١٩٦٤) : ١٢ ، وفيه « وان » مكان « فان » وفي شعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٥٦٣ وفيه : « وان الحق » . وفي العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٥٥ وقد أورد ابن رشيق ما قيل من أن عمر بن الخطاب كان يتعجب من قول زهير هذا وانه سمى زهيرا « قاضي الشعراء » بهذا البيت . وفي الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٣٤٢ وقد جاء فيه ان عمر رضي الله عنه كان يعجب بهذا البيت ويقول : لو أدركت زهيرا لوليته القضاء لمعرفته . وفي التمثيل والمحاضرة (ت: الحلو) : ٤٧ .
(٣) شاعر الوليد بن يزيد وخليله ، وأكثر شعره في مدحه — توفي ١٦٥ هـ (الاغاني — دار الكتب) ٦ : ١٠٢ وقواعد الشعر (ت: د. عبد التواب) : ٨٩ وخزانة البغدادي (بولاق) ١ : ٣٧٦ .
(٤) في الكامل « يسمعوا » موضع « يعلموا » و « لم يسمعوا » موضع « لم يعلموا » ، وورد في معجم البلاغة العربية : ٧٠٢ على هذا النحو : ان يستمعوا .. وان سمعوا .. وان لم يسمعوا ..
(٥) في الحماسة البصرية (حيدر اباد ١٩٦٤) ٢ : ٢١ وفيها « اذاعوا » موضع « اذيع » وجوهر الكنز (ت: د. سلام) : ١٤٦ وفيه « إن يسمعوا » و « أذاعوا » و « إن لم يسمعوا » . وفي المستطرف (مصطفى الحلبي) ١ : ٨٦ وفيه « اخفوه » في الشطر الاول و « أذاعوا » في الشطر الثاني ، وفي الكافي (ت: الحساني) : ١٨٢ وروايته كرواية الاصل .

من حاربوا وضعوا ، أو سالموا رفعوا
أو عاقدوا ضمنوا ، أو حَدّثوا صَدَقوا

وقول ابنِ الرومي :

ومنعم كالماء يشفي ذا الصّـدى
كشفائِـهِ ويشفّ مثل شفيفِـهِ
ممّـن له حسنُ الرحيـق وطيبه
ومراح [1] شاربه ومشي نزيفِـه [2]

وقَول بشارٍ :

بضرْبٍ يذوقُ الموتَ من ذاق طعْمَهُ
ويُدرك من نَجّى الفِرار مثالبُه
فراحوا : فريق في الإسار ، ومثلُهُ
قَتيلٌ ، ومثلٌ لاذَ بالبحْرِ هاربُه [3]

فقد آستوفى حالَ من يتوقع به الظّفَر .

---

(1) في الأصل « ومزاح » .

(2) البيتان في ديوانه (اختيار وتصنيف كامل كيلاني) : ٤٠٩ .

(3) ديوانه (نشرة الطاهر بن عاشور) : البيت الأول ١ : ٣١٨ وفيه « تدرك » مكان « يدرك » والبيت الثاني ١ : ٣٢ وفيه « فريقاً » بالنصب ويقول شارحه : ونصب « فريقاً » على أنه حال مفردة ، والصواب أنه مرفوع كما ثبت في رواية الأغاني ، فالجملة هي الحال ، وبينهما في الديوان بيتان . وقد ورد البيت الأول في الحماسة البصرية (حيدر آباد ١٩٦٤) ١ : ٨ وفيه « تدرك » بالتاء .

وقول الشّمّاخ [1] يصفُ سنابكَ الحمار وشدة رهصِه الأرض :

مَتَى ما تقعْ أرساغُهُ [2] مُطمئِنّةً
على حَجَرٍ يَرْفَضْ أو يَتَدحْرَجِ [3]

ذكر التّبْيين [4]

وهو أن يُؤتى بمعنىً من المعاني مجملاً ثم يبيّن ، ومن ذلك قول الفرزدق :

لقد جئْتَ [5] قوماً لو لجأتَ إليهمُ
طريدَ دمٍ أو حاملاً ثِقْلَ مَغْرِمِ [6]

---

(1) هو الشماخ بن ضرار شاعر مخضرم من طبقة البدو النابغة . قال البغدادي : اسمه معقل ابن ضرار ، والشماخ لقبه . (توفي ٢٢ هـ) .

(2) في الأصل « أرساخه » . وما ذكرناه هو الوارد في الديوان (ت: صلاح الهادي) ص ٩٢ . والعمدة (ت: محيي الدين ط٣) ٢ : ٢١ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٢٦ .

(3) في الأصل : يتدحرج بضم الجيم ، وبه ورد في منهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ١٥٥ . والصواب بكسر الجيم كسائر أبيات القصيدة ، ومطلعها :

ألا ناديا أظعان ليلى تعرج   فقد هجن شوقاً ليته لم يهيج

وانظر البيت الذي أورده مؤلفنا ص ٩٢ من الديوان (النشرة المشار إليها) . وما أورده المحقق في تعليقه حين قال : « ويرفض أو يتدحرج » : ألفعلان مجزومان في جواب « متى » حرك الأول جوازاً للتضعيف ، والثاني للروي . وبشأن تخريج البيت أورد : سمط اللآلئ (١ : ٤٦١) والعمدة (٢ : ١٩) والصناعتين (٢٦٨) وسر الفصاحة (٢٢٤) ونقد الشعر (١٣١) .

(4) انظر ما جاء عنه في الكافي (ت: الحساني) : ١٩٣ .

(5) في الأصل « جت » بدون همز .

(6) هذا البيت والذي يليه في ديوان (بيروت ١٩٦٦) ٢ : ١٨٧ ومطلع الأول « لقد خنت » والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٤٦ ورواية البيت الثاني فيه :

لألفيت فيهم معطياً أو مطاعناً   وراءك شزراً بالوشيج المقوم =

ولما كان هذا البيتُ محتاجاً إلى بيان قال :

لألْفيتَ منهم مُعطِياً [1] ومُطاعنــاً
وراءك قدما [2] بالوَشيجِ المُقَوَّمِ [3]

ألا ترى أنه بيّن قوله « حاملاً ثقلَ مَغْرم » بقوله « لألفيت منهم [4] معطياً » ، وقوله « طريدُ دمٌ » بقوله « مطاعناً بالوشيج المقوّم [5] » . وقول سهْل بنِ هارون [6] :

فواحسْرتي حتى متى القلبُ موجَعٌ
بفقدِ حبيب أو تعذُّر إفْضالِ [7]

ثم بيّن ما أجمله في البيت الأول فقال :

= والمثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ١٧٦ وروايته كرواية الصناعتين عدا « فيهم » فموضعها « منهم » كما في الأصل . والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٣٥ وروايته كرواية الصناعتين عدا « او » فموضعها « و » كما في الاصل ، ونهاية الارب ٧ : ١٢٩ ورواية الثاني كرواية العمدة .

(١) في الديوان « مطمما » .

(٢) في الديوان وفي نهاية الأرب « شزرا » .

(٣) في الأصل « المصمم » .

(٤) في الأصل : « فيهم » مع انها وردت في البيت « منهم » .

(٥) في الأصل « المقدم » .

(٦) في نقد الشعر (٨٢) : « سهل بن مروان » وانشدهما .

(٧) الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٣٤٦ وفيه « فواحسرتا » ونقد الشعر (كما اشار محققا الصناعتين) : ٨٢ وفيه « بها » موضع « لها » في البيت الثاني ونهاية الأرب ٧ : ١٣٠ وفيه « فواحسرتا » في البيت الأول ، و « بها » موضع « لها » في الثاني .

فراقُ حبيبٍ مثله يُـــورث الأسَى
وخَلّة حُرٌّ لا يقومُ لها مالِي

وقول ابن الرومي :

كأنهم إن عص إزمٌ بعـــازبٍ
وإن أُوقدتْ نيرانُ حرب تَضَرَّمُ
نجومُ الدجى منها شهابٌ على العِدَى
ومنها سمال للعفاةِ ومــردم

وقوله أيضاً :

صاحِي الطباع إذا ساءلت هاجسَه
وإن سألت يديه فهو نَشْوانُ

ثم بين ذلك بقوله :

يصحيه ذهن ، ويأبى صحوه كرمٌ
مستحكمٌ ، فهو صاحٍ وهْو سكرانٌ

وقد أدخل قومٌ التبيين في باب التقسيم ، ولم يفرّقوا بينهما . وهما متقاربان، ليس بينهما كبير فرقان .

ذكرُ الالتفات[1]

قال عبدُ اللهِ بنُ المعتزّ : الالتفات انصرافُ المتكلِّم عن المخاطَبَة إلى الإخْبار ، وعن الإخْبار إلى المخاطبة ، وما أشبَهَ ذلك من الالتفات عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر ، ومثّله بقوله تعالى « حتّى إذا كنتُم في الفلكَ وجريْن بهم بريح طيّبةٍ »[2] » .

وبقولِ جرير :

أتنسَى يومْ تصقُل عارضيْهَـــا

بفرع بشامةٍ ، سقى البشامِ[3]

---

(1) اطلق عليه صاحب « البرهان في وجوه البيان » اسم الصرف ، ويقول في تعريفه « إنهم يصرفون القول من المخاطب إلى الغائب ، ومن ألواحد إلى الجماعة » وساق أمثلة له . انظر ص ١٢٢ ويعلق د. حفني شرف محقق البرهان على « الصرف » بقوله : وهو الذي عرفه علماء البلاغة باسم الالتفات ، وإن كان التعريف بالصرف أعم . وانظر معناه وأقسامه في المثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٢ : ١٧٠–١٩١ ، وكذا ما جاء بشأنه في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، وفي خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٥٩ وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٤٥ – ٤٧ وفي نهاية الأرب ٧ : ١١٦ وفي البديع (نشرة خفاجي) : ٦٨٩ وانظره في الكافي (ت: الحساني) : ١٨٥ ، وفي جوهر الكنز (ت: د. سلام) : ١١٩ – ١٢٢ وفي معجم البلاغة العربية : ٨٠٧ وفي الطراز ٢ : ١٣١ ويقول مؤلفه « ولا شك أن الالتفات مخصوص بهذه اللغة العربية دون غيرها » .

(2) سورة يونس . الآية ٢٢ – وكذا مثله بهذه الآية صاحب البرهان . وقد سبق أن ذكرنا أنه سماه « الصرف » .

(3) رواية البيت في الديوان (شرح الصاوي) : ٥١٢ و (طبعة دار صادر وبيروت) : ٤١٧ و (بتحقيق د. نعمان) ١ : ٢٧٩ :

اتنســى إذا تودعنــا ســليمى   بفرع بشــامة ســقى البشــام =

فانصرف عن المعنى الذي كان فيه إلى البشام فدعا له . وبقول الطّائي [1] :

وأنْجَدتُمُ من بَعْدِ إتْهامِ دارِكُم
فيا دَمْعُ أنجِدْني على ساكِنِي نَجْدِ [2]

فانصرف عن المخاطبة إلى مناداة دمعِه .

وقال الحاتميّ : الالتفاتُ أن يوجد في معنىً لم يعدل عنه إلى غيره قبل تمامِ الأوّل ثم يُعاد إليه ، فيكون ما عدل إليه مبالغةً في الأول وزيادةً . وهذا سمّاه ابن المعتز «الاعتراض» . وسنذكره تِلْوَ هذا الكلام إن شاء الله .

= وكذا ورد في الموازنة (ت: محيي الدين) : ١٨٧ و (ت: صقر) ٢ : ٢١٨ وكذا في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٩٢ « بفرع » ففي موضعها « العـود » ومثله في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٤٦ ، أما في الأمالي ١ : ١٢٠ وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (المعارف) : ٩ والبديع (نشرة خفاجي) : ٩ فقد ورد :

أتذكـر حـين تصقـل عارضيها بعـود .. ..

ويقول ابن حبيب في شرحه الديوان : ويروى « يوم تصقل عارضيها بفرع بشامة » .. ١ : ٢٧٩ وقد ذكرت هذه الرواية في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (المعارف) : ٣١٠ وهي مخالفة لما جاء في ص ٩ من هذا المرجع . والرواية في معجم البلاغة العربية : ٨٠٧ « بعود » وفي : ٨١٠ :

أتنسـى اذ تودعنـا سـليمى بعود بشـامة ؟ سـقى البشـام

(١) هو أبو تمام . من قصيدة مدح بها أبا المغيث الرافقي (انظر شرح التبريزي ــ ذخائر العرب) ٢ : ١٥٩ .

(٢) ديوانه (ت: عبده عزام) ٢ : ١١٠ . والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢٠٤ والبديع (نشرة خفاجي) : ٦٩٠ ومعجم البلاغة العربية : ٨٠٨ .

ذكر الاعتراض [1]

قال ابنُ المعتزّ : من محاسن الشعر اعتراض كلام في كلامٍ لم يتم معناه ثم يعودُ الشاعرُ فيتمّمه في بيت واحدٍ ، ومنه قولُ بعضهم :

فظلوا بيومٍ ، دع أخاك لمِثْلِـــهِ
على منزعٍ يـُرْوِي ولما يُصَـرَّدِ [2]

فقوله « دع أخاك لمثله » اعتراض كلام في الكلام الأوّل قبل تمامه . ومنه قول كثيِّرٍ :

لـَوَأن الباخلينَ ، وأنتِ منهـُـــم ،
رأوْكِ تعلموا منْكِ المِطَالا [3]

---

(1) انظر (الاعتراض) : في المثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ٤٠ ـ ٤٩ وفي معجم البلاغة العربية (د. طبانه) ٢ : ٥٢٢ ، وفي الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ٣٩٤ وفي خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٣٦٦ وفي البديع (نشرة خفاجي) : ٦٩١ وفي جوهر الكنز : ١٢٨ ـ ١٣١ وشاعرية أبي العلاء في نظر القدامى : ١١١ و ١١٢ .

(2) ورد البيت دون عزو في البديع (انظر نشرة خفاجي) : ٦٩١ وفي معجم البلاغة العربية : ٥٢٢ وفيها « مشرع » موضع « مفزع » وكذا ورد في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٩٤ غير منسوب من المؤلف . وأحال المحققان إلى العمدة : ٢ ـ ٤٢ ، ورواية البيت في الصناعتين والبديع :

فظلت بيوم دع أخاك مثله   على مشرع يروى ولما يصرد

وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٤٥ وفيه « بمثله » و « مشرع » كالصناعتين .

(3) ديوانه (ت: د. احسان عباس) : ٥٠٧ وديوانه (الجزائر ١٩٣٠) ١ : ١٥٠ وانظره في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٤٨ و ٣٩٤ والعمدة ٢ : ٣٦ والمثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ٤٤ ، والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٤٥ ، وورد في الشريشي ١ : ٣٧٨ « العطايا » مكان « المطالا » كما ورد البيت في شرح بديعية الباعونية (على هامش خزانة ابن حجة) : ٣٨٨ والطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) =

فقوله « وأنت منهم » اعتراض . ومنه قولُ النابغة [1] :

ألا زَعَمَتْ بنو عَبْسٍ بأنِّـي ،
ألا كذبوا ، كبيرُ السِّنِ فانِ [2]

فقوله « ألا كذبوا » اعتراضٌ . ومنه قول الآخر [3] :

فلو كُنْتَ الأسيرَ ، فلا تَكُنْـهُ ،
إذا عَلِمَتْ مَعَدٌّ ما أقولُ [4]

فقوله « لا تكنه » اعتراضٌ .وقول الآخر [5] :

= ٢ : ١٧٣ والبديع (نشرة خفاجي) : ٦٩١ والكافي (ت: الحساني) : ١٨٦ ومعجم البلاغة العربية : ٥٢٢ وجوهر الكنز : ١٣١ .

(١) الجعـدي .

(٢) في الأصل « فاني » . وقد ورد البيت في ديوانه (المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ١٩٦٤) : ١٦٢ وفيه « بنو كعب » واللسان ١٧ : ١٦٥ . و « شعراء النصرانية» (بيروت ط٢) : ٧٣٠ والبديع (نشرة خفاجي) : ٦٩١ وفيه « فاني » والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٩٤ وفيه « بنو سعد » موضع « بنو عبس » ، وفيه « فاني » باثبات الياء . والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٤٥ وفيه « فاني » باثبات الياء . والكافي (ت: الحساني) : ١٨٦ وفيه « فان » كالأصل ، ومعجم البلاغة العربية : ٥٢٢ .
ومن العجيب أني وجدت هذا البيت في ديوان النابغة الذبياني (ت: كرم البستاني ، بيروت ١٩٦٣) : ١٢٥ و (ت: فوزي عطوي ١٩٦٩) : ٢١٦ ؛ ووجدت د. محمد زغلول سلام نسبه إلى الذبياني في تحقيقه « جوهر الكنز » ص١٣٠ وقال : راجع العمدة ٢/٤٥ .

(٣) عدي بن زيد العبادي وهو في حبس النعمان يخاطب ابنه زيداً ويحرضه .

(٤) ورد البيت في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٤٧ وفيه « ولا تكنه » .

(٥) هبو عبد الله بن عبد الرحيم الحارثي .
والبيت ورد منسوباً إليه في الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٦ .

فلو بكَ ما بي – لا يكُنْ بك – لاغتدَى
إليك ، وراح [1] البِرُّ بي والتقرُّبُ

فقوله « لا يكن بك » اعتراض . وقول الآخر :

فإنّي إن أفُتْكَ يفُتْك [2] مِنّي
فلا تظفرْ [3] بهِ عقدٌ نفيسُ [4]

فقوله « فلا تظفرْ به » اعتراض – وقول عوْف بن مُحَلِّم الحرّانيّ [5] :

إنّ الثمانينَ – وبُلِّغْتَهـــا [6]
قد أحْوجتْ سمْعي إلى تَرْجُمانْ

---

(١) في الأصل « راج » .
(٢) في الأصل « بقتك » .
(٣) في الأصل « تطفر » .
(٤) ورد البيت غير معزو في الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٦ وشطره الثاني « فلا تسبق به علق نفيس » .
(٥) من أهل حران . وقال قوم هو من رأس العين (انظر طبقات ابن المعتز ص ١٨٥) وقد قاله لعبد الله بن طاهر ، كما في العمدة . والبيت من قصيدة مطلعها :

يا بن الذي دان له المشرقان طرا وقد دان له المغربان

ونسب البيت إلى أبي الشيص في شرح بديعية الباعونية (على هامش خزانة ابن حجة) : ٣٨٩ .
(٦) في الأصل « وبلغتها » وما ذكرته هو الأصح بناء على القصة ، وهو الموافق أيضاً لما ورد في طبقات الشعر لابن المعتز ص ٨٧ . وفي نهاية الأرب ٧ : ١٤٧ ، وكذا في منهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ٣١٥ ومعجم البلاغة العربية : ٥٢٣ وانظر البيت في خزانة الأدب لابن حجة (الخيرية بمصر) : ١٧٠ و ٣٦٦ وفي الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٩٤ و ٤٩ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٤٥ وفيهما « وبلّغتَها » وقد ورد في التبيان ٣ : ٢١٦ ونسبه هناك إلى عوف بن محلم .

فقوله « بلّغتها » اعتراضٌ . وهذه الأمثلة التي مثّلنا بها أبو علي الحاتميّ في باب الالتفات .

ذكر التفسير (١)

قال قُدامة : صحةُ التفسيرِ من نعوت المعاني . والتفسير قريب من التقسيم ، وهو أن توضَعَ معان يحتاج إلى شرح أحوالها ، فإذا شرحت أتى بما تقتضيه تلك المعاني من غير زيادة عليها ولا نقصان منها ولا عدول عنها ، مثل ما قال بعض الكتاب في فصلٍ « وأنا أثق من مُسَالستِك في حالٍ بمثلْ ما أعلمه من مشارستك في أخرى ، لأنك إن عطفْتَ وُجدتَ لدنا ، أو غُمِزت ألفيت شتنا » ومثل قولِ بعض البلغاءِ « وأين يذهبُ بك مع غزير إنعامك وسديد أحكامك وألـيم أسقامك من أن تكون مشباعـاً للضيف ، مـدفاعـاً للحيف ، منّاعـاً من الخوفِ » . ولابن الرومي فصْل من كتاب « فإني وليّك الذي لم تزلُ تنقادُ لك مودّتُه من غير طمَعٍ ولا جزَع ، وإن كنت لدي الرغبةِ مطلباً ولدي الرهبةِ مهْرباً » . وهذا البابُ ينتظم في باب التبيينِ لما بينهما من المناسبَة .

ذكر التتميم والتكميل (٢)

قال قُدامة : التّتميمُ من نعوت المعاني ، وهو أنْ يؤخذ في معنىً فيؤتى

---

(١) انظر ما جاء بشأن صحته وفساده في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ٣٤٥ ـ ٣٤٧ وفي خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٤٠٨ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٣٥ ـ ٣٩ والطراز (ط. المقتطف) ٣ : ١١٤ ـ ١١٦ ونهاية الأرب ٧ : ١٢٩ . وانظر (التفسير وصحته) في جوهر الكنز (ت: د. سلام) : ١٤٨ .

(٢) انظر ما ورد بشأنهما في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٨٩ ـ ٣٩١ وفي =

بجميع المعاني المتممة لصحته المكملة لجودته ، من غير أن يخلّ ببعضها ولا يغادر شيئاً منها ، وهو كقول الله تعالى « ويُطعمونَ الطّعامَ على حبّهِ مسكيناً ويتيماً وأسيراً [1]» فتمّم المعنى بقوله سبحانه « على حبه » . وكقول بعض الكُتّابِ « فحفلت [2] به أسْباب الجلالةِ غير مستشعرٍ فيها لنخوة ، وترامت به أحوال الصّرامة غير مستعمل فيها السطْوة ، هذا مع دماثةٍ في غيْر حصَر ، ولين من غيْر خَوَرٍ ، فمن كمال الجلالة زوالُ النخوة ، ومن تمام الصّرامةِ صفاؤُها من السطوة ، ومن خلوص الدماثةِ ٱرتفاع الحَصَر ، ومن كمال لين الجانب فَقْدُ الخَوَر » فقد أتى بما تمّم المعاني التي جاء بها من غير إخلال بشيء وكقول طرفة [3] :

فسقَى ديارَكِ غيْرَ مُفْسِدِهــا صوْبُ الرَّبيعِ وديمةٌ تَهْمِي [4]

= خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ١٢١ و ١٧٠ وفي جوهر الكنز (ت: د. سلام) : ١٣١ و ٢٣٤ ، وفي معجم البلاغة العربية (د. طبانه) ١ : ١٢٣ – ١٢٥ و ٧٦٧ وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٥٠ – ٥٢ وفي الطراز (ط. المقتطف) ٣ : ١٠٤ – ١٠٦ وفي نهاية الأرب ٧ : ١١٨ وفي الكافي (ت: ألحساني) : ١٩٢ وما ورد بشأن « التكميل » في نهاية الأرب ٧ : ٥٧ وما ورد بشأن « التتميم » في شاعرية أبي العلاء في نظر القدامى : ١١٣ .

(١) سورة الانسان . الآية ٨ .

(٢) في الأصل « فحلفت » .

(٣) يقول د. محمد زغلول سلام محقق (جوهر الكنز) في هامش ص ١٣٢ : « ونسبه ابن منقذ لابن الرقاع . البديع ٥٦ » .

(٤) والبيت في ديوانه (بشرع الأعلم – باريس ١٩٠١) : ٩٣ ، وديوانه (بيروت ١٩٦١) : ٨٨ وفيه « الغمام » مكان « الربيع » . وديوانه (ت: علي الجندي) : ١٤٦ وفيه « بلادك » مكان « ديارك » وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٣١٦ وفيه « بلادك » مكان « ديارك » وخزانة الأدب لابن حجة (الخيرية بمصر) : ١٢١ و ٤٥٨ وشرح بديعية الباعونية (على هامش خزانة ابن حجة) : ٣٦٤ وفيه « وسقى » موضع « فسقى » =

فقد تمم المعنى بقولِهِ « غير مفسِدها » . وقول نافع بن خليفة الغَنَوِيّ :

رجالٌ إذا لم يُقبَلِ الحقُّ منهـــمُ
ويُعْطَوْهُ لاذوا بالسيوف القَواطِعِ [1]

فتمّت صحةُ المعنى بقوله « ويُعطوه » . وقول النمر بن تولب :

لقد أصبحَ البِيضُ الغواني كأنّمـا
يَرَيْنَ إذا ما كنتُ فيهنَّ أجْرَبَا

وكنتُ إذا لاقيتُهنَّ ببلـــدةٍ
يقلْنَ على النكْرَاءِ : أهلاً ومرْحَبَا [2]

فقوله « على النكرَاء » تتميمٌ حسنٌ ، لأنه لو كانتْ بينه وبينهن[3] معرفة ما كان عجَباً أن يقلن له أهلاً ومَرحَبا .

وقال آخرون : التتميم أن يأخذَ المتكلّم في معنىً فيورده غيرَ مشروح ثم يقعُ له أن السّامعَ لا يتصورُه بحقيقته فيعودُ راجعاً على ما قدّمه ، فإما أن يؤكّدَه

= ومعجم البلاغة العربية : ٧٦٧ ، والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٩٠ و ٤٠٨ والموازنة (ت: محيي الدين) : ٦٢ و (ت: السيد صقر) ١ : ٧١ ومعاهد التنصيص (بولاق) : ٥٤ ، وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٦٥ ، والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٥٠ والطراز (ط. المقتطف) ٣ : ١٠٥ ومنهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ٣١٦ وهذا البيت ختام قصيدة طويلة لطرفة يمتدح بها قتادة بن سلمة الحنفي ، ومطلعها :

إن امرءاً سرف الفؤاد يرى　　عسلا بماء سحابة شتمي

(١) معجم البلاغة العربية ١ : ١٢٤ .

(٢) ورد البيتان في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٩٠ وفي معجم البلاغة العربية ١ : ١٢٤ .

(٣) في الأصل « وبينهم » .

وإمّا أن يحل الشكَّ فيه . قالوا : ومنه قولُ الهُذَليّ (١) :

تَبين صُلاةُ الحربِ مِنّا ومِنْهُمُ

إذا ما التقينا والمُسالِمُ بادِنُ (٢)

فقوله « والمسالم بادن » دلالة على أن المحاربَ ضامر . وقول طرَفة :

بحُسام (٣) سيْفِك أو لسانِك والْـ

كَلِمُ الأصيلُ كأرْغَبِ الكَلْمِ (٤)

فقولُه « الكلم الأصيل » تتميم ، كأنه قدّر أنّ معترضاً يقول : كيف يكون مجْرى السيْفِ واللسان واحداً ؟ فقال : والكلم الأصيل كأرغبِ الكلم . وقول البحتري (٥) :

أناةً أيُّها الفَلَكُ المُـــدَارُ أنَهبٌ ما تَطَرَّفَ أم جُبَارُ (٦)

ستَفْنَى مِثْلَ ما تُفْنِي وتَبْلى كما تُبْلِي فيُدْرَكُ منك ثَارُ (٧)

---

(١) هو المعطل .

(٢) انظر البيت في ديوان الهذليين ٣ : ٤٧ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٩٢ ومعجم البلاغة العربية : ٨٠٨ .

(٣) في الأصل « بغرار » .

(٤) ديوانه (بشرح الأعلم ــ باريس ١٩٠١) : ٩٢ وديوانه (بيروت ١٩٦١) : ٨٧ وديوانه (ت: د. علي الجندي) : ١٤٥ والبيان والتبيين (ت: هارون) ١ : ١٥٦ والشعر والشعراء (ت: أحمد شاكر) : ١٨٧ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٣١٥ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٢٧ ومعجم البلاغة العربية : ٨٠٩ وقبله :

وتصد عنك مخيلة الرجل الشـ ـنوف موضحة عن العظم

(٥) في الحسن بن وهب ، وقد اجتاز بمنزله بعد وفاته .

(٦) في الأصل : « خيار » . في الموازنة « ما تطوف أم خيار » .

(٧) في الأصل : مثلما تغنى .. كما نبلى .. وقد أثبتنا ما ورد في الديوان والموازنة : مثل =

ثم تتمّم بقوله :

تُنَابُ النّائباتُ إذا تَنَاهَتْ
ويدْمُرُ في تَصَرُّفِها الدّمارُ (1)

وقولُه (2) أيضاً :

أقَمْنا ، أكْلُنا أكْلُ آستلابٍ
هُناكَ ، وشُرْبُنا شُرْبٌ بِدَارُ (3)

ثم علم أنّ المعنى لا يتم حتى يحل الشك فقال :

ولم يكُ ذاك سُخْفاً غيرَ أنّي
رأيْتُ الشّرْبَ سُخْفُهُمُ الوَقَارُ (4)

وقول ابنِ الرومي :

آراؤكمْ ووجوهكمْ وسُيُوفكمْ
في الحادثات إذا دَجَوْنَ نُجُومُ

= ما تفني .. كما تبلى . وهو الأصح . انظر ديوانه (ت: الصيرفي) ٢ : ٩٥٩ ، والموازنة (ت: السيد صقر) ٢ : ٢٤٠ .

(1) في الديوان ، والموازنة : « في تصرفه » .

(2) يصف صبوحاً كانوا قد اصطحبوه .

(3) ورد في سر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٦٧ وفيه « وشربنا شرب » (بفتح الشين الأولى والثانية) .

(4) البيتان في ديوانه ٢ : ٩٦٠ والكافي (النشرة السابقة) : ١٩٢ كما وردا في الأغاني (ببروت) ٢٢ : ٥٣٤ والشطر الأول من البيت الثاني :

* وما إن ذاك من سخف ولكن *

فيها مَعالمُ للهدى ، ومصـــابحٌ

تجلو الدجَى ، والأخرياتُ رجومُ [1]

قالوا : وما تقدَّمَ تمثيلُه هو التكميل .

وقال أبو علي الفارسي : التتميم مأخوذٌ من التمام ، وهو اتباع كلمةٍ معتلّة بكلمة صحيحة ، يريد الثانية على الأولى ، في الخطّ بحرفٍ واحد ، نحو : سارٍ وسارب ، ودار ودارفٍ ، وعار وعارف ، وضار وضارب ، وساع وساعد . قال : ومنه قولُ أبي تمام :

يَمُدُّون من أيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ [2]

تصُولُ بأسْيَافٍ قواضٍ قواضِبِ [3]

---

(١) أوردهما العلوي في الطراز عند ذكره اللف والنشر (ط المقتطف) ٢ : ٤٠٨ وفيه « مصالح » موضع « مصابح » وهو تصحيف . والتبريزي في الكافي (ت: الحساني) : ١٩٢ وأول الثاني « ومنها » كما وردا في معجم البلاغة العربية : ٨٦٤ ونهاية الأرب ٧ : ١٣٠ ، والمستطرف (ط. مصطفى الحلبي) ١ : ٢٢٨ . وصدر البيت الأول فيه :

* آراؤهم ووجوههم وسيوفهم *

(٢) في الأصل « عواصم » .

(٣) ديوانه (ت: عبده عزام) ١ : ٢٠٦ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٣٤ والمثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ١ : ٣٥٠ وشرح ابن حجة لبديعية عائشة الباعونية (على هامش خزانته) : ٣١٣ وقد أورده العلوي في الطراز مثالا للمذيل وهو ضرب من التجنيس الناقص (انظر طبعة المقتطف) ٢ : ٣٦٢ كما أورده ابن الأثير الحلبي في جوهر الكنز (ت: د. سلام) : ٩٥ شاهداً على جناس الترجيع . ونهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ٩١ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٤ ومعجم البلاغة العربية ٨٨٦ و ٨٨٨ .

وقول الآخر :

كماة لهم أيدٍ ضوارٍ ضواربٌ
عليهن أسيافٌ قواضٍ قواضبُ

وهذا نوعٌ طريف ليس من النوعين المتقدمين في شيءٍ .

ذكر المبالغة [1]

وقد سمّاها قومٌ الغلو ، وآخرون الإغراق ، وآخرون الإفراط في الصفة . قال أبو الفرج قدامة : المبالغةُ من نعوت المعاني ، وهي أن يذكُرَ المؤلِّفُ معنىً ما لو اقتصر عليه كان كافياً ، فلا يقتصر على ذلك المعنى حتى يؤكده ويبالغ فيه وينتهي به إلى أبعد غاياته ، وقال الحاتمي : الإغراق هو المبالغة في آستنباط المعاني التي يوجبُ الفضيلةَ استنباطُها ، والغلو فيها بما يخرجُ عن الوجودِ وينتظمُه العدم . فمذهب الحاتميّ يجيز التزيد في المبالغةِ والوصول بالمعاني إلى الغاية ومذهبُ أبي الفرج يقتضي الوقوفَ عند حدٍّ ما يُمكِنُ . وقد ذهب قومٌ إلى استقباحِ الغلوِّ لمجانبته للحق وبُعده من الصدق ، وهذا التحرّز يجب أن يكون في الاعتقادات الشرعيّةِ لا في الأساليب الشّعريةِ .

(١) قسمها ابن وهب الكاتب إلى قسمين : أحدهما في اللفظ والآخر في المعنى ، ومثل لكل ، (انظر كتابه البرهان في وجوه البيان) : ١٢٣ وانظر أيضاً ما ورد بشأنها في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ٣٦٥ – ٣٦٧ . وفي خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٢٢٥ وفي معجم البلاغة العربية ١ : ٩٧ – ١٠٠ وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٥٣ – ٥٦ وفي الطراز (ط. المقتطف) ٣ : ١١٦ – ١٣١ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٢٤ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٨ وجوهر الكنز ١٣٦ – ١٣٨ .

فممّا مثّل به أبو الفرج قدامةُ قولُ بعضهم يصف قوماً «لهم جودُ كِرام اتّسعت أحوالُها ، وبأس ليوثٍ تتْبعها أشبالُها ، وهمم ملوك انفسحتْ آمالها » فقد كان يكفي أن يُقال « لهم جود كرام » لكن ذاك مع اتساع الحال أبلغ ، وأن يقولَ لهم «بأس ليوث » إلا أن ذلك مع محاماتِها عن أشبالها أوكد ، وأن يقول « لهم هممُ ملوك » إلاّ أن ذلك مع انفساح الآمال أوفى . وقول عمرو ابن الأيهم [1] التغلبي :

ويكرم جارنا ما دام فينـــا وتتبعُه الكرامةُ حيثُ سارا[2]

ومثّله الحاتميّ بقول الشّاعِرِ :

دَجا اللّيْلُ فاستَنَّ استناناً رفيقَـــه
كما استَنَّ في الغابِ الحريق المشعْشعُ

ويقول الشّمّاخِ :

لِليْلَى بالعنيْزةِ [3] ضوءَ نارٍ [4]
يَلوحُ كأنّها [5] الشِّعري العَبُورُ

---

(١) البيت في خزانة ابن حجة منسوب إلى عمير بن كريم التغلبي .

(٢) انظر خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٢٢٦ ، والطراز (ط. المقتطف) ٣ : ١٢٤ ، وفيهما « ونكرم .. ونتبعه » .

(٣) في الديوان (ت: صلاح الهادي) وحماسة ابن الشجري : بالغميم . وهو ماء لبن أسد كما ورد في معجم البلدان . وذكر البكري في (معجم ما استعجم) انه بفتح أوله وكسر ثانيه .. وقال الشماخ فصغره . أما رواية الحماسة الصغرى ، وامالي القالي ، وعيار الشعر فقد جاءت موافقة لرواية الأصل ، أي « بالعنيزة » .

(٤) في الأصل : ضوء (بالرفع) والصواب النصب كما اثبتناه موافقاً لرواية الديوان ، إذ =

(٥) أثبت محقق الديوان انه ورد في نسخة دار الكتب (٥٤٨) : « .. يلوح كأنها » وذكر =

إذا ما قلتُ أخمدها زهاهـــا [1]

سوادُ اللّيلِ والريحُ الدَّبُورُ [2]

وبقول قيْس بنِ الخطيم :

طعنتُ ابنَ عبْدِ القيسِ طعْنةَ كافـــرٍ

لها نَفَذٌ لولا الشُّعَاعُ أضاءَها [3]

= الكلمة مفعول به لقوله في البيت السابق « رأيت » وقد أثبت ذلك محقق الديوان في تعليقه . والبيت السابق بتمامه :

رأيت وقد أتى نجران دوني وليلى دون أرجلها السدير

= أن صوابه « تلوح كأنها » على أن الضمير للنار ، أو « يلوح كأنه » على أنه الضوء . وقد أثبت الثانية في أصل الديوان وهي الواردة في النسخة الشنقيطية التي اتخذها أصلا في تحقيقه الديوان والرواية « تلوح كأنها » في الحماسة البصرية ، وأمالي القالي ، وعيار الشعر ، ومعجم ما استعجم ، وحماسة ابن الشجري .

(1) في الأصل : « أحدهما رهاها » وما أثبتناه هو الموافق لما ورد في عيار الشعر وأمالي القالي وسمط اللآلىء ، غير أن البكري قال : « أخمدها : ولم يتقدم ذكر خامد ولكنه قد علم أن كل نار لا بد لها من موقد فيريد : أخمدها الموقد » ولكنا نقول : الأنسب والأوفق عد ذلك من باب التنازع . أما ابن الشجري فقد أورد البيت في حماسته هكذا :

« إذا ما قلت قد خمدت زهاها عصى الرد .. .. .. »

وقد فسر « عصى الرد » بالمساعر التي تحرك بها النار ، ويرد بها ما يتبدد منها ، وذكر ان واحدها : مسعر .

(2) انظر البيتين ص ١٥١ و ١٥٢ من الديوان (ت: صلاح الهادي) وفيه « خابية » موضع « أخمدها » في البيت الثاني ، والحماسة البصرية (حيدر آباد) ٢ : ٩٤ وقال صاحبها بعد أن نسب البيتين إلى الشماخ : وتروى لأخيه مزرد . وفي هذا المرجع « قد خمدت » موضع « أخمدها » ، وحماسة ابن الشجري (حيدر آباد) : ١٩٧ و ١٥٨ .

(3) ديوانه (ت: د. ناصر الأسد ــ دار صادر ط٢) : ٤٦ وفيه « ثائر » مكان « كافر » في الشطر الأول . وانظر ما استخرجه المحقق من روايات لهذا البيت هناك . وكذا ورد في نهاية الأرب ٧ : ١٢٥ وفي المؤتلف والمختلف (ت: فراج) : ١٥٩ وفي الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٨ وفي صبح الأعشى ٢ : ١٩٣ وفيها « ثائر » موضع « كافر » .

وبقول النابغة [1] يصفُ السيوف :

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نسجُه
ويوقِدْنَ بالصُّفّاحِ نارَ الحُباحِبِ [2]

ذكر أنها تقطع الدرْعَ التي هذه صفتها والفارسَ وتبلغُ الأرضَ فتورى النّار . ومثله قولُ النّمر بن تَولَب يصفُ سيْفاً [3] :

تَظلُّ تَحْفِرُ عنه إن ضَرَبْتَ بِـــهِ
بُعْدَ الذِّراعَيْن والساقَيْن والهادِي [4]

يقول رَسب في الأرض بعد أن قَطعَ ما ذكر فاحتاج صاحبُه أن يحفُر عنه ليستخرجَه من الأرض . وقول أبي نواسٍ :

---

(1) هو الذبياني .

(2) ديوانه (ت: كرم البستاني) : ١١ وديوانه (ت: عطوي) : ٥٢ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٦٤٧ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٦٤ والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٣١٦ . وفي هذه المراجع « وتوقد » موضع « يوقدن » إلا في ٢ : ٦٢ من المرجع الأخير وفي الطراز (ط. المقتطف) ٣ : ١٣٠ والمستقصى (حيدر آباد) ١ : ١١ وفيهما ورد « ويوقدن » كما في الأصل .

والسلوقي : نسبة إلى سلوق وهي مدينة بالروم ، وإليها تنسب أجود الدروع . والصفاح : ما يجعل على الدروع من الحديد . ونار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء ، وقيل : ذباب له شعاع بالليل .

(3) شبه به نفســه .

(4) ورد البيت في الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٣٦٠ ، وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٦٤ ، ونهاية الارب ٧ : ١٥٠ ومعجم البلاغة العربية : ٦١٦ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٩ والطراز (ط. المقتطف) ٣ : ١٣٠ وروايته « يكاد يحفر عنه » ، ومهذب الأغاني ٢ : ١٠٤ وروايته « تظل تحفر عنه الارض مندفعاً » والحماسة البصرية (حيدر آباد) ٢ : ٣٤٧ وقبله : =

سبْط البَنَان إذا ٱحتبى بنجاده
فَرَع الجماجمَ والسّماطُ قيامُ [(١)]

وقول الخثعميّ [(٢)] :

يدلي يديــه إلى القليــب فيستقي
في سرجه بدل الرِّشــاء المُكْرِب [(٣)]

وقول آخر [(٤)] يهجو أبخر :

= أبقى الحوادث والايـام من نمـر آثار سـيف قديـم أثـره بـاد
والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٣١٧ وفيه : وروى الحذاق « القينين والهادي » . وذكر المحقق أن القينين في رواية الحذاق : « مثنى قين وهـو موضع القيد مـن الفرس » .. و « الهادي » : العنق . و ٢ : ٦٠ وجوهر الكنز (ت: د. سلام) : ١٣٦ وقد ساقه المؤلف مثالا للغلو .

(١) في الأصل : « ملك تراه » مكان « سبط البنان » و « نعلو » مكان « فرع » وما أثبتناه هو ما ورد في : ديوان الشاعر (ت: أحمد الغزالي) : ٤٠٩ وديوانه (دار صادر بيروت) : ٥٧٦ وديوانه (ط. الحميدية) : ٥٥ وطبقات الشعراء لابن المعتز (ت: عبد الستار فراج) : ٢١٢ غير أن المرجع الأخير أورد « غمر » مكان « فرع » وقد أشار محققة إلى أن الفعل « غمر » ورد في الأصل « عمر » . وفي معجم البلاغة العربية ورد البيت على هذه الصورة : ملك أغر .. غمر الجماجم .. ورواية الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢٠٢ « غمْر الجماجم » وورد البيت في الطراز (ط. المقتطف): ١٢٨ منسوباً إلى ابن المعتز . ولكني لم أجده أو أجد بيتاً يشبهه في ديوانه (دار صادر وبيروت ١٩٦١) .

(٢) شاعر عباسي عاصر أبا تمام والبحتري .

(٣) ورد في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٩٩ وفي معجم البلاغة العربية : ٦٣٦ . وروايـة الصناعتين « المحصد » بدل « المكرب » .

(٤) ورد البيتان في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٦١ غير منسوبين إلى قائلهما . وفيه « وتبكي » أول البيت الأول و « لما » أول البيت الثاني وكذا في البديع (نشرة خفاجي) : ٧٠٠ دون عزو ، كما وردا غير منسوبين في معجم البلاغة العربية : ٦٣٧ وفيه « تستعيد » مكان « تستفيث » .

تبكي السّمواتُ إذا ما دَعـا [1] وتستغيثُ الأرضُ من سجْدتـِه
إذا اشتهَى يوماً لحومَ القَـطَـــا صرَّعها في الجوِّ من نكهتـِه

وقول الآخر [2] :

الشمسُ طالعة لَيْسَـتْ بكاسفــةٍ
تبكي عليكَ نجومَ اللّيْلِ والقَـمَـرَا [3]

والمعنى : والشمس طالعة تبكي عليك وليست بكاسفة مع طلوعها القمر والنجوم لأنّها مظلمة ، وإنّما يكسف بضوئها فنجوم الليل بادية بالنّهارِ .

ومثله قول النابغة وذكَرَ يومَ حرب :

تبدو كواكبُـه ، والشمسُ طالعــــةٌ ،
لا النّـورُ نورٌ ، ولا الإظْلامِ إظْلامُ [4]

---

(1) كتب في الاصل بالألف والياء معا .

(2) نسب في الصناعتين للفرزدق . وفي الحماسة البصرية وكامل المبرد لجرير بن الخطفي في رثاء عمر بن عبد العزيز . وانظر إعرابه في كامل المبرد (ط. الاستقامة) ١ : ٢٠٤ وفيه « فالشمس » .

(3) ورد في الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ١٦٢ والحماسة البصرية (حيدر آباد ١٩٦٤) ١ : ٢٧١ .

(4) ديوانه (ت: فوزي عطوي) : ٨٥ وديوانه (ت: كرم البستاني) : ١٠٥ وفي هـذا البيت إقواء ، فأبيات القصيدة ـ عدا هذا البيت ـ مكسورة الميم ومطلعها :

قالت بنو عامـر خالوا بنـي أسد يا بؤس للجهل ضراراً لأقــوام

وانظر البيت في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (المعارف) : ٤٥٨ . وفي شعراء النصرانية (بيروت ط ٢) : ٧١١ . وفي الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ١٩٧ والموازنة (ت: محيي الدين) : ٥٠ و (ت: صقر) ١ : ٥٧ ومعجم البلاغـة العربية : ٧٣٧ .

ب الأدلاء :

وقول الشاعر [١] يصف مفازة تنزو من يرون الظباء

كـأن قلوبَ أدِلاّئهـا

ومثْل هذا قول آمرىء القيس :

ولا مِثْل يَوْم في قُدَار ظلِلتُ وأصحابي على قرْنِ أعْفَرَا [٢]

ي

فنحن لا نستقرّ ولا نسكُن .

أي : كأنّنا من القلق على ظبي

وقول قيس بن الحطيم في الحربِ :

القومَ

لو أنّكَ تُلقِي حنظلاً فوق بَيْضِنـا تدحْرَجَ عن ذِي سامِهِ المُتَقارِبِ [٣]

يقول [٤] : تراص القوم في القتال حتّى لو أنّ ملقياً ألقى على بيْضهم حنظلاً لجرى عليهم كما يجري على الأرض ولم يسقط لشدة تراصهم .

«عن» في البيت بمعنى «على» .

---

(١) هو المرار الفقعسي . وقد ورد البيت في الحماسة البصرية (حيدر آباد) ٢ : ٣٦٢ وفيها « كأن قرون » .

(٢) البيت في ديوانه (ت: أبي الفضل) : ٧٠ وديوانه (شرح السندوبي) : وصدره فيها :

* ولا مثل يوم في قدار ان ظلته *

(٣) ديوانه (ت: د. الأسد صادر ط٢) : ٨٦ ، ويشير المحقق اسفل الصفحة المذكورة إلى روايات البيت المختلفة وأماكنها ، فليرجع إليها . وورد البيت أيضاً في الاشتقاق ص ١٠٩ « رؤوسهم » بدل « بيضنا » .

(٤) في الأصل : تقول .

ذكر التكافؤ [1]

قال أبو الفرج قدامة : التكافؤ من نعوت المعاني . وهو أن يُوصف شيءٌ فيؤتى فيه بمعنيين متكافئين ، إما من جهةِ التّضاد ، أو السلب والإيجاب ، أو غيرهما من أسباب المقابلة . ومعنى قوله «متكافئين» أي متقاومين ، حتّى إذا قيل في معنىً ما إن شيئاً أسود أتى بآخر يقال فيه أبيض ، وغير ذلك من وجوه العناد . ومثّله بقول بعضِهم « كدَرُ الجماعة خيرٌ من صفْو الفرقةِ » وقال : هذا من التكافؤ ، لأنه «كدر» و «صفو» ، و «فرقة» و «جماعة» . وبقول الآخر : « لا أعْطل من موْهبةٍ تحليك ، ولا أظمأ من سَجْل [2] يرويك » . وبقول أبي الشغب [3] :

حلو الشّمائل وهْو مُرٌّ باسِلُ [4]

وبقول طرفة :

بطيءٌ [5] عن الجُلّى سريعٌ إلى الخَنَى [6]

---

(1) انظر ما جاء بشأنه في الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٤ ومعجم البلاغة العربية : ٧٥٦ وجوهر الكنز : ٨٩ و ٩٠ .

(2) السجل: الدلو العظيمة فيها ماء « قل أو كثر » . والجمع : سجال وسجول .

(3) العبسي . وفي الأصل « أبي الشعب » .

(4) عجزه :

يحمي اللمار صبيحة الارهاق

والبيت ورد منسوباً إلى الأشعب العبسي في نهاية الأرب (دار الكتب) : ٧ : ١٠٠ وورد في معجم البلاغة العربية : ٧٥٦ و ٧٥٩ منسوباً إلى أبي الشغب العبسي .

(5) في الديوان: « بطيءٍ » و « سريعٍ » . انظر ديوانه (بشرح الأعلم ـ باريس ١٩٠١) : ٤٢ ـ

(6) في الأصل « الحيا » .

وبقول زهير :

حُلماءُ في النادي إذا ما جِئتَهم

جُهَلاءُ يومَ عجاجةٍ ولقاء [1]

وبقول بشارٍ :

إذا أيقَظَتْكَ حروبُ العِـــدا [2]

فنبِّــهْ لها عُمَراً ثم نَـــمْ [3]

= وديوانه - بيروت ١٩٦١ : ٤٠ ، وديوانه (ت: د. علي الجندي) : ٦٣ . وورد في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٧٦ والموازنة (ت: محيي الدين) : ٢٣٣ و (ت: صقر) ٢ : ٢٧٢ ، وشرح المعلقات للزوزني (صادر بيروت ١٩٦٣) : ٦٩ .
وعجز البيت في النشرتين الأولين للديوان :

ذليـل بأجمـاع الرجـال ملهـد

وفي النشرة الثالثة المحققة وشرح المعلقات : « ذلول » مكان « ذليل » .
الذلول والذليل : المتهور . وأجماع : ج. جمع وهو ظهر الكف إذا جمعت أصابعك داخلها . الملهد : المضروب .

(١) مر هذا البيت في ص (٢٤١) .

(٢) في الأصل : العدي (بالياء) .

(٣) ديوانه (نشرة الطاهر بن عاشور) ٤ : ١٦٠ وقال في تعليقه : قال الصفدي في شرح لامية الطغرائي : أخذ المتنبي هذا المعنى في قوله :

لا أستزيدك فيما فيك من كرم   أنا الذي نام إن نبهـت يقظانا

قلت : قد غفل عنه شراح ديوانه (الواحدي ـ والمعري ـ والمكبري) . وطبقات الشعراء لابن المعتز (ت: عبد الستار فراج ط٢) : ٢٥ ، وخزانة الأدب لابن حجة (الخيرية بمصر) ٧١ والكافي (ت: الحساني) : ١٨٤ . ومعجم البلاغة العربية : ٧٥٧ .
وشطره الأول فيه :
=

وهذا هو التطبيق بعينه[1] ، لأن التطبيق باتفاقِ الجميع ذكرُ الشيء وضـــدّه .

وقال أبو علي الفارسي : التكافؤ تطبيق معنوي ، ومثّله بقول النبي ﷺ « إذا أتى أحدكم شيئاً من هذه القاذورات فليستتِر بسترِ الله تعالى ، فمن أبدى[2] لنا صفحته أقمنا حداً لله عليه » . وبقول بعضهم « إن هجرتَ صبرتُ أو أحسنت شكرت أو أمسكت عذرتُ » . وبقول الشاعر :

فإن تُحسنوا نشكُرْ وإن تهجروا نكـــن
لكم بإزاءِ الهجرِ من عنْدِنا صَبْـــر

والذي يلوحُ من هذا التمثيل أن يكافىء ما يبتدأ به بما يقتضيه معناه .

ذكر الإشارة [3]

(ويُسمّى التلميح ، وإنما سمي تلميحاً
لأنها كاللمحةِ الدالةِ على المعنى)

الإشارة رآها قومٌ داخلة في باب الاستعارة ، ورآها آخرون داخلة في باب الإيجاز[4] .

= إذا نبهتـكَ حروب العـِداة .. .. ..
وجوهر الكنز (ت: د. سلام) : ٩٠ ، وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ١٩٥ .

(١) انظر (التطبيق ــ ويقال له التضاد والتكافؤ والطباق) في الطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ٢ : ٣٧٧ .

(٢) في الأصل . ابدا (بالالف) .

(٣) انظر ما ورد بشأنها في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٣٥٧ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٠ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) ١٧٧ وبديع القرآن (ت: حفني شرف) : ٨٢ و ٨٣ .

(٤) انظر « الإشارة » في معجم البلاغة العربية ١ : ٣٨٩ ــ ٣٩٥ .

وقال قدامة : الإشارة من نُعوت اشتراك اللفظ والمعنى ، وهي : اشتمال اللفظ القليل على المعنى الكثير باللمحة الدالة . وذكر أن أولى الأحوال باستعمالها الحال التي يخاطبُ أو يكاتب فيها ذوو الشئون الكبيرة والهمم المتقسّمة ومن لا يجوز أن يشغل بمعنى بعينه وكان [الإيجاز [1]] عنده أنفق من الإطالة والإشارة المقالة . ومثّلها بقول أمرىء القيْس :

على هَيْكَلٍ يُعطيك قبلَ سُؤَالِه
أفانينَ جَرْيٍ غيْرَ كَزٍّ ولا وانِ [2]

قال : فقد جمع بقوله « أفانين » ما لو عُدَّ لكان كثيراً ، ثم نفى عنه الكزازةَ والونى وهما من أقبحِ معايب الخيلِ . وبقول زهير :

فإنّي لو لقيتُكَ واتجهْنا   لكان لكلِّ مُنْكرَةٍ كِفَاءُ [3]

---

(١) موضعها بياض في الأصل .

(٢) البيت في الديوان (ت: أبي الفضل) : ٩١ وديوانه (شرح السندوبي) : ٢٠٩ وخزانة الأدب لابن حجة (الخيرية بمصر) : ٣٥٨ ، وسر الفصاحة (ت: الصميدي) : ٢٠٥ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٧٤ وفيه « سابح » موضع « هيكل » .

(٣) انظر الديوان : ١٤ وكذا شعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٥٦٥ وقد ورد البيت فيهما على هذه الصورة :

وإني لو لقيتك فاجتمعنا   لكان لكل مندية لقاء

وخزانة الأدب لابن حجة (الخيرية بمصر) : ٣٥٨ وفيه « فاتجهنا » وكذا هذه الرواية في شرح بديعية الباعونية على هامش (خزانة ابن حجة) : ٣٩٢ ، وانظر شرح ديوان زهير ، صنعة ثعلب : ٨١ وقد ذكر الشارح عقب البيت : ويروى : « لو لقيتك واجتمعنا » . ويروى :

« لكل مندية لقاء »

وجاء في تعليق المحقق أن روايتي ب ودا [وهما النسختان المحفوظتان بدار الكتب =

قال : وقوله « كفاء » إشارة إلى ما لو شـرّحه لكان كثيراً .

وقال غيره : الإشارة أن يريدَ معنىً فلا يأتي باللفظ الدالّ عليه بل بلفظ غيره . وهذا سمّاه قدامة الإردافَ . ونحن نوردُ القولَ عليه تلو هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

ذكر الإرْداف [1]

قال أبو الفرج قُدامة : من نعوت اشتراك اللفظِ والمعنى الإرداف ، وهو أن يريدَ معنىً فـلا يأتي باللفظ الخاص بذلك المعنى بل بلفظ هو ردفُ وتابعٌ له ، فيكون في ذكر التابع دلالة عن المتبوع . وقد سمّاه قوم «التتبيع» وهذا المذهبُ يؤخذ كثيراً في المنظوم والمنثور ، ومنه قول أعرابية تصف رجلاً « عمّار وما عمّار ، طالب أوتار ، لم تخمد له نار » . وإنما أرادت بقولها « لم تخمدْ له نار » كثرةَ إطْعامـه الطعامَ ، فلم تأت باللفْظِ الدال على ذلك بعيْنـه ، بل ذكَرَتْ إيقاده النيران لأن ذلك تابع لاتخاذ الطّعام . ومنه ما كتب به بعضُ الكتّابِ في صفة حربٍ « حتّى إذا ثار النقع ، والتفّ الجمع بالجمع ، واحمرّت الأحداق ، وقامت الحربُ على ساق » وكل هذه إرداف

= المصرية الأولى تحت رقم ٥٩٠ ادب والثانية تحت رقم ٣٥ أدب ش ١] :

« فلو أني لقيتك واتجهنـا »

وبهذه الرواية السابقة ورد البيـت في العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٣٠٢ .

(١) انظر : الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ٣٥٠ وخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٣٧٦ ومعجم البلاغة العربية ١ : ٣٠٠ والكافي للتبريزي (ت الحساني) : ١٧٦ .

ل‍ على المعاني المقصودة بغير ألفاظها الخاصة .ولهذا المذهب موقع من البلاغة
سن ، لأن الواصفَ لو قصد إيراد ما وصفه بألفاظِه الخاصةِ به فقال :
تجارب القوم أشد تجارب » لم يكن لذلك من الموقع ما للإرْداف من الحسن .
ومنه قولُ بعضِهم ، وهو عمر بن أبي ربيعة :

بعيدةُ مهوَى القُرطِ إمّا لنَوْفـلٍ
أبوها ، وإمّا عبدُ شمسٍ وهاشمُ [1]

لأنه إنما أراد وصْفَهَا بطول العنُق . وقول آمرىء القيس :

وتُضْحِي فَتيتُ المسْك فوقَ فِراشها
نَؤومُ الضُّحى[2] لم تَنْتَطِق عن تَفَضّلِ [3]

وإنما أراد أن يذكر ترفّه هذه المرأة وتنعّمها وأن لها ما يكفيها فأتى بوصفٍ
ما يتبع هذه الحال .

وأمّا غير أبي الفرج فالذي يظهر من عبارتهم أنّهم لم يفرقوا بين الإشارة
والإرداف ، على أنّهم قد نعتوا ما نعته أبو الفرَج بالإرداف بالتتبيع ، وعبّروا

---

(١) ديوانه (أوربا) : ٦٢ ، والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٦ والصناعتين (النشرة السابقة) : ٣٥٢ .

(٢) رسمت الكلمتان في الأصل : « نئوم الضحا » .

(٣) البيت في ديوانه (ت: أبي الفضل) : ١٧ وديوانه (شرح السندوبي) : ١٥٠ وشرح المعلقات للزوزني (دار صادر ودار بيروت) : ٢٣ ، والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٦ وأوله « ويضحي » بالياء ، ولعله من اخطاء الطباعة . والصناعتين (النشرة السابقة) : ٣٥٢ .

عنه بما عبّر عنـــه أبو الفرج عن الإرداف ، ومثلوه ومثلـــوا الإشارةِ بما يدلّ على أنّهما عندهم شيء واحد وأنّهم لم يدركوا الفرق بينهما على ظهوره ، إذ الإشارةُ اشتمال اللفظِ القليل على المعنى الكثيرِ ، والإرداف الذي سمّوه التتْبيعَ إنّما هو العبارةُ عن المعنى بتابع من توابعه وردف من أرْدافه لا بلفظه الخاصّ به .

ذكر التمثيل [1]

قال أبو الفَرج قُدامة : التمثيل من أنواع ائتلافِ اللفظ والمعنى ، وهو أن يريد الإشارة إلى معنى آخر وكلاهما منبئان عن الغرض . وهذا الباب يستعمل كثيراً في النظم والرسائلِ والخطب فيقع أحسنَ موقع . ومنه ما كتبَ به يزيد ابن الوليد إلى مروان بن محمد ، حين بلغَه تلكُّؤه عن تبعته : « أما بعد ، فإنّي أراك تقدم رجْلاً وتؤخّر أخرى . فاعتمد على أيّهما شئت ، والسلام » . ولهذا من الموقع ما ليس للفظه الخاصّ إذا خوطبَ به من يحيط بمعناه ولا يحتاج إلى سواه . ومنه ما كتبَ به الحجّاجُ إلى المهلّبِ بن أبي صفْرة عند حضّهِ إياه على قتال الأزارقة « فإن كنت فعلتَ وإلا شرعت إليك الرمح » ، وبهذه الصيغة أجابه المهلّب فقال في جوابه « فإن شرع إليّ الأميرُ رمحَه قلبتُ له ظهرَ المجنّ » . وهذا المذهبُ شبيهٌ بالإرداف ، ولولا أنّ في ذاك قوةَ الإسهاب والبسْط وفي هذا قوة الإيجازِ والجمع لما اختلفا . ومنه قولُ ابنِ ميّادة [2] :

---

(١) انظر « التمثيل » في خزانة الادب (الخيرية بمصر) : ١٣٤ وفي معجم البلاغة العربية : ٨٣٤ .

(٢) هو الرماح بن ميادة . من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . توفي ١٤٩ هـ .

ألم تكُ في يُمْنَى يديكَ جعلتني
فلا تجعلنّي بعدَها في شِمالكَا [1]

أراد أنه كان عنْدَه مقدّماً فلا تؤخره ومقرّباً فلا تبعده . وقول يزيد بن مالكٍ الغامديّ [2] :

فإن ضبحوا يوماً زأرْنَا فلم يكُنْ
شبيهاً بزأرِ الأسْدِ ضبح الثّعالبِ

أشار إلى قوّتهم وضعف أعدائهم إشارة مستحسنةً مستغربة لها من الموقع بالتمثيل ما لم يكن لو ذُكرَ الشيء المشار إليه . وقول المنقريّ [3] :

رأى أمَّ نيرانٍ عواناً بكفّها
بأعرافها هوجُ الرياحِ الصواردِ

فقد أومأ [4] بقوله « أم نيران » إلى قدمها وكثرتها ، وبقوله «عواناً» إلى اعتيادها لإيقادِها إيماءً [5] طريفاً غريباً .

---

(١) الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٥٥ ومعجم البلاغة العربية : ٥٩٩ و ٨٣٤ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٢٣ .

(٢) في الأصل « زيد بن مالك العامدي » .

(٣) الحكم بن عبد يغوث ، كان أرمى أهل زمانه ، وهو جاهلي من بني منقر . (لا يعرف تاريخ وفاته) .

(٤) في الأصل : أومى .

(٥) في الاصل : إيْمَا .

ذكر الكناية [1]

قال أبو علي الفارسي : الكناية أن يكنى عن اللفظ الخاص بالمعنى ، ويأتي بلفظ آخر كأنه يدلّ على غير ذلك المعنى وهو دال عليه . ومثّله بقول الله سبحانه في الردّ على من آدّعى ربُوبيةَ المسيح عليه السلامُ « ما المسيح ابن مريم إلاّ رسولٌ قد خلَت من قبلة الرُّسُل وأمه صِدّيقة كانا يأكلان الطعام » [2] فجاء سبحانه بلفظ ينظمُه في سلك البشر الذين تتغير أحوالُهُم ويعتورهم الفناء ولا يجوز عبادتُهم ، ولم ينفِ عنه الربوبية بلفظ النفْي الخاص به . وبقول الشّاعر يهجو :

فهو كما قال إلهُ الـــورى   في رأس عشرينَ من الكهْفِ

يريد قوله سبحانه « ولن تفلحوا إذاً أبَدَاً [3] » ويقول الآخر يهجو أيضـاً :

والى في النساءِ حرمهَــا اللهُ   عليه من النســاءِ زَوَاني

يريد النساءَ المحرّمات عليه اللواتي عدّدهن الله في سورةِ النِّساء .

---

(1) انظر ما ورد عنها في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ٣٦٨ وفي المثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ٥٨ والفرق بينها وبين التعويض ٣ : ٤٩ وفي خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٣٥٩ وفي جوهر الكنز (ت: د. سلام) : ١٠٠ . وانظر في معجم البلاغة العربية : « الكناية المركبة » ١ : ٣١٦ و « الإشارة ــ من الكناية » ١ : ٣٨٧ وانظر « حقائق الكناية » في الطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) : ٣٦٤ ــ ٣٧٩ و « أسرار الكناية » ٣ : ٣٣٩ ــ ٣٣٤ من المرجع المذكور .

(2) سورة المائدة . الآية ٧٥ وكتبت « ابن » في الأصل بدون ألف .

(3) سورة الكهف . الآية ٢٠ .

وأصل الكناية في لغةِ العرب أنهم كانوا يكنّون عن الشّيء بغيره على وجْه الاتساع . ولها مواضع في كلامهم :

منها : أنهم يكنوّن عن الرجل بالأبوّة للزيادة في الدلالة عليه إذا كاتبوه أو راسَلُوه ، أو لقصد تعظيمِه بالكنْيَة لأنّها تدلّ على الحنكة والاكتهال . وقد آعترض عليهم في ذلك بما آنفصل منه العلماءُ .

ومنها : الكناية عن النفس بالثياب ، ومن ذلك قوله تعالى مُخَاطباً لرسوله ﷺ « وثيابَك فطهِّر » [1] أي طهّر نفسَك من الذنوب فكنّى عن الجسم بالثياب لأنها تشتملُ عليه . وقول آمرىء القيْس :

ثِيابُ بنِي عوْفٍ طَهَارَى نقيّـــــةٌ
وأوْجههم عند المشاهـــدِ غُـــرَّانُ [2]

---

(١) سورة المدثر . الآية ٤ .

(٢) البيت في ديوانه (ت: ابي الفضل) : ٨٣ وفيه وفي البيت السابق له إقواء كما اشار **المحقق** . وفي ديوانه (شرح السندوبي) : ٢١٣ وفيه قافية البيتين مكسورة كسائر الابيات كأن الشارح لم يلحظ أن هناك إقواء . وفي شعراء النصرانية (ط٢ بيروت) : ١٥ وفيه إشارة الى روايات البيت . ويروى « طهار » ويروى « بيض المشاهد » و « بيض المسافر » ، ويروى أيضاً « عند الشدائد » وفي الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢٥٣ وفي معجم البلاغة العربية : ٨٤٧ وفي الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ٢٥ غير أن شطره الثاني هناك ورد على هذا النحو :

* وأوجههم بيض المسافر غران

وقد أورد التبريزي قبله :

احنظل لو حاميتم وصبرتم   لاثنيت خيرا صادقا ولارضان

وكان هذا عند إشارته إلى ان « الطويل » له عند الأخفش اربعة اضرب : وان الذي زاده الاخفش مقصور وهو « مفاعيل » باسكان اللام . وبيته الذي رواه الأخفش مقيدا هو قول امرىء القيس هذا ، وقد رواه الفراء مقيداً أيضاً . اما الخليل فقد رواه مطلقاً ـ

يريد أنهم بريئون من الأدناس والعيوب . وقول ليلى [(١)] وذكرتْ إبـــلاً :

رمَوْهَـــا بأثوابٍ خفافٍ فلا تـــرى
لهـــا شَبَهاً إلا النّعَامَ المنَفّـــرَا

أي ركبوها فرموْها بأنفسهم . وقول آخَر :

لا هــــمَّ إن عــامرَ بنِ جهــمِ
أو ذم حجـــا في ثيــابٍ دســمِ

أي وهو متدنّس بالذنوب . ومنه قولهُـم « فلان دنس الثوبِ » إذا كان غادِراً فاجرًا .

وقول عنترة :

فشكَكْتُ بالرمحِ الأصَم ثيابَه [(٢)]
ليس الكريمُ على القنـــا بمُحَرَّمِ [(٣)]

ويقولون « فِدىً لك ثوباي [(٤)] » أي رحلاي ، والمعْنى أنا أفديك . ومنها

= بإقواء فصار عنده من الضرب الاول . وكذا رواه مثله أبو عمر الشيباني . و « غران » جمع غر وهو الأبيض .

(١) اللسان (ثوب) والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٥٢ .

(٢) في الأصل « بنانه » .

(٣) شرح المعلقات للزوزني (دار صادر ودار بيروت) : ١٤٨ وديوانه (ت: عبد المنعم شلبي) : ١٥٠ وديوانه (دار صادر ببيروت) : ٢٦ وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٤٥٥ وفيها « الطويل » مكان « الأصم » .

(٤) في الأصل « بوباى » .

قولُهُم « قومٌ لِطافُ الأزُر » أي خماصُ البطون،لأن الإزار يلاثُ عليها .

ومنها قولهم « فدىً إزاري » أي نفسي ، قال الشاعر [1] :

ألا أبلِـغْ أبـا حفْصٍ رسـولاً

فِدىً لك من أخي ثقةٍ إزاري [2]

وقد يكون الإزارُ في هذا البيتِ الأهلُ . ويقولون « دم فلان في إزار فلان» أي هو صاحبُه .

ومنها : كنايتهم عن العفاف بالإزار ، لأن العفيفَ كأنه استتر لمّا عفّ .

قال عديّ بن زيد [3] :

أَجَلْ إنّ الله [قد] [4] فضّلكـم

فَوْقَ من أَحْكَأ صُلْبَا [5] وأزارِ [6]

فالصُّلبُ الحسَبُ ، وسمّاه صُلباً لأن الحَسَب العشيرة والخلق من ماء الصّلْبِ ، والإزارُ العفَافُ . ويجوز أن يكون سمّى العشيرة صُلْباً لأنهم

---

(١) هو نفيلة الأكبر الأشجعي ، وكنيته ابو المنهال ، كما ورد في اللسان « أزر » . وورد اسمه في المؤتلف والمختلف (ت: عبد الستار) : ٨٢ « بقيلة » وهو تصحيف .

(٢) وقد ورد البيت غير منسوب في الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٣٥٣ وفي معجم البلاغة العربية : ٨٤٨ وفي العمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٣١٢ وبعده ثلاثة أبيات . والبيت من أبيات ستة كتبها الشاعر إلى عمر ، وقد أوردها صاحب اللسان وقصتها مبسوطة هناك .

(٣) في الأصل « ابن » بألف .

(٤) سقطت من البيت .

(٥) في الأصل : « ما احكى بصلب » .

(٦) البيت في شعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٤٥٤ .

ظهْرة الرجل والصلب في الظّهر . ويقولون « فلانٌ عفيف الإزار » و «طيب الحُجْزَة » [1] بمعنى .

ومنها : كنايتهم عن الحدث بالغائط . والغائطُ المطمئن من الأرض الواسع ، وكان من أراد قضاءَ حاجتِهِ أتى الغائط ليتوارى به ، فصار كناية عن ذكر ما يفعله الإنسان ، قال الله تعالى « وإن كنتم مرضى أو جاء أحدٌ منكم من الغائط » .

ومنها : قولُهم « أخي وأخوك أيّنا أبطش » يريدون : أنا وأنتَ نَصْطَرع فينظرُ أينا أشد ، فكنى عن نفسِهِ بأخيه وعن أخيه بنفسِهِ ؛ قال الله تعالى « ولا تلمزوا أنفسكم » [2] أي تعيبوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسِكم . وقال « لولا إذ سمعتموه ظنَّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خَيْراً [3] » أي بأمثالهم من المسلمين .

ومنها : قولُهم « هو أوسع بني أبيه ثوباً » أي أكثرهم معروفاً .

ومنها : قولُهم « هو غَمْرُ الرداءِ » إذا كان واسعَ الخلقِ . قال الشاعر [4] :

---

(1) في الأصل « الححرة » والحجزة : مقدار الإزار .

(2) سورة الحجرات . الآية ١١ .

(3) سورة النور . انظر الآية ١٢ . وقد كتب في الأصل « ولولا » بزيادة الواو .

(4) هو كثير عزة . والبيت من قصيدة يمدح فيها عبد العزيز بن مروان .

غَمْرُ الرداءِ [1] إذا تبسّم ضاحِكـاً
غَلِقَتْ [2] لضحكتِهِ رقابُ المالِ [3]

ومنها [قولهم] « فلان رفيعُ العمادِ » إذا كان منزلُه معلماً لزائريهِ .

ومنها : قولُهم « هو واسع الجيب » و «واسعُ جيب الكـم » أي واسع الصّدر ، «كثيرُ العطاء » قال الشاعر :

فقَد أرى واسع جيبِ الكم

والعرب تكنى عن القلب بالجيْب ، فيقولون « فلانٌ طاهر الجيب » أي طاهر القلب . فهذا وأمثاله ما يستعملونه من الكناية للتوسع في الكلام ، ولا يقع في الرسائل منه إلا أقلّه .

ذكر التعريض [4]

التعريضُ تستعمله العربُ كثيراً في كلامها فتبلغ إرادتَها بوجْهٍ هو ألطفُ من الكشف والتصريح . وقد جعله الله تعالى في خِطْبةِ النساءِ وهنّ في العدّة

---

(1) قال البكري في (السمط : ٩٣٥) : ويروى جزل العطاء إذا تبسم .

(2) في الأصل « علقت » .

(3) ديوانه : ٢٨٨ واللسان (غمر) معاهد التنصيص ١ : ١٨٧ ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (المعارف) : ١٤٢ ، والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٥٤ وفيه « علقت » موضع « غلقت » كما في الأصل . ونهاية الأرب (دار الكتب) : ٧ .

(4) انظر التعريض ووجوه استعمال العرب إياه في « البرهان في وجوه البيان » لابن وهب الكاتب ، ص ١٠٩ ـ ١١٢ . وانظره في المثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) =

جائزاً فقال « ولا جناح عليكم فيما عرضتُم به من خطبةِ النساء أو أكننتم في أنفسكم »[1] ولم يُجْرِ التصريح . والتعْرِيضُ في الخطْبةِ أن يقول الرجلُ للمرأةِ : إنك لجميلة ، ولعلّ اللهَ أن يرزقك بعْلاً صالحاً وإن النساء لمن حاجتي ، وما أشبهَ هذا الكلام .

وحُكِيَ أن قوماً من العرب خرجوا يمتارون[2] ، فلما صَدَرُوا خالفَ رجل في بعض الليالي إلى عِكْمِ[3] صاحبه فأخذ منه بُرّاً وجعله في عِكْمِهِ ، فلما أرادوا الرِحْلةَ وقاما يتعاكمان رأى عكمه خفيفاً وعكم صاحبه ثقيلاً ، فأنشأ يقول :

عكـم تغشّى بعْضَ أعْكام القَـوم
لم أرَ عكماً سارِقاً قبلَ اليـوْم

فخوّن صاحبَه بوجه ألطف من التصريح . ومن التعريض قولُ بعضِهم[4] :

= ٣ : ٥٦ ، ٥٧ . والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ٣٦٨ وفي خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٤٢١ . والبديع (نشرة خفاجي) وفي العمدة ١ : ٢٠٧ . ومعجم البلاغة العربية : ٥٢٧ . وجوهر الكنز : ١١٠ .

(١) سورة البقرة . الآية ٢٣٥ .

(٢) يجمعون الطعام والمونة .

(٣) في الهامش أسفل هذه الكلمة : أي عدله .
والعدل : الغرارة أي الجوالق ، وقيل له عدل لانه يحمل جنب البعير ويعدل بآخر .

(٤) هو عنترة بن شداد العبسي .

يا شَاة ما قنصٌ لمن حلّتْ لـــــه
حَرُمَتْ عليَّ وليتَها لم تحْرُمِ [1]

والمعنى أنه عرض بجاريَة ، يقول : أي صيْدٍ أنتِ لمن حلّ له أنْ
[ي]صيدَك ، فأمّا أنا فإنّ حرمةَ الجوارِ قد حرمتْك علي . ومن التعريض في
[ك]تابِ الله تعالى قوله فيما خبّر به من نبأ الخصْم « إنّ هذا أخي له تسعٌ
[و]تسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ فقال أكفلنيها وعزّني في الخِطاب [2] »
[إ]نما هو مثَلٌ ضربه الله تعالى له لينبهَهُ على خطيئتِه . وورَّى عن ذكر النساء
[ب]ذكر النكاح كما كنّى الشاعر الذي مثلنا بقولِه وغيره من الشعراء عن النساءِ
[ب]الشاء والمطايا والقِلاص . وكان عروةُ [3] بن الزبير [4] إذ أسرع إليه إنسانٌ
[ب]قَولٍ سَيٍّءٍ [5] يقول « إنّي أتركُكَ رفعاً لنفسي عنك » ، فجرى بينه وبين
[ع]لي بن عبْدِ اللهِ بن العباس كلامٌ ، فأسرع له عروةُ بسوءٍ ، فقال له عليٌّ
[«] إني أتركُكَ لما تترُك الناسَ له » فاشتد ذلك على عروة.ولو لم يكن في المعاريض

(1) ديوانه (ت: عبد المنعم شلبي) : ١٥٢ . وديوانه (دار صادر بيروت) : ٢٨ وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٤٥٨ والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٣١٢ .
– وفي الجميع « ياشاة ما قنص » – . ثم في الحماسة البصرية (حيدر آباد ١٩٦٤) ١ : ٢٢ .
(2) سورة ص . الآية ٢٣ .
(3) كتبت في الأصل بألف .
(4) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي . احد فقهاء المدينة وإليه نسبت « بئر عروة » الموجودة بها . وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمه .
(5) ذكر في النص « بذكر سيء » ثم وضعت علامة فوق ذكر . وكتب في الهامش « بقول سيء – صح » .

من الفسحةِ في الكلام إلا ما يجدُه الإنسان من المندوحة عن الكذب لكان كافيــاً .

وقيل : إن قوْلَ موسى عليه السلام « لا تؤاخذني بما نسيتُ » [1] من معاريض الكلام . وقال ابن عباس : لم يقل « إني نسيت » فيكون كاذباً ، ولكنه قال « لا تؤاخذني بما نسيت » فأوهمه النسيان تعريضاً ، ولم ينس ولم يكــذب .

ومنه قول إبراهيم « إنّي سقيم » [2] أي سأسقم ، لأن من كُتب عليه الموتُ فلا بدّ أن يسقم . وأمثال هذا كثيرٌ في الكلام ، وفيما أوردنــاه إقنـــاعٌ .

ذكر التسهيم [3]

التسّهيم لقبٌ محدثٌ لم تخلص له عبارة مهذّبةٌ من طريق الاشتقاق . قالوا : ومعناه أن يصاغ الكلامُ صياغة معتدلَة الأقسام كاعتدالِ خطوط البُرْدِ المسهّم التي لا تتفاوت ولا تختلف ، فإنّه إذا كان كذلك سَبَقَ السامعُ إلى استخراج قوافي منظومِه وفواصل منثوره قبل أن ينتهي إليها مُورِدُهُ . ومِنه

(١) سورة الكهف . الآية ٧٣ .

(٢) سورة الصافات . الآية ٨٩ .

(٣) انظر ما ورد عنه في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٣٧٤ ومعجم البلاغة العربية ١ : ٣٤٧ وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٣١ ـ ٣٤ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٢ والكافي (ت: الحساني) : ١٨٠ وجوهر الكنز : ٢٤٨ .

قولُ أختِ عمْرو ذي الكلبِ [١] :

فأقسمتُ [٢] يا عمْرُو لــو نبهــاك
إذَن [٣] نبّها منك داءً عُضَـالاَ
إذَن نبّهـا ليْثَ عِرِّيسـةٍ [٤]
مفيتـاً [٥] مفيداً نُفُوسا ومَـالا
وخَرْقٍ [٦] تجاوزتَ مجهولَـهُ [٧]
بوَجْناء [٨] حَرْفٍ [٩] تشكّى الكَلاَلاَ

---

(١) واسمها : جنوب . والأبيات المذكورة من قصيدة قالتها ترثي بها أخاها (انظر القصيدة في ديوان الهذليين ٣ : ١٢١) وفيها تجد هذه الأبيات غير مذكورة على التوالي فيما عدا البيتين الأخيرين ، فبين الأول والثاني يوجد بيت ، وبين الثاني والثالث يوجد عشرة أبيات . كما رسمت « إذا » بالنون . وذكرت « مفيداً » في البيت الثاني قبل « مفيتا » . وانظرها كذلك في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ١٤٢ وفي البيت الأول « فأقسم » موضع « فأقسمت » وفي الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨١ وفيه « مفيداً » قبل « مفيتا » في الثاني . وفي الفاضل للمبرد (ت: الميمني) : ٦٠ وفي الأول « فأقسم » . وفي الثاني « مفيدا » قبل « مفيتا » .
وانظر البيتين الأولين في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٣٧٤ وفيها « فأقسم » . وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٣١ وفيه « فأقسم » ورسمت « إذن » بالتنوين لا بالنون . والأبيات الأربعة مذكورة في معجم البلاغة العربية ١ : ٣٤٧ .

(٢) هكذا في الأصل ، وكذا في السكري . وفي ديوان الهذليين ، ونهاية الأرب ٧ : ١٤٢ « فأقسم » .

(٣) كتبت في الأصل على هذه الصورة « إذا » وكذا حين تكررت في أول البيت الثاني .

(٤) العريسة : الشجر الملتف وهو مأوى الأسد في غابته .

(٥) ويروى « مقيتاً » .

(٦) الفلاة .

(٧) ورد هذا الشطر في الأصل هكذا : وحرف يجاوب مجهولة .

(٨) الناقة .

(٩) المهزولة . ويقال شبهوها إذا كانت ضامرة بالحرف من حروف الهجاء وهو الألف .

فكنت [١] النّهـــارَ بهـــا [٢] شمسَه

وكنتَ دُجى الليلِ [فيه] [٣] الهـــلالا

وهذا كلام لا زيادة على حسنه واتساقه واعتدال أقسامه، ألا ترى إلى قولها « مفيتاً مفيداً » ، وتفسيرها ذلك بقولها « نفوساً ومالاً » كما تقتضيه الإفاتة والإفادة ووصفها إياه بالشمس في النّهار والهلال بالليل . وقول البحتري :

سَلَبوا البيضَ بَزَّها فأقامـــوا بظُبَاها التأويلَ والتّنْزيلا

فإذا حاربوا أذَلّوا عزيـــزاً

ويقتضي أن يكون تمامه : وإذا سَالَموا أعَزُّوا ذليلا [٤]

فهذا البيت يسبق السامعُ إلى مقطع مصراعه الأول وقافيته معاً . وقوله أيضـــاً :

أحَلّت دمي من غير جُرْمٍ ، وحرَّمت

بلا سَبَبٍ يومَ اللقاءِ كلامـــــي

فليْسَ الذي حلّلتِيـــهِ بِمُحَلّلٍ ،

يقتضي أن يكون تمامه :

وليس الذي حرَّمْتِيـــهِ بِحَرَامِ [٥]

---

(١) في الاصل : « وكنت » .

(٢) في نهاية الأرب ، وفي الفاضل للمبرد : « به » .

(٣) ساقطة في الأصل .

(٤) ديوانه (ت: الصيرفي) ٣ : ١٧٦٩ وبين البيتين يوجـــد هناك بيـــت ، وديوانـــه (القسطنطينية): ٢١١ وورد ثاني بيتي الاصل في الكافي للتبريزي (ت: الحساني): ١٨٠ .

(٥) ديوانه (ت: الصيرفي) ٣ : ٢٠٠٠ ، ٢٠٠١ ويوجد بين البيتين بيتان . والمثل السائر =

وهذا البيت أيضاً يسبق السامعُ إلى مقطع مصراعه الأول وقافيته معاً .

وقول ابن الرومي :

أرْضَى بصورته وضنّ فأغْضَبَا
فَغَدا المحبُّ منعَّماً ومُعذَّبا [1]

ذو صُورة تحلو وتَحْسُنُ منْظراً
ومَراشفٍ تصفو وتعذُبُ مشْربَا [2]

ذكر التوشيح [3]

التّوشيح أن يحلف الشاعرُ أو يحلف غيرُه بأشياء تتعلق بغرضه المقصود ، ويدخل في هذا البابِ الذي هو فيه إرادة للإبداع بتوشيح الكلام ، ثم يصرّح

= (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ٢٠٦ وخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٧٤ ، وورد البيت الثاني في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٨٣ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٣ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٠ وشرح بديعية الباعونية (على هامش خزانة ابن حجة) : ٣٩٦ وفيه « قد حللت » موضع « حللته » و « قد حرمته » . والبيتان من قصيدة له في مدح المتوكل ، مطلعها :

ألا هل اتاها بالمغيب سلامي وهل خبرت وجدي بها وغرامي

وقد أوردهما العلوي في الطراز مثالا لجيد الإرصاد (انظر : ط. المقتطف ١٩١٤) ٢ : ٣٢٧ .

(١) ديوانه (ت: د. حسين نصار) ١ : ٣٤١ وفيه « وصد » مكان « وضن » . والبيت مطلع قصيدة له قالها يمدح المعتضد بالله ، ويهنئه بمولود .

(٢) يفصل هذا البيت عن البيت السابق ثلاثة أبيات (انظر الديوان ١ : ٣٤١) .

(٣) انظر (التوشيح) في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ٣٨٢ ـ ٣٨٤ . =

ويكشفُ المعنى ويفصحُ عما في نفسه . ومنه قول الأشْتَر النخعيّ [1] :

بَقَيْتُ وَفْري وانحرفتُ عن العُلَى
ولقيتُ أضْيافي بوجـــهِ عَبُوسِ

إنْ لم أشُنّ على آبنِ هنْد غــارةً
لم تخلُ يوْماً من نهابِ نُفُوسِ [2]

وقول أبي علي البصير [3] :

أكذبْتُ أحْسنَ ما يظنُّ مُؤمِّـلي
وهَدمْتُ مــا شادتــه لي أسلافي

وعدِمتُ عاداتي [4] التي عُوِّدتُهــا
قدماً مــن الإتلاف والإخْـــلافِ

وصحبتُ أصحابي بعِرْض مُعْرَضٍ [5]
متحكّـــمٍ فيـــه ومــالٍ وافٍ [6]

= وفي خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ١٠٠ وفي الطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ٣ : ٧٠ ــ ٧٢ وفي الكافي (ت: الحساني) : ١٨١ وفي معجم البلاغة العربية : ٩٤٦ وجوهر الكنز : ٢١٣ .

(١) مالك بن الحارث بن يغوث النخعي . أدرك الجاهلية ، وسكن الكوفة ، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها . يعد من الشجعان الأجواد العلماء الفصحاء . توفي ٣٧ هـ .

(٢) ورد البيتان في نهاية الأرب (دار الكتب) وفيه « ابن حرب » موضع « ابن هند » وقال النويري : يريد معاوية بن سفيان . كما وردا في جوهر الكنز لابن الأثير الحلبي (ت: د. سلام) : ٣٠٨ وفي الثاني « ذهاب » موضع « نهاب » .

(٣) يعرض بعلي بن الجهم .

(٤) في الأصل « عادتي » .

(٥) في الأصل « معرص » .

(٦) في الأصل « وافى » .

وغضضت من ناري ليخفي ضؤوها

وقريت عذراً كاذبـــاً أضيـــافي

إنْ لم أشنّ [1] على عليٍّ خَلّةً [2]

تضْحى قذىً في أعيُنِ الأشرافِ [3]

وقول العَطَويّ [4] :

لا وكتْماني أسرارَ عدوّي وصديقـي

واتباعي بطريفِ المالِ آثار الحقـوقِ

ما أُطيق الصبْرَ عن بدْر على غصنٍ أنيقِ

وقول النّظام :

أمَا والحلقِ الأسْود في سالفَةِ الخِشْفِ [5]

«يا إمام الحكماء،وعنصر البلغاء،وهيولى الأدبـاء»

---

(1) في الأصل « أس » .

(2) في الأصل « حلة » وفي شرح الباعونية (مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٨٣ بلاغة) : « حله » وهو الأحسن .

(3) وردت الابيات في الكافي (ت: الحساني) : ٩٨ ، وكذا وردت في الحماسة البصرية (الطبعة الهندية) ١ : ٧١ وفي معجم البلاغة العربية عدا الثاني : ٧٠٠ ووردت باستثناء الثالث في نهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ١٥٠ وفي الأول « عدمت » موضع « هدمت » وفي الثاني « الاتلاف والاخلاف » كتبا على العكس .

(4) محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية ، من شعراء الدولة العباسية . كان معتزلياً ، يعد من المتكلمين الحذاق كان منهوماً بالنبيذ . وله فيه وفي الفتوح أشعار كثيرة . انظر معجم الشعراء (ت: فراج) : ٣٧٧ ، والأعلام ٢ : ٦١ .

(5) الخشف مثلثه ولد الظبي أي ما يولد ، أو أول مشيه ، أو التي نفرت من أولادها وتشردت . القاموس (خشف) .

وحسْن الغُصُنِ المهتزِّ بين النّحْرِ والرِّدْفِ
لقد أشفَقْتُ أن يَجْرحَ[1] في وجنتِهِ طَرْفي[2]

ذكر الإعتاب

الإعتاب أن يلتزمَ الشاعرُ في القوافي والناثر في الأسجاع ما لا يلزمهُما توسّعاً واقتداراً ، ويتكلّفان ما ليس عليهما تمكناً وانفساح مجال . ومثالُه في المنثور قول أبي علي البصير « حتى عاد تعريضُك تصريحاً وتمريضك تصحيحاً » .

ومثاله من المنظوم قول أبي العالية :

إني آمرُؤٌ أُصفِي الخليلَ الخلّه   أمنحُه ودي وأرعى إلّه
وأبغض الزّيارةَ الملّه   وأقْطع المهامِه المضلّه
على هبلٍ أو على هبلّه   ذات هَبابٍ جسرة شمّله
ناجية في الخرقِ مسمعلّه   تنسَلّ بعدَ الْعقبِ المكلّه
مثْل انْسلالِ العضْبِ مِن ذي الحلّة

والقصيدة طويلةٌ التزم في أكثرها اللام المشدّدة اقتداراً .

وقول الحُطيئة :

ألا مَنْ لقَلْبٍ عارمِ النّظَرَاتِ
يُقَطِّعُ طولَ الليْلِ بِالزَّفَرَاتِ[3]

---

(١) في الأصل « تحرح » .

(٢) وردت الأبيات في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٦٤ غير منسوبة . وفي الأول « السود » موضع « الاسود » وفي الثالث « وجنتها » موضع « وجنته » .

(٣) في الأصل « بالحسرات » وما أثبته ورد فيما يلي : ديوانه (بيروت ١٩٦٧) : ١١٢ =

فإنْ يصْطَنِعْني اللهُ لا أصْطَنِعْكُمُ
ولا أعطكم مالي عـلى العَثَراتِ [(١)]

والقصيدة أيضاً طويلةٌ لزم الراء قبل الردف في جميعها ، وهو غير لازم .

وقول نافع بن هُدَيم اليربوعيِّ :

فإلاّ [(٢)] تخافوني تصبكم بعُرَّة
مُفارقتي أو تقبسوا من شراريا

إذا صار لوني كلَّ لونٍ وبُدِّلَتْ
نضارة وجهي مُخْضبا [(٣)] باصْفراريا

فسرِّي كإعْلاني وتلك سجيّتي
وظلمةُ ليلى [مثلُ] [(٤)] ضوءِ نهاريا

بني عاصمٍ من ترسلون من المدى
مع الخيْلِ يجري مثل ما كنت جارِيَا

له مثْل طرِفي سابقاً عند غايتي
وطول عِناني وارتفاع عِذارِيَا

= والبديع (نشرة خفاجي) : ٦٢٤ ومعجم البلاغة العربية: ٧٩٥ وسر الفصاحة (الرحمانية) : ١٧١ و (صبيح ١٩٦٩) : ١٧١ ، والبيت مطلع قصيدة له .

(١) سابع بيت من القصيدة ، الديوان المذكور ص ١١٣ وفي الشطر الثاني « أوتكم » مكان « أعطكم » .

(٢) في الأصل « الا » .

(٣) في الأصل « مغضبا » .

(٤) سقطت في الأصل .

ويمسى[1] عُرّامي مـــن وراء حمامكم
شياطينُ أرميها بشهبـــان ناريـَــا[2]

ذكر الإيغال[3]

هذا النعتُ على مذهب أبي الفرج قدامة ، فأما الحاتمي فإنه نعته بالتبليغ ، ولا خلاف بينهما في معناه ، وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً قبل انتهائه إلى القافية ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر في كونه شعراً إليها ، فيزيد الشعر المعنى نصوعاً وبلوغاً إلى الغاية القصوى . ومنه قولُ امرىء القيس يصف الفَرَس :

إذَا ما جرى شأوَيْن وابتلَّ عِطْفُهُ
تقولُ هَزيزُ الرِّيحِ مرّتْ بأثْأبِ[4]

فتمّم الوصف قبل القافية ، فلما احتاج إليها أورَدَها فزادت المعنى نصاعةً

---

(١) في الأصل « وبحشى » .

(٢) وردت الأبيات في معجم البلاغة العربية : ٧٩٢ والشطر الاول من البيت الرابع :
بني عاصـم من ذا الذي ترسلونه
وفي الشطر الأول من البيت الخامس « ساميا » موضع « سابقاً » اما البيت الاخر فقد ورد هكذا :
ويمسي ورائي من عـرام جماعة شياطين أصليها بشهبان ناريـا

(٣) انظر ما ورد عنه في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٢٣٤ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٥٧ ـ ٦٠ والطراز (ط. المقتطف) ٣ : ١٣١ و ١٣٢ ونهاية الأرب ٧ : ١٣٨ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٧٩ ومعجم البلاغة العربية : ٩٥٩ وجوهر الكنز : ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٤) البيت في الديوان ص ٤٩ ، وفي الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٨١ وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٥٧ وأورد معنى الأثأب فقال : شجر للريح في أضعاف اغصانه حفيف عظيم وشدة وصوت .

لأن الأثأب[1] شجر يكون للريح في تضاعيفه حفيف شديد . وقوله أيضاً :

كأنَّ عيونَ الوَحْشِ حولَ خِبائنا
وأَرْحُلِنا الودعُ الذي لم يُثَقَّبِ[2]

فقد أتى قبل على التشبيه قبل القافية ، لأن عيون الوحش إذا ماتت وتغيرت صفاتها شبيهة بالجزع إلا أنها بما لم يثقب منه أشبه ، فبلغ بالمعنى إلى الأمد الأقصى في تأكيد التشبيه . وقولُ ذي الرُّمة :

قِفِ العيسَ في أطلال مَيَّةَ فاسْأَلِ
رُسوماً كأخلاق الرِّداءِ المُسَلْسَلِ[3]
أظُنُّ الذي يُجْدي عليك سُؤالُهَا
دُمُوعاً كتبذير الجُمَانِ المُفَصَّلِ[4]

---

(١) في الأصل : ألا يا آب وفيها « الجزع » مكان « الودع » . والجزع (بفتح الجيم وتكسر) : الخرز اليماني فيه سواد وبياض تشبه به الأعين .

(٢) البيت في الديوان ص ٥٣ ، وفي شعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٢٩ وفي الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٨١ ، وفي خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٢٣٤ وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٥٨ ، وفي الطراز (ط. المقتطف) ٣ : ١٣٢ ونهاية الأرب ٧ : ١٣٩ وجوهر الكنز : ١٣٣ .

(٣) في الأصل « المشلشل » . والمسلسل : الرديء النسج .

(٤) البيتان في ديوانه : ٥٠١ وفي خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٢٣٤ ، وفيها « آثار » موضع « أطلال » و « اسأل » موضع « فاسأل » في البيت الأول ؛ و « كتبديد » موضع « كتبذير » في البيت الثاني . وفي نهاية الأرب ٧ : ١٣٨ ورواية البيت الأول فيها كرواية الخزانة . ومعجم البلاغة العربية : ٩٦٠ ، وفيه « كتبديد » موضع « كتبذير » .

فتمَّم الكلامَ في التبيين قبل القافية ، فلما ٱحتاج إليها جاء بها فزادت في المعنى ما جوَّده وجمَّله . وقول زهَيْر :

كأنَّ فُتَاتَ العِهْنِ في كلِّ منزلٍ
نَزَلْنَ[1] به حَبُّ الفنا[2] لم يُحَطَّمِ[3]

فـ «العهن» الصّوف الأحمر ، و «حبّ الفنا» يشبهه ، فقد أتى على الوصْفِ قبلَ القافيةِ ، لكن حبّ الفنا إذا كسّر كان تكسره غير أحمر ، فاستظهر في القافية لما جاء بها ووكّد التشبيه بإيغاله في المعنى . وقد يقع مثلُ هذا للمترسِّل إذا قصد السجعَ ، لأنه ربّما انقضى معناه قبل الفاصلةِ فإذا احتاج إليها أتى بها زائدة في المعنى ما هو من تمامه . وهو كثيرٌ في الكلام لا يحتاج إلى تمثيل .

ذكر التركيب[4]

هذا الباب تسمِّيه العامةُ التجنيسَ وتخطىء فيه ، وإنما سمّي تركيباً لأنه يؤتى فيه بالكلمة الأولى متّصلةً ثم يؤتى بما يقابلها مركّباً من كلمتين . وقلَّ

---

(1) في الأصل : نزلوا .

(2) في الأصل : « القنا » وكذا في السطرين بعده . والفنا : عنب الثعلب ، الواحدة فناة .

(3) ديوانه (بيروت ١٩٦٤) : ٧٧ وشرح الديوان ، صنعة ثعلب : ١٢ وشرح المعلقات للزوزني (صادر وبيروت ١٩٦٣) : ٧٧ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٥١٥ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٨١ وخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٢٣٤ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٥٨ ونهاية الأرب ٧ : ١٣٩ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٠ ومعجم البلاغة العربية : ٩٥٩ وفيه « الغنا » موضع « الفنا » .

(4) انظر ما ورد عنه في معجم البلاغة العربية ١ : ٢١٥ .

ما يسلم من ظهور التكلّف ، وعليه أكثرُ شعر البستي ، ومنه قولُه :

وإن أمرَّ على رقٍّ [1] أناملَه ... أقرّ بالرِقِّ كتاب الأنام له [2]

وقولــه :

لا تعص يا شمس على قابُوسَــا ... فمن عَصَى قابوس لاقى[3] بُوسَا

وقولــه :

يا هلالا في وجْهِهِ جــدريٌّ ... ظل يحكي كواكباً في هلالِ

لا تلِمْني إن نمّ بالسرِّ دمعي ... فله الدمع خالصاً فيه لالي

وقولُــه :

إلى حتْفي سَعَى قدمِــي [4] ... أرى قدمي أراق دمــي [5]

وقولــه :

عضّني الدهــــر بنابِــــــه ... ليت ما حَلّ بنا بــه [6]

---

(١) الصحيفة أو الجلد الرقيق يكتب فيه (ويجوز في الراء الفتح والكسر) .

(٢) ورد البيت في نهاية الأرب ٧ : ١٦ وقبله البيت التالي :

إن هز أقلامــه يوما ليعملها ... أنساك كـل كمي هز عاملـه

(وعامل الرمح : صدره) .

(٣) كتبت في الأصل بالألف .

(٤) في الأصل :

* أرى قدمي إلى حتفي مسـابقة *

(٥) ورد في معجم البلاغة العربية : ٨١٥ ويتيمة الدهر (ت: محيي الدين) : ٣٢٦ وفيها « مشى » موضع « سعى » في الشطر الأول .

(٦) ورد في نهاية الأرب ٧ : ٩٢ وفيه « عضنا » . وفي معجم البلاغة العربية : ٨١٨ .

ذكر الإلمام (1)

الإلمام مأخوذ من قولهم ألمّ فلانٌ بفلان إذا زاره ، وهو أن يؤتى بكلمةٍ في الفصل الأولِ ثم يؤتى بها في الفصل الثاني قد قلبت حروفها . مثل : فرق وقرف ، ونحم ومحن ، وفرش وشرف ، وفرس وسرف . ومنه قول بعضهم :

خافت فأشفق منها أن يقولَ لها
خافت فأهدى لها في السر تُفّاحا

فراسلتْه بأترج تقول له
قد حرتُ فاختصما سرّاً وما باحَا

وما أرادَا بمعكوس اسمْ ما بعثا
إلاّ لما أفسْد الواشونَ إصْلاحَا

وقول الآخر :

إذا رأيتَ الوداعَ فاصْبِر ولا يهمنّك البعادُ
وٱنتظرِ العودَ من قريبِ فإن عكسَ الوَدّاع عادوا

ذكر الاستفهام (2)

هذا النّوع في الكتاب العزيز على وجوه ، منها : التقرير للعباد ، لأنه تعالى لا يسألهم عمّا هو أعلم به منهم ، كقوله تعالى لعيسى المسيح عليه السلام «أأنت

---

(1) انظر ما ورد عنه في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٢٨٧ .

(2) انظر ما ورد عنه في معجم البلاغة العربية : ٦٦٤ .

قلت للنّاس اتخذونيَ وأُمّيَ إلٰهين من دون الله » [1] . ومنها : التعجب ، كقوله تعالى « عمّ يتساءلون . عن النبأ العظيم » [2] كأنه قال : عم يتساءلون يا محمد ، عن النبأ العظيم يتساءلون . ومنها : التوبيخ ، كقوله « أتأتون الذكران من العالمين » [3] فأما إذا استعمله الناسُ فإنّ بعض البديعيين سمّاه استفهام البتالة ، وسمّاه بعضُهم تجاهل العارف ، وشوب الشكّ باليقين . وهو كثير في الكلام ، ومنه قول زُهَيْر :

وَمَا أدْري وسوف إخَالُ أَدْري
أقومٌ آلُ حِصْنٍ أم نِساءُ

فإن تكُنِ النساء مُخَبّآتٍ [4]
فحُقّ لكلّ مُحْصَنةٍ هِدَاءُ [5]

وقول ابن أبي أميّة :

فديتُكَ لم تشبعْ ولم ترْو من هجري
أيُستحسنُ الهجران أكثر من شهْرِ

أراني سأسلو عنْك إن دام ما أرى
بلا ثقةٍ لكن أظنّ وما أدري

---

(1) سورة المائدة . الآية ١١٦ .

(2) سورة النبأ . الآيتان ١ و ٢ .

(3) سورة الشعراء . الآية ١٦٥ .

(4) كتبت في الأصل على هذه الصورة : « مخبئات » .

(5) ديوانه (دار الكتب) : ٧٣ ، وقد وردت البيتان في شعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٥٦٢ ، كما ورد الأول في الاشتقاق لابن دريد : ٤٦ وفي نهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ١٢٣ وفيه « ولست » وفي معاهد التنصيص (بولاق) : ٤١٧ وفي الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٩٩ .

وقول الآخر (١) :

بالله يا ظَبَيات القاعِ قُلْنَ لنـــا
ليلاي منكنّ أم ليْلى من البشر (٢)

ذكر التفريع (٣)

التفريع أن يأخذَ الشاعرُ في وصفٍ من الأوصاف فيقول ما كذا وينعتُه

---

(١) هو الحسين بن عبد الرحمن العريني .

(٢) أورده البغدادي في خزانته منسوبا إلى العريني المذكور ومتبوعاً ببيت ونصف بيت ضمن ما نقله عن الصاغاني في العباب (انظر خزانة الأدب ١ : ٩٨ بتحقيق عبد السلام هارون) . وورد البيت في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٩٦ غير منسوب . وعلق المحققان : معاهد التنصيص ٣ : ١٦٧ ، للعرجي ، أو المجنون أو ذي الرمة أو الحسين الغزي . وخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٢٣٣ ونسب البيت فيها إلى ذي الرمة . ولم أجده في ديوانه (طبعة كمبردج) والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٦٦ وفيه نسب إلى العرجي . وقال محققه : اضطرب العلماء في نسبة هذا البيت . فزعم قوم أنه لمجنون ليلى ، وكأنهم اغتروا بذكر ليلى فيه ، وقد بحثت جميع ديوانه فلم أجده ، وقد نسبه العيني كالمؤلف الى العرجي ، ونسبه العباسي لأعرابي ولم يسمه . ونسبه الباخرزي لبدوي سماه كاهلا الثقفي ، ونسبه قوم للحسين بن عبد الله (وانظر حواشينا المتعة على شرح الأشموني ج١ ص ٢١٣) . وأورده صاحب الطراز في « التجاهل » قائلا : فانظر إلى تحيره هل لبلاه من الأنس ، أم من الوحش ، وهمزة الاستفهام محذوفة وقد دل عليها بقوله أم ، لأنها تشعر بها وتحذف معها كثيراً ، إلا أن تكون أم منقطعة فقد تأتي بغير همزة كما هو محقق في علم الاعراب (انظر الطراز ط. المقتطف) ٣ : ٨١ كما أورده النويري في نهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ١٢٣ والتبريزي في الكافي (ت: الحساني) : ١٩٨ ونسبه محققه إلى العرجي . وانظره في معجم البلاغة العربية : ٥٣٧ و ٦٣٨ و ٨٨٦ .

(٣) انظر ما ورد عنه في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٤١٤ والعمدة ت: محيي الدين)=

نعْتاً حسناً ثم يقول ما فعل من كذا . ومنه قول الصمة بن عبد الله القُشَيري[1] :

وما وجد أعرابيةٍ قذفت بها
صروفُ النوى من حيثُ لم تك ظنّتِ

تمنّتْ أحاليبَ اللقاحِ ومرْبها
بنجْدٍ فلم تقدِرْ على ما تمنّتِ

إذا ذكرت طيبَ العضاةِ وطيبِهِ
وبرْد الحصى من بطن حنْتٍ أرنّت

بأكثر منّي لوعةً غير أنّني
أُطَامنُ أحشائي على ما أجنّتِ

وقول الأعشى[2] :

ما روْضةٌ من رياض الحَزْن مُعْشِبَةٌ
خضراءُ جادَ عليها وابلٌ هَطِلُ

= ٢ : ٤٢ - ٤٤ والطراز (ط. المقتطف) ٣ : ١٣٢ - ١٣٥ ونهاية الأرب ٧ : ١٦٠ والكافي (ت: الحساني) : ١٩٥ .

(١) في الأصل « عبد الله بن الصمة القشيري » .

(٢) ديوانه (صادر - بيروت ١٩٦٦) : ١٤٥ وديوانه (شرح وتعليق د. محمد محمد حسين) : ١٠٧ وديوانه (فيينا ١٩٢٧) : ٤٣ ، وشعراء النصرانية ٣٦٧ ، وخزانة الأدب لابن حجة (الخيرية بمصر) : ٤١٤ والطراز (ط. المقتطف) ٣ : ١٣٣ ونهاية الأرب ٧ ١٦٠ ، وآمالي الزجاجي (ت: هارون) : ١٣٥ و ١٣٦ وفي الجميع : « مسبل » مكان « وابل » وفي الطراز « غنا » موضع « خضراء » . وفي الخزانة « غناء » مكان « خضراء » في البيت الأول و « الزهر » موضع « الشمس » في البيت الثاني و « طيب » موضع « نشر » في البيت الثالث ، وشرح بديعية الباعونية (على هامش خازنة ابن حجة) : ٣٤٧ وفيه « الأنس » موضع « الحزن » في الأول ، و « طيب » موضع « نشر » ، =

يضاحِكُ [1] الشمسَ منها كوكبٌ[2] شرقٌ
مؤزّرٌ بعميمِ النبتِ مكتهِلُ

يوماً بأطيبَ منها نشْرَ رائحةٍ
ولا بأحسنَ منها إذْ دَنَا الأصُلُ

وهذا النوع كثيرٌ في الكلام منظومه ومنثوره .

ذكر التبديل [3]

التّبديل أن يقدّم في الكلام جزءاً ألفاظُهُ منظومةٌ نظاماً فيعقب هذا الجزء بجزء يجعل فيه ما كان في الجزء الأوّل مقدّماً مؤخراً وما كان مُؤخّراً مقدَّماً . ومنه قولُ بعضِهم « أنعم على من شكَرَك واشكر على من أنعم عليك ، وصِلْ من هَجَرك ولا تهجر منْ وَصَلك » . وقول الحسن البصري للمغيرة بن مخاوس التّميمي « إنّ من خوفك إلى أن تلقى الأمنَ خيْر لك ممن أمنك إلى أن تلقى الخوفَ » وقولُه « ما رأينا يقيناً لا شكّ فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموتِ » . ولما قدم الهيثم بن الأسود بن العريانِ على عبد الملك بن مرْوان قال : كيف تجدُك ؟ قال : « أجِدُني قد ابيضَّ منّي ما كنت أحب أن يسْود واسودّ

= و « رنى » موضع « دنا » و « فيها » مكان « منها » في الثالث . كما أن البيت الثالث جاء فيه بين الأول والثاني ، وفي حماسة ابن الشجري (حيدر آباد) : ٢١٦ و ٢١٧ وفي الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٩٥ .

(١) في الأصل : « تضاحك » .

(٢) كوكب الروضة : نورها . قال في تهذيب اللغة : الكوكب معروف من كواكب السماء ، ويشبه به النور فيسمى كوكباً .

(٣) انظر ما ورد عنه في معجم البلاغة العربية ١ : ٧٣ .

مني ما كنت أحب أن يبيضّ » . وقال عمرو بن عبيْد في دعائه « اللهم اغنني بالفقر إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك » .

ذكر التّصْريع [1]

التّصريعُ تصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل القافية ، فإنه إذا كان كذلك دلّ على الروى ، وإذا كان على خلافه أوهم أن الروي [2] بحسب التصريع . وفيه أيضاً دلالة على تمكين الشاعر واقتداره ، ألا ترى إلى قول أبي تمام [3] :

وتقفُو إلى الجَدْوَى بجَدْوَى وإنّما
يروقُكَ بيتُ الشّعرِ حينَ يُصَرَّع [4]

ومن الشعر المصرّع قول حاتم الطائي الدالّ على الروي :

أتَعْرِفُ أطلالاً ونؤياً مُهَدَّما
كخطِّك في رِقٍّ كتاباً مُنَمْنَما [5]

---

(1) أنظر ما ورد عنه في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٣٦٦ معجم البلاغة العربية ١ : ٤١٤ والطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ٣ : ٣٢ وصور البديع ٢ : ٦٣ — ٨٨ .

(2) في الأصل : « الدي » .

(3) البيت من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري ، مطلعها :

أما انه لولا الخليط المودع   وربع عفا عنه مصيف ومربع

انظر شرح التبريزي (ذخائر العرب) ٢ : ٣٢٢ .

(4) ديوانه (ت: عبده عزام) ٢ : ٣٢٢ ومنهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ٢٨٣ .

(5) شعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ١١٨ .

وقول امرىء القيس ، وهو أكثر من صَرَّع الشعر :

قِفا نبْكِ من ذِكْرَى حبيبٍ ومنْزِلِ
بسِقْطِ اللوى بيْنَ الدخولِ فحوْمَلِ [(١)]

وفي هذه القصيدة أبيات كثيرة مُصرَّعة .

ومن الشعر غير المصرع الذي تشكل قافيتُه :

لِمَنْ [(٢)] منزل [(٣)] عافٍ ورسْمُ منازِلِ
عفتْ بعدَ عهْدِ العاهدينَ رياضُها [(٤)]

لأن هذا البيت يوهم أن القافيةَ لامية ، فجاءت بخلاف ذلك .

---

(١) أول بيت في معلقته . الديوان ص ٨ .
وقد اورده ابن حجة عند ذكره التصريع . انظر خزانته (الخيرية بمصر) : ٣٦٦ كما اورده صاحب الطراز مثالا للدرجة الثانية من التصريع (إذ كان قد ذكر انه يرد على مراتب مختلفة متفاوتة في الكمال والنقصان) ، وهي ـ أي الدرجة الثانية ـ أن يكون المصراع الأول منقطعاً عن الثاني مستقلا بنفسه غير محتاج إلى الثاني ، لكن الثاني مرتبط بالأول لعلاقة بينهما .. فالأول في هذا البيت منقطع عن الثاني ، اما الثاني فمتصل بالأول لأجل حرف الجر فاتصاله بما قبله ظاهر كما ترى (انظر : ط. المقتطف ١٩١٤) ٣ : ٣٤ .

(٢) في الأصل : « امن » وهو خطأ من الناسخ .

(٣) في الديوان « طلل » . وفي نقد الشعر ، وسر الفصاحة « منزل » كما ورد هنا .

(٤) البيت للشماخ بن ضرار . انظره في ديوانه ص ٢١١ (نشرة صلاح الدين الهادي) وفي سر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ١٧٩ .

ذكر الاستدراك [1]

الاستدراك أن يكون الشاعرُ في معنىً فينفي منه شيئاً ، ثم يستدركه بما يؤكد النفيَ أو بما يثبت ما نفاه . ومنه قولُ بشّارٍ :

نُبِّئْتُ [2] ناكحَ أُمِّــــهِ يغتـــــابُني
عنْدَ الأميرِ ، وهل عَلَيَّ أميرُ [3] ؟

وقول الآخر [4] :

وما بي انتصار إنْ غدا الدّهرُ ظـــالمي
عليه ، بلى إنْ كانَ من عندك النَّصرُ [5]

وقول الآخر [6] :

---

(1) انظر ما ورد عنه في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٦٥ ومعجم البلاغة العربية ١ : ٢٦٥ و ٢٦٦ ونهاية الأرب ٧ : ١٥١ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٦ .

(2) في الأصل « يبيت » .

(3) ديوانه (نشرة الطاهر عاشور) ٣ : ٢٩٦ وفيه « آكل خرئه » مكان « ناكح أمه » . والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٩٥ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٤٧ وفيهما « فاضح قومه » موضع « ناكح أمه » . والبديع (نشرة خفاجي) : ٦٩١ والكافي (ت: الحساني) : ١٨٧ وفيهما « فاضح أمه » .

(4) هو أبو البيداء ورد في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٩٥ .

(5) واورده ابن حجة في خزانة الادب ونسبه إلى أبي البيداء (الخيرية بمصر) : ٣٦٧ وكذا في شرحه بديعية الباعونية (على هامش خزانته) : ٣١٨ والرواية فيها « ومالي » موضع « وما بي » كما أورده التبريزي في الكافي (ت: الحساني) : ١٨٧ ونسبه إلى أبي البيداء . وفيه « جائراً على » موضع « ظالمي عليه » .

(6) ورد في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) في باب الرجوع : ٣٩٥ غير منسوب من المؤلف أو المحققين . وساقه ابن حجة شاهداً على « الرجوع » في شرحه بديعية –

أليس قليلاً نظرةٌ أنْ نظرتُهـــا
إليكَ وكلاً ليس منك قليـــل

وقول أبي البيداءِ [1] :

كفى حزَناً أن لا يـــزال يـــزورنِي
على النأي طيف من خيالك يا نعْـــمُ

وأنت مكان النجـــم منّا وهل لَنـــا
من النّجمِ إلاّ أن يقابلَنا النّجـــمُ

ذكر الحشو المفيد [2]

قال أبو علي الحاتميّ : هو اللفظة يسدّ بها البيت لتمام الوزن فيزيد المعنى نصاعةً وبراعة .ومنه قولُ عبد الله بن المعتز :

= الباعونية (على هامش خزانته) : ٣١٨ وقال عنه : بيت الحماسة . كما أورده صاحب نهاية الارب ٧ : ١٤٥ ذاكراً أنه بيت الحماسة ونسبه محققه إلى يزيد بن الطثرية ، واورده صاحب « البديع » غير منسوب ونسبه محققه خفاجي إلى يزيد بن الطثرية ص ٦٩١ . (وقال راجع الأمالي ١/١٩٦) وفيه « ان » بكسر الهمزة في الشطر الأول . وكذا ورد غير منسوب في الكافي (ت: الحساني) : ١٨٧ وأحال إلى شرح التبريزي للحماسة (بولاق) ٣: ١٦٢ كما ورد غير منسوب في سر الفصاحة (ت: الصعيدي): ٢٣٢ .

(١) من ثقات الاعراب وعلمائهم ويذكر السيوطي في مزهره (٢ : ٤٠١) نقلا عن أبي الطيب ما يفيد أن ابا زيد وأبا عبيدة والأصمعي بعد أخذهم عن أبي عمرو اللغة والنحو والشعر . أخذوا عن عيسى بن عمر وأبي الخطاب الأخفش ويوسف بن حبيب ، وعن جماعة ذكر أبو البيداء من بينها . وأن الخليل أخذ أيضاً من هذه الجماعة واختلف إليها .

(٢) انظر (اضرب الحشو) في الصناعتين (ت: البجاوي وأبـي الفضـل ط١) : ٤٨ و (الحشو) في معجم البلاغة العربية ١ : ٢٠١ ــ ٢٠٤ .

وخيلٍ طواهـــا القوْدُ حتى كأنّهـــا
أنابيبُ سُمْـرٍ من قنا الخَطِّ ذُبَّــــلُ

صَبَبْنا عليها ظالمينَ سِياطَنـــــا ،
فطارَتْ بها أيدٍ سراعٍ وأرجُلُ [1]

فقوله « ظالمين » نافٍ عنها هجنة البطء [2] ، ودال على أن ضرْبَها من غيْر إحــــواج .

ويقول ابن الرومي :

تَحِلّ أياديكـم بحق وإنّهـــا لديكم بلا حقٍّ لمُحتقراتِ [3]

ذكر الرَّجع [4]

قال أبو علي الفارسي : إنّما سُمي هذا النوع رجعاً ، لأن حروف الكلمة الأولى ترجع في الأخرى . وهو على ضربيْن : مجتمع ، ومفترق ، فالمجتمِعُ أن تكون الكلمتان على وزن واحدٍ وحروف واحدة لا يختلف منها إلا الحرفان

---

(١) ديوانه (صادر وبيروت) : ٣٦٤ وقد ذكر « القور » مكان « القود » في البيت الأول وقال شارح كلمات الديوان . القور ، بفتح القاف : المشي على اطراف القدمين . وبضم القاف : الجبال الصغيرة ، الواحدة قارة . ولا شك أن القود هو المناسب وهو مصدر قاد أي أنها تقاد ولا تركب . وجاء في المعاجم يقال « مر بنا قود » أي الخيل التي تقاد ولا تركب ، ونهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ١٦٦ وقال من حققه : « وفي حسن الترسل : « السير » ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) في الأصل : « البطاء » .

(٣) ديوانه (ت: د. حسين نصار) ١ : ٣٨٨ .

(٤) انظر (الترجيع) في معجم البلاغة العربية ١ : ٢٨٩ .

الأولان ، كقوله تعالى « ويْل لكلِّ هُمَزة لُمَزة »[1] وقول بعضهم « ما مدحك وإنما قَدَحك » ، والمفترِقُ أن يبدأ بكلمة ثم يعيدُها لا يزيد في حروفها ولا ينقص ، إلا أنك تنقل الحرفَ الثاني من الأولى فتوقعه في أوّل الأخرى ، مثل : عمادٍ ومعاد . ومنه قول الشاعر :

مراح رماح قابلتهـــا بحومـــة
فصاح صفاح في الجسوم وفي الهَـــامِ

وقد أدّى[2] بي الاستنباطُ إلى أن هذا الباب ينقسم إلى ستةِ أقسامٍ :

قسم يزيد في إحدى الكلمتين على الأخرى بحرف في آخرها مع اتّفاق سائرِ حروفها ، نحو همو وهموع ، وهمو وهمود ، وسلو وسلوع ، وسمو وسموق ، وعبو وعبود .

وقسم يزيد فيه إحدى الكلمتين على الأخرى بحرف في أولها ، نحو : هيم ويهيم ، وريف وشريف ، ودين ومدين ، وهيف ولهيف .

وقسم يتساوى فيه عدد حروف الكلمتين ويتفق جميعها إلا الحرفان الأولان نحو : همزة ولمزةٍ . وريف وسيف ، ووسيم وحسيم ، وقسيم ورســم ونســيم .

وقسم يتساوى فيه عدد حروف الكلمتين ويتفق جميعها إلا الحرفان الأخيران منهما ، نحو : مُرَافق ومُرافد ومساعف ومساعد ، ومشاكل ومشاكه ،

---

(١) سورة الهمزة . الآية الاولى .

(٢) كتب هذا الفعل في الاصل بالالف .

ومصارم ومصارف ، ومثل استعار واستعاد ، واستطال واستطاب ، وانحسام وانحسـار .

وقسم لا يختلف فيه حروف الكلمتين ، وإنما يكون أول حرف في الكلمة الأولى ثاني حرف في الثانية ، وثاني حرف في الثانية أول حرف في الأولى ، مثل : معاد وعماد ، وعباد وبعاد ، وشراد ورشاد .

وقسم لا تختلف حروفه ، وإنما يكون الحرف الأخير في الثانية [1] مثْل : شرع وشعْرٍ ، وسرع وسعْر ، وشارع وشاعر ، وشاتم وشامت ، وريع ورعى .

وينبغي لمن وقع في كلامه قسم من هذه الأقسام أن يعرف موْقعَه من الحسْنِ ، وإن أحبَّ أن ينسبَه إلى هذا الباب ويعده [2] قسماً من أقسامه فَعَلَ ، وإن أحبَّ أن ينعتَه بنعْتٍ كان ذلك إليه .

ذكر التوشيع [3]

التوشيع مأخوذ من الوشيعة ، وهي الزّهرُ المختلف الألوان ، ومن البُرْد الوشيع ، وهو الكثير النقوش ، ومعناه أن يأتي بكلمةٍ يجْعلُها أصْلاً ثم يفرّعُها

---

(1) الكلام ناقص . ولعل العبارة : « وانما يكون الحرف الاخير في الثانية ثاني حرف في الأولى » وهو سهو من الناسخ .   (2) في الأصل « ويعدُه » بضم الدال .

(3) انظر ما ورد عنه في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ١٦٩ والطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ٣ : ٨٩ — ٩١ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٨ ومعجم البلاغة العربية ٩٥٠ . وجوهر الكنز لابن الأثير الحلبي (ت: د. سلام) : ٢٨١ .

على معنيين ، كقولك « فلانٌ يرغب في ودادِك ، ويرغب عن بعادِك » ، وكقول الشّاعر :

أوَمَا تنظرين بـــالله قلـــبي | يشتكي شوقَه إليك إليك
لو عَرفْت الهوى عذرت ولكن | هان لما خفى عليك عليك
فارحمِي قلْبَ عاشقٍ مسْتهامٍ | هو رهن بما لديْك لدْيك

فأصَّل في كل بيتٍ كلمةً ثم فرّعها إلى مقصد آخر .

وقال عبد الله بنُ المعتز : إنَّ الجاحظ سمى هذا النوع المذهبَ الكلامي ، وأنّه فحص عنه في كتاب الله تعالى فلم يقع فيه نقل شيء منه ، وذلك لأنَّ فيه تكلُّفاً لا يحسن أن يكون إلاّ من البشَرِ تعالى الله عن ذلك . ومثّله بقول عبد الله ابن العباس لعمر بن الخطاب وقد قال له من يرى أن يوليه حمص ، قال « وَلِّها رجلاً صحيحاً لك صحيحاً منك » ، قال : فكُن أنتَ ذلكَ الرجلُ . قال : لا ينتفع بي مع سُوء ظني بك وسوء ظنِّك بي . وقول الفرزدق :

لكل آمرىءٍ نفسان : نفسٌ كريمـــةٌ
وأخرى يُعاصِيها الفتَى [1] ويُطِيعُهُا
ونفسُكَ من نفسيْكَ تشفع للنّدى
إذا قلَّ من أَحرْارِهنَّ شفيعُهَا [2]

---

(١) في الأصل « أو يطيعها » .

(٢) ديوانه (بيروت ١٩٦٦) ١ : ٤١٥ وفيه « أو يطيعها » ونهاية الارب (دار الكتب) ٧ : ١١٤ ومعجم البلاغة العربية ١ : ٢٧٦ وفيهما « ويطيعها » .

ومن هذا الباب قول اليزيديّ [1] للمأمون يعتذر :

البِرُّ بي منك وطّأ العذرُ عنْدك لـي
فيما فعلْتُ فلم تعدِل ولم تلِـم

وقام علمك بي فاحتج عنـدك لي
مقامُ شاهد عدْلٍ غيْر متّهـم

وقول أبي نواس :

إنّ هـذا يَـرى ولا رأي للأحمـق إنّي أعـدّه إنْسانـاً
ذاك في الظنّ عنْدَه وهو عندي كالذي لم يكن وإنْ كانـا [2]

وقول الطّائي [3] :

المجْدُ لا يرضى [بأن ترضى] [4] بأنْ
يرضى آمروٌ يرجوك إلاّ بالرِّضَا [5]

---

(1) أبو محمد اليزيدي يحيى بن المبارك ، عالم بالعربية والآداب . اتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب ولده المأمون وعاش إلى أيام خلافته . وكانت وفاته بخراسان ٢٠٢ هـ وله ٧٤ سنة . (المزهر) ٢ : ٤٦٢ وقد نسب إلى خاله يزيد بن منصور ، لصحبته إياه (المزهر) ٢ : ٤٤٦ .

(2) لم أجدهما في هذه الطبعات من ديوانه : (دار صادر ـ بيروت) . (ط. الحميدية ١٣٢٢ هـ) . (ت: أحمد الغزالي) .

(3) هو أبو تمام .

(4) سقطت من الأصل .

(5) ديوانه (ت: عبده عزام) ٢ : ٣٠٧ ، وورد البيت في البديع (نشرة خفاجي) : ١٨٦ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٨٧ ، وشطره الثاني :

يرضـى المؤمـل منـك إلا بالرضـا

وورد في معجم البلاغة العربية : ٥٦١ ، وشطره الثاني :

يرضى المعاشـر منـك إلا بالرضـا

وقول ابراهم بن العباس :

وعلّمتني كيفَ الهوى وجهلتَــــه
وعلّمكم صبْري على ظُلمِكم ظُلْمي

وأعلم ما لي عِنْدكم فيميــلُ بي
هوايَ إلى جهْلي فأعرضُ عن علمي [1]

وقول ابن المعتز :

أسْرَفــتُ في كتمـــــاني وذاكَ منّـــي دهــــاني
كتَمـــتُ حبّكَ حـــتى كتَمْتُــه كِتمــــاني
فلـــم [2] يكــن ليَ بـــدٌ من ذكرِه بلســــاني [3]

ذكر الترديد [4]

اختلف البديعيون في الترديد ، فقال عبد الله بن المعتز : رد إعجاز الكلام

---

(١) البيتان في معجم البلاغة العربية ١ : ٢٧٧ وآخر كلمة في البيت الثاني « حلمي » .

(٢) في البديع : « ولم » .

(٣) ديوانه (صادر وبيروت ١٩٦١) : ٤٢٥ وقد ذكر الأول هكذا :

اسـرفت في الكتمـان وذاك ممـا دهـاني

ووردت الأبيات في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٧٩ وفي البديع (نشرة خفاجي) : ٦٨٧ . وفيهما : « في الكتمان » موضع « في كتماني » .

(٤) انظر ما ورد عنه في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ١٦٤ ومعجم البلاغة العربية ١ : ٢٩٧ و ٢٩٨ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٣٣٣ ـ ٣٣٦ والطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ٣ : ٨٢ و ٨٣ ونهاية الأرب ٧ : ١٤١ وانظر « رد اعجاز الكلام على ما تقدمها » في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٧٧ والكافي (ت: الحساني) : ١٩١ وجوهر الكنز (ت: د. سلام) : ٢٦٠ .

على صدورِه ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، أحدها ــ أن يوافقَ آخرُ كلمةٍ في البيت آخرُ كلمةٍ في نصْفِه ، مثل قول الشاعر :

يُلقَى إذا مـا الأمر كان عَـرمـْرَمـا

في جيشِ رأى لا يفلُّ عـَرَمـْرَمِ [1]

وثانيهما ــ أن يوافق آخر كلمة في البيت أوّل كلمةٍ منه ، كقول الشاعر [2] :

سريعٌ إلى آبن العم يشتِمُ عِرْضَه

وليس إلى داعي النّدى بسَريعِ [3]

وثالثها ــ أن يوافقَ آخر كلمة منه بعض ما فيه ، كقول الآخر :

---

(١) ورد غير منسوب إلى قائله في خزانة الأدب لابن حجة (الخيرية بمصر) : ١١٥ وجاء الشطر الاول فيها على هذا النحو :

* يلفى إذا ما كان يوم عرمرم *

وفي شرح بديعية الباعونية (على هامش الخزانة) : ٣٣٥ والشطر فيها على هذا النحو ، غير ان (يلفى) وردت بالقاف لا بالفاء ، وفي البديع (نشرة خفاجي) : ٦٧٧ وفي الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٨٥ وفيهما « تلقى » موضع « يلقى » وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٣ ورواية الشطر الأول

* يلفى إذا ما الجيش كان عرمرماً *

(٢) هو الاقيشر الاسدي .

(٣) نهاية الارب (دار الكتب) ٧ : ١٠٩ وورد البيت في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ١١٥ ومعاهد التنصيص (بولاق) : ٤٥٨ وفيهما « يلطم وجهه » موضع « يشتم عرضه » . كما ورد في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٧٧ دون عزو ونسبه المحقق إلى الاقيشر الاسدي . وورد في معجم البلاغة العربية ١ : ٢٩١ بهذه الرواية وورد مرة أخرى في ١ : ٢٩٣ وشطره الأول :

* سريع إلى ابن العم يلطم وجهه *

عميـــد بني سُلَيم أقْصَدَتْـــهُ
سِهـامُ الموتِ وهي له سِهَام (1)

وقال أبو علي الحاتمي : الترديد أنْ تعلق اللفظةُ في البيت بمعنىً ثم يردّها متعلقةً بمعنىً آخر . قال : وهو مذهب المحدثين ، ومثّله بقول أبي حية (2) النميري :

ألا حَيِّ من أجْلِ الحبيبِ المغانيــا
لبِسْنَ آلبِلى مما لبسْنَ اللّياليَـــا
إذا ما تَقَاضَى المرءَ يومٌ وليلــةٌ
تقاضاه شيءٌ لا يَملُّ التقاضِيَا (3)

وبقول زهير :

من يلقَ يوماً على علاّته هَرَمـــاً
يلق السّماحةَ منه والنّدى خُلُقا (4)

---

(1) ورد البيت في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٣ غير منسوب . وفيه « عزيز » موضع « عميد » وورد كذلك غير منسوب في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٧٧ ونسبه المحقق إلى الأشجع السلمي .

(2) اسمه الهيثم بن الربيع ، شاعر مشهور مخضرم . توفي سنة ١٦٠ هـ .

(3) ورد البيتان في المؤتلف والمختلف (ت: فراج) : ١٤٥ ، وفي طبقات الشعراء لابن المعتز (ت: فراج ط٢) : ١٤٤ . وفي أولهما « بعد » مكان « أجل » . وورد البيت الأول في البديع (نشرة خفاجي) : ٧١٤ وورد الثاني في التمثيل والمحاضرة (ت: الحلو) : ٢٤٤ وقد وردا في معجم البلاغة العربية مسبوقين بقول المؤلف « والعلماء بالشعر مجمعون على تقديم أبي حية النميري ، وتسليم فضيلة هذا الباب [أي الترديد] إليه في قوله :» (وذكر البيتين) .

(4) شعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٥٣٠ وفيه : إن تلق .. تلق ، ونهاية الأرب ٧ : ١٤١ .

وبقول الباهلي :

لقَدْ مَلأت عيني بغــرِّ مَحاســـنٍ
مَلأنَ فؤادي اوعــةً وهمومـــاً

والترديد عند أبي علي الفارسي ليس من هذا النوع في شيء ، وإنّما هو أن يأتي بكلمتين حروفُ أحدهما بعضُ حروف الأخرى ، مثل : كتاب وتاب ، وشباب وباب ، وعذاب وذاب ، وهذا قد دخل في أقسام الترجيع الستّة التي تقدم ذِكرُها . وردّ أعجاز الكلام على صدورِه يقع في فصول المنثورِ كما يقع في آيات المنظوم .

ذكر التّصدير [1]

قال بعض البديعيين : التّصديرُ أن يأتي الشاعر بلفْظةٍ في صدْر البيتِ ، ثم يعيدَها في عجزِه أو نصفِه الأول ، ثم يردّها في نصفِه الآخر ، وإن ذلك ليسهل الطريق إلى المعرفة بقوافي الشعرِ قبلَ مرورها على الأسماع . وهذا شبيه بالترديد ، إلاّ أن الفرق بينهما أن الترديدَ تعــود فيه اللفظة متعلقـــةً بغير المعنى الذي دلت عليه أوّلاً ، والتصدير تعود فيه اللفظةُ وهي متعلّقة بالمعنى بعيْنِه . كقول الشاعر [2] :

وكنت سَناماً في فزارةَ تامِكـــاً
وفي كــلِّ حيٍّ ذرْوة وسنـــامُ [3]

---

(1) انظر ما ورد عنه في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ١١٤ ومعجم البلاغة العربية ١ : ٤١. والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٣ و ٤ وجوهر الكنز : ٢٥٢ وصور البديع ٢ : ٨٩ ـ ٩٩ .

(٢) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي .

(٣) ورد البيت في سر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ١٥٢ .

وقول جرير :

سَقى الرمْلَ جَوْنٌ مُسْتَهِلٌ ربابُهُ

وما ذاك إلاّ حُبٌّ مَنْ حلّ بالرْملِ [1]

على أن عبد الله بن المعتزّ قد انتظم النوعين فيما مثّل به في باب التّرديد ولم يفرق بينهما .

ذكر التّسميط [2]

التّسميط أن يتوخّى تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على حُكم السجع أو ما يشابهه ، أو من جنسٍ واحد في التصريف والتمثيل . وهو كثير في الشعر القديم والمحدث .

وإنّما ذهبوا فيه هذا المذهبَ لأن بنية الشعر إنّما هي التسجيع والتقفية ، فلما كان الشعر أكثر اشتمالاً عليهما كان أدخل في باب الشعر ، إلا أنه لا ينبغي أن يستكثِرَ منه ، فإنّه إنّما يحسن إذا وقع نادراً في البيت . ومنه قولُ امرىء القيس :

---

(١) ديوانه (دار صادر ــ وبيروت) : ٣٧٠ ، وديوانه (بشرح ابن حبيب) : ٩٤٨ وديوانه (نشرة الصاوي) : ٤٦٠ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨١ .

(٢) انظر ما ورد عنه في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٤٣٤ ومعجم البلاغة العربية ١ : ٣٤٢ والطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ٣ : ٩٧ ــ ٩٩ ونهاية الأرب ٧ : ١٤٧ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٩٦ .

رَقاقُهَا ضَرِمٌ وَلحْمُهَا زِيَمٌ

وجريها حذمٌ والبطن مقْبوبُ [1]

وقول الطائي :

ومنْ فاحمٍ جَعْدٍ ومن كَفَلٍ نَهْدٍ

ومِن قمر سَعْدٍ ومن نائلٍ ثَمْدِ [2]

وهذا الباب هو ترصيعُ الموازنة على مذهب أبي علي الفارسي . وقد ذكرناه في باب التّرصيع ، وإنما أعدناه ههنا لأنا وجدنا جماعة من البديعيين قد جعلوه باباً مفرداً قائماً بنفسه وأوقعوا عليه هذا النعت .

ذكر التّضمين [3]

قد جرت عادةُ الشعراء [أن] تتضمّن أشعارهم الأبيات النادرة . والحكم في ذلك كالحكم في تضمينها للأمثال السائرة ، وذلك لأن البيت الشرود إذا وضع في موضعه [اكتسب] من الطلاوة ما ليس لبيت يصوغه الشاعر في معناه ، ومن الدلالة على الغرض ما لا يقاربه غيره في وضوحه . وتنخّل ما يوضع من ذلك في مواضعه إنما يفتقر فيه إلى جودة الاختيار [4] والمعرفة بما يستحقه كلّ

(١) قد مر هذا البيت (انظر ص ٢٧٢) .

(٢) ديوانه (ت: عبده عزام) ٢ : ١١١ .

(٣) انظر ما اورده العسكري بشأنه (الصناعتين ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ٢٠٠ – ٢٠٥ ومعجم البلاغة العربية ١ : ٤٣٥ و ٤٣٦ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٨٤ – ٨٩ والكافي (ت: الحساني) : ١٩٦ وانظر « حسن التضمين » في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٩٦ وجوهر الكنز : ٢٦٢ .

(٤) في الأصل : الاخبار .

معنى . وقد ضمّن بعضهم البيتَ ونصفَه وربعَه والكلمةَ منه ، وذلك على حسب ما يقتضيه الموضع . ومن مُستحسن التضمين قولُ بعضِهم [1] :

خُلِقْتُ على باب ٱلأميرِ كأنني
قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

وقول ابن الروميّ :

قال لي غَمرُها وقد دارَسَتْني
لا تُعرِّج بدارجِ ٱلأطلالِ

وقول الآخر :

عوِّذ لمّا بِتُّ ضيفاً له أقْراصَهُ بُخْلاً بياسينِ
فَبِتُّ والأرضُ فراشي وقد غنّتْ «قِفَا نَبْكِ» مصاريني [2]

وقول أبي نواس :

---

(١) قال ابن رشيق : أظنه الصولي . وأتبع البيت بثلاثة أبيات هي :

إذا جئت أشكو طول ضيق وفاقة يقولون لا تهلك أسى وتحمل
ففاضت دموع العين من سوء ردّهم على النحر حتى بل دمعي محملي
لقد طال ترددادي وقصدي إليكم فهل عند رسم دارس من معول

(العمدة : ت: محيي الدين) ٢ : ٨٦ .
ونقل عنه مؤلف « معجم البلاغة العربية » ١ : ٤٣٩ .

(٢) أوردهما أبو هلال في الصناعتين غير منسوبين إلى القائل . انظر ص ٣٦ (ت: البجاوي وأبي الفضل) وكذا وردا في معجم البلاغة العربية ١ : ٤٣٧ دون عزو . وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٨٨ ونهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ١٢٦ وفيهما « منى » موضع « بخلا » والبديع (نشرة خفاجي) : ٦٩٧ .

وَمُسْمِعَةٍ متى ما شئت غنّتْ :

متى كان الخِيامُ بذي طُلُوحِ [1]

وقول الحماسي :

وقائلة والدّمعُ سكْبٌ مبادِرٌ
وقد شرقتْ بالماء منها المحاجِرُ

وقد أبصرَتْ حمان من بعْدِ أُنْسِها
بنا وهي منّا موحشات دَوَاثِرُ

كأن لم يكن بينَ الحجونِ إلى الصَّفا
أنيسٌ ولم يسْمُر بمكّةَ سامرُ

فقلت لها والقلب مني كأنّما
تقلّبه بين الجناحين طائِرُ

بلى نحنُ كنّا أهلَها فأبادَنَا
صروفُ اللّيالي والدهورُ الغَوابِرُ

ذكر توكيد المدح بما يشبه الذم[2]

قال الحاتمي : وأول من آختَرعه النابغة [3] فقال :

---

(1) ديوانه (ت: أحمد الغزالي) : ٧١ و (ط. الحميدية المصرية) : ٢٢٧ و (دار صادر - بيروت) : ١٥٠ وفي الجميع « إذا ما شئت » .

(2) انظر « ذكر المدح في معرض الذم » بخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٤١٩ وانظر « تأكيد المدح بما يشبه الذم » في معجم البلاغة العربية ١ : ٢٥ وفي نهاية الأرب ٧ : ١٢١ وفي البديع (نشرة خفاجي) : ٤ ، وفي جوهر الكنز : ٢٠٦ .

(3) هو الذبياني .

ولا عيب فيهــم غير أنّ سيوفَهُــمْ
بهِنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائبِ [1]

وقال أيضاً :

فتىً كَمُلَتْ أخلاقُــهُ غــير أنّهُ
جوادٌ ، فلا يُبقي من المــالِ باقيا [2]
فتىً تمّ فيه ما يَسُرُّ صديقَـــهُ
على أنّ فيه ما يسُوءُ الأعاديا [3]

وقال حاتم الطائيُّ :

ومــا تشتكيني جارتي غيْرَ أنني [4]
إذا غابَ عنها بَعْلُها لا أزورُهــا

(1) ديوانه (ت: البستاني) : ١١ و (ت: عطوي) : ٥١ وديوانه (نشر محمد شريف سليم ــ القاهرة) : ٤٤٢ وديوانه (دار الفكر) : ٦٠ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٦٤٧ وخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٤١٩ والبديع (نشرة خفاجي) : ٦٩٤ ومنهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ٣٥٠ ونهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ١١٢ والكافي (ت: الحساني) : ١٨٩ وجوهر الكنز : ٢٠٦ ، والبيت من قصيدة له قالها في أبي سهل بن نوبخت .

(2) انظر ديوانه (ت: البستاني) : ١٢٧ و (ت: عطوي) : ١٠٢ والشطر الثاني فيه : « جواد ، فما يبقى على المال باقياً » .

(3) كذا في الديوان وردت الكلمتان الأخيرتان على هذا النحو « .. ما يسيء المعاديا » ؛ كما جاء فيه هذا البيت قبل سابقه . وانظر شعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٣٧٠ وفيه البيت الثاني قبل الأول . وجاء البيتان على صورة الاصل وترتيبه في جوهر الكنز : ٢٠٦ . وقد ورد البيت الأول في كتاب البديع منسوباً إلى الجعدي . انظره في (نشرة خفاجي) : ٦٩٤ .

(4) ديوان حاتم (دار صادر ــ بيروت ط٢) : ٦٣ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ١٢٢ =

وقــول الآخر :

ولا عيبَ فيهــم غيرَ شح نسائِهــــم
ومن السماحَةِ أن يكنَّ شحاحَـــا

ذكر الاستطراد [1]

الاستِطْراد مأخوذ من طرادِ الخيل ، وهو خروجها من مِقْنب إلى مِقْنب من غير آنفصال ، لأنها إذا انفصلت زال عنها اسم الطراد ، لأن الشاعر يمرّ في مدْح أو ذم ٍ فبينا هو كذلك إذ استطرد بغيره مما له تعلق؛فمنه الخروجُ إلى المدح ، كقول زُهَيْر :

إنَّ البخيلَ مَلومٌ حيثُ كــانَ ولـــ
كِنَّ الجَوَادَ على عِلاّتهِ هَرِمُ [2]

= وفيهما : « غير أنها » . والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٤٩ وفيه « تشتكيني » .
وذكر ابن رشيق بعده البيت التالي :

سـيبلغها خـيري ويرجـع أهلهـا   إليها ولـم تقصـر عـلى سـتورها

واعقبه بقوله :

« لمـا كـان في تـرك الزيـارة اشـكال بـين مـراده »

ونهاية الارب (دار الكتب) ٧ : ١٢٢ وفيه « ولا تشتكيني » .

(١) انظر (الاستطراد) في : الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ٣٩٨ وخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٤٤ ومعجم البلاغة العربية ١ : ٤٥٩ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٣٩ ـ ٤١ والطراز (ط. المقتطف) ٣ : ١١ ونهاية الارب ٧ : ١١٩ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٨ .

(٢) ورد عدا ديوانه في الاشتقاق لابن دريد ص ٢٨٨ وفي المستقصى للزمخشري (حيدر آباد ١٩٦٦) ١ : ٥٦ وفي شعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٥٣٦ وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٤٠ وفي البديع (نشرة خفاجي) : ٦٩٣ .

ومنه الخروج إلى الهجو ، كقول الآخَر :

إذا ما اتّقى اللهَ الفتى وأطاعه
فليس به بأسٌ[1] وإن كان من جَرْمِ[2]

وقول بشار[3] :

خليليَّ من كعبٍ[4] أعينا أخاكُما
على دَهْرِه إنَّ الكريمَ مُعينُ

ولا تَبْخلا بُخْلَ ابن قَزْعَةَ إنّه
مخافَةَ أن يُرْجَى نداه حزينُ[5]

إذا جئْتَهُ في حاجةٍ سدَّ بابَه[6]
فلم تَلْقَه إلا وأنتَ كَمينُ

وقول أبي العتاهية[7] :

---

(1) في الأصل « باس » .

(2) ورد في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٤٥ ، ومعجم البلاغة العربية ١ : ١٩٨ دون نسبة إلى قائله .

(3) ديوانه (نشرة الطاهر بن عاشور) ٤ : ٢١١ ، نقلا عن « الكامل » ١ : ٢٣٣ ويوجد بين البيتين الثاني والثالث بيتان . وديوانه (ت: العلوي) ٢٢٠ و ٢٢١ .

(4) في معجم البلاغة العربية « جرم » .

(5) ورد هذا البيت والذي يليه في طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦ . وفي أولهما « فلا » مكان « ولا » ، وفي ثانيهما « للعرف أغلق » مكان « في حاجة سد » .

(6) في معجم البلاغة العربية ١ : ١٩٨ « في الحق اغلق » . وفي ديوانه (ت: العلوي) « في الخلق اغلق » .

(7) لم أجده في ديوانه (طبعة بيروت ١٩٦٤) ونسب في الكافي (ت: الحساني) : ١٨٨ إلى أبي الشمقمق ، ونسب في الشعر والشعراء (الحلبي ١٩٦٤) : ٨١٣ إلى مسلم بن الوليد . وهو في ديوانه (ليدن) : ٢٧٠ ، وشرح ديوانه (ت: الدهان) : ٢٧٠ .

وأحبَبْتُ من أجلها [1] البـــاخليـ

نَ حتى ومَقتُ «ابنَ سَلْمٍ سعيدا »

إذا سيلَ عُرْفاً كسا وجْهَـــه

ثياباً من اللُّؤْم [2] صفْراً [3] وسُوداَ

وقال اسحاق الموصلي [4] يصفُ السُكْرَ :

فما ذرَّ قرنُ الشمس حتى رأيتنـــا

من الغيِّ نحكي أحْمَدَ بن هشامِ

وقول سعيدِ بنِ حميدٍ :

يا ذا الذي يُنْكِرُ ودّي لـــه ويدّعي غـدري وهجراني

أأجحد العهـدَ الذي بيننـــا وأصحب النّعمى بكُفْرانِ

صبحني اللهُ إذاً غاديـــــا بوجه وَهْبِ بنِ سُليمـــانِ

وقول بعض الكتاب وأوهم أنّه يعاتبُ جاريةً :

اسْكتِي لا تكلّمي يا فتوحيـــة الفـــمِ

ليْسَ خلقٌ بمشتريك على ذا بدِرْهمِ

ظَهَرتْ دولةُ اللّواطِ بيحيى بنِ أكثمِ

وقول أبي تمام يهجو عثمانَ بن إدريس البسّامي :

---

(١) في شرح ديوانه ، وفي الكافي : « من حبها » .

(٢) في الأصل « اللوم » .

(٣) في شرح ديوانه « حمرا » .

(٤) اسحاق بن ابراهيم . صنع كتاباً في النغم واللحون (المزهر ١ : ٨١) .

وسـابح هطِـل التعداء هتّـان
على الجِـراء أمين غير خـوان

أظمى الفصوصِ ولم تظمأ[1] قوائمـه
فخـلّ عينيك في ظمآن ريـان

فلو تراه مُشيحـاً والحصى رثـم
بين السنابك من مثنى ووُحـدان

أيقنـت إن لم تَثبَّتْ أنّ حـافره
من صخر تدمر أو من وجه عثمـانِ[2]

وقول البحتري[3] :

وأغَرَّ في الزَّمَنِ البهـيم مُحَجّـلٍ
قد رُحْتُ مِنْه[4] على أغرَّ مُحَجَّلِ

كالهَيْكَـلِ المبْنِيِّ إلا أنّـهُ
في الحُسْن جاء كصورةٍ في هيكـل

مَلَكَ العيـونَ فإن بدا أعطيتـه[5]
نَظَرَ المُحِبُّ إلى الحبيب المُقبـل

---

(١) في الاصل « وما تطمى » .

(٢) ديوانه (ت: عبده عزام) ٤ : ٤٣٤ وفي ثالث الأبيات « فِلَق تحت السنابك » . وأول الرابع « حَلفتَ » .

(٣) من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى العمي الكاتب (راجع ديوانه ت: الصيرفي) ٣ : ١٧٤١ .

(٤) في الأصل « عنـه » .

(٥) في الأصل « أعطيته » .

ما إن يعافُ قذىً ولـو أوْرَدْتَهُ
يوماً خلائقَ حَمْدَوَيْهِ الأحْـوَلِ [1]

ذكر المماثلة [2]

قال عبد الله بن المعتزّ : المماثلة أن يؤتى بحرفين لفظهُما مختلفٌ ومعناهما متفقٌ إرادة التوكيد ، كما قال الحطيئة :

ألا حبّذا هِنْدٌ وأرضٌ بها هنـدُ
وهندٌ أتى من دونها النأيُ والبُعْدُ [3]

فالنأي والبعد لفظهما مختلفٌ ومعناهما متفق . وهذا يدخل في باب ترديد الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد لتوكيده . وهو كثيرٌ في الكلام .

---

(١) ديوانه (ت: الصيرفي) ٣ : ١٧٤٤ ، ١٧٤٥ ، ١٧٤٨ .
وارقام هذه الابيات في القصيدة : ١٢ ، ١٣ ، ٣١ ، ١٨ .
وقد وردت الابيات الثلاثة الاخيرة على ترتيب الاصل في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٤٥ كما ورد البيتان الاولان في معجم البلاغة العربية .

(٢) انظر (المماثلة) وأمثلتها وما عيب فيها في : الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ٣٥٣ ـ ٣٥٦ وانظرها كذلك في : خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٢٧٠ وفي الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٢ ، وفي معجم البلاغة العربية : ٨٤٦ .

(٣) البيت في الديوان ص ٣٩ ويذكر محققوه أن هذا البيت والذي قبله وهو :
ألا طرقتنا بعدما هجدوا هنـد وقد سرن خمسـاً وأتلأب بنا نجـد
هما أول القصيدة في رواية خالد بن كلثوم ، وأثبتهما السكري ، ولم يروهما يعقوب .
وورد البيت غير معزو في معجم البلاغة العربية ١ : ١٠٠ وفي الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ١٠٨ .

ذكر الهزل المراد به الجد [1]

قال عبد الله بن المعتز : وهو مثل قولِ أبي العتاهية :

أرْقيكَ ، أرقيكَ ، بسمِ اللهِ ، أرْقيكا
من بُخْلِ نفْسٍ لعلَّ اللهَ يشفيكـــا

ما سِلْمُ نفسِكَ إلاّ من يتاركها [2]
ولا عَدوّكَ إلاّ مَنْ يُرَجِّيكا [3]

وقول أبي نواس :

إذا ما تميميٌّ أتـــاك مُفاخِـــرا [4]
فقُلْ : عَدِّ عن ذا ، كيفَ أكْلُكَ للضَّبِ [5]

وقول الفضلِ بن الربيع :

---

(١) انظر ما ورد عنه في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٥٦ وفي البديع (نشرة خفاجي) : ٦٩٥ وفي الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٩٩ وفي معجم البلاغة العربية : ٩٠٧ وفي جوهر الكنز : ٢١١ .

(٢) في الأصل « نباركها » .

(٣) وقد ورد في ديوانه (بيروت ١٩٦٤) : ٤٦٦ على هذا النحـو :

أرقيك ، أرقيك . بسم الله ، أرقيكا — مـن بخـل نفسـك علَّ الله يشفيها

ما سلـم كفـك ، إلا مـن يناولها — ولا عـدوك إلا مـن يرجيهـا

وفي خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر : ٥٦) مثل هذا ، غير أن نهاية الأول « يشفيكا » ونهاية الثاني « برجيكا » . وفي البديع (نشرة خفاجي) : ٦٩٥ وفيه « يتاركها » كما ذكرنا في الأصل . وفي معجم البلاغة العربية : ٩٠٧ وفيه « من كل نفس » وضع « من بخل نفس » .

(٤) في الأصل « مسالمًا » مكان « مفاخراً » .

(٥) ديوانه (ت: أحمد الغزالي) : ٥١٠ و (دار صادر ــ بيروت) : ٩٠ و (آصاف) : =

ولي حُرَمٌ ولا تتغـــطَّ عنهـــا
لتدفعَ [1] حقّهـــا دفعَ الغَـــريمِ

تغافلُ [2] لي كـــأنك واسطـــيٌّ
وبيتك بيْن زمْزم والحطيم [3]

ذكر الاستثناء [4]

قال عبد الله بن المعتز : هو أن يقولَ المتكلم قولاً مطلقاً ثم يستثنى منه بعضَه ، كقول أبي نواس في الأمين :

= ١٥٩ و (ط. الحميدية ١٣٢٢ هـ) : ١٣٠ وطبقات الشعراء لابن المعتز (ت: عبد الستار فراج) : ٢٠٠ وخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٥٦ وأورده العلوي في الطراز مثالا للهزل الذي يراد به الجد (انظر طبعة المقتطف ١٩١٤) ٣ : ٨٢ وكذا أورده ابن المعتز في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٩٥ والنويري في نهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ١٢٤ ومعاهد التنصيص (التجارية بمصر) : ١٥٦ ومعجم البلاغة العربية : ٩٠٧ وجوهر الكنز ٢١٢ .

(١) في الأصل « ليدافع » .

(٢) في الأصل « تعاقل » .

(٣) ورد البيتان في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٩٥ ومعجم البلاغة العربية : ٩٠٧ وفيهما « فلا تتغط » موضع « ولا تتغط » .

(٤) انظر (الاستثناء) وضربيه في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ٤٠٨ ومعجم البلاغة العربية ١ : ١٣١ ـ ١٣٣ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٤٨ ـ ٥٠ والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٩ وجوهر الكنز : ٢٤٦ وتحرير التحبير : ٣٣٣ .

يا خير من كـــان ومـــن يكـــون

إلا النـــبيّ الطــــاهر الميمـــونُ

إمــــام عـــدل مـــا له قـــرين

أستغفـِرُ الله ! بلى ... هــــرون [1]

وقول الآخـــر :

أليس قليـــلاً نظرة أن نظرتهـــا

إليك وكـــلا ليس منك قليـــلُ [2]

ذكر التفويف [3]

قال البديعيون : التفويف أن يكون الكلام حسن الروي ، طيب القرى ، متحلّياً برونق الفصاحةِ ، عاطلاً من البشاعة ، طاهر المعنى لا يحتاج إلى

---

(1) ورد هذان البيتان في ديوانه (ت: أحمد الفزالي) : ٤١٣ و (نشرة دار صادر ـ بيروت) : ٦٤٦ و (ط. الحميدية) : ٩٦ ضمن أبيات ثلاثة هي :

ولـــي عهـد ما لـه قريـــن ... ولا لـه شـــبه ولا خديـــن

استغفر الله ! بلى .. هارون ... يا خـير من كان ، ومـن يكون

إلا النبـي الطاهـــر الميمـون ... ذلت بك الدنيا ، وعز الديـن

وفي الأخير « ذلت لك » وليس « بك » . ووردا في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٩١ بالصورة المذكورة في الأصل غير أن « الميمون » في نهاية البيت الاول وردت « الأمين » .

(2) مر البيت في ص ٣٤٠ .

(3) انظر ما ورد عنه في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ١١١ وفي الطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ٣ : ٨٤ ـ ٨٦ ونهاية الأرب ٧ : ١٤١ والكافي للبريزي (ت: الحساني) : ١٩٤ ومعجم البلاغة العربية : ٦٦٧ .

تكلّف في استيخراجه ، مشتمل على كثير من الصّنعتين البلاغية والبديعية اشتمال سهولةٍ من غير توعّر وطبْع من غير تكلّف . وهذه العبارة تدل على انتظام هذا الباب بجميع الكلام البين البليغ الملائم والاختصار منه على أمثلة مع استفاضته .

هذا آخرُ ما وقع إليّ من أنواع البديع الذي إذا استعملها مؤلّفو الكلامِ فيما يؤلّفونه بغير تكلّفٍ ولا تعسف رتبت معانيهم وزيّنت مبانيهم وقضت بتقبّل الأسماع والقلوب لهما . وقد استوفينا القولَ عليها وعلى الخلاف الواقعِ فيها . ونحن لذلك نتعدى هذا الباب إلى ما يتلوه بمشيئةِ الله وعونِهِ .

الباب الخامس

فيما يُخْرِجُ الكلام عن أحكام البلاغة

وكما أرشدْنا فيما شرحناه إلى ترتيب الكلام وحسن التأليف والنظام فكذا يستحبّ أن نحذر من أضدادهما ، ونضع أمثلةً في الأقسام التي تحيل المعاني عن حقائقها وتزيل الألفاظ عن مراتبها ، لتجتنب ويحمد الله على السلامة منها ، فنقول :

إنّ الأشياءَ التي تخرج الكلام عن أحكام البلاغة تنتظم في ثلاثة أقسام : قسم يخصّ الألفاظ ، وقسم يخصّ المعاني ، وقسم يخصّ المركب منهما .

فأمّا القسم الذي يخص الألفاظ فينقسم إلى ثمانية أنواع ، وهي : استعمال الحوشي والمنـــافر والملحون ، والاستعارتان[1] القبيحة والمعيبة ، والتعقيد ، والتطويل ، والتجميع ، والتكرير ، والمعاظلة ، والتجنيس المعيب .

وأما القسم الذي يخص المعاني فينقسم إلى عشرة أنواع وهي : المستحيل ، والممتنع ، والمتناقض ، وفساد التقسيم ، وفساد المقابلة ، وفساد التفسير ،

(١) في الأصل « والاستعارتين » .

ونسبُ الشيءِ إلى ما ليس له ، والتطبيق المعيب ، والتخليط ، وتحريف الاسم عن موضعه .

وأما القسم الذي يخصّ التركيب من الألفاظ والمعاني فينقسم إلى أحد عشر نوعاً ، وهي : الإخلال ، عكس الإخلال ، الانتقال ، الهذر والتبعيد ، تكلّف القافية والسجع ، القلب ، المبتور ، اللفظ المشترك ، الحشو غير المفيد ، الترديد المعيب ، التوسيع المعيب .

ونحن قائلون على كل قسمٍ وما يتضمّنه من الأنواع بما فيه كفاية وإقناع إن شاء الله تعالى :

القسم الأول في عيوب الألفاظ

وهو ثمانية أنواع

ذكر الحوشي [1] والنافر والملحون

من عيوب الألفاظِ أن تكون نسْعةً مستوخمةً ، قبيحة المخرج ثقيلةً في المسمع ، حوشية وحشية ، منافرة لما جرت به العادة في الاستعمال ، قد قصد فيها إلى التقعر والتعمق والتفاصح والتشدق ، مباينة لما شرطنا استعماله منها فيما تقدّم ، لأنّ هذا الصنف من الكلام يكسف نورَ المعاني ويغض من روائها . وقد كان يستثقلُ والزمن زمنُ الفصاحة فكيف به اليوْمَ وقد عُدم من يأنس بالسهْلِ فضلاً عن المهجور والمهمل – أو أن تكون ملحونةً معدولاً بها عن سبيل الإعراب والمذهب الذي بني عليه الكلام .

(1) قال ابن رشيق « ويقال للوحشي أيضاً : حوشيّ ، كأنه منسوب إلى الحوش ، وهي بقايا إبل وبار بأرض قد غلبت عليها الجن فعمرتها ونفت عنها الإنس ، لا يطؤها إنسي إلا خبلوه . قال رؤبة : * جرت رجالا من بلاد الحوش *
(العمدة . ت: محيي) ٢ : ٢٦٥ .

وليس ما يقع في هذا الباب مما يحتاج إلى تمثيل ، لأن ما هذه صفتُه من الكلام معروف لا يخفى عمّن نظر في كلام الناس .

ذكر الاستعارتين القبيحة والمعيبة

أما الاستعارة القبيحة فهي التي [١] تخلو من جميع وجوه البلاغة أو أكثرها ، وتكون دلالتها على المعنى دون دلالة . وقد مثّلناها في باب الاستعارة بقول الشـــاعر :

اسْفِري للعيون يا ضرّةَ الشمس

ودللنا على بُعد هذه الاستعارة من جميع طرقِ البلاغة ، فإن الغلط إنّما تمّ عليه لاعتقاده أن الضرّة لا تكون إلا وضيئة جميلة .

وأما الاستعارة المعيبة فقد مثّلها عبدُ الله بن المعتز، فمنها قولُ بعضِهم[٢] :

زُمّ العزاء[٣] غداة زم جمالِهم ... فحدا الحداة به مـعَ الأجمالِ

والحادثات متى فغرن لغصـــتي ... لقمتهن شجا بوخذ جمالي[٤] .

قال : وقال المهلّبُ لرجل من الأزد « مذ متى أنت ؟ » فقال « أكلت من حياة رسول الله سنتين » فقال « أطعمك اللهُ لحمك » . وقولُ آخـــر لصاحبه :

---

(١) في الأصل : الذي .
(٢) هو علي بن عاصم العبدي الأصفهاني (٩١ المؤتلف) .
(٣) في الأصل « العرا » .
(٤) ورد البيتان في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٤٤ .

وقولُ شاعرٍ يُعزِي :

خطُوبُ المَنَايا صرّحت عن مواهب
مواهب أجْرٍ من نتاج المصائِبِ [1]

ومن الاستعارة القبيحة قول بعضِ السعديين [2] :

سأمنعُهَا [أوْ سوف] [3] أجعَلُ أمرَها
إلى ملكٍ أظْلافُهُ لم تُشقَّقِ

فاستعار الأظلاف للرجل ولا أظلافَ له . وقول الحطيئة :

سقوا جارَكَ العَيْمَانَ لما أتاهم
وقصّر عن بَرْدِ الشراب [4] مشافرُه [5]

(١) ورد البيت في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٣٣ غير معزو .

(٢) البيت ورد في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٠١ غير معزو . وكذا في الموازنة (ت: محيي الدين) : ٤٠ و (ت: صقر) ١ : ٤٤ وسر الفصاحة : ٢٦ وذكر محققه (الصعيدي) أنه من قول عقفان بن قيس بن عاصم .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط في الأصل ، والتكملة من المراجع السابقة .

(٤) في الأصل : الشباب .

(٥) البيت في الديوان (دار صادر - بيروت ١٩٦٧) : ٢٥ وقد ورد على هذه الصورة :

قروا جارك العيمان لما تركته وقلص عن برد الشراب مشافره

والموازنة (ت: محيي الدين) : ٤٠ و (ت: صقر) : ٤٤ والرواية في النشرتين كرواية الديوان عدا « تركته » فموضعها في الموازنة « جفوته » . والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٠١ وشطره الأول فيها :

* سقوا جارك العيمان لما جفوته *

فاستعار المشافرَ للرجل ولا مشافر له ، وإنّما المشافر للإبل . وقد تحسن هذه
الاستعارة إذا استُعملت في الرجل على وجْهِ الذّمِ . ويجوز استعمالُها عند
الحاجة لإقامةِ وزن الشعر لأن من يسمعُها يعْرفها ، كما يقولون في الرجُل
« إنه لعريضُ البطانِ » ولا بطانَ له يسدّ عليه وإنما يريدون عرض وسطه ،
ويقولون « [حرّك] [1] حساسه فغضب » [2] وإنما يحرك حساس البعير ، يريدون أنه
حرّك منه ما غضب لأجلِه . فقد استنابوا كثيرا من أسماء أعضاءِ بعض الحيوان
عن بعْض اتّساعاً .

ذكر التعقيد [3]

التعقيد أن تكون الألفاظ متعسّفَة متكلفةً ، متوعرة متعسّرة ، لا تدلّ
على المعاني التي تحتها إلا بفحص طويل وبحث كثير . وقد ذكره بشر بن
المعتمر في وصيّتِه في البلاغة فقال : « وإياك والتوعّر ، فإنه يسْلك بك إلى
التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويمنعُك مراميك » . والتعقيد ضدُّ
البيان ونقيضه ، كما أن التخليط ضدّ الترتيبِ ونقيضه .

ذكر التطويل [4]

التطويل على ضربين : أحدهما — الإسْهاب والإكثار من ترديد الألفاظ

---

(1) رايت من الانسب ان يكون هنا ما ذكرت .
(2) في الاصل « فغصب » .
(3) انظر ما ورد عنه في معجم البلاغة العربية : ٥٥٩ .
(4) انظر ما ورد عنه في معجم البلاغة العربية ١ : ٤٨٥ .

على المعنى الحقير الذي يكفي في الإبانة عنه اللفظ اليسير . والثاني — أن يؤتى بالجزء الأول طويلاً فيحتاج إلى إطالة الجزء الثاني ضرورةً فيضْطربُ ويظهرُ عليه أثر التكلّفِ ، كما كتب ابراهيم بن مُدبر في التعزية : « إذا كان للمحزون في لقاء مثلِهِ أكبر الراحة في العاجل » فلما أطال في الجزء الأول احتاج إلى الإطالة في الثاني فقال : « وكان الحزن رائنا إذا رُجع إلى الحقائق وغير زائل » فصار في الكلام شاهدُ التكلف بقوله « وغير زائل » ولحقتْه عناية بتضريس ألفاظ الجزءين وطولهمـــا .

ذكر التجميع [1]

التجميع في المنثور أن يختلفَ مقطعا الجزءين ويتنافرا في النظم ، كما كتب بعضهم « وصل كتابُك فوصل به ما يستعبدُ الحرَّ وإن كان قديم العبودية ، ويستغرق الشّكرَ وإن فضْلك لم يبق شيئاً منه » فالمقطع على (العبوديّة) منافرٌ للمقطع على (منه) .

والتجميع في المنظوم أن تكون قافية المصراع على رويٍ فيعرض بأنّ قافيةَ البيت يحسنه فيأتي بخلافِه كما قال الشاعر [2] :

تذكّرتُ ليلى لاتَ حينَ ادّكارُهـــا

وقد حُنِي الأصلاب ضلاً بتضلالِ [3]

---

(1) انظر ما ورد عنه في معجم البلاغة العربية ١ : ١٥١ و ١٥٢ .

(2) هو عمرو بن شاش .

(3) ورد في معجم البلاغة العربية ١ : ١٥١ كما ورد في سر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ١٧٩ وفي صور البديع : ٢ وفيه « الأضلاع ضَل » موضع « الاصلاب ضلا » .

فهذا ما يشك السامع أنّ قافيته رائية فجاءت بخلاف ذلك . وقد مثل فيما سلَفَ أيضاً .

ذكر التكرير [1]

التكرير يكون بإعادة الكلمات أنفسها وحروف الصّلاتِ والرباطات . فأمّا إعادة الكلماتِ أنفسها فمثل قول بعضِهم « ومثل بين ما يملك فلم يجد شيئاً يفي بحقِك ورأى أن تقريظَك بما يبلغُه اللسانُ وإن كان مقصِّراً عن حقك أبلغ في أداء ما يجبُ لك » فأعاد (حقّك) في مثل هذا المقدار اليسير مرتين. فأما إعادةُ حروف الصِّلاتِ والرباطات فإنّ أهونَها عيناً إذا كان منها حرفانِ قط ، مثل : (له عليه) للاضطرار وكرر الاستعمال ، فأمّا (له منه) أو (منه عليه) أو (به له) وما جرى هذا المجرى ففيه قبح ، وسبيله إذا وقع أن يحتال في فصْل ما بين الحرفين بكلمة ، مثل أن يحتاج إلى قولك «أقمت شهيداً به عليه » فتقول « أقمتُ عليه شهيداً به » . ومن هذا النوع ما يستعملُه كثيرٌ من الناس ، وسبيله أن يُجتنب ،وهو قولُهم «لفلان وله بي حرمةٌ حاجة » والطريق إلى إصلاح هذا وما يناسبه أن تقول «لفلان وأنا أحافظُ على حرمه حاجة » أو غير هذا، ممّا لا توالي فيه بين (له وله) و (به وبه) و (عليه وعليه) في نحو قولك « بفلان فاقةٌ وبه حاجةٌ إلى لقائك» و «على فلان دينٌ وعليه عيال كثير » .

---

(1) انظر « التكرير » في المثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٢ : ٣ - ٤٠ و « التكرار » في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ١٦٤ وفي الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٨٩ وفي معجم البلاغة العربية : ٧٥٣ .

ذكر المعاظلة [1]

المُعاظلةُ هي التي وصف عمرُ زهيراً بمجانبتهِ إياها فقال : « كان [2] لا يُعَاظل بين الكلام ولا يتبعُ حوشيّه » . والمعاظلة في اللُّغةِ : تداخُلُ الشيء في الشيء ، وما انتظامُ القولِ واتّساقه إلاّ من المحمود المستَحسن ، ويوشك أن يكون المراد بهذا القول أنه لا يدخل شيء في غير جنْسِهِ ولا كلام في غير سلكِهِ مما ينافرُه ولا يليق به .

ذكر التجنيس المعيب [3]

التّجنيسُ المعيب هو ما تكلّف فجاء نافراً . وقد مثّله ابنُ المعتز بأمثلةٍ كثيرة ، فمنها قولُ بعضِهم [4] :

---

(1) انظر (المعاظلة اللفظية) في المثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ١ : ٣٩٦ – ٤٠٩ و (المعاظلة المعنوية) في ٢ : ٢٢٦ – ٢٣٠ من المرجع نفسه . و (المعاظلة) في كتاب الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ١٦٢ – ١٦٥ ، وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٢٦٤ و ٢٦٥ وفي الطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ٣ : ٥٠ – ٥٨ وفي معجم البلاغة العربية : ٥٤٧ .

(2) سقطت من السطر في الأصل فكتبت فوق ما يجب أن يكون مكانها مردفة ب « صح » .

(3) انظر (مما عيب في التجنيس) في كتاب الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ط١) : ٣٣٤ وانظر (ومن التجنيس المعيب) في كتاب البديع (نشرة خفاجي) : ٦٥٨ .

(4) في البديع قائله منصور بن الفرج . وهو شاعر عباسي عاصر ابن المعتز وتوفي في أوائل القرن الثالث . وفي الصناعتين : انشده ابن المعتز ولم اجده في ديوانه (صادر وبيروت ١٩٦١) . وانظره في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٥٨ وقد ساقه مثالا للتجنيس المعيب في الشعر وفيه « منك » موضع « منــه » وانظره في الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٣٣٦ وفيه « مَنكم » موضع « منه » .

أكابدُ منــه ألــيمَ الألَـمْ فقد أنْحلَ الجسْمَ بعد الجَسَمْ

وقول آخر :

كم رأسِ رأسٍ بكى من غير مقْلتِهِ
دماً وتحسِبُه بالقاعِ مُبْتسِمــاً (١)

وقول الآخر (٢) :

هي الجآذِرُ إلاّ أنّهــا حـــورُ
كأنّهـــا صُوَر لكنّهـــا صُـــورُ

نورُ الحجالِ ولكن من مَعايبهــا
إذطلبت هواها أنّهـــا (٣) نُـــورُ

غيداءُ لو بُلَّ طرفُ البابليّ بهـــا
لارتدَّ وهو بعين السِّحـــر مسحور

إنّ الرواح حكى رَوْحَ العراق لنــا
أصلاً وقدفـَصَا تَـتْ من مكةَ العيرُ

(١) ورد في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٣٦ غير معزو : وفيه « تحسبه » بفتح السين . والوجهان جائزان . كما ورد دون عزو في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٥٩ .

(٢) هو ابراهيم أبو الفرج البندينجي بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر . وهو شاعر عباسي عاش إلى آخر القرن الثالث الهجري .
انظر الأبيات في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢٣٦ وفيه « جلا » موضع « حكى » في البيت الرابع ، وفي البديع (نشرة خفاجي) : ٦٥٩ وفيه « بغير » موضع « بعين » في البيت الثالث .

(٣) في الأصل « اطسب هواها انه » .

تشكو العقوقَ وقد عقَّ العقيق لهــا

وأرض [1] عُرْوَةَ من بطحان فالنيِّر

يحتَثُّها كل زَوْل [2] دأبُـــه دأبٌ

من طول شوْقٍ وهجِّيراه تهجــــيرُ

مقورة الآلِ من خوض الفْــلاة إذا

ما آعتمَّ بالآلِ في أرجائها القُورُ

وقد تضمّنت هذه الأبياتُ وما بعدَها ألفاظاً تنتظِم في الترصيع على مذهب أبي علي الفارسي ، وفي التجنيس على مذهب ابنِ المعتز والحاتمي .

---

(١) في الاصل « فأرض » .

(٢) في الاصل « درك » والذي اثبتناه هو ما ورد في الصناعتين وفي البديع

القسم الثاني وهو عيوب المعـاني

عشرة أنواع

ذكر المستحيل والممتنع والمتناقض [1]

المستحيل هو ما لا يوجدُ ولا يمكن مع ارتفاع وجوده أن يتصوّر في الذهن ، كالقائم والقاعِد في حالة واحدة ، والأسود والأبيض في حالةٍ واحدة . والممتنع هو ما لا يوجد أيضاً إلا أنه مع ارتفاع وجودِه يمكن أن يتخيّل بمنزلة حيوان مركب الجملة من أعضاء عِدّة من أنواع الحيوان . والمتناقض ما جمع

المعا بلة من واحدة ، ني بل من أربعة : إما على

يق ا كالأب بن والمولى ، على طريق ا كالأسود

ين ني المتقا ر جهة والمعا تتقا الملكة والعدم كأوجه للأعمى

طر لإضافة ، على اللا للعبْد وإما ثبات مثل زيد حا لتضادّ زيد ليس

للأبيض بحاضر والحا والثلاث المقابلات الفا الأول وإمّا على تقع طريق مع المعاني ، والرابعُ يقع لمصير في الألفاظ .

والموسر للفقير وإما طريق النفي والإ ضر و

(1) انظر « الاستحالة والتناقض » في معجم البلاغة العربية ١ ٢١٨ — ٢٢٢ .

وإنّما أدخلت في المعاني لأنّ من يعدم اللفظ كالأخرس يمكنُه بالإيماءِ أن يدل على الإثبات والنفي والإيجابِ والسلْبِ. ومعنى قولنا «من جهةواحدة» هو أن تجعل مثلاً في باب المضافِ رجلاً [1] أبا لزيد وابناً له، وعبْداً لعمروٍ ومولىً له، ويجعل في باب التّضاد شيء ما فاتر بارداً عند البارد، وشيء ما أربد أبيض عند الأبيض، ويجعل[في] [2] باب الملكة والعَدَم رجل أعمى الطّرفِ بصيره، ويجعل في باب النفي والإثبات رجلاً حاضراً غائباً في وقت واحد. فأما إن تقابلت من جهتين مختلفتين فليس ذلك بتناقض، مثل أن تجعل رجلاً أباً لزيدٍ وابناً لعمروٍ، وعبداً لرجلٍ ومولى لآخَرَ، وشيئاً فاتِراً عند البارِدِ وبارداً عند المحرق، وإنساناً أعمى الطرفِ بصير القلبِ، أو فقيراً من شيءٍ موسراً من شيءٍ، وزيداً غائباً الساعةَ حاضراً في وقت آخَرَ، لأن التّقابُلَ فيها ليس من جهة واحدة. وهذه الثّلاثة الأقسام، أعني الاستحالةَ والامتناع والتناقض، من أقبح عيوب المعاني المعبّر عنها بمنثور الكلام ومنظومه. وينبغي لمن تحلّى بالصناعةِ أن يتجنبها ويتحرّز منها.

ومن الاستحالة والتّناقضِ قولُ أبي نواسٍ يصفُ الخمرَ [3]:

كأنّ بقايا ما عفَا من حبابِهـا تفاريقُ شيبٍ فيسَوادِ عِذَارِ [4]

---

(1) في النص « رجل » وصححت في الهامش حيث كتبت « رجلا » مردفة بـ « صح ».

(2) سقطع من الناسخ فزدناها، لان السياق يستدعي وجودها.

(3) والبيتان من قصيدة في مدح العباس بن عبيد الله بن المنصور، ومطلعها:

ديـار نـوار ما ديـار نـوار كسونك شجوا هن منه عوار

(4) ديوانه (ت: أحمد الغزالي) : ٤٣٥ و (دار صادر – بيروت) ٣١٢ و (طبعة التقدم) : ١٥٩. ولم يرد هذا البيت والتالي له في (ط. الحميدية ١٣٢٢ هـ).

فشبّه حبابَ الكأس بالشيبْ ، وهو جائزٌ لأن الحباب يشبه الشيْبَ في البياض وحده . ثم قال :

تردّتْ به ثم انْفَرَى عن أديمِهـــا
تَفَرِّيَ ليْلٍ عن بياضِ نهارِ [1]

فالحبابَ الذي جعله في البيت الثاني كالليلِ هو الذي جعلَه في البيت الأول أبيضَ كالشيّب ، والخمّر التي كانت في البيت الأول [مُشبهة] بسواد العذارِ هي التي جعلها في البيت الثاني كبياض النهار . وليس في هذا التناقض وجهٌ من العذر .

ذكر فساد التقسيم [2]

تقسيمُ الكلامِ يفسُد بأحد ثلاثة أشياء : إمّا بالزيادة ، أو النقص ، أو التداخـــل .

فأما الزيادة فهي تكرير ما لا يحتاج اليه ، مثل ما كتَبَ به بعضهم إلى عاملٍ : « فكـّرت مرةً في صرْفك ومرّةً في عزلك » لأن الصرف والعزل بمعـــنىً .

---

(١) ديوانه (ت: أحمد الغزالي) : ٤٣٥ و (دار صادر ـ بيروت) : ٣١٢ وفيهما « انفرت عن أديمه » . وروي في معجم البلاغة العربية ١ : ٢٢٠ برواية الأصل .

(٢) انظر (صحة التقسيم وفساده) : في المثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ١٦٦ ـ ١٧٧ و (التقسيم) : في خزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ٣٦٢ و (من عيوب القسمة) في كتاب الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٤٢ ـ ٣٤٤ و (فساد التقسيم) في معجم البلاغة العربية : ٦٤٤ .

وأما النقص فهو [1] الاخلالُ ببعض الأقسام، مثل قول بعضِهم في كتابه: « إذا كان الكافي لا يخلو من عمارة يستَحدثُها، أو جبانة يعمرها أو يستأنِفُها، أو مؤونة يزيلها ويحذفها، أو نفقة يحط ما يستغني عنه منها» لأنه قد ترك بعضَ الأقسام، وهو المقابلُ في الارتفاع لما ذكره في النفقة من توفير بعضِها، لأنه قد أتى بإزاءِ استئناف جبانةٍ بحذف مؤونةٍ ووجب أن يكون بازاء حطة من النفقات الموجودة زيادة في الأصول المجموعةِ حتى يستوفي الأقسام [2] ويأتي عليها، وإلاّ وقع الإخلال ببعض ما لا يغني عن ذِكْرِه.

وأما التّداخل فهو أن يتداخل بعض الأقسام في بعض، مثل ما كتب به بعضُهم في فتح: « فمن بين جريح يضرّج بدمائه، وهارب لا يلتفت إلى ورائِه » والهارب قد يكون جَريحاً، والجريح قد يكون هارباً، وهذا تداخل

ذكر فساد المقابلة [3]

المقابلة تفسُد بأن يذكرَ معنى يقتضي الحال ذكر ما يوافقه أو يعانده فيأتي بما لا يوافق ولا يعاند. وهو قبيح في البلاغة، ومثالُه أن يقول: « أتاني الأسود

---

(1) كررت في النص مرتين: مرة في آخر السطر، ومرة في أول الذي يليه. وهو سهو من الناسخ.

(2) ضبطت في النص بالكسر، وهو خطأ.

(3) انظر المقابلة) في المثل السائر (تح. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ١٤٤ ـ ١٥٣ وخزانة ابحجة (الخيرية بمصر) : ٥٧ وكتاب الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل ـ ط٢ : ٣٣٧ ـ ٣٤٠ وانظر (فساد المقابلات) في معجم البلاغة العربية : ٦٤٣.

والأسمر » ، لأن الأسود لا يعاند الأسمرَ غايةَ العناد . وكذلك لو قلت : « ما صاحبت شريراً ولا سارقاً » . وإنما صحة المقابلَةِ أن تقول : « أتاني الأسود والأبيض » و « ما صاحبت خيِّراً ولا شرّيراً » فيتعادل الطّرفان . ومثل ذلك أن تقول في وصْف إنسان « إنه عالم أدعجُ الطّرفِ » أو «شجاع بارد الظّلم» لأن هذه الصفات لا يوافق بعضُها بعضاً . ومن هذا الباب قولُ القرشي [1] :

يا ابنَ خيْرِ الأخْيارِ من عبْد شمْسٍ
أنت زين الدنيا [2] وغيث الجنودِ [3]

فليس قوله « زين الدنيا » مخالفاً لـ « غيث الجنود » ولا موافقاً له .

وقول الآخر [4] :

فيأيُّها الحيرانُ في ظُلَمِ الدُّجَى
ومن خاف أن يلقاه بغيٌ من العِدَا [5]

إبو عدي .

(١) سقط النصف الثاني من هذه الكامة .

(٢) كتبت في الاصل « الوجود » وصححت في الهامش ب « الجنود » وكذا حدث في هذه

(٣) الكلمة في السطر الذي يليه . وقد ورد البيت في سر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٥٩ كما ورد في منهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ٥٥ وشطره الثاني فيه :

* انت زين الدنيا وغيث الجود *

وفي نهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ١٠٢ وشطره الثاني فيه :

* أنت زين الدنيا وغيثٌ لجود *

(٤) ورد دون عزو في نهاية الأرب ٧ : ١٣٠ ، وفي الثاني « من نور وجهه » والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٤٧ وفيه « في ظلمة » موضع « في ظلم » ، و « من نور » موضع « من بشر » . والمثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) : ١٧٧ وفيه « في ظلمة » موضع « في ظلم » . ومنهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ٥٨ و ٥٩ ومعجم البلاغة العربية : ٦٤٢ .

(٥) في الاصل « العدى » .

تعالَ إليه تلْقَ من بشْرِ وجهِـــهِ
ضياءً ، ومن كفَّيْه بحراً من النّـــدَى

فعادل الضياءَ بالإظلام، وكان يجب أن يأتي في مقابلة بغي العدى بالنّصْرة أو ما جانسَها فلم يأت بذلك ، وجعل مكانه ذكر الندى ففسدت المقابلة.

ذكر فساد التفسير (١)

التفسير يفسُدُ بأن توضع معانٍ تقتضي شرْحاً فإذا شرحتْ عدل عما يقتضيه بزيادة أو نقصان ، ومنه ما كتب به بعضُهم : « ومن كان لأمير المؤمنين كما أنت له من الذبّ عن ثغورِه، والمسارعةِ إلى ما نهيت بِه من صغير خطبٍ وكبيره ، كان جديراً بنصْحِ أميرِ المؤمنين في أعماله ، والاجتهاد في تثمير أموالِه » فليس الذي قدّمه من وصْف العامل بالذب عن الثغور والمسارعة إلى الخطوب ممّا سبيلُه أن يفسّر بالنّصْح في الأعمال وتثمير الأموال، إذ كان ما قدّمه لا يلزم عليه ما فسّره به . ولو كان هذا الكاتبُ أضاف إلى ذكر الذّبِّ عن الثغور ذكر الحياطة في الأمور لكان في هذا الباب ما يجوز أن يفسر بالنصـــح .

(١) انظر « التفسير » في خزانة الأدب لابن حجة (الخيرية بمصر) : ٤٠٨ ويذكر أن هذا النوع من مستخرجات قدامة . وقد سماه قوم التبيين . وانظر « فساد التفسير » في معجم البلاغة العربية : ٦٤٢ .

ذكر نسب الشيء إلى ما ليس منه

وهو أن تصفَ شيئاً بما لا يستحقه من الصفة . ومنه قولُ خالد بن صفوان [1] :

وإن صورةٌ راقتك فاخبُرْ فرُبّما
أمرَّ مَذاقُ العودِ والعودُ أخضرُ [2]

أومى إلى أن سبيلَ العودِ الأخضر أن يكون عذْباً غير مرٍّ ، وهذا ليس بواجب ، لأنه ليس العود الأخضر بطعمٍ من الطعوم أولى منه بالآخر .

ذكر التطبيق المعيب

قال عبد الله بن المعتز [3] : من التطبيق المعيب قول الطائي [4] :

---

(1) في الأصل « ابن أبي صفوان » .

(2) ورد في سر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٣٢٦ ونقد الشعر (الجوائب) : ٨٥ ، كما ورد في منهاج البلغاء (ت: ابن الخوجة) : ١٤٦ ، ومعجم البلاغة العربية : ٨٧٣ ، وأوله فيهما « فإن » . وقد ورد باختلاف في الشطر الأول في ديوان دعبل (ت: د. يوسف نجم) : ٨١ .

(3) في « البديع » ص ٦٧٥ و ٦٧٦ (نشرة خفاجي) .

(4) في « البديع » نسب البيتان واللذان يليهما إلى الأخيطل ، وهو محمد بن عبد الله بن شعيب ، قدم بغداد ومدح محمد بن عبد الله بن طاهر ، وهو ظريف مليح الشعراء ، يسلك طريق أبي تمام ويحذو حذوه (تاريخ بغداد) ٥ : ٤٢٢ ومعجم الشعراء (ت: فراج) : ٣٧٦ وانظر : طبقات ابن المعتز (ت: عبد الستار) : ٤١١ و ٤١٢ . ولهذا الشاعر أبيات نسبت للقصافي الأصفر ، كما أن للقصافي أبيات نسبت للأخيطل (انظر ص ٤٦٢ ثم ٤٦٣ من المرجع الأخير) . ومن المرجح أنها للأخيطل كما ذكر صاحب البديع ، وبخاصة أنني لم أجدها في ديوان الطائي بشرح التبريزي (ت: عزام) . والبيتان وردا أيضاً دون عزو في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣١٩ .

كم جحْفلٍ طارت قدامى خيْلــهِ
خلّفتــه يومَ الردى منتوفَــــا

أعلمتَ بابك [1] وهو رأسٌ أنّهُ
سيكون بعْدَك حافراً ووَظيفا [2]

وقوله [3] في الخمرِ :

ورمَى النديمُ بماءِ مزْن رأسهـــا
فرمتْهُ من أضغانها [4] في الـــرَّاسِ

وحسـا [5] مصونتها فأرخَتْ نفْسَهَا
حتى آحتستْ بالسكر نفْسَ الحاسِي

وقول [6] بعض الشعراء [7] :

مَنْ كان يعلم رِقّةُ
كيفَ هو مقْطعُــأنِ الهواءَ ثخـينُ [8]

وقول الطائي :

(١) في الصناعتين : « أعلمت نابك » .

(٢) في الأصل « ووطيفا » .

(٣) وكذا نسب هذان البيتان في « البديع » للأخيطل . انظر ص ٦٧٥ (نشرة خفاجي) .

(٤) في الأصل « أضغائها » .

(٥) في الأصل « وحست » .

(٦) في الأصل « ولقول » وهو غير متناسب .

(٧) هو القاسم بن عبد الله . وقد ورد في الصناعتين غير منسوب إلى قائله . ص ٣١٩ وكذا في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٧٦ .

(٨) في الأصل «يحين» . والمذكور هو ما ورد في الصناعتين وفي البديع . وهو المناسب للمعنى.

وإذا [1] الصنْع كان [وَ حشاً فَمُلِّيتَ بر] (2)

غشم الزمـــانِ صُنْعاً ربيبـــا

وقول الآخر [3] :

وجعلْتَ مالك دون عرضك جنّـــةً

إذْ عرضُ غيرك لا يقيـــه بعـــود

ذكر التخليط

التخليط نقيض الترتيب ، ومصْرفه في الكلام مقابلته لمنفعةِ الترتيب، ولما كثر في الكلام سقط عن درجة البيان وخرج عن حكم البلاغة. وهو يكون بالتقديم والتأخير، ووضع الشيء في الموضع الذي لا يليق به ولا يناسبه . وقد أغنى ما شرحنا فيما تقدم من قوانين الترتيب وأوضاعه إذا عرف على حقيقته في المعرفة بنقيضه عن تفسيرٍ وتمثيل .

تحريف الاسم عن موضعه

إذا حرّف الاسم عن موضعه دلّ على خلافِ ما يدل عليه إذا وضع في موضعهِ وأحالَ المعنى . وقد استعمل هذا بعضُ الشعراء اضطراراً لإقامة

(1) في البديع « » وفي الديوان بشرح التبريزي « وإذا » كما في الأصل . فإذا (ت: عزام) 1 : 173 وفي في الأصل « » . و

(2) البيت في ديوانه بشرح التبريزي ... الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : 319 .

(3) نسبه في البديع لبعض المحدثين انظره في البديع (نشرة خفاجي) : 676 وفيه « بقوة » موضع « بعود » في نهاية البيت .

الوزن فقال :

وسائلــةٍ بثَعْلَبَةَ بنِ سيْرٍ وقد علقتْ بثعلبةَ العَلُوقُ (١)

وإنّما هو ابن سيّارٍ .وقال أوسُ (٢) :

فهل لكمُ فيهـــا إليّ فإنّـــني

طبيبٌ بما أعيا النِّطاسِيَّ حِذْيَما (٣)

وإنما أراد ابن حِذْيم ، وهو طبيبٌ كان في الجاهليّة (٤) .

---

(١) ورد صدر هذا البيت في المزهر ٢ : ٥٠٠ دون نسبة إلى قائل ، وذكر المحققون عجزه دون اسم قائله . كما ورد غير معزو في نهاية الأرب ٧ : ١٨٧ والعلوق (بفتح العين) : المنية .

(٢) هو أوس بن حجر . كنيته : أبو شريح .
انظر ترجمته وشيئاً من أخباره في (المزهر ٢ : ٤٧٧) .

(٣) البيت ورد ذكره في المزهر ٢ : ٥٠٣ على هذه الصورة . ورواية اللسان : « أعطى » بدل « أعيا » وورد في المستقصى للزمخشري ١ : ٢٢٠ وفيه « فيما » موضع « فيها » .

(٤) من تيم الرباب ، ويضربون به المثل بالحذق في الطب ، فيقولون لمن أرادوا وصفه بذلك « أطب من ابن حذيم » هكذا ذكر جرجي زيدان ، ثم أورد بيت أوس . ولكنه ذكر اسمه في البيت . والمثل بالزاي لا بالذال (انظر ١ : ١٩٩) وفي المستقصى : ويروى « حذلم » .

القسم الثالث وهو عيوب المركب من الألفاظ والمعاني

أحد عشر نوعاً

ذكر الإخلال [1]

الإخلالُ أن نخلّ من اللفظ بما فيه استيفاء المعنى وتمام القصد ، مثل ما كتبَ بعضُهم به « فإنّ المعروفَ إذا زجا خير منه إذا توقّر وأبطأ » فأخلّ بذكر ما يتم به المعنى ، وهو ذكرُ القلّةِ . وما كتب به الآخرُ وهو « ما زال فلانٌ حتى أتلف مالَه وأهلك رجالَه . وقد كان هذا في الجهاد والإبلاءِ أحق بأهْل الحزْم وأوْلى » فأخلّ هذا الكاتبُ أيضاً بما فيه تمام المعنى . والذي يلوح في كلامه أنّه أراد أن إنفاقَ المال وإهلاك الرجال في الجهاد والحرب أفضل من ذلك في الموادعة والسّلام ، فلما أخلّ بذكر السلام والموادعة ابتتر المعنى وصار منقوصاً .

ومن ذلك قولُ بعضهم [2] :

(1) انظر ما ورد عنه في معجم البلاغة العربية ١ : ٢٥٢ .

(2) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود .

أعَاذِل عاجِلُ مالي إليّ أحبّ من الأكْثَرِ الرائثِ [1]

وإنّما كان يجب أن يقولَ : عاجل مالي مع القِلّةِ أحبّ إليّ من الأكْثرِ المبطيء .

ذكر عكس الإخلال

وهو أن يؤتى في الكلام بزيادةٍ تفسِدُ المعنى ، كما قال بعضهم «فإنّ الأمر والنهيَ لو ذقتهما طيبانِ» فقوله « لو ذقتهما »َ زيادة تفسِد المعنى [2] وتوهم أنه لو لم يذقْهما لم يكونا طيّبين ، وليس الطيّب والكريه إنما يكونان كذلك بذوق الذائق بل هما على هذه الحال بأنفُسهِما . ومثل هذا يقع كثيراً في كلام الدخلاءِ وحَشَوَة الصناعة .

ذكر الانتقال

الانتقال أن تُقَدَّمَ ألفاظ تقتضي جواباً بعدها بإعادةِ ما تقدم منها ، فلا يؤتى بالألفاظ بأعيانِها بل يُنْقَل المعنى الذي يدلّ على تلك الألفاظِ إلى ألفاظٍ أخَر ، كقول بعضِهم : « فإنّ من اقترفَ ذنباً عامداً واكتسب جرماً قاصداً

---

(1) ورد البيت في الموشح (ت: البجاوى) : ٣٦٣ وفي الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ١٨٨ والموازنة (ت: محيي الدين) : ١٥٩ و (ت: السيد صقر) ١ : ١٨٤ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٠٧ ، وروايته في الجميع :

أعاذل عاجـل ما أشـتهي ... أحـب من الأكثر الرائـث

(2) من قوله : كما قال بعضهم .. إلى هذه الكلمة سقط من السطر وقد كتبت في الهامش في سطرين رأسيين بعد أن اشير إلى مكانه في السطر .

لزِمَه ما جَنَاهُ وحاق به ما توخّاه» فنقل لفظي (الاقتراف) و (الاكتساب) إلى لفظي (الجناية) و (التوخّي) ، وكان أحْسنَ من ذلك وأصْنع أن يأتي بهما بأعيانهما فيقول « لزمَهُ ما اقترفَه وحاق به ما اكتسبَه » .

ذكر الهذر والتبعيد

من عيوب الكلام الهذَرُ والتبعيد لاسيما عند الحاجة إلى الإيجاز والتقريب . وهذا هو زيادةُ الألفاظِ على المعاني بالتكرير والترادُف من غير سبب يوجبُه . وأمثلة هذا الفن كثيرةٌ في كلام الدخلاءِ في الصناعة ومن يجاريهم .

ذكر تكلّف القافية والسجع

من عيوب الكلام المنظوم تكلُّف القافيةِ والسجع واجتلابهما لإقامة الشعر من غير أن تكون مرتبطةً بالمعنى ، كما قال أبو تمام :

كالظّبيةِ الأدْماءِ صافتْ فارتعتْ
زَهَرَ العرار الغضِّ والجثْجاثا [1]

فجميعُ هذا البيت مبنيٌ على طلب القافية ، إذ ليس في وصف الظبية إذا قُصِدَ لوصفها أكثر من أن يُقالَ : إنّها تعطُو الشجرَ رافعة رأسها وأنّه قد أصابها يسير ذُعْرٍ . فأمّا ارتعاؤها للجثجاث فلا زيادة له في وصف حسنها لاسيما والجثجاث ليس من المرْعَى .

---

(١) سبق ذكر هذا البيت . انظر ص ٢٠٨ .

ومن عيوب الكلام المنثور تكلفُ السّجع ِ واقتياد المعاني إليه واجتلاب الموازنة ِ من الألفاظ من غير أن تكون متعلقةً بمعنى الكلام . ويستدلّ على تكلّف ِ السجع بأحد أربعة ِ أشياء : منها — أن يكونَ الحرف لم يحتج إليه المعنى وإنمّا احتيج إليه لأجْل ِ السجع . ومنها — أن يترك الحرف الأولى بالموضع ليوضع فيه ما يطابق السجع . ومنها — أن لا يكون في الحرف فائدة سوى الموازنة . ومنها — أن يكونَ أحسن ما في الكلام توازنه وأسجاعهُ .

وهذا كاف ِ في معرفة أحكام ِ هذا الباب .

ذكر القلب [1]

العرب تستعمل القلْبَ في كلامها على وجوه ، فمنها أن تَصف [2] الشيء بضدّ صفتِه ِ للتطيّر أو للتفاؤل [3] ، كقولهم للديغ «سليمٌ» نظيراً من السقيم وتفاؤلاً بالسلامة ، وللمبالغة في الوصف ، كقولهم للشمس « جونة » لشدة بياضِها ، وللاستهزاء ، كقولهم للحبشي «أبو البيضاء ِ» ، ومن هذا قولُ قوم ِ شعيب ِ له «إنك لأنت الحليم الرشيد» [4] كما تقول للرجل تستجهله « يا عاقل» وتستخفّه «يا حليم» ، ومن ذلك تسميتهم للمتضادين باسْم واحد ِ والأصل واحدٌ ، كقولهم للصبح «صَريمٌ» والليل «صريمٌ» لأن كلّ واحد ِ

(١) انظر ما ورد عنه في الطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ٣ : ٩٤ — ٩٦ وأمالي المرتضى ١ : ٢١٦ وفيه كثير من شواهد القلب .

(٢) في الأصل : يصف .

(٣) في الأصل : للبعال .

(٤) سورة هود . الآية ٨٧ .

منهما ينصرم عن الآخر ، ومنها أن يؤخرون ويقدمون علماً بوضوح المعنى ، كقوله تعالى : « فلا تحسبنّ الله مخلفَ وعدِه رسُلَه » [1] لأن الإخلاف قد يقع بالرسُلِ وبالوعْدِ .

ومثلُه قولُ الشاعر :

تَرى الثّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظّلِّ [2] رأسَهُ
وسائرُهُ بادٍ إلى الشّمسِ أجْمَعُ [3]

أراد مُدخِل رأسِهِ الظلّ فقلبَ ، لأن الظِّل [4] التبس برأسه فصار كل واحدٍ منهما داخلاً في صاحبه . وهذا النوع يجوز استعماله في الشعر للضّرورة ، فأما الأنواع الأول فيجوز استعمالها في جميع الكلام .

فأما ما لا يجوز البتّةَ في نظمٍ ولا نثرٍ فهو ما قلب على الغَلَط ، كقول خِداش بن زهيرٍ [5] :

وتُرْكَبُ خيلٌ لا هوادةَ بينها
وتعصَى الرماح بالضَّيَاطِرةِ الحمْرِ [6]

---

(1) سورة ابراهيم . الآية ٤٧ .
(2) في الأصل : « النور » و « الطل » .
(3) ورد هذا البيت دون عزو في كتاب سيبويه وقد قال محققه : هارون (١ : ١٨١) : هذا البيت من الخمسين التي لم يعرف لها قائل . وأشار إلى وروده في تاويل مشكل القرآن ١٤٨ وأمالي المرتضى ١ : ٢١٦ ، والبيت وصف لهاجرة الجأت الثيران إلى كنسها فهي تدخل رؤسها في الظل لما تجده من شدة القيظ .
(4) في الأصل « الطل » .
(5) من قصيدة قالها في يوم شواحط ، وهو يوم لبني محارب بن خصفة على بني عامر بن صعصعة .
(6) جمهرة اشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٥١٩ وفيها : ـ

أي : يعصَى الضَّياطرة بالرماح . وهذا ما لا مدخل للتأويل الأول فيه ، لأنّ الرماحَ لا تعصى بالضياطرة ، وإنما يعصي الرجال بها أي يطعنون .

وقول الآخر [1] :

أسلمْتُـــــــه في دمشق كمــا   أسْلَمَتْ وَحْشِيّةٌ وَهَقَا [2]

أراد : كما أسْلَم وحشيّةً وهقٌ ، فقلب على الغلط . وقول عروة بن الورد :

ونركــب خيلا .. ..   ونعصــي الرمــاح .. ..

لسان العرب (ضطر) ، وفيه : وتركب ..   وتشقى الرماح .. ..

قال : قال ابن سيده : يجوز أن يكون عَنَى أن الرماح تشقى بهم ، أي انهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها ، ويجوز أن يكون على القلب ، أي تشقى الضياطرة الحمر بالرماح ، يعني أنهم يقتلون بها .

والضياطرة : الضخام الذين لا غناء عندهم . والهوادة : المصالحة والموادعة . ونعصي : نضرب ونطعن .

والموازنة (ت: محيي الدين) : ١٧٩ وفيها « وتركب خيلا .. .. وتشقى الرماح » .. و (ت: السيد صقر) ١ : ٢٠٩ وفيها « وتشقي الرماح » .

والصحاح (ض ط ر) وروايته :

وتلحق خيل لا هوادة بينها   وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وقال الجوهري : « أراد وتشقى الضياطرة بالرماح ، فقلبه » .

والبيت ـ كما ذكر السيد صقر محقق الموازنة ـ في تأويل مشكل القرآن ١٥٢ والصاحبي ١٧٢ والكامل ١ : ٢٧٤ وسر الفصاحة ١٠٦ والأضداد للسجستاني ١٥٣ وأمالي المرتضى ١ : ٤٦٦ والأضداد لابن الانباري ٨٥ وتفسير الطبري ١٧ : ٢٠ و ٢٠ : ٦٩ .

(١) هو عبد الله بن قيس الرقيات .

(٢) ديوانه (ت: د. محمد يوسف نجم) : ٥٣ وفيه : « أسلموها » مكان « أسلمته » . والأضداد لابن الانباري (الحسينية بمصر) : ٨٦ وفيه أن أبا عبيدة قال : معناه كما أسلم وهق وحشية ، وقال الاصمعي معناه كما أسلمت وحشية وهقا فنجت منــه ولم تقع فيه .

ولـــو أني شهدتُ أبا سُعــادٍ غَداةَ غدا بمهجته يفــوقُ
فديْتُ بنفسِهِ نفسي ومــالي وما آلوكَ إلا ما أُطيقُ [1]

أراد : فديتُ نفْسَه بنفسي ومالي ، فقَلَب .

ذكر المبتور [2]

من معيب الكلام المنظوم المبتور

وهو ما لا يقوم البيتُ بنفسه ويكون تمامـُه فيما يليه . ومنه قول الشاعر [3] :

---

(1) البيتان لم يردا في ديوانه المضموم إليه ديوان السموأل (دار صادر ـ دار بيروت ١٩٦٤) ولا في ديوانه (ت: عبد المعين الملوحي) وقد ذكر الأستاذ الملوحي في بداية نشرته أن تحقيقه الديوان تم حسب ثلاث نسخ مطبوعة .. ثم قال : ولم أستطع الحصول على نسخة من ديوان عروة من تحقيق الشيخ ابن أبي شنب ، بكلية الآداب بالجزائر ، ولعلها أن تكون أكثر الطبعات شعراً ، لأن الأستاذ الشيخ قد أضاف إليها ما عثر عليه من شعره في امهات الكتب . وأنا بدوري لم يتيسر لي الاطلاع على (نشرة الجزائر ١٩٢٦) ولكن الأخ الحبيب ابن الخوجة أورد في تحقيقه منهاج البلغاء رواية البيتين كما في هذه النشرة ، وكانت على النحو الآتي :

فإنـي لـو شـهدت أبـا معـاذ غـداة غـدا لمهجتـه يفـوق
فديـت بنفسـه نفسـي ومالـي وما آلـوه إلا مـا أطيـق

(ص ٢٠٥ من النشرة المذكورة) ، وأما رواية منهاج البلغاء (ص ١٨٤) فهي على هذه الصورة :

فلـو أنـي شـهدت أبـا معـاذ بمهجتـه غدائـذ يفـوق
فديـت بنفسـه نفسـي ومالـي فمـا آلـوك إلا مـا أطيـق

وورد في معجم البلاغة العربية : ٧٢٨ وجوهر الكنز : ٢٠١ منسوباً إلى عروة . وفي الجوهر « أبا سعاد » . كما أورده ابن أبي الاصبع في تحرير التحبير : ٢٢٣ ورواية العجز « وما آلوه إلا ما يطيق » .

(2) انظر ما ورد عن المبتور في معجم البلاغة العربية ١ : ٦٥ .

(3) هو أبو العتاهية . وقد وردت الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة (الوطنية ببيروت =

يا ذا الذي في الحب يلحى أمــا
والله لو حُمِّلتَ منْــهُ كَمَــا
حُمِّلتُ من حبٍّ رخيــمٍ لَمَــا
لمــتَ على الحب فــذرني ومــا
أطلبُ إنّي لســت أدْرِي بمـــا
قُتلتُ إلا أنــي بينمــــــا
أنا ببــابِ القصْرِ في بعضِمــا
أ طلد من قصر هم إذ رمَــى
شبـــــهُ غزالٍ بسهــــامٍ فما
أخطأ بالسّهــمِ ولكـنّمـــــا
عينـــــاه سهْمان لــــه كلّمــا
أراد قتْلِي بهمــا سَلّمَــا(١)

ـتصحيح بشير يموت) والبيت الاول هنا تلفيق من بيتين هناك . هما :

يا ذا الذي في الحــب يلحــى أمــا   تخشــى عقاب الله فينــا امــا
تعلــم أن الحــــب داء أمــا   والله لــو كلفــت منــه كمــا

والأنسب أن تكون الابيات لابن أبي ربيعة .

(١) اورد زكي مبارك هذه القطعة التي خلت من وحدة البيت في كتابه « النثر الفني » ٢ : ١٥٥ وذلك في معرض بيانه أن وحدة البيت ضرورة جداً لحفظ الموسيقا الشعرية . ولكن الرواية مختلفة في أكثر الأبيات فآثرت إيرادها ليظهر الفرق وليتضح ان رواية الأصل هنا هي الصائبة في بعض المواضع والمناسبة في بعضها الآخر :

يا ذا الذي في الحب يلحى أمــا   والله لــو كلفــت منــه كمــا
كلفــت مــن حــب رخيم لمــا   لمــت عــلى الحــب فذرني ومــا
القــى فانــي لســت ادري بمــا   بليــــت إلا انــــي بينمــا
انا بباب القصــر في بعــض مــا   اطــوف في قصــرهم إذ رمــى

ذكر المشترك [1]

اللفظ المشترك هو الذي يقع على معنيين فصاعداً ، فيوهم الشيءَ وغيْرَه ما لم يكن في المعنى دلالة عليه . وقد يستعملُ منه ما يطرق على مستعمْلِه هُزءَ المتَساحقين ويعود بانكشاف كلامه ، وإن كانت ألفاظه رائعةً ومعانيه بارعةً ، نحو قول أبي تمام :

خَشُنْتِ عليه أختَ [2] بني خُشَيْنِ [3]

فهذا وإن كان معناه حسناً ولفظه متجانساً فإن وصف امرأة بالخشونة قبيح ،

- قلبي غزال بسهام فما أخطا بها قلبي ، ولكنما
سهماه عينان له كلما أراد قتلي بهما سلما

ويشير زكي مبارك إلى ان هذا النوع من الشعر كان يسميه القدماء « المضمن » وهو عندهم من الشعر المعيب .

ووردت الأبيات كذلك في الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ١٦٦ مطابقة عدا « بالسهم » في البيت الخامس فقد وردت فيه « سهماه » . وقد أشار محققه إلى ورودها كلها في « تلقيب القوافي » لابن كيسان . وفي « مصارع العشاق » : ١٢٨ مع اختلاف الرواية . كما ورد البيتان الأول والثاني في اللسان ، مادة (ضمن) .

(١) انظر « المشاركة » في خزانة الأدب لابن حجة (الخيرية بمصر) : ٣٦٥ وانظر « المشترك » في معجم البلاغة العربية ١ : ٣٧٥ ـ ٣٧٧ .

(٢) في الأصل « على أخت » .

(٣) تمامه :

* وأنجح فيك قول العاذلين *

والبيت مطلع قصيدة يمدح فيها اسحاق بن ابراهيم ، ديوانه (ت: عبده عزام) ٣ : ٢٩٧ ، ومعجم الأدباء (مرجليوث) ٦ : ٥١٤ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٣٥ . والموازنة (ت: محيي الدين) : ٢٢٩ و ٣٩١ و (ت: صقر) ٢ : ٢٦٩ و ٤٤٣ . وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ١٨٨ . وبنو خشين قبيلة من اليمن .

وإن كان إلى غير هذا المذهب [1] ذهب .

وقد سبق إلى استعمال المشترك شعراء الجاهلية ، فقال عروة بن الورد :

أقول لقومٍ في الكنيف تروّحوا
عشيّةَ قلنا عند ماوان رزَّحُ

تنالوا المُنَى أو تبلغوا بنفوسكم
إلى مستراح من حِمامٍ مبرِّح [2]

فأتى بلفظتين مشتركتين من الكنيف والمستراح اللذين هما ما كنف واستريح إليه ، ومن الكنيف والمستراح اللذين هما اسمان من أسماء المذهب ، وهو قبيح جداً ، إلا أن عروة بن الورد أعذرُ من أبي تمام لأنه لا يعرف الاشتراك في الاسْمين ، ولا عذر لأبي تمام لأنه صانعٌ وله منزلة عالية في النقد ولا نتسمح له في وصفهِ امرأةً بالخشونة .

---

(١) سقطت هذه الكلمة من السطر في الاصل فكتبت راسية في الهامش واشير إلى مكانها بعلامة .

(٢) ديوانه المضموم إليه ديوال السموأل (دار صادر ــ دار بيروت ١٩٦٤) : ٢٣ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٩٠٣ وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ١٠١ . وقد روي البيتان في الثلاثة على هذه الصورة :

قلت لقوم ، في الكنيف ، تروحوا عشية بتنا عند ما وان ، رزح

تنالوا الغنى ، أو تبلغوا بنفوسكم إلى مستراح من حمام مبرح

ديوانه (شرح ابن السكيت ــ ت: الملوحي) : ٣٩ وفيه البيتان على الصورة السابقة ، غير أن التاء في « قلت » وردت مفتوحة . واغلب الظن ان ذلك خطأ مطبعي ، فقد ورد البيت ــ فيما ذكر من أخبار عروة ونسبه في صدر الديوان ص ٢١ ــ مضموم التاء .

ذكر الحشو غير المفيد [1]

الحشو غير المفيد أن يأتي الشاعر بكلمةٍ أو كلمتين لإقامة الوزن وهما غير مفيدتين في المعنى ، وهو مثل قولُ أبي العيال [2] :

ذكرتُ أخي فعاودني صُداع الرأسِ والوَصَبُ

فذكر الرأس مع الصُداع حشوٌ لا فائدة فيه . ومثلُ قول ديك الجنٍ :

فتنفّستْ في البيْت إذ مُزجَتْ

بالمـــاء وآستَلّتْ سنا اللّهبِ [3]

فذكره الماء مع المزاج حشو لا حاجة إليه ، لأنها لا تظن أنها تمزج بغيره .

الترديد [4] المعيب

قال عبد الله بن المعتز : المعيب من الترديد مثل قولِ ذي [5] نواس البجـــليّ [6] :

---

(١) انظر (أضرب الحشو) التي أوردها العسكري في (الصناعتين ت: د. الحوفي ود. طبانه): ٤٨ وانظر (الحشو) في معجم البلاغة العربية ١ : ٢٠٣ .

(٢) الهذلي . والبيت ورد في ديوان الهذليين (دار الكتب) : ٢ : ٢٤٢ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٣٥ .

(٣) ديوانه (ت: د. أحمد مطلوب ، وعبد الله الجبوري) : ٢٠٩ .

(٤) انظر « الترديد » في خزانة الأدب لابن حجة (الخيرية بمصر) : ١٦٤ .

(٥) في الأصل « أبى » والتصحيح عن (البديع ـ نشرة خفاجي) ولم اقف على هذا الشاعر .

(٦) في الأصل « البحلي » . وبجيلة : قبيلة من بني الهجيم من اليمن .

يتيّمني برقُ المباسمِ بالحمَى
ولا بارق إلاّ الكريمَ يتيمُه [1]

وقول منصور بنِ الفرج [2] :

زُرناك شوقاً ولو أنّ النّوى بَسطتْ
بُسْطَ الملا بيننا بعْداً لزُرْناكِ [3]

ذكر التوسيع المعيب

قال عبد الله بن المعتز : المعيبُ من هذا الباب قولُ بعضهم :

نعم منك كانت مثل لا إذ بلوتها
فما لنعم عندي على لاء[4] من فضلِ [5]

هذا آخرُ المعايب الواقعة في الأقسام الثلاثةِ ، أعني الألفاظ والمعاني والمركب ، قد شرحناها لتحذر وتجتنب ، كما أوضحنا المحاسن الواقعة فيها لتقصدَ وتُعْتَمَد . ومن الله التوفيق والهداية إلى سواء الطريق .

---

(١) ورد في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٨٣ .

(٢) في الأصل « الفرج » .

(٣) في الأصل « بعد الدرناك » . والبيت ورد في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٨٤ وفيه « زدناك » موضع « زرناك » في أول البيت . وكذا « نشرت » موضع « بسطت » .

(٤) في الأصل « لا لـ » .

(٥) ورد البيت في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٨٨ غير معزو .

الباب السادس

في أن الطبع قوامُ الصناعة ونظامُها
واحتذاء مذاهب السالفين فيها كمالُها وتمامُها

قول في الغرائز :

أول معاون هذه الصناعة الجليلةِ حصول القريحةِ الفاضلة ، والغريزة الكاملة التي هي هيُولَى الكمال ومنشأ التّمامِ والأساس الذي يُبْنى عليه والركن الذي يستند إليه ، فإنّ المرء قد يجتهد في تحصيل الآداب ، ويتوفّر على اقتناء العلوم والاكتساب ، ويكون غير مطبوع على تأليف الكلام ، فلا يفيده ما اكتسبه ، وقد يقصّر في الاقتباس فيلحق بأوْساط أهل الصّناعة إذا كان طبعُه سليماً وفكره مستقيماً ، لأن الطبعَ حظ يخص اللهُ تعالى به المطبوع دون المتطبّع ، والمناسب بغريزته للصناعة دون الغريب المتعسف . ولا سبيل إلى تقليل سماحة الطبع في قومٍ وكزازته في آخرين ، لما ذكرناه من كونه موْهبةً تخصّ ولا تعمّ وتوجد في الواحد وتفقد في الآخرِ وتحسب في

الدلالة [1] صناعة التأليفِ للمطبوع المناسب لها وإن ملّ حظّه من علمها ، واعتياصها على المتطبّع المباين لها وإن كان متوفر الحظ منها ، ما نراه من عجز كثير من العلماء باللغة والمهرة في معرفة حقائق الألفاظ عن تركيب بسائط الكلام الّتي قد قامتْ صورُ معانيه في نفوسهم وصعوبةِ الأمر عليهم في تأليفها ونظمها . وممّن كان بهذه الصفةِ الخليلُ بن أحمد ، مصنف كتاب الحروف المعروف بالعين ، وواضع العروض الّتي هي ميزان شعر العرب ، فإنّ المأثور عنه أنه لم يكن يتهيأ له تأليف الألفاظ العديدة [2] عنده الحاصلة المعاني في نفسه على صورة النظم إلا بمشقّة وصعوبة . وكان يقول إذا سئل عن إخلاله بنظم الشعر : « يأباني جيّدُه وأأبَى رديئَه» . مشيراً إلى أنّ طبعَه غيرُ مُساعدٍ له على التأليف المرضيّ الذي يحسن أن ينسب إلى مثله . وقيلَ للمفضّل الضبّي : لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به ؟ قال : علمي به يمنعني من قولـه . وأنشـد :

أبَى الشعرُ إلاّ أن يفيءَ رديئُـه ... عليَّ ، ويأبى منه ما كان محكَمَا
فيا ليتني إذ لم أجد حوكَ وشيـهِ ... ولم أكُ من وشائه كنت مفحما [3]

وأنشد أبو عبيدة خلفاً الأحمر شعراً له . فقال : اخبأ هذا كما تخبأ السنّورةُ حاجتَها .

ولو كان حصول مادة الكلام الّتي هي الألفاظ وصورته الّتي هي المعاني

(1) يبدو أن سطراً سقط من الناسخ ، إذ السابق من الكلام لا يستقيم مع اللاحق .
(2) في الاصل « العـدة » .
(3) ورد البيتان في صبح الأعشى ٢ : ٣٠٨ وفي البيت الثاني « إن » موضع « إذ » و « فرسانه » موضع « وشأنه » .

كافياً في التوصل إلى حسن التأليف الذي هو نظمُ الألفاظ على التناسُبِ وطبعها على المعاني المساوية لها والفاضلة عنها ، من غير حصول الآلةِ التي بها يتمّ النظم وهي الغريزةُ المناسبةُ للصناعة ، لكان مرام صنائع الكلام المؤلّف التي هي صناعة الرسائل وصناعة الخُطَب وصناعة الأشعار سهلاً على كلّ من تعرَّضَ لها ، ولكنا نرى الأمرَ بخلاف ذلك، وهو أنّ كلاً من المحصِّلين لموادّ الصنائع والصّور المحمولة عليها يعجز عن إيقاع الصورة في المادة متى عدم الآلة . وهذا مطّرد في كل صناعةٍ ، لأن الفعْل إنّما يتم وإن وجدت المادّة وقامت الصّورة في نفس الصانعِ بوجودة الآلة .

وإذا كانت هذه الصناعة لا تنقادُ ولا تتأتّى إلاّ لذوي الغرائزِ المناسبةِ لها فينبغي لمن قصّر به طبْعُه ألاّ يطالبُه من التأليف بما يضيق عنْه وسعُه ، فإنه إذا كلّفه ما يلائمُه وقصّر كان عيبُه أفضح من عيّب المقصّر الممْسك عما لا يستقلّ به ، لأن كثيراً من الناس لم يتخلق بالبلاغةِ فلم يعابُوا بذلك ، وكثير منهم تخلّق بها فوقعوا دون الطبقة المرضيّةِ منها فتوجّه العيبُ عليهم . ولهذا قال بشرُ بن المعتمِر في وصيةٍ له « إذا لم تجد اللفظةَ واقعةً في موقعها ولا صائرة إلى مستقرِّها ولا حالة في مركزِها ، بل وجدْتها قلقةً في مكانها نافرةً في موضعها ، فلا تكرهها على القرار في غير موطِنها ، فإنك إذ لم تتعاط قريض الشعرِ الموزون ولم تتكلّف اختيار الكلام المنثور ولم يعبْك بذلك أحدٌ ، وإذا أنت تكلّفتهما ولم تك حاذقاً فيهما عابك مَنْ أنت أقلّ عيباً منه وأزرى عليك من أنت فوقه » ويكون الطبع المناسبُ بغريزته للصناعةِ المشاكل لها بهذه الرتبة منها[وقد]أفردنا للقول [1] موضعاً خاصاً به ، ليعلم الراغبُ في صناعة التأليف

---

(١) بدئت الجملة في الاصل هكذا « أفردنا القول موضعا » ويغلب على الظن انه اراد ما ذكرناه .

أنّ محل الطبع منها كما قُلْنا فيما سلف محلّ الأس من البنيان والقلب من الجثمان ، فيقوم [1] رياضةَ طبعه بقراءة فنون الكلام المؤلف وتدبّر السبل المسلوكة إلى كل منها والرسوم المرسومة لها ، ثم يحتذي عليها احتذاءَ المقتفي لآثارِ الطرق لا الإعادة على الإعادة والسّرق .

فإن رأى خاطره فتياً ومثال ما يرومه من تأليف الكلام قريباً أقبل إليه وواظب عليه وأوقع المُقايسةَ بين ما يؤلّفُه وما يقاربُ معناه من كلام أوساطِ أهلِ الصّناعة خالياً من الهوى الذي يحسن في نفس الانسان قبيحه ويكثّر لَدَيْها قليلُه ، فإن نَاسَبَه ولو أدْنى مُناسَبَة فليثق بأن طبعَه سينشأ [2] وينمى وينْبعثُ ويرتقي ، وأنه سيسمو من تلك المنزلة إن لازم التدرج وأدْمن التحرج إلى ما فوقها بمشيئة الله تعالى .

ولا يقصد في أول أمْرِهِ إلى مساواة الطبقة العالية من أهل البلاغةِ فيما صاغوه من الكلام ، فيكدّ فكرته ويكلّ غريزته و[3]يحملها في مبدأ تدرجها ما لا تقوى على تحملهِ إلا في آخره ، فلا يفوز بمرامٍ ولا يظفر بمراد ، ولكن يأخذ من قريحته عفْو ما تعطيهِ ، ويطلب مساواة الطبقة التي تجاريه ، ثم يرتفع شيئاً فشيئاً حتى يلحق بالمكان الذي تقف عنده قريحته ، فان للقرائح قوى [4] محددة لا يمكن تخطّيها وتعدّيها إلى ما وراءها مما هو خارج عن وُسْعِها وطَوْقِها . ولولا ذلك لتكافأ الناسُ في رتبة التبريزِ وتساوَوْا في بُلوغِ المدى الذي يجرون إليه ، ولم يأت أحدهم سابقاً والآخر لاحِقاً .

---

(١) في الأصل « فيقدم » .

(٢) في الأصل « سينشو » .

(٣) في الأصل « ما يحملها » .

(٤) وضعت عند هذه الكلمة علامة وكتب في الهامش « مدى »

وإن رأى الأمرَ معتاصاً عليه ، والتأليف غير منقادٍ إليه ، والتكلف يضطرّه
ى وضع الألفاظِ في غير مواضِعها [1] وإحالة المعاني عن مواقعها ، وما يصوغُهُ
نافراً لما حَذَى عليه وغير مشاكل له — فليصُنْ نفسه عن تهجين عقله
كشف خبثِه [2] ، فإنّ الذي يظهر عنه من التأليف الذي هذه صِفتُه رذيلة لا
ضيلة ، لما يظهرُ من غباوته ويدل عليه من ركاكة بجيرته ويسوقه إليه من نبر
لأذكياء وتنادر الفهماء .

والمطبوع على الصّناعة وإن كان بحيث ذكرنا من الاقتدار [3] عليها
والتهيّؤ للتصرفِ فيها فليس تكيفه بجودة الغريزة وصفاء القريحة حتّى يشدو من
علوم الحالة منها محلَّ المواد من الصنائع ما يُظهرُ فيه الطبعُ فعْله الذي هو
تأليف والنظم .

وقد أودعنا كتابنا هذا ما ينتظم في سلك الصناعة من الآداب الخاصة بها .
بدأنا من ذلك بالقول على حدِّها وفضيلتها ومنفعتها [4] وقسمتها ، وفي أي
لمذاهب هي ، وعلة رسم الكتاب ووضْعِهِ ، لما في علم ذلك من الفوائد النافعةِ
العوائد الجامعةِ . ثم بتعريف ماهية البلاغةِ وأقسامها الأصليّة الواقعة منها
وقع الأخلاط المجرَّدَة من الأجسام المركبة ، لأن الحاجة إلى العلم بها مبسوطة
ي وزن الحاجة إلى العلم بها مؤلفة ، وذلك أن الطبيب متى لم يعرفْ طبائع العقاقير

---

(1) في الأصل « موضعها » .
(2) في الأصل « حثه » .
(3) في الأصل « الاقتداء » ولا يستقيم الكلام بها .
(4) في الأصل « وعرصتها » وقد ذكرنا « ومنفعتها » ليكون ذلك موافقاً لما ذكر في أول الكتاب .

مفردة لم يتهيأ له أن يركبها التركيب الذي يقاوم العلل والأعراض ، وكذلك المعبّر متى لم يعرف بسائطَ الكلام لم يتهيأ له أن يؤلف العبارة التأليفَ الذي يطابق المعاني والأغراض . ثم أقسام البلاغة الفرعية الحالة منها محلّ الأعضاء من الأجسام التي لا يتم إلا أفعالها بصحتها وسلامتها من الآفات . ثم أقسام البديع الموضوعة منها موضع المعارض والحلي من الصّور التّامة ، لتوضع مواضعها وتوقع في مواقعها وتترتب في المراتب اللائقة بها . ثم والتوقي من الوقوع في منزلتها . ثم القولُ على الطريق إلى احتذاء اللاحق على مثل السابق ، والمذاهب المستحْسنةِ في استعارة المعنى المسبوق إليها . ثم القوْل على ترتيب الخطّ وأوضاعه ، والصدور ، والأدعية ، والعنوانات ، والتواريخ والختم . ثم رسْم الرسوم في أنواع الرسائل التي يجب أن يكونَ مثالها قائمةَ الصور في نفس الكاتب ، لئلا يتوقف فيها متى دَعَتْه الحاجة إليها ، أو يستعملها على غير وجهها وبخلاف القوانين الموضوعةِ لها . ثم التوقيفُ على العلوم والآداب القائمة بأنفسها التي لا غناء بالكاتب عن الاستقلال بها لدخولها في صناعته ، ليجتنيها من معادنها (١) ، ويجتلبها من مظانّها ، ويأخذ بالنصيب الكافي منها . ثم القول على السياسةِ التي يجبُ التخلق بها في تأتي (٢) السيرة والعشْرة ، فإن أرباب هذه الصناعة أولى الطبقات بحيازة الفضائل الإنسانية والاشتمال على مكارم الأخلاق .

(١) في الأصل « معادتها » .

(٢) وردت غير منقوطة . وربما اراد : « بابي » .

ومن أنعمَ النظرَ والتدبير لتفصيل ما أجملناه اكتفَى به . ونحن نصل ما انتهينا إليه بما يليه ويتعقبه إنْ شاء الله تعالى . وبه التوفيق .

قول – في احتذاء اللاحقين مذاهب السابقين :

صناعةُ الكتابةِ من الصنائع التي صَدَرت أولاً بالطبع عن القرائح الفاضلة والغرائز الكاملة ، ثم حصل منها القانونُ الكليُّ الحاصل لكل صناعة . وكل صناعةٍ من الصنائع فلها منَازِلُ تنتقل فيها كما تنتقل الأشياء الناشئة من مبادئها إلى غاياتها ومن أوائلها إلى نهاياتها . ولما كانت صناعة الكتابةِ إحدى الصنائع شملها ما شمل نظائرها ، والسبب في ذلك أنَّ المخترِعَ للصناعةِ لا يكاد أن يعطيَها في مبدأ [1] وضْعِها جميع الأشياء المتممة لها العائدةِ بكمالها الداخلة في أقسامِها ، وإنّما ينتهي بها إلى المنزلة التي يقتضيها ما في غريزة طبعه [2] من مناسبةِ تلك الصناعة والتهيؤ [3] للتشكُّل بها ، إلا أنه وإن قصّرَ عن إيصالها إلى قاصيةِ التمام فقد أخرجها من العدم إلى الوجود وصوَّر منها صورةً حملت عن التابع كلفةَ التّصويرِ والتركيب وأبقت له فضيلة التحرير والترتيب ، فهو لا يعْمل فكره – مع راحتِه من كدّ الاستنشاط والاختراع ، وخلوّه من مشقة الاقتضاب بتداع الا في التلابم لتكميلوا التحليلو التحفيلو. كانولما جلُ الصنا اقفاثغي و خترأوالعيها ن الحدوُّ ي في الذة الصقوعة يقف أن عنْدَه عنى اللاحقون بتكميل المنقوص ، وريش المحصوص وتخليص المشوب

---

(١) في الاصل « مبداء » .

(٢) في السطر « غريزته » ثم وضعت على هذه الكلمة علامة وكتب في الهامش « غريزة طبعه » مردفة بـ « صح » .

(٣) في الاصل « التهيؤ » .

وتربيبه ، وتحلية العاطل وترتيبه ، إلا أنّ انصراف العبارة إلى تهذيب الصناعة إنما هو على حسب ما يستثمر من فائدتها ، ويجتني من عائدتها ، ويظهر من جلالة خطرها وحسن أثرها . وإذا كان هذا هكذا [1] فقد علم مما قدّمنا القول عليه من فضائل صناعة الكتابة أنها من الصنائع التي يتوفّر حظّها من عناية المكمّلين ويتعزّز [2] نصيبها من اهتمام المحلين ، وأن كلّ مستعمل لها بعد قيام صورتها قد توفّر على إعطائها ما تنتجه غريزته من الأشياء الحالّة منها محلّ ما يتمم تارةً والحالّة منها محلّ ما يزيّن أخرى ، فهي منذ ابتدهت ، وإلى الآن ، ترفل في خلع الأذهان وتتردد بين الصّوغ والسيل والنقص والحيل ، حتى استقرّ قرارُها وصدعت أنوارُها ، وبلغت الغاية وأوفت على النهاية ، ووضعتْ فيها الرسوم المنقّحة المهذّبة والقوانين المرفّحة المرتّبة ، وضاق المجال على المخترع وصَعُب الأمرُ على المبتدع ، وصار أفْضل أحوال اللاحق أن يحتذى على مثل السابق ولا سيما في المعاني التي باكرتها خواطر الأولين من الشعراء والمترسّلين فافترعت أبكارُها واستعبدت أحرارُها . هذا إلى أنّ المعاني غير متناهيَة ولا مفضيةٍ [3] إلى قاضية ، إلا أنها بما اعتورها من التداول والاستعمال لا تكاد أن تظفرَ منها بما لم يطرق ، فأمّا النوادر في المعنى الواحد فكثير جداً .

ويوضح ما ذكرناه من ضيق المذهب على التّالين في استنباط المعاني الأحرار أنّ التالي إذا جدّ في الابتداع واجتهد ، وأصدر في الاختراع وأورَد ، ووقع

(١) في الأصل « هكذى » .

(٢) في الأصل « وتعرر » .

(٣) في الأصل « مفضية » بفتحتين وكسرتين .

على معنىً لم يطرق سمعَه وظنّ أنه ابتكره وافترعه ، لم يخلُ أن يجدَه إذا تصفح كلام من تقدَّمَه قد سبق إليه ومُلك عليه ، فتحصل بعد العناءِ والكدّ نيران تستقصر طبعه عن استخراج مثل ذلك المعنى ، فتكذب دعواه وتسلم الفضيلة إلى سواه ، أو يشهد له بنفاذ الغريزة في اقتضاب ما يجاريه ، فيجعل مورداً لاحقاً أو مصلياً لا سابقاً .

وحسبنا شاهداً على حيازة القوم أوضاح المعاني وغررها ، وتداولهم نوادرها وجواهرها قول عنْترة بنِ شدّاد :

هل غادَرَ الشعراء مــن مُــتردّم
أم هل عرفتَ الدار بعْدَ توهّــم

يقال (تردَّمت الناقةُ على ولدها) إذا عطفت عليه . و (ردَّمتُ الثوب) إذا أصلحتُه .

والمعنى : هل ترك الشعراءُ معنى من معاني الكلام إلاّ وقد عطفوا عليه وسبقوا إليه ، فإن كنت تريد الإمساك فأمّسِك ، وإن كنتَ تريد أن تقولَ فهو الذي قالوه . هذا وعنترةُ من الطراز الأول . وقد قالوا أيضاً : ما ترك الأول للآخر شيئاً . وهذا القول لعمري على سبيل المبالغةِ لا على سبيل التحقيق ، لأن المعاني لا تتناهى . وقال الشاعر :

لا تقــل بيــت هجاءٍ لا ، ولا بيت مديحِ
سَبَــق النــاس إلى كُــلّ قبيح ومليحِ

وأقصى ما ينتهي إليه مبرّز التالين أن يزيّن كلامه بإيقاع أنواع البلاغةِ

فيه . وإذا تأمّل ما يجري عليه الأمر في استعمال أنواع [1] البلاغة ، كالاستعارة والتشبيه والمشاكلة وما يجري مجراها ، علم اجتناء سالفي البلغاء من الكتّابِ والبلغاء والخطباء والشعراء ثمار المعاني التي تقع في كل نوع منها ، وذلك أن استعمال الاستعارة التي هي أحد أقسام البلاغة – بل هي البلاغة ، بدلالة قول أرسطاطاليس «البلاغةُ حسن الاستعارة»–إنّما هو بأن يشتق للمعنى معنىً من غيره يزيدُه إسْفاراً وظهورا . وجل المعاني التي إذا استعيرت لمعنىً ما نقلته عن رتبته التي كان عليها في البيان وهو أصل إلى رتبةٍ أعلى منها وهو مستعارٌ ، قد استخلصت الخواطر بإخلاص درّها ، وغاصت الأفكار على حصل دُرّها ، ولا سيما فيما تردّده بين الناس من المعاني التي تَطرقُها الخطباء والشعراء والكتاب ويدورُ عليها أمر المكاتبة والخطاب . وكذلك التشبيه ، فإن استعماله إنما هو بأن يوضَعَ المشبه به في موضع المشبّه إذا اتفقا في معنىً يجمع بينهما. وجمْهور ما يتناسب من المعاني في الأشياء التي يصح التشبيه معها قد رقت القرائح ركبته ، واشتفّت الغرائز جمّته ، وإذا كان كلّ نوع من الأنواع المشبّه بها مطروقاً مستعملاً في مواضع لا ينحصي عددُها فما عسى المتأخّرون صانعين ؟ ! أتراهم إذا راموا أن يشبّهوا الوجه المتهلّل الوضيء وجدوا مشبهاً يجمعه وإياه معنى يشتركان فيه سوى : سنى البوارق ، ودور المشارق ، وإشماع الذبالة ، والتماع القمر في الهالة ، وصدوع الدراري في أديم الدآدي ، ونحو هذا من التشبيهات التي قد قُرِعت أبوابها وفرعت هضابُها . وكل فنٍّ من فنون التشبيه هذه سبيلُه، وهكذا يطرد الحكم وفي غيره من الأقسام الأخر. وهذا مُمهّدٌ لعذر المتأخرين في الإقْلالِ من المعاني المبتدعة ، والاستعارات والتشبيهات

(١) سقطت من السطر في الأصل فكتبت في الهامش .

المخترعة ، دالٌّ على اضْطرارهم إلى آقتفاء الآثار ، وسلوكِ السبُلِ التي عبّدتها الأفكــار .

ومن المجمع عليه عند أكثر نَقَدَةِ المعاني وجهابذة الكلام وضُبارمة المنطق أنّ أبا تمام حبيبَ بن أوس الطائي من بين متعاطي صناعة النظم لم يكن يقول فيما يصوغه إلاّ على ما يندّ عن خاطره ، ويمتاحهُ رشاء فكره من قليبِ قلبه ، ويجود بهِ عفوُ هاجسِهِ ، ولا يرتضي امتثال كلام الأولين والاحتذاء على مثال السالفين ، ثقة بنفاذ غريزته وصحة قريحته ، وأنه لا تخلو قصيدةٌ من قصائده من مثَل سائرٍ ومعنى نادرٍ وخبر غريب — وأنت إذا آعتبرت جلّ معانيه وألفاظِه لم تلف منها إلاّ ما سُبق إليه وتُقُدِّم فيه . وقد أوْرَدْنا أبياتاً من نظمه مقرونةً بأبياتٍ من نظم من تقدّمه ، ليعلم أنّه متّبِعٌ لاحقٌ ، لا متَّبَع سابق . قال أبو تمّام [1] :

● على مِثْلِها من أَرْبعٍ وملاعِــبِ
أُذِيلَتْ مصوناتُ [2] الدُّموعِ السّواكِبِ [3]

ومعنى هذا البيت مبتذلٌ مطروقٌ في الشعر قديمه ومحدثه .

والذي يُضاهيه قول بعضِهم :

---

(١) يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي .

(٢) في الأصل « مصونات » بكسر التاء .

(٣) ديوانه (ت: عبده عزام) : ١٩٨ وانظره في الموازنة (ت: محيي الدين) : ٣٧٣ و (ت: السيد صقر) ١ : ٤٢٥ ونهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ١٣٤ . وخزانة البغدادي (ت: هارون) ١ : ٣٤٨ وفيها « تدال » موضع « أذيلت » .

على أمثالهـــــنّ من الربــــــوعِ
أدال الصبُّ مكنونَ الدُّمُـــوعِ

● أقولُ لقُرْحانٍ من البَيْنِ لم يُضِفْ
رَسيسَ الهوى بينَ الحشا والتّرائبِ (1)

هذا البيتُ هو قول جرير :

وكاد (2) يومَ لِوَى حَوّاءَ يهلكــني
لو كنتُ من زَفَرَاتِ البيْن قُرْحانا (3)

القرحان : الذي لم يجذَر . وهو في البيتين مستعار .

● أَعِنِّي أُفَرِّقْ شَمْلَ دمعي ، فإنّني
أَرَى الشَّمْلَ منهم ليس بالمُتَقارِبِ (4)

هذا البيت ناقص الصنعةِ ، لأنه كان ينْبغِي أن يقول :

أعنِّي أُفرق شمْلَ دمعــي فإنــني
أرى الشملَ منهم ليْس بالمتجمِّـــعِ

(1) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ١٩٨ وفيه « تحت الحشا » . والموازنة (ت: السيد صقر) : ٥١٤ ومعجم الأدباء (مرجليوث) ٦ : ٥١٤ . وخزانة البغدادي (ت: هارون) ١ : ٣٥٢ وفيها « لم يجد » موضع « لم يضف » .

(2) اسم كاد يعود على « الهوى » في البيت السابق ، وهو :

كـاد الهوى يوم سلمانين يقتلنـي   وكاد يقتلني نوماً ببيدانـا

(3) ديوانه بشرح ابن حبيب ١ : ١٦٢ ، وديوانه (دار صادر ـ وبيروت ١٩٦٤) : ٤٩١ . وديوانه (نشرة الصاوي) : ٥٩٤ وفي الجميع « يقتلني » مكان « يهلكني » . وورد الشطر الثاني في معجم الأدباء (مرجليوث) ٦ : ٥١٦ .

(4) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ١٩٩ . والموازنة (ت: السيد صقر) : ٥١٤ .

أو يقول : أعنّي «أباعد» شملَ دمعي ، حتى يطابقَه «المتقارب» . وليس هذا من الكلام اللازم ، لكنّه هو الأحسن في ترتيب الكلام .

ومثل معناه قوله [1] :

أعنْ صبّاً يفرّق شمْلَ دمْع على شمْل يفرّق للجميعِ

فما صارَ يوْمَ الدار عَذْلُكَ كلُّــهُ
عَدُوّيَ حتى صار جهْلُكَ صاحِبي [2]

معنى هذا البيْتِ أن صاحبَه ، لما عَذله على البكاء ومنعه من الوقوف ، قال له : لم أتصوّر عذلَك بصورة العدُوّ حتى تملّكَني واستولى عليّ استيلاء الصاحب ، وعلمتُ أنك لا تعذل عن بصيرة كما يعذل النّاصح ، ولكنك بلوتني عرضاً في إراحة الإبل وإعفائها من الحبس في الدار . ويدلّ على صحة هذا التفسير قوله في البيت بعْدَه :

وما بلَ[3] إركابي من الرُّشْدِ مَرْكَباً
ألا إنّما حاولْتَ رُشْدَ الركائِبِ [4]

(١) في الأصل « بقوله » .

(٢) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ١٩٩ والشطرة الاولى فيه :

* وما صار في ذا اليوم عذلك كله *

وقال « التبريزي » شارحه : ويروي :

وما زال يوم الدار عذلك كلّه عدوى حتى صار عذرك صاحبي

والموازنة (ت: السيد صقر) : ٥١٤ وفيه « وما » موضع « فما » .

(٣) في الأصل « وما بل » .

(٤) في الأصل « الركايب » . البيت في ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٠ والموازنة (ت: السيد صقر) : ٥١٤ .

وهذان البيتان منتسخان من قول الآخَر :

وما عادى هواي هواك حتّى
تمكّن فرطُ جهلِك في آلخليعِ

وما حاولتَ إرشادي ولكن
حنوْتَ على آلضّوامرِ في النّسوعِ

● فكِلْني إلى شوْقي ، وسِرْ يَسِرِ الهوى
إلى حُرُقاتي بالدُّموع السواربِ (١)

وهذا قريب من قول الآخر :

فكِلْني للجوى واتركْ جُفوني
يشبْ ماءَ الصبابةِ بالنّجيعِ

● أمَيْدانَ لَهْوِي مَنْ أتاحَ لك البِلَى
فأصبَحْتَ مَيْدانَ الصَّبا والجَنائبِ (٢)

ومثله :

أميْدان الصّبا أصبحْتَ بعْدي
لَقًى (٣) بيْنَ الصَّبا ونَدَى الربيعِ

● أصابَتْكَ أبكارُ الخُطوب فَشَتّتَتْ
نَوَاكَ بأبكارِ الظباءِ الكواعِبِ (٤)

---

(١) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٠ والموازنة (ت: السيد صقر) : ٥١٤ .
(٢) في الأصل « الحباب » ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠١ .
(٣) في الأصل « لعاً » .
(٤) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠١ وفيه « هواي » مكان « نواك » وقد اشار المحقق إلى أن « نواك » هي رواية الخارزنجي .

ومثلـــه :

أصابتْك الخطوبُ السُّودُ لمّــــا
أُصِبتُ بنهـــدٍ سُودِ الفُــــروعِ

● وركْبٍ يُساقون الركابَ زُجاجَـةً
من السيْرِ لم يقصِدْ لها كفُّ قاطِبِ [1]

يريد أنهم لم يمزجوا السيرَ براحةٍ . ومِثْله :

وركـــب فلاً يساقـــون المطايـــا
كُؤوسَ سُرىً تــدورُ بــلا هجوع

● فقد أكلوا منهـــا الغوارِبَ بالسُّرَى
فصَارتْ لهم أشباحُهـــا كالغوارِبِ [2]

ومثلـــه :

فقـــد أكلوا ذُراهـــا فاطمأنّتْ
وصار مثيلها[3] فـــوقَ القطـــوعِ

● يُصَرِّفُ مَسْرَاهَا جُذَيْلُ مَشَارِقٍ
إذا آبَهُ هـــمٌّ عُذَيْقُ مغارِبِ [3]

ومثلـــه :

يصرّفهـــا جذيـــل للفيـــافي
عذيـــق للغروب وللطّلـــوعِ

---

(١) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠١ وفيه « تقصد » مكان « يقصد » .

(٢) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠١ وفيه « لها » مكان « لهم » .

(٣) في الأصل « منلها » .

(٤) في الأصل « انه همّ عديق معارب » بكسر دال غديق. ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٢ .

يرى[1] بالكعابِ الرَّوْدِ [2] طلْعَةَ ثائِرٍ
وبالعِرْمِسِ الوَجْناءِ غُرَّةَ آيِبِ [3]

ومثلـه :

تَرى بالرَّوْد طلعةَ ربِ نـارٍ
وبالوجناء غرّة ذي رجـوعِ

وهو معنى متداول .

كأنَّ به ضِغْناً على كـل جانبٍ
من الأرض أو ناراً لدى كل جانبِ [4]

وهو معنى قول منقذ الهلاليّ :

كـل فجّ مـن البلادِ كأنّـي
طالبٌ بعضَ أهْلِهِ بذَحُـولِ

ومثله قول أبي نواس :

يؤمِّمْنَ [5] أهل الغوطتـين كأنمـا
لها عند أهل الغوطتين ثؤورُ [6]

(١) في الأصل « ترى » .

(٢) في الأصل « الرد » .

(٣) ديوانه (النشرة السابقة) ١ ٢٠٢ .

(٤) ديوانه (النشرة السابقة) ١ ٢٠٣ وفيه « شوقاً » مكان « ناراً »

(٥) في الأصل « يومن » و « ثوور » بدون همزة على الواو الأولى والثؤور الثأر ، المطالبة بالدم

(٦) ديوانه (ت: احمد الغزالي) : ٤٨٢ و (نشرة دار صادر وبيروت) ٣٢٩

ومثلـــه :

كأنّ لــه هوىً في كــلِّ أفــقٍ
ونــاراً تبتغيهِ بكلِّ ريــعِ

إذا العيسُ لاقتْ بي أبا دُلَفٍ فقد[1]
تقَطّعَ ما بَيْنِي وبيْنَ النوائــبِ[2]

هذا البيت لا يطابق طبقة أبي تمام .

ومثل معنـــاه :

إذا لاقى الإمــامُ بنا المهــارى
أ ّ سوْرةَ الخَطبِ الفظيـــعِ

هُنالِك تلقى الجُودَ منــا[3]
حيثُ تَقطّعتْ تمائِمُهُ والمجْد مُرخَى الذّوائبِ[4]

يريد أن الجود في قطبه ومنشئِه لا يتحول عنه .

ومثله قولُ بعض بني يربوع :

ما قصّر الجودُ عنكم يا بني مَطَــرٍ
ولا تجاوزَكُم يــا آلَ مسعـــودِ

---

(1) « فقد » كتبت في الأصل في أول الشطر الثاني .

(2) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٣ ومعجم الأدباء (مرجليوث) ٦ : ٥١٦ . وخزانة البغدادي (ت: هارون) ١ : ٣٥٢ .

(3) ورد هذا الشطر في الأصل على النحو الآتي :

* هنالك يلقى الجود في حيث قطعت *

(4) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٣ . وخزانة البغدادي (ت: هارون) ١ : ٣٥٢ .

يحـــلّ حيثُ حللتم لا يُفارقُكـــم
ما عَاقبَ الدَّهرُ بيْن البيضِ والسودِ

وهاتان الاستعارتان كثيراً ما وردتا [1] في الأشعار – أعني تقطيع التمائم وإرخاء الذوائب – مستعارتين [2] لغير هذا المعنى ، ولا يتعذَّر على أهل الصنعة نقلهما إليه .

● تكادُ عطاياهُ يجُـــنُّ جُنونُهـَـــا
إذا لم يُعَوذْها بنَغْمَةِ طـــالبِ [3]

ومثله قول الآخر :

تكـــاد تحـــنُّ جدوى راحتَيْـــه
إذا لم يكسُهـَا عود القنـــــوعِ

● إذا حـرَّكتْهُ هِزَّةُ المجد غيـّرَتْ
عطاياهُ أسماء المعاني الكواذبِ [4]

ومثلـــــه :

إذا أجدتـــه هزة يوم [5] مجـــد
محى بيدِ النّدى وعدَ الكـــذوب

(١) في الأصل « وردت » .

(٢) في الأصل « مستعارة » .

(٣) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٤ وخزانة البغدادي (ت: هارون) ١ : ٣٥٢ .

(٤) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٤ وفيه « الأماني » مكان « المعاني » .

(٥) في الأصل « في يوم مجد » .

تكـــاد مغانيـــه يهشُ (1) عِـراصُها
فتركَبُ من شوْقٍ إلى كل راكِـبِ (2)

هذا معنىً حسنٌ . ومثلـــه :

تكـــاد رباعُـــه تهوى سِراعـــاً
إلى العافين من فـــرط اشتيـــاقِ

يرى أقبَحَ الأشياءِ أوبة (3) آمــلٍ
كَسَتْهُ يدُ المأمولِ حُلّةَ خائب (4)

ومثلـــــه :

ترى عاراً إيابَ ذوي الأمـــــاني
عن المأمولِ بالرفـــدِ الصنيـــــع

إلا أن في بيت أبي تمّام استعارة حسنة .

وأحْسَنُ من نُورٍ يُفَتّحُهُ النّـــدى
بياضُ العطايا في سوادِ المطالـــبِ (5)

هذا بيتٌ حسن الصنعة والمعنى ، رائع الديباجة . ومقارنه :

---

(1) في الأصل « تهش » .

(2) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٤ .

(3) في الأصل « رؤية » .

(4) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٥ ومعجم الأدباء (مرجليوث) ٦ : ٥١٦ . وخزانة البغدادي (ت: هارون) ١ : ٣٥٤ .

(5) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٥ والمستطرف (مصطفى الحلبي) ١ : ٦١ وفيهما « تفتحه الصبا » مكان « يفتحه الندى » . والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٨٨ ومعجم الأدباء (مرجليوث) ٦ : ٥١٦ وخزانة البغدادي (ت: هارون) ١ : ٣٥٤ .

وأحسن منظراً من روض حَـزْن

سريحُ النّيلِ في الطّلبِ الشنيعِ

وقد قال بعضُهم [1] في الشيْب :

ريْتُأ [2] بياضاً في سوادٍ كأنّهُ

بياضُ العطايا في سواد المطالبِ [3]

---

(1) هو الأخطل . وقد ذكر الاب صالحاني ناشر ديوانه (رواية اليزيدي ، عن ابن حبيب ، عن ابن الاعرابي) هذا البيت فيما اثبته في نهاية الديوان من الشعر المنسوب للاخطل ص ٣٧٩ ، مشيراً إلى مكانه في « المستطرف » و « الموازنة » . انظر الموازنة (ت: محيي الدين) : ١٠١ و (ت: السيد صقر) : ١١٥ والمستطرف (ط. المشهد الحسيني بالقاهرة) ١ : ٦١ ، وقال ابن المستوفي : ولم أجد ما نسبوه إلى الاخطل في ديوانه ولا يشبه نمطه لرقته ، ولعله موضوع ليدفع أبو تمام عن محاسنه .

(2) في الموازنة (بنشرتيها السابقتين) : « رأين » وفي شعراء النصرانية : ٣٧٩ فيما نقله عن المستطرف : « رأيت » .

(3) اشار صاحب الموازنة إلى أن أبا تمام أخذ قوله :

* بياض العطايا في سواد المطالب *

من قول الاخطل :

رأين بياضاً من سواد كأنه بياض العطايا في سواد المطالب

وأورد « عبده عزام » محقق ديوان أبي تمام في تعليق على البيت :

وأحسن من نور تفتحه الصبا بياض العطايا في سواد المطالب

ما يلي :

(وقال ابن المستوفي : قال الآمدي : قوله

* بياض العطايا في سواد المطالب *

ليس من معانيه ، وانما نقله من قول الاخطل :

رأين بياضاً في سواد كأنه بياض العطايا في سواد المطالب

ذكره ابن أبي شاهر في سرقاته ، إلا ان قول أبي تمام : « وأحسن من نور يفتحه =

إذا ألجمتْ يوماً لجيمٌ وحولها
بنو الحصْنِ نجل المحصنات النجائب

فإنَّ المنايا والصوارمَ والقنا
أقاربهم [1] في الرَّوع دون الأقاربِ

جحافل لا يترُكن ذا جَبَرِيَّة
سليماً ، ولا يحربن من لا يحارب [2]

هذا كما قال الآخَر :

إذا سار الوليدُ إلى الأعادي   بجيْشٍ في المغافِرِ والدُّروعِ
فإنَّ جموعَه في كلِّ ضنْكٍ   عزائم رأيهِ دون الجموعِ

= الندى » في غاية الحلاوة . هذا كلام الآمدي) ١ : ٢٠٥ ، وقد جاء في المثل السائر ١ : ١٠٤ « ويحكى عن أبي تمام أنه لما نظم قصيدته البائية التي أولها :

* على مثلها من أربع وملاعب *

انتهى منها إلى قوله :

يرى أقبح الأشياء أوبة آيل   كسته يد المأمول حلة خائب

ثم قال :

* وأحسن من نور يفتحه الصبا *

ووقف عند صدر هذا البيت يردده ، وإذا سائل يسأل على الباب وهو يقول :

« من بياض عطاياكم في سواد مطالبنا »

فقال أبو تمام :

* بياض العطايا في سواد المطالب *

فأتم صدر البيت الذي كان يردده من كلام السائل .

(١) في البديع « أقاربكم » .

(٢) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٦ وخزانة البغدادي (ت: هارون) ١ : ٣٥٤ وقد ذكر البيتان الثاني والثالث في البديع (نشرة خفاجي) : ٦٥١ منسوبين إلى الطائي .

عزائم تترك الجبّار عبْداً ويعرض بأسُها دونَ الخُنُوعِ

● يَمُدُّونَ من أيْدٍ عواصٍ عواصمٍ
تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قَواضبِ [1]

ومثلـه :

يصولونَ بالأيدي إذا الحرب أعلمتْ
سيوف سريج بعْد أرماحِ زَاعبِ

● إذا افتخرتْ يوماً تميمٌ بقوسها
وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتُمْ بذي قارٍ أمالتْ سيوفُكُمْ
عُرُوشَ الذين استرهنوا [2] قَوْس حاجبِ [3]

هذا معنى متداول . وقد قال أبو نواس يهجو تميماً :

أوّلُ مجْدٍ لها وآخِرُهُ
– إن ذُكِرَ المجْدُ – قوْسُ حاجِبِهَا [4]

---

(١) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٦ . وخزانة البغدادي (ت: هارون) ١ : ٣٥٤ .

(٢) في الاصل « استرهبوا » .

(٣) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٤) ديوانه (ت: أحمد الغزالي) : ٥٠٩ و (نشرة دار صادر ببيروت) : ٨٨ و (الحميدية المصرية ١٣٢٢ هـ) : ١٢٩ ، وحاجبها : هو حاجب بن زرارة ، وكان قد رهن قوسه عند كسرى .

والبيت من القصيدة التي اطال الرشيد حبسه بسببها واولها :

ليست بدار عفت وغيّرها ضربان بن قطرها وحاصبها

● محاسنُ من مجْدٍ متى تَقْرنوا بهــا [1]
محاسِنَ أقْوامٍ [2] تكُنْ كالمعايبِ [3]

المحاسنُ ليست كفوَ المعايب ، وإنّما لفقها المساوىء والمقابح . ولو قال «مناقب» وقابلها بـ «مثالب» لكان أذهب بالصنعة .

● مكارِمُ لجّتْ في علُوٍّ كأنّمـــــا
تحاوِلُ ثأراً عند بعضِ الكواكبِ [4]

هذا من قَولِ بشارٍ :

معال تَمـــادتْ في العلوِّ كأنّمـــــا
لها ترة عِنْدَ السُّهى والفراقِــدِ

وفيهـــا :

● إليكَ أرحْنَا غاربَ الشِّعر بعْدَمَــا
تمهّل في روْضِ المعاني العجــائِـبِ
غرائِـبُ لاقت في فنائِك أنْسَهــــا
من المجْد ، فهْيَ الآن غيرُ غرائِـبِ [5]

ومثله قولُ الآخر :

---

(1) في الأصل « يقربونها » .
(2) في الأصل « أقلام » .
(3) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠٩ .
(4) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢٠١ ونهاية الأرب (دار الكتب) ٧ : ٥٦ .
(5) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢١٤ وفيه « عازب » مكان « غارب » في الشطر الأول من البيت الأول .

إليكَ أرحتُ غاربَ كل شعْـــرٍ
ثوى معْناهُ في الرّوضِ المريـعِ

غرائبَ من بديعِ المدْحِ أضحـَـتْ
أوانس منك بالمجْدِ البديـــعِ

• ولو كان يفْنَى الشعرُ أفناهُ ما قَرَتْ
حياضُك منه في العصورِ الذواهبِ

ولكنّه صوْبُ العقولِ إذا مضَـتْ
سحائبُ منه أُعقِبَتْ [1] بسحائبِ [2]

هذا قريبٌ من قولِ أوس بن حجرٍ :

أقـــول بما صبّت على عَمَــامتي
وعقلي وفي حبْلِ العشيرةِ أحطب [3]

وشبيهٌ بقول الآخــر :

ولـــو كان القريضُ لـــه فنــاءٌ
لأفنته مواهـــبُ كالسيُــــولِ

ولكن صوْبـــه من عقْل هــادٍ
تضلّ لديهِ هاديــةُ العقـــولِ

---

(١) في الاصـل « اعقبت » بالبناء للمعلوم .

(٢) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢١٤ وفيه « انجلت » مكان « مضت » ومعجم الأدباء (مرجليوث) ٦ : ٥١٧ وفيه ورد الشطر الأول من البيت من الثاني على هذا النحو :

* ولكنه فيض العقول إذا انجلت *

كما جاء في الشطر الثاني منه « جود » موضع « منه » .

(٣) ديوانه (ت: د. يوسف نجم) : ٧ « وجهدي » موضع « وعقلي و » قال المحقق : في المعاني الكبير « عمايتي وامري » وفي الموازنة « ورهري وفي » .

وفيهـــا

وإني لأرجُو عاجــلاً أن تــردّني
مواهبُه بحراً تُرَجّى مواهي [1]

هذا من قول أبي العتاهية :

فكَم من جواد في العباد بجُـــوده
كجدْوَل بحْرٍ مدّه فتفجّـــرا [2]

ومن قول مروان بن أبي حفصة :

فما نائــلي من فضْلِ ما نالَني بـــه
من ٱلعرْفِ حتى قيلَ مالُك نافِــدُ

ويضاهيه قولُ الآخـــر :

وإنّـــي آمـــلٌ منه
صنيعـــه أرجّى لاحْســانِ ٱلصَّنيـــعِ

فتأمل افْتقارَ هذا الناظم المفْلق والقارض المبْدع في الامتثال والابتداع ، وتقصيرَه[3] في أكثرِ الأحوالِ عن الاقتضاب والاتباع ، لتَعْلَم أن الآخرَ عيالٌ على الأوّل واللاحق كَلٌّ على السابق ، ويتضحلك عذر الآنفين في الوقوع دون السالفين . وإن كان جارياً على ما ذكرناه فليس يجوز للاحق أن يفسد طبعَه

---

(1) ديوانه (النشرة السابقة) ١ : ٢١٥ وفيه ورد الشطر الأول على النحو الآتي

* واني لأرجـو أن تـرد وكائبـي *

وقد أشار المحقق إلى مخطوطات خمس روايتها توافق رواية الأصل هنـا .

(٢) لم أجد هذا البيت في الديوان . طبعة بيروت ١٩٦٤ .

(٣) في الأصل « وتقصيرُه » بضم الراء .

بتعويده عادة الاتْكالِ[1] على منّ السّابق ، بل يجبُ أن يروضَ خاطرَه بالتطلّب والفِكْرِ في استخراج المعنى البِكْر ، فقد قلنا – فيما تقدم – إنّ المعاني غير متناهية ، وإذا كانت كذلك فقد تظفر القريحة منها بالمُغْفَل فتسمه ، وتقع على الشرود فتخطمه . وإذا أراد أن يستعمل معنى من المعاني المسبوق إلى افْتراعِها[2] فلا يأخذه كاسياً بلفظه وعبارته ، حالياً بتأليفه وصنعته ، فإن ذلك داخل في باب النّهبِ والإغارة ، لا في باب الاجتباء والاستعارة ، ولا يرضاه من يرجع إلى غريزة[3] ينبوعُها غزيرٌ وبصيرة[4] طرفُها بصير ، وإنّما يجب أن يفرد أرواح المعاني من أجسادِها ، ويجرّد صورها من موادِها ، ويحصّلها في أوهامِه عاريةً من كساها عاطلة من حُلاها ، ثم يأخذ نفسه بإنشائها في صورة من اللفظ مباينَة للصورة الّتي كانت فيها وتحليتِها من التأليف بحليةٍ منافيةٍ للحلْيَةِ الّتي كانت عليها . وإن تمكن أن يجعل ما ألبَسَها أرْفع مما سلَبَها بُرداً وما حلاّها به أنصع ممّا ابتزّها عقداً فقد استحقَّ تسليمَها إليه وعزوَ فصيلتها إليه ، لملكه نفْسِهِ لها ، واقتدارها على التّصرف فيها ، واعتوارها بضروب العبارات ومدلولها بأنواع الدلالات .ولا يقْصد إلى حكاية الكلام على جهتِه وأخذه برمّتِه ، فإنه يجمع بذلك بينَ هجنةِ التلبّسِ بفضيلةٍ وهو عارٍ من عطافها ، عاطلٍ من قلائدها ونطاقها ، وبين إفْسادِ طبعه بتعويده واستلْحاق كلام الناسِ واصطرافه . ومن تعود هذه العادةَ لم ينفذ في فن من فنون النظْمِ ولم

(١) في الأصل « الاتكال » .
(٢) في الأصل « اقتراعها » .
(٣) في الأصل « غريزته » .
(٤) في الأصل « وبصيرة » بالرفع

تنتظمه صناعة من صنائعه، وإنما يدخل الكاتب في صناعة الكتابة إذا اقتضب الإنشاء في جميع أبوابها اقتضاباً من غير توقف ولا تلبث ولا بطء ولا تمكث . وحاله في ذلك شبيهة بحال الشاعر الذي إنما يدخل في صناعة الشعر بأن يرتجل أنواعه ارتجالاً — كالمديح والهجاء والمراثي والهناء — في مدة وحيه، ويتصرف في العبارة عنها بفنون من النظم متغايرة ، فمتى عجز عن ذلك لم يعد في أهل الصناعة التي يتحلى بها . وكذلك الخطيب ، فإنه متى لم يبتدع خطب المنابر والمحافل في كل وقت من أوقاتها ابتداعاً ، ولم يأت بعدة منها متقاربة المعاني متناسبة الألفاظ لم يعد من الخطباء . وهكذا حال الكاتب في الاستقلال بإنشاء كل ما يدخل في صناعته من المعاني من غير أن يستعين بكلام من تقدمه ، فأما من يستعير كلام الناس على نسقه ونظمه فهو كالخطيب الذي يخطب [1] على المنابر بخطب محفوظة ، وإنما تلك رواية لا خطابة ، وكذلك ما يفعله الكاتب من مثله فإنما هو حكاية لا بلاغة .

ونحن نذكر الطرق المسلوكة في استعمال اللاحقين معاني السابقين وما يحسن منها وما يقبح ، ثم نضع أنموذجاً للسرقات يتعرف به الوجه في تهادي المعاني وتصريفها ، ثم نأتي بأمثلة في نقل معاني المنظوم إلى المنثور ونقل معاني المنثور إلى المنظوم ، ثم نورد قولاً في التوارد وتطابق الخواطر على المعنى الواحد ، ليتضح ما يجري عليه الأمر في كل من هذه الفنون ، ويحصل العلم بما يستحسن فيستعمل وما يستقبح فيجتنب ، إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل « يخطب » .

قول – في الطرق المسلوكة إلى استعمال اللاحقين معاني السابقين :

استعمال المعاني المفترعة على ضربين ، أحدهما : مستحسنٌ يشارك مستعمِلُه مفترعه في الفضيلة . والآخر : مُستقبحٌ يحصل مستعمِلُه على الرذيلة .

فالمستحسن ستة أقسام :

أولها – مناظرةُ المعنى وملاحَظَتُه .

والثاني – كشف المعنى وإبرازُه ، بزيادة تزيده نصاعة ورَوْنقاً .

والثالث – نقل المعنى عن وجْهٍ إلى وَجْه .

والرابع – كشفُ المعنى وإظهاره .

والخامس – مكافأةُ المعنى ومساواته .

والسادس – اختصار اللفظ مع حراسة المعنى .

والمُسْتقبح ستة أقسام :

أولها – تقصير المتبع عن معنى المبتدع ، وهو ينقسم إلى أنواع سنذكرها ونمثّلها فيما بعد .

والثاني – التقاط الألفاظ وتلفيقها .

والثالث – اهتدام العبارة ونسخها .

والرابع – الإغارة .

والخامس – الاصطراف والاستِلْحاق .

والسادس – الانتحـال .

وقد وضعنا لكل قسم من هذه الأقسام مثالاً كافياً في إيضاحه والدلالة عليه

وهذه الأنواعُ ، وإن كانت أدْخلَ [في] مذْهبِ الشعر منها في مذهب النثر ، فللنثر فيها حصة أيضاً ، لتناسب المعاني الواقعةِ في الكلام المؤلف بأسْرِه .

ومن الله التوفيق والتسديد .

الضرب المستحسن من استعمال المعاني المفترعة

وهو ستة أقسام

القسم الأول : النظر والملاحظة :

هذا القسم ألطفُ أقسام السرقات مذْهَبًا ، وأدقُّها مسرَباً ، ولا يتأتى له إلا المبرّزُ في العِلْم بتصرّفِ المعاني وتداولها . ومن بديع ما جاء منه قولُ الحطيئـــة :

من يفعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَهُ
لا يذهبُ العُرف بين اللهِ والنّـــاسِ [1]

فإنه ينظر إلى قول أوْس بنِ حجر :

سأجزيك أو يجزيك عنّي مُثَوِّبٌ
وحسْبك أن يثنى عليك وتحمـــدي

وذلك أنّ المثوبَ هو الله عز وجل . ومنه قول السّموأل بن عادياء :

(1) ديوانه ١٠٩ طبعة لبنان ١٩٦٧ والمستقصى للزمخشري ٢ : ٢٦٨ وذكر انه يضرب في الحث على الجـود .

تسيلُ على حدِّ السيوف نفوسُنـــا
وليْست على غيرِ ٱلحديدِ تسيلُ (١)

فإنّه ينظرُ إلى قول زهيْر :

فإن يُقْتَلو فيُشْتَفَى بدمائهـــم
وكانوا (٢) قديماً من مَنَايَاهُمُ القَتْلُ (٣)

القسم الثاني : في كشف المعنى وإبرازه بزيادةِ تزيده نصاعة :

ومنه قول امرىء القيس :

نَمُشُّ (٤) بأعرافِ الجيادِ أكفّنـــا
إذا نحنُ قمنا عن شِواءٍ (٥) مُضهّبِ (٦)

(١) ديوانه المضموم إليه ديوان عروة بن الورد (دار صادر ـ ودار بيروت ١٩٦٤) : ٩١ وفيه « الظبات » مكان « السيوف » في الشطر الأول و « الظبات » مكان « الحديد » في الشطر الثاني .

(٢) في الأصل « مكانو » .

(٣) البيت في شرح ديوانه صنعة ثعلب : ١٠٢ وفي شعراء (النصرانية بيروت ط٢) : ٥٧٠ وأوله : وإن » .

(٤) في الأصل « نمس » . والصواب « نمش » جاء في العمدة : واخذ الاحمر على المفضل روايته في قول امرىء القيس :

* نمس بأعـراف الجيـاد اكفنـا *

وما هو إلا « نمش » أي نمسح ، والمشوش : المنديل (ت: محيي الدين) : ٢ : ٢٤٩ وورد أيضا في ٢ : ٢٩٠ .

(٥) في الأصل : « سواء » « مصهب » .

(٦) ديوانه (ت: ابي الفضل) : ٥٤ ، وديوانه (شرح السندوبي) : ٥٧ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٢٧ .

المشوشُ المنديل [1] كشف هذا المعنى عَبَدَةُ [2] بن الطبيب فقال :

ثُمّتَ [3] قمنا إلى جُرْدٍ مسوّمةٍ
أعرافُهُنَّ لأيدينا مناديلُ [4]

ومنه قول النابغة :

سَقَطَ النّصيفُ ولم تُرِدْ اسقاطَهُ
فتناولتْهُ ، واتّقتَنا باليَدِ [5]

كشف هذا المعنى أبو حية فقال :

---

(١) في الأصل « المديل » .

(٢) ويقول صاحب الأغاني هو : عبدة بن الطيب ، والطيب اسمه يزيد . الأغاني (بيروت ٢١ : ٢٨) وهو شاعر مجيد ، ليس بالمكثر ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، شهد الفتوح وكان له فيها شعر . توفي نحو سنة ٢٥ هـ .

(٣) في الأصل « تمت » .

(٤) ورد في الأغاني مع بيتين يسبقانه ، عندما أورد الأصفهاني ـ متحدثاً عن أخبار عبدة ـ أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه : أي المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم : مناديل مصر كأنها غرقى البيض ، وقال آخر : مناديل اليمن كأنها نور الربيع ، فقال عبد الملك : مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطيب حيث يقول :

لما نزلنا نصبنا ظل اخبية ... وفار للقوم باللحم المراجيل
ورد وأشقر ما يونيه طابخه ... ما غير الغلي منه فهو مأكول
ثمت قمنا إلى جرد مسومة ... اعرافهن لايدينا مناديل

وقد عقب صاحب الأغاني بقوله : يعني بالمراجيل المراجل فزاد الياء فيها ضرورة (انظر الأغاني بيروت ٢١ : ٢٩ و ٣٠) . ثم انظر الأبيات الثلاثة في المفضليات (المعارف) : ١٤١ حيث اختلفت رواية الأول والثاني .

(٥) ديوانه (ت: كرم البستاني) : ٤٠ وديوانه (ت: فوزي عطوي) : ١٤٧ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٦٤٣ .

فألقتْ قناعاً دونه الشمسُ واتّقت
بأحسن موْصولَيـنِ كفٌّ ومعْصَمِ

وزاد على النابغة بقوله « دونه الشمس » ، وإخباره عن المتقى به أحْسَنَ الخـبر .

ومنه قول أبي دُؤاد يصف الفـرَس :

يزيـنُ البيـتَ مربوطـاً ويسفِي [1] قدمَ الراكـب

كشفه عدِي بن زيد فقال :

مستحقين بـلا أزوادِهـمْ ثقـةً بالمهْر من غير عَـدَمَ

القسم الثالث : نقلُ المعنى إلى معنىً آخر :

هذا القسم لا يستقلّ به إلاّ الحُذاقُ المبرِّزون المتدربون بتنقل الكلام وتداولـه . ومن جيّده قولُ امرىء القيس يصف الفرس :

إذا ما ركبنا قـالَ ولْدانُ أهلِنا [2]
تعالـَوْا إلى أن يأتيَ الصَّيدُ نَحْطِبُ [3]

نقل هذا المعنى ابنُ مقبلٍ إلى صفة القِدْح ، فقال يذكر فوزه :

---

(١) في الأصل « ويسقى » .

(٢) في معجم البلاغة العربية ١ : ٢٤١ « حينا » موضع « أهلنا » .

(٣) هذا البيت من قصيدته التي مطلعها :

* خليلي مـرا بـي على ام جنوب *

وهو مذكور في ديوانه (بشرح السندوبي) : ٥٣ وغير مذكور في ديوانه (ت: أبي الفضل) انظر فيه القصيدة التي اشرنا إلى مطلعها .

إذا ٱمتحَنتْه من معدٌ عصابــةٌ [1]
نزا ربه[2] قبلَ المفيضين [3] يقدح !

ومنه قول امرئ القيس :

فظلَّ العذارى يرتمــينَ بلحمِهـَـا
وشحْمٍ كهُدّابِ : الدمقْسِ المفتّل [4]

نقله الأعشى إلى تشبيه البنان فقال :

وألْوَتْ بكفٍّ في سِوَارٍ يزينُهـَـا
بَنانٌ كهُدّابِ الدِّمَقْسِ المُفتّل [5]

وتبعه المجنون فقال :

أشارتْ بموشوم كأنَّ بنانَـه
هدّابُ رَيْطٍ من دمَقْس مفتّـل

ومنه قول أبي نواس ، يصف الخمر :

---

(1) في الأصل « عصار به » .

(2) في الأصل « -دار به » . وفي معجم البلاغة العربية ١ : ٢٤٢ « نزارية » .

(3) في الأصل « المعصين » ، دون نقط ، وورد مكانها في معجم البلاغة العربية ١ : ٢٤٢ في « الافاضة » .

(4) ديوانه (ت: ابي الفضل) : ١١ وديوانه (شرح السندوبي) : ١٤٦ و (شرح المعلقات للزوزني ــ بيروت ١٩٦٣) : ١١ .

(5) ديوانه (ت: د. محمد محمد حسين) : ٣٥٥ . وديوانه (دار صادر ١٩٦٦) : ١٤٢ .

لا ينْزِلُ اللّيْلُ حيثُ حلّتْ
فليْلُ [1] شُرَّابِها نهارُ [2]

نقله البحري إلى وصْفِ محبوبٍ ، فقال :

غابَ دُجَاهَا ، وأيُّ ليْلٍ
يَدْجُو علينْا وأنْتَ بَدْرُ [3]

القسم الرابع : كشف المعنى وإيضاحُه من غير زيادة :

ومنه قول الأعشى يصف الفرس :

يُراقبُ من أيْمَن الجانبيـ ـن بالكفِ مستحصداً قد مَرَنْ [4]

أخذه الأعشى ، فقال يصفُ الناقة :

ويقسمُ طرف العينِ سطراً أمَامَها
وسطراً تراه خيفةَ السّوطِ أزْورَا

ومنْه قولُ العباس بن الأحنف [5] :

---

(1) في الأصل « فدهر » .

(2) ديوانه (ت: أحمد الغزالي) : ٧٤ و (نشرة دار صادر – ببيروت) : ٢٤٦ و (ط. الحميدية المصرية) : ٢٤٦ ، وجوهر الكنز (ت: د. سلام) : ١٩٠ وفي الأخيرين « فدهر شرابها » كما في الأصل المخطوط .

(3) ديوانه (ت: الصيرفي) ٢ : ١٠٥٠ ، وجوهر الكنز : ١٩٠ .

(4) ديوانه (ت: د. محمد حسين) : ٦٩ و (بيروت ١٩٦٦) : ٢٠٧ وروايته فيهما :

تراقب من أيمن الجانبيـ ـن بالكف من محصد قد مرن

(5) ديوانه (بيروت ١٩٦٥) : ٢٨٤ وفيه « صارت » موضع « باتت » في البيت الأول و « يكسف » موضع « يشتكي » في الثاني .

زَعَمُوا لي أنّهـا باتت [1] تُحَمّ
ابتَلـى اللهُ بهـذا مَنْ زَعَم
اشتكَتْ أكمـلَ ما كانتْ كمـا
يشتَكي البدْرُ إذا ما قيـلَ تَـمّ

أخذه عبد الله بن المعتز ، فقال :

طَوى عارضُ الحمّـى سناه فَحالا
وألبَسَه ثوبُ السّقـامِ هُـزالا
كذا [2] البدْرُ محتومٌ عليـه إذا انتهَى
إلى غاية في الحُسْنِ صار هلالا [3]

القسم الخامس : تكافؤ المتبع والمبتدع :

ومنه قول امرىء القيس :

فلو أنّهـا نفسٌ تموتُ آحتسبتُهـا
ولكنها نفسٌ تَساقَطُ [4] أنفسـا [5]

---

(1) في الأصل « بانت » .

(2) في الأصل : كذى .

(3) لم اجد البيتين في ديوانه (نشرة صادر وبيروت ١٩٦١) .

(4) في الأصل : تساقط .

(5) البيت في ديوانه (ت: ابي الفضل) : ١٠٧ وفي ديوانه (شرح السندوبي) : ١١٧ وفي شعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٣٣ وفي الجميع « جميعه » مكان « احتسبتها » . وفي الأغاني (طبعة بيروت) ٩ : ٩٧ ومعجم البلاغة العربية : ٦٤٤ وفيهما « سوية » موضع « احتسبتها » . وفي المستطرف (مصطفى الحلبي) ١ : ٦١ وفيه « شريتها » موضع « احتسبتها » .

أخذه عَبَدةُ بن الطبيب ، فقال :

فما كان قيس هلكه هلُك واحدٍ
ولكنّه بُنيانُ قومٍ تَهَدَّمَا [1]

ومنه قولُ الحطيئة [2] :

يُغْشَوْن حتى ما تَهِرُّ كلابُهم
لا يسْألُون عن السّوادِ المُقْبِلِ

أخذه أبو نواس ، فقال :

إلى بيتِ جارٍ لا تَهِرُّ كلابُه
عليَّ ، ولا يُنْكِرْنَ طولَ ثَوائي [3]

---

(١) ورد في الأغاني (بيروت) ٢١ : ٢٩ وروى الأصفهاني أنه أرثى بيت قالته العرب . وهذا البيت ضمن أبيات لعبدة يرثي بها قيس بن عاصم . وفي المستطرف (مصطفى الحلبي) ١ : ٦١ .

(٢) غير مذكور في ديوانه (دار صادر ١٩٦٧) وأورده التبريزي في الكافي (ت: الحساني) : ١٩٧ منسوباً إلى أبي هفان . وفي قواعد الشعر لثعلب (ت: عبد التواب) نسب الى حسان وذكر أنه من قوله في آل جفنة . وهو في ديوانه (نشر البرقوقي) : ٣٠٩ وهو في نهاية الارب (دار الكتب) ٤ : ٢١٣ والعقد الفريد (ت: أحمد أمين وآخرين) ٢ : ٦٠ والبديع لأسامة بن منقذ (ت: د. أحمد بدوي وآخرين) : ١٩١ ، ٢٠٣ والمزهر (ت: أبي الفضل وآخرين) ١ : ١٥٨ وشرح شواهد المغني (الشنقيطي) ١٣٠ و ١٦٣ .

(٣) ديوانه (ت: أحمد الغزالي) : ٤٠٢ و (نشرة دار صادر ـ بيروت) : ٢١ . وفيهما « حانٍ » مكان « جار » . ولم يذكر البيت في (ط. الحميدية ١٣٢٢ هـ) .

القسم السادس : اختصار اللفظ الطويل مع حراسة المعنى :

ومنه قول طَرَفَة :

أَرَى قَبْرَ نَحّامٍ بخيلٍ بمالِه
كقَبْرِ غَوِيٍّ في البِطالةِ مُفْسِدِ [1]

اختصره ابنُ الزبعْرى فقال :

والعطِيّاتُ خساسٌ بيننا
وسواء قبْرُ مثْرٍ ومقِلّ

وشغَلَ صدر البيت بمعنى ، وجاء ببيت طرفةَ في عجزِه .

ومنه قولُ بشار :

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظْفرْ بحاجتِه
وفاز بالطيِّباتِ الفاتكُ اللّهِجُ [2]

اختصره سلْم الخاسر [3] ، فقال :

---

(1) ديوانه (ت : د. علي الجندي) : ٥٢ ، وشرح المعلقات للزوزني (صادر وبيروت ١٩٦٣) : ٦٢ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٢٠٣ وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٤٠٦ .

(2) ديوانه (نشرة الطاهر بن عاشور) ٢ : ٧٥ ، والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢١٤ والمختار من شعر بشار : ٤٧ والمثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ٢٥٨ وصبح الأعشى ٢ : ٢٩١ .

(3) في الأصل « الجاشر » وإنما هو « سام الخاسر » أو « سالم الخاسر » والاول هو المشهور وقد ورد كذلك في شعر أبي العتاهية مكرراً ، من ذلك بيته المشهور :

تعالى الله يا سلم بن عمرو ... أذل الحرص أعناق الرجال

وقوله : =

مَـــنْ رَاقَـــبَ الناس مـــاتَ غمّـــاً

وفــازَ باللّــــــذةِ الجَسُورُ (١)

ويتولد من هذه الأقسام فروع ترجع إليها ، لا حاجة إلى الإطالــة باستقصائهــا .

= إنما الفضــل لســلم وحــده ليس فيه لســوى ســلم درك

وكذلك وقع مكرراً في شعر لابي الشمقمق (ارجع إليه في ترجمته سلم في معاهــد التنصيص) . وكذلك وقع في رثاء اشجع السلمي لسلم :

يا ســلم إن أصبحــت في حفــرة موســـدآ تربـــا وأحجـــارا

وكان تلميذ بشار . وهو شاعر ماجن خليع . توفي ١٨٦ هـ وقد لقب بالخاسر فيما يقال لانه ورث عن ابيه مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً ، وقيل : بل خلف له أبوه مالا فأنفقه على الأدب والشعر ، وقال له بعض أهله : إنك لخاسر الصفقة ، فلقب بذلك (الأغاني — بيروت ١٩ : ٢١٤) وطبقات الشعر لابن المعتز (ت: فراج) : ٩٩ ومعجم الأدباء (دار المأمون) ١١ : ٢٣٨ .

(١) الصناعتين (النشرة السابقة) : ٢١٤ والمختار من شعر بشار : ٤٧ والمثل السـائر (النشرة السابقة) : ٢٥٨ وصبح الاعشى : ٢٩١ والتمثيل والمحاضرة (ت: عبد الفتاح الحلو) : ٧٧ ووفيات الأعيان (ت: محيي الدين) ٢ : ٩٧ وفيه : وكان سالم من تلامذة بشار ، وصار يقول من شعر بشار ، فغضب بشار ، وكان بشار قد قال :

* من راقــب الناس لم يظفر بحاجته *

(البيت) ، فقال ســالم :

* من راقــب الناس مــات غمــاً *

(البيت) ، فغضب بشار ، وقال : ذهب بيتي ، والله لا أكلت اليوم شيئاً ولا نمت ، وقال : إنه أخذ المعاني التي تعبت فيها ، فكساها الفاظاً أخف من الفاظي ، لا أرضى عنه ، فما زالوا يسألونه حتى رضي عنــه .

الضرب المستقبح من استعمال المعاني المفترعة

وهو سبعة أقسام

القسم الأول : تقصير المتبع عن إحسان المبتدع ووقوعه دونه :

وهو خمسةُ أنواع : النوع الأول ـ الإخلالُ ببعضِ المعْنى .

وهو قولُ امرىء القيس :

كأنَّ قلوبَ الطيْرِ رَطْباً ويابِساً
لدى وكرِها العُنّابُ والحشَفُ البالي [1]

أخذه أبو [2] صخر الهُذَلي . فقال :

كأن قلوبَ الطير عند مبيتِها
نَوى القسْبِ يُلقَى عندَ بَعْضِ المآدِبِ

فأساء في العبارة ، وأخلَّ بأحد المعنيين .

---

(١) مر البيت في ص ١٩٠ .

(٢) في الأصل « ابن صخر » .

ومنه قولُ امرىء القيس :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ بهِ
والبِرُّ خيْر حقيبَةِ الرَّحْلِ [1]

أخذه ابنُ هَرْمةَ [2] ، ونقّص أحد المثلين ، فقال :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ بِهِ
والقولُ يعرفه الرِجَال ذوو النُّهَى

ومنه قول الحُطيئة [3] :

متى تأتِه تعشو إلى ضوْءِ نارِه
تَجِدْ خيْرَ نارٍ عندها خيْرُ مُوقِدِ [4]

أخذه أبو رمحٍ الخزاعي ، فقال :

---

(١) في الأصل « الرجل » ديوانه (ت: ابي الفضل) : ٢٣٨ ، وفيه : « ما طلبت » وديوانه (شرح السندوبي) : ١٦٩ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٥٧ وفيهما : « والله انجح ما طلبت به » .
(والبيت مرّ في ص ٢٤٥) .

(٢) هو أبو اسحاق ابراهيم بن هرمة بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة . آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم . وكان من مخضرمي الدولتين . مدح الوليد بن يزيد ، ثم آبا جعفر المنصور . وكان منقطعاً إلى الطالبيين .
وكان مولده سنة سبعين ، ووفاته في خلافة الرشيد بعد الخمسين ومائة تقريباً .

(٣) يمدح ابن شماس قواعد الشعر (ت: د. عبد التواب) : ٥٠ .

(٤) البيت في ديوانه (دار صادر ـ بيروت ١٩٦٧) : ٥١ وديوانه (ت: نعمان طه) : ١٦١ وشرح شواهد المغنى (الشنقيطي) : ١٠٥ و ١٦٣ والعقد الفريد (ت: أحمد أمين وآخرين) ٥ : ٢٧١ ، وزهر الآداب (ت: البجاوي) ٢ : ٩٠٧ والأغاني (بولاق) ٢ : ٦١ ونهاية الأرب (دار الكتب) ٣ : ١٨٧ .

متى تأتِه تعشُو إلى ضوء نـــارِهِ
تجدْ ماجداً منها القِرى غيْرَ ياسِرِ

ومنه قول عنترة :

وإذا سكــرتُ فإنّني مستهـــلكٌ
مالِي ، وعِـرْضي سالمٌ لم يُكْلَـــمِ
وإذا صحوْتُ فما أقصِّر عـــن ندى
وكما علمتِ شمائلي وتكرُّمـــي [1]

أخذ المعنى حسّانُ بن ثابت :

ونشربُهـــا فتتركُنـــا ملوكـــاً
وأُسْداً ما يُنَهْنِهُنا اللّقـــاءُ [2]

فوفى غيرُه صفةَ حالهِ في الصحْو والسُّكْر ، وأتى [3] حسان بصفة حالهم في السكر حسْب فنقص المعنى ، لأنه قد يظن بهم البخل إذا صَحَوا ؛ لأن من شأن الخمر أن تسخي البخيل وتشجّع الجبان .

---

(١) البيتان في شرح المعلقات للزوزني (دار صادر ـ دار بيروت ١٩٦٣) : ١٤٦ وفي البيت الأول « شربت » مكان « سكرت » ، و « وافر » مكان « سالم » . وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٨١٢ وديوانه (ت: عبد المنعم شلبي) : ١٤٩ وديوانه (دار صادر ببيروت) : ٢٤ وروايتها كرواية المعلقات ما عدا بدء البيت الأول ففي المعلقات « وإذا » وفي هذه المراجع « فإذا » وقد ورد في حاشية ـ شعراء النصرانية : « ويروى : وإذا انتشيت » ، وورد الثاني في الكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ٥٨ و ٧٠ .

(٢) شرح ديوان حسان : عبد الرحمن البرقوقي (بيروت ١٩٦٦) : ٦٠ .

(٣) في الأصل : أبى .

النوع الثاني -- نقل الوجيز إلى المسْهب .

ومنه قول سلم [1] الخاسر :

أقبلْـنَ في رأدِ الضّحـاءِ بنــا
يَستُرْنَ وجْهَ الشّمْسِ بالشّمْسِ

أخذه الآخر فقال :

وإذا الغزالةُ في السماء تعرّضــتْ
وبَــدا النهارُ لوقتــه يترحّــلُ
أبدتْ لعيْنِ الشّمْسِ عيناً مثلَهــا
تلْقَى السماء بمثْلِ ما تستقبــل

ولا زيادةَ في معنى هذا الشعر على ما تقدمه ، مع زيادةِ ألفاظه وإن كان جيــداً .

النوع الثالث ـ نقل الجزل إلى الركيك :

ومنه قولُ بعضِهم :

كأنّ ليــلى صبير عــادية أو دمْنَةَ زيّنت بها البِيَعُ

أخذه أبو العتاهية ، فقال [2] وقصر في المعنى واللفظ :

كأن عُتّابــة من حسْنِها دمْنة قَسٍ فتنتْ قَسّها [3]

النوع الرابع ـ نقل ما حسن معناه إلى ما قبح مبناه .

منه قول امرىء القيس :

---

(١) في الأصل : سالم الحاشر .

(٢) يتنزل في عتبة وقد سماها عتابة .

(٣) ديوانه (بيروت ١٩٦٤) : ٢٣٤ .

ألم تَرَيَاني كلما جئتُ طارقـاً
وجَدتُ بها طيباً وإن لم تَطَيّبِ [1]

فذكرَ وجوده الطيِّب في بشرة من لم يمسّ طيباً ، وأتى بالمعنى في بيتٍ متسق النظـم .

أخذه كثيرٌ فقال :

وما [2] روضةٌ بالحَزْنِ طيبةَ الثّـرى
يمُجُّ النّدى جثجاثُها وعرارُهـا

بأطيبَ من أرْدانِ عزّةَ مَوْهِناً
إذا [3] أوقدتْ بالمنَدلِ الرّطْبِ نارُها [4]

---

(١) ديوانه (ت: أبي الفضل) : ٤١ وديوانه (شرح السندوبي) : ٤٧ ووفيات الأعيان (ت: محيي الدين) ٣ : ٢٦٨ والعقد الفريد (ت: أحمد أمين وآخرين) ٥ : ٣٧٣ والرواية في الجميع كرواية الأصل . وديوانه (هندية بالقاهرة ١٣٤٧) : ٦٦ و ١٠٥ و ٢٢٠ والصناعتين (ت: أبي الفضل والبجاوي) : ٩٧ والوساطة (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٣١٢ وأوله في هذه الثلاثة « ألم تراني » . والمستطرف (مصطفى الحلبي) ١ : ٥٥ والشطر الأول فيه :

* وكنت إذا ما جئت بالليـل طارقاً *

(٢) في الديوان ووفيات الأعيان ٣ : ٢٦٨ « فما » .

(٣) في الديوان وسر الفصاحة : « وقد » .

(٤) البيتان في الديوان : ٤٢٩ ، ٤٣٠ وقد فصل بينهما بيتان . وقد وردا في الصناعتين (ت: البجاوي وابي الفضل) : ٩٧ وفيه « تمج » موضع « يمج » و « حوذانها » موضع « جثجاثها » في البيت الأول و « قد » موضع « إذا » في البيت الثاني . وفي الحماسة البصرية (حيدر آباد) ٢ : ١٩٩ وذكر بعدهما أربعة أبيات . وفي حماسة ابن الشجري (حيدر آباد) : ١٩٤ وقد فصل بينهما البيت الآتي :

لها أرج بعـد الهـدوء كأنما تلاقت بها عطارهـا وتجارهـا =

فأخبَر أنها إذا تبخّرت بالعود الرّطبِ أربى عرْفُ أرْدانِها على عرف الروضة ، وهذا ما لا يعدمُ في غيرها . فقصّر غايةَ التقصير .

النوع الخامس – نقلُ ما حسُنَتْ قافيتُه إلى ضده .

ومنه قولُ أبي نواس :

دعْ عنكَ لومي ، فإنّ اللّوْمَ إغــراءُ
وداوِني بالّتي كانتْ هي الدّاءُ [1]

أخذه أبو تمام فقال :

قَدْكَ اتّئِبْ أَرْبَيْتَ في الغُلَوَاءِ [2]
كم تَعْذلون [3] وأنتمُ سُجَرائي [4]

= وفي وفيات الأعيان (ت: محيي الدين) ٣ : ٢٦٨ وفيها : « زهراء » موضع « بالحزن » في الشطر الأول من البيت الأول وانظر ما ورد هناك بشأن هذين البيتين . وفي المستطرف (مصطفى الحلبي) ١ : ٥٥ وفي سر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٥١ .

(١) ديوانه (ت: احمد الغزالي – بيروت) : ٦ و (نشرة دار صادر – بيروت) : ٧ و (الحميدية المصرية ١٣٢٢ هـ) : ٢٠٠ .

(٢) في الأصل « الغلوا » و « سجرا » في نهاية الشطر الثاني .

(٣) في الأصل « لم يعدلون » .

(٤) ديوانه (ت: عبده عزام) ١ : ٢٠ والبيت مطلع قصيدة للشاعر في مدح يحيى بن ثابت . ويقول محققا المثل السائر (د. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ١٠٢ إن القصيدة في مدح محمد ابن حسان الضبي . وقد احالا إلى (الديوان ٢٢/١) وورد الشطر الأول في الموازنة (ت: محيي الدين) : ٢٥ و (ت: السيد صقر) : ٢٥ كما ورد بأكمله في النشرة الأولى : ٣٩١ وفي النشرة الثانية : ٤٤٢ وورد شطره الأول ايضاً في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ١٤٣ ، وقدك : يكفيك ، واتئب : استح ، وأربيت : زدت ، والسجراء : جمع سجير ، وهو الانيس .

فصعّد في الرجز وصوّب ، وقبح صَدْرَ البيتِ وقافيته .

القسم الثاني : الالتقاط والتلفيق [1] :

وهو ترقيع الألفاظِ واجتذاب الكلام حتى ينْظم منه البيت ، أو يؤلّف الفصل . ومنه قول الشاعر [2] :

إذا ما رآني مُقْبِلاً غضّ طرفَـهُ
كأنّ شعاعَ الشمسِ دوني يقابلُه [3]

فقوله « إذا ما رآني مقْبلاً » من قول جميل :

إذا ما رأوْني مُقْبِلاً من ثنيّـةٍ
يقولون : مَنْ هذا ؟ وقد عرَفوني [4]

وقوله «غضّ طرفَه» من قول جرير :

فغُضّ الطّرْفَ إنّك مـن نُمَيْـرٍ
فلا كعباً بلغت[5] ولا كِلاَبَـا [6]

---

(١) انظر ما ورد عنها في العمدة ٢ : ٢٨٩ و ٢٩٠ وفي معجم البلاغة العربية : ٨١٥ .

(٢) هو يزيد بن الطثرية .

(٣) ورد البيت في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٢٨٩ وفي معجم البلاغة العربية : ٨١٥ .

(٤) ديوانه (دار صادر ـ بيروت ١٩٦٦) : ١٢٤ ، ومعجم البلاغة العربية : ٨١٥ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٢٨٩ وفي الجميع : « طالعاً » موضع « مقبلا » .

(٥) في الأصل « ولا تعبا بكعب » .

(٦) ديوانه (دار صادر ـ بيروت ١٩٦٤) : ٦٣ وديوانه (بشرح ابن حبيب) : ٨٢١ وديوانه (نشرة الصاوي) : ٧٥ والعمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٢٩٠ ومعجم البلاغة العربية : ٨١٦ .

وقوله « كأنّ شُعاعَ الشمس دوني يُقابِلُهُ » من قول عنترةَ الطائي [1] :

إذا أبصَرْتَني أعرضْتَ عنّي
كأنَّ الشمسَ من قبلي [2] تَدُورُ [3]

القسم الثالث : الاهتدام [4] ويسمى نسخاً :

وهو افتعالٌ من الهدم ، شبيهٌ بهدْم البيت من البناء . وكذلك سُمي البيت من الشعر بيتاً ، لأنه يشتمل على الحروف اشتمال البيتِ على ما فيه . ومنه قول جميل [5] :

قامتْ تودعُنَا والعينٌ ساجمَةٌ
إنسانُها بفضِيضِ الدمْعِ مكتحِلُ
ثم آستَدارَ على حوْراء ساجية
لمّا تبَادَرَ منها دمْعُها الهَمِلُ
كأنّه حين مار الماقيان بهِ
درٌّ تقصّع منْه السِلْكُ مُنْسَحِلُ

---

(1) هو عنترة بن عكبرة الطائي ، وعكبرة أمه ، وأبوه الاخرس بن ثعلبة . وهو فارس شاعر ، (انظره في المؤتلف والمختلف للآمدي) .

(2) في الأصل « من قيلى » .

(3) ورد البيت في المؤتلف والمختلف (ت: فراج): ٢٢٦ كما ورد في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٢٩٠ وفي معجم البلاغة العربية ١ : ١٣٨ و ٨١٦ وفيهما « من حولي » موضع « من قبلي » .

(4) انظر ماورد عنه في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٢٨٧ وفي معجم البلاغة العربية: ٩٠٤ .

(5) لم أجده في ديوانه (دار صادر ــ بيروت ١٩٦٦) .

اهتَدَمه جرير فقال :

قامت تودّعنا والعينُ ساجمةٌ
كأنّ إنسانَها في لجةٍ غَرِقُ [1]

ثم استَدار على أرجاءِ مقْلتِها
مُبادراً خُلَسَات الطّرفِ تستَبِقُ

كأنّه حين مَارَ الماقيان بِهِ
دُرٌّ تسلّل من أسلاكه نسَقُ

ومنه قول أبي صخر الهذلي :

وإني لآتيهَا [2] وفي النفْسِ هجرُها
بتاتاً لأخْرى الدهْرِ ما طلع الفَجْرُ

فما هو إلاّ أن أراها فجاءةً
فأبْهَتَ لا عرفٌ لديّ ولا نكْرُ

اهتدمه كثّير فقال :

وإني لآتيها [3] وفي النفس هجرُها بتاتاً لأخرى الدهْر أو لتثيبُ
فما هو إلا أنْ أراها فجاءةً فأبْهَتُ حتى لا [4] أكاد [5] أجيب [6]

القسم الرابع : الإغارة [7] :

وهي أن يسمع الشاعر الفحلُ الأبياتَ البارعةَ بدت للشاعر وباينت

---

(1) لم أجد الابيات في ديوانه (نشر : الصاوي) و (نشر : دار صادر ، ودار بيروت) .

(2) في الأصل « لآيتها » . (3) في الأصل « لأيتها » .

(4) في الديوان « ما » . (5) في الأصل « أكاد » .

(6) ديوانه (بتحقيق د. احسان عباس) : ٥٢٢ .

(7) انظر ما ورد عنها في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٢٨٤ و ٢٨٥ وفي معجم البلاغة العربية : ٦٢٦ .

مذْهبَه في أمثالها وشابهت شعره هو وطريقته ، فيغيرُ عليها نهباً . ويأخذُها غصْباً ، فيسلّمها ناظمُها ، خوفاً من تكذيبه لمباينتها مذهبه وتصديق المغير عليها لمشاكلتها طريقه ، اثباتاً لمسائلتِه وعجزاً عن مساجلته .

وهذا بابٌ لا يحتاجُ إلى التمثيل .

القسم الخامس : الاصطراف [1] والاستلحاق :

ومعناهما : أن يصرفَ الشاعرُ البيتَ والبيتين والثلاثة من كلام غيرهِ إلى أبياته ويلحقها في نظمه .

والفرق بين المغير والمصْطرف أنّ المغيرَ يستند إلى الاحتياج فيما أغار عليه بالمشاكلة ، والمصْطرف إنما يجد كلاماً يتم به معناه فيدعيه . وقد يستلحق الشاعرُ على سبيل التمثيل ، وهذا هو التضمين ، وقد مضى ذكرُه في أبواب البديع .

والذي اصْطرفه الشعراءُ من الشعر كثيرٌ ، لا حاجةَ إلى تمثيلهِ .

القسم السادس : الانتحال [2] :

وهو تَناوُل الكلام برمّتِه وأخذُه على هيئته ، كالذي يحكى عن امرىءِ

---

(١) انظر ما ورد في « الاصطراف » في معجم البلاغة العربية ١ : ٤١٩ وفي العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٢٨١ – ٢٨٤ .

(٢) انظر ما ورد عنه في العمدة (ت: محيي الدين) ٢ : ٢٨٣ و ٢٨٤ وفي معجم البلاغة العربية : ٨٦٤ .

القيس في آدعائه شعرَ عمْرو بن أمية وابن حمام الكلبي ، فإنّه ذكر أنهما كانا يصحبانه فلما ماتا غلبَ على شعرِهما فانتحله . وحكى أنّ عامّةَ شعرِ عنترةَ ابن شدّاد لهراشة بنِ أسد العبْسي ، وأنّ عنترةَ كان عبداً له ، فلمّا مات ادعى شعرَه . وقد ذكر مثلُ هذا عن جماعةٍ من الفحول نطيل بتعْدادِهم . وفيما أوردناه كفاية فيما أرَدْناه [1] .

أنموذج للسرقات [2] :

هذا أنموذج يتعرف به الوجْهُ في تداوُلِ المعاني وتَهادِيها ، وتصريفها

---

(١) ذكر ستة أقسام فقط ، مع أنه ذكر ابتداء أن الأقسام سبعة . (انظر ص ٤٣٦) .

(٢) عقد ابن الاثير في كتابه المثل السائر باباً للسرقات الشعرية وأقسامها . (انظر ٣ : ٢١٨ إلى نهاية الجزء ، و ٤ : من بدايته إلى ص ١٢ بتحقيق : د. الحوفي ود. طبانه) .
ويقول المؤلف في هذا الصدد : « وكنت ألفت فيها كتاباً ، وقسمته ثلاثة أقسام : نسخاً ، وسلخاً ، ومسخاً . أما النسخ فهو أخذ اللفظ والمعنى برمته من غير زيادة عليه ، مأخوذاً ذلك عن نسخ الكتاب . وأما السلخ فهو أخذ بعض المعنى ، مأخوذاً ذلك من سلخ الجلد الذي هو بعض الجسم المسلوخ . وأما المسخ فهو إحالة المعنى إلى ما دونه ، مأخوذاً من مسخ الأدميين قردة . وها هنا قسمان آخران خللت بذكرهما في الكتاب الذي ألفته ، فأحدهما أخذ المعنى مع الزيادة عليه ، والآخر عكس المعنى إلى ضده ، وهذان القسمان ليسا بنسخ ولا سلخ ولا مسخ . وكل قسم من هذه الأقسام يتنوع ويتفرع وتخرج به القسمة إلى مسالك دقيقة » : ٢٢٢ .

ومن العلماء والنقاد الذين درسوا السرقات ــ كما أشار محققا الكتاب المذكور ــ القاضي الجرجاني في مؤلفه « الوساطة » ، وأبو هلال العسكري في كتاب « الصناعتين » .
ولا يفوتنا أن نذكر ما أشار إليه المحققان في مقدمتهما من أن ابن الأثير يعد « من أعظم نقاد العرب الذين درسوا السرقات الشعرية وفصلوا القول في ضروبها ، ويعد المثل السائر أعظم الكتب التي درس فيها هذا الموضوع دراسة خصبة مجدية » : ٢٩ .
وقد أورد العلوي في الطراز أيضاً نبذة من السرقات وفصل القول في أنواعها الخمسة =

في الأساليب التي تقع فيها ، ويوضح ما قدمْنا القول عليه من اشتراك الفُصَحاءِ البلغاء في المعنى الواحد وتصرفهم فيه بالعبارات المختلفة . وقد بنيناه على الاختصار تجعداً من الإطالة والإكثار . والله الموفق بفضلِهِ .

قال امرؤ القيس [1] :

دِيمــــةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَـــفٌ
طَبَقُ الأرضِ تَحَرَّى وتَدُرّ [2]

أخذه أوسُ بن حجْرٍ ، فقال [3] :

دانٍ مُسِفٌّ[4] فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُهُ
يكادُ يدفعُهُ مَنْ قام بالـــرَّاحِ

وأخذه أبو نواس ، فقال وأحْسَنَ :

= تلك التي ذكرت في نص ابن الاثير (انظر الطراز ٣ : ١٨٨) كما خصص ابن رشيق في العمدة باباً للسرقات وما شاكلها (انظره في نشرة محيي الدين ٢ : ٢٨٠ — ٢٩٤) ومن المؤلفات الحديثة كتاب « السرقات الادبية » للدكتور بدوي طبانه وهو دراسة في ابتكار الأعمال الادبية وتقليدها . وقد قامت مكتبة الانجلو بالقاهرة بطبعه للمرة الثانية سنة ١٩٦٩ .

(١) في وصف الغيث . ديوانه (ت: ابي الفضل) : ١٤٤ وديوانه (شرح السندوبي) : ١٠٧ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٤٢ .

(٢) ورد الشطر الثاني في الأصل هكذا : طبق الارض تحرّى وبدر .
وما اثبتناه هو ما ورد في الديوان بنشرتيه ، وفي شعراء النصرانية .

(٣) في وصف السحاب . والبيت في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٤٥٤ وحماسة ابن الشجري (حيدر آباد) : ٢٢٥ .

(٤) « مسف » في ديوان الشعر العربي ١ : ١٤٠ لادونيس . والبيت قبله :
يا من لبرق أبيت الليل ارقبه   في عارضٍ كمضيء الصبح لمَّاحِ

حتّى غَدَا أوْطَفَ ما إنْ[1] لَـــهُ
دونَ اعتناق الأرضِ إقْصَارُ[2]

وقال الأفوهُ الأوْدِيُّ :

وتـــرى الطّـــير على آثارِنـــا
رأيَ عينٍ ثقــةً أن ستُمَـــارْ[3]

أخذه الآخرُ ، فقال :

وعتاق الطيْرِ تَهفــو[4] بطانـــاً
تتَخطّـــاهُمُ ومـــا تسْتقِيـــلُ

يضحكُ الضّبــعُ لقتْــلى هُذَيلٍ
وتـــرى الذيبَ لهـــا يستَهِـــلُّ

وأخذه النابغةُ ، فقال في الطير[5] :

---

(١) في الاصل « الوطف ما ان » .

(٢) ديوانه (نشرة دار صادر – ببيروت) : ٣١٩ و (ط. الحميدية المصرية ١٣٢٢ هـ) : ٧٣ والأوطف . الغمام المسترخي لكثرة مائه . والبيت من قصيدة يمدح فيها العباس بن الفضل بن الربيع . ومطلعها :

هل منـــك للمكتوم اظهـــار ... أم منـــك تغبيـــب وإنكـــار

(٣) ورد في جوهر الكنز : ١٩١ .

(٤) في الأصل « تهفوا » .

(٥) ديوانه (ت: كرم البستاني) : ١٠ ، ١١ وديوانه (ت: فوزي عطوي) : ٤٩ ، ٥٠ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٦٤٦ . والبيتان الأول والثالث في الصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢٢٥ وفي معجــم البلاغة العربية : ٩٣٢ وجوهــر الكنز : ١٤١ .

إذَا ما غَدَوْا [1] بالجيش حلّقَ فوقَهم
عصائبُ طيرٍ تهْتدي بعصائبِ

يُصانِعْنَهُمْ [2] حتى يُغِرْنَ [3] مغارهم
من الضَّارياتِ بالدماءِ الدَّوارِبِ [4]

جوانِح قد أيقَنَّ أن قبيلَه
إذا ما التقَى الجمْعانِ أولُ غالبِ

لهنَّ عليهم عادةٌ قد عَرَفْنَها
إذا عَرَضوا [5] الخطيَّ فوق الكوائبِ

وقال النابغة أيضاً :

ترى عافياتِ الطّيْرِ قد وَثِقَتْ لها
بِشَبْعٍ من السّخلِ العِتاقِ الأكائلِ [6]

أغار على هذا البيت الفرزْدق فقال :

---

(1) في الثلاثة الأولى من المراجع السابقة « عزوا .. فوقهم » اما الثلاثة الاخيرة ففيها « غزا .. فوقه » . وفي صبح الاعشى ١ : ٣٠٢ ورد الاول والثالث وفي الأول « غزا » .

(2) في الديوان : « يصاحبنهم » مكان « يصانعنهم » .

(3) في الأصل « نعرى » .

(4) في الأصل « الدوارف » .
وبين البيتين الاولين والبيتين يوجد في الديوان (بطبعتيه) وشعراء النصرانية هذا البيت:
تراهن خلف القوم خزر عيونها ... جلوس الشيوخ في ثياب المرانب

(5) في الديوان (بطبعتيه) وشعراء النصرانية « إذا عرض » .

(6) ديوانه (ت: كرم البستاني بيروت) : ٩٤ ، وديوانه (ت: فوزي عطوي ١٩٦٩) : ١٨٠ وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٦٩٨ وفيه « الاكابل » ويقول جامعه في الحاشية : (وفي نسخة : الأكابل) .

تَرى عافياتِ الطيرِ قد وثّقتْ لهـــا
بشبعٍ من السّخلِ [1] العتاق منَازِلُه [2]

وقال أيضاً [3] :

ويوم تُرَى جَوْزاؤُه من ظَلَامِــهِ
تَرى طَيْرَهُ قبل الوقيعَــةِ وُقّعَــا
لينْظُرنَ ما تقضي الأسِنّةُ بينَهـــم
وكلُّ حُسامٍ غِمدُهُ قد تسَعْسَعَا [4]
جَعلتَ [5] لعافيها بكـــل كريهَـــةِ
جُمُوعاً من [6] القتلى معافاً ومُشْبَعَا [7]
وحـــائمةٍ فوق الرماحِ نسُورُهـــا
صَرَعْتَ لعافيها الكَمِيَّ المُقَنّعَــا

وأخذه حميد بنُ ثور [8] فقال :

(١) في الأصل « السجل » .

(٢) ديوانه (بيروت ١٩٦٦) : ١٦٩ والبيت من قصيدة مطلعها :

سمونا لنجـران اليماني وأهلـه ونجران أرض لم تديّث مقاوله

(٣) ديوانه (بيروت ١٩٦٦) ١ : ٣٩٩ .

(٤) في الأصل « تشعشعا » . في اللسان . تسعسع أي أدبر وفنى إلا أقله ، وتسعسعت حال فلان إذا انحطت .

(٥) في الأصل « جعلت » بضم التاء ، وكذا « صرعت » في البيت الذي يليه .

(٦) في الديوان المذكور « إلى » .

(٧) في الأصل « مسبعا » .

(٨) شاعر مخضرم ، قضى الشطر الاكبر من حياته في الإسلام . وهو من فحول الشعراء المجيدين . توفي على الأرجح في أيام الخليفة عثمان رضي الله عنه .

إذا ما غزا (1) يوماً رأيتَ غيايَــةً (2)
من الطّيرِ ينظُرْنَ الذي هو صانعُ (3)

وأخذه أبو نواس فقال :

تَتَأيّــى (4) الطير غدوتـــه (5)
ثِقَةً بالشِّبْعِ من جَزَرِهْ (6)

أخذه أبو تمام فقال :

وقد ظُلِّلَتْ عِقْبانُ راياتِهِ ضُحــىً
بعِقْبــانِ طيرٍ في الدماء نواهِــلِ
أقامتْ مع الرايات حتّى كأنّهَــا
من الجيشِ إلاَّ أنها لم تُقاتِــل (7)

---

(1) في الأصل « غدا » .

(2) في الأصل « عمامه » . والغياية كل شيء أظل الانسان مثل السحابة والغبرة والظلمة ونحو ذلك .

(3) ديوانه (دار الكتب) : ١٠٦ وجوهر الكنز : ١٩١ .

(4) في الأصل « نيانا » .

(5) في الأصل « غدوته » .

(6) ديوانه (ط. الحميدية ١٣٢٢ هـ) : ٥٨ (نشرة دار صادر ـ بيروت) : ٣١١ والكامل (ط. الاستقامة) ١ : ٢٤٣ وفيه « تتأنى » ، وقد ورد في معجم البلاغة العربية : ٩٣٢ على هذه الصورة :

تتمنى الطـير غزوتـه ثقـة باللحم مـن جـزره

وكذا مثلها في صبح الأعشى ٢ : ٣٠٢ باستثناء « تتمنى » فقد وضع مكانها « يتوخى » .

(7) ديوانه (ت: عبده عزام) ٣ : ٨٢ ومعجم البلاغة العربية : ٩٣٢ وصدر الأول فيه :

* وقد ظللت أعنـاق أعلامـه ضحـا *

وصبح الأعشى ٢ : ٣٠٢ و ٣٠٣ وصدر الأول فيـه : =

وقال أيضاً :

ولم يَبْقَ في أرضِ البِقلاَّر طــائِرٌ
ولا سَبُعٌ إلا وقدْ باتَ مُولِما [1]

وأخذه بكر بن النّطاح [2] ، فقال :

وترى السِّباعَ من الجوارح فوقَ عسْكرِنــا جوانِـحْ
ثقــةً بأنا لا نزالُ نمير ساعتها الذبـــائِـحْ

وأخذه ابن جمهور[3]، فقال :

ترى جَوارحَ طيرِ الجوِّ فوقهــم
بين الأسنّةِ والرّاياتِ تختفِق [4]

وأخذه مروان بن أبي حفصة ، فقال :

لا يشْبــعُ الطّيرُ إلاّ في وقائعِــه
فحيثُ ما سَار سَارتْ فوقه زمَرَا
عوارِفٌ أنّه في كــلِّ معـــترِكٍ
لا يغْمد السيْف حتّى يكثر الجزرا

= * وقد ظللــت عقبان أعلامه ضحى *
وكذا ورد الاول على هــذه الصورة في جوهر الكنز : ١٩٢ .

(١) المرجع السابق ٣ : ٢٤٣ .
(٢) شاعر غزل ، من فرسان بني حنيفة ، انتقل إلى بغداد في زمن الرشيد ، توفي ١٩٢ هـ .
(٣) في « الفهرست » ورد اسم داود بن جمهور لشاعر له ديوان ، ولعله المقصود هنا . (انظر اسماء الشعراء الكتاب في الفهرست (لبنان) : ١٦٦ و (الرحمانية) : ٢٣٦) .
(٤) في الأصل « تحفق » .

وأخذه مسلم [1] ، فقال :

قد عوَّدَ الطيْرَ عاداتٍ وثِقْنَ بهــا

فهُنَّ يَتْبَعْنَه في كلِّ مرتَحَلِ [2]

وأخَذَه ابنُ قيس الرقياتِ ، فقال :

والطّيرُ إنْ سارَ سارتْ فوْقَ مَوْكِبِه

عوارِفاً أنّهُ يَسْطو فيَقْرِيهَــا [3]

ويقرُب من هذا المعنى قولُ الرَّاعِي :

بملجمةٍ لا يسْتقلّ غـــدا بهـــا

دفيفاً ويمشِي ٱلذيبُ فيها مـــع النّسْرِ

المعنى أنّ الغراب لا يطير محلّقاً ، ولكنه يطير عن قبيلٍ ويقع على آخر ، وأنّ النسر قد تملّأ فليس يقْدرُ على الطيران .

ومثله قول الآخر في العُقَاب :

فرى الطير بعْد الناس منها فأصبحَتْ

بسَاحةِ زيْدٍ ما يرفّ عقابُهَـــــا

وقال الآخر [4] وأبدعَ ما شاء :

---

(١) مسلم بن الوليد ، الملقب بـ « صريع الفواني » .

(٢) في الأصل « معترك » . وقد كتب فوقها بميل « وصوابه مرتحل صح » .
وورد البيت في معجم البلاغة العربية : ٩٣٢ وفي صبح الأعشى ٢ : ٣٠٢ وجوهر الكنز : ١٩٢ .

(٣) ديوانه (ت: د. نجم) : ١٩٩ .

(٤) هو أبو الطيب المتنبي .

وذُو لَجَبٍ لا ذو الجَنَاحِ أمامَــهُ
بناجٍ ولا الوحْشُ المُثَارُ بسـالِـمِ

تَمُرُّ عليه الشمسُ وهي مريضَـةٌ
تُطالِعُهُ من بين ريشِ القشَاعِمِ

إذا ضوؤُها [1] لاقى من الطّيْرِ فُرجَـةً
تَدَوَّرَ فوْقَ البيْضِ مثْلَ الدراهِمِ [2]

وقال الآخــر [3] :

يُطمِّعُ الطّيرَ فيهم طولُ أكْلِهِـم
حتّى تكادَ [4] على أحيائِهِم تَقَعُ [5]

وقال عمرو بن كلثوم التّغْلبي [6] :

---

(١) في الأصل « ضوُها » .

(٢) ديوانه (بشرح البرقوقي - بيروت) ٤ : ٢٤٠ والمثل السائر (ت: د. الحوفي ود. طبانه) ٣ : ٢٨٤ وفيهما « ضعيفة » مكان « مريضة » في البيت الثاني .
ويقول صاحب المثل السائر عقب هذه الأبيات : وهذا من إعجاز أبي الطيب المشهور ، ولو لم يكن له من الإحسان في شعره إلا هذه الأبيات لاستحق بها فضيلة التقدم .

(٣) هو أبو الطيب المتنبي .

(٤) في الأصل « تكاد » .

(٥) ديوانه (بشرح البرقوقي - بيروت) ٢ : ٣٣٤ وديوانه (شرح الواحدي - برلين ١٨٦١) : ٤٥٣ ، وسر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ٢٦٣ ، والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢٢٦ ، وبديع القرآن (ت: د. شرف) : ٢٢٣ ، ومعجم البلاغة العربية : ٨٧٠ .

(٦) في الأصل « الثعلبي » .

فآبوا [1] بالثّيابِ وبالسّبايَا
وأُبْنَا بالملوكِ مصفّدينا

أخذه أبو تمام ، فقال وأحسن :

إنّ الأسودَ أسودَ الغيلِ همّتُها
يومَ الكريهةِ في المَسْلوب لا السّلَبِ [2]

وأخذه أحمد بن الحسيْنِ المتنبّي ، فقال وفضحه ، لتكريره اللفظ واستعماله سوقيه وتقبيحه المعنى :

ونَهْبُ نفوسِ أهْل النّهْبِ أولى
بأهْلِ ٱلْمَجْدِ من نَهْبِ القُماشِ

وقال جابر العاصري :

رمتْنِي كعاباً ناشئاً ثم عقّبتْ
برمي على حين انتهتْ فأشبّتِ
فلم أر في الرامينَ يومي كرميِهَا
ولم يرم مثلي مثلُهَا إذ تولّتِ
تريش بريشِ الزعفرانِ سهامَهَا
وبالإثمدِ الغريب والكحل سنّتِ

أخذه جرير ، فقال :

---

(١) رسمت في الأصل « فآابو » .

(٢) ديوانه (ت: عبده عزام) ١ : ٦٦ .

إنَّ العيونَ التي في طرْفها مَرَضٌ [1]
قتلْنَنَا ثم لم يُحيِين قتلانــــا [2]

وأخذَه مسلم ، فقال :

مَا كان أصْلح للأبْطــال لو جعَلوا
مكان أسْيَافِهم في الحرب أحداقــا

وأخذَه عبد السلام بن رُغْبان ، الملقب بديكِ الجنِّ ، فقال :

لم يكفِكمْ قتلُ الفوارسِ بالقنــــا
حتى تَصدَّيتُم لهــم بالأعيُنِ [3]

وأخذَه عبد الصَّمد بنُ المعذّل ، فقال :

إنّ العيونَ إذا مُكِّنَ [4] من رجُلٍ
فعلْن بالقَلْب ما لا تفْعَلُ الأسَــلُ

وليْسَ بالبَطلِ المــاشي إلى بَطَلٍ
في الحربِ تخمدُ أحيانــاً وتشتعِــلُ

---

(1) في ابن خلكان (النهضة) ١ : ٢٨٦ « حور » وكذا في ديوانه (دار صادر ـ بيروت) : ٤٩٢ وأيضاً في جمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ١١٤ وصبح الأعشى ٢ : ١٨٧ . وقد ورد برواية الأصل « مرض » في طبقات فحول الشعراء (ت: شاكر) ١ : ٤١٢ .

(2) ديوانه (بشرح ابن حبيب) ١ : ١٦٣ ، وديوانه (نشرة الصاوي) : ٥٩٥ والنصف الأول من كتاب الزهرة : ٩ وخزانة ابن حجة (الخيرية بمصر) : ١٩٣ والعمدة (ت: محيي الدين) ١ : ٢٠١ .

(3) لم أجده في ديوان الشاعر (ت: د. أحمد مطلوب ، وعبد الله الجبوري ـ بيروت ١٩٦٤).

(4) في الأصل « مكن » بتشديد النون وكسرها . وهو خطأ من الناسخ .

لكنّه من جوىً [بالقلب] قــد رشَقَــتْ
فيه العيونُ فذاك الفارسُ البَطَــلُ

وأخَذَه الشريف الموسويُّ ، فقال :

لو أنّ قومك نصَّلوا أرماحهم [1]
بعيون سرْبِكَ ما أبلَّ طعــينُ

وأخذه مهيار [2] الديلميُّ ، فقال :

قومٌ إذا قامَ الوغى على ســاقْ
ركبوا القنا وطَاعنوا بالأحْــدَاقْ

وقال الفرزدق [3] :

يكــادُ يُمْسِكُه عرفــانَ راحتِهِ
ركنُ الحطيمِ إذا ما جاء يَسْتَلِمُ

أخذه الآخر فقال :

---

(1) ورد الشطر الاول في الاصل هكذا « لو ان قومــ ... رماحهم » والزيادة من ديوانه (مؤســة الاعلمي ـ بيروت) ٢ : ٨٨٨ .

(٢) في الأصل : معيــار .

(٣) في زين العابدين بن الحسين بن علي . ديوانه (بيروت ١٩٦٦) ٢ : ١٨٠ والبيت اورده العلوي في ذكر انواع المبالغة . (انظر الطراز ط. المقتطف) ٣ : ١٢٨ كما أورده ياقوت في ترجمة محمد بن الحسن الحاتمي . (انظر معجم الادباء ـ مرجليوث) ٦ : ٥١١ . وكذا اورده ابن الاثير الحلبي في كتابه جوهر الكنز (ت: د. سلام) : ١٣٩ مثالا لـ (الاقتصاد) وهو : أن يكون المعنى المضمن في العبارة على حســب ما يقتضيه المعبر عنه وفي منزلته . وضبطت « عرفان » بالرفع و « ركن » بالنصب .

تكـــاد رباعُـــه تَهوي سراعـــاً

إلى العَافين منْ فَرطِ آشْتيـــاقِ

وأخذه أبو تمام ، فقال :

تكاد [مغانيه] تَهِشُ عِراصُهــا

فتركبُ من شوقٍ إلى كلِّ راكِـبِ [1]

وأخذه أبو عبادة [2] ، فقال [3] :

ولو أنَّ مشتاقاً تكلّفَ فوْقَ مـــا

في وُسْعِـهِ لسعى إليكَ المِنْبرُ [4]

وأخذه أبو الطيب المتنبي ، فقال :

---

(١) ديوانه (ت: عبده عزام) : ٢٠٤ .

(٢) البحتري .

(٣) في المتوكـل .

(٤) ديوانه (ت: الصيرفي) ٢ : ١٠٧٣ وروايته هنـاك :

فلو أن مشـتاقاً تكلف غير ما في وسعه لمشى إليك المنبر

ووفيات الأعيان (ت: محيي الدين) ٥ : ٧٧ وروايته كالروايـة السابقة باستثناء « غير » فقد وضـع مكانها « فوق » ومعجم البلاغة العربية . وبديع القرآن (ت: د. شرف) : ٢٠٢ ومعجم الأدباء (مرجليوث) ٦ : ٥١١ . وبدء البيت فيهما « لو أن » . والطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ٢ : ٣٠٧ وروايته كرواية الأصل . وثمرات الأوراق (على هامش المستطرف) ١ : ١١٦ وأوله « فلو أن » . وورد مرة أخرى جـ٢ ص١٠٠ وأوله « لو أن » . وقد روى في سر الفصاحة (ت: الصعيدي) : ١٢٢ على هذا النحو :

فلو أن مشتاقاً تكلف غير ما في طبعه لمشى إليك المنبـر

لو تَعْلَمُ الشَّجرُ التي قابَلْتَهـــا
مدَّتْ مُحَيِّيةً إليك الأغْصُنـــا (1)

وقال النابغة (2) :

فإنكَ كالليْلِ الذي هو مُدْرِكـي
وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنتأى عنك واسعُ
خَطاطِيفُ حُجْنٌ في حبالٍ متينـةٍ
تَمُدُّ بها أيْـدٍ إليك نـوازِعُ (3)

أخذه سَلم الخاسِر (4) ، فقال :

وأنتَ كالدَّهـرِ مبثوثاً حبائِلُـه
والدهْرُ لا منْجاً مِنْهُ ولا هَـرَبُ
ولو ملكتُ عنانَ الريـحِ أصْرِفُـه
في كل ناحيةٍ مـا فاتك الطَّلَـبُ

وأخذه الفرزدق ، فقال :

---

(1) ديوانه (بشرح البرقوقي ـ بيروت) ٤ : ٣٣٥ و (بشرح الواحدي ـ برلين ١٨٦١) : ٢٣٦ ووفيات الأعيان (ت: محيي الدين) ٥ : ٧٧ وفي الجميع « تعقل » مكان « تعلم » . وورد في بديع القرآن (ت: د. شرف) : ٢٠٢ .

(2) ديوانه (ت: د. شكري فيصل) : ٥٢ وديوانه (ت: كرم البستاني) : ٨١ و ٨٢ وديوانه (ت: فوزي عطوي) : ٨٤ .

(3) الخطاطيف : جمع خطاف ، وهو الحديدة المعوجة تخطف بها الأشياء . وحجن : جمع أحجن حجناء أي معوجة ، ونوازع : منخذبة . ويقصد الشاعر أن الدنيا ضاقت علي فكأني من ضيقها في بئر ، فإذا أردتني وأمرت بسوقي إليك فأنا أفد إليك بالخطاطيف لا أجد غيرك (تعليق د. حفني ص١٤٢ البرهان) .

(4) في الأصل « سالم الحاشر » .

ولو حمَلَتْني الريح ثم طلبْتَنِي

لكُنْتُ كشيءٍ أدركتْه مقادِرُهْ [1]

وأخذه علي بن جبلة ، فقال :

وما لامْرِىءٍ [2] حاولْتَه مِنْك مهربٌ

ولو رفَعتْه في السماءِ المطالعُ

بلى هاربٌ لا يهتدي لسبيلِه

ظلامٌ ، ولا ضوءٌ من الصبح ساطعُ

وأخذه البحتري ، فقال :

لو أنّهم [3] ركبوا الكواكبَ لم يكُنْ

لمُجِدِّهم عن حدِّ بأسِكِ [4] مهربُ [5]

وأخذه عبيد الله بن عبد الله ، فقال :

وإنّي وإنْ حدثت نفسِي بأنّني

أفوتُك إنَّ الرأيَ مني لعازبُ

لأنّك لي مِثْل المكانِ المحيطِ بي

من الأرضِ أنّى استنهضَتْني المذاهبُ

---

(١) ديوانه (بيروت ١٩٦٦) ١ : ٢٥١ وورد الشطر الاول فيه على هذا النحو :

* وان لو ركبت الريح ثم طلبتني *

(٢) في الأصل « لامرى » .

(٣) في الأصل « ولو أنهم » .

(٤) في الأصل « ناسك » .

(٥) ديوانه (ت: الصيرفي) ١ : ٧٦ .

وقال ذو الرّمة :

لها بشَرٌ مِثْلُ الحريرِ ، ومنطقٌ
رخيمُ الحواشي لا هُراءٌ ولا نَزْرُ [1]

أخذه الهذليُّ [2] ، فقال :

وإنّ حديثاً منك لو تعلمينَه
جَنَى النّحلِ في ألْبانِ عُوذٍ مطافِلِ [3]

وأخذه الآخر ، فقال :

وحديثُها كالغيْثِ يسْمعُه
رَاعِي سِنين تَتَابَعتْ جَدْبَا

أخذه مالكُ بن أسماء ، فقال :

أذكُر من جارتي ومجْلِسَها
طَرائفاً من حديثها الحَسَنِ
ومن حديثٍ يزيدني مِقَةً
ما لحديثِ الموموق من ثَمَن

وأخذه بشار ، فقال :

(١) الطراز (ط. المقتطف ١٩١٤) ١ : ٢٧٠ وديوان الشاعر (كمبردج) : ٢١٢ وفيه « دقيق الحواشي » .
(٢) هو ابو ذؤيب .
(٣) ديوان الهذليين ١ : ١٤٠ وفيه « لو تبذلينه » مكان « لو تعلمينه » .

وحوْراء المدامِـــع من معَـــدٍّ
كأنّ حديثَها ثمرُ ٱلجنـــانِ [1]

وأخذه ابن الرومي ، فقال وأبدع ما شاء :

وحديثُهـــا السِّحرُ الحلالُ ، لو أنّهُ
لم يجنِ قتْلَ [2] المسْلــمِ المتحرّزِ
إنْ طال لم يُمْلَل وإن هي أوجــزتْ
ودّ المحدِّثُ أنّها لم تُوجِزِ [3]
شرَكُ النفوسِ ونُزهَـــةٌ ما مثلُهـــا
للمُطمـــئنِّ وعقلَةُ المستوفزِ [4]

وهذا بابٌ واسع المجال ، لا يوقف له على غاية . وفي الذي أوردناه منه

(١) ديوانه (ت: بدر الدين العلوي) : ٣٦٣ وفيه « قطع الجمان » موضع « ثمر الجنان » . وديوانه (نشرة الطاهر بن عاشور) ٤ : ١٩٨ وفيه « ودعجاء المحاجر » . وقواعد الشعر (ت: هارون) : ٢١٤ والاغاني ٣ : ٢٨ والكامل للمبرد ٢ : ٨٠ والخصائص : ٢٩ وأمالي المرتضى ٢ : ١٥٠ والصناعتين (ت: البجاوي وأبي الفضل) : ٢١٣ وفيهما « قطع الجمان » موضع « ثمر الجنان » . والموشح والكامل ، والعقد . وفيهما : « وبيضاء المحاجر » موضع « وحوراء المدامع » .

(٢) في الأصل « قبلْ » .

(٣) في الأصل ورد هذا البيت ثالث الأبيات ، ولكنا جعلناه ثانيها موافقين بذلك ما وجعنا إليه من المراجع ورائين أنه الأنسب في الترتيب .

(٤) ديوانه (جمع وتصنيف . كامل كيلاني) : ٤٠٩ وجوهر الكنز : ٢٢٣ ، وحماسه ابن الشجري (حيدر آباد) : ١٩٥ وفيها « لم يملك » قد علق المحقق بقوله : « لعله لم يملل » أقول وهو المناسب وقد ورد في الديوان وفي الأصل . والبيت الأول ورد في صبح الاعشى ١ : ٢٨٩ .

كفاية في تعرف الطريق المسلوكة إلى التصرف في المعاني والاحتذاء عليها ، إن شاء الله تعالى .

قول ــ في نقل معاني النظم إلى النثر ، والنثر إلى النظم :

نقلُ المعاني الواقعة في أحد قسمي الكلام إلى الآخر مستعمل ، لأنه لا معنىً من المعاني إلا وإبْرازه في ضروب التأليف ممكن . وقد أتينا من معاني المنظوم المنقولة إلى المنثور ، ومعاني المنثور المنقولة إلى المنظوم ، بما يكون مثالاً لنقل المعاني وتصريفها في العبارات المختلفة .

ذرو[1] مما [نقل] من النظم إلى النثر

فمن ذلك فصلٌ لأبي اسحاق الصَّابي :

« وعاد مولانا إلى مستقرِّه عودَ الحلْيِ إلى العاطلِ، والغيْث إلى الرَّوض الماحل » .

وهو قول أبي الطيب [2] :

ولله ِ سِرٌّ في عُلاكَ وإنّما
كلامُ العِدَى ضربٌ من الهَذَيانِ [3]

(١) في الأصل « درو » . في اللسان (ذرا) : ذرو من قول ، اي طرف منه ولم يتكامل .

(٢) المتنبي .

(٣) ديوانه (بشرح البرقوقي ــ بيروت) ٤ : ٣٧٣ و (بشرح الواحدي ــ برلين) : ٨٦١ . وقد أورده ابن الأثير الحلبي في كتابه جوهر الكنز (ت: د. سلام) : ٣٠٥ عند حديثه عن « الهجاء في معرض المدح » وقال معقباً « فهذا مدح موجه يحتمل أن يكون مدحا بحكم أن علاك فيه سر لله لم يهبه لغيرك . ويحتمل أن يكون هجواً ، أي أنك غير مستحق للعلى ، وإنما لله تعالى سر في تقديم من يصلح للتقديم ، ولا يكون أهلا للكرامة »

ومنه فصل لابن القَسِم [1] أيضاً « وقد أثنى عليه ثناءَ لسان الزَّهرِ على راحةِ المطر » ، وهو من قول ابن الرومي :

شكرتْ نعمةَ الوليِّ على الوسْـ ـميِّ [2] ثم العهادِ بعْدَ العهادِ
فهي تُثنِي على السماءِ ثناءً طيِّبَ النشرِ شائعاً في البلادِ
من نسيمٍ كأن مَسْراه في الأرْ واح مسرى الأرواحِ في الأجساد [3]

ومنه لابراهيم بن أحمد الضبي في فتح تولاّه إلى الصاحب بن عباد « وهيأ الله مولانا كافي الكفاة هذه المناجح التي هي نتائج عزمته وثمرات صرائمه ، فما نرى عنده وصنيعته وسائر من تكنفه ظله وعنايته نفوسهم إذا وُفّقوا لمذهبٍ من مذاهب الخدمةِ ، وهُدُوا لأداءِ حقٍ حق من حقوق النعمة ، إلا كالسِّهام إذا أصابتْ مرامها فراميها المصيب ، وما لها في المجد من نصيب » . وهو من قول أبي فراس :

وكنّا كالسِّهامِ إذا أصابتْ مراميها فراميها أصابا

---

(1) علي بن محمد القاضي التنوخي يسمى أبا القسم . ولد بأنطاكية ٢٧٨ ومات بالبصرة ٣٤٢ (انظر معجم الادباء ٥ : ٣٣٢) ويقول هناك :
عرف من التنوخيين هؤلاء الثلاثة : أبو القسم هذا ، وابنه أبو علي الحسن صاحب « نشوار المحاضرة » و « الفرج بعد الشدة » ، وحفيده أبو القسم علي الاخير شيخ الخطيب .

(2) في الأصل « الولى » .

(3) ورد البيت في الأصل على هذه الصورة :

من نسيم أصحى سراه إلى الأرواح سري الارواح في الاجساد

وانظر الابيات الثلاثة في الديوان (ت: د. حسين نصار) ٢ : ٦٨٣ و ٦٨٤ .

ذرو مما نقل من المنثور إلى المنظـــوم

من ذلك قولُ الشاعر :

قَضَى اللهُ أن البَغي [1] يصرعُ أهلَـــه
وأن على الباغي تَدُور الدوائـــرُ
ومنْ يحتفر بئْراً ليصْرعَ صاحبـــاً
سيهوى سريعاً في الذي هو حافرُ

وهو من قول الله تعالى « ولا يحيقُ المكرُ السيّءُ إلاّ بأهله [2] » وقول رسوله ﷺ « من حفر بئراً أوقعه الله فيها » .

ومنه قول الأخطل :

وكم قَتَلَتْ أرْوَى بلا ديـــةٍ لهـــا
وأرْوَى لفُرَّاغ الرجـــالِ قتـــولُ [3]

و [هو] من قول بعض الحكماء « العِشق شُغْل قلب فارغ » .

ومنه قول الشاعر [4] :

---

(١) في الأصل « السعى » .

(٢) سورة فاطر . الآية ٤٣ .

(٣) ديوانه (نشر : الأب أنطوان صالحاني ـ بيروت ط٢) وفيه « ترة » مكان « دية » .

(٤) هو مسلمة بن سلم كاتب خزيمة بن حازم .

إنّ من برِّ والــديك جميعــاً

أنْ تَوخّى مسرةَ الشعــراء [1]

وهو من قول معاوية بن أبي سفيان « إكرام الشعراءِ من بر الوالدين »

ومنه قولُ العباس بنِ الأحنف [2] :

أُحرَمُ فيكم بما أقــولُ وقــدْ

نــال به العاشقون مَن عَشِقــوا

صِرْت كأنّــي ذبــالةٌ نُصبَــتْ

تُضِيء للنــاس وهــي تحتَــرِقُ

وهو من قول عمر بن الخطاب : « أنا لكم ذبالة تضيئكم وتحترق » .

ومنه قول أبي تمــام :

فإنْ أنــا لمْ يحمدْك عنّي صاغــراً

عدوُّك فاعلَم أنّني غيْرُ صاغِرِ [3]

وهو من قولهم « إن من فضْلِ فلان أنّ أعداءه مجمعون على فضْلِهِ » .

ومنه قول أبي العتاهية :

---

(1) ورد البيت منسوباً إلى الشاعر المذكور في معجم الشعراء (ت: فراج) : ٢٧٩ والشطر الثاني فيه :

* أن توقى معرة الشعراء *

(2) لم اجدهما في ديوانه (بيروت ١٩٦٥) .

(3) لم يذكر البيت في ديوانه بشرح التبريزي (ت: عبده عزام) .

افـرح بمـــا تأتيـه من طيّـبٍ
إن يدًا المعْطِي هي العلْيَـــا [1]

وهو من قول النبي ﷺ « اليدُ العلْيَا خيرٌ من اليدِ السفْلَى » .

ومنه قول [القُراطيسى[2]]

حَسْبِي بعِلْمي إنْ نفـعْ   ما الذلّ إلاّ في الطمَعْ
مـا طـار شيءٌ فارتفـع   إلا كمـا طارَ وقـعْ [3]

وهو من قول النبي ﷺ « حقيقٌ على الله ألاّ يرفع شيئاً إلاّ وضعه » .

ومنه قول محمود الوراق [4] :

إني شكرْتُ لظالمــي ظُلمـي   وغفرت ذاكَ له على عِلم [5]

---

(1) لم أجده في ديوانه (بيروت ١٩٦٤) .

(2) هو اسماعيل بن معمر القراطيسي . له ترجمة في الأغاني (دار الكتب) ٢٠ : ٨٨ و (بيروت) ٢٣ : ٧٢ وفي معاهد التنصيص ٢ : ١٦٣ .

(3) ورد ثاني البيتين غير معزو في التمثيل والمحاضرة (ت: الحلو) : ٣٦٣ وفيه « طير » مكان « شيء » وورد البيتان ـ وبينهما بيت ـ في المستطرف (مصطفى الحلبي) ١ : ٧٢ وقد نسبت الأبيات إلى القراطيسي ، ولكن ورد « قطرى » موضع « معمر » .
وصدر البيت الأخير فيـه :

ما طـار طـير وارتفـع

(4) هو محمود بن حسن الوراق ، شاعر ، أكثر شعره في الحكم والمواعظ ، توفي نحو ٢٢٥ انظر : الأعلام ٨ : ٤٢ ، فوات الوفيات (مصر ١٢٩٩) : ٢٨٥ ، حماسة ابن الشجري (حيدر آباد) : ١٤١ .

(5) كتبت في السطر « علمي » وكتب فوقها « علم » .

مـــا زال يظْلمني وأَرْحَمُهُ حتى رثيتُ[1] له من الظُلْـمِ[2]

وهو من قول عبدِ الله بن مسعود «إنَّ الرجل ليَظلمني فأرحمُه» .

ومنه قول أبي عُثمان النّاجِم[3] :

ولي في حامـــدٍ أمـــلٌ قـــديمٌ ومدْح قد مَدحت به طريفُ

مَـــديحٌ لو مدحتُ بـــه الليالي لما جارتْ عليّ لها صُروفُ[4]

وهو من قول أرسطاطاليس « قد تكلمت بكلام لو مدحتُ به الدهرَ لما جارتْ عليّ صروفُه » .

ومنه قول الآخر :

ستَعْلم ما عَقْل امرىءٍ عند نطقِـهِ

وتعرفُ في إنصاتِـهِ حين ينصِـــتُ

---

(١) في الكامل « بكيــت » .

(٢) البيتان في الكامل (ط. الاستقامة) ١ : ٢٣٤ وبينهما أربعة أبيات . انظرهما هناك .

(٣) هو سعد بن الحسن بن شداد السمعي (نسبة إلى السمع بن مالك ، من بني عبد شمس ، من حمير ــ كما في التاج ــ) . كان الناجم يصحب ابن الرومي ويروي أكثر شعره . وقد ذكره ابن الرومي في بيتين وجههما إليه :

* أبــا عثمان أنــت عميــد قومــك * .. الخ

ــ مات ٣١٤ هـ .

(٤) ورد البيتان في معجم الأدباء (مرجليوث) ٦ : ٥١٠ وفي البيت الأول : « بعيد » موضع « قديم » و « قدمت » موضع « مدحت » ، وفي البيت الثاني : « لما دارت علي به » موضع « لما جارت علي لها » ــ وفي المخاطبة التي جرت بين المتنبي والحاتمي قال الثاني للأول : وأما قولك « في فيلق » ــ إشارة إلى بيته :

في فيلق من حديد لو رميت به صرف الزمان لمـا دارت دوائره

فنقله نقلا لم تحسن فيه ، من قول الناجم (وذكر هذين البيتين) .

وهو من قول عليٍّ عليه السلام، وقد سئل: في كم يعرفُ المرءُ أخاهُ، فقال: «إن نطق فلوقتِه، وإن سكَتَ فليومِه».

وهذا كاف في التمثيل.

قول في المواردة [1]:

لما كانت ألفاظ المعاني محصورةً متناهيةً، وغرائز المطبوعين في مواقَعةِ المعاني متكافيةً — وقع الاشتباه في كلامهم والاتّفاق في معانيهم. وقل من يسْلَم عن ذلك، ولو تحفّظ بغاية اجتهادِه، ووقف على التخلّص نهايةَ انتقادِه، ومن ههنا [2] صحّت المواردَة. وهي: تَطَابُقُ الخواطِرِ على المعنى الواحد واللفظُ المتوافق من غيرِ سرق. إلا أن السّابق إلى المعنى أولى به من اللاحق، والشبهة مرفوعةٌ عن المبتدع ومتوجهةٌ على المتبع.

وحكى الأصمعيُّ قال: قلت لأبي عمرو بن العلاء: الشاعران يتفقان على المعنى الواحد واللفظ الواحد، وما التقى أحدُهما مع الآخر ولا تجاورا في بلد، فكيف ذاك؟! فقال: عقولُ رجالٍ توافت على ألسنتها.

وقرأتُ لأبي منصور الثّعالبي فصْلاً في المواردة يليق ذكرُه بهذا الموضع، وهو قوله: وقد كان اتّفق لي في أيام الصبا [3] معنىً بديعٌ لم أقدر أني سُبقت إليه، ولا شوركتُ فيه، وهو قَول في أبيات:

---

(1) انظر: خزانة الأدب لابن حجة (الخيرية بمصر): ٤١٢ والكافي للتبريزي (ت: الحساني): ١٧٦ ومعجم البلاغة العربية: ٩٣٧.

(2) في الأصل «ها هنا».

(3) كتبت في الأصل بالياء.

قلبي وجداً مشتعل على الهموم مُشْتَمِل
قد ألبستَني في الهوى ملابِسَ الصبِّ العَوِلْ
إنْسانةٌ فتّانَةٌ بَدْرُ الدُّجى منها خجِلْ
إذا زنَتْ عيني بها فبالدّموع تغْتسِلْ

فأنْشِدْتُ لابن هنْدُو [1] :

يقواون لي ما بالَ عينِك مذ رأت
محاسنَ هذا الظّبْيِ أدْمعُها هُطْلُ
فقلت زنتْ عيني بطلْعةِ وجهِهِ
وكان لها من صوْبِ أدمُعِهَا غسْلُ

فصحَّ عندي تشارك الخواطر وتوارُدُها في المعنى ، إذ لا مجال للظن في سرقةِ أحدِنا من الآخر .

وأنا أقول : إن الخاطريْن وإنْ كانا قد توافَيا إلىهذا المعنى ، فإن أبا الطيِّب قد طرّق الطريق إليه بقوله في الحُمّى [2] :

وزائِرَتي كأنَّ بها حياءً فليس تَزُورُ إلاّ في الظّلامِ

---

(١) قال محقق نهاية الأرب (دار الكتب) عند ورود اسمه في ٧ : ٤٥ « لم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة ومعاجم الأعلام » وذكر أنه ورد في الأصل « بن هند » وذكره ياقوت في معجمه (هندية) ٥ : ١٦٨ بالواو أي (ابن هندو) .

(٢) ديوانه (بشرح البرقوقي ــ بيروت) ٤ : ٢٧٦ و (بشرح الواحدي ــ برلين ١٨٦١) : ٦٧٨ وبين البيتين يوجد هذان البيتان :

بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنها فتوسعه بأنواع السقام

إذا مـــا فارقَتْني غسّلَتْـنـي	كأنّا عاكفانِ على حَرَامِ

وهذا يَدْخل في أبواب السرقات ، وفي باب نقل المعنى من وجهٍ إلى وجـــه .

ومن المواردة قولُ امرىءِ القيس [1] :

عَيْنـــاكَ دمعُهمـــا سِجالُ	كأنّ شأنَيْهِمَا أوْشَـــالُ [2]
أو جَدْوَلٌ في ظلالِ نخْـــــلٍ	للمـــاءِ من تحتِـــهِ مجَالُ

وقول عَبيد [3] :

عيْناكَ دمعُهُمـــا سَروبُ	كأنّ شأنَيْهِمَا شَعِيـــبُ
أو جَدْوَلٌ في ظـلال نخْـــلٍ	لماءِ من تحتِهِ قَسيبُ [4]

ومنها قولُ امرىء القيس ، يصف الفرَس :

---

(١) ديوانه (ت: أبي الفضل) : ١٨٩ وديوانه (شرح السندوبي) : ١٨٢ وورد البيت الأول في « الزهرة » ١ : ٣٤٦ وبعده :

من ذكـر ليـلى وأيـن ليـلى	وخـير ما نلـت ما ينـال

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل « وسال » .

(٣) ديوان عبيد بن الأبرص (بيروت ١٩٦٤) : ٢٤ و ٢٥ وبينهما بيتان ، وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٦٠٦ و ٦٠٧ وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٤٧١ واللسان : مادة (شأن) والكافي للتبريزي (ت: الحساني) : ٤٣ .

(٤) هذا الشطر في الجمهرة « للماء تحته سكوب » . وفي شعراء النصرانية « للماء من تحته سكوب » . وقد ورد الشطر المذكور في الأصل شطراً للبيت السابق له في هذا المرجع (إذ يوجد بين هذين البيتين بيتان) . أما في اللسان (مادة : قسب) والتبريزي فقد ورد فيهما الشطر موافقاً لما جاء في الأصل .

له أُذُنانِ تعرِفُ العِتقَ فيهمـــا
كسامِعتَيْ مَذْعورةٍ أمّ ربْربِ [١]

وقول طَرَفة ، يصف الناقة :

لها أذنـــان يعرف العتق فيهمـا   كسامعتي مذعورة أم فرقَدِ [٢]

ومن المواردة : الاشتراك في اللفظ وليس بسرق ، وإنما هو توارُدٌ في ألفاظ محصورة يسوق المعنى اليها .

ومنه قول الغنوي :

ألا قد أرى – والله – أن لست منكم
وأن لستُم منّي ، وإن كنتمُ أهْلِي

وقول الآخر :

ألا قد أرى – والله – أني ميتٌ   ونخل مقيم سدرها وسيالهـا

---

(١) ديوانه (ت: ابي الفضل) : ٤٨ وفيهما « وسط » مكان « أم » ولم اجد البيت في ديوانه (شرح السندوبي) وشعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٢٥ .

(٢) في « ديوان طرفة » – بتحقيق د. علي الجنـدي – و « شـرح المعلقات للزوزني » و « شعراء النصرانية » لم يرد في المعلقة بيت بهذا الوضع ، بل ورد الجزء الأخير منه في البيت :

طحـوران عوار القـذى فتراهمـا   كمكحولتي مذعـورة أم فرقـد

والجزء الأوسط منه في هذا البيـت :

موكلتان تعـرف العتـق فيهمـا   كســامعتي شـاة بحومل مفـرد

(انظر ص ٤٢ ، ٤٣ من النشرة المذكورة للديوان) و (ص ٥٤ ، ٥٥ من شرح المعلقات – دار صادر – ودار بيروت ١٩٦٣) و (ص ٣٠١ من شعراء النصرانية – بيروت ط٢) وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ت: البجاوي ط١) : ٣٩١ ، ٣٩٢ وفيها « يعرف بالعتق » بالبناء للمجهول .

ومن قول عنترة :

ألا قاتَلَ اللهُ الطُّلولَ البَواليــــا
وقاتَلَ ذِكْراكَ السنينَ الخَواليا [1]

وقول جميــل :

ألا قاتل اللهُ النوى كيف أصبحَتْ
ألح عليها ما يبين ضَريرُها [2]

وأمثال هذا كثيرة :

ومن الموارده : ما يشبه المأخوذ وليس بمأخوذ ، وإنما هو شركةٌ مع إشْباع المعنى . ومن ذلك :

قول امرىء القيس :

إنّـــا وإياهُم وما بينَنَـا   كموْضع ِ الزَّور من الكاهِلِ

وقول الحارث بن حلزة :

وبيتُ شراحيــلَ في وائـــلٍ   مكانَ الثُّريّا من الأنجُـــمِ

وقول سحيم بن وثيل [3] :

ألــم تر أنّـــني مــن حميري   مكانَ الليث من وسطِ العرينِ [4]

---

(1) شعراء النصرانية (بيروت ط٢) : ٨١٥ وديوانه (دار صادر بيروت) : ٨٠ وديوانه (ت: عبد المنعم شلبي) : ١٩٢ .
(2) لم يرد في ديوانه (دار صادر ـ بيروت ١٩٦٦) .
(3) الرياحي . شاعر مخضرم . توفي نحو ٦٠ هـ .
(4) ورد في خزانة البغدادي (ت: هارون) ١ : ٢٦٠ وشطره الاول : =

وقول معقل بن مجمْع الأسدي :

ولـــو أني أشاء لكنتُ منهــم　　مكان الفرقَدين من النُّجُوم

وقول أبي الكنود الخزاعي :

أرادوا أن نـــــزول لهم فكنا　　مكان يَدِ [1] النَّديمِ من النديمِ

وقول عتبةَ بن الوغِل [2] ، في كعب بن جعيل :

وسمّيتَ كعبــاً بشرِّ العظـــامِ
وكان أبوك يُسَمّـــى الجُعَلْ

وإنّ مكـــانك مـــن وائــلٍ
مكانُ [3] القُرَادِ من استِ الجَمَلْ [4]

= وإن مكاننــا مــن حمــيري *

ويذكر البغدادي أن هذا البيت مطلع قصيدة لسحيم ، وليس البيت للعرجي كما توهمه التفتازاني في المطول .

(١) سقطت من السطر فكتبت فوق مكانها ، مردفة بـ « صح » .

(٢) ضبطت في المؤتلف والمختلف (ت: فراج) : ١١٥ (الوغل) بسكون الغين .

(٣) في الأصل « مكان » بالنصب .

(٤) نسب البيتان إلى الأخطل (انظر الأغاني ٧ : ١٧٠) ، وقد أوردهما الأب صالحاني ناشر ديوان الأخطل وساق قصتهما في ترجمته للشاعر التي استقاها من الأغاني .
وقد ذكر في تعليقه أن البيتين وردا في كتاب الاشتقاق لابن دريد (٢٠٣) وفي نسخة خطية من كتاب طبقات الشعراء خاصة خزانة كليته (٢٠) وخزانة الأدب (١ : ٢٢٠) إلا أنه في الصفحة ٤٥٨ رواهما صاحب الخزانة لعتبة بن الوغل التغلبي .
أقول : وقد وردا في الحماسة البصرية (حيدر آباد ١٩٦٤) ٢ : ٣٠٥ وفي المؤتلف والمختلف (ت: فراج) : ١١٥ منسوبين إلى عتبة بن الوغل ، كما في الأصل .

واستقصاء ما يجري هذا المجرى يخرج الكتابَ عن حده . وفيما أوْرَدْناه كفاية وإقناع لمن استدلَّ باليسير على الكثير .

ونحن وإن كنا قد سلّمنا فضيلة السبق للسابقين ، فلسنا نغض من اللاحقين . وكيف ذلك ! وهم نجوم الأرض وحلى الدهرِ والدين . حصلت لهم رتبة التوسّط والاعتدال في العبارة ، واختصوا بطبق الألفاظ الشريفة على المعاني اللطيفة ، وسلّمت لهم صور الصيغ الوهمية بعد إقرارها من موادّها التي أقيمت فيها حتّى اقتدروا على تحليتها بالحلى الناصعة ، وجلائها في الحُلَل البارعة . وإنّما عظمت أمْرَ الأولين ، لأنهم المنبع الذي يمتاح حميته ، والمغرس الذي تجتنى ثمرته ، ولتقدمهم في الزمان ، وسبقهم إلى قرع أبواب البيان ، وافتضاض [1] عُذَر المعاني ، وحاجة المتأخرين إلى الاستملاءِ عنهم والاقتباس منهم .

فليعرف من يقف على كتابنا هذا من أهل الصناعة اليراعيّة لكل قوم مرتبتهم التي رتبهم الحق بها ، وليتذكر ما أودعناه هذا الباب ويعمل عليه ، إذا أحبَّ أن يستنَّ سننهم ويقتفي أثرهم ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) في الأصل : واقتضاض .

الباب السابع

في أوضاع الخط وقوانينه ، وترتيب الصدور والعنوانات والأدعية والتواريخ والختم

الباب السابع

في أوضاع الخط وقوانينه ، وترتيب الصدور والعنوانات والأدعية والتواريخ والختم

قول في الخط وأحكامه

قد مضى مِمَّا تقدَّم من القول أنّ الخطَّ واللَّفظ يتقاسمان فضيلةَ البيان ويشتركان فيها ؛ إذ الخطّ دالّ على الألفاظِ والألفاظُ دالةٌ على الأوهام . ولاشتراكهما في هذه الفضيلة وقع التناسبُ بينهما في كثير من أحوالهما ،وذلك أن الخطَّ واللّفظ يعبّران عن المعاني ، إلاّ أن اللّفظ معنىً متحرك والخطّ معنىً ساكن ، وهو وإن كان ساكنا يفعل فعْل المتحرك بإيصاله ما يتضمنَّه إلى الأفهام وهو مستقر في حيِّزه ومكانه . واللفظ فيه العذّبُ والرشيق السّائغ[1] في الأسْماع ، والخطّ فيه الرائق [2] المستحسن الأشكال والصور . واللفظُ فيه الجزل الفصيح وهو الذي يستعمله مصاقع الخُطباءِ ومفالق الشعراءِ ومنه المبتذل السخيف الذي يستعمله العوامّ في المكاتبة والمخاطبة ، والخطّ فيه المحرَّرُ المحقق الذي تكتب به الكتُب السلطانية والأمور المهمّة وفيه المطلق

(١) في الأصل « السايغ »

(٢) في الأصل « الرايق » .

المرسل الذي يكاتب فيه الناس ويستعملونه فيما بينهم . واللفظ يقع فيه لحن الاعراب الذي يتخوّن رونقه ، والخط يقع فيه خطأ الهجاء الذي يهجنه [1] ويقبحه لأن حكم اللحن في اللفظ حكم خطأ [2] الهجاء في الخط . واللفظ إذا كان مقبولاً حلواً رفع المعنى الخسيس وقرّبه من النفوس ، وإذا كان عيياً مستكرهاً وضع المعنى الرفيع وبعّده من القلوب ؛ والخط إذا كان جيّداً حسناً بعث الإنسان على قراءة [3] ما أودع فيه وإن كان قليلَ الفائدة ، وإذا كان ركيكاً قبيحاً صرفه عن تأمّل ما تضمّنه وإن كان جليلَ العائدة .

ولما اشترك اللفظ والخط في الفوائد العامة التي جعلت فيهما وقع الاشتراك أيضاً بين آلتيهما [4] ، وذلك أنّ آلةَ اللفظِ اللسانُ وآلة الخطِّ القلمُ وكلٌّ منهما يفعل فعْل الأخرى في الإبانة عن المعاني ، إلا أن اللفظ لما كان دليلاً طبيعيّاً جعلت آلتُه آلةً [5] طبيعيّةً والخطَّ لما كان دليلاً صناعياً جُعلتْ آلته آلةً [6] صناعيةً .

ولما تقاسمَتْ الآلتان الدلالةَ أيضاً ونابتْ إحداهما منابَ الأخرى أوقعوا اسْمَ اللسانِ على القلم وشريكيهما فيه ، فقال بعضهم : « القلم أحد اللسانيْن » وقال الآخر : « القلمُ أحدُ اللّسانيْن » وقالوا : « الأقلام ألسنة الأفهام » وقالوا : « بلاغةُ القلَم » و « فلانٌ بليغٌ اللسان وفلان بليغ القلم » .

---

(١) في الأصل « يحنه » .

(٢) رسمت في الأصل « خطاء » وكذا كلما وقعت .

(٣) رسمت في الأصل « قراءة » .

(٤) رسمت في الأصل « االتيهما » .

(٥) رسمت في الأصل « االة » .

(٦) عجيب أن ترسم هذه الكلمة على هذا النحو الذي نسير عليه في كتابتنا مع أنها كتبت في السطر السابق بطريقة أخرى درج عليها ناسخ الكتاب وكانت شائعة في عصره .

ولما كان الخط في هذه الرتبة من مقاسمة اللفظ البيان الذي امتنَّ الله تعالى بتعليمه على الإنسان وجبَ على الكاتب أن يعتنيَ بأمر الخطّ ويراعي من تجويده وتصحيحه ما يُراعيه من تهذيب اللّفظ وتنقيحه ليدلّ في سُرعةٍ وسهولةً كما يدلّ اللفظ البليغ البيّن [١] ، لأنّ الخطّ وإن كان على الإطلاقِ في المنزلة التي ذكرْناها من الشرَف فإنما تحصل فضائله التي عددناها للجيّد منه ، كما أنَّ المنطق وإن كان من الشرف بحيث وَصفْنا فإنما تحصل فضائله التّامّة لمنطق البليغ الألسَنِ دون منطق العِيِّي الألكَنِ، وكذلك سائرُ الصنائِع الفاضلة على الإطلاق إنما يحصل فضْلُها للمستقلٍّ بها الماهر فيها دون الريِّض المبتدىء. فينبغي للكاتب أن لا يقدّم على تهذيب خطِّه وتحريره شيئاً من آدابه ، فإن جودةَ الخط أول الأدوات [٢] التي ينتظمه بحصولها له اسمُ الكتابةِ ويحكم عليه إذا حازها بأنه من أهلها . وقد دخَلَ بحُسْنِ الخطّ في الصِّناعةِ من إذا فحص عن مقدار معرفته وجب أن ينزَّه عن نسبته إليها .

والطريق إلى تحسين الخطّ يكون بثلاثة أشياء ، أولها : تصحيح أشكال الحروف . والثاني : ترتيبها . والثالث : تصحيح الهجاء .

فأمّا تشكيل الحروف فهو [٣] الأصْلُ في أدب الخطّ ؛ لأن الخطّ إنّما يُسمّى جيّداً إذا حَسُنَتْ [٤] أشكال حروفِه ورديئاً إذا قَبحتْ . وحسنُ صُوَر حروفِ الخط في العيْن شبيهُ بحُسن مخارج اللفظ العذْبِ في السمع . وأشكال الحروف تنقسم في الأصل إلى الجليل والدقيق ، والجليل ما يقع في

---

(١) في الاصل « البين » .

(٢) ضاق السطر عن التاء فكتبت في الهامش بعيدة عن الكلمة .

(٣) في الاصل « وهو » وأرى أن ما ذكرته هو الأنسب .

(٤) ضبطت في الاصل أولا : « حسنت » ثم وضع فوق الضبط ضبط آخر لتقرأ « حسنت ». وبقي الضبطان .

الكتب السلطانية ونحوها ، والدقيق ما يقع في الكتب المشتركة . ويتفرع من هذين الأصلين أقلام عدّة ذكرنا كثيراً منها في كتابنا الذي نعتناه « بآلة[1] الكتاب ».

والوجه في تصحيح حروف الهجاء أن يُبدَأ أولا بتقويمها مُفردةً مبسوطة لتصحّ صورةُ كلّ حرف منها على حيالها ، ثم يؤخذ في تقويمها مجموعةً مركّبةً ، وأن يُبدَأ من المركّب بالثنائي ثم بالثلاثي ثم بالرباعيّ ثم بالخماسيّ ، فإن هذه هي أمثلةُ الأسماء والحروف الأصلية ؛ وأن يُعتمد في التمثيلِ على توقيفِ المَهَرَةِ في الخطوط العارفين بأوضاعها ورسومها واستعمال آلاتها ، فإن لكلّ خطّ من الخطوط قلماً من الأقلام المختلفة نظير آلات الصنائع المختلفة التي يصنع الصانع بكل آلة منها جُزءاً[2] ما من صناعته لا يصنع به غيره ؛ ولا يعول على حكايةِ خطٍ من الخطوط والضرب عليه فإن ذلك غير مجزٍ ، لأن هذا لو كان كافياً لاستغنى في تعلّمِ جميع الصنائع عمن يوقفه عليها ويدلّه على الطريق القاصد إليها . على أن كثيراً من أصحاب الخطوط المطلقة قد كتبوا طبْعاً ولم يرجعوا إلى التوقيف على طريقةٍ من طرائق المجددين ، إلاّ أنّ الأفضل أن تبنى الخطّ على أصل يكون أساساً له ، فإن من وصفنا حاله من أرباب الخطوط المرسلة إنما تحسن خطوطهم إذا نُظرت مجملةً فاذا فُصلتْ[3] انكشف فساد كثير من حروفها .

وأما ترتيب الحروف فإنه ينقسم إلى ستّة أقسام :

أولها — تأسيس الخط على الوضع المصطلح عليه ؛ وذلك أنهم قسموا الخط إلى نوعين وهما : المحقّق ، والمطلق . فأما المحقّق فهو ما صحّت أشكال حروفه على اعتبارها مفردةً ؛ وهو أفضل من المطلق ، وهذا لايستعمل

---

(١) عاد الى طريقته السابقة في رسم هذه الكلمة .

(٢) رسمت في الاصل « جزؤا » . (٣) في الاصل « وصلت » .

إلاّ في الأمور الجسيمة ، ككتب العهود والاسْجالات ، والتمليكات التي تبقى على الأعْقاب ، والمكاتبات الصادرة عن الملوكِ إلى الملوك الدالّة على قدر الكاتب والمكاتب . وأما المطلق فهو الذي تداخلت حروفه واتصل بعضها ببعض ، وهو خطٌّ وُلّد من المحقق واستعمل في تنفيذ ما لا يمكن تأخيره من المكاتبات المهمة والأمور العامة . وهو أرشق وأحسن منظراً مادام مُجْمَلاً ، فإن فصّلتْ حروفه ووقعت المقايسةُ بينها وبين حروف المحقق وُجد بينهما تفاضل كثير حسبما ذكرناه فيما تقدّم .

وثانيها – وضع كلٍّ قسمٍ من قسمي الخط في موضعه الذي أشرنا إليه ؛ لأن استعمال أحدهما في موضع الآخر خارج عن الأمر المعتاد .

وثالثها – لزوم الطريقة في كل واحد من الخطّين وأن لا يخلط حروف واحد منهما بحروف الآخر .

ورابعها – تمييز الفصولِ المشتمل كل فصل منها على نوع من الكلام عما تقدّمه وما يتلوه ليعرفَ مبادىء الكلام ومقاطعه ، فإن الكلام ينقسم فصولاً طوالاً وقصاراً ؛ فالطّوال كقسم القرآن إلى سوره ، ومنثور المترسّل إلى رسائله ، ومنظوم الشاعر إلى قصائده . وهذه الأقسام لا تشكلُ فتحتاج إلى تميّز . والقصار كانقسام السورة إلى الآيات ، والرسالة إلى الفصول ،والقصيدة إلى الأبيات . وهذه قد تشكل فينبغي أن تميز الفصول القصار تمييزاً يؤمن معه من التخليط ، فان ترتيبَ الخطّ يفيد ما يفيده ترتيب اللفظ ؛ وذاك أن اللفظ إذا كان مرتباً يخلّص بعضَ المعاني من بعض وإذا كان مخلّطاً أشكلتْ معانيه وتعذّر على سامعه إدراك محصُولِه ، وكذلك الخطّ فإنه إذا كان مميّز الفصول وصل معنى كل فصّل منه إلى النفس على صورته وإذا كان متّصلاً دعا إلى مراجعةِ تأمّله وإعمال الفكرِ في تخليص أغراضه . وشرط الفصولِ أن تكون تامّة قائمة بأنفسها لا يعطفُ عليها شيء من غيرها . ولهذا لا تقع حروف

العطف في أوائلها . وقد يغلط الكاتبُ فيقول بعدَ تمام الفصْلِ « وأعلمتُه ذلك » وهو خطأ ؛ لأنه إن كان فصْلاً وجب أن تحذفَ الواو فيقول : « أعلمته ذلك » ، وإن كان عطْفاً وجب تمييزه في الفصْل بفرجةٍ يسيرة لأنّهُ خبرٌ أجاب به عن شيء رُسم له فعْله . فأما إذا كان الكلام في شيء يبتدىء بالإخبار عنه أتى بما يختمه وشفعه بفصْل الختم فقال « أعلمتُه ذلك » ليكون ابتداءً [1] بخبر لا عطفاً ، فقد يعرض في نفس الفصْل القصير ما يحتاج إلى التمييز أيضاً ، كالجملة والتفصيل والشرطِ والجزاءِ والمقدمةِ والجواب ، وليستْ هذه بفصول لأنها لا تشتملُ على نوع تامّ من الكلام قائمٍ بنفسه متصلٍ بما يتلوه. ويجب أن يفصَل به بين هذه الأشياء وما يناسبها إذا وقعتْ في اللفظ بدونَ ما يفصلُ به بين الفصول التامّة ليكون ذلك دالا عليها . وينبغي ألاّ يذكرِ الجملة في آخر السطر والتفصيل في أول الذي يتلوه ، فإنه تلبيس لاتصال الكلام ؛ ولا أن يجعل في أول السّطر بياضاً فيقبح بخروجه عن نِسَب السطور ؛ ولا أن يفسح بين السطر وما بعدَه فسحاً زائداً عما بين كل سطرين لقبحه أيضاً ، ولكن يراعى ذلك من أوّل السطر مقدراً الخطّ بالجمع والمشق حتى يتخلّص من هذا العيب .

وخامسها — حسن التدبير في قطْع الكلام ووَصْله في أواخرِ السطور وأوائلها ، لأن السطورَ في المنظر كالفصول ، فإذا قطعَ النظر على شيء يتعلق بما بعده كان قبيحاً ؛ ككتب بعض حروف الكلمة في آخر السّطر وبعضها في أوّل السطر الثاني ، مثل : كتاب وركاب وكلام وسلام وعصفور ومسرور ، فإنهم ربّما فرقوا بين الحروف المنفصلة والحروف المتصلة منها إذا ضاقت عنها أواخرُ السطور فأثبتوا الحروف المتصلة من الكلمة في آخر السطرِ والمنفصلة في أول السّطر الذي يليه ، مثل أن يكتب « مسرور » في آخر السطر ولا يسعه

---

(١) في الأصل « ابتدا » .

الموضع فيكتب الميم والسين والراء في آخر السطر ويكتب الواو والراء في أول السطر الذي يتلوه ، وهو قبيحٌ جداً ؛ لأنه لا يجوز فصْل الاسم عن بعضه ، وأكثر ما يوجد ذلك في مصاحف العامّة وخطوط الورّاقين . وقد يفصل الكتاب بين الكلمة التامّة وصلتها . كقولهم : (وصل كتابُك) و(أيّدك الله) و(ورَدّ رسولُك) والأحسن تجنّبُه إذا أمكنَ ، فإن لم يمكن فيجتنبُ القبيح منه وهو : الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، كعبدالله وعبد السّلام وغلام زيد وغير ذلك ؛ لأن المضاف والمضاف إليه بمنزلة ذلك الواحد . والفصلُ بيْن الاسم وبيْن ما يتلوه في النسب ، كقولك زيد بن محمد ، لأنه لا يجوز أن يفصلَ بين الاسم والمنسوب اليه كما لا يجوز أن يفصل بين المضاف والمضاف إليه ، فان اضطرَّ لضيق الموضع فيقطع على الابن ويجعله في حيّز الاسم الأوّل ويبتدىء في السطر الذي يتلوه بالاسم المنسوب إليه ، فإن كان المراد بلفظ الابن تثبيت البنوة ، كقولك : كان لزيد ابن ، جاز قطع الابن مما تقدم . والفصلُ بين كل اسمينِ جُعلا اسماً واحداً ، مثل : حضر موت ، وتأبط شرّاً ، وذي رعين ، وذي يزن ، وأحد عشر .

وسادسها — ترتيب المدّات التي تقع بين حروف الكلمة الواحدة ، على أن كثيراً من المحرّرين يكرهون المشقَ لإفساده خطّ المبتدى ودلالته على تهاوُن المنتهى ، وكذلك كرهوا كتابةَ البسملة بغير سين مبيّنة إذ صارتْ سنّةً وعرفاً . وهذه المدّات تستعمل لأمرين : (أحدهما) أنّها تحسّن الخطّ وتفخّمه في مكانٍ كما يحسِّنُ مدُّ الصوت اللفظَ ويفخِّمهُ في مكان . و(الآخر) أنها ربما وقعتْ في الحروف لتتمّم السطر إذا فضل منه ما لا يتسع لحرف آخر ، لأن السطر ربّما ضاق عن كلمتين وفضلَ عن كلمة فتمد التي وقعت في آخر السّطر لتقع الأخرى في أول السّطر الذي يليه . ويجبُ للكاتب أن يعرف أحكامَها لئلا [1] يُوقعها في غير المواضع اللائقة بها فيشتبه الحرف بغيره ويفسُد المعنى ،

---

(١) في الأصل « ليلا » .

مثل أن يوقع المدّ في « متعلم » بين الميم والتاء فتشتبه بـ « مستعلم » أو في « متسلم » فتشتبه بـ «مستسلم »؛ وبالجملة فلا تخلو الكلمةُ الأصلية، سواءً[1] كانت اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، من أن تكونَ ثنائية [أو ثلاثية] أو رباعية أو خماسية .

فالثنائية ثلاثة أضرب : أسماء مضاعفة ، وأفعال ، وحروف . فالأسماء نحو : بر وضرّ وسر[2] وشر وطلّ وظلّ[3] وحل وقلّ ؛ والأفعال نحو : قل وكُل وعُد وقمْ ونَمْ وسِرْ ، وجميع هذه لا يحسن المدّ في شيء منها إلاّ في سرْ وشر[4] لأن السين والشين وإن كان كلٌّ منهما حرفاً فإنه في صورة ثلاثة أحرف ، وقد يحسن مدّ طل وظلّ في بعض المواضع ؛ والحروف نحو : هل وبل وقط ومذ وعن ولوْ ولم ومن وما ، وهذه لا يحسن المدّ في شيء منها .

وأما الثلاثية فالمدّ فيها على الأكثر قبيح ؛ لأنها لا تنقسم قسمين متساويين . ومنها ما يتسمّح في مدّه للضرورة ، وذلك إذا وقع في آخر سطر يحتاج إلى التتميم ، نحو : بيع وقطع . وينبغي أن يقدّم الحرفان الأولان وتوقع المدّة بينهما وبين الثالث . وأما الذي لا يحتمل المدّ البتةّ فنحو: عسَى ومَى وفى وما أشبَهَهُما .

وأما الرباعية فإنها لانقسامها قسمين متساويين يحسن فيها المد ،نحو:محمد وجعفر. ولا يجوز أن يقدّم فيها ثلاثة أحرف وتوقع المدة بينها وبين الحرف الرابع ،ولا بالعكس، بل يوقعُ المدّ بين الحرفين الأولين والحرفين الأخيرين؛ على أن منهما ما لا يحسن المدّ فيه نحو : ثعلب ومطلب وحبيب وقمير[5] .

---

(١) في الاصل « سوآ » .

(٢) ورت بالشين مثل التي تليها .

(٣) وردت دون نقط كسابقتها .

(٤) وردت دون نقط .

(٥) وردت دون نقط .

وأما الخماسية فإن المدّ فيها لا يحسن أيضاً كما لا يحسن في الثلاثية ، ولأنها لا تنقسم قسمين متساويين ، فإن وقعت ضرورةٌ إلى إيقاع المدّ فيها فإنّ الأحسنَ أن يقدّم حرفان ويوقع المدّ بينهما وبين الثلاثة الأحرف الأخرى[1] ، نحو : مشتمل ومستقل ومستطر ومهيمن . ويقبح المدّ فيما جاء من الأسماء والأفعال والحروف موصولاً بمضمر ، نحو : كتابه وثوبه وكنيتُه وعلمتُه وفيهِ ومنه وإليه وعليه، وذلك إذا وقعت المدّة بين تمام الكلمة[2] والصلة. ومشق السين يحسن الخط في بعض المواضع ، ويقبح إذا وقعت طرفاً نحو مشق السين في الناس والحواس ، وأقبح من هذا مشقها إذا كانت موصولة بحرف واحد يتقدّمها ، نحو : بائس [3] وعابس وحابس وناعس . وإذا توالت سينان أو سين وشين فالأحسن أن يفصل بينهما بمدّة لطيفة ، نحو : رششت ، وعششت ومسَسْت ، وأن يمشق إحداهما وتحقق الأخرى في الخط المطلق . ويقبح أن تكتب ياءان [4] معطوفتان متقاربتان في سطْر واحدٍ ، وأن تمشق الكاف إذا وقعت في آخر الكلمة نحو : منك وعنك وعليك . وإذا توالت في [الكلمة] ثلاثة أحرف من الياء والتاء والثاء والنون فيجب أن يرفع الأوسط منها لئلا يتصحّف بالسين أو بالشين . وإذا اقترن منها[5] حرفان في الكلمة وبعدهما زاي أو راء أو سين أو شين رفع الثاني منهما ، نحو : بئر وبئس ، فإن وليهما غير هذه الحروف سوّى بين الأول والثاني نحو : بيع ويتلو وبيداء وبيضاء ، وكذلك يرفع الثاني منهما إذا وليهما هذه الحروف وهما في خلال الكلمة وقد تقدمهما أي حرف كان مما يوصل بهما نحو : عنترةَ وعنبسة ، ويسوّى بينهما إذا وليهما غير هذه الحروف وهما في خلال الكلمة وقد

(١) في الأصل « الآخر » .

(٢) في الأصل « العلة » .

(٣) في الأصل « بايس » .

(٤) رسمت في الأصل « ياآن » .

(٥) في الأصل « منهما » .

تقدمهما أي حرف كان نحو : عتبة وظبية [١] وصنيع ومنيع . ومن الرسم المستحسن أنواع المد في أسماء العظماء إذا احتملت ذلك لتقع العين عليها من غير طلب ولا تتبع تفخيماً لأقدارهم ، ولا سيما في العنوانات . وهذا مما يتناسب فيه الخط واللفظ .

وأما تصحيح الهجاء فأمْرٌ لازم علمُه . وينبغي للكاتب أن يعرف أصولَه، والاصْطلاحَ القديم الجائز فيه ليعملَ عليه فإن العدول عنه مستثقل ،والاصطلاحَ المحدث غير الجائز [٢] ليجتنبَه فإن العمل به مستقبح . وليس حكم خطأ الهجاءِ كالحكم في إفسادِ ترتيب الخط ، لأن الخط إذا استحال ترتيبُه فإنما تسقط رتبته حسْب ، وهو نظيرُ ما يقع في اللفظ من سوءِ منطق المتكلم وخشونة مخارج ألفاظهِ ، والخلل الواقع في الهجاءِ فإنما هو لحن الخطّ المشابه للحنِ اللفظ . ولو رتبَ الهجاءُ في الخطّ على الأمر الطبيعي دون الاصطلاحي لوجب أن يكتب بحروفٍ على حكم الصوتِ الواقع في السمع ؛ وذلك أن لكل حرف مخرجاً من المخارج مخصوصاً بهِ ، ولذلك الحرف رسم من رسوم الهجاء، فلو ردّ الأمر في حروف الهجاء إلى اتباع ما يقعُ في السمْع لسهُل ، لكنّهم اصطلحوا على كتْبِ الصلاة والحياة والزكاة [٣] بالواو وزادوا [٤] في عمْروٍ بالواو ونحو ذلك مما يخرج عما يوجبه السمع في الحروف . ولسْنا نحتاج أن نذكُرَ أحكامَ الهجاء والمصطلح عليه منها لأنها موجودةٌ في مظانّها وقد استوفيْنا القولَ عليها أيضاً في كتابنا المرسوم له بـ (آلة الكُتّاب). وفي العربية حروفٌ متشابهة داعية إلى تصحيف الخط وإشكاله ولأجلها احتيج إلى إعجامه، وفيه حركات أخلّ واضعُها بوضعِ صور لها فاعتيض منها بالشكل الذي هو

---

(١) وردت الكلمتان دون نقط .

(٢) في الأصل « الغير جائز » وصحته ما ذكرنا ويجوز « الغير الجائز » .

(٣) وضعت فوق الألف في كل من الكلمات الثلاث واو .

(٤) سقطت الألف الثانية في الأصل .

علاماتُ الرفْع والنَّصب والخفض . والبصريون يروْن أن واضع الخط العربيِّ أغفل صورة الهمزة وقد كان يجبُ أن يؤتى بها وهي تقع في موضع الضمير ، فجعلها الكوفيون واواً وفي موضع يجعلونها ألفاً وفي موضع الرفع واواً وفي موضع الخفض ياءً [1] ، مثل : هذا جزْؤٌ ، ورأيتُ جزوْاً ، ومررت بجُزْيءٍ . والبصريون ينكرون إثباتها في مثل هذه المواضع ويستقبحون أن يكون لحرْفٍ واحدٍ ثلاثُ صور فيسقطونها ويثبتون شكالةَ الهمزة وحدها في الأماكن الثلاثة ويعربونها بما يقتضيه موضعُها .

فهذا ما يجب أن يعرْفه الكاتب في تحسين الخطّ وتصحيحه وتحقيق حروف هجائه . ويتبعه آدابٌ أُخر ؛ منها مايدلّ على مهارة الكاتب وتبريزه في صناعة التخطيط ، ومنها ما يزيدُ في حسن الخط ورونقه . فأمّا التي تدلّ على مهارة مهارة الكاتب فسُرْعةُ اليد في التشكيل والتصوير مع مراعاة التحقيق والتحري ، حتى يكون إذا كتبَ كأنّه يمسح عرضَ القرطاس مسْحاً ويمدّ السطر مدّاً ، ومجانبةُ عادة الوراقين والمصوّرين في الابطاء والاستزانة ؛ فإن سرعةَ اليدِ في الخط من أفضل صفات الخطّاطين كما أن ذلاقةَ المنطق بالعبارة من أفضل صفات البلغاء . ولذلك قال بعضهم وقد سُئِل : ما البلاغة ؟ فقال : « أن نقولَ فلا نُخطيء ونسرع فلا نبطيء ». ومن المطّردِ في سائر الصناعات أن الصّنيعَ الماهرَ هو السريع في عمله وأنّ العاجزَ المقصّرَ هو الأخرق البطيء . وأمّا ما يزيد في حُسْن الخطّ فالمقارنةُ بين حروفه والمباعدة بين سطوره مع صحتها واستقامتها ؛ فإن يسيرَ الميل الداخل عليها يقبّح الخطَّ ويكسف نورَه ولا سيّما خطوط النساخِ ، إلاّ أن الكُتّابَ قد وقع بينهم اصطلاحٌ حادثٌ على رفع أواخر السطور عن أوائلها ، والرسمُ الآخرُ الأفضلُ أن تعتدلَ سطورُ الخط وتتناسقَ [2] تناسقَ سطور أغراسِ النخلِ والشجرِ والبناء .

---

(١) هذه العبارة التي تقع بين الفاصلتين لم تستكمل كل من شطريها .

(٢) في الأصل « وتتناسق » .

فعلى هذا كانت العادةُ جاريةً في ترتيب الخطوط القديمة . ولفضل الخطّ المسطر ذكره الله تعالى في كتابه ، فقال : « والطور . وكتاب مسطور . في رق منشور »[1]. وقال : « نَ [2]. والقلم وما يسطرون »[3]. وفيما أوردْناه من معرفةِ أحكام الخطّ ورُسومِه كفاية وبلاغ . ونحن لذلك نتعداه إلى ما سواه بمعونة الله .

قولٌ في ترتيب الصدور :

المكاتبة العامة على ثلاثة أضرب : من رئيس إلى مرءوس ، ومن نظير إلى نظير ، ومن مرءوس إلى رئيس . فالرؤساء الخلفاء [4] ووُلاةُ العهود والوزراء، فإن كانت المكاتبة من الخليفة فينبغي للكاتب أن يفصلَ من الدّرج قدر ذراعٍ ثم يستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم في سطرٍ أوّل ، لأنها أول ما يجبُ أن يفتتح به . وأول من افتتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وكان يُستفتَح ببسمك اللهم ، إلى أن نزل « بسم الله مجراها ومرساها »[5] فاستفتح ببسم الله ، إلى أن نزل « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن »[6] . فاستفتح ببسم الله الرحمن ، إلى أن نزلت « إنّه من سليمان وإنّه بسْم الله الرحمن الرحيم »[7]. ثم يكتب في سطرٍ ثانٍ يلاصقها ويخرج عنها يسيراً (من عبْد الله ووليّه فلان أبي فلان) وقد رأى قوم تقديم الكُنية على الاسم ، والمعمول عليه اليوم ما ذكرناه . ويذكر نعته (أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان). ويبدأ بذكر نعمته إن كان

---

(١) سورة ألطور . الآيات ١ ــ ٣ .

(٢) كتبت في الأصل « نون » وكتب فوقها « ن » .

(٣) سورة القلم . الآية الاولى .

(٤) رسمت الكلمتان : « فالرؤسا الخلفا » .

(٥) سورة هود . الآية ٤١ .

(٦) سورة الاسراء . الآية ١١٠ .

(٧) سورة النمل . الآية ٣٠ .

الإمام شرّفه بنعتٍ (سلام عليك فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على جدّه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله الأئمة المهديين وسلم تسليما). وكان التصدير انتهى إلى قوله : إني أحمدُ إليك الله الذي لا إله [إلاّ] هو . فزاد فيه المأمونُ الصلاةَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعمل بسنّته مَن بَعده. ولم يكن أحد من الخلفاء يكتب بنعتِه حتى افتتح ذلك الأمين محمد بن هرون، فاقتفى من تبعَه أثره واستمروا على ما قرّره ، فيكون هذا التصدير في سطرين يجعل بَيْنَهما فضاءً [1] قيْسُ شبْرٍ ولا يزيده عن ذلك ولا ينقصه فيخرجه عن حدّه ، ثم يترك بعد هذين السّطرين فضاءً بضعف الذي بينهما ، ثم يقول (أما بعْد) وقيل : إنَّ أول من كتب بها سليمان بن داودَ عليهما السلام واستنّ سنته فيها قس بنُ ساعدةَ الإيادي [2] . ويقتصّ المعاني معنىً معنىً، فان كان أمراً أمَرَ به الإمام قال بعد انقضاء الكلام (أمَرَ أميرُ المؤمنين بكذا وكذا). ثم يقول بعد فصْلٍ أوسع من الفصل الأوّل (فاعلم ذلك من أمْر أمير المؤمنين ورسْمِه ، واعمل عليه بحسبِهِ) ويقول للمخاطبين من الطبقة العالية (والسلام عليك ورحمةُ الله وبركاته) ويفْرِد بالسلام من دونها [3] . وقيل : في أوّل الكتاب سلام وفي آخره السَّلاَم ؛ لأنّ الأول مبتدأ بهِ وجارٍ مجرى النكرة، والثاني مشارٌ به إلى الأول فصار شبيهاً بالمعرفة ، وقدّم السلام على الرحمة ، لأن السَّلام يتصرّف على وجوهٍ ، منها أنه اسْم من أسماء الله تعالى ، ومنها أنّه الجنّةُ في قولِه سبحانه « لهم دارُ السلام عند ربّهم » [4] وهو في هذا الموضع من السّلام والسّلامة . وتقديم السّلام الذي يكون في الدنيا أولى من تقديم

---

(١) في الاصل « فضا » .

(٢) أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية . كان أسقف نجران . مات نحو ٢٣ ق.م .

(٣) من أول الفصل إلى هنا ورد بنقص في صبح ٦ : ٤٣٢ .

(٤) سورة الانعام . الآية ١٢٧ .

الرحمة التي تكون في الآخرة . وقد كانت العادةُ جاريةً أن يقال في آخر الكتب النافذة عن الإمام (وكتب فلان بن فلان) باسم الوزير واسم أبيه . وقد بَطَل هذا الرسْم في الدّولة العلويّة . ولا يكتب عن أحد بالتصدير إلاّ عن الإمام وولي عهْده . وهذه المكاتبةُ عامّة للنّاس جميعاً في الأمور السلطانية التي تُنشأ فيها الكتب من الدواوين . ولا يخاطب أحدٌ عن الخليفة إلا بالكاف ، وقد يخاطبُ الامامُ وزيرَه في المكاتبة الخاصة بما يرفعه فيه عن خطاب المكاتبة العامة الديوانية ويتصرف في ذلك ويزاد وينقصُ على حسب لطافة محلّ الوزير ومنزلته من الفضل والجلالة . وليست لهذه المكاتبة الخاصة حدود يُنتهى إليها ، ولا قوانين يُعتمد عليها . وطريقها من الرئيس إلى المرءوس ومن المرءوس إلى الرئيس مستفيضة معلومة .

وإن كانت المكاتبة من الوزير إلى من دونه فإنها بغير تصدير ؛ إلا أن الخطاب يجبُ أن يبنى فيها على أقدار المخاطبين ومراتبهم في الدولة .

وأما مكاتبة النظراء فليست لها رسومٌ محصلة ، ولا مثل محدّدة ؛ وإنما تكون على حسب الاختيار والخصوص والعموم في الحال ، وما يتفارصونه من المكارمة ، ويتقارضونه من المجاملة .

وأما مكاتبة المرءوسين إلى الرؤساء فهي إمّا إلى الإمام أو وليّ عهده أو وزيره أو قائدٍ أو قاضٍ أو صاحب ديوانٍ أو عاملٍ ومن يلحق بهذه الطبقة ، فان كانت إلى الإمام فالرّسم المعتاد في الدّولة العلويّة أن يُقال بعد البسْملة (أفضلُ صلوات [١] الله وبركاته وأشرف رضوانه وتحيّاته على مولانا وسيدنا الإمام) وينعته [٢] (أمير المؤمنين وعلى آبائه [٣] الطاهرين وأبنائه الأكرمين)

---

(١) في الأصل « صلوات » بضم التاء .

(٢) سقطت من السطر فكتبت أعلى مكانها مائلة .

(٣) في الأصل « ابايه » .

إن كان للإمام أبناءٌ ، فإن لم يكن له أبناء قيل مكان الأكرمين : المنتظرين . ثم يقال بعد فضاء واسع (كتب عند الموقف النبوي خلّد الله ملكَه من مقرِّ خدمته بناحية كذا يوم كذا [1] ، وأمور ما عذق به ورد إلى نظره منتظمة لسعادة مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى جدِّه . والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما) ثم يقال (العبد ينهى كذا وكذا) ويفيض الأغراض التي بنى الكتاب على إنهائها وشرح حالها ، فإن كان الكتاب مبنياً على المطالعة ببعض الأخبار قيل في آخره بعد فضاء يسير (أنهى العبد ذلك ، ليستقرّ علمُه بالموقف الأشرف إن شاء الله). وإنَّ كان مبنياً على الاستئمار في بعض الأحوال قيل في هذا الموضع (ولمولانا أميرُ المؤمنين صلى الله عليه الرأي العالي في ذلك إن شاء الله)[2] . وهذا ترتيب يعمل عليه الكبير والصغير في المكاتبات العامة والخاصة .

فأمّا المستعمل في الدولة العباسية فأن يقال (لعبدِ الله فلان أبي فلان الكذا)[3] بنعته أمير المؤمنين (من فلان بن فلان) . وإن كانت المكاتبة إلى الوزير قيل في أولَ الكتاب (كتب عند حضرة الوزارة السامية الأجليّة أو خادمُها أو صنيعُها أو مملوكها) على حسب منازل المكاتبين . ويذكر نعوتَه . ثم يقال (من مقرِّ خدمته بموضع كذا يوم كذا[4] . والأحوال مقبلة بسعادةِ الدولةِ الزاهرة ، وتمّ نظَرُ حضْرة الوزارة [5] السامية ، وحسُنَ تدبيرُها ،

(١) رسمت « كذا » الاولى في الأصل بالألف ، وأما الثانية فرسمت بالياء المنقوطة .

(٢) من أول الفقرة إلى هنا ورد بنصرف في صبح ٦ : ٥٢١ و ٥٢٢ .

(٣) في الأصل « الكذي » .

(٤) رسمت كذا الأولى في الأصل بالياء المنقوطة ، وأما الثانية فرسمت بالالف . أى عكس الواردة في رقم (١) .

(٥) في الأصل « الوزير » ووضع فوقها علامة ، ثم كتب في الهامش « الوزارة » مردفة بـ (صح) .

جاريةً على السّداد ، منتظمةً في سلك الاستقامة والاطراد . والحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم) . ثم يأتي على الأغراض التي يتضمنها الكتاب ، ثم يختم بما يليق بالمعنى في فصول الختم . فأمّا من يلي الوزيرَ من الرؤساء فإنّهم ينزلون في المكاتبات على حَسَب أقدارهم .

قولٌ في العنْوان :

العنوان كالعلامة ، ودالّ على مرتبة الكاتب من المكاتب . فالأصل فيه الإخبارُ عن اسْمَي الكاتب والمكتوب إليه حتى لا يكون الكتابُ مجهولاً .

وفيه لغات ؛ يقال: عنْوان ، وعلوانٌ ، وعنْونتُ ، وعلْونتُ ، وعنّنت ، والجمع : عناوين وعلاوين . فالعنوان من عنَّ يعنّ إذا بَدَا ، والعلوان من العلانية لأنه خطّ ظاهر على الكتاب . والنون واللام متعاقبان إحداهما مكان الأخرى ، ومثله كثير في كلام العرب .

وكان الأصل أن يبتدىء باسم الكاتب ، ثم يثني باسم المكتوب إليه ، وهو الترتيب التي تشهد به العقول ، لأن نفوذ الكتاب إلى المكتوب إليه كنشءِ [1] الشيء وخروجه من ابتداءٍ إلى نهايةٍ ، فابتداؤه من الكاتب وانتهاؤه إلى المكتوب إليه ، ولفظة « مِنْ » تتقدّم لفظة « إلى » بالطبع ، لأن « من » حرفٌ يُبْنَى على منشىء الشيء و « إلى » حرفٌ يخبر عن النهاية التي عندها قرار الشيء ، والابتداءات [2] في الأشياء مثل النهايات . وعلى هذا كانت كتبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سَلَف من الأمم الماضية ، ثم عرَض للناس رأيٌ في تغيير هذا الرسم إلى غيره ؛ وهو أنهم فرقوا بين

(١) رسمت في الاصل : « لنشىء » .
(٢) رسمت في الأصل : « الابتدأآت » .

مرتبتي المتكاتبين من الرؤساء والعظماء والخدم والأتباع بتقديم اسم المكتوب إليه إذا قصدوا إعظامه وإجلاله ، وتأخير اسمه إذا أرادوا الإبانة عن إيضاع مرتبته عن مرتبة الكاتب إليه . ولحسن ما رأوه من هذا التدبير ساروا [1] عليه ، وتَرِكَ الأصلُ الأقدم وإن كان هو الصوابُ الصحيح . ولم يزل الناس يتكاتبونَ بأسمائهم إلى أن وَلِيَ عمر بن الخطاب فتسمّى بأمير المؤمنين وكتب (من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) . ثم وقع الاصطلاح على مكاتبة الرؤساء والنظراءِ بالكنى ، والمرؤسين والأتباعِ بالأسماء . ثم تغيّر هذا الرسم أيضاً . وكان المأمونُ يكتبُ في أوّل عنوانات كتبهِ (بسم الله الرحمن الرحيم) وهو أول من فعل ذلك . واستمر العملُ به بعدَه مُدَيْدةً ثم بطَلَ . وأوّل من اكتنى من الخلفاء وجلّل الخطَّ وعظّم الكُتُب وجوّد القراطيس الوليدُ بن عبد الملك [2] ، وقال : لا أكاتبَ الناسَ بمثل ما يكاتب به بعضُهم بعضا . فجرت السُنَّةُ بذلك إلاّ في أيّام عمرَ بن عبد العزيز [3] ويزيد الكامل [4] فإنهما عملا بما كان الأمر جارياً عليه أوّلا فلمّا ولي مروان بن محمد [5] ردّ الامر إلى ما أحدثه الوليد .

والذي تُعَنْوَن به الكتب عن الأئمة العلويين عليهم السلام (من عبد الله ووليّه فلان أبي فلان الإمام الكذا[6] أمير المؤمنين) وذلك في الجانب الأيمن

---

(١) في الاصل « اتبعوا » .

(٢) من ملوك الدولة الأموية في الشام . توفي سنة ٩٦ هـ .

(٣) من ملوك الدولة الأموية بالشام . توفي سنة ١٠١ هـ .

(٤) ولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز (سنة ١٠١ هـ) بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك أو من ابيه عبد الملك (انظر الكامل ٤ : ١٥٤ وصبح الأعشى ٣ : ٢٥٣) وتوفي سنة ١٠٥ هـ .

(٥) آخر ملوك بني امية في الشام . قتل سنة ١٣٢ وخلافته إلى أن بويع السفاح خمس سنين وشهر وإلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر .

(٦) رسمت في الأصل : (الكذى) . وبهذا الرسم ترد غالباً .

من جهة الطِنبَة ، وفي الجانب الأيسر (إلى فلان بن فلان) فإن كان المكاتب ممّن ينعت ويكنى بدأ بنعته ثم بكنيته ثم باسمه واسم أبيه . هذا هو الرسْمُ الذي يُعَنْوِنون الكتب النافذة إلى الطبقة العلْيَا ؛ فأما الطبقة السفْلى فإنما تعنون الكتب النافذة إليها بأن يقال في الجانب الأيسر (إلى فلان بن فلان).

فأمّا ما تعنون به كتب الوزير فبأن يقال في الجانب الأيمن من جانبي[1] الطِنبَة (الأمير فلان) يبدأ بالإمارة ثم بالنعت إن كان مؤمّراً منعوتاً ، وكذلك الحكم فيمن يخاطب بالشيخ وبالقاضي ؛ [و] في الجانب الأيسر (من الوزير) ويذكر نعوته وكنيته واسمه . هذا إن كان المكتوب إليه من الأعالي، فان كان المكتوب إليه من الأسافل قيلَ في الجانب الأيسر (لفلان بن فلان) .

فأمّا ما يعنون به من دون إلى من فوق ؛ فإن كان الكتاب إلى الإمام قيلَ في الجانب الأيسر (عبد مولانا وسيدنا الامام الكذا ، أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين) فيكون هذا في سطرين ، ثم يقال بعده بفضاء يسير (ومملوكه فلان بن فلان) ، وإن كان منعوتاً وقد شرّف بأن يكاتب بنعته ذُكر نعتُه . ولا يكنّى أحد على الخليفة ، وإن جلّ قدرُه ، إلاّ إن شرّفه بذلك .

والسبب في إثبات النعت في مكاتبة الخلفاء وحذف الكُنية أنّ النعت تكرمة لا تحصل لمن أكرم بها إلا عن الخليفة ؛ فاذا خاطبه بها كان الحكم في مرورها على سمعه حكم غيرها من نعمه عند صنائعه إذا مرّت على طرفه ، والكنية تكرمة يتفاوضها الناس فيما بينهم ؛ فلا يجوز خطابُ الخلفاء بها ما لم يمضُوها ويضيفوا نفاذ المخاطبة بها إلى ضروب عواريهم وأياديهم .

والرسم الذي كان يستعمل قديماً أن يقال في الجانب الأيمن (لعبد الله

(١) كتب « جانب » ثم كتبت فوق النون والباء « نبى » .

فلان أبي فلان الإمام الكذا [1] أمير المؤمنين) وفي الجانب الأيسر (من فلان بن فلان). وإن كان الكتابُ إلى الوزير من الطبقة العالية قيل في الجانب الأيمن (حضرة سيدنا الوزير الأجل) ويذكر نعوته . وفي الجانب الأيسر (خادمه أو صنيعه أو وليّه فلان بن فلان) ويذكر النعت والكنيةَ إن كان منعوتاً مكنىً ، وإن كان عن الطبقة السافلة قيل في الجانب الأيسر (عبد حضرة الوزارة السّامية الأجليّة) ويستوفى التّرتيبَ المقدّم ، ثم يقال بعده بفضاءٍ يسيرٍ (فلان بن فلان) . والرسْم المستعمل قديماً في عنوانات الكتب الصادرة إلى الوزراء موافق لعنوانات الكتب الصادرة إلى الخلفاء . فأما عنوانات الكتب الواقعة من النظراءِ فإنها مبنية على حسب ما يرونه من النوادر والتكارم. فأما عنوانات الخرائط السلطانية فيوقع عليها (يعجل بها إلى فلان بن فلان إن شاء الله) وفي الجانب الأيسر (من مستقره بموضع كذا) . وقد كانوا يحلّقون على الخرائط ويبلغون بها من العدة ما تقتضيه طبقة الأمْر الذي صدرتْ فيه . وأول الطبقات خمس حلقات ثم سبع ثم تسع ثم احدى عشرة ، ثم تزاد اثنتين اثنتين حتى تبلغ إحدى وعشرين حلقة . وهذا الرسم قد بطل اليوم. وقد اصطلحوا على تعريف الكاتب نفسه والنسبة إليها قبل تسميتِها ، وذلك قولهم (لسيدي فلان) وهو خطأ ، إلاّ أن الخروجَ من الاصطلاح مُستْثقل ،وهو داخل فيما اصطلح عليه من الغلط الواقع في الهجاء وكتبة المصاحف ولا بد من المتابعة فيه

قولٌ في الدعاء :

عرض في الدعاء من يغيّره عن رسمه الأول مثل ما عرض في العنوان من وجهين ؛ أحدها تكثير ألفاظ الدعاء ، والآخر تبديل معانيه .

(1) رسمت في الأصل « الكذى » . وبهذا الرسم يرد غالباً .

فأمّا ما عرض من تكثير ألفاظه فان الرسم كان في دعاء العنوان أن يكون بلفظة واحدة لا يثنى ولا يثلّث ، كقولك : أطال الله بقاءه [1] فرقا بينه وبين دعاء الصَّدْر ، فزادوا في دعاء العنوان حتى لحق بدعاء الصَّدْر .

وأمّا ما عرض من تبديل معانيه فإنّ الأدعية التي كانت تستعمل كانت شبيهةً بأمر الدين ، مثل قولك : أكرمه اللهُ وحفظه ووفّقه وحاطه وما أشبه ذلك ، فعدل عنها لقصد الإجلال [2] والاعظام إلى الدعاء بإطالة البقاء ، وإدامة العزّ ، وإسباغ النعمة ، ونحو هذا مما يتنافس فيه أبناء الدنيا . وحملوا الأمر في الأدعية على عادات ملوك الفرس ، فجعلوا أوّل مراتب الدعاء إطالة البقاء ثم إطالة العمر ، والفرق بينهما أن البقاء لا يدلّ على مدّة تنقضي لأنه ضد الفناء ، والعمر يدلّ على مدة تنقضي ، ولذلك يوصف الله تعالى بالبقاء ولا يوصفُ بالعمْر . (ومن هنا اختُصر على الدعاء للخلفاء بإطالة البقاء ، وجعل ما يليه لمن دونهم . ويتلوه الدعاءُ بالمدّ في العمُر ، لأن الوصف بتطويل الزمان أبلغ من الوصْف بالمدّ فيه ، فإنّك تقول مدّة طويلة ومدّة قصيرة فيتعاورها الطول والقِصَر ، ولهذا صارت مرتبة الطول أقرب إلى مرتبة البقاء .[من مرتبة المد] [3]) ثم لا يزال الدعاء ينحطّ في المراتب حتى ينتهي إلى دُعاء واحد في الصدْر دون العنوان ، نحو : أعزّه الله ، وسلّمه الله . (وكانت عادتُهم جاريةً بأن يجتنبوا من الأدعية ما لا محصولَ له ، كقولهم : « جعلني الله فداءك » [4] ، و « قدّمني إلى السوء دونك » ، لما في ذلك من التصنّع والملق الذي لا يرضاه السلطانُ لأنّ نفس الداعي لاتسخو باستجابته . وإنما يحسن

(١) في الأصل « بقآه » .

(٢) في الأصل ~~« الإخلال »~~ .

(٣) ما بين القوسين ورد في صبح ٦ : ٢٨٤ بتصرف . والزيادة من صبح

(٤) فى الأصل « فدأك » .

التصدير ، وأن يقرن الدعاء المرسوم لكل من المخاطبين باسمه في العنوان حسْب.
وأما كتب الوزراء فتتضمّن صدورها وعنْواناتها [1] من الأدعية ما يليق بالمكاتبين وتوجبه مراتب المخاطبين . وأمّا النظراءُ فيدعو [2] بعضهم لبعض بالأدعية التي يقتضيها ما ترويه من التّناصف في المعاشرة . فأمّا المرءوسون[3] فإن كانت كتُبهم إلى الأئمة فإنّ الذي يتضمّنه من الدعاء هو ما اشتمل عليه التصديرُ الذي ذكرناه من الصلوات والرحمة والتحيات والسلام والبركات وما يجري هذا المجرى . وحكم العنوان حكم الصدر أيضاً . هذا هو الرسمُ المستعملُ في مخاطبة الأئمة العلويين. فأما المستعمل في مخاطبة غيرهم فالدعاء بإطالة البقاء وسبوغ النّعماء ودوام السلطان ؛ وقد يدعى [4] لهم أيضاً بمثْل ما ذكرناه من الصلاة والرحمة . وإن كانت الكتب إلى الوزراء فإنّ العادة جاريةٌ أن يُضمّن التصديرُ ما يليق بجلالة أخطارهم من الأدعية ، ويقتصرُ بهم في العنوان على دعاءٍ [5] واحد ، نحو الدعاء بدوام الأيام وعلو السلطان وما شابههما . وإن كانت الكتب إلى غيرهم من الرؤساء دعا لكل منهم بما توجبه رتبتُه . وقد كانوا يختارون في الدعاء للآباء [6] « أبقاك الله وأكرمك » وللابن « أبقاك الله وأمتع بك » و(لايستحسنون الدعاء[7] للاخوان بالإمتاع ؛ ولذلك

(١) في الأصل وقعت هذه الكلمة في آخر السطر فكتب نصفها ثم كتب النصف الآخر بعيداً عنها في الهامش وذلك للمحافظة على نظام الصفحة .
(٢) وضعت ألف بعد الواو .
(٣) رسمت في الأصل (المرؤسون) .
(٤) رسمت بالألف أيضاً .
(٥) رسمت : « دعآ » .
(٦) رسمت : « للاءبآء » .
(٧) رسمت « الدعآ » .

كتب عبدالله بن طاهر [1] إلى محمد بن عبد الملك الزيات [2] يعاتبه على مخاطبته بـ « أمتع الله بك » :

أحُلتَ عمّا عهُـــدتَ من أدبك ... أم نلت ملكاً فتهت في كُتُبِك
أبعتَ كفيكَ من مكاتبـــــتي ... حسبُك مما يزيد في تعبك
إنّ جفاءً كتابُ ذي ثقـــــةٍ ... يكون في صدره «وأمتعَ بِـكْ»

فأجابه معتذراً :

كيف أخون الإخاءَ يا أمـــلي ... وكل شيء أنالُ من سَببَكْ
إن يك جَهْلٌ أتاك من قِبَلي ... فعُدْ بفضلٍ عليّ في أدبِك [3]

وقد استحدث بلغاءُ الكُتاب طريقةً في الدعاء مستحسنةً ذهبوا فيها إلى غير المذهب الأول . وسيمرّ في باب رسوم المكاتبات ما يستدل به على استنان سنّتها إن شاء اللهُ تعالى .

قول في التاريخ

تاريخ كل شيء آخرُه ، وهو في الوقت غايتُه والموضع الذي انتهى إليه. وهو محقق الخبرِ دالّ عليه على قرب عهد الكتاب وبُعده . ولكلّ ملّة وأهل مملكة تاريخ . وكانوا يؤرّخون بأوقات يحدث فيها حوادث مشهورة . ثم استقرّ تاريخ الروم منذ وفاة الاسكندر اليوناني ، واستقر تاريخ الفرس منذُ

---

(١) أمير خراسان ، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي . وذكر أن المأمون كان كثير الاعتماد عليه . توفي سنة ٢٣٠ هـ .

(٢) وزير المعتصم والواثق العباسيين ، ومن بلغاء الكتاب والشعراء . توفي سنة ٢٣٣ هـ .

(٣) ما بين القوسين ورد في صبح ٦ : ٢٩١ بتصرف

هلاك يزدجرد أحد ملوكهم ، واستقرّ تاريخ القبطِ منذ وفاة دقلطيانوس أحد ملوكهم . وكانت العرب تؤرّخ بعام التفرُّق ، وهو تفرق ولدِ اسمعيل عن مكة ، ثم أرّخوا بعام الغدر وله حديث ؛ ثم أرّخوا بعام الفيل ، وحديث الفيل مشهور وقد أنبأ الله تعالى به في كتابه ؛ ثم بالفخار ، وهو وقت تفاخروا فيه وأحلّوا أشياء كانوا يحرّمونها ، وبينه وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة ؛ ثم استقرَّ تاريخ العرب في الملّة الاسلامية من أوّل سني هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وكان المبتدىء لهذا التاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ لأن عاملَه باليمن [١] قدم عليه [٢] فقال : أما تؤرخون كتبكم ؟ فأراد عمر أن يؤرخ بمبعثِ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم [٣] قال بل نؤرخ بوقت وفاته ، ثم قال بل بالهجرة لأنها مبدأُ الاسلام . وأراد الابتداء [٤] بشهر رمضان، ثم تقرّر رأيه على المحرَّم .

والتواريخ العربية على الليالي ؛ لأن سني العرب قمريّة . وتواريخ سائر الأمم على الأيام ، لأن سنيهم شمسية . والهلال يبدو في أول الليل ، وإنما يكتب يوم كذا يعرف اليوم بما يمضى من الليالي ويبقى . وأول ليلة يطلع الهلال يؤرخ بالمستهلّ لأن النهار لا يقال فيه مستَهلّ . إذ الاستهلالِ إنما هو لليْل [٥] ، فأمّا من عدّ تلك الليلةَ فيقول لليلةٍ خلت . على أنّ قولَه مستهلّ وغيره أسهل من قولهم يوم كذا . والعرب تسمىً أول ليلةٍ من الشهر النَّحيرة، ولا يستعمله الكُتّاب في التواريخ . وإذا كان آخر الشهر يبتدىء بالليل وينقضي

---

(١) أبو موسى الأشعري .

(٢) في الكامل لابن الأثير (١ : ٩) : ان أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ .

(٣) في الأصل « بل » .

(٤) في الأصل « الابتدا » .

(٥) في الأصل « الليل » .

بانقضاء النهار . وفي اليوم الخامس عشر يقال النصْفُ من شهر كذا ، فاذا كان قبله عرف اليوم بالليالي المواضي ، وإذا كان بعدَه عرف بالليالي البواقي لأن الكُتَّاب قصدوا في ذلك إلى القريب بالعدد الأقلّ اختصاراً . والفقهاء ينكرون هذا ويؤرخون بما مضى من الشهر كائناً ما كان من العدد ، ويرون أنّ ما يبقى من الشهر غير محصَّل ، لأن الشهر ما يُدرى أتامٌ هو أم ناقص . وحُجّة الكُتاب في هذا أنهم يعملون على أن الشهر ثلاثون[1] يوماً ، فاذا ذكروا العدّة الماضية أو الباقية لم يكن عليهم تزيّد .

والذي يعمل عليه اليوم بمصر أن يجعل شهْر ثلاثين يوماً وشهْر تسعة وعشرين يوماً ، فيجعل المحرم تامّاً وصفر ناقصاً ثم على ذلك إلى آخر الشهور.

والرسم في الكتب الصادرة عن السّلطان أن تؤرخ في أعجازها وأواخرها ، إلاّ أن يكون الكتابُ في أمرٍ يحسُن الابتداء بذكره فيؤرخ في صدره باليوم ؛ كالحوادث العظام والفتوحات والمواسم الدينية . فأما كتب الأتباع إلى الرؤساء فإنّ الرسم أن يؤرخ في صدورها . ومثال ذلك أن يقال « كتب العبْدُ من مقر خدمته يوم كذا » .

قولٌ في الختْم :

لم تزل ملوك العجم تختم كتبها إحتياطاً على سرائراها ، وصيانةً لما ينفذ فيه من عزائم أمورها . وكان للفرس ديوان للخاتم تكتب فيه الكتب التي تختم بخاتم الملك لأن له من الموقع ما ليس لغيره ممّا تختم به . وأول من استأنف ديوان الخاتم في الاسلام زياد بن أميّة[2] . وروى أن كتب العرب لم تزل منشورةً غير

---

(١) رسمت : « ثلثون » وكذا كلما وردت .

(٢) أبوه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، عامل عبد الملك بن مروان على خراسان . وكان أمية قد استخلف ابنه زياداً على خراسان حين تجهز ليغزو بخارى [انظر : تاريخ الطبري (ت: أبي الفضل) ٦ : ٣١٢ والكامل (بيروت) ٤ : ٧٠] .

مُعَنْوَنة ولا مختومة حتى كتب عمرو بنُ هند للمتلمّس إلى عامله [١] على البحرين يأمره فيه بقتله فقرأه [٢] المتلمّس فلم يوصله فختمت العرب بعد ذلك كُتُبَها [٣] . وحكى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى ملك الروم كتاباً ولم يختمه ، فقيل له إنّه لا يقروءه [٤] ما لم يكن مختوماً ، فاتخذ عليه السلام خاتماً ونقش على فصّه « محمّد رسول الله » وختم به الكتاب ، فصار الختم سُنّةً . وانتقل هذا الخاتم إلى أبي بكر رضي الله عنه فختم به كتُبَه مدة خلافته . ثم انتقل إلى عمر بن الخطاب فختم به كتبه أيام خلافته . ثم انتقل إلى [٥] عثمان بن عفان فختم به النصف من مدّة خلافته ، وبينْا هو في يده وهو على المنبر إذ سقط من يده فطُلب فلم يُقْدر عليه ، فاتخذ خاتماً ونقش عليه « محمد رسول الله » في ثلاثة أسْطر وختم به .

ورُوي أنّ أوّل من ختم الكتب سليمان بن داود عليهما السلام . وقيل في تفسير قوله تعالى : « إني أُلْقيَ إليّ كتاب كريم » [٦] أي مختوم .

والذي يجري عليه الأمرُ في الختم اليوم نذكره عند ذِكرنا لديوان الخاتم إن شاء الله تعالى .

---

(١) يذكر صاحب الاغاني أن عامله – فيما يزعمون – ربيعة بن الحارث العبدي . (بيروت ٢٣ : ٥٤٠) وفي موضع آخر انه المكعبر كما ذكر المتلمس حين أخبر الأعشى بالقصة ورواها فيما بعد الرياشي (٢٣ : ٥٤٣ و ٥٤٤) .

(٢) في الأصل : « فقتله » .

(٣) في الأغاني « وقال محمد بن موسى الكاتب : زعموا أن الكتب لم تزل في قديم الدهر منشورة غير مختومة ولا معنونة ، فلما قرأ المتلمس صحيفته التي كتبها له عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين ، واطلع على سره فيها ختمت الكتب » . (بيروت ٢٣ : ٥٤٢) .

(٤) رسمت : « يقراوه » .

(٥) سها عنها الناسخ ثم كتبها فوق السطر مردفة بـ « صح » .

(٦) سورة النمل . الآية ٢٩ .

الباب الثامن

في رسوم المكاتبات

هذا الباب هو موضعُ الثمرة والجنَى ، ومكان الغرض والمغزى من الصناعة وعليه مدارها ، وعنده ينقطع أفعال أهلها . وهو أهم ما اضْطلعوا به وألزم ما مهروا فيه من أعمالها ، لأنه لا شيء أعودُ على الكاتب من تحصيله أمثلةَ ما يكتب فيه [1] وقيام رسومه في نفسه وتمكنه من التصرف فيها ، ولا أقعدُ به من تعذّرها عليه وحاجته إلى انتساخها ونقلها مما رسمه غيره في أضيق الأوقات مجالا وأقلّها إمهالا .

وقد أودَعنا هذا الباب المثلَ والرسوم المستعملة في جميع المكاتبات بالقول الوجيز الجامع لحدودها وعقودها؛ إذ كان حصر جميع أنواع الترسيل في مثل تشتمل عليها ورسوم تقيّدها حتى لايبدو شيء منها متعذراً . وأسّسْنا للذي الفكرة السليمةِ والغريزة المستقيمة ما يقتفي آثاره ويقتبس أنواره ، وأغنيناه بتقدمةِ الاستعداد عن الفحْص والارتياد ؛ فأتينا في الكتب المكتتبة عن السلطان في الحوادث بجوامع تشتمل على أغراضها ومقاصدها والمعاني الواقعة فيها

(١) كتب بعد « فيه » : (من أعمالها لأنه لا شيء ، ثم وضع بخط صغير فوق « من » : (لا) وفوق « شيء » : (إلى) ومعنى ذلك أنه حدد بدء الحذف ونهايته . وهذا الحذف لتكرره . وسبب الحذف أنه شرع سهواً في إعادة السطر السابق ثم فطن إلى ذلك .

لتبسط وتوفى حقّها من الشرح والإبانة عند الحاجة إلى استعمالها ، وأتينا في كتب التقاليد والعهود بأمثلة تتضمّن التصدير والأوامر التي جرت العادةُ أن يعهدَ بها السلطان لكل من يعمل عملاً من أعماله ، لأنها محصورة محدّدة لا عذْر للكاتب في الاخلال بشيء منها ليستوفيها على حقّها ويضعها في مواضعها ، فإنه إن أغفل بعضها سقطت الحجةُ على العامل متى لم يعمل به ؛ وأتينا في المكاتبات المشتركة برقاع وفصول تطرق الطريق إلى إنشاء مثلها . وهذا الفن من المكاتبات لا يقف عندَ مدىً . وقد كان ينبغي أن نحيلَ في تعرف رسومه على مطالعة ما أنشأه البلغاء فيه ، لكنا تكلفنا ما تكلفناه منه لئلا نكون قد أضربْنا عن الأمر الأعمّ من الكتابة وإن كانت السلطانيات هي الأمر الأهم ، لأنها الكتب النافذة في جلائل الخطوب ومعاظم الأمور وسياسة الجمهور وقوام الدنيا ونظام الدين . ولسنا ندّعي النفاذ في جميع ما أنشأناه من هذه الأنواع وأودعناه كتابنا ، ولا أنه بأسْره مرضيٌّ لأنه لا يكاد يوجد[1] كاتب مطبوع في تــأليف الرسائل كلها ، كما لا يوجد خطيب مطبوع في تــأليف الخطب كلها ، ولا شاعر مطبوع في تــأليف الأشعار كلها ، لأنّ من الكتاب من يكون حاذقاً في الكتب السلطانية الصادرة في معاظم الأمور وجلائل الشؤون ، ككتب الهُدَنِ والفتوحات والعهود والتقاليد والحوادث دون غيرها ، ومنهم من يكون حاذقاً في رقاع العتاب والاستبطاء والاعتذار والشكر والشكوى والتهادي دون غيرها من السلطانيات . وربّما تمهّر الواحد منهم في معنى دون معنىً ، كما يتمهّر في التقريظ والإحماد دون التوبيخ والاستقصاء ونحو ذلك . ومن الخطباء من يكون حاذقاً في التحضيض ، قويّ الحميّة والحفيظة في الوقائع ومقارعة الفرسان ، مقصّراً في الاصلاح بين العشائر وإطفاء الثوائر . وربما مَهَرَ في خُطب الحمالات وتكلّف الديات

---

(١) سقطت من السطر فكتبت في الهامش .

دون غيرها من أنواع الخطب . ومن الشعراء من يجل في المدْح دون الهجاء وفي المراثي دون الفخر وكذلك في سائر الأنواع . وهذا أمرٌ معلوم ؛ والعلة فيه اختلافُ الغرائزِ ومناسبتها للبعض دون البعض من الأمور . وأيضاً فان الذي يؤلفُ الكلام في حال حاضرة قد أحاط بصفتها وتمكنت صورتها في نفسه أفسحُ مجالاً وأوضحُ سبيلاً ممّن يؤلفه بحال غائبةٍ لم يكن ليعمل به إذا كاتب ؛ لأن من يؤلف في الأمرِ المشاهدِ يستملي من نفس ذلك الأمر ما يبنى عليه تأليفه ، وليس من أخذ صورةً فجلاها كمن خلق الصورة وتكلّف تحليتها . فان وقع فيما اشتمل عليه هذا الباب تقصير في بعض الأنواع عما يستحقّه من القول إذا قيس بحال حاضرة فهو لهذا السبب ، لأن جميع ما تضمّنه مقتضب له لم يستعمل شيئاً في مخاطَبة ولا مكاتبة . وكل [1] ما أتينا به من الأمثلة فلا ينبغي لمن يروم احتذاءه [2] وامتثال سببه أن يعوّل على نقْل فصّه وأخذه على نصّه ؛ لأن ذلك يفسد طبعَه ويعوده عادات الاتكال على غيره ، وإنما يجب أن يُمِرَّه على سمعه ليتدرّب بالطريق المسلوكة إليه فيقتفيها ، وإن علق بنفسه معنىً من معانيه عرّاه من معْرِضِ لفظه وكساه لفظاً يحفظ صورتَه . وهذا الباب لم نصنّفه لعالمٍ ماهرٍ ولا كاتب مبرّز كاملٍ ؛ وإنما صنّفناه للمبتدىء تبْصرةً وللمنتهى تذكرة . والله الموفق للصواب بفضله .

الذي يتصرف فيه الكاتب أوّلاً من إنشاء المعاني ضربان [3] :

(الأول) : اقتضاب الرأي [4] والتدبير في الأمور السلطانيّة التي ليست

---

(١) في الأصل : « وكلما » .

(٢) في الأصل : « احتذاه » .

(٣) في الأصل : « ضربين » .

(٤) قوله « من إنشاء » ــ إلى « اقتضاب الرأي » كتب في الهامش في سطر رأسي ، ووضعت علامة على مكانه من السطر . ويلاحظ أن « اقتضاب الرأي » وردت مرتين مرة في الهامش ومرة في السطر بعد العلامة ؛ ولعله أراد هذا أن يؤكد نهاية النقص ، كي لا يظن ظان أن النقص ربما لم يستكمل ، فأسلمك إلى ما بعده وهو المذكور في السطر الأصلي .

لها أمثلة محرّرة ترجع إليها ولا رسوم مقررة تعتمد عليها ، وإنما هي مصالح تعمّ أمور الدين والدنيا ، والسلطان محتاجٌ إلى تفقّدها وإقرار منتظمـها على نظامه ، وإعادة المختل منها إلى قوامه ؛ والمكاتبةُ منها بما يقتـضيه من أمر ونهي ، ووعدٍ ووعيد ، وترغيب وترهيب ، وحضّ على صلاح وكفّ عن فساد ، وإبانةٍ عن حميد عاقبة ودلالةٍ على ذميم مغبة . وإنشاء هذا النوع من المعاني يتعلق بوزير السلطان الذي يُصدر ويُورد ، ويحضّ ويُبرم ، ويحلّ ويعقد ، ويقدّم ويؤخّر . والمتولىّ لهذا العمل يفتقر في الاستقلال به إلى حصول ثلاثة أشياء :

أولها — الفكرة المناسبة لهذ الأمر والهمّة المتشابهة لهذه الرتبة ؛ فإنّ اختيار الرأي وجودة التدبير قوة يحظى بها الواحد دون الواحد فيعرْف بها وينسبُ إليها.

والثاني — المعرفة بأحوال المملكة وبلادها ورجالها ورعيّتها ومذاهبهم وسيرهم وعاداتهم وما يقومهم من رغبة ورهْبةٍ ويصلحهم من المعاملات المتضادة وما يرجونه ويخافونه .

والثالث — حيازة فضل التجربة والاستدلال بتالد الأحوالِ على طارفها ، وبسالفِ الخطوب على آنفها[1] ، لتشابه قضايا الأزمنة وتناسُبِ عللها .

فمتى حصلتْ له هذه الأقسام ، اقتدر على نيل المرام ، ووقف على منهج السداد ، في الاصدار والإيراد ، وتوضّحت له مخايلُ الصواب ، وعُدّ من سادة الكتاب .

و (الضرب الثاني) إنشاء الترتيب والعبارة . وهذا فإنّما يسلم الأغراض إلى متولى الترسيل محرّرة فيحسنُ التعبير عنها ويجلوها في أشفّ معارض الإبانة.

(١) رسمت : « آانفها » .

وهو ينقسم إلى قسمين : القسم الأول السلطانيات ؛ والقسم الثاني [1] الكتب المشتركات .

فالقسم الأول على ضربين : غير محتسب وغير مطروق ، تنشأ الكتب فيه بحسب الحوادث فلا مثال له ولا رسم ، والكاتب يقتدرُ على توفيتِه حقّه بأمرين : « أحدهما » الطبعُ الفاضلُ الذي في قوته وضع الأشياء في حقائقها . و « الثاني » : المهارة في المعتادِ والتدرب به لوقوع التناسب في الأمور — والضرب الثاني راتبٌ متداولٌ ، قد استقرت له رسومٌ معروفةومثلٌ مألوفة . وهو أربعة أنواع : « النوع الأول » المكاتبات في الحوادث المألوفة . و « النوع الثاني » التقاليد والعهود والمناشير والأمانات . و « النوع الثالث » التوقيعات . و « النوع الرابع » المكاتبات في أمور الخراج . وقد مثلنا من هذه الأنواع مافيه كفاية ، وغنىً لأهل الدراية .

القسم الأول من الترسيل : وهو السلطانيات

الضرب الثاني منه أربعة أنواع

رسوم النوع الأول منه

وهو الكتب في الحوادث المألوفة

أغراض هذه الكتب :

* الكتب في الدعاء إلى الدين .
* الكتب في الحث على الجهاد .
* الكتب في الحض على الطاعة .
* الكتب بالتنبيه على مواسم العبادة .

---

(١) سقطت كلمة « الثاني » من الاصل . وهو سهو من الناسخ .

* الكتب عند حدوث الآيات السماوية .
* الكتب في النهي عن التنازع في الدين .
* الكتب عن الخليفة عند انتقال الأمر إليه [1] .
* الكتب في الهُدَن والعقود
* الكتب إلى من نكث عهده من المعاهدين .
* الكتب إلى من خلع الطاعة .
* الكتب بالتضييق على المجرمين .
* الكتب في الاعتذار عن السلطان .
* الكتب في الفتوح .
* الكتب في التوفقة بين السنين [2] الخراجية والهلالية .
* الكتب بالتنويه والتلقيب .
* الكتب بالإحماد والإذمام .
* الكتب بالأوامر والنواهي .
* الكتب في إلزام الذمة بالتغيير .

الكتب في الدعاء إلى الدين

أشفُّ ما ينشئُهُ المترسِّلُ[3] الدعاء إلى دين الاسلام الذي أظهره الله تعالى

---

(١) كان من عادة الناسخ أن يكتب كلمة « الكتب » على سطر ثم ما يليها في السطر الذي يليه . وهنا كتب أسفل « الكتب » عند حدوث الآيات السماوية . وحين اتضح له أنه سها فكرر العبارة التي ذكرت سابقاً كتب فوق باء « الكتب » المدودة : عن الخليفة عند انتقال الأمر اليه مردفة بـ (صح) . وكأنه بذلك أضرب عما كتب تحتها .

(٢) في الاصل : « التوفقة بين الشيئين » .

(٣) في صبح الأعشى ٨ : ٢٤٤ « أشرف ما ينشئه الكاتب » .

على كلّ دين، وأعزّه على كُره المشركين،واستجرارُ مخالفيه إليه واجتذابُ[1] الخارجين عن دائرته إلى الدخول فيه ، عملاً بما كان عليه رسول لله صلى لله عليه وسلم والخلفاء من بعده ، لأنه قِوَامُ الملك ونِظَامُ السلطان اللّذان [2] لا يصحّان إلا به . والكاتبُ يحتاج في إنشاء هذه الكتب إلى علم التوحيد وبراهينه ، وشَرْع الرسول صلى لله عليه وسلم خاصّه وعامّه ومعجزاته وآيات [3] نبُوّته ، ليتوسّع في الإبانة عن [4]ظهور حُجّته ووضوح مَحَجّته.
والرّسمُ فيها أن تُفتتح بحمدِ الله الذي اختار دين الاسلام فأعلاه رأظهره ، وقدّسه وطهّره ، وجعله سبيلا إلى رضاه وكرامته ، وطريقاً إلى الزُّلفى في جنّته ، وشفيعاً لا يُقبَلُ عملُ عامل إلا به ، وباباً لا يصل واصلٌ إلاّ منه، فلا تُغفرُ السّيئّاتُ[5] إلا لمن اعتصم بحبله،ولا تُتقبّل الحسناتُ إلا من أهله.
وشكرِه تعالى على الهداية إليه ، والتوقيف عليه ، وذِيادته عن مجاهل الضلالة بما أوضحه من بُرهانه ونوّره من بيانه . وتمجيده بعظيم آياته ، وباهر مُعجزاته ، وحكيم صَنْعته ، وبديعِ فطرته . وتنزيهه عما لا يليق بسُلطانه ، ولا تجوز إضافته إلى عظيم شأنه . وتسبيحهِ عما يصفه المُلحدون ويختلقه الجاحدون .
والصلاة على رسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، والافصاحِ عن دليل[7] نبوّته ، وبَراهينِ رسالته ، وما خصّه الله تعالى به من إعلاءِ ذكره ، وإمداده بالمعجزات الرافعة للاعذار في أمره . ثم يشفع [8] ذلك بالدعاء إلى الدين والحض

(١) في الأصل : « واجتذاب » بكسر الباء .
(٢) في الأصل : « الذى » .
(٣) في الأصل : « آابات » .
(٤) في صبح الأعشى : « من » .
(٥) في الأصل : « النيات » .
(٦) الزيادة من صبح الأعشى .
(٧) في صبح « دلائل » .
(٨) في صبح « يتبع » .

والرسم فيها أن تفتتح بحمد الله تعالى على جميل صنعه ، في إعزاز الكلمة ، وإسباغ النعمة ، بإظهار هذه الأمة ، وما وعد به من نصر أوليائه ، وخذلان أعدائه ، وإدالة الموحّدين ، وإذالة المُلحدين ؛ والصلاة على رسوله صلى الله عليه وعلى آله ؛ وذكرِ طرف من مواقفهِ في الجهاد ، ومقارعته لِشيَع الإلحاد، وتأييد الله تعالى أنصارَه على أهل العناد . ثم يذكر الحادثة بنصّها، ويشرح القضيّة[(١)] على فصّها ، ويستنصر[(٢)] من جاوره وداناه من أهل الملة أجمعين ، ويخاطبُهم بما يرهف عزائمَهُم في نُصْرة الدين وكنافة المسلمين، واتّباعِ سبيل السلف الصالحين ، الذين خصّهم الله بصدق الضمائر ، ونفاذِ البصائر وصحة الدين ، ووثاقة اليقين ، فلم يكونوا يرومون[(٣)] مراماً إلاّ سهّل لهم ما توعّر ، ويسّر عليهم ما تعسّر ، وسما بآمالهم إلى ما هو أقصى منه مَرْمىً وأبعدُ مَدىً ، رغبةً فيما رغّبَهم فيه من نُصْرته ، وتعرضاً لما عرّضَهُم له من جزيل مثوبته ، وأن يحضّهم على التمسك بعزائم الدين ، والعملِ على بصائر المخلصين ، وافتراض ما فرض الله عليهم من جهاد أعدائه وتنجّز[(٤)] ما وعدهم به من الإظفار بهم والإظهار عليهم ؛ وأن يجاهدوا مستبصرين ، ويؤدوا الحقّ مُحتسبين ، ويقدّموا أرسالا[(٥)] لا ناكثين ولا ناكصين، ولا شاكين ولا مرتابين ، متبعين الحق حيث يمّم وقصد ، ومضاربين دونه من نَدّ[(٦)] عنه وعَنَد، ويُبالغُ في تَنْخيَةِ أهل البسالة والنجدة ، والبأس والشدّة، وبعثِهم[(٧)] على نصْر حقهم وطاعةِ خالِقِهِم ، والفوز بدرك الثواب

---

(١) في صبح ٨ : ٢٤٦ « القصة » .

(٢) في صبح « ويندب » .

(٣) في صبح « ليروموا » .

(٤) في صبح « وتنجيز » .

(٥) في صبح « رسلا » .

(٦) في صبح « صد » .

(٧) في صبح « وببعثهم » .

والرضوان ، ونفوذ [1] البصائر في الإيمان ؛ وفضيلة الأنَفِ من الضّيْم ، والبُعد من الذّم [2] ، إلى غير ذلك مما يسهّل بذْلَ الأرواح والمُهج ، والإقدام على مصارع التّلف ، فان الملوك الماضين — لعلمهم بأن الناس إنما يجودون بذلك للفوائد التي توجبه — كانوا يبذُلُون لمن يدْعونه إلى المكافحة ، ويعرّضونه للمنافحة [3] ، الرغائبَ التي تُ...ن عليهم إلقاء أنفسهم في المهالك تارةً ، ويُذكّرونهم الأحقاد والضغائن ، ويخوّفونهم من الوقوع في المذلّة أخرى] [4].

وينبغي أن يقدّمَ الكاتب في هذه الكتب مُقدّماتٍ ، يُرتّبها على ترتيب يَهزُّ الأرْيَحيّات ، ويشحذُ العزائِم ، ليجْمَعَ بين خِدمةِ سلطانه والفوزِ بنصيب من الأجر .

الكتب في الحض على لزوم الطاعة

طاعةُ السلطان والانقيادُ إليه ، والرجوعُ إلى رأيه والاعتمادُ عليه، أقوى [5] الأسباب في استمرار الاتساق والاستتباب . وهي فرض أوجبه الله تعالى ، فقال : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » [6] . ولا تصحّ مملكة ولا تدوم دولة إلاّ بأمرين : أحدهما عدلُ السلطان، والآخر طاعة الرعيّة له ؛ فمتى ارتفع أحدهما فسد السائس والمَسُوسُ . ولم تزل

---

(١) في صبح « وتنور » .

(٢) في الاصل « والعبد من الدنم » والصحيح من صبح .

(٣) في صبح « للمذابحة » .

(٤) الزيادة من صبح ٨ : ٢٤٧ .

(٥) في صبح ٨ : ٢٥٢ « أبدى » .

(٦) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

ملوك الأزمنة تتقدم إلى الرعايا بلزوم [١] الطاعة والاعتصام بحبل المشايعة [٢] والنهي عن مفارقة الجماعة .

والرسم فيها أن تفتتح بالحمد لله على النعمة [٣] في تأليف قلوب أهل الدين ، وجمع كلمة الموحدين ، وإهواءِ [٤] أهوائهم إلى الاتفاق ، وصيانه عصاهم من الانشقاق ، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتنبيه على فضائل الطاعة وأنها العروة الوثقى ، والمعقل الذي لا يُرْقَى ، والحصن الحصين ، والكنف الأمين ، والحمى الأمنع ، والمرقب الأرفع ، وأن من حافظ عليها فاز وسلم ، وربح وغنم ، ومن فارقها خسرَ وخاب ، ونكبَ عن سبيل الصواب ، وإيضاح ما في لزومِ [٥] الطاعة من اتفاق الكلمة ، وانتظام شمل الأمة ، وشمول الخيرات ، وعموم البركاتِ ، وعمارة البلاد ، وصلاح العباد ، وما في المشاقة من الفساد العام ، العائد بانتثار النظام ، وانبتات الحبْل ، وتفرق الشمل ، واجتثاث الأصل ؛ وطموس الديار ، وصيال الأشرار على [٦] الأخيار ، وتوالي الفِتَن التي لا تُصيب الظالم خاصّةً دون العادل ، ولا المشاقق دون الموافق ، وحلول النوائب المُزيلة للنّعم المنْزلة للنِّقَم ، واتباع ذلك بما يجب من إعذار وإنذار ، وترهيب وترغيب ، وتذكير وتبصير ، ووعظ وتخويف ، وبعث العلماء الحُصَفاء على وَزْعِ [٧] الجهلاء السخفاء ، وتنبيه أهل السلامة والصلاح ، على كفّ ذوي العَيْث والطّلاح ؛ إلى نحو هذا مما يجاريه . وأن يبالغ فيما يُورده من هذه المعاني ، فإن هذه الكتب إذا

(١) في صبح : « يقدمون إلى الرعية لزوم » .
(٢) في صبح : « الشريعة » .
(٣) في صبح : « النعم » .
(٤) في صبح : « ورعاية » .
(٥) في صبح : « سبيل » .
(٦) في صبح : « وانقماع » موضع « على » .
(٧) في صبح : « ردع » .

كانت بليغة مُستوفاةً جيدة العبارة ، أخذت بمجامع القلوب ، وأغنت عن الكتائب في إدراك المطلوب .

الكتب بالتنبيه على مواسم العبادة

إنّ الله وقّتَ لعباده أوقاتاً عظّم شأنها ، ورفع مكانها ، وأمرهم أن يتقرّبوا فيها إليه بتأدية ما فرضه عليهم ، لُطفاً بهم ورأفة ، وحناناً ورحمة . ولم يزل السلطانُ يكتب إلى عمّاله بتنبيه الرعايا عليها ، وتعريفهم فضْل العبادة فيها ، ليستقبلوها بالإخبْاتِ والخُشوع ، ويتلقوها بالتضرّع والخضوع ، ويتوسّلوا في قَبول التّوبات وغُفران الخطيئات[1] ، حِفْظاً لنظام الدين ، وتفقّداً لمصالحِ المسلمين .

والرسم فيها أن تفتتح بحمد الله تعالى على أن وقّت [2] لعباده أوقاتاً يتقبلُ فيها قُرَبهم وأعمالهم ، ويُخفّف بالإنابة إليه عند حلولها أوزارَهم وأثقالهم ، فيغفر لمُستغفرهم ، ويعفو عن مُسيئهم ، ويتقبّل التّوبةَ عن تائبهم ، والصلاةِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم يقدّم مقدمةً مبنيةً [3] على تعظيم هذه الأوقات ، والإبانة عمّا في قَصْرِها على العبادات ، والمسابقة إلى الخيرات ، من عظيم المثوبات [4] . ويشفعُ ببعث الولاة على أخذ الرعايا بالمحافظة على السّنن ، وتعهّدِ حق الله تعالى فيها ، والتوسّع في توكيد الحجة ، ونفي الشبهة ، وإيراد المواعظ الرادعة ، التي تعود بشحذ البصائر ، وصفاء الضمائر ،

---

(١) في الأصل وفي صبح ٨ : ٢١٢ « الخطيات » .

(٢) في صبح : « وهب » .

(٣) في الأصل : « مبينة » .

(٤) في صبح : « الثواب » .

والإتيان بحقوق هذه الأوقات [١] وواجباتها [٢] ،والفوز بما توفده [٣] من جزيل بركاتها ، والتوفّر على حُسن مجاورتها ، والتقرُّب إلى الله تعالى ببذل الصدقات ، والإقبال على الصلوات [٤] ، وزيارة بيوت العبادات ، ومذاكرة أهل الدين ، والسعي في مصالح المسلمين . ونحو ذلك مما يناسبه .

فان كان الكتاب مقصوراً على الدعاء إلى الحج ، افتتح بحمد الله[٥] على أن جعل لعباده حرماً آمناً يمحّص ذنوبهم بزيارته ، ويمحو آثامهم بحجّه ووفادته. ويلي ذلك ما يليق به من الحثّ على تأدية المناسك ، وتكميل الفرائض والسنن ، وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم . وكذلك الحكم في سائر الأبواب الدينية.

وينبغي للكاتب أن يُحسن التأنّي في هذه الكتب ، ليليّن القاسي ، ويُذكّر الناسي ، وينبّه الغافل اللاهي ، والمهمل الساهي ، ويحرّك النفوس نحو مصالحها ، ويَبْعثها على الأخذ بفاضل الأعمال وصالحها .

الكتب عند حدوث الآيات السماوية

جرت العادة أن يكتب السلطان إلى الرعايا- عند حدوث الآيات المهُولات [٦] التي يريد الله تعالى بها إرشاد عباده إلى الإقلاع عن معصيته ، والإقبال على [٧] طاعته ، كالرياح العواصف ، [والزلازل][٨] والصواعق ،

---

(١) لم يتسع السطر للتاء في الاصل فكتبت في الهامش

(٢) في الأصل : « وحرماتها » .

(٣) في صبح : « يوفره » .

(٤) في لأصل : « الصلاة » . وكتب في الهامش « الصلوات » .

(٥) في صبح : « بالحمد لله » .

(٦) في صبح : « المهولة » .

(٧) في الأصل : « إلى » .

(٨) الزيادة من صبح ٨ : ٣١٠ .

واحتباس القَطْر وخروجه في التَّسْكاب عما جرت به العادة - كُتباً يُضمِّنها من الوعظ الشافي والرقيق ما يأخذ بمجامع القلوب ، ويشعرها التقوى [1] والرهبة ، ويبعث على المراقبة والنظر في العاقبة .

والرسم فيها أن تفتتح بحمد الله على آلائه التي يُفيضُها ابتلاءً [2] واختباراً ، وآياته [3] التي يرسلها تخويفاً وإنذاراً ؛ وموهبته في التّوقيف بسابغ نعمته على طاعته ، والتحذير بدامِغ [4] نقمته من معصيته . والصلاة على رسوله الذي أنقذ بشفاعته ، وعصم من نزول القوارع بنبوّته . ثم يقدّم مقدمة تتضمّن أن الله تعالى يقدّم الإعْذار أمام سخطه وعذابه ، ويبدأ بالإنذار قبل غضبه وعقابه ؛ فمن استيقظ من سِنَته ، ونظر لعاقبته ، ونزع [5] إلى طاعته ، وأقلع عن معصيته ، كشِف ضرّه [6] ، وضاعف أجره ، ومن أضرب عن موعظته ، وتعامى عن تبصيره وتذكرته [7] ، أخذه على غرّته ، وسلبه سرْبال نعمته . ثم يؤخذ [8] في حث الأمة على الفزع إلى الصلوات ، والمسارعة إلى بيوت العبادات ، والإكثار من التضرّع والخشوع ، والاستكانة والخنوع ، وإذراء الدموع [9] ، وإخلاص التوبة عن محتقب الآثام ومجترح الأوْزار ، والتّوسّل

---

(١) في الأصل : « للتقوى » .

(٢) رسمت في الأصل « ابتلاا » .

(٣) رسمت في الأصل : « واااياته » .

(٤) في صبح « بدافع » .

(٥) في صبح : [ونهض] . وكتب المحقق في الحاشية : « بياض بالأصل . والتصحيح بقضيه المقام » .

(٦) في صبح : « كشف الرين عن قلبه » .

(٧) في صبح : « وتذكره » .

(٨) في صبح : « تأخذ » .

(٩) في صبح : « بإذراء سحائب الدموع » .

إلى الله تعالى في قبول الإنابة بقلوب نقيّة ، وطويّات على الطهارة مطويَّة ، وسرائر صحيحة ، ونيات صريحة [1] ، يُصدّقها النّدم على الماضي ، وعقْد العزم على الإقلاع في الآتي ، والرغبة إليه في رفع سُخطه وإنزال رحمته ، وما يجاري هذا .

وينبغي للكاتب أن يتلطّف في الموعظة ، ويُبالغ في الذّكرى التي تحصرُ [2] الخواطرَ وتقدَح الأنفس ، وتحرّك العزائم نحو الإخلاص ، فإنه إذا أبرزَ هذه المعاني في صورٍ تشعر [3] الخيفة من غضب الله تعالى وعقابه ، وتُرَغِّب في عفوه وثوابه ، نفع الله من رغب عن الهوى ، ورغِبَ في التقوى بكتابه .

الكتب في النهي عن التنازع في الدين

من أهمّ ما صَرَف إليه السلطان تَفَقُّدَه ، ووقف عليه تعهُّده[4] ، أمرُ الرعايا في أعماله ، وتنفيذ الكتب إليهم بالنهي عن التنازع في الدين ، وحَسْم أسباب المجاذبة [5] والمراء ، والتحذير من اتباع البدع والأهواء ، والإخلاد إلى مُضِلّ النِّحَل والآراء، لأنه متى فسح لهم في هذا الباب صاروا شيَعاً متباينين ، وفرقاً متحاربين ، وانشقّتْ عصاهم ، وانفضت حيلُهم ، وخرجوا عن أحكام أهلِ السّلامة إلى أحكام أهل الفتنة ، وعاد ضرر ذلك

---

(١) في صبح : « وسرائر صريحة ، ونيات صحيحة » .

(٢) في صبح : « تخطر » .

(٣) في صبح وضعت بين معقوفين . وقال المحقق في الحاشية : « بياض بالأصل . والتصحيح يقتضيه المقام » .

(٤) في صبح ٨ : ٣٠٦ وضعت بين معقوفين ليشير المحقق بذلك إلى سقوطها في الأصل .

(٥) في صبح : « المجادلة » .

على الدّين والسلطان ، ولهذا صرف إليه الساسةُ الحَزَمةُ من الملوك الاهتمام، ولم يخلوا بحسم مادته على تغاير الأيام .

والرسم فيها أن تُصَدَّر بحمد الله تعالى على نعمته في تأليف كلمة أهل الإسلام ، وما مَنّ به عليهم الاتّفاق والالتئام [1] ، وشكره على موهبته في نزع الغِلّ من صدورهم ، والتأليف بين قلوبهم ؛ وتصييرهم [2] إخوانا متصافين ، وخُلاّناً متوافين ؛ وعَوّنهم بما وفّقهم له من إظهارهم [3] على من شقّ عصاهم ، وإقدارهم بما منحهم من الألفة على مراماة من راماهم ، والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله. ثم يشفع هذا وما يجاريه بأن أمير المؤمنين بما مكّنه الله تعالى في أرضه [4] ، ووفّقه له من القيام بفرضه ، والنهوض بحقّ طاعته ، والعمل بكتابه وسُنّته ، ورَغّبته في الخير العام ، وشمول الصّلاح لكافّة الأنام – لا يزال يحضّ رَعيّته على ما يقضي بسداد دُنياهم ، وحُسْن المنقلب في أخراهم ، ويرى أن أنفع ذلك عائدةً ، وأجزله فائدة ، مارفع عنهم أسباب التّناغر ، ودعاهم إلى التعاضد والتضافر [5] . وحَال [6] بينهم وبين الخوض في مُحدَث النِّحَل والآراء ، والإصغاء إلى مضلّ البدع والأهواء ، التي تصدّ عن سَنَن الهدى ، وتلقي في مزالق [7] الردى ، وتدعو إلى شق العصا ؛ وتقضي بانتثار [8] النظام ، واختلاف

---

(١) في الأصل : « والالتيام » بالتسهيل كعادته .

(٢) في الأصل : « وتصيرهم » .

(٣) في الأصل : « الموازر » وما ذكر من صبح وهو أنسب .

(٤) في صبح : « من مراضيه » .

(٥) في صبح : « والمظافر » .

(٦) في الأصل : « وخاص » وما ذكر من صبح .

(٧) في صبح : « في مهاوى » .

(٨) في الأصل : « ونفضي بانتثار » . وما ذكر من صبح .

على الدّين والسلطان ، ولهذا صرف إليه الساسةُ الحَزَمةُ من الملوك الاهتمام، ولم يخلوا بحسم مادته على تغاير الأيام .

والرسم فيها أن تُصَدَّر بحمد الله تعالى على نعمته في تأليف كلمة أهل الإسلام ، وما مَنّ به عليهم الاتّفاق والالتئام [١] ، وشكره على موهبته في نزع الغِلّ من صدورهم ، والتأليف بين قلوبهم ، وتصييرهم [٢] إخوانا متصافين ، وخُلاّناً متوافين ؛ وعَوْنهم بما وفّقهم له من إظهارهم [٣] على من شقّ عصاهم ، وإقدارهم بما منحهم من الألفة على مراماة من راماهم ، والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله. ثم يشفع هذا وما يجاريه بأن أمير المؤمنين بما مكّنه الله تعالى في أرضه [٤] ، ووفّقه له من القيام بفرضه ، والنهوض بحقّ طاعته ، والعمل بكتابه وسُنّته ، ورَغْبته في الخير العام ، وشمول الصّلاح لكافّة الأنام — لا يزال يحضّ رَعيّته على ما يقضي بسداد دُنياهم ، وحُسْن المنقلب في أخراهم ، ويرى أن أنفع ذلك عائدةً ، وأجزله فائدة ، مارفع عنهم أسباب التّناغر ، ودعاهم إلى التعاضد والتضافر [٥] ، وحَال [٦] بينهم وبين الخوض في مُحدَثَ النِّحَل والآراء ، والإصغاء إلى مضلّ البدع والأهواء ، التي تصدُّ عن سَنَن الهدى ، وتلقي في مزالق [٧] الردى ، وتدعو إلى شق العصا ؛ وتقضي بانتثار [٨] النظام ، واختلاف

(١) في الأصل : « والالتيام » بالتسهيل كعادته .

(٢) في الأصل : « وتصيرهم » .

(٣) في الأصل : « الموازر » وما ذكر من صبح وهو أنسب .

(٤) في صبح : « من مراضيه » .

(٥) في صبح : « والتظافر » .

(٦) في الأصل : « وحاص » وما ذكر من صبح .

(٧) في صبح : « في مهاوى » .

(٨) في الأصل : « وتفضي بانتشار » . وما ذكر من صبح .

الأنام ، وانفصام عرى الإسلام ، وكفّهم عن المماراة في الدّين ، والإصغاء إلى سنّة المضلّين المعطلة للسّنن ، القادحة للفتَن ، الداعية إلى احتقاب الآثام، وإراقة الدّماء الحرام ، ونحو هذا مما يضاهيه .

ثم يقول : وانتهى إلى أمير المؤمنين التفاتُكم عن معايشكم التي جعلها الله لدنياكم قِواما ، وعبادتكم التي صيّرها لآخرتكم نظاما ، وإقبالكم على المماراة والمنازعة ، والمناظرة والمجاذبة ، في [1] شكوك يقيمها من يرغب في الرياسة والتقدّم ، ليفوزَ بخبيث الطعْم يعمى البَصَائر ، ويفسد السرائر ، ويقدح زَنْدَ الضّلال ، ويشُبّ نار المحال والانتحال ، فامتعض [2] أمير المؤمنين من ذلك وخاف عليكم أليم عاجلته ، وذميم آجلته [3] ، وبادركم بكتابه هذا منبّهاً لغافلكم ، ومرشداً لجاهلكم ، وباعثاً لكم على التشاغل بما أطاب أخبارَكم ، وحسّن آثاركم ؛ من تلاوة كتاب الله الذي أمركم [4] بتلاوته ، وزيارة بيوت عبادته ، والتأدب بأدب نبيّه وعِتْرته ، وأوْعَزَ إلى النائب في الحرب بتقويم من خرج عن أمره ، وتثقيف من أصرّ على غيّه ، وأن يحْسم الداءَ من قبل استشرائه ، ويستدركه دُوَين استفحاله ، فاصْغَوْا إلى زواجر أمير المؤمنين ومواعظه ، واقتدوا بهَدْيه ومراشده ، لتفوزوا بطاعته ، وتسعدوا برضاه وصلاته ، وتسلموا في الحاضر من نكَاية [5] أنتم بغيرها أولى ، ما [6] سلكتم الطريقة المُثلى ، وفي الغابر مما أعدّه الله لمنْ خالف أمرَه من العقاب في الدار الأخرى ، فاعلموا هذا واعملوا به إن شاء الله .

(١) في صبح : « والمجادلة ، إلى » .
(٢) في الأصل : « امتعط » .
(٣) رسمت في لأصل : « االجله » .
(٤) في صبح : « آثركم » .
(٥) في صبح : « مهانة » .
(٦) في صبح : « إن » .

وقد يكتب السلطان إلى الرعيّة بالنّهي عن التفاخر بالبلديّة ، والتنازع في العصبيّة . والطريقة في هذا المعنى مشتقة من طريقة هذا الرسم .

الكتب عن الخليفة عند انتقال الأمر إليه

جرت العادة أن تُنفّذ الكتبُ إلى ولاة الأعمالِ في مثل هذه الحال ، مُضمّنةً [1] ما جرى عليه الأمر بالحضرة : من انقياد الأولياء والرعايا إلى الطاعة ، ودخولهم بصدور منشرحة في البيْعة ، وحضّ من بها [2] من رجال السلطان ورعيته على الدخول فيما دخل فيه أمثالهم ، وإعطاءَ الدّعاة على ذلك صفقة أيمانهم .

والرسم فيها أن تُصدّر بحمد الله على عوارفه التي لم تزل تكشف الخطْبَ ، وترأبُ الشّعْب ، وتدفع المُهِمّ ، وترفع المُلِمّ ، وتجبر الوهن ، وتشيع [3] الأمن والمنّ ؛ والصلاةِ على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وذكرِ خصائصه ومناقبه ، وتشريف الله له بإقرار الإمامة في (ذُريته ، وردّ الخلافة إلى عترته ، والتنويه بذكرهم في كتابه ، والإبانة عن أنهم حبوته وأهل صفوتـه الذين طهّرهم من الأرجاس ، وفرض مودّتهم على الناس ، بقوله : « إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجسَ أهل البيت ويطهركم تطهيرا » [4] وما أمر به رسولَه من سؤال أمته في مودّتهم ، فقال : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القُرْبى » [5] وتفويضه خلافتَه إلى وصيّه علي أمير المؤمنين

---

(١) في صبح ٨ : ٢٣٣ « متضمنة » .

(٢) في صبح : « من بالاعمال » .

(٣) وردت في الأصل دون نقط ، وكتبت في صبح : « وتسبغ » .

(٤) سورة الاحزاب ، الآية ٣٣ .

(٥) سورة الشورى ، الآية ٢٣ .

ونصّه عليه وتسليمه بمحضر من العام والخاص اليه . ويتلو هذا) [1] بالإفصاح عن شرف الخلافة وفضلها ، والإبانة عن رفيع مكانها ومحلها ، وأنّها ظلّ الله الممدود ، وحبله المسود [2] ، ومِساكُ الدين ونظامه ، وملاكُ الحقّ وقِوامُه ؛ وامتنان الله تعالى على العباد بأن جعل لهم أئمة يبسُطون [3] العدل عليهم ، ويقيمون الحدود فيهم ، ويقوّمون أديانهم ، ويهذّبون أيمانهم ، ويُرْهفون بصائرهم ، ويهدون حائرَهم ، ويكفّون ظَلومَهم ، وينصفون مظلومهم ، ويجمعون كلمتهم ، ويحمون ذِمارهم ، ويحوطون دارَهم[4] ، وما يجاري هذا . ثم يذكر ما أوجبه الله على أهل الاسلام للإمام من الطاعة وحسن التِّباعة أيام حياته [5] ، (والائتمار لأمره في الانقياد إلى من ينصّ عليه بمرتبته بعد وفاته)[6] : ليتّصل حبل الإمامة بينهم ، ويمتد ظلّ الخلافة للخلافة عليهم [7] . ثمّ يأتي بمقدمة في ذكر الموت ، وأن الله تعالى سوّى فيه بين بريّته ، وجعل في تطرّقه إلى رسوله أُسْوَةً لخليقته ، وتفرّد بالبقاء ، وامتنع على [8] الفناء ثم يُقال : وإنّ الله لمّا اختار لعبده ووليه فلان النُّقْلَةَ إلى

---

(١) ما بين القوسين مكانه في صبح الأعشى ما يلي : (أقاربه ، وتخصيصها ببني عمه الذين هم أحق الناس به ؛ وما أمر به الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من طلب مودتهم عن الأئمة بقوله جل من قائل : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » . وما أشار إليه صلى الله عليه وسلم من بقاء الخلافة فيهم بقوله لعمه العباس : « الا أبشرك يا عم ؛ بي ختمت النبوة وبولدك تختم الخلافة » وما يجري مجرى ذلك . ثم يتلو ذلك) .

(٢) في صبح : « المشدود » .

(٣) في صبح : « فيهم أئمة يقسطون » وعلق المحقق بقوله : لعله يفيضون العدل .

(٤) في صبح : « ديارهم » .

(٥) رسمت في الأصل : « حيوته » .

(٦) ما بين القوسين ورد في صبح على هذا النحو : (والانقياد لأمره في طاعة من ينص عليه في القيام مقامه بعد وفاته) .

(٧) في صبح : « ويمتد ظل الخلافة عليهم » .

(٨) في صبح : « عن » .

دار كرامته ، والحلول بفناء طاعته ؛ وأعانه على سياسة بريّته ، وأنهضه بما حمّله ، وأيّده فيما كفّلَه ، من الذبّ على المسلمين ، والمراماة عن الدّين ؛ والعمل بكتابه وسنّته في القول والفعل ، واستشعار خيفته ومراقبته في السّر والجهر ؛ وما يليق بهذا — استخلص عبدَه ووليَّه فلاناً الامام الكذا [1] بخلافته ، وأهْمَى سماءَ الرحمةِ بإمامته ، (وأحكى عرى العصمة بولايته ، وألقى في يقين ...[2] النصّ عليه) [3] ، والتفويض إليه ، لما علم سبحانه في ذلك من شمول المصلحة للعباد ، وعموم الأمنة للبلاد ، فارتسم — قدس الله رُوحَه — ما ألْهمَه ، وكمّله قبل خروجه من دار الدنيا وتمّمه ، عالماً بفضل اختياره ، وأنه لم يملْ مع [4] الهوى في إيثاره ، فقام أمير المؤمنين الإمام الكذا مقامه ، وحفظ نظامَه ، وسدّ ثُلْمَتَه ، وعفّى رزيّته ، وأقر [الله تعالى] [5] الإمامة به في نصابها ومقرّها ، وزاد باستخلافه في صيت الخلافة وقدرها .

وأمير المؤمنين يسأل الله أن يخصّ قلبه السعيدَ بقربه بأفضل صلواته [6] ، وأشرف تحياته ، وبحسن جــزاءه [7] عن [8] سعيه في صلاح العباد ،وسداد البلاد ، وأن يُلهم أميرَ المؤمنين من الصبر على تجرّع الرزية فيه [ويجزيه] [9] أفضل ما جزى[10] [به] صابراً مُحتسباً ، وأن يجبر كسْره في فقده ،

---

(١) في الأصل : « الكذي » وفي صبح : « الفلاني » .

(٢) في الأصل : « انه » [ربما في نفس أبيه ، أو في يقين أبيه] .

(٣) ما بين القوسين في صبح « وأحل عزيز النصر بولايته ، وألقى في نفيس رأيه النص عليه » .

(٤) في صبح : « به » .

(٥) ما بين المعقوفين من صبح .

(٦) في الأصل كتبت « صلاته » ثم كتب بازائها في الهامش « صلواته » .

(٧) رسمت في الأصل « جزاه » .

(٨) في صبح : « في » .

(٩) ما بين هذين المعقوفين وكذا المعقوفين الآتيين من صبح .

(١٠) رسمت في الأصل : « جزا » .

ويوفّقه لجميل العزاء من بعده ، ويسدّده في مصادره وموارده ، ويهديه لما يُرضيه في جميع مقاصده ، ويعينه على ما ألّفَ الأهواءَ ، وجمع الأرزاءَ ، ونظم الشملَ ، وكثّر القُلَّ ، وأدجى الظلّ [1] ، وأزال الشك والارتياب.

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك وقد اجتمع مَنْ بحضرته ، من ذوي الحميّة [2] وأمراء دولته ، وكافة جنده وحماةِ [3] حوزته على بيعته ، وإعطائه صفْقةَ أيمانهم على طاعته ومشايعته ، عن صدور مخلصة نقية ، وسرائر صافية سليمة ، وعقائد مشتملة على الوفاء بما عقدوا عليه ، وانقادوا مختارين إليه ، وشملتهم بذلك الرحمة ، وضَمِنَتْ عليهم النعمة ، فما ترحوا للرزية [4] ، حتى فرحوا بالعطية ، ولا وجموا للمصيبة ، حتى بَسَموا للرغيبة ، ولا أظلموا لفقد الماضي ، حتى أضاءوا لوجودِ الآتي [5] .

فلله الحمد على هذه المنّة [6] التي جبَرَت الوهْن ، وحققت في فضله المنّ ، حمداً يستدرّ أخلاف فضلِه ، ويستدعي سوابغَ [7] طوْلِه . وصلى الله على محمّدٍ وآله . وأمير المؤمنين يراك من أهل مخالصته ، والمتحققين بطاعته ، (والجديرين بإجابة داعي تبعته ، والمسارعين إلى الاعتصام بحبل دعوته)[8] ،

(١) في صبح وردت العبارة كما يلي : « ويعينه على تأليف الأهواء ، وجمع الأرزاء ، ونظم الشمل ، وكف القتل ، وإرخاء الظل » .

(٢) في صبح : « جهته » .

(٣) في صبح : « وجماعة » .

(٤) في صبح : « فما برحوا الرزية » . (بدون نقطة الباء) .

(٥) في صبح : « حتى أضاء الوجود بالآتي » .

(٦) في صبح : « النعمة » .

(٧) في صبح : « سابغ » ..

(٨) ما بين القوسين ساقط من صبح .

ويأمرك أن يأخذ البيعة [له] [1] على نفسك وعلى جميع أوليائه المقيمين قبلَكَ، وكافة رعاياه الذين في عملك ، وتُشعرَهم بما عنده للمسارعين (إلى الطاعة ، المبادئين في التباعة ، من نشر) [2] الانصاف والعدل ، وإفاضة الإحسان والفضل ، وما لمن نكب عن الطريقة المُثلى وعدل [3] عن الأوْلى ، من الكفّ الرّادع ، والأدب الوازع . ويتوسّع في هذا المعنى توسّعاً يشرح صدورَ أهل السلامة ، المستمرّين على نهج الاستقامة ، ويقبض أيدي [4] أهل الفساد ، ويغضّ من نواظر ذوي العناد . ويحلّى هذا الكتاب بآيات من القرآن تحسن استعارتها في باب العزاء ، ويليق ذكرها في باب الاشادة بالخلافة والخلفاء . وهذا الرسم فيما يصدُرُ إلى الأعمال ؛ فأما يقرأ بالحضرة فإنه يقال في موضع « وكتاب أمير المؤمنين إليك » : « وأنتم معاشرَ الأشراف بني عم أمير المؤمنين والعلويين وخواص الدولة وأمرائها ، وأماثلها وأجنادها ، وكتّابها وقضاتها[5] . وكافة رعيّتها ومن اشتمل عليه ظلّ مملكتها — أحق مَنْ حافظ على عوارفنا ، واعتدّ بلطائفنا ، وقام بشكر نعمتنا ، وسارع إلى بيعتنا ، واعتصم بحبل دعوتنا ، فأجمعوا على متابعتنا ، وإعطائنا صفقة أيمانكم على مشايعتنا ، ليجمع الله على التأليف كلمتكم ، ويحمي بالتآزر [6] بيضتكم » ويتبع هذا من وعد أهل الطاعة بما يضاعف [7] جدودهم ، ومن وعد أهلَ المعصية بما يصعّر خدودهم ؛ على نسق ما ذُكر [8] في الترتيب الأول [9] .

(١) الزيادة من صبح .

(٢) في صبح : « لطاعته ، المبادرين إلى اتباعه ، من نيسير » .

(٣) في صبح : « وحاد » .

(٤) في صبح : موضع « ويقبض أيدي » : « ويروع » .

(٥) ضاق السطر عن نصف هذه الكلمة فكتبت في الهامش .

(٦) وردت في الأصل : « بالتوازر » .

(٧) في الأصل « يرهف » وما ذكر من صبح .

(٨) في صبح ٨ : ٢٣٧ « سبق » .

(٩) لم تذكر هذه الكلمة في صبح .

الكتب في الهدن و [العقود]

هذا الفن من المكاتبات له من الدّولة موضع [1] خطيرٌ ، ومن المملكة موقع أثير [2] . ويتعين على الكاتب أن يُخلي له فكْرَه ، ويُعْمِل فيه نظرَه ، ويتوفّر عليه توفّراً يُحكِمُ مبانيه ، ويُهذّب معانيه ، وأن يتحيّطَ [3] من سَقَط يُدخل على الشريعة نقيصةً [4] ، أو يجرّ إلى السلطان [5] وهيصة ، وأن يأتي بما يدلّ على عُلُوّ الكلمة ، وعزّ الأمة ، وانبساط القدرة ، وحضور [6] النّصرة ، واستجمام العِدة ، واستكمال العُدّة ، وظهور الأيْد ، ووفور الجُنْد ، وقصور الملوك عن المطاولة ، وعجزهم عن المصاولة [7] ، ليعود ذلك بالرفع من أهل الدين والوضع من المخالفين .

والرسم فيها أن تُفتتح بحمد الله تعالى على الهداية إلى دين الإسلام الذي أذّل به [8] كلّ دينٍ وأعزّه ، وخذّل كل شرْعٍ ونصره ، وأغمض كل مذهبٍ وأظهرَه ، والتوغّل في توحيده وتقديسه وتمجيده والثناء عليه بآلائه ؛ والصلاةِ على خيرةِ أنبيائه [9] محمد صلى الله عليه وعلى آله . ثم يذكر رغبة الخلفاء الراشدين ، عليهم السلام أجمعين ، في السلم الذي حضّ الله تعالى

---

(١) في صبح ١٤ : ٧ « محل » .

(٢) في صبح : « موضع كبير » .

(٣) في صبح (١٤ : ١٣) : « يتحفظ » .

(٤) في الأصل « تقصيرا » . وما ذكرته هو الوارد في صبح ، وهو الأنسب حتى يتم له ما جرى عليه من السجع .

(٥) في صبح : « يجز إلى سلطانه » .

(٦) في صبح : ١٤ : ١٢ « حصول » .

(٧) في صبح : « المحاولة » .

(٨) كتبت فوق « أذل » مردفة بـ (صح) ؛

(٩) رسمت في الأصل هكذا : « انبيايه » .

عليه ، وأمر بالجنوح متى جنح المخالفون إليه ، فقال جلّ قائلاً : « وإن جنحوا للسّلم [١] فاجنح لها » [٢] ، وأنهم لولا ذلك لشَرّعوا الأسنّة إلى مُخالفيهم في الدين ، ونضوا [٣] الجيادَ إلى جهاد من يليهم من الملحدين ؛ ائتماراً بقول [٤] الله تعالى « يا أيّها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكُفّار وليجدوا فيكم غلظةً واعلموا أن الله مع المتقين » [٥] . ويأتي في هذا المعنى بما يستوفيه ، ويكفي فيه ، مما يرهب أهل الخلاف ، ويقودهم إلى الموافقة بجرائمُ الاعتساف . ثم يقدم مقدمة تكون بساطاً لذكر السبب الذي أوْجب عقد الهدنة ، وأوجب قبول المُوادعة . ثم يشفع الشروط التي [٦] انعقدت المسالمة عليها ، مستظهراً فيها للدين على المعاهدين . وليتحرّز من خـلَلٍ يتطرق به إلى نقص شيء مما شُرط ، أو استعمال لفظ مُشْتَرك ، أو معنًى مُلتبِس يُوقع شُبْهة توجد [٧] السبيلَ إلى التأوّل . وليأخذ المأخذَ الواضح الذي لا تتوجه عليه معارضة ، ولا تتطرق إليه [٨] مُناقضة . وليؤكد القول مما تقرّر الأمر عليه ؛ من مفاداة ، أو تسليم حصون ، أو حمل مال ، أو حفظ سفر ، أو إقامة دين ، أو إمداد بجيش ، أو دخول في طاعةٍ ، أو مجانبة عدوٍّ ، أو محاربته وترك مواطأته ، أو كفّ رجالـه وغيرهم ممن يدخل في طاعته ويحالف عليه مـن أهل مملكته عن ثغور الاسلام ؛ إلى غير هذا .

---

(١) في الاصل « للسلام » .

(٢) سورة الأنفال . الآية ٦١ .

(٣) في صبح : « وركضوا » .

(٤) في الأصل : « لقول » .

(٥) سورة التوبة . الآية ٩ .

(٦) في الاصل : « الذي » .

(٧) في صبح : « توجب » .

(٨) في الاصل : « فيه » . وما ذكر عن صبح . وزيد بعد هذه الجملة في صبح : « ولا يدخله تأويل » .

ولْيَبْنِ الكلام على ما لا مدخل للإعلال فيه ؛ ويؤكد الشرط في حفظ تجارِ المسلمين ، ورعاية المسافرين والمحتارين ، وتوجههم بالإعزاز والكرامة والتمييز ، وصونهم برّاً وبحراً وسهلاً ووعْراً . ولا يبق فرجةً حتى يسُدّها ، ولا صدعاً حتى يرأبه . ثم يقتصر شروط التهادن فصلاً فصلاً . والبليغ المطبوع يكتفى بقريحته في ترتيب هذه المعاني إذا دفع إلى الإنشاء فيها إن شاء الله تعالى .

وقد يتعاقد عظماء أهل الإسلام على التّوادع والتسالم ، واعتقاد المودّة والتّصافي ، والتوازر والتعاون ، والتعاضد [والتناصر] [1] . ويشترطُ الأضعف منهم للأقوى تسليمَ بعض ما في يده ، (والتفادي عنه بمعاطفته و)[2] الانقياد إلى التّباعة ، والطاعة أو الاكرام [3] في المخاطبة ، والمجاملة في المعاملة ، أو الإمداد بجيش إن هجم عدوّ [4] ، أو امتثال الأوامر والنواهي ؛ وغير هـذا ممّا [لا] يُحصى والكاتب إذا استقرى المعاني التي يقع فيها الاصْطلاحُ عليها ، وكان ذا طبع قويم ، وخاطر سليم ، تهيأ له الاحتياط فيها بما يحتاط به في مثلها . وقد جرت العادة بأن يتقاسم المتهادنان بأيمان على ما تهادنا عليه تُودع كتاب المواصفة [5] . وقد رسمنا لليمين رسْماً يحتذى الكاتب عليه متى احتاج إلى استعمال مثله ؛ وهو يقول : فلان بن فلان والله الطالب الغالب ، المدْرك المهلك ، الضارّ النافع ، المطلع على السّرائر [6] والخفايا ،

(١) الزيادة من صبح ١٤ : ٤ .

(٢) ورد ما بين القوسين في الاصل على هذا النحو : « أو القيام عنه بمقاطعه ، أو » وما ذكر عن صبح .

(٣) في صبح : « والاحترام » .

(٤) « إن هجم عدو » ساقطة في صبح .

(٥) مرادف المهادنة . وقد سميت بذلك لان الكاتب يصف ما وقع عليه الصلح من الجانبيين (صبح ١٤ : ٣) .

(٦) في الأصل : « السراير » .

العالم بما تجنّه الضمائر والطوايا ، الذي لا تخفى عليه خافية الأعين وما تخفي الصدور ، القائم على كل نفس بما كسبت ، والمجازي لها بما احتقبتْ ؛ وحق محمد صلى الله عليه وسلّم ، وحقّ القرآن العظيم المنزل على قلبه ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [1] ، أنّه يفي بما تضمنه هذا العقد ، ولا يخالف شيئاً من أحكامه وحدوده ، ولا ينقض عهداً ولا عقداً ولا شرطاً من عهوده وشروطه وعقوده ، ولا يعمل بما يخالفه وينافيه ، ولا يتأوّل وجْهاً من وجوه التأويل فيه وعليه ، بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذه على ملائكته ورسله وأنبيائه ، فإن خالفه أو خالف شيئاً منه ، أو تحيّل في نكثه ، أو توصّل إلى نقضه ، أو أدْهنَ أو أدْغل ، أو تمحّل أو تعمّل ، فحنث أيمان البيعة لازمٌ له ، بحلالها وحرامها ، وعتاقها وطلاقها ، وحجّها وصدقتها ، وجميع حدودها وموجباتها ، وبريء من الله عزّ وجلّ وملائكته المقربين ، وأنبيائه المرسلين ، ومن محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن الأئمة من آله الطاهرين ؛ ولقي الله تعالى جاحداً له ، مشركاً به ، مدّعياً له البنات والبنين ، قائلاً فيه ما يقوله عُبّادُ الأوثان ، وحملة الصُّلبان ، شريكاً لقتلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وولده الحسين عليهما السلام ، موالياً لأعدائهم ، معادياً لأوليائهم ، راضياً بكل دم سفكه أئمة الضلال في الاسلام ، وعليه الحج إلى بيت الله الحرام ثلاثين سنةً حافياً حاسراً راجلاً لا يأجره الله على ذلك ؛ وكل [2] ما تملّكه من تالد وطريف صدقةٌ محرمةٌ خارجةٌ عن يده ؛ وكل زوج له طالقٌ ثلاثاً بتاتاً طلاق الحرج والسنّة وعلى سائر المذاهب التي يصح بها الطلاق ، وكلّ عبْدٍ له وأمةٍ أحرارٌ لوجه اللهِ تعالى لا سبيل له عليهم ؛ وكل فرس في رباطه حبيسٌ في سبيل الله . وهو بريء من دين الإسلام كله على اختلاف مذاهبه ، مفارق لعصمته ، خارج عن دائرته ،

---

(١) في الاصل : « قلبه » .

(٢) رسمت في الاصل متصلة : « وكلما » .

ومن كل دين يدين به المتدينون واعتقاد يعتقده المعتقدون . وهذه اليمين يمينه كلما حاول الخروج منها عاد فيها ورجعت يميناً غموساً مؤكدة مطوقة في عنقه حتى يلقى الله تعالى يوم القيامة [1] وهو مأخوذ بها مطالب . والنية في جميع ذلك نية المستحلف ، فإن نقض شيئاً من هذه اليمين فقد أباح ماله ودمه ونقض عصمته وذمته ، وليس له بعد ذلك لا عهد ولا عقد ، وسائر رجال الدولة في حل وسعة من ماله ودمه وولايته وإمارته ومن كل ما يعاملونه به من معاقبة ومحاربة . وحلف بهذه اليمين طالباً راغباً ، في صحة عقله وجواز أمره ، طائعاً غير مكره ولا مجبر ولا مضطهد ؛ وذلك في يوم كذا . فان كان الحالف خليفة قال يقول : فلان بن فلان أمير المؤمنين في إصالة من رأيه ، ونفاذ من حزمه ، سالكاً سبيل الرضى والاختيار ، غير تابع لحكم من أحكام الكراهية والاضطرار . ويستوفي معاني اليمين على الإجمال توقيراً له وإذا وصل إلى ....[2] قال : وعلى أيمان أهل البيعة . ولم يفصلها إلا أنه يقول : فان نقضت ذلك فقد خلعت نفسي من الخلافة . ونقضت بيعتي التي في أعناق الكافة ، وأبرأتهم منها في الدنيا والآخرة ، وبرئت من ولادة فلان بن فلان .

الكتب إلى من نقض العهد

فإن [3] نقض معاهد عهده ، و[4] نفض من شروط الهدنة يده ، فالرسم أن يصدر ما يكاتب به بحمد الله تعالى [5] على موهبته في إظهار الدين ،

---

(١) رسمت في الاصل هكذا : « القيمة » .

(٢) بياض مقداره كلمتان .

(٣) في صبح ٨ : ٢٥٩ « إذا » .

(٤) في صبح : « أو » .

(٥) في صبح : « بالحمد لله تعالى » .

وإعزاز المسلمين ، وما تكفّله من النصر على الباغين ، ووعد به أهل العدل من الإدالة والتمكين ؛ والصلاة على سيدنا محمد النبي صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ؛ وإيراد طَرَف من معجزاته وفضائله ، وآياته ومناقبه ، التي تنخرط في هذا النظام ، وتليق بهذا النمط من الكلام ، ثم يتبع ذلك بمقدمة تدلّ على متانة [1] البصائر في الدين ، ووثاقة العقائد في إذالة المُحَادّين ، ومضاء العزائم في مجاهدة [2] المعتدين ، والاستطالة على المعاندين ، مع ما[3] تضمنه الله تعالى من نصره وإظفاره ، ووعد به من تأييده وإقداره [4] ؛ وسهّله من إهواء الأهْوية إليه ، وجمع الكلمة عليه ، بما خوّله من بأس وشِدّة ، وعديد وعدّة . وما يليق بهذا مما يُعْرِب به عن علو السلطان ، ووفور الأعوان[5] ؛ واتساع القوّة والأيْد ، وصدق العزم والجدّ . ثم يذكر الحال التي انعقدت الهدنة عليها ،وأن الاجابة لم تكن وقعت إليها[6] قُصوراً عن غزوهم في عقر دارهم ، وتشريدهم بالغارات المشبوبة [7] برّاً وبحراً عن قرارهم ؛ وإنما كانت قبولا [8] لمساءلتهم ، وامتثالا لأمر الله تعالى في مسالمتهم . ويؤخذ [9] في تعديد الوقائع التي أوقعها أهل الإسلام بهم ، والمشاهد التي نصر الله تعالى فيها عليهم ، والمعاقل المنتزعة من أيديهم ، وأن تلك العزائم مضطرمة متوقّدة ،

---

(١) في الاصل : « مقامه » ، وما ذكر من صبح .

(٢) في الأصل : « مجاهد » .

(٣) رسمت في الاصل متصلة : « معما » .

(٤) في صبح : « وإقراره » .

(٥) في صبح : « الإخوان » .

(٦) في صبح : « وأن الإجابة إليها لم تقع » .

(٧) في صبح : « المبثوثة » .

(٨) في صبح : « وإنما قبولا » .

(٩) في صبح : « ويأخذ » .

وتلك السيوف محدّدة [1] مهنّدة ، وأن الله تعالى قد أباح حُرَم من نقض عهده ، ونفض من الذّمام يده ، وأن كتائب الله مرجفةٌ [2] وراء هذا الكتاب ، في جيش يُلحقُ الحَزْنَ [3] بالهضاب ؛ ما لم يكن منهم مُبادرة إلى الاقلاع [4] والإنابة ، ومكاتبة في الصَّفح والاستتابة ؛ وأنّه قد قدّم الأعذار ، وبدأ قبل الإقدام بالإنذار .وما يقتضيه الحال من هذا ونحوه [5].

فإن كان الكتاب جواباً عن كتاب ورد ، أجيب بما يقتضيه [6] ، وبنى الأمر فيه على ما يبسُطُ الهيبة ، ويدعو إلى النزول على أحكام الطاعة .(وقد قلنا إنّ الأمور الحادثة والأسباب العارضة لا تتناهى فيحيط بها مثال) [7] . وينبغي أن يحتاط الكاتب [8] فيما يطلق به قلمه من هذه المعاني الخطيرة ؛ لأنها مزاحمة بالدّول والملك ، وحججٌ من كل دولة عند الأخرى ، ودَرَكُ ما يقع فيها عائدٌ عليه ، ومنسوب إليه .

الكتب إلى من خلع الطاعة

هذه الكتب تختلف رسومُها بحسب اختلاف أقدار المُكاتَبين وأحوالهم في الخروج عن الطاعة . وجمعُ أوضاعِها كلّها في قانون كلّيٍّ عسيرُ [9] المَرام؛

---

(١) في صبح : « مشحذة » .

(٢) في صبح : « موجفة » .

(٣) في صبح : « الخبث » .

(٤) ضاق السطر عن العين فكتبت في الهامش .

(٥) في صبح : « ومثله » .

(٦) في صبح : « بما ينقضه » .

(٧) ما بين القوسين ورد مكانه في سبح « ويختلف الحال في ذلك باختلاف الأمور الحادثة والأسباب العارضة » .

(٨) في صبح : « فينبغي للكاتب أن يحتاط » .

(٩) في صبح ٨ : ٢٦٣ « عسير » .

إلا أننا نرسُم فيها رسوماً يمكن الزيادة فيها والنقص منها . والعادة أن تنفّذ هذه الكتبُ إلى من تُرجَى إنابتُهُ ، وتؤمَّل مراجعته . فأمّا مَن وقع الإياسُ من استصلاحه ، ودعَت الضرورةُ إلى كفاحه ، فلا حاجَة إلى معاتبته ، ولا وجه لمكاتبته ، (مع تَصامُمِه عن الوعظ ومصارمته)[1] .

والرسم فيها أن تُفتتحَ بعد التحميد[2] المناسبِ لغرض[3] الكتاب ، والصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلم ، بما يدعو إلى إيناسه ، ويزيلُ أسباب استيحاشه ، ويعود بثبات جاشه ؛ ويبعثه على مراجعة فكرِه ، ومعاودة النَّظَر في أمره ، وتذكيره[4] بما أُسْدِيَ من العوارف إليه ، وأفيض من النّعم عليه ؛ وألا يُنفِّر[5] سِرْبَهَا بجَحْدها وكُفرها ، ويُوحِشُ ربيبها[6] بإهمال حمدها وشكرها ، ويرتبطُها[7] بحسن الطاعة ، ويستوهبُها[8] بالتأدب في التِّباعة ؛ ولا يجر على نفسه بالخروج عن العصمةِ ، في عاجلِ الحال ذميم الوصمة ، وفي آجلها أليم النِّقْمة[9] . وينظر لعاقبته[10] ومن يليه من ذوي ذوي الحَميّة[11]، بما يقتضي رب الإنعامِ لديهم ، وإقرار الفضل عليهم ،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من صبح .

(٢) في صبح : « تفتتح بالتحميد » .

(٣) في صبح : « لمعنى » .

(٤) في صبح « ويذكره » .

(٥) في صبح : « وانه لا ينفر » .

(٦) في صبح : « ربعها » .

(٧) في صبح : « ويربطها » .

(٨) في صبح : « ويسترهنها » .

(٩) في صبح : وردت الجملة على هذا النحو : « ولا يجر الوبال إلى نفسه بالخروج عن العصمة ، في عاجل ذميم الوصمة وفي آجل أليم النقمة » .

(١٠) في صبح : « ويبصره بعاقبته » .

(١١) في صبح : « الجند » .

ولا [1] يسلبهم مَلْبَس الظّل الظليل ، ويعطّلهم من حُلى [2] الرأي الجميل . ويتذرع في أثناء ذلك بشعَارِ النفاق ، ويتّسم بميسَمِ الشقاق ، ويتعجّل إزعاجه من داره ، وبُعْدَه من قراره ، وهدْم ما شيّده الإخلاصُ من ذِكْره ، وتقويض ما رفعه الاختصاص [3] من قَدْره ، ويعود بعد أن كان مجاهداً عن الحوزة مجاهداً لجُنْدها [4] ، وبعد أن كان مُرامياً عن السُّدّة مَرْمِيّاً بيدها ، ويضيع ما أُوِّل [5] إليه ، وأفيضَ من الإحسان عليه [6] وما ذهب من الزمن [7] في تدريجه إلى مراقي السيادة ، ومن الرغائب في إلحاقه بأهل السعادة ، ولا يغترّ بمن يُزيِّنُ له عاجلَ الآجل [8] ، ويتقرب إليه بخُدَع الباطل ، وينبذُ [9] أقوالهم دبرَ سمعه ، ويبعد أشخاصهم [10] عن نَظَره ، ناظراً في عاقبته ، وحارساً لمهجته [11] ؛ وراغباً في حَقْن دمه ، وصيانةِ حُرَمه ، وليَرْجع إلى الفناء الذي لم يزل يُحْرِزُه ، والكَنَف الذي لم يزل يُعِزُّه ؛ ولا يجعل مُسالَمَتَه بالعُنود منازعاً ، ومواصلته بالجحود مقاطعاً ؛ وواهبه بالكُفْر سالباً ، ومَطْلَع النعمة بإيضاعِه [12] حقّها مَغْرِباً ؛

---

(١) في صبح : « وأن يسلبهم .. وأن يعطلهم » .

(٢) في صبح : « حلى » .

(٣) في صبح : « ما رفعته الطاعة » .

(٤) في صبح : « مجندها » .

(٥) في صبح : « ما أسدى » .

(٦) في الأصل « إليه » وما ذكر في صبح .

(٧) في صبح : « اليقين » .

(٨) في الأصل « عاجلا فمنح الاجل » .

(٩) في صبح ٨ : ٢٦٤ ، « ويجعل » .

(١٠) في الأصل « أشجاعهم » . وما ذكرنه ورد في صبح .

(١١) في صبح : « مهجته » .

(١٢) في صبح : « بضياعه » .

وقد بقي [1] في الحبل مَمْسَك ، وفي الأمر مستدرك ؛ لأن يهُب من رقدته ، ويستبدل من لقاء راية أمير المؤمنين بلقاء حَضْرته ، ثم يقول : فإن كان ما جناه قد نفّر سربَه [2] ، وكدّر شِرْبه ، وحسّن [3] في نفسه سُوءَ الظن ، وأخافه بعد الأمن ، فليَبْعَث [4] بمن يستوثق له ويعاقد ، ويتوكّد ويعاهد ؛ فإذا عاد [إليه] [5] بما يملأ فؤاده أمْناً ، ويكون عليه حصنا ، سارع إلى امتثال المراسم ، وجرى في الطاعة على سَنَنِه المُتقادم ، ولا يستمرّ على المُدافعة والمُطاولة ، ويقتصر على المغالطة [6] والمماطلة .

ويقال بعد هذا : وقد قدّم أمير المؤمنين كتابه هذا إليك (حاجباً لكتائبه ، وجرّد في استصلاحك قَلَمه) [7] قبل تجريد قواضبه [8] ، وخيولُه تجاذبُ الأعنَّة ، وذوابله مشرعة الأسنّة ، ولم يبق إلاّ قصدُك في عقر دارك التي بوّأكها ؛ وانتزاع نعمته التي أعطاكها ؛ (فاستنشق سمومَ المعصية وقسه على على نسيم الطاعة ، وتذوّق مرارة المخالفة وزنها بحلاوة الموافقة ؛ وكن) [9] على نفسك لنفسك حاكماً ، ولا تكن لها ظالماً ، ونحو هذا وما يليق به .

---

(١) سقطت هذه الكلمة في صبح .

(٢) في صبح : « هد » .

(٣) في صبح : « وأحس » .

(٤) في الأصل : « ويراسل » .

(٥) ما بين المعقوفين ورد في صبح .

(٦) في صبح : « المغايظة » .

(٧) ما بين القوسين ورد في صبح الأعشى على هذا النحو : (نائبا عنه في استصلاحك ، وقائدا يقودك إلى طريق نجاحك ؛) .

(٨) في صبح الأعشى « مواضيه » وبعدها « وإلحاق مستأنفه في الحرب بماضيه » .

(٩) ما بين القوسين ورد في صبح على هذا النحو : « لتذوق مرارة المخالفة وتزنها بحلاوة الموافقة ، فكن » .

وإن كانت المكاتبةُ إلى رجل قد سَبَقَتْ له سابقةٌ في خلع [1] الطاعة ، ثم سأل الإقالة فأقيلَ بعد مشارفة [2] الإحاطة به والنّكاية فيه ، ثم راجعَ العصيان؛ فالرسم فيها أن تُفتتحَ [3] بحمد الله جاعل العاقبة للمتقين، والعدوان على الظالمين ، والعزة لحزبه وأوليائه ، والمذلة [4] لحرْبه وأعدائه ؛ والإظهار لأهل طاعته ، والخَسَار لأهل معصيته ، ودائرة السوء على المناوئين لخلفائه في بريّته [5] ثم يقال : يحمده [6] أمير المؤمنين على ما لا يزال [7] يتخوّله به من تصديق آماله ، وتوفيق أفعاله ، وتسديد مَرَاميه ، وهداية مساعيه ، وإجابة دعوته ، وتحقيق رغبته ؛ وإدالة [8] مُواليه ، وإذالة مُعاديه ، ومعونته على ما وَلاّه [9] ، وتمكينه ممّن ناواه، ويَسأله[10] الصلاة على سيّدنا محمّدٍ نبيّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ثم يُؤتى بمقدمة تدلّ على حميد[11] عاقبةِ الطاعةِ ، وذميم مغبّة المعصية؛ يبسط القول عليها، ويتوسّع فيها؛ لتكون فِراشاً لما يتلوها . ثم يقال بعدها : وإنما عمد لذلك أهلُ الغرارة الذين لم يلوكوا شكائم التجارب، ولم يمارسوا ضرائم النوائب؛ وأما أنت [12] فقد تذوّقت من كراهة المعصية ومرارتها، وعذوبة الطاعة

(1) في صبح : « بخلع » .
(2) في صبح : « مشارفته » .
(3) في الأصل : « يفتتح » . وما ذكر عن صبح ، وهو أنسب .
(4) في صبح : « الذلة » .
(5) في صبح : « ودائرة السوء على الخالعين طاعة خلفائه ، القائمين بحجته » .
(6) ساقطة في صبح الأعشى .
(7) في صبح : « ما يراك تتخوله » .
(8) في صبح : « بإدالة » .
(9) في الأصل « تولاه » . وما ذكر عن صبح .
(10) في الأصل « ونسأله » .
(11) في صبح : « جميل » .
(12) في الأصل : « وأنت » .

وحلاوتها ؛ ما يرجو أميرُ المؤمنين أن يكون وَعَظك وأدّبَك ، وقوّمك وهذّبك ، وكشف لك عن عاقبتهما ، [وعرّفك بغايتهما [1]] ، فدعتك الطاعةُ إليها لما [2] أسْبَغَتْه عليك من لباس شرفها ومجدها ، واستخدمته لك من أنصار إقبالها وسَعْدِها ، ونَهتَتْكَ المعصية عنها بما بلوته من سوء آثارها [3] وصنائعها ، وجرّبْته من مرْبض [4] مراميها ومواقعها ؛ لأنّها أقلّت عددَك ، وشتّتْ شملك وولدك [5] ، ومزّقت مُطْرَفك ومُتْلَدك ؛ حتى تداركَكَ من عطف أمير المؤمنين ما أنبتك بعد الحَصْد ، وراشك بعد الحصّ ؛ وانتهى إلى أمير المؤمنين أنك حننت إلى أتباع الضلالة الذين غرُّوك ، ومِلْت إلى أشياع الفتنة الذين استهوْوك ؛ فأدنيتهم إليك وقرّبتهم منك [6] ، وأصغيت إلى أقوالهم التي ظاهرها نصْحٌ وباطنها غِشّ ، وآرائهم [7] التي مواردُها صلاح ومصادرها فساد ؛ ومِلت إلى ما حسنوه لك من [8] معاودة الشقاق والارتكاس في غيابة [9] العصيان ، ومقابلة النعمى بالكُفران ، فقدّم كتابه [10] إليك مذكِّراً ، ونصحك بخطابه [11] مُعْذرا مُنذرا ؛ ليعرّفك حظّك ، ويهديك رُشدك ؛ ويحضّك [12] على الأحسن لك في مبدئك وعاقبتك ؛ ويحذرك

---

(1) الزيادة من صبح ٨ : ٢٦٥ .

(2) في صبح : « بما » .

(3) في صبح : « نوائبها » بدل « سوء آثارها » .

(4) في صبح : « مرمض » .

(5) هذه الجملة الواقعة بين الفاصلتين ساقطة من صبح .

(6) ما بين الفاصلتين المنقوطتين ساقط من صبح الاعشى .

(7) رسمت في الأصل « وأارآيهم » .

(8) « ما حسنوه لك من » ساقطة من صبح .

(9) هذه الكلمة ساقطة في صبح .

(10) في الأصل « فقدم كتابنا » وما ذكرناه عن صبح ، وهو أنسب .

(11) في صبح : « ومنحك خطابه » .

(12) في صبح : [ويدلك] .

من مراجعة ما فارقته ، واستيقاف ما فارقته [1] وأن تنزل عن المنزلة التي وقاك إليها ، وتجدُب رباعُك [2] من النعمة التي [أرتعك] [3] فيها ، وتخلا عن شرائع [4] الدعة التي أوردك عليها ؛ فانظر لنفسك حسناً ، وكن إليها مُحسناً وانتفع بمراشد أمير المؤمنين ، ولا تخسر [5] بخلافك عن أمره نصيبك من الدنيا والدين ، وارجع إليه مسترحماً [6] فإنه يقتدي بالله في الرحمة للمحسنين [7] ، مادام مؤثراً لربّ النعمة لديك ، وإقرارها عليك . فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله .

فان نفذت المكاتبة في هذا وأمثاليه من الوزير فالرسم فيها أن يقال : موضعكَ أعزّك اللهُ من عنايتي ، وموقعُك من رعايتي ، وما كفلتُه عنك لأمير المؤمنين وضمنتُه والتزمتُه واشترطته يقتضيني المحافظة عليك ، وربَّ الصنيعة لديك . وكلما حسّنْتُ أثرَك ، وجمّلت خبرَك ، ورددتُ ما يُنسبُ إليك ، ودفعت في صدر حاسديك ، قعدتَ عن نُصرتي ، وتثاقلت عن معونتي ، مخطئاً لرشْدك ؛ ومغفلاً للنظر في أمر يومك وغدك . هذا وقد جنيت ما جنيتَ من ثمرة جنايتك مُرّاً ، وزللت فسلكتَ من عقبَى ذلك وعْراً . وقد كان ينبغي لك أن تتحفّظ من تلك المزلقة فلا تهوّر فيها ، وتستيقظ لموقع قدميك فلا تتوهّر إليها ؛ وأن تتذكّر مرارة السالف فتعافه في الآنف ، وتأنف من مذلّة التالد فتتوقاها في الطارف ؛ وأن تعتصم بمسكة من هزّة

(١) هذا المصدر المعطوف وما يتبعه ساقط من صبح .
(٢) في صبح : « وتجدب رباعك » .
(٣) بياض بالأصل . والكلمة من صبح .
(٤) في صبح : « وتتخلى عن مرابع » .
(٥) في صبح : « ولا تفسدن » .
(٦) في صبح : « مسترغماً » .
(٧) في الأصل : « من المحسنين » وما أوردته في صبح .

وأريحيّة ، إذا تعريت من دين وتقيّة ، فتفي مرة بعهدك ، وتحافظ على عقدك . وقد كنتُ وعظتك في تلك الكرّة، وأيقظتك قبل توغّلك في السكْرة ، ونصحتك وطرف الحبل في يدك ، وبصّرتك طريق رشدك فأبيت إلاّ تعاميا ، وتصاممت إدعاءً للمعرفة وتعاطيا ، حتّى دارت عليك الدواير ، وخانتك العواقب والمصاير ، وشارف حبلَك التصرّم ، وركنَك التهدّم ، وأوقفك احترازك عن سماع الإنذار ، أقبح مواقف الاعتذار ؛ فلولا عاطفة من مولانا أمير المؤمنين أدركتْك بوسائل قدّمتها ، وضمانات تكفّلتها، لنزل بساحتك المحذور ، والتوت عليك الأمور . وهأنا [1] اليوم خجلٌ منك ، مشفق عليك؛ وكأني بك وقد رددت التوبة بعد هروجها جدعَة،وعاودْتَ السقطةَ والوقعَة، وأذنت لما أعرته من النعمة بالعَوْد إلى ربّه ، والنزول على من يسترهنه ويوجد السبيل إلى ريّه . وقد كان الأحزم أن تسدّ الثغرة التي ولج الخطب منها إليك، وتحطّ المرقاة التي تسوّر بها الحدثان عليك ؛ وأنت اليوم على حالٍ يمكن تلافيها، واستدراك غلطك فيها ؛ فراجع التأمّل ولا تستمرّ في غلوائك ، ولا تملْ مع أهوائك ، فليس لمن تاب ونكث ، وأوقد نار العصيان وارث ، إلا الاجتثاث والاستئصال ، وحطّ الرتبة وتحويل الحال . وقد غالطت عنك ما أمكن ، وحسّنت أمرك ما تحسّن ؛إلى أن أتى إليّ أمير المؤمنين إلمامُك ببعض ما كتب عليه ، فأكبره وأعظمه وأنكره ، وأمر بالكتاب إليك مودّعاً من مراشده ما يبصرّك ويسدّدُك ، فقف عليه واعرف الأصلح لك ، والأعود عليك ، ولا تُخْسر متجري فيك ؛ وأجبْ أميرَ المؤمنينَ بما يُبْطل ما نُسب إليك ، واشفعْه بشواهد [2] من فعلك تصدّقه ، ودلائل تحقّقه ، واكتب إليّ بما أعمل عليه إن شاء الله .

---

(١) رسمت في الأصل « ها انا » .

(٢) في الأصل « بشواهد » .

فإن كانت المكاتبةُ إلى رَعيَّة قد خرجت عن الطاعة كتب إليها عن أمير المؤمنين بما مثالُه : أما بعد ؛ وفقكم الله لطاعته ، وعصمكم من معصيته ؛ فإن الشيطان ....[1] البرهان بغروره ، ويجلُو الشُّبهَة في معارض البينات بزوره [2] ، مستخفاً[3] لطائشي الألباب ، مُستزِلاً الأقدام عن موقف الصواب ؛ مُحَسِّناً بكيده لاعتقاد الأباطيل ، مزيِّناً بغيه اتّباعَ الأضاليل ، صارفاً بمكره عن سواء السبيل ؛ مصوراً للحق في صورة المَيْنِ ، مُغَطِّياً على القلوب بشغاف [4] الرين ؛ والحازم اليقظ من تحرَّزَ من أشراكه وحبائله ، وتحفَّظ من مخايله وغوائله ؛ واتَّهم هواجس فِكْرِه ، واسترَاب بوساوس صَدْرِه ؛ وعرض ما يَعْرِضُ له على عقلِه وكرّر فيه النظر متحرِّزاً من مكْرِ الشيطان وخَتْلِه [5] ، فإن ألفاه عادلاً عن الهوى ، مائلاً إلى التقوى ، بريئاً من خُدَع الشيطان ، آمناً [6] من عوادي الافتنان ، أمضاه واثقاً بسلامة مغبَّتِهِ [وعاقبته] [7] وشمول الأمن في أولاه [8] وآخرته .

وانتهى إلى أمير المؤمنين أن الشيطان المَريد استخَفَّ أحلام جماعة من

---

(١) بياض مقدار ثلاث كلمات ، ويستقيم الكلام بمثل « يصرف الناس عن » وما يقاربه . وفي صبح الأعشى ٨ : ٢٦٦ « فان الشيطان يدلي الإنسان بغروره » .

(٢) هذه الجملة المعطوفة وردت في صبح ٨ : ٢٦٦ على هذه الصورة : « ويقيم له الضلال في الهدى ببهتانه وزوره » .

(٣) في الأصل « لطائش » . وما ذكره هو الصواب وهو الوارد في صبح .

(٤) في الأصل : « بمرصد » .

(٥) هذه الجملة وردت في الأصل هكذا « وكرر فيه صادق تأمله » وما وضعناه بين المعقوفين ورد في صبح ، وهو الأنسب .

(٦) رسمت في الأصل : « أامنا » .

(٧) الزيادة من صبح ، وبها تحسن المزاوجة .

(٨) في الأصل « أوله » وما ذكرناه هو الوارد في صبح ، وهو الانسب لـ « آخرته » . ونشير إلى أنه قد ورد في صبح ، « أخراه » موضع « آخرته » .

جُهّالكم فخفّت ، واستفهى [١] أنهام عدّةٍ من أراذلكم فهفت ؛ وحسّن لهم شقّ عصا [٢] الاسلام ، ومعصيةَ الإمام ، ومفارقة الجماعة ، والانسلاخ من الطاعة ؛ التي فرضها الله تعالى على الجمهور ، وجعلها نظام الأمور ؛ فقال جلّ قائلاً : « يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمر منكم » [٣] واختيار الفُرْقة التي نهى الله تعالى [عنها] ، فقال : « ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءَهم [٤] البيّنات » [٥] ومُجانبة الألفة التي عدّها في جلائل نِعَمه ، فقال ممتناً بها على عباده : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً [٦] فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » [٧] وسوّل لهم التعرّي من آداب الدين ، والمجاهرة بالخلاف على أمير المؤمنين ؛ فنبذوا ما بأيديهم من بيعته ، وانسلبوا [٨] من ظلّ دعوته ؛ وركبوا من ذلك أوْعَرَ المراكب ، وشربوا أجن المشارب [٩] ، وسعوا في البلاد بالفساد ، [وقاوموا في وجه الحق بالعِنَاد] [١٠] ؛ واستخفوا بحمل الآثام ، وبَسَطوا أيديهم إلى الدّماء الحرام ، وشنّ [١١] الغارات على أهل الإسلام .

---

(١) في صبح : « استولى » وقد انتهت الجملة عند « أراذلكم » . كما انتهت الجملة السابقة عند « جهالكم » . . أي لم يرد (نخفت) وكذا (فهفت) .

(٢) رسمت في الأصل بالياء .

(٣) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

(٤) رسمت في الأصل : « جآهم » .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٠٥ .

(٦) رسمت في الأصل : « اعدا » .

(٧) سورة آل عمران . الآية ١٠٣ .

(٨) في الأصل : « وسلبو » . وفي صبح : « وسلبوا » .

(٩) في صبح : « وسلكوا أخشن المسارب » .

(١٠) الزيادة من صبح ، وبها يتم السجع الملتزم

(١١) في صبح : « وشنوا » .

وقد علمتم أن من أقدم على تأثير هذه الآثار ، فقد استنزل في هذه الدار سُخْطَ[1] الجبّار ، وتبوّأ في الآخرة مقعدَه من النار ؛ وجرى على غير الواجب في إقامـــة الفروض والصلوات ، وتأدية العبادات[2] والزكوات ، وعقد العقود والمناكحات ؛ لأن هذه الأحوال إنما ترتضى[3] وتُرفَع ، وتُجاب وتُسمع ؛ إذا تولاها أمير المؤمنين ، أو من يستخلفه من صُلَحاء المسلمين ؛ فأمّا إذا استبدَدْتم فيها بأنفسكم ، واقتديتم في تأديتها بناكب[4] عن سبيله ، مجانب لدليله ؛ فقد تسكّعتم في الضلالة ، وتطابقتم على الجهالة ؛ وكلُّ راضٍ منكم بذلك ، عاصٍ لله ولرسوله وللإمام .

ولما اطّلع أمير المؤمنين على ما ذهبتم إليه بسوء الاختيار ، وركبتموه من مراكب الاغترار ، لم يرَ أن يُلغيكم ويهجركُم ، ويُغفلكم ولا يبصّركم[5] ، فقدّم مكاتبتكم مُعذِراً مُنذِراً ، ومخوّفاً محذّراً ، وبدأكم بوعْظه مشفقاً عليكم من زلّة القدم ، وموقف النّدمَ ، وصارفاً لكم عن مضالّ الغواية ، إلى مراشد الهداية ؛ وافتتحكم باللفظ الأحسن ، والقول الألين ؛ وهداكم إلى السبيل الأوضح ، والمتجر الأربح ، راجياً[6] أن يهديكم الله تعالى إلى طريق الرشاد ، ويدلّكم على مقاصد السداد ؛ ويعيدكم إلى الأوْلى ، ويقفكم على الطريقة المثلى ؛ وأن تعرفوا الحقّ فتعتصموا بما في أيديكم من بيعته ، وتقوموا بما فُرض عليكم من طاعته ؛ وترجعوا إلى إجماع المسلمين ، وما اتفقت عليه كلمة إخوانكم في الدين ؛ وتتبعوا مذاهب أهل السلامة ، وأولى

---

(١) في الأصل : « لسحط » .

(٢) ضاق السطر عن النصف الآخر لهذه الكلمة فكتب في الهامش .

(٣) في صبح : « برضى » .

(٤) في الأصل : « بناكب » .

(٥) في الأصل : « ننصركم » .

(٦) في صبح : « واحار » .

الاستقامة ؛ فإن وقع ما ألقاه إليكم الموقع الذي قدّره فيكم : وسألتم الإقالة ، فالتوبة تنفعكم ، والعفو يتسعكم ، وإن تماديتم في غيكم وباطلكم ، وغروركم وجهلكم ، نفذت [1] إليكم جيوش أمير المؤمنين مُقَوّمة ، ومن عُصاتكم منتقمة ، وذلك مقام لا يتميز فيه البريء من السقيم ، ولا الجاهل من العليم ؛ ألا تسمعون [2] الله تعالى [يقول] [3] « واتّقوا فتنةً لا تُصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة » [4] ؟ وأي فتنة أشدّ من طاعة الشيطان ، ومعصية السلطان ؛ وشقّ العصا ، وإراقة الدما ، وإثارة الدهما ؛ فاتقوا الله وارجعوا، وتأملوا وراجعوا ، وتبصّروا واستبصروا ؛ فقد أوضح لكم أمير المؤمنين المَحجّة ، وبدأكم بالحُجة ؛ فأوجدوه السبيلَ إلى ما يؤثره [5] لكم ولكافة أهل الإسلام ، من حقن الدماء ، وصيانة الحَريم ، وتحصين الأموال ، وشمول الأمن والأمان ؛ وأجيبوا عن كتابة هذا بما يوفقكم الله تعالى له [6] ، من إجابة دعائه [7] والعمل برأيه ، إن شاء الله .

فإن كانت المكاتبة إلى رجلٍ قد عفي له عن بلاد بيده ، وفُرضت عليه مقاطعةٌ يحملها إلى بيت المال في كل سنة ؛ فأخلّ بحملها ، وأطمعته نفسه فيها ، نفذت المكاتبة إليه من الوزير بما مثالُه : قد علمت — أيدك الله — أنني لا أغنى في ربّ نعمة أمير المؤمنين اربـك ، وإقرارها عليك عن معونةٍ من جهتك ، بما تبذله من خدمته وتستدعي به الزيادة من عارفته ؛ وقد أخللتَ بحمل مال

(١) في صبح : « تقدمت »
(٢) في الأصل « ألا تسمعوا » .
(٣) الزيادة من صبح ، والمقام يقتضيها .
(٤) سورة الأنفال . الآية ٢٥ .
(٥) في صبح : « ينويه » .
(٦) في صبح : « [إليه] » .
(٧) ضاق السطر عن هذه الكلمة ، فكتبت في الهامش مائلة إلى أعلى .

المفاوضة المستقر عليك إخلال من يظنّ أن ما بيده ميراث حازه عن أبيه وجدّه ، إن نُزع منه عومل بالظّلم والاجحاف ، وإن أُقرَّ له به اعتدّ بالعدل والانصاف ؛ ودعاك إمهال السلطان لك إلى الطمع في ماله ، وقد يَضربُ صاحب الحق عن اقتضاء حقه ثم يقتضيه ، ويُغفل ما يجبُ له ثم يستدعيه ، فلا يغترّ اللبيب بنظرته ، وينام عن عاقبته ، بل يعد ما يلزمُه إلى حين استئدانه [1] ، هذا إذا لم يتبرّع بآدائه [2] ، وقد ذهب بك المهلُ إلى تظلم من اقتضى حقّه ، وتجوّر من استدعى دينه ؛ ودعتك كزازة همّتك وبخلُك بيسيرٍ من كثير ما جمعتَه ، وحقيرٍ من خطير ما حويته ، إلى تشتيت شمله كله ، والانسلاخ من ظلّه ؛ والتعرّض لزوال النعمة ، وحلول النقمة ، وشماتة الأعداء ، وكآبة [3] الأولياء ؛ وابتزاز ما هو أصل للمال والتشرّد عن الوطن ، والتصدّي للمحن ؛ ولباس الذّلة بعد العزّة ، والضعة بعد الرفعة ؛ فراجع الأمر بصحيح لبّك ، وراجع عن ذميم مذهبك ، وانوِ الصحة واعتقدها ، وائتِ النعمة بالوفاء وخلّدها ؛ وأخرج قليلا تحفظ كثيرا ؛ واحمل ما في جهتك ، ولا تفرّط في مغبّتك ، ولا تغترّ بمن يزيّن لك عاجلا قبيح الآجل ، ويتقرّب إليك بالباطل . وقد أعذرتُ وأنذرتُ وأعلمتك ما عندي ، قبل خروج الأمر من يدي ؛ وإذا قاربت فلن أتباعد ، وإذا يسّرت فلن أتعسّر ، إن شاء الله .

فإن كانت المكاتبة إلى رجل قد أقدمَ على نهب ، أو شنّ غارة ، أو غصب مال ، أو تغيير دعوة أو سكة ، أو لقاء جيش ، أو حشد رجال ، أو غير ذلك مما يخرج عن أحكام الطاعة ، ضمنت مكاتبته من القريع المؤلم ، والوعيد المزعج ، والخطاب الموجع ، ما يعود بكفّه عن فعله ، وتخييره في

---

(١) كتبت وفق نطقها مسهلة الهمزتين . « استيدايه » .

(٢) كتبت : « بادآيه » .

(٣) رسمت في الأصل : « وكاابه » .

أمره ، وشغله بنفسه .

وأكثر هذه الكتب تصدر عن الوزير ، وليست رسومها مما تنحصر بقوانين جامعة . والذي مثّلنا به كافٍ في تعرّف أوضاعها ، واستنباط أمثالها ، بمشيئة [1] الله تعالى وعونه .

الكتب بالتضييق على أهل الجرائم

لم يزل السلطان يكتب إلى الوُلاة – عندما ينتهي إليه من إقدام الرعايا على ارتكاب الجرائم ، واستباحة المحارم ، واقتراف المآثم [2] ، كالزِّنا واللّواط ، وشرْب الخمر ، وقطع الطرق ، والغصْب ، والتظالم ، وما يجري هذا المجرى – بالتضييق وإقامة حدود الله فيهم .

والرسْم فيها أن تفتتح فيها بحمد الله البادىء بنعمته قبْل افتراض طاعته ، المبتدىء [3] ببرِّه قبل إيجاب شكره ؛ خالق الخلائق جوداً وكرماً ، وموسعهم منناً [4] ونِعَماً ، الذي اختار دينَ الاسلام وطهّره من الأرجاس ، ونزّهه عن الأدناس ، واختصّ به صفوته من الناس ؛ وابتعث به محمداً سيد المرسلين ، « ليُنذِرَ من كان حيّاً ويَحِقّ القولُ على الكافرين » [5] . يحمدُه أمير المؤمنين أن فوّض إليه اناله [6] خلقه ، وأقدره على القيام بحقّه [7] ؛ ونصبه لإعزاز

(١) كتبت : « بمشية » .

(٢) رسمت في الاصل : « المائم » .

(٣) في الأصل : « المبتداه » . وفي صبح : « المتن بفضله » .

(٤) في صبح : « مناً » .

(٥) سورة يس . الآية ٧٠ .

(٦) في الأصل : « اناله » وفي صبح « إيالة » .

(٧) في صبح : « بخدمته » .

دينه ، والمحافظة على مفروضه ومَسْنُونه ؛ وذيادة العباد عن محارمه التي نهى عن التعدّي إليها ، وإقامة الحدود عليهم فيها ؛ ويسألهُ [1] الصلاة على محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ثم يقال : وإن أمير المؤمنين يرى أن من أعظم نِعَم الله تعالى عليه توفيقه[2] لحفظ ما استحفظه من شريعته ، ورعاية من استرعاه من بريّته ، وتوفير العَناية [3] على مَن قلّده النظر فيهم ، واعتمادَ ما يعود [4] بالصلاح في الدين والدنيا عليهم ؛ ومساواته [5] بين قريبهم وبعيدهم في تفقّده ،ومماثلتَه بين قاصيهم ودانيهم في تعهُّده، فلا ينال القريب نصيباً من رعايته (وملاحظته إلاّ نال مثلَه البعيد على عدْواء داره ومحلّته ، ولذلك لا يزال ينبّهُ غافلهم)[6] ويعلم جاهلَهم ، ويهدي حائرَهم ، ويحدّ [7] بصائرهم ، ويثقّف [8] مائدهم ، ويُصلح فاسدَهم ، ويتخوّلهم من مواعظه بما يُبَرِّد الغُلَل ، [ويشفي العِلَل] [9] ، وينسخ الشك باليقين ، ويقبّس [10] مقابس النور المبين ؛ فمن أصغى إلى إرشاده سَعِد جَدّه ، وورى زندُه ، وأحْمِد يومُه وغده ؛ ومن خالف عن أمره ضلّ مسعاه ، وخسر آخرته ودنياه . ودعا إلى

---

(١) في الأصل : « ونسأله » .

(٢) في الأصل : « توقيفه » وقد وردت مرفوعة .

(٣) في صبح : « ألقيام » .

(٤) في الأصل « ما عاد » . وما ذكر في صبح .

(٥) في الأصل : « وساوى به » . وما ذكر في صبح .

(٦) ما بين القوسين ساقط من صبح .

(٧) في صبح : « ويشحذ » .

(٨) في الأصل : « وبروق » وما ذكر في صبح .

(٩) الزيادة من صبح .

(١٠) في صبح : « ويقبس » .

اتّباع أمر الله تعالى في تقويمه وإصلاحه ، والكفّ بإقامة الحدود عليه من جماحه .

وانتهى إلى أمير المؤمنين ما أقدم عليه الأحداث وأهلُ الغرارة [(١)] قبلكم من احتقاب الآثام ، واستدماث مراكب الحرام ، والاستهتار بمحظور اللذّات والإكباب على دنيء [(٢)] الشهوات ؛ التي تسلُخ من الدين ، وتُخرِج عن دائرة المسلمين ؛ وتقطع [(٣)] عن تأدية العبادات ، وإقامة الصلوات ؛ وتنظم في سلك البهائم المُرسلة ، والسوائم المُهماه وتقصيرُ مشايخهم وعلمائهم عن كفّهم ، والأخذ على أكفّهم ؛ وتعريفهم وجوهَ مراشدهم ، وتقويم أوَدِهم ، فامتعض [(٤)] من ذلك ، فأشفق عليكم [(٥)] من نزول القوارع والمَثُلات ، وحلول البَليّات والآيات ، وارتجاع ما أودعكم الله تعالى من نعمته ، وانتزاع ما ألبسكم من رحمته ؛ وبادر بكتابه موقظاً لغافلكم ، ومبصِّراً لذاهلكم ، وباعثاً لكم على مراجعة الأولى [(٦)] ، ومعاودة الطريقة المثلى ؛ ومبادرة آجالكم بأعمالكم ، والأخذ لأخراكم من أولاكم [(٧)] ، ولسَقَميكُم من صحتكم ، ولنومكم من يقظتكم ؛ عالمين بأنّ الدنيا لعبٌ ولهو ، وأن الآخرة هي دار القرار ، وأنّكم فيها كسَفْرٍ شارفوا المنزل (وكأن قد حين ، لا عمل ولا أمل ، ولا توبة ولا إنابة ، ولا عذرة ولا

---

(١) في صبح : « الدعارة » .

(٢) في الأصل : « دنى » .

(٣) في صبح : « وتدفع » .

(٤) في الأصل « فامتعظ » وأغلب أن تكون « فامتعظ » ولم توضع النقطة كما يحدث في هذه النسخة أحياناً .

(٥) في صبح : « وأشفق » ولم يذكر الجار والمجرور : « عليكم » .

(٦) في صبح : « مراضيه » .

(٧) في الأصل : « لإولتكم » .

مغفرة ؛ « إذْ لا ينطقون ولا يــؤذن لهم فيعتذرون) [1] . فاجتهدوا [2] عباد الله واحتشدوا ، وأقلعوا وارجعوا ، واسمعُوا وعُوا ، فكأنكم والله بالدنيا وقد تصوّح يانعُها ، وتوضّحت خُدَعهُا ، وتصرّم متاعُها ، وحلّ مُتوقَّعُهَا ، والسعيدُ من وثق بما قدّم لنفسه بعد نفاذِ أيامه ، وورُودِ حِمامه ، والشقيّ [من] [3] أفرط وفرّط ، وندِمَ حيث لا مندم — وأوعز إلى والي الحرب فلان بقراءة ما نُصّ فيه عليكم ، واختبار سيركم بعد مروره على أسماعكم ؛ فمن رغب في التقوى ورغب عن الهوى ، وآثر الآخرة على الدنيا ؛ عرف ذلك له وتوخّاه بتكرمتِه وتخوُّلِه . ومن أبَى إلا غوايةً وضلالا ، وبِطالةً ومِحالا ، أقام حدّ الله تعالى فيه [4] غير مراقَب فيه فرحم الله عبداً صان نفسه في هذه الدار عن العار ، وحماها في الآخرة من عذاب النار ؛ وأمير المؤمنين يرجو أن ينفعكم اللهُ بهدايته ، ويشفي صدوركم بموْعظته ، ويرشدكم إلى ما يفضي بكم [5] إلى الكفاية والحماية . فليعلم فلان ابن فلان ذلك من أمير المؤمنين ورسْمه ، وليعمل عليه بحُكْمه [6] إن شاء الله.

الكتب في الاعتذار عن السلطان

من أخلاق العامّة تقبيحُ سيرةِ السلطان إذا زلّ في بعض آرائه [7] ، والإزراءُ على تدبيره في جيش يجهّزه فيُكْسَر ، ونحو ذلك : مما لا يُسلم

---

(1) ما بين القوسين ساقط في صبح .

(2) في صبح : « فاجهدوا » .

(3) سقطت من الاصل سهوا لورود « والشقي » في آخر صفحة و « أفرط » في أول التيتليها.

(4) في صبح ٨ : ٣٠٥ « عليه » .

(5) في الأصل : « فيكم » وما ذكر ورد في صبح .

(6) في صبح : « بجملته » .

(7) رسمت في الأصل : « ااراله » .

من مثله ، والإفاضة فيه والتشنيع به . وهو يحتاج إلى مكاتبتهم بما يتلافى الوهنَ ويقيم العُذر ، كما يكاتبهم بما [1] [فيه] تفخيم المِنح ، وتعظيم الفتوحات ، والتحدُّث بمواقع [2] المواهب ، وشكر الله على إسباغ النِّعَم ، والإظفار بأعداءَ الدين والدولة : لتَقوى [3] بذلك مُنَّتُهم ، وتُرْهَفَ بصائرُهم ، وتُستخلصَ طاعتُهم ، وتملأ صدورَهم [4] رهبة . وليست لهذه الكتب رسوم تنتظم كلَّ [5] ما يقع فيها : لاختلاف ما يُلام فيه .

ونفيد [6] في أصوله قولا وجيزا : وهو أن يقتضبَ الكاتبُ له المعاذيرَ التي تُحسِّن أحدوثته وتستر زلّته ، والحججُ التي تُعيدُ اللائم عاذراً والذام شاكراً ؛ [وتوجبُ التقريظ من حيثُ يجب التأنيب ، والإحمادَ من حيث التذنيب . مثل أن يعتذر عن هزيمة جَيْشٍ ، فيقول : وقد علمتم أن الحرْب سجَال ، والدنيا دُوَلٌ تدال ؛] [7] وقد تَهُبُّ ريحُ النصر للقاسطين على المُقسطين امتحاناً من الله وبَلْوى ، « ليجزيَ الذين أساءوا بما عملوا ويَجْزيَ الذين أحسنوا بالحسنى » [8] ، إلا أن ذلك قليل من كثير ، ويسير من خطير ، مما يسبغه على أوليائه من الإظهار ، ويقضي لهم في العلو والاقتدار . وليس ذلك وإن أثر بقادح في بصائر المخلصين ، ولا مسلّط للشك على اليقين [9] ،

---

(١) في صبح ٨ : ٢٩٠ « بتفخيم » .

(٢) في الاصل « بموقع » وما أوردته رواية صبح الأعشى ، وهو أنسب .

(٣) في صبح : « وليقوي بذلك منتهم ، ويرهف بصائرهم ... » .

(٤) في الأصل « ويملاء صدورهم » .

(٥) في الاصل « كلما » .

(٦) في صبح ٨ : ٢٩٠ ختام الفقرة السابقة « ما يلام فيه ويعتذر » . وبدء هذه الفقرة « ونحن نرسم في أصوله » .

(٧) الزيادة من صبح ٨ : ٢٩٠ .

(٨) سورة النجم . الآية ٣١ .

(٩) لم يرد في صبح من قوله : « إلا أن ذلك مليل » إلى هذا الموضع (أنظر ٨ : ٢٩١) .

من غير أن يصرِّح بباطلٍ ، ولا يحتج بما حِيل [1] ، ولا يطلق كذباً محْصنا ، ولا يختلقَ زوراً يعلم الناس خلافَه ، فتتضاعف الهجنة ، وتتكاثف المِحْنة ؛ فإنه لا شيءَ أقبح على السلطان ، وأقدحُ في جلالة الشان ، من أن يعثَر في[2] كُتُبه على إفْكٍ قد تعمّده في دفْع الإخبار .... [3] عنه ، وإنما [4] ينبغي أن يعتمد في ذلكَ حُسْنَ التّخَلّص ، والتوريةَ عن الغرض ، واستعمال الألفاظ التي تدلّ على أطراف الحال ولا تفصح بحقائقها .

الكتب في الفُتُوحات

المكاتبةُ في الفتوحات والظفر بأعداء الدَّولةِ والملة ، واسترجاع المعاقل من أيدي المخالفين من أعظم المكاتبات خطرا ، وأجلّها قَدْراً ؛ لاشتمال أغراضها على إنجاز وعد الله الذي وعد به أهلَ طاعتِه في إظهارِ دينهم على كلّ دين ، وتوفير حظّهم من التأييد والتمكين ، وما يمرّ فيها من الأساليب المختلفة التي يشتمل هذا القانون عليها .

والكاتبُ يحتاج إلى تصريف فكرتِه [5] فيها ، وتهذيب معانيها ، لأنها تُتْلى من فوق المنابر على أسماع السامعين ، وتجعل نُصْبَ عقول المصلحين [6] .

والرسمُ فيها أن تفتتح بحمد الله العفوِّ الحليم ، الغفور الرحيم ، العليم الحليم [7] ، ذي البرهان المبين والفضل الجسيم ، والقوة المتين والعقاب الأليم ؛

---

(1) لم ترد هذه الجملة في صبح .

(2) في الأصل « من » .

(3) بياض قدر كلمة .

(4) في صبح ٨ : ٢٩١ « .. إفك قد يعلمه من يقف عليه ؛ بل ينبغي .. » .

(5) في صبح ٨ : ٢٧٥ « فكره » .

(6) في صبح : « عيون المتصحفين » .

(7) في صبح : « الحكيم » .

مبيد [الظالمين ، ومُبير [1]] القاسطين ، ومؤيدِ العادلين ، وجاعل العاقبة للمتقين ؛ المُملي إمهالاً وإنذاراً ، والمعاقب تنبيهاً وإذكاراً ؛ الذي لا يُنجي منه مَهْرَبٌ ، ولا يبعد عليه مَطْلَب ؛ وكيف يُعتصم منه وهو أقرب من حبل الوريد ، وله على كل لاقط رقيبٌ وعتيد !. والصلاة على رسوله الأمين ، الذي ختم به النَّبيين ، وفضَّله على المرسلين ، وأيده بأوليائه الميامين [2] ، الذين قاموا في نُصرته ، وإعزاز رايته ، المقامَ الذي فازوا فيه بالخَصْل [3] ، واستولوا به على قصبات الفضل ، فشركهم معه في الوصف والثناء ، فقال جلّ قائلاً : « محمّدٌ رسولُ الله والذين معه أشدّاءُ على الكُفّارِ رُحَماءُ بينهم » [4] .

ثم يُؤتى بمقدمة تشتمل على التحدُّث بنعمة الله في شحْذ العزائم لنُصْرته ، وتثبيت الأقدام في لقاء عدوه ومجاهدته ، وإنجاز وعْده [5] في الإعزاز والإظهار ، والنّصر [6] والإظفار ؛ والاستبشار بموقع النِّعمة في الفتح الجميل [7] ، والإشادة بثنائه الجليل [8] . ثم يفيض ما جرَتْ عليه الحال [9] في مقاربة العدوّ ومداناته ، وبثّ الطلائع وتنفيذ [10] السَّرايا في مبادى ملاقاته ؛

---

(1) الزيادة من صبح ٨ : ٢٧٥ .

(2) في صبح : « التابين » .

(3) الخصل ج خصلة : اللؤلؤ والدر الصافي .

(4) سورة الفتح . الآية ٢٩ .

(5) في صبح : « وإنجازه وعده » .

(6) في صبح : « والظفر » .

(7) في صبح : « الجليل » .

(8) في صبح : « والإشادة بابقاء هذا الأثر الجميل » .

(9) في صبح : « بما جرت العادة به » .

(10) في صبح : « لتنفيذ » .

وما يفضي [1] إليه الأمر مــن التقابل في المواكبة [2] ، والتواشج في المطاعنه والمُضاربه ، وذِكْر مواقف الشُّجْعان في الكفاح والمُجَاهَدَه ، والذّب والمُجالده ، وثبوت الاقدام ، ونفاذ البصائر [3] ، والجود بالنفوس ، واشتداد الأيدي ، وقوة الشكائِم ، واستحصاف [4] العزائم ، وتفخيم أمر العدو ، ووضعه بكثرة الرجال والأجناد ، والقوّة والاستعداد ؛ لأن موقع [5] الظفر بمن هذه صفتُه أعظم خطراً ؛ [وأوقع في النفوس أثراً] [6] ممّن قلّت عِدّته وعُدّته [7] ؛ وما جال [8] بين الفريقين من قراع ومِصَاع [9] ، وذَمْر [10] ودِفاع ، ومصاولة ومناضله ؛ ومسابقة [11] ومكافحه ، وحماية ومنافحه ، وثبات ومُصافَفَه [12] ، ومقاومة ومواقَفَه [13] ، ومخادعة ومطامعه . ونعت [14] المواكب والكتائب ، والخيول والأسلحة ؛ والجَرْحى والمُجدّلين ،

---

(١) في صبح : « وما أفضى » .

(٢) في صبح : « في التقابل والمواثبة » .

(٣) لم يرد هذا المعطوف في صبح .

(٤) في صبح الأعشى « واستصحاب » .

(٥) في صبح : « توقع » .

(٦) الزيادة من صبح ٨ : ٢٧٦ .

(٧) لم يرد هذا الذي بين الفاصلتين في صبح .

(٨) في صبح « ثم يذكر ما جال » .

(٩) في الأصل « وتصارع » . وما ذكرته ورد في صبح الأعشى ، وهو الانسب لوروده على وزن « دفاع » الآتية بعد . والمصاع مصدر ما صع أي : قاتل وجالد .

(١٠) في صبح « ومضاربة » .

(١١) في صبح : « ومناهدة » .

(١٢) في الأصل : « ومصافقة » .

(١٣) في الأصل : « وموافقة » .

(١٤) في صبح : « وينعت » .

والأسرى والمقتّلين . واستعمال التشبيهات الرائعة [1] والاستعارات الواقعه[2] ، وإرداف المعاني في الإبانة عن لموع [3] أسنّة الذوابل ، (وصُدوع لحوم المناصل في دياجي القساطل ، وتقصد العوامل في الصدور وتعلل المقاصل في القمم ، ونعْت الدّماء) [4] المنبعثة من الجراح على متون الرماح والصّفاح .

ويذكر ما أظهره الله تعالى : من مخايل [5] النصر ودلائل الظفر ، وما أجلت عنه الحربُ مَن قتْل مَن قُتِل وأسْر مَن أسِرَ وهزيمة مَن هُزم ، وما فاز به الرجال من الأسلاب والأموال ، والدّواب والرحّال [6] وما جرت عليه الحالُ من انفلال العدو عند المقاتلة ، (وفراره عند المقابلة ، أو استئمان رجاله راغبين في الاقــالة) [7] ، أو أسْره [8] إن أُسر ، أو اعتصامه بمعقل لا يحصّنه ، أو امتناعه بحيث يحتاج إلى منازلته واستنزاله قسْراً ، أو حيازَةِ المعقل الذي كان بيده ، وما اعتمد فيه : من حُسن السيرة ، وتخفيف الوطأة عن الرعيّة ، وحسم أسباب الفتنة ، وإعادة الخُطبة والسكة إلى العُرفِ المعهود [9] ، أو رغبته في المسالمة ، وسؤاله في المهادنة ، لخوفٍ [10] أظلّه ، وهلع احتلّه ؛ وما تردّد من رسائل ، وتقرّر من شروط وعقود ؛

---

(١) في صبح : « الفائقة » .

(٢) في صبح : « الرائقة » .

(٣) في صبح : « لمعان » .

(٤) ما بين القوسين يختلف اختلافاً كبيراً عما ورد في صبح (انظر ٨ : ٢٧٦) .

(٥) في صبح : « تكامل » .

(٦) في صبح « والرجال » . وقد رسم في الأصل تحت الحاء حاء صغيرة .

(٧) ما بين القوسين غير مذكور في صبح .

(٨) في صبح : « أو أسر العدو » .

(٩) ما بين هاتين الفاصلتين غير موجود في صبح

(١٠) في الأصل : « بحوف » وما ذكر في صبح .

صبح .

وإنفاذ الأمر في ذلك كما [1] أوجبه الحزم ، واقتضاه صواب الرأي ؛ (أو تأخيره ليستأمر فيه ويستدعي من المراسم ما يعمل عليه) [2] .

وإن كان السِّلم قد وقع ، والتنازع قد ارتفع ؛ ذكر إقشاعَ (الحرب[3] ، وإقلاع الخطب ، واجتماع الشمل ، واتصال الحبْل ؛ واختلاط الفريقين ، وامتزاج) [4] الحزبين ، واتفاق [5] الكلمة ، وشمول النعمة .

وإن كان المقدّم [6] لم يجبه إلى الموادعة [7] (حتى وضحت الحقيقة في صدق رغبتِه وخلوص نيَّته ،) [8] حذراً من المكر والمخادعة ، ذكر ما مرّ في ذلك من رأيٍ وتدبير ، وتسديدٍ وتقرير .

وإن كان طلبَ المهادنةَ تذاهُباً [9] ليجدَ فسحةَ المَهْلِ فيكثر عَدده ، ويجِم [10] عُدده ، وتجدّد شوكته [11] ، وتم حيلَتُه ؛ فاطَّلع [12] على ذلك ،

---

(١) في الأصل : « لما » .

(٢) ما بين القوسين لم يذكر في صبح .

(٣) في صبح : « اتفاق الحزبين » . وذكر في أسفل الصفحة : (في الأصل « اتساع الحربين » وهو غير مناسب) .

(٤) ما بين القوسين لم يذكر في صبح . وقد قرأ محقق مخطوطة الصبح «إقشاع» : «اتساع»، و « الحزبين » الآتية بعد السقط « الحربين » .

(٥) في صبح « واتحاد » .

(٦) في صبح لم تذكر هذه الكلمة .

(٧) في صبح : « المهادنة » .

(٨) ما بين القوسين لم يذكر في صبح .

(٩) هذه الكلمة ليست في صبح .

(١٠) في صبح « فتكثر عدده ، وبجم . . » .

(١١) هذه الجملة المعطوفة ليست في صبح .

(١٢) في صبح « فاطلع منه » .

فبادره مُفَلِّلاً لكيده ومكره ، مُذيقاً له وَبَالَ أمره ، شرحتِ الحالُ[1] على نصِّها وما انتهى إليه آخرُها .

وقد يَقَع من هذه الأمور ما لا يُحتَسَبُ ، وسبيلُ جميعه هذه[2] السبيل .

ويختِم الكتابَ[3] بحمد الله القاضي لأوليائه بالإدالة ، ولأعدائه بالإذالة ؛ الذي يستَدْرج المغترّ[4] بحلمه إمهالا ، ولا يَلْقى العادلُ عن حكمه إهمالا ؛ والصلاة على رسوله صلى الله عليه وعلى آله .

وهذه الكتب تصدر عن أمير المؤمنين إلى عماله ورعاياه ، وعن وزيره أيضاً ؛ وتصدّر إليهما ممن تولّى الفتح . ومعانيها واحدة وطرقها في العبارة مختلفة . ومن وقف على أحكام المكاتبات الصادرة عن التابع إلى المتبوع ،ومن المتبوع إلى التابع ، التي استوفيناها فيما تقدم لم يتعذّر عليه ترتيب هذه الكتب[5] وتنزيلُها منازلَها[6] .

الكتب في التوفقةِ[7] بين السنين الهلالية والخراجيّة .

السبب في انفراج ما بين السنين الشمسية والهلالية أنّ أيامَ السنة الشمسيّة

---

(١) في صبح « شرح الحال » .

(٢) في صبح : « هذا » .

(٣) في صبح : « ويختم الكتاب » .

(٤) ليست هذه الكلمة في « صبح » .

(٥) ضاق السطر عن هذه الكلمة فكتبت في الهامش مائلة إلى أعلى .

(٦) هذه الفقرة لم ترد في صبح .

(٧) في الأصل « التوقفة » .

(٨) كتبت هاتان الكلمتان بخط صفير فوق نون « السنين » مائلتين إلى أعلى .

هي المُدّة التي تقطع الشمسُ الفلكَ فيها دَفْعة واحدة ؛ وهي ثلثمائة وخمسةٌ وستون يوماً ورُبع [يوم] [١] بالتقريب ، حسبما يُوجبُه حسابُ حركتها [٢] ، وأيام السنة الهلالية هي المدّة التي يقطع القمرُ الفلك فيها اثنتي عشرة دفعةً ؛ وهي ثلثمائة [و] أربعةٌ وخمسون يوماً وسُدُسُ [يوم] [٣] بالتقريب . فيكون التفاوت بينهما أحدَ عشر يوماً وسُدس [يوم ، فتكون زيادةُ السنين الشمسية على السنين الهلالية في كل ثلاث سنين شهراً واحداً وثلاثةَ أيام ونصف يوم تقريباً . وفي كل ثلاث وثلاثين سنةً سنةً بالتقريب] [٤] ؛ وإذا تمادى الزمان تفاوتَ ما بين السنين [٥] تفاوتاً يقبح ؛ فيرى السلطان عند ذلك أن تُنْقلَ السنة الشمسية إلى السنة الهلالية بالاسم دونَ الحقيقة توفقةً [٦] بينهما وإزالة للشبهة في أمرهما . ومتى أوْعز بذلك لم يَقِفْ على الغرض فيه إلاّ الخاصة [٧] دون العامة ؛ وأسرع إلى ظنّ المُعَامَلين وأرباب الخراج والأملاك أنّ ذلك عائدٌ عليهم بظُلم وحيْف ، وإلى ظنّ الجند [٨] ومستحقي الإقطاع أنه منتقصٌ لهم ، وجوّروا السلطان [٩] وشنّعوا عليه ، فرسَم بلغاء الكتاب في هذا المعنى رسوماً تعود بتفهيم العييّ، وتبصير العَمِيّ

---

(١) الزيادة من صبح الأعشى ١٣ : ٥٥ .

(٢) في صبح : « حسب ما توجبه حركتها » .

(٣) الزيادة من صبح . ولم يذكر بعدها « بالتقريب » .

(٤) الزيادة من صبح ١٣ : ٥٥ . ومكانها في الأصل بياض قدر كلمتين .

(٥) في الأصل : « السنين » وما ذكر يوافق ما ورد في صبح .

(٦) في صبح : « توفيقا » .

(٧) كتبت في هامش الأصل مردفة بـ (صح) بعد الاشارة إلى موضعها .

(٨) هذه الكلمة وواو العطف بعدها غير موجودتين في صبح .

(٩) في صبح « ونسبوا الجور إلى السلطان بسبب ذلك » .

وتوصل المعنى المراد إلى الكافة إيصالا [1] يتساوَوْن في تصديقه وتيقّنه ، ولا يتوجه عليهم شبهةٌ ولا شكٌ فيه . وهـو أن تفتتح هذه الكتب بعد التصدير والتحميد بـأن أمير المؤمنين بما وفقه الله تعالى مـن النظر في مصالح المسلمين ، والأخذ بعزائم الدنيا والدين ، لا يجد ثغرة يتطرّق فيها خَلَلٌ إلاّ سدّها ، ولا مزلقة يتوجـّه بها زللٌ إلا مهّدها ووطّدها ، مجرّباً للسياسة على أحسن أوضاعـِها . وغير ِمخل بنوع من أنواعها . وإذا لاح له من سديد التدبير ، وشريف التقرير ، ما يلمحه ذوو التمييز بوثاقة أصولهم ، ويعمى عنه أولو التقصير بسخافة محصولهم ، لم يمضه حتى يوضح وجه الاصابة فيه لتطابُق الخاصّة والعامة على اعتماده ، ويتساوون في العلم باستقامته وسداده ؛ ولا سيما ما كان داخلاً في المعاملات المتعلقة بالرعايا الذين متى لم يُثلج صدورَهم في معاملاتهم بردُ اليقين ، ويوصل الأغراضَ إلى أوهامهم الإفصاح والتبيين ، ساءت [2] حدوسُهم وتنكّرت نفوسُهم ؛ فإذا بلغ بهم إلى الغاية جاهلُهم وعالمهم ، وناقصُهم وفاضِلُهم ، أنفد آراءه [3] وأمضاها ، وقصد منها السبيل التي أرشده الله تعالى لها ونحاها . وأمير المؤمنين يسأل [4] الله سبحانه تسديده في كل ما يحلّ ويعقد ، ويصدر ويورد ، ويرسم ويحدّد ؛ ونحو هذا مما يليق به .

ثم يقال : وإن الله تعالى هدانا بتبصرته إلى الوقوف على عجائب صنعتـه ، وأقدرنا بالتمييز الذي خصّنا بفضيلته ، على التطرّق إلى علم الغائبات عن حواسنا من دقائق حكمته ، وأوجدنا السبيلَ بما منحنا من التحصيل والإدراك،

---

(1) في الأصل « اتصالا » .

(2) رسمت في الأصل « سائت » .

(3) رسمت في الاصل : « أآرأءه » . وكذا فيما بعد .

(4) رسمت في الاصل « يسئل » .

إلى الإحاطة بحركات النجوم والأفلاك ، والعلم بما يحدث بينها من ممازجة واتصال ، ومباينةٍ وانتقال ، وإضاءة [١] وشروق ، ورعشة وخفوق ، وليل ونهار ، وزيادة ونقصان ، وشتاء ومصيف ، وربيع وخريف ، وأنواءٍ [٢] وأهواء ؛ وما يتبع ذلك — فقال جلّ قائلاً : « هو [٣] الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نورا وقدَّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق اللهُ ذلك إلا بالحق »[٤] وقال : « ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويُولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كلٌّ يجري إلى أجلٍ مسمّى »[٥] وقال : «والقمرَ[٦] قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشّمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » [٧] ليدل جلّ اسمهُ على تفصيل حالاتها ، وتغاير الأزمنة باختلاف حركاتها ؛ ويذكرُ الغاية في اختلاف السنين الشمسية والهلالية التي ذكرناها أمام ذكر هذا الرسم ، والاضطرار إلى الجمع بينهما إذا افترقا ، وما دبّره كل أمةٍ في الأيام الفاضلة عن أيام الشهور ، ومذاهبهم في ذلك ، واستمرارهم عليه إلى أن أجرت [٨] الشريعة الهادية الأحكام ... [٩] على الشهور والسنين الهلالية ، فاجتبيت فيها الصدقات والجَوَالي والمُقاطعات وأُجر الرباع وسائر ما يجري على المشاهرات ، واجتبيت في السنين الشمسية أموال الخراج والمعاملات الديوانية ؛ وأنه لو أغفل إلحاق

---

(١) رسمت في الأصل « واضاأة » .

(٢) في الأصل « وأنداء » ثم كتب فوقها بخط التعليق « وأنواء » مردوفة (صح) .

(٣) في الأصل : « وهو » .

(٤) سورة يونس . الآية ٥ .

(٥) سورة لقمان : الآية ٢٩ .

(٦) في الأصل : « والقمر » بضم الراء .

(٧) سورة يس . الآيتان ٣٩ و ٤٠ .

(٨) في الأصل : « أجبرت » .

(٩) بياض مقدار كلمة .

السنة الخراجية بالهلالية لكان بينهما من سنة الهجرة وإلى سنتنا هذه وهي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة [1] أربع عشرة سنةً بالتقريب ، وقبحُ ذلك غاية القُبح.

ثم يقال : وقد رأى أمير المؤمنين ، والله يوفّق آراءه ، نقْل سنة كذا الخراجية إلى سنة كذا الهلالية . فاعمل بما تضمّنه كتابُه هذا ؛ وتقدم إلى من قِبَلك من العمال بإجْراء الأمر عليه في جماعاتهم وأعمالهم ، وأن ينسبوا ما كان جارياً في السنة المنتَقل عنها إلى السنة المنتقَل إليها ؛ واقرأ كتاب أمير المؤمنين على من قِبَلك من الأجناد والرعايا والمعاملين ، ليعملوا أن هذا النقْلَ لا ينتقِص ذا عطاءٍ من عطائه ، ولا يتحيّف معاملاً في معاملته . فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله .

الكتب بالتنويه والتلقيب

[2] الرسم في هذهِ الكتب أن تفتتح بحمد الله تعالى على نعمه السابغة الضّافية ، ومواهبه الزاهية الثّاوية [3] ، وعوارفه التي جعلها جزاءً [4] للمحسنين وزيادة للشاكرين ؛ ونحو هذا مما يليق أن يفتتح به هذا الغرض .

---

(١) في الأصل : « أربعمئة » .

(٢) في صبح الأعشى ٨ : ٣٤١ بدىء الموضوع بفقرة قبل هذه ، وهي :
(جرت عادة الخلفاء بالكتابة بالتلقيب ، لأن اللقب موهبة من مواهب الإمام : أمضاها وأجازها ؛ فاذا جرت عليه كانت كفيرها من نعمه التي يمنحها على عبيده ، والكنية تكرمة يستعملها الناس فيما بينهم ، فليس حكمها كحكم اللقب .)
وقد ورد هذا في الأصل فيما بعد (انظر الصفحة التالية ، من : فعلى هذا جرى الرسم في خطاب الخلفاء الراشدين ، لأن اللقب .... إلى : كحكم اللقب) .

(٣) في صبح : « النامية » .

(٤) رسمت في الأصل « جزآ » .

والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله .

ثم يقال : وإن أمير المؤمنين بما خوّله الله تعالى من نعمه ، ونوّله من قسَمه ، وخصّه به من التمكين في أرضه ، والمعونة على القيام بفَرْضه — يرى الاقتداء به في إفاضة المنن على خلصائه [1] ، وإسباغ النعم على أوليائه ، واختصاصهم بالنصيب الأوفرِ من حبائه [2] ، والارتقاء بهم إلى المنازل الباذخة والرتب الشامخة . وإنّ أحقّ من وفّر قسمَه من مواهبه ، وعزّز سهمه [3] من عطاياه ورغائبه مَن تميّز بما تميزتَ به من إخلاص ومطاوعة ، وولاء ومشايَعَة [وانقياد ومتابعة] [4] ؛ وصفاء عقيدة وسريره ، وحُسن مذهب وسيره . ولذلك رأى [5] أمير المؤمنين أن ينعتك بكذا ؛ لاشتقاق هذا النعت من سِماتك ، واستنباطِه إياه من صفاتك ؛ وشرّفك من ملابسه بكذا ، وطوّقك بطوقٍ أو بعقْدٍ ، وقلّدك بسْيفٍ من سيوفه ، وعقد لك لواءً [6] من ألويته ، وحملك على كذا من خيله وكذا من مراكبه . وبحُسنِ الوصْفِ لكل [7] نوع من هذه الأنواع ، واشتقاق ألفاظٍ [8] من معانيه يُعرِبُ عن قدر الموهبة فيه . ثم يقال إبانةً بذلك عن مكانك من حضرته ، وإثابة لك [9] عن تشميرك في خدمته : فالبسْ تشريفه وتطوّق ، وتقلّد ما قلّدك به ؛

---

(١) في صبح : « يرى المن على خلصائه » .

(٢) في الأصل : « حبايه » .

(٣) في صبح : « وغزر سهمه » .

(٤) الزيادة من صبح .

(٥) في الأصل « ما رأى » .

(٦) في الأصل : « لوآ » .

(٧) في الأصل : « وبحسن الوصف لكل » .

(٨) في صبح : « الالفاظ » .

(٩) في الأصل : « إبانة لك » موضع « إبانة بذلك » ؛ و « وإثابة » بحذف « لك » .

واركب حملانه [١] ، وابرز للخاصة والعامة في ملابس نعمائه ؛ وارفل في حلل آلائه ؛ وزيّن موكبك بلوائه ؛ وقل « رب أوْزعني أن أشكرَ نعمتك التي أنعمت عليّ »[٢] ، وأعنّي على ما يسترهنُها لديّ ؛ وكاتب [٣] أميرَ المؤمنين متلقباً متسمياً [٤] ، ومن سواه متلقباً متكنّياً . فعلى هذا جرى الرسم في خطاب الخلفاء الراشدين ؛ لأن اللقب موهبةٌ من مواهب الإمام أمضاها وأجازها ، فإذا مرّت عليه كانت كغيرها من نعمه التي يلمحها على عبيده ؛ والكنية تكرمة يستعملها الناس فيما بينهم وليس حكمها كحكم اللقب .

فأما ما ينعت به الأنواع التي يشرف بها السلطانُ أولياءه [٥] فليس مما ينحصر في قَوْلٍ جامعٍ لمتعين النعوت والأوصاف ؛ إلاّ أن مثاله أن يقولَ : وشرفك من ملابسه الحاظية بما تسحبُ به ذيل الاعتلاء على مناكبِ الجوزاء ؛ وقلّدك من سيوفه بسيف مأثور كالجدول المسجور تخاله تقمص بالهبا ، وترى على صفحتيه مدبّ نمال في ربُىً ، زاهٍ بجوهريه الطبيعي [و] الرصعيّ ، مفتخر بملابسه مقلد [٦] بحبل النبي والوصيّ ؛ وحملك على جواد مطهّمٍ كأنما انتقلت بالرياح الأربع أربعهُ ، وأصفى إلى استراق السمع مسمعه ؛ فهو يذرع أدراج البيداء ، ويُسابق نزول القضاء إلى الأعداء ، مسْرج بمركب خاص من النضار الخالص ، وطوّقك بطوق من التِّبر ، مرصّع بفاخر الدرّ، تحسبُه الهلالَ أحرق نجوم الثريا ؛ وعقد لك لواءً بيده يلوي إليك الأعناق، ويشهد لهذا العقد بالإحكام والوثاق ؛ ونحو هذا .

---

(١) في صبح : « حمولاته » .

(٢) سورة النمل ، الآية ١٩ .

(٣) في صبح : « وخاطب » .

(٤) في صبح : ملقبا بسمك ، مسمأ بمك . وإلى هنا ينتهي نقله .

(٥) رسمت في الأصل « أولياه » .

(٦) في الأصل : مقلد » .

الكتب بالإحماد والإذمام

السلطان محتاجٌ إلى مكاتبة من يقف منه على طاعةٍ واجتهاد ، ومناصحة وإخلاص ، بالشكر والإحماد ، والبعث على الازدياد من المخالصة وحسن السعي في الخدمة وغيرها [1] ، مما يرتبط به النعمة ، ويستوجب معه حفظ الرتبة . ومكاتبة من يعثر منه على تقصير [وتضجيع] [2] ، وتفريط وتضييع ، بالذمّ والتقريع [3] ، لأنه لا يخلو أعوان السلطان من كفاة يستديم كفايتهم بتصويب مراميهم ، واستثقاف [4] مساعيهم ؛ وإحمادهم على تشميرهم ، وشرْح صدورهم ببَسْط آمالهم ؛ والعِدَة برفع منازلهم ومحالّهم ، وتمييزهم على نُظرائهم وأشكالهم ؛ (وعجزة يصلحهم بالتخطئة والاستقصاد و)[5] التوبيخ وتقديم الأعذار ، والتخويف من سقوط المراتب ، وقُبح المصاير والعواقب .

وينبغي للكاتب أن ينتهيَ في خطاب من انتهى في [6] الحالين إلى غايتهما بما يوجبه كل منهما . وتنتخب المعاني الناجعة في الغرَضين ، ويترسط فيما بينهما [7] التوسط الذي يقتضيه الحال المُفاضُ فيها : لأن في ذلك تقريراً للمحسن على إحسانه ، وتَنَقّلاً للمسيء عن إساءته . وله موقعٌ خطيرٌ من النفوس [8] ؛ لأنه إذا علم الناهض أنه مثاب على نهضته ، والواني أنه معاقب

---

(١) في صبح ٨ : ٣٤٦ « وغيرها » .

(٢) الزيادة من صبح . وضجع في الأمر : قصر فيه وتقعد ولم يقم به .

(٣) في صبح بزيادة : « والتأنيب » .

(٤) في صبح : « واستحسان » .

(٥) ما بين القوسين وضع مكانه في صبح : « وتحذيرهم من » .

(٦) في الأصل : « إلى » .

(٧) في صبح ورد موضع « فيما بينهما » : « فيهما سيما » .

(٨) هذه الجملة لم ترد في صبح .

على ونيته ؛ اجتهد هذا في الاستظهار لخدمته [1] بما يزيد في رُتبته ، وخاف هذا من حَطّ منزلته وتغيّر حالته .

ولما كانت الرسوم في هذه المكاتبات تختلف بحسب [2] اختلاف أغراضها، وتتشعب بتشعّب معانيها ، ذكرنا الأسس التي تبنى عليها ، وغنينا عن نصّ رسم فيها ، ووكلنا الأمر إلى قريحة الكاتب وصناعته ، وجودة فكرته وإصابته؛ لا سيما أنّ [3] على هذا الباب مدار ما يجري بين خواصّ الناس وعوامّهم . وليست حاجةُ السوقة إليه بدون حاجة الملوك . وإيقاع أمثلة جامعة على ماهذه سبيلُه مستحيلٌ غير ممكن ؛ وإنما يُرجع في هذا وأمثاله إلى قريحة الكاتب العارف الكامل ، ووضعه كل شيء في موضعه ، وترتيبه إياه في رتبته ، حسبما بيّناه فيما تقدّم [4] .

الكتب بالأوامر والنواهي

على هذه الكتب مدارُ أشغال السلطان [5] وأعماله ؛ لأنّها النافذة في تصريف الأمور وتنفيذ المراسيم إلى ولاته وعمّاله [6] .

وليس لها أمثلة فنحدّدها ، ولا رسوم [7] فنوردها ؛ لكنّه ينبغي للكاتب

---

(١) في صبح : « بخدمته » .

(٢) في الأصل « بحيث » .

(٣) في الأصل : « لا سيما وعلى » .

(٤) هذه الفقرة الأخيرة وردت في صبح ٨ : ٢٤٧ على النحو الآتي : « والرسوم في هذه المكاتبات تختلف بحسب اختلاف أغراضها ، وتتشعب بتشعب معانيها ؛ والأمر في ذلك موكول إلى نظر الكاتب العارف الكامل ، ووضعه كل شيء موضعه ، وترتيبه إياه في مرتبته» .

(٥) في صبح ٨ : ٣٠٨ « في » .

(٦) في صبح : « وتنفيذ المراسيم ولاية وعمالة » .

(٧) سقط من صبح : « فنحددها ، ولا رسوم » .

أن يؤكِّدَ القول فيها [1] ، فإن الأمر [2] والنهي —وإن اختلف لفظهما [3] — نوع واحد : لأن كلَّ مأمور به منهيٌّ عن ضدّه ، وكل منهيّ عنه مأمورٌ بضدّه . وينبغي للكاتب [4] أن يؤكّدَ القولَ في امتثال ما أمرَ به [5] ، والعمل عليه والإنقياد [6] له ، والانتهاء عمّا نهى عنه ، والحذر من الإلمام [به] [7] . ويجــزم [8] في العبارة عنهما جزماً تاماً لا يتمكّن معه من الاخلال ببعضهما أو التقصير [9] فيهما لِهَوَى أو قضاء حقّ [10] . ويؤتى من المبالغة بما يضيق العذر متى وقع تقصير أو تثاقُل عما حُدّد فيهما ؛ فأمّا تمثيل ذلك بمُثل جامعة مع تعيين [11] المعاني التي يؤمر بها ويُنهى عنها فمتعذر [12] . والكاتب إذا عرف الترتيب الواقع في هذين الغرَضين على طريق الإجمال، أمكنه أن يَبْسُطَه [13] إذا احتاج إلى التفصيل والبيان بمشيئته الله تعالى .

---

(1) في صبح : « بهـا » .

(2) في صبح : « فان الأمر فيها والنهي » .

(3) في صبح : « نظمهما » .

(4) في صبح : « فينبغي له » .

(5) لم يذكر « به » في صبح .

(6) في صبح : « والإنفاذ » .

(7) الزيادة من صبح .

(8) في صبح : « ويجزم الأمر » .

(9) في صبح : « والنقص » .

(10) لم يذكر في صبح « أو قضاء حق » . وكلمة « قضاء » ذكرت في الأصل « قضى » .

(11) في الأصل : « تعيـن » .

(12) وردت هذه الجملة في صبح الأعشى ٨ : ٣٠٨ كما يلي : « ويأتي من المبالغة بما يضيق العذر ؛ ومتى وقع تقصير أو تثاقل عما حدد فيهما ، فإنما يمثل ذلك بمثل جامعة مع تفنن المعاني التي يأمر بها وينهى عنها . » .

(13) في الأصل : « تبسطه » .

الكتب في الغيار

جرَتْ عادةُ الخلفاء الراشدين بإلزامِ الذمّة المعاهَدين بلباس الغيار ، تفريقاً بينهم وبين المسلمين ، وقدْحاً لهمهم بالإستدلال في النزوع إلى الإسلام؛ وكتب الكتب بذلك وقراءتها على رءوس الاشهاد ، والإيعاز إلى الناظرين في المعاونِ بأخذهم بما رُسم وتأديب من تقدّم على خلاف المأمور .

والرسم فيها أن تفتتح بحمد الله الذي أكرم دين الاسلام عن الضلالة وأهلها ، وشرّفه على الأديان كلها ؛ وأعزّه وأذلها ، وأظهره وأخملها ؛ ونصره وخذلها ، وأدالَه وأذالها ؛ وجعله سبيلَه الأقصد ، ودليله الأرشد ؛ وبابه الذي لا يوصَل إليه إلاّ منه ، ولا ينال ما عنده إلا به ؛ ويسّره وسهّله ، وبيّنه وفصّله ، وتمّمه وكمّله ؛ واستخلصه لنفسه وأحبّه ، واختصّ به من اصطفاه من بريّته ، ولم يجعل معه ديناً ثانياً يُدني من ثوابه ، ويُنجي من سُخطه وعقابه ؛ وفرض ألاّ يقبلَ غيرَه من أحد من خلْقه ، ولا يصفح عن الإساءة [1] إلا لأهله ؛ وبعث به نبيَّه محمداً صلى الله عليه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إليه بإذْنه وسراجاً منيراً ؛ فبيّن شرائعه ومناهجَه ، وعبّد سبُلَه ومدارجَه ، وأوضح آثاره وأعلامَه ، وقرّب متناولَه ومرَامه ؛ وأنقذ به من غمرة الضّلالة ؛ وسكرة الجهالة ؛ والناس مُنكبّون [2] عن طريق الرشاد ، عابدون ما ينحتون من الجماد ؛ لا يهتدون إلى هُدى فيستهدون ، ولا تبصر بصائرُهم بلجَ الحقائق فيستدلّون ؛ واستخلفَ عليه من بعده خيرته من ذريّته ، وصفوتِه من عِتْرتِه ؛ الأئمة البررة المعظّمين لحرمته ، المقيمين لحدوده

---

(١) وسعت في الأصل : « الاساآة » .

(٢) نكب عن الطريق : عدل ونحى .

... ... [1] ، المؤدين لفروضه ، الحامين لذماره ، المرامين عن داره ؛ عناية منه تعالى بإعزاز كلمته ، ونصر رايته ، وتصديقاً لوعده في إعلائه على كل دين ، وإظهاره على كُره المشركين .

ثم يقال : يحمده أميرُ المؤمنين على أن أورثه منصبَ آبائه الطاهرين ، وأفضى إليه ميراث خلفائه الراشدين ؛ وجعله من المستخلفين على خلْقه ، والقائمين على نصر حقه؛ والدعاة إلى سبيله بشافي بيانه ، والمرشدين إلى طريقه بواضح برهانه ، الذابّين عن دينه بما آتاهم من سلطانه . ونسأله الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه الذي شرّفنا ببعثته ، وكرّمنا بوراثته ؛ وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي خرق له العادةَ فيه ، وأيده ببأسه على محادّيه ؛ فكسّر الأوثان ، وحطّم الصلبان ، واستذلّ الأديان ؛ صلى الله عليهما وعلى آلهما وسلم .

ثم يقال : أما بعد ؛ فإن أمير المؤمنين بما استرعاه اللهُ من دينه ، واستحفظه من شريعته ؛ وكفله من إعلاء منارها ، وإعزاز أهلها ، وإذلال من خالفها ؛ لا يزال يكرم أهل الإسلام الذين خصّهم الله تعالى بكرامته ، ويميزهم عن الأمم بما ميزهم اللهُ تعالى من نعمته ؛ ولا يفسح لأحد من الذمّة وإن استعان بهم العمّال .... [2] من عمائر الاعمال ، وجباية الأموال ، في مساراتهم في زي ولا ملبس ، ولا جمال ولا مركب ، وضعاً لهم بحيث وضعهم الله تعالى من الإذلال والامتهان ، ووسماً بميسم من الصّغار يفصلهم عن أهل الأمانة والإيمان ؛ الذين شرّفهم الله بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب . وفضّلهم بشريعته الهادية على كافة أهل الكتاب ؛ وجبلهم على التراؤف [3] والتعاطف ،

---

(١) موضع النقط [illegible] هذا الرسم « المؤمنين لحضوره » ، ولم أستطع الوصول إلى المراد على وجه اليقين [illegible] على الأوجه المحتملة ، وأهل [illegible] المؤمنين لحضوره [illegible] .

(٢) بياض قدر كلمتين .

(٣) رسمت في الأصل « التراف » .

والتكافي والتناصف ، والاتفاق والتآلف ؛ وحبّب إليهم الصّدْق ، وزيّن لهم الحق ؛ وعقد نيّاتهم على اليقين ، وأوجب لهم مجاورته في دار النعيم .

ثم يقال : ونمِيَ إلى أمير المؤمنين أنه فشا بأعمال الحضر وغيرها للذمَّة زيٌّ شاركوا فيه أكابر أهل الاسلام ؛ حتى صار الجاهل بهم يلقى الرجلَ فيهم فيُحييه بتحيَّةِ المسلمين ويخاطبه بخطاب الشريف . فأنكر أميرُ المؤمنين ذلك وأكبره ، وخرجَ أمرُه بإنشاء هذا التحوُّل ، ويضمّنه الأمر لمتولي الشرطة والحِسْبَةِ بكفّ من يذهب من الذمة إلى مباهاة المسلمين بشيء من النعمةِ التي أنعمَ الله تعالى عليهم بها ، وإلزام كافتهم بلباس الغيار ، وشدّ الزنانير في الأوساط ، وصبغ عذب العمائم بالصفرة ؛ ومعاقبة من يخلّ بهذا المرسوم ليتباين المسلمون والذمّة في الزيّ والجمال ، كما يتباينوا في الدين والكمال ؛ إذ لا سبيل إلى تباينهم في الصنعة البشرية التي شرك الله تعالى فيها الخبيث والطيّب ، والبَرّ والفاجر ، والمؤمن والكافر ، وجعلها موْهِبَةً شاملَة للنوع بأسره ؛ مع علمه بالمؤمن وإيمانه ، والكافر وكفره .

ثم يؤكد هذا الكتاب بما يؤكّدُ به مثله ، ويُرصَّع من الآيات بما ينتظم في سلكه ، إن شاء الله تعالى .

(إلى هنا تم ما ورد في المخطوطة.وقد كتب في أسفل الصفحة بالخط نفسه :)

الحمد لله ربِّ العالمين ، وصلواتُه على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلامُه . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظـــيم .

ما ورد في صبح الأعشى منسوباً إلى علي بن خلف في كتابه مواد البيان
ولم يرد في المخطوطة الفريدة التي قمت بتحقيقها

[المكاتبة بالسلامة في الركوب في المواسم والأعياد وما ينخرط في سلكها من المواكب الجامعة]

(صبح ٨ : ٣١٣) قال في « مواد البيان » :

جرت العادة أن يكاتب السلطان عُمّاله وولاتَه بسلامة المواسم الإسلامية كلها : لأنها تُشاهَدُ لجميع أصناف الرعايا وذوي الآراء المختلفة والمذاهب المتباينة ، والقلوب المتعادية والمتصاحبة في أمر الدين والدنيا ؛ وكل متربص لفتنته ينتهز فُرصتها . فلا تكاد هذه المشاهد تخلو من ثورة وحدوث أحداث منكرة تفضي إلى الفتن التي لا ترفع . فإذا أنعم الله تعالى بالسلامة منها ، وجب التحدث بنعمته ، والشكر لمشيئته ؛ وأن يكتب أمير المؤمنين بسلامة ما قِبَلَه إلى عماله ، الكافة إلى ذلك ، ويشتركوا في حمد الله تعالى إليه .

[التهنئة بالخلافة]

(صبح ٨ : ٣٩٢) قال في « مواد البيان » :

من الأدبِ المُسْتَفيضِ تَرْفيهُ الخلفاء عن الهَنَاءِ والعَزَاءِ ، إكْبَاراً لهم وتعظيما . إلاّ أنّنا رأينا ذَوِي الأخْطَار من القُدَمَاءِ قد شَافَهُوهُم بالعَزَاءِ مُسَلّين ، وبالهَنَاءِ دَاعِين ؛ وربّما دُفِعَ الكاتبُ إلى صُحْبَةِ

رئيس يَقْتَضي مَحَلُّه أن يُهَنِّىءَ الخليفةَ بمتجدِّد النِّعَم لَدَيه ، ويُعَزِّيه لتَطَرُّقِ النوائب إليه ؛ فاحْتِيجَ إلى أن يُرْسَم في هَنَاء الخُلَفَاءِ وعَزائِهم ما يُحْتَذَى عليه ، عند الحاجة إلى استعمال مِثْله .

وهذه نسخة تَهْنِئَةٍ بالخلافة ، أوْرَدَها في « مَوادّ البيان » وهي :

أوْلى النِّعَم — خَلَّد الله مُلْكَ مولانا أمير المؤمنين — بأن تَنْطِقَ بها ألْسُنُ الذّاكرين يَضُوعُ عِطْرُها ، وتَتَنَاقَلَها أفْواهُ الشاكرين يَفُوحُ نَشْرُها — نعمةُ إيلائه في خلافَتِه التي جعلها ذُخْراً للأنام ، وعِصْمَةً للإسلام ، وحَاجزاً بين الحَلال والحَرام ؛ وقِواماً للائتلاف والاتِّفَاق ، وزِمَاماً عن الاختلاف والافتراق ؛ ونِظَاماً لصلاح الخَاصَّة والعامه ، وسبيلاً إلى اجْتِمَاعِ الكَلِمَة وسُكُون الأمه ، وسَبَباً لحَقْن الدِّمَاء ، ودَعَة الدَّهْمَاء ، ومُجَاهَدة الأعداء ؛ وإقامة الصَّلَوات ، وإيتاء الزَّكَوَات ؛ والعَمَلِ بالفرائض والسُّنَن وحَسْمِ البِدَعِ والفِتَنِ ؛ وعَدْقِها بالأخْيَار ورثَةِ نَبِيِّه وعِتْرَته ، والأبرار الطَّهَرَة من أرُومَة رسوله وشَجَرَتِه ؛ الَّذينَ نَصَبَهم دُعَاةً إلى طاعته ، وهُدَاةً لبَرِيَّته ، وأعلاماً لشريعته ، يأمرون بالمعروف ويأتَمِرُون ، ويَنْهَوْنَ عن المُنْكَر ويَنْتَهُون ، ويَقْضُونَ بالحَقِّ وبه يَعْدِلُون ، وكُلَّما لَحِقَ منهم سَلَفٌ بمَقَرِّ أوْلِيَتِه ، أقام خَلَفاً يَخْتَصُّه بانتخابه وتكرمتِه .

والحمد لله الذي قَصَرَ خِلافَتَه على أمير المؤمنين وآبائه ، وجعل منهم المَاضي الذي كانت مُفَوَّضَةً إليه ، والآتي الذي أُقِرَّتْ عليه ؛ وأنجز لهم ما وَعَدَهُم من إبقاء الإمامة ، في عَقِبِهم إلى يَوْمِ القِيَامَةِ ؛ واسْتَخْلَص لها في عَصْرنا هذا وَلِيَّها الحَامِيَ لحقيقتها ، المُرَامِيَ عن حَوْزَتِهَا ؛ المُعِزَّ فكلمتها ،الرّافعَ لرايتها ؛ المُحَدِّدَ لحُدُودِها ، الحافظَ لعُقُودِها ، وسَلَّم لَوْساً منه إلى بَارِيها ، ونَاطَها بكُفْئِها ، وكَافِيها ؛ وأفضى إليه بشَرَفِ

الولادةِ والأبوّة، وميراثِ الإمامة والنُبُوّة ؛ وألّفَ به بين القُلُوب الآبيَه، وجَمعَ عليه النفوسَ النائيَه ، واتفقَت الآراء بعد تَبَايُنها وتنافيها ، وتطابقت الأهوَاء على اختلافها وتعَاديها ؛ واستَدّتْ ثُلْمَةُ الدّين بعد انثغارِها ، واطمَأنّت الدّهماء بعد نِفَارِها ، حَمْداً يكون لنِعْمَته كِفاء ، ولمَوْهِبَتِه جزاء .

وخلافة الله وإن كانت الغَايةَ التي لاتَنْزِع الهِمَمُ إليها ، ولا تَتَطَلّع الأماني عليها : لاختصاص الله بها صَفوَتَه من بَرِيتّه ،وخالِصتَه من أهل نَبِيّه وعِتْرَته ؛ فإنّ أميرَ المؤمنين يتَعَاظَمُ عن تَهنِئَته بوصولها إليه ، وسُبُوغ ملابسها عليه ؛ إذ لا يَسُوغُ أن يُهَنّأ بإدراك ما كَتَبَ الله له أن يُدْرِكَه بأقلام الأقدار ، على صَفَحَاتِ اللّيْلِ والنّهار ؛ والعَبْدُ يسأل الله تعالى ضَارعاً إليه في إنهاض أمير المؤمنين بما حَمّلَه وكَلّفَه ، وتَوْفيقَه فيما كَفَلَه واستخلفه ؛ وأن يُمَكّنَ له في الأرض ، ويُعْلي يَدَه بالبَسْطِ والقَبْض ؛ ويُمِدّه بعزِّ السلطان ، وعُلُوِّ الشّان ؛ وظُهُور الأولياء ، وثُبُور الأعداء ؛ وإعْزازِ الدّين ، وابتزاز المُلْحدين ؛ وتَقْوِيةِ يَدِه في نُصْرَةِ الإسلام ، وسياسةِ الأنام ؛ ويُعَرِّفَ رَعيّتَه من يُمْنِ دَوْلَتِه ، وسعادةِ وِلايَتِه ، ما يَجْمَعُهم على الطاعة والمُوَافَقَةِ ، ويَعْصمهُم من المَعْصية والمُفَارَقَه ، ويُوفّقهم من الاخلاص في موالاته ، لما يوفّر حظّهم من مرضاته ؛ ويجعل ولايته هذه مقرونة بانفساح المدة والأجل ، وبلوغ المنى والأمل ، وصالح القول والعمل ؛ ويبلغه في مملكته ودولته أفضل ما بلّغه خليفة من خلفائه ، ووليا من أوليائه .

[ما يكتب به في التعازي إلى الخلفاء]

(صبح ٨ : ٣٩٨) [وهذه نسخة مكاتبة في معنى ذلك] (١) ذكرها في « مواد البيان»وهي:

أما بعد ، فإن الله تعالى جعل خلافته لخلقه قِواماً ، ولبريته نظاما ؛ وجعل له خلفاء يدّخرهم لميراثها ، ويختصّهم بتراثها ، فإذا انقضت مدة ماضيهم : لما يريده الله من استدنائه إلى مقر خلصائه ، نقلها إلى نوره باصطناعه واصطفائه.

والحمد لله الذي قصر خلافته على أمير المؤمنين وآبائه ، وجعل منهم زعيمهم الماضيَ الذي كانت بيديه مواريثها، والآتي الذي صار إليه [تُراثها].

والحمدُ لله الذي ختم لأمير المؤمنين المنتقل إلى دار الكرامة بأفضل الخاتمة ، وأحسن له الجزاء عن السعي في الأمة ؛ وأنعم باستخلاص أمير المؤمنين لإمامة خليقته ، وحياطة شريعته ، وحماية بلاده ، وسياسة عباده ؛ ولوراثة تراث آبائه وأجداده ؛ وجعل الماضيَ منهم مرضيّاً عنه ، والآتي مرضيّاً به ؛ وأعتدت الرعية من عدل أمير المؤمنين ما جبر كسرها في خليفته ، وصبرها في رزيّته ؛ وهو المسئول أن يلهمه على المصيبة في سلفه الطاهر صبراً ، وعلى ما أخلفه عليه في تأهليه لخلافته التي لا كفاء لها شكراً ، بمنّه وفضله إن شاء الله تعالى .

(الأجوبة عن الكتب السلطانية السابقة)

(صبح ٨ : ٣٦٦) قال القلقشندي : ونحن نذكر الكلام على أجوبة الكتب السابقة .. جارين في ذلك على ما قرره في « مواد البيان » :

فأما الجواب عن الكتاب الوارد بانتقال الخلافة إلى الخليفة ؛ فان الكتاب

---

(١) بياض بالأصل ، والتصحيح بقتضيه المقام (هامش صبح) .

إن كان متضمناً التعزية في سَلَفه ، والهناء بتجدد النعمة عنده في انتقال الخلافة إليه ، فالرسم فيما يكاتب به عن الخليفة أن يُبنى على الاستبشار بالنعمة في خلافته والمُسَارعة بإخلاص الضمير إلى الدّخول في طاعته وبَيْعته ؛ وانْفساح الآمال في دَوْلته ، والشّكْر لله تعالى على جَبْر الوَهْن وعُلُو كلمة الإسلام والمسلمين بدَعْوته ؛ وتَعْزيته عن أبيه ، بما يُوجبه محَل المحْنة ويقتضيه ؛ يعني إن كان الخليفةُ المَيّتُ أباه ، فالدعاء له بأن يُنْهِضَه الله تعالى بما حَمَّلَه ، ويُعينَه على ما كَفَّله ؛ ويَقْرُنَ مُلْكَهُ بالجَدّ السعيد والخُلُود والتأييد ؛ وإذالة الأولياء ، وإذالة الأعداء ؛ ونحو هذا مما يُجَاريه.

وإن كان الكتَاب الوارد بانتقَال الخلافة إليه عن أبيه ، ومَنْ في معناه ممّن يُوَاليه في المحبّة ، فإنّ الكاتب يَحُوم في الجواب على ما حصل بذلك من صلاح حال الأمّة . واستقامة أمر الرّعيّة بانتقال الخلافة إليه ، من غير أن يُصَرِّحَ بذَمّ الذاهب قَبْلَه . ولا يخفى أن الجواب عن ورود الكتاب بانتقال السلطة إلى السلطان وجُلُوسه على تَخْت المُلْك في معنى الجواب في انتقال الخلافة إلى الخليفة ، لا يكاد يُفَرّقُ بينهما ، على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالدعاء إلى الدّين ، فإنما يتكَلّفُها كتاب مُخَالفي الملّة ، لأنها إنما تصدر إليهم . قال في « مواد البيان » : إلا أنه لا غِنىً لكُتّاب الإسلام عن عِلْم ما يقع فيها ، لتَتَقَدّم عندهم المَعْرفة بما يُجيبُ به المخالفون ، فيأخذوا عليهم بأطراف الحُجّة إذا كاتبوهم ابتداء أو جواباً .

قال : ولا تَخْلُو أجوبة هذه الكُتُب من أربعة مَعَانٍ :

أحدها — إجابَةُ الدعاء إلى الدّين ، وقَبُولُ الإرشاد والهُدى ، والنّزُوعُ عن الغيّ ، والإقبَالُ على التّبْصرَة والتذكرة ، بعقائدَ خالصةٍ ، ونِيّاتٍ صريحة .

والثاني — الإصرارُ على ما هُم مُتَمَسِّكُونَ به ، وتَمَحُّلُ الشُّبهة في نُصْرَتِه ؛ وادّعاءُ الحقِّ فيما يعتقدونه ، والمُغالَطَة عن الإجابة إلى قَبُول ما دُعُوا إليه .

والثالث — بَذْلُ الجِزْيَة والمُصَالحة ، والجُنُوحُ إلى السّلم والمُوَادَعة .

والرابع — إظهار الحَمِيَّة ، والقيامُ في دفاع مَنْ يَرُومُ اقتِسَارَهم على مفارقة شرائعهم وأديانهم ، وبَذْلُ الأنفس في مُقَارَعته .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالحَثّ على الجِهَاد ، فقد ذكر في « مواد البيان » أنها لا تخرج عن معنيين :

أحدهما — إجَابَةُ الصَّرِيخ ، والمُبَادَرَةُ إلى التّشْمير في الجِهَاد ، والقِيَامُ في مَعُونَة الأولياء ، على كِفَاحِ الأعداء .

والثاني — الاعْتِذارُ والتّعَلُّلُ والتّثَاقُل .

هذا إن كانت الكُتُب صادرة إلى القُوَّادِ والمقَدَّمين . أما إذا كانت مقصورةً على الاستنفار ، فلا جوابَ إلا النّفُور أو الإمساك . قال في « مواد البيان » : والطريق إلى إقامة العُذْر للمُسْتَصْرِخ في التأخّر عن مُسْتَصْرِخِه متى أراد الاعتذار عنه صَعْبٌ على الكاتب ، ولا سيَّما إذا كانت الأعذار متَكَلَّفَة غير صحيحة .

قال : وينبغي أن يتأتى لذلك ويُحْسِنَ التلطُّف فيه ، ولا يَعْتَلّ بكذب صُرَاحٍ ينكشف للمُعْتَذَرِ إليه .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالحَثّ على لُزُومِ الطاعة ، إذا وردت على النوّاب والوُلاة وأُمِرُوا بقراءتها في أعمالهم على الرّعايا ، فإنه يكون : إما بانقياد الرّعايا إلى ما دُعُوا إليه ، أو استدامتهم لمِرْكَبِ النّفَاق . واستدعاء مَادّة لتقويمهم .

وأما الجواب عن الكتب إلى مَنْ نَكَثَ عَهْدَه من المُعَاهدين ، فقد ذكر في « مواد البيان » أنها لا تخلو من أحد أربعة معَان :

أوّلهُا — الاعتذارُ والاستقالة من مراجعة النَّكْثِ ، والرغبةُ في الصفحِ عن النَّبْوَةِ ، والمُسامَحَةِ بالهَفْوَةِ .

والثاني — المغالطة والمراوغة ، واستعمالُ المُدَاهَنَةِ والمُخَادعَه .

والثالث — التَّجْليحُ والمُكاشَفَة .

والرابع — إيجاب الحُجَّةِ على المجوب (؟) عنه في أنه المبتدىء بفسخ ما عَاقَدَ عليه . قال : والكاتبَ إذا كان ماهراً كسا كُلَّ معنىً من هذه المعاني الغَرَضَ اللَّائِقَ به في الصناعة .

وأما الجواب عن الكُتُب إلى مَنْ خَلَعَ الطاعة ، فقد قال في « مواد البيان » : إنها تحتمل معنيين : أحدها الاعتذار ، والآخر الإصرار ؛ وكُلُّ واحدٍ منهما محتاجٌ إلى عبارةٍ لائقة به . ثم قال : والكاتب إذا كان حاذقاً ، عَرَفَ سبيلَ التَّخَلُّص فيها بمشيئة الله تعالى .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالفُتُوح ، فإنّها إن صدرت من السلطان إلى وُلاَته ، فينبغي أن يُبْنى جَوابُها على الاستبشار بِتَوَقُّعِ النِّعَم في الظَّفَرِ بالعَدُوِّ ، والجَذَلِ بمُتَجَدِّدِ الفَتْحِ ؛ وأنَّ ذلك إنما تَهَيّأ بسعادته ، وعُلُوِّ رأيه وانبساطه هَيْبَتِه ، وما عَوَّدَه من إظهار أوليائه ، وخِذْلانِ أعدائه ؛ وأنهم قد أشاعوا هذا النّبأ في الخاصّة والعامّة من رعاياه فابْتَهَجُوا به ، وشكروا الله تعالى عليه ودَعَوْا له بصالح الدعاء . وإن صدرت من وُلاَةِ الحَرْبِ إلى السلطان ، فينبغي أن يكون ما يجيبهم به مَبْنياً على حمد الله تعالى على عَوَارِفِه ، والرّغْبَة في مُضَاعَفَة لَطَائفه ؛ وشكْرِه على إنجاز وَعْدِه في الإظفار بأعداء المِلّة والدّوْلة ونحو هذا . ومُخَاطَبَةِ أهل الطاعة بما يُرْهِفُ عَزَائمَهم ، ويُقَوّي شَوْكَتَهم ؛ وتَقْرِيظِ والي

الحَرْبِ ووَصْفه بما يُشْحذُ بَصيرتَه في الخِدْمَة ، والثّناء على الأجْنَاد ، وَوعْدِهم بجزيل الجَزَاءِ على الجِهَاد والإبلاء ؛ إلى غير هذا مما يقتضيه الحال، ويُوجِبُه تدبير الأمر الحاضر .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالاعتذار عن السلطان عندما يَحْصُل له زَلَلٌ في التدبير أو [في] الظّفَرِ بقبض الأعداء على جَيْشٍ من جُيُوشه ، فإنما تقع الإجابة عنها إذا نُفّذَتْ إلى أحد العُمّالِ خصوصاً . قال في « مواد البيان » : وحينئذ فينبغي أن يكون الجوابُ عنها مَبْنياً على تَقْوِيةِ نفس السلطان وتوثيقه بالأدِلّة ، وأن ما ناله لا يتَوجّه كثيراً على ذَوي الحُرَمِ ، إلا أن عواقب الفَلْجِ والظّفَرِ والإصابَةِ في الرّأي والتدبير تكون لهم ، ونحو هذا مما يُجارِيه ويليق به .

قال : أما إذا كانت المكاتبة في ذلك إلى الكَافّةِ ، مُمَهّدَةً لعُذْرِ السلطانْ ، قَاطعةً قَالَةَ الرّعيّة عنه ، فإنه لاجواب عنها : لأنها إذا لم تُوَجّه إلى واحدٍ بعَيْنِه لا تَسْتَدْعي خطَاباً .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة عن السلطان بالنّهْي عن التّنَازُعِ في الدّين ، إذا صدرت إلى العمّال ، وأمِرُوا بقراءتها على الرّعايا على منابر أعمالهم ، فإنه يُبْنَى الأمرُ فيها على امتثال الأمرِ ، والمطالعة بارتسام القوم ما رُسِمَ لهم فيها . أما إذا كانت صَادِرَةً لتقرأ على العامّة ليُبْصِروا ما فيها ويعملوا عليه ، فإنه لا جواب عنها ، لأنها إنما تشتمل على مَوَاعِظَ ومَرَاشِدَ تَتَخَوّلُ بها الأئمة رَعَايَاهُم .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالأوامر والنّوَاهي ، فقد ذكر في « مواد البيان » أن الكتاب الوارد في ذلك : إن كان شيئاً قد جزم المتبوعُ فيه الأمْرَ ، وضَيّقَ على التّابِع في إيثاره سبيلَ المُراجَعَةِ فيه ، فإن الجواب عنه سَهْلٌ : لأنه إنما يُجيبُ بجواب جامع ، وهو وُقُوفُه على ما أُمِرَ به

إن كان متضمناً التعزية في سلفه ، والهناء بتجدد النعمة عنده في انتقال الخلافة إليه ، فالرسم فيما يكاتب به عن الخليفة أن يُبنى على الاستبشار بالنعمة في خلافته والمُسارعة بإخلاص الضمير إلى الدخول في طاعته وبيعته ، وانفساح الآمال في دولته ، والشكر لله تعالى على جبر الوهن وعلو كلمة الإسلام والمسلمين بدعوته ؛ وتعزيته عن أبيه ، بما يوجبه محل المحنة ويقتضيه ؛ يعني إن كان الخليفةُ الميّتُ أباه ، فالدعاء له بأن ينهضه الله تعالى بما حمّله ، ويُعينه على ما كفّله ؛ ويقرن مُلكه بالجدّ السعيد، والخلود والتأييد ؛ وإذالة الأولياء ، وإذالة الأعداء ؛ ونحو هذا مما يُجاريه.

وإن كان الكتاب الوارد بانتقال الخلافة إليه عن أبيه ، ومَن في معناه ممّن يُواليه في المحبة ، فإنّ الكاتب يحوم في الجواب على ما حصل بذلك من صلاح حال الأمّة ، واستقامة أمر الرّعيّة بانتقال الخلافة إليه ، من غير أن يُصرّح بذمّ الذاهب قبله . ولا يخفى أن الجواب عن ورود الكتاب بانتقال السلطة إلى السلطان وجلوسه على تخت المُلك في معنى الجواب في انتقال الخلافة إلى الخليفة ، لا يكاد يُفرّق بينهما ، على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالدعاء إلى الدّين ، فإنما يتكلفها كتاب مُخالفي الملّة، لأنها إنما تصدر إليهم . قال في « مواد البيان » : إلا أنه لا غِنى لكُتّاب الإسلام عن علم ما يقع فيها ، لتتقدّم عندهم المعرفة بما يُجيبُ به المخالفون ، فيأخذوا عليهم بأطراف الحُجّة إذا كاتبوهم ابتداء أو جواباً .

قال : ولا تخلو أجوبة هذه الكتب من أربعة معانٍ :

أحدها — إجابةُ الدعاء إلى الدّين ، وقبولُ الإرشاد والهدى ، والنزوعُ عن الغيّ ، والإقبالُ على التبصرة والتذكرة ، بعقائد خالصة ، ونيّات صريحة .

والثاني — الإصرارُ على ما هُم مُتَمَسِّكُونَ به ، وتَمَحُّلُ الشُّبهة في نُصْرَتِه ، وادّعاءُ الحقّ فيما يعتقدونه ، والمُغالَطَة عن الإجابة إلى قَبُول ما دُعُوا إليه .

والثالث — بَذْلُ الجِزْيَة والمُصَالحة ، والجُنُوحُ إلى السّلم والمُوَادَعة .

والرابع — إظهار الحَميَّة ، والقيامُ في دفاع مَنْ يَرُومُ اقتِسَارَهم على مفارقة شرائعهم وأديانهم ، وبَذْلُ الأنفس في مُقَارَعته .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالحَثّ على الجِهَاد ، فقد ذكر في « مواد البيان » أنها لا تخرج عن معنيين :

أحدهما — إجَابَةُ الصَّرِيخ ، والمُبَادَرَةُ إلى التّشْمير في الجهَاد ، والقِيَامُ في مَعُونَة الأولياء ، على كِفَاحِ الأعداء .

والثاني — الإعْتِذارُ والتّعَلُّلُ والتّثَاقُل .

هذا إن كانت الكُتُب صادرة إلى القُوَّادِ والمقَدَّمين . أما إذا كانت مقصورةً على الاستنفار ، فلا جوابَ إلا النّفُور أو الإمساك . قال في « مواد البيان » : والطريق إلى إقامة العُذْر للمُسْتَصْرِخ في التأخّر عن مُسْتَصْرِخِه متى أراد الاعتذار عنه صَعْبٌ على الكاتب ، ولا سيَّما إذا كانت الأعذار متَكَلَّفَة غير صحيحة .

قال : وينبغي أن يتأتى لذلك ويُحْسِنَ التلطُّف فيه ، ولا يَعْتَلّ بكذب صُرَاحٍ ينكشف للمُعْتَذَرِ إليه .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالحَثّ على لُزُومِ الطاعة ، إذا وردت على النوّاب والوُلاة وأُمِرُوا بقراءتها في أعمالهم على الرّعايا ، فإنه يكون : إما بانقياد الرّعايا إلى ما دُعُوا إليه ، أو استدامتهم لمِرْكَبِ النّفَاق . واسْتِدعاء مَادّة لتقويمهم .

وأما الجواب عن الكتب إلى مَنْ نَكَثَ عَهْدَه من المُعَاهدين ، فقد ذكر في « مواد البيان » أنها لا تخلو من أحد أربعة معَان :

أوّلهُا – الاعتذارُ والاستقالة من مراجعة النَّكْثِ ، والرغبةُ في الصفح عن النَّبْوَةِ ، والمُسامَحَةِ بالهَفْوةِ .

والثاني – المغالطة والمراوغة ، واستعمالُ المُدَاهَنَةِ والمُخَادعَه .

والثالث – التَّجْليحُ والمُكاشَفَة .

والرابع – إيجاب الحُجَّةِ على المجوب (؟) عنه في أنه المبتدىء بفسخ ما عَاقَدَ عليه . قال : والكاتب إذا كان ماهراً كسا كُلَّ معنىً من هذه المعاني الغَرَضَ الّلائِقَ به في الصناعة .

وأما الجواب عن الكُتُب إلى مَنْ خَلَعَ الطاعة ، فقد قال في « مواد البيان » : إنها تحتمل معنيين : أحدهما الاعتذار ، والآخر الإصرار ؛ وكُلُّ واحد منهما محتاجٌ إلى عبارةٍ لائقة به . ثم قال : والكاتب إذا كان حاذقاً، عَرَفَ سبيلَ التّخَلُّص فيها بمَشيئة الله تعالى .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالفُتُوح ، فإنّها إن صدرت من السلطان إلى وُلاتِه ، فينبغي أن يُبْنَى جَوابُها على الاستبشار بمَوْقِعِ النِّعَم في الظَّفَرِ بالعَدُوّ ، والجَذَلِ بمُتَجَدِّدِ الفَتْحِ ؛ وأنّ ذلك إنما تَهَيَّأ بسعادته ، وعُلُوّ رأيه وانبساطه هَيْبَتِه ، وما عَوّدَه من إظهار أوليائه ، وخِذْلانِ أعدائه ؛ وأنهم قد أشاعوا هذا النّبأ في الخاصّة والعامّة من رعاياه فابْتَهَجُوا به ، وشكروا الله تعالى عليه ودَعَوْا له بصالح الدعاء . وإن صدرت من وُلاةِ الحَرْبِ إلى السلطان ، فينبغي أن يكون ما يجيبهم به مَبْنياً على حمد الله تعالى على عوَارفه ، والرّغْبَة في مُضَاعفَة لَطَائفه؛وشكْره على إنجاز وَعْده في الإظفار بأعداء الملّة والدّوْلة ونحو هذا . ومخَاطَبَة أهل الطاعة بما يُرْهِفُ عزَائمَهم ، ويُقَوّي شَوْكَتَهُم ؛ وتَقْريظِ والي

الحَرْبِ ووَصْفه بما يُشْحذُ بَصيرتَه في الخِدْمة ، والثّناء على الأجْنَاد ، وَوعْدِهم بجزيل الجَزَاءِ على الجِهَاد والإبلاء ؛ إلى غير هذا مما يقتضيه الحال، ويُوجِبهُ تدبير الأمر الحاضر .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالاعتذار عن السلطان عندما يَحْصُل له زَلَلٌ في التدبير أو [في] الظّفَرِ بقبض الأعداء على جَيْشٍ من جُيُوشه ، فإنما تقع الإجابة عنها إذا نُفّذَتْ إلى أحد العُمّالِ خصوصاً . قال في « مواد البيان » : وحينئذ فينبغي أن يكون الجوابُ عنها مَبْنياً على تَقْوِيةِ نفس السلطان وتوثيقه بالأدلّة ، وأن ما ناله لا يتَوجّه كثيراً على ذَوي الحُرَمِ ، إلا أن عواقب الفَلْجِ والظّفَرِ والإصابَةِ في الرّأي والتدبير تكون لهم ، ونحو هذا مما يُجَاريه ويليق به .

قال : أما إذا كانت المكاتبة في ذلك إلى الكَافّةِ ، مُمَهّدَةً لعُذْرِ السلطانْ ، قَاطعةً قَالَةَ الرّعيّة عنه ، فإنه لاجواب عنها : لأنها إذا لم تُوَجّه إلى واحدِ بعَيْنِهِ لا تَسْتَدْعي خِطَاباً .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة عن السلطان بالنّهْي عن التّنَازُعِ في الدّين ، إذا صدرت إلى العمّال ، وأمِرُوا بقراءتها على الرّعايا على منابر أعمالهم ، فإنه يُبْنَى الأمرُ فيها على امتثال الأمرِ ، والمطالعة بارتسام القوم ما رُسِمَ لهم فيها . أما إذا كانت صَادِرَةً لتقرأ على العامّة ليُبْصِروا ما فيها ويعملوا عليه ، فإنه لا جواب عنها ، لأنها إنما تشتمل على مَوَاعِظَ ومَرَاشِدَ تَتَخَوّلُ بها الأئمة رَعَايَاهُم .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالأوامر والنّوَاهي ، فقد ذكر في « مواد البيان » أن الكتاب الوارد في ذلك : إن كان شيئاً قد جزم المتبوعُ فيه الأمْرَ ، وضَيّقَ على التّابِعِ في إيثاره سبيلَ المُراجَعَةِ فيه ، فإن الجواب عنه سَهْلٌ : لأنه إنما يُجيبُ بجواب جامع ، وهو وُقُوفُه على ما أمِرَ به

وإنْفاذُه له . وإن كان الوارد أمْراً محتملاً للمراجعة ، من حَيْثُ إنّ في إمضائه إذا أُمْضِي إفساداً للعمل . وإخلالاً بأسباب المُلْك والسلطان ، فالجواب عنه شاقّ صَعْبٌ : لأنه ينبغي أن يُبْنَى على تَلَطّف شديد في الإبانة عما يُنْتِجُه ذلك المأمور به إذا أُنْفِذَ على وجهه من فَتْق وخَلَل ؛ ومَوْرِدُ المراجعة في ألفاظه لا يَتَبَيّنُ فيه إزْرَاء على رَأي الرئيس ولا طَعْنٌ في تدبيره : بأن تكون نَاطِقَةً بأنّ رَأْيَه الأعلى ، وتدبيره الأصْوَب ؛ فيكون باطنُ الكلام توقيفاً على الصّواب ، وظاهرُه تَصْويباً وتقريظاً : لأن كثيراً من الرؤساء والمُلُوك يُعْجَبُون بآرائهم ، ويُنْزِلُون أنفسهم بحُكْم الرياسة في منزلة من لا يُرَاجَعُ ولا يُعَارَضُ فيما يأمر به .

قال : وقد تأتي من كُتُب الأوامر كُتُبٌ يأمر الرئيس فيها المرءوسَ بشَرْح حال واقتصاص أمور . ثم قال : وأجوبة هذه الكُتُب يجب أنْ تكون مُسْتَقْصِيَةً للمعنى المُنْشَرِح ، مُسْتَوليةً على حَوَاشيه، غير مُخِلّة بشيء مما يحتاج إلى تَعَرّفه منه .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة عن الإمام عند حُدُوث الآيات السماوية ، وهي مشتملة على مَوَاعِظَ ومَرَاشِدَ يتخوّلُ بها الأئمة رَعَاياهُم ؛ فإذا صدرت إلى العُمّال وأمِرُوا بقراءتها على الرّعايا ، فأجوبتها إنما تبنى على امتثال الأمر والمطالعة بارتسام القوم ما رُسِمَ لهم فيها . أما إذا كانت صادرةً لتُقْرأ على العامّة ليَتَبَصّروا بما فيها ويعملوا عليه ، فإنه لا جواب عنها .

وأما الجواب عن التّنْبيه على مواسم العبادة ، فإنه يصدر عمّن وَرَدَ عنه إلى الإمام بعد شُهُود ذلك المَوْسم ، والانْفصال عنه على حال السلامة ، كما في صلاة العيد ونحوها . قال في « مواد البيان » : وأجْوِبَتُها تصدر إلى الخلفاء مقصورةً على ذكر ما مَنّ الله تعالى به من قَضَاء الفريضة على حال الائتلاف والاتّفاق ، وشُمول الأمْن والهَدْي والسّكون ، وسُبُوغ النّعمة

على الكَافّة ؛ وأن ذلك بسعادة وعناية الله تعالى بدَوْلته وبرَعيّته ، ونحوها ممّا يقتضيه المعنى .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة عن الإمام إلى وُلاةِ أمره بالسلامة في ركوب أول العام وغُرّة رَمَضَان ، والجمعة الأولى والثانية والثالثة منه ، وعيدَي الفِطْر والأضحى ، وفَتْحِ الخَلِيج بعد وفاء النيل ، فقد قال في « مواد البيان » : إنّه إن كان الكتاب عن السلامة في صلاة العيدين أو جُمَع رَمَضَان ، فينبغي أن يكون مَبْنِيّاً على وُرُود كُتُبه متضمنةً ما أعان الله تعالى عليه أميرَ المؤمنين من تأدِيَةِ فريضته ، والجَمْع في صلاة عيدِ كذا برَعيّته ؛ وما ألبسه الله تعالى من الهَدْي والوَقَار ، وأفاضه عليه من البَهَاء والأنوار ؛ وبُرُوزه في خَاصّتِه وعَامّتة إلى مُصَلاّه ، وسماع خُطْبَته وعَوْدِه إلى قَصْره الزاهر ، وعليه تَلأْلُأ القَبُول لصَلاتَه ودُعائه ، مما أجراه الله تعالى فيه على عادة آلائه ؛ ووقف عليه وقابله بالشكر والإحماد ، والاعتراف والاعتداد ، وافْتَضَّه على رءوس الأشهاد ؛ فأغْرَقُوا في شُكْرِ الله تعالى على المَوْهِبَةِ في أمير المؤمنين ، ورَغِبُوا إليه في إطالة بَقَائهِ مُرامياً عن الإسلام والمسلمين ، ونحو هذا مما يُجَاريه .

ثم قال : فإذا نُفِّذَتْ هذه الكتب من العُمّالِ إلى أمير المؤمنين مُبَشّرةً باجتماع رعاياه لتأدية فريضتهم ، وعَوْدِهم إلى منازلهم سالمين ، فينبغي أن يكونْ الجواب عنها : « وصل كتابك مُتَضَمِّناً ما لا يزالُ الله تعالى يُوليه لأمير المؤمنين في رَعِيّته ، وخاصّته وعَامّته : من اتفاق كلمتهم ،وائتلاف أفْئِدَتِهم وسلامة كافّتهم ؛وما منّ الله به عليه وعليهم من اجتماعهم لتأدية فريضتهم ، وعَوْدِهم إلى منازلهم ؛ على السّلاَمة من ضمائرهم ، والطّهارَة من سرائرهم ، فَحَمِدَ أمير المؤمنين الله تعالى على ذلك وسأله مَزِيدَهُم منه ، وتَوْفيقَهُم لمَا يُرْضيه عنهم ؛ وشكر مَسْعَاكَ في سياستهم ، وامتدادَ

يَدِك في إيالَتِهم ؛ وهو يأمرك أن تَجْرِيَ على عادتك ، وتسير فيهم بجميل سيرَتِك» وما يليق بهذا .

ثم بَنَى على ذلك سائر كُتُب السلامة ، وقال : ينبغي أن يُسْتَنْبَطَ من نَفْسِ كُلّ كتاب منها المعنى الذي تجب الإجابة به ، مثل أن يكون الكتاب ورد من أمير المؤمنين إلى أحد عُمَّالِه ، مُبَشِّراً بسلامته من سفَره ؛ فينبغي أن يُبْنَى جوابه على ما صُورتُه : «ورد كتاب أمير المؤمنين مُبَشِّراً عبده بما هَيّأه الله تعالى له من السلامة ويُمْنِ الوِجْهَة ، مع تقريب الشّقّة ؛ وإزالة المَسَارّ ، وتسهيل الأوطار ، وإدناء الدار ؛ فوقف العبد عليه ،وامتثل المرسوم في إطلاع الأولياء على ما نُصّ فيه من هذه البُشْرى ؛ فعَظُمَتْ المِنْحَةُ لديهم ، وجَلّت النّعْمَةُ عندهم ؛ وانشرحت صُدُورهم ، وانفسحت آمالهُم ، ووفقوا بصُنْع الله تعالى لهم ؛ وارتفعت أيديهم إلى الله سبحانه بالرغبة في حِيَاطة أمير المؤمنين قَاطِناً وظَاعناً ، وحُسْنِ صَحَابَتِه حَالاً وراحلاً ، وجميل الخلافة على مَنْ خَلَفَه من حامّته وعَامّته ، وأهل دَعْوته وخاصّة دَوْلَتِه ، والله تعالى يجيب في أمير المؤمنين صَالِحَ الدّعاء ، ويَمُدّه بطُول البَقَاء» وما ينتظم في سِلْك هذا الكلام ويضاهيه .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالخلع وما في معنى ذلك ، فينبغي أن يكون مَبْنِيّاً على تعظيم المِنَّه ، والاعتراف بجَزَالة المِنْحَه ؛ وجميل العطية ، وزائد الفَضْل ، وأن ما أُسْدِيَ إليه من ذلك تَفَضّلٌ عليه ، وتَطَوّلٌ من غير استحقاق لذلك ؛ بل فَائضُ فَضْلٍ ، وجزيل امتنان ؛ وأنه عاجز عن شُكْرِ هذه النّعْمَة والقيام بواجبها ، لا يَسْتطيع لها مكافأةً غير الرّغْبَةِ إلى الله تعالى بالأدْعِيَة لهذه الدّوْلَة . وما يناسب ذلك من الكلام ويلائمه .

وأما الجواب عن الكُتُب بالتّنْويه والتلقيب إذا صدرت إلى نواب المملكة ، فالذي ذكره في «مواد البيان» أن المُنَوّه به يُجيبُ عمّا يَصِلُه من

ذلك بوُصُول الكتاب إليه ، ووُقُوفِه عليه ، ومَعْرفته بقَدْرِ العَارِفَة مما مما تضمنته الرَّغْبَةُ إلى الله تعالى في إيزَاعه الشُّكْرَ ، ومَعُونَته على مقابلة النِّعْمَةِ بالإخلاص والطاعة . أما إذا كُتبت بالتَّنْويهِ والتلقيب لأحَدٍ من المقيمين بحَضْرَةِ الخلافة ، فإنه لا جواب لها .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالإحماد والإذمام ، فيختلف الحال فيه : فإن كان الكتاب الوارد بالإحماد والتَّقريظ ، فجوابه مقصور على الشُّكْرِ الدال على وقوع ذلك الإحماد مَوْقِعَه من المحمود ، ومُطَالَبَتِه لنفسه بالخروج من حَقّه باستفراغ الوُسْع في الأسباب المُوجِبَة للزيادة منه. وإن كان الكتاب بالإذمام : فان كان ذلك لِمَوْجِدَةٍ بسبب أمْرٍ بلغه عنه من عَدُوٍّ أو حاسدِ نِعْمَة أو منزلة هو مَخْصُوصٌ بها من رئيسه ، كان الجواب بالتَّنَصُّل والمقابلة بما يُبَرِّىء سَاحَتَه ، ويَدُلُّ على سلامة نَاحِيَتَه ؛ وأن يُوردَ ذلك بصيغة تُزِيلُ عن النفس ما سبق إليها ، وتَبْعَثُ على الرِّضا . وكذلك في كل واقعة بحسبها ، مما يحصل به التَّنَصُّلُ والاسترضاء ونحو ذلك .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة مع الإنعام السلطانيّ ، فعلى نحو ماسبق في الخِلَعِ : من تعظيم المِنَّة ، والاعتراف [بجَزَالة المِنْحة] (١) وجميل العطية ، وزيادة الفَضْل ، وما في معنى ذلك مما تقدم ذكره .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة عن الخليفة أو السلطان بتجدّد وَلَدٍ ، فإنه يكون بإظهار السرور والاغتباط ، وزيادة الفَرَحِ والسُّرُور بما منّ الله تعالى به من تكثير العَدَد ، وزيادَة المَدَدِ ؛ والرَّغْبَة إلى الله تعالى في أن يُوَالِيَ هذا المَزِيدَ ويُضَاعِفَه . ونحو ذلك مما يجري هذا المجرى .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بعافية الخليفة أو السلطان من مَرَض

---

(١) بياض بالأصل والتصحيح عما تقدم قريباً في الجواب عن الخلع . (هامش صبح) .

كان قد عَرَضَ له ، فطريقه حَمْدُ الله تعالى وشُكْره على مَا مَنَّ الله تعالى به من العافية ، وتَفَضَّلَ به من إزاحة المَرَض ، ووِقَايةِ المَكْرُوه ؛ وإظهارُ الفَرحِ والسرور بذلك . وما ينخرط في هذا السِّلْك .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالتعزية بوَلَد أو قَريبٍ ، فإنه يظهر فيه الغَمَّ [1] والحُزْنَ والكَآبَة ، وحَمْدَ الله تعالى على سلامة نَفْسه ، والرَّغْبَةَ إلى الله تعالى في الخَلَفِ عليه ، إن كان المَيِّتُ ولَداً ، مع الدعاء بطُولِ البقاءِ وخُلُود الدَّوْلَة ، وما يجري هذا المجرى .

[سجلّ بالدعوة للدولة والمشايعة لها ، والموافقة على مذهبها]

(صبح ١٠ : ٤٣٤) .

الحمدُ لله خالق ما وقع تحت القياس [2] والحَوَاس ، والمتعالي عن أن تُدركه البصائر بالاستدلال والأبصار بالإيناس ؛ الذي اختار الاسلامَ فأظهره وعظّمه ، واستخلص الإيمان فأعزَّه وأكرمه ؛ وأوجب بهما الحجة على الخلائق ، وهداهم بأنوارهما إلى أقصد الطرائق ، وحاطهما بأوليائه الراشدين شُموسِ الحقائق ، الذين نصبهم في أرضه أعلاماً ، وجعلهم بين عِبَاده حُكّاماً ، فقال تعالى : (وجَعَلْنَاهُمْ أئمّةً يَهْدُونَ بأمرنا وأوْحَيْنَا إلَيْهم فِعْلَ الخَيْرَاتِ وإقامَ الصّلاةِ وإيتاءَ الزّكاةِ وكانُوا لنا عابدين)[3]

يحمَدُه أمير المؤمنين أن اصْطفاه لخلافته ، وخصَّه بلطائف حِكْمته ، وأقامه دليلاً على مَنَاهجِ هدايتِه ، وداعياً إلى سبيل رحمتِه ، ويسأله الصلاةَ

---

(١) في الأصل « التفمم » ولم نعثر عليه في كتب اللغة . (هامش صبح) .

(٢) يريد بالقياس المعقول . (هامش صبح) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٧٣ .

على سيدنا محمد نبيّه الذي ابتعثه رحمةً للعالمين ، فأوضح معالمَ الدين ، وشرع ظواهره للمسلمين ؛ وأودع بواطنه لوصيّه سيد الوصيين : عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين ؛ وفوّض إليه هدايةَ المستجيبين ، والتأليفَ بين قلوب المؤمنين ؛ ففجّر ينابيع الرّشاد ، وغوّر ضلالاتِ الإلحاد ؛ وقاتل على التأويل كما قاتل على الرسل ، حتى أنار وأوضح السّبُل ؛ وحسر نقابَ البيان ، وأطلع شمسَ البرهان ؛ صلّى الله عليهما ، وعلى الأئمة من ذرّيّتهما ، مصابيح الأديان ، وأعلام الإيمان ، وخُلفاء الرحمن ؛ وسلّم عليهم ما تعاقب الملَوان ، وترادَف الجديدان .

وإنّ أمير المؤمنين بما منحه الله تعالى من شرَف الحكمة ، وأورثه من منْصبِ الإمامة والأئمّة ؛ وفوّض إليه من التوقيف على حُدود الدين ، وتبصير من اعتصمَ بحبله من المؤمنين ، وتنوير بصائر من استمسك بعُرْوته من المستجيبين — يُعلن بإقامة الدعوة الهاديّة بين أوليائه ، وسُبُوغ ظلّها على أشياعه وخُلصائه ؛ وتغذيةِ أفهامهم بلِبَانها ، وإرهاف عقولهم ببيانها ؛ وتهذيبِ أفكارهم بلطائفها ، وإنقاذهم من حَيْرة الشّكُوك بمعَارفها ؛ وتوقيفهم من علُومها على ما يَلْحَب لهم سبُلَ الرّضوان ، ويفضي بهم إلى رَوْح الجِنان وريح الحنَان ، والخلود السرمديّ في جوار الجَوَاد المنّان — ما يزالُ نظرُه مصروفاً إلى نَوْطِها بناشيءٍ في حِجْرها ، مغتذٍ بدَرّها سارٍ في نُورها ؛ عالمٍ بسرائرها المدْفُونة ، وغوَامضها المكْنُونة ، موفّراً على ذلك اختيارَه ، وقاصيةَ انتقاده واختباره ؛ حتّى أدّاه الاجتهادُ إليك ، ووقفَه الارتيادُ عليك ؛ فأسندَها منكَ إلى كفئِها وكافيها ، ومدْرَهِها المبرّزِ فيها ؛ ولسانها المترجِم عن حقائقها الخفيّة ، ودقائقها المَطْويّة ؛ ثقةً بوثاقة دينك ، وصحّةِ يقينك ؛ وشهودِ هَدْيك وهُدَاك ، وفضل سيرتك في كل ما وَلاّك ؛ ومحض إخلاصك ، وقديم اختصاصك ؛ وأجراك على رَسْم هذه الخدْمة في التشريف والحُمْلان ، والتنويه ومُضاعفة الإحسان .

فتقلّدْ ما قلّدك أمير المؤمنين مستشعراً للتقوى ، عادلاً عن الهوى ، سالكاً سبيلَ الهُدى ؛ فإنّ التقوى أحصَنُ الجُنَن ، وأزين الزّين ، و(ادْعُ إلى سبيلِ رَبِّك بالحِكْمةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهم بالّتي هيَ أحْسَن) [1] . فإن الله تعالى يقول : (ومَنْ يُؤتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كثيرا) [2] . وحَضّ على ذلك فقال سبحانه : (ومَنْ أحْسَنُ قَوْلاً ممّنْ دَعَا إلى الله وعَمِلَ صَالحاً وقالَ إنّني مِنَ المُسْلمين) [3] .

وخُذِ العهدَ على كل مستجيبٍ راغب ، وشُدّ العقْدَ على كل مُنْقاد ظاهر ، ممن يَظْهر لك إخلاصُه ويقينُه ، ويصحّ عندك عفافه ودينُه ؛ وحُضّهم على الوفاء بما تُعاهدُهم عليه ، فإن الله تعالى يقول : (وأوْفُوا بالْعَهْدِ إنّ العَهْدَ كانَ مَسْئولا) [4] .ويقول جل من قائل : (إنّ الذين يُبَايعُونَكَ إنّمَا يُبَايعُونَ اللهَ يَدُ الله فَوْقَ أيْديهم فَمَنْ نَكَثَ فإنّما يَنْكُثُ على نَفْسِه) [5] . و [كفَّ] كافّةَ أهل الخلاف والعناد ، وجادلْهم باللُّطْف والسَّداد ، واقبَلْ منهم مَنْ أقبلَ إليكَ بالطّوْع والانقياد ؛ ولا تُكْرِه أحداً على متابعتكَ والدخول في بَيْعتك ، وإنْ حمَلَتْكَ على ذلك الشفقةُ والرأفةُ والحَنَان والعاطفة : فإنّ الله تعالى يقول لمن بعثه داعياً إليه بإذنه : محمد صلّى الله عليه وسلم : (ومَا أكْثَرُ الناسِ ولَوْ حَرَصْتَ بمُؤْمنين) [6] .

---

(١) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٦٩ .
(٣) سورة فصلت ، الآية ٣٢ .
(٤) سورة الاسراء ، الآية ٣٤
(٥) سورة الفتح ، الآية ١٠ .
(٦) سورة يوسف ، الآية ١٠٣ .

ولا تُلْقِ الوديعةَ إلا لحفّاظ الودائع ، ولا تُلْقِ الحَبَّ إلا في مَزْرَعة لا تُكْدي على الزارع ، وتَوخَّ لغَرْسك أجلَّ المغارس ، وتُورِدْهم مشارع ماء الحياة المَعين ، وتُقرِّبْهم بقُرْبان المخلصين ؛ وتُخرِجْهم من ظُلَم الشكوك والشُّبُهات ، إلى نُور البراهين والآيات ؛ واتْلُ مجالس الحِكَم التي تخرج إليك في الحضرة على المؤمنين والمؤمنات ؛ والمستجيبين والمستجيبات ، في قُصُور الخلافة الزاهرة ، والمسجد الجامع بالمُعِزِّيَّة القاهرة ؛ وصُنْ أسرارَ الحِكَم إلا عن أهلها ، ولا تَبْذُلْها إلا لمستحقّيها ؛ ولا تكشفْ للمستضعفين ما يَعْجَزُون عن تحمُّله ، ولا تستقلُّ أفهامُهم بتقبّله ؛ واجمعْ من التبصّر بين أدلة الشرائع والعقُول ، ودُلَّ على اتّصال المتل بالممنون ؛ فإن الظواهر أجسامٌ والبواطنَ أشباحُها ، والبواطنَ أنفسٌ والظواهرَ أرواحُها ، وإنه لا قِوَامَ للأشباح إلا بالأرواح ، ولا قِوَامَ للأرواح في هذه الدار إلا بالأشباح ، ولو افترقا لَفَسَدَ النِّظام ، وانتسخَ الإيجادُ بالإعدام . واقتصرْ من البيان ، على ما يحرُس في النفوس صُورَ الإيمان ، ويصونُ المستضعفين من الافتِتَان ؛ وانْهَهُم عن الإثم ظاهرِه وباطنِه ، وكامنِه وعالنِه ، فإن الله تعالى يقول : (وذَرُوا ظاهِرَ الإثم وباطنَه) [1] .

واتّخذْ كتاب الله مصباحاً تقتَبس أنوارَه ، ودليلاً تقْتفي آثارَه ؛ واتلُهُ متبصِّراً ، وردِّدْهُ متذكِّراً ، وتأمَّلْه متفكراً ؛ وتَدبّر غوامض مَعانيه ، وانشُرْ ما طُوي من الحِكَم فيه ؛ وتصرّفْ مع ما حلَّله وحرَّمه ، ونقَضه وأبرمه ، فقد فَصَّله الله وأحْكمه ؛ واجعل شَرْعه القويمَ الذي خَصَّ به ذَوي الألباب ، وأوْدَعه جوامعَ الصلوات ومحاسنَ الآداب ، سبباً تَتَّبِع جادَّته ، وتبلُغ في الاحتجاج محجَّته ، وتمسَّكْ بظاهره وتأويله ومُثُله ، ولا تعدِل عن مَنْهجه وسُبُله ؛ واضْمُم نَشَر المؤمنين ، واجمع

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٢٠ .

شمَل المستجيبين ، وأرشِدهم إلى طاعة أمير المؤمنين ؛ وسوِّ بينهم في الوَعظ والإرشاد ، والله تعالى يقول في بيته الحرام : (سَواءٌ العَاكفُ فيهِ والبَاد) [1] وزِدْ لهم من الفوائد والموادِّ على حسب قُواهم من القَبول ، وما يظْهرَ لك من جَوْدة المحصُول ؛ ودَرِّجهم بالعلم ووَفِّ المؤمنَ حقَّه من الاحترام ، ولا تُعْدِم الجاهلَ عندك قَوْلاً سَلاماً كما علَّم رَبُّ السلام : وتوخَّ رعاية المؤمنين ، وحمايةَ المعاهدين ، وميِّزهم من العامة بما مَيَّزهم الله من فضل الإيمان والدين ؛ وألِن لهم جانبَك واحْنُ عليهم والْطُفْ ، وابسُطْ لهم وجهَك وأقبِلْ إليهم واعْطِف ؛ فقد سمعتَ قول الله تعالى لسيد المرسلين : (واخْفِضْ جَنَاحَك لِمَنِ اتّبَعَك مِنَ المُؤمنين) [2] . ولا تُفَسِّح لأحد منهم في التطاوُل بالدين ، ولا الإضرارِ بأحد من المعاهدين والذمِّيِّين ، وميِّزهم بالتواضُع الذي هو حلْيَةُ المؤمنين ؛ وإذا ألْبَس عليك أمرٌ وأشْكَل ، وصَعُب لديْكَ مَرَامٌ وأعْضل ، فأنهِه إلى حضرة الإمامةِ متَّبِعاً قول الله تعالى : (فَاسْأَلُوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُم لاتَعلَمُونَ) [3] . وقوله : (فإنْ تَنَازَعْتُم في شَيءٍ فردوه إلى الله والرَسُولِ إن كُنْتُمْ تُؤمنُونَ بالله واليَوْمِ الآخر ذلك خَيْرٌ وأحْسَنُ تأويلا) [4] : ليخرجَ إليك من بصائر توقيفها ، ومَراشد تعريفها ؛ ما يقِفُك على مَنَاهج الحقيقة ، ويذْهَبُ [بك] في لاحِبِ الطَّريقَه ؛ واقبِضْ مايحمله المؤمنون لك من الزكاة والجِزَى [5] والأخماس والقُرُبات وما يجري هذا المجرى ؛ وتتقدّمُ إلى كاتب الدعوة بإثبات أسماء أربابه ، واحمِلْه إلى

---

(١) سورة الحج ، الآية ٢٥ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ٢١٥ .

(٣) سورة النحل ، الآية ٤٣ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

(٥) جمع جزية وهي خراج الأرض وما يؤخذ من الذمي . (هامش صبح) .

أمير المؤمنين لينتفع مخرجوه بتنقيله له ووُصُوله إليه ، وتَبرأ ذِمَمُهم عند الله منه . واستنِبْ عنك في أعمال الدعوة من شُيُوخ علم الحكْمَة ومَنْ تَثق بديانته ، وتسكُنُ فيه إلى وُفُور صناعته ؛ واعْهَد إليهم كما عُهِد إليك، وخُذْ عليهم كما أُخِذَ عليك، واستطْلِقْ لهم من فضل أمير المؤمنين مايُعينهم على خِدْمته ، ويحملُ ثِقْلَهم عن أهل دَعْوته ؛ واستخْدِم كاتباً دَيِّناً أميناً مُؤمناً بصيراً عارفاً ، حقيقاً بالاطّلاع على أسرار الحكْمَة التي أمر الله بصيانتِها وكِتْمانها عن غير أهلها، نقياً حَصيفاً لطيفاً، يُنْزِلهم في مجلسك بحسَبِ مراتبهم من العلم والدين والفضل .

هذا عهد أمير المؤمنين فتدبّره متبصّراً ، وراجعه متدبّراً ، وبه الوصايا تَهْدي وتُسدِّد ، وتوفِّق وتُرشد ، واستعن بالله يمدّك بمعونته ، ويُدِم حظاك من هدايته ؛ إن شاء الله تعالى .

[من مقاصد المكاتبات : الإخوانيات]

(صبح ٩ : ٥) قال في « مواد البيان » :

ولها موقع خطير من حيث تشترك الكافة في الحاجة إليها .

قال : والكاتب إذا كان ماهراً ، أعزب معانيها ، ولطّف مبانيها ، وتسهّل له فيها ما لا يكاد أن يتسهّل في الكتب التي لها أمثلة ورسوم لاتتغير ولا تُتجاوَز .

[التهاني]

كُتب التهاني من الكتب التي تظهر فيها مقاديرُ أفهام الكتّاب ،ومنازلهم من الصناعة ، ومواقعهم من البلاغة . وهي من ضروب الكتابة الجليلة النفيسة، لما في التهنئة البليغة من الافصاح بقدر النعمة ، والإبانة عن موقع الموهبة ، وتضاعُفِ السرور بالعطية . وأغراضها ومعانيها متشعّبة لا تقف عند حدّ . وإنما نذكر منها الأصول التي تفرّعت منها فروع رجعت إليها ، وحُملت عليها .

ويجب على الكاتب أن يراعيَ فيها مرتبة المكتوب إليه والمكتوب عنه في الرسالة اللائقة بهما مما لا يُتسامح بمثله .

[تهنئة بولاية الوزارة]

(صبح ٩ : ٩) من إنشاء علي بن خلف في « مواد البيان »

أطال الله بقاءَ حضرةِ الوزارة السامية ، فارعةً من المعَالي أسمَقَها نُجُوداً ، كارعةً من المِنَنِ أعذبَها وروداً ، ساحبةً من الميَامِين أرقَّها بُروداً ؛ ممتَّعةً بالنِّعم التي يُرامى الشُّكْر عن حَوْزتِها ، ويُحامي البِشْرُ عن حَوْمتِها ؛ مبلِّغةً في أوليائِها وأعدائِها ، قاضيةً ما ترتمي إليه رِحَابُها ؛ فلا ترى لها وليّاً إلاّ لاحِبَ المَذْهَب ، ثاقبَ الكَوْكَب ؛ سامي الطَّرْف ، حامي الأنْف ؛ ولا عدوّاً إلا ضَيِّقَ المَطْرَح ، وَعِرَ المَسْرَح ، صالدَ الزَّنْد ، مفَلَّل الحَدّ ؛ راغِمَ العِرْنين ، مَتْلُولاً للجَبين . ولا زالتْ أزِمَّةُ الدنيا بيَدِها حتّى تَبْلُغ بآمالها مُنْتَهاها ، وتَجْري بأيّامها إلى أقْصى مَداها ؛ [فهي] من أعظَم النِّعم خَطَراً ، وأحسَنِها على الكافّة أثراً ؛ وأوْلاَها بأن يُفاضَ في شكرها ، وتتعَطَّرَ الآفاقُ بذِكْرها . ولسيدنا الوزيرِ الأجلِّ يَرَاعٌ يستيْقِظ في صلاحهم وهم هاجِعُون ، ويَنْصَبُ في الذَّبِّ عنهم وهم وادِعُون ؛ وَكَلَ تدبيرَهُم فيه ، إلى مدَبِّر يخافُ الله ويتّقيه ، ويعمَل فيمَنِ استَرْعاهُ بما يرتَضيه ؛ ولا يمُدّ يَدَ الاقتِدار عليهم متسلِّطاً ، ولا يتّبِع دَواعيَ الهَوى فيهم متسَقِّطاً ؛ واضعاً الأشياءَ في حقائقها ، سالكاً بها أمثَلَ طرائقِها ؛ مُلاَيِناً من غير ضَعْف ، مُخَاشِناً من غير عُنْف ؛ قريباً من غيرِ صغَر ، بَعيداً من غير كِبْر ؛ مُرَغِّباً بلا إسْراف ، مُرْهِباً بإنصاف ؛ ناظراً إلى محقَّرات الأمور وأطرافِها ، كما ينْظُر في معاظِمها وأشْرافها ؛ آخِذاً بوَثَائق الحَزْم ، متمسِّكاً بعَلاَئق العَزْم ؛ رامياً بفِكْرته من وراءِ العَوَاقب ، خاطِماً بآرائه أنُوفَ المَصَاعب ؛ ناظِماً بإيالَته عُقُود

المصالح ، مُوَطِّئاً بِرياضَتِه ظُهور الجَوَامح ؛ إن ثَقَّفَ ذا النَّبْوة الفَريدة ، والهَفوة الوحِيدة ؛ اقتصر على ما يُوافقه الوالدُ الحدِب ، من مُقَوِّم الأدَب [، إنْ قبَضَ][1] على المرتكِس في غَوَايته ، المُفْلس في عِنَايته ، ضَيَّق عليه مجالَ العَفْو ، وأحاق به أليمَ العذاب والسَّطْو ؛ فقد سكَنَت الرعيَّةُ في عَدْله ، وأوَتْ حَرَماً مَنيعاً من ظِلِّه ، وَوثِقتْ أنَّ الحق بنظره شامخٌ شاهق ، والباطلَ سائخ زاهِق ؛ والإنصافَ مبْسُوط منْشُور ، والإجحاف مَخطُوط مبْتُور ؛ والشَّمل منْظُوم ، والشَّرَّ مضْمُوم . فنطَقَت ألسنَتُها بإحْماده ، واشتملَتْ أفئدتُها على وِدَاده ؛ واتفقَتْ أهواؤها على رِيَاسته ، وتطابقتْ آراؤها المسابِقةُ على دَوام سيادَته ؛ وعرفَ أميرُ المؤمنين عَدْقَ النظر في دَولته ؛ وسلَّم أمورَ مملكته إلى النَّصيح المأمُون ، والنَّجيح الميمون ؛ الذي وفَّقه الله تعالى لاختياره ، ويَسَّره لاصطفائه وإيثاره ؛ وأنّه قد ناط الكَرى ، وتَوَدَّع بعدَ السَّيْر والسُّرى ؛ وألمّ من إلمامِ مُلِمٍّ مُعْضِل ، وحُدوث حَدَثٍ مُشْكِل . وهذه نعمةٌ تَعُمُّ الخاصّة والعامّة عُمومَ الغيث إذا هَمَع وتدفَّق ، وتشْمَلُهم شُمولَ النهار إذا لَمَعَ وتألَّق ، وهم أَوْلى بالتهنئة فيها وشكْرِ الله تعالى عليها .

وسيدُنا الوزيرُ حقيقٌ بأن يُهْدى إليه الدعاءُ المرفُوع ، والتضَرُّع المسمُوع ، بأن يُنْهِضَه الله تعالى بما حَمَّله ، ويُعينَه على ما كَفَّله ، ويتولاَّه بتوفيق يثقبُ أنوارَه ، وتأييدٍ يُطَبِّق غِرَارَه ، وتسديدٍ يحسِّن آثارَه ، وإجراءِ ما يتولاّه على أوْضح سبيلٍ وأقصَده ، وأرجحِ دليلٍ وأرشَدِه ، إذ لا يجوز أن يَهْنأ بماله عَياؤه وكَلُّه ، ولمذْعِنيه صلاحُه كلُّه . والعبد يسألُ اللهَ ضارعاً لدَيْه ، باسطاً يدَه إليه ؛ في أن يَقْبَل صالحَ أدعيَته لحضرة

---

(1) الزيادة يقتضيها المقام كما لا يخفى . (هامش صبح) .

الوزارة السامِيَة ، وأن يجعل ما أحَلَّه في مَحلّه من رياستها ، وأوقعه في موقعه من سياستها ، دائباً لا يُنْتَزَع ، وخالداً لا يرتجع ؛ وأن يؤيدها فيه بما يقضي له بالإحراز والتخويل ، ويحميه من الابتزاز والتحويل ؛ إنه سميع الدعاء ، فعّال لما يشاء ، إن شاء الله تعالى .

[تهنئته بولاية القضاء :]

(صبح ٩ : ١٦) من إنشاء علي بن خلف ، اوردها في «مواد البيان » :

أولى المنح أن يُتفاوض شكرها والتحدث بها ، ويُتقارض حمدُها والقيامُ بواجبها ، نعمةٌ شمِل عِطافها ، وعمّت ألطافُها ؛ واشترك النـــاسُ فيها اشتراك العموم ، وحلّت منهم في النفع محلّ الغيث السَّجوم . وهذه صورة النّعمة في ولاية قاضي القضاة — أطال الله بقاءه — لما تتضمَّنه من إثبات العدْل والإنصاف ، وانحسار الجَوْر والإجحاف ؛ واعتلاء الحق وظهوره ، واختلاء الباطل وثبوره ، وعز المظلوم وإدالتـــه ، وذلّ الظَّـلوم وإذالتـه ، وتمكين المضعوف واقتداره ، وانخزال العسوف واقتساره . وإنْ هَنَّأْتُه حرسُ الله عُلاَه بموهبَة أتى بارقُها بجميل الثّنـاء ، وجزيل الجَزَاء ؛ قد ناء من تحمّلها بباهظ الشيء ومتعبه ، وقام من سئلها بكل الأدب ومنصبه ، عدلت عن الأمثل وضَلِلْتُ عن الطريقة المُثْلى ، لكنّني أهنِّئـه خصوصاً بالمواهب المختصَّة بـه اختصاصَ أطواق الحمائم بأعناقها — والمناقِبِ المُطيفةِ بـه إطافَةَ كواكب السَّماء بنطاقها ، في أنْ ألَّف اللهُ القلوبَ المتباينةَ على الإقرار بفضله ، وجمعَ الأفئدةَ المتنافيةَ على الاعتراف بقُصور كلِّ محلٍّ عن محلّه ، وجعل كلَّ نعمة تُسْبغ عليه ، ومِنَّة تُسْدى إليه ؛ موافقةَ الآمالِ والأماني ، مُفْضيَـةً للبشائر والتّهاني : لأنّ مَنْ أحبَّ الحقَّ وآثره ، ولبِسَ الصِّدْق واستشعره ؛ يَنْطِقُ بلسان الإرادة والاختيار ، ومَنْ تركَهُا وقَلاَها ،

وخلعتهما وألقاها ، ينطق بلسان الافتقار والاضطرار – والخصائص التي هو فيها نسيج وحده ، وعطر يومه وغده – والمحاسن التي هي أناسي عين الزمان ، ومصابيح أعيان الحسن والإحسان . ثم أعود فأهنئه عموماً بالنعم المشتركة الشمول ، الفضفاضة الذيول ؛ التي أقرت القضاء في نصابه ، وأعادت الحكم إلى وطنه بعد نجعته واغترابه ، وأعلتهما في الرتبة الفاضلة ، وقدعت بهما أنف الذروة العالية . وأرفع يدي إلى الله تعالى داعياً في إمداد قاضي القضاة بتوفيق يسدد مراميه ، ويرشد مساعيه ؛ ويهذب آراءه ويصححها [1] ، ويبلج أحكامه ويوضحها ، ويخلد عليه النعمة خلودها على الشاكرين ، ويبصره بحسن العقبى في الدنيا والدين ، وهو سبحانه يتقبل ذلك ويرفعه ، إن شاء الله تعالى .

[تهنئته بولاية الدعوة على مذهب الشيعة]

(صبح ٩ : ١٩)

أطال الله بقاء داعي الدعاة لصباح من الرحمة يبلجه ، وطريق من الحكمة يظهر بيانه ، وليل من السنة ينزع طيلسانه ؛ وحرسه على الإيمان يجدد ما أخلق من بروده ، وينظم ما وهى من عقوده ، وعلى المؤمنين يفتح لهم أبواب الرشاد ويهمي إليهم سماء الإفادة والإمداد . ولا زالت الحقائق مقصودة منه بالميزة التي رشحته لحفظ مبانيها ، وأهلته للعبارة عن معانيها ؛ حتى يرقمها في الأخلاد ، ويمحو بها رسوم العناد ، وينشر بشرها في الآفاق والبلاد . أنا أعدل عن هناء داعي الدعاة – أطال الله بقاءه – بما عدق به من أمر الدعوة الهادية العلوية ،

---

(١) في الأصل ويفخمها وهي تصحيف لا تناسب المقام . (هامش صبح)

ونُصِب له من فَرٍّ مَضَاحك المُشْكلات عن أسرار الحقائق الإلهيّة ، والترجمة عن غوامضِ الحِكَم الشَرْعيّة ؛ والتوقيف على مَوَارد الهُدى ومَشَارعه ، والإرشادِ إلى مَشَارق الحق ومَطالعه ؛ إلى هَنَاءِ الدّعْوة وأهلها بما قيَّضه الله تعالى لهم من محلّه الرفيع الذي ألحقه العقلُ نحوَ هذا الكمال ، ووطّأ له مَدَارجَ الرّقِيّ والاتّصال ؛ فشَفّتْ نفسُه وشَرُفَتْ ، وتَطلَّعتْ على عالَم الملكوت وأشرَفَتْ ؛ وجَنى بيَدِ التّبصرَة ثِمَارَ الحِكْمة ، واستنزلَ بمَنْزلِ المُوادّ غُيوثَ النّعمة ؛ وجَرَّد الضّياء من الظلام ، تجريدَ الأرواح من الأجسام إلى دار السلام ؛ واستمدّ بلطيفته موائدَ علوم عالَمِ اللّطافة ؛ وأمدّ بمرَكّب ألفاظها تحاكم الكافَة ، وحَلَّ في الغَبْراء محلَّ الغَرّاء في الخَضْراء ، إن أوضحَتْ سبيلَ سائرٍ بجنب طريقٍ جائر تُوَصِّل بنزوعها غاشية إظلام ، حُسِر عن الحق قِناعُ إبهام ، أو فعلَتْ (٢) في الجواهر زيادة وثمرة (؟) أخذت تعاديا (؟) فأدْلَتْه للهمم العاملة شَرَفاً وسُمُوّاً : لما أعلى بذلك من قَدْرها وقَدْرِهم ، وطيَّب من ذكْرها وذكْرهم ؛ وأعْطف إلى الدعاء لداعي الدُّعاة بأن يجعل الله تعالى ما خُوّله من هذه الرياسة راهناً لا يُرتَجع ، وما نُوّله من هذه السيادة مستقرّاً لا يُنتزع ؛ وأن يؤيده بالتوفيق ، ويُعبِّد له مناهج التحقيق ، ويُطلق لسانه بالبيان ، ويمدّه بروح منه في نصرة الإيمان ؛ وقد حتم الله تعالى باجابة واعية ، ولا سيما داعي الدعاة [فإنه] جدير بأن يُجاب الدُّعاء فيه ، إن شاء الله تعالى .

قال في « مواد البيان » : وإنما أوردت هذا المثال بهذه الألفاظ ، لأن ألفاظ هذا الداعي يجب أن تكون مشتقة من ألفاظ الدعوة ، مناسبة لمذهبها ؛ ولولا ذلك لأغنى عنه مثال تهنئة قاضي القضاة ؛ ومن تأملهما عرف ما بينهما من الفُرقان .

---

(١) كذا في الأصلين ولم نهتد إلى تثقيفه تأمل (هامش صبح) .

[الاجوبة عن التهاني بالولايات]

(صبح ٩ : ٢٣) قال في « مواد البيان » :

هذه الكتب إذا وردت ، وجب على المجيب أن يستنبط من كل كتاب منها المعنى الذي يجيب به .

قال : والطريقة المستعملة فيها أن كتابَ المجيب يجب أن يبنى على أنّ المهنئ قسيمٌ في النعمة المتجدّدة ، وشريك في المنزلة المستحدثة ، وأن الحظ الأوفرَ فيما نالَه المهنَّى للمهنِّى وببركة دعائه ، وتوقعه لما يرد من حاجاته وتبعاته لينفّذها ، نازلاً على أخلص مخالصته ، وعاملاً بشروط مودّته ، ونحو هذا مما يضارعه . فان كان المجيب رئيساً أو مرءوساً وجب أن يرتّب الخطاب على ما تقتضيه رتبة كل واحد منهما .

[الاجوبة عن التهنئة بكرامة السلطان ورضاه بعد غضبه]

(صبح ٩ : ٢٩٠) قال في « مواد البيان » :

يجب أن تكون أجوبة هذه الرقاع مودعة من الثناء على المهنِّى لمحافظته على رسوم المودة وقيامه بشروط الخلة — ما تقتضيه رتبته ورتبة المجيب ، وأنه مشارك له في متجدد النعمة ، مفاوض في حديث المسرَّة ، والتيمن بالدعاء . ونحو هذا مما يحسن موقعه عند المبتدىء بالهناء ؛ ويضعه بحيث وضع نفسه من الاختصاص بمن كاتبه .

[التهنئة بالقدوم من السفر]

(صبح ٩ : ٣٣) من كلام المتقدمين : عليّ بن خلف :

ويُنْهي أنّه اتّصل بالمملوك خبرُ توجُّهه [1] إلى الناحية ألفلانية ،

---

(١) في الأصل « وجهته » وهو تصحيف إذ الوجهة الناحية والجهة وهو غير مراد كما لا يخفى (هامش صبح) .

فعرَفَ المملوكُ أنه قصَدَهـا ليُخصّ قاطِنيها ، بنصيبٍ من مَواهِبه ، ويُفيضَ على ساكنيها ، سجالاً من رَغائِبه ؛ ويسَوِّيَ بينهم وبين من راشَه بحِبَائِه ، وجَبَره بنوافله وآلائه ؛ فسألتُ الله تعالى أن يطيلَ عُمُر المكارِم بإطالة بَقائه ، ويجمَعَ شَمْل السؤدَد بدَوَام عَلائه ، ثم اتّصل بي عودُه إلى مَقَرّه ، خَفيفَ الحقائِب من وَفْره ، ثقيلَها من ثَنائه وشُكْره ، فحمد المملوكُ اللهَ تعالى على إسْفارِ سَفَرهِ عن بلوغ الأوطار ، وانحسار أُمنيَته عن أذيال المَسَارّ ؛ وما خصَّه به من السَّيْر الشَّحيح ، والسّعْي النَّجيح ، والسَّلامةِ المفرَّقة على الوِجْهة والمنقَلَب ، والمفتَتَح والمعتَقَب ؛ ولمّا عرض للمَلُوك ما قطَعه عن مُشافَهتِه بالدعاء ، رفَع يدَه إلى الله تعالى ضارعاً لَدَيْه في أن يتولاّه في هذا المَقْدَم الميمون ، بالسعْد المَضْمُون ، وإنالة الأماني المُقِرّة للعُيُون ؛ وأن يمنَحه في الحِلّ والتَّرْحال ، والقَطْن[1] والانتقال ، توفيقاً يقارِنُ ويُصاحِبُ ، ويسايِر ويُواكِب ؛ وأنْ يجعلَ ما خَوَّله من نعمه راهناً خالداً ، وما أولاه من مَواهِبه بادئاً عائداً ، إن شاء الله تعالى ،

وله أيضا :

ويُنْهِي أنه طلَع عليه البشير ، طُلوعَ القمَر المُنير ، مُؤذِناً بمَقْدَم حضرتِه ، ومُعْلِماً بظُهُور طَلْعته ، وحُلُوله في مَعَانه[2] الذي هو مَعَانُ الإقبال ، وعَون الرجال ، وقرارُ الأقْيال ، ومَحَطُّ الرِّحال ؛ وقبلةُ الجُود ، ومُعرَّس الوُفُود ؛ فسألت الله تعالى أن يُبقيَه جمالاً للأيّام ، وثِمَالاً للأنام ، وعماداً للقُصَّاد ، ومَرَاداً للرُّوّاد ، والله تعالى لا يُخْليه

(١) مصدر قطن في كتب اللغة التي بأيدينا علي فعول لا على فعل . (هامش صبح) .
(٢) في القاموس واللسان « المعان المباءة والمنزل » وأورداه في مادة معن (هامش صبح) .

في تصرُّفاته ، وجميع حركاته وسكَنَاته ، من سَعْي سعيد ، وعيشٍ رَغيد ، بمنّه وكرمه .

[أجوبة التهنئة بالقدوم من السفر]

(صبح ٩ : ٣٨) قال في « مواد البيان » :

أجوبة هذه الرّقاع ينبغي أن تُبنى على الاعتّراف للمهنِّىء بحق تعهُّده ، وكرم تفقُّده ، وإطلاعه على الحال في السَّفر ، وما أفضت إليه من السلامة ، والتأسف على ما تقضّى من الأيام في مباعدته ، والتخلّف عن مباسمته ؛ وأنه لم يزل يدَّرع الإدلاج ، ويقطع الفجاج ؛ رغبة في القدوم إليه ، والوفادة عليه ؛ وبلّ الغُلّة برؤيته ، وترويح النفس بمحاضرته ؛ وما يليق بهذا النمط من الكلام .

[أجوبة التهنئة بالمواسم والأعياد]

(صبح ٩ : ٥٢) قال في « مواد البيان » :

هذه الكتب والرقاع مضمونها الهناءُ بالموسم الجديد ، والدعاء للمهنأ فيه بتمليّه .قال : وهذا المعنى مُفاوض بين المهنِّي والمهنَّى ، وينبغي أن تكون أجوبتها مشتقة منها .

ثم قال : وقد يتصرف الكتّاب فيها إذا كاتبوا الرؤساء تصرفاً يخرج عن هذا الحكم .

[أجوبة التهنئة بالزواج والتسرّي]

(صبح ٩ : ٥٦) قال في « مواد البيان » :

أجوبة هذه الرّقاع يجب أن تكون شكراً للمهنِّىء على العناية والاهتمام ،

و [مشتملة على] الإبانة عن موقع دعائه من التبرك والتيمّن به ، إلاّ أن تكون البداية بمعنى يخرج عما هذا جوابُه ، فينبغي أن يُجاب عنه بما يقتضي الإجابة عن ذلك .

[التهنئة بالبنين]

(صبح ٩ : ٥٧) لعلي بن خلف :

ويُنْهي أنه اتّصل بالمملوك بُزُوغُ نَجْمِ سعدٍ في مَشارق إقْباله ، مُؤذن باتّساق سُمُوّه وجَلاَله ؛ فأحدَثَ من الجَلاَل والاستبشار بمَقْدَمِه ، والتَبَرّك والتيمّن بقَدَمه ؛ ما تلألأتْ على المملوك أنوارُه ، وحسُنَتْ عنده آثارُه ؛ وسألتُ الله تعالى راغباً إليه في أن يُعرِّفَه سعادَةَ مَوْلِده ، ويُمْنَ مَوْفِده ، ويجعلَه شادّاً لعَضُده ، ومُورياً لزَنْده ؛ ويَشْفَعَه والسادَةَ السابقين ، بنُجباءَ مُتلاحقين ؛ يتَبَلّجُون في نِطَاق سعادته ، ويتَوسّمون في آفاق سيادته ؛ ويَصُونَ سلْكَهم من الانفصام ، وشَمْلَهُم من الإنهدام ؛ ويُبقيَهم غُرَراً في وُجُوه الأيّام ، وأقماراً في صَفَحات الظّلام ؛ بمنّه وفَضْله ، إن شاء الله تعالى .

وفيه له : ويُنْهي أنّ المملوكَ يشْكُرُ الله تعالى على ما أنزلَهُ عِنْدَ مَوْلانا من عَوَارفه ، واختصَّه به من لطائفه ؛ شُكْرَ مَنْ شاركَهُ في النعمة المُسْبَغَة عليه ، وانتهى إليّ خبَرُ السّنَد المتجدّد لمَوْلانا ، فطار المملوكُ بخَوافيَ السّرور ومَقادمه ، وأخذَ من الابتهاج بأوْفى قسَمه ؛ وسأل الله تعالى أنْ يُباركَ له في عطيّته ، ويُرْدِفَه بزيادته ؛ ويُوفّر عدَدَه ، ويشُدَّ بصالح الوَلَد عَضده ؛ ويُجْنيَه من هذا القادم ثمَارَ المسَرّة ، ويُريَ عينَه منه أقَرَّ قُرّة ؛ ويَشْفَع المِنْحة في مَوْهِبته بإطالة مُدّته .

وفيه : ويُنْهي أنّ أفضلَ النّعم مَوْقِعاً ، وأشْرَفها خطَراً ومَوْضعاً ؛

نعمةُ الله تعالى في الولد : لزيادتها في العَدَد وقُوّة العَضد ، وما يتعجّل من عظَم جَمالها وزينتها ، ويُرجى من حُسْن مآلها وعاقبتها ، في حفظ النّسب والأصل ، وحُسْن الخِلافةِ على الأهل ، وجميلِ الذّكر والثّناء ، ومتقبَّل الاستغفار والدُّعاء ، وقد اتّصل بالمملوك بُزوغُ هلال سماء المَجْد ، ومتعلَّق الإقبال والسّعْد ، فأشرقَتِ الأيامُ بإشراقه ، ووثِقَتِ الآمالُ باجتلائه واتّساقه ، فقام المملوك عن مولانا بشُكْر هذه النعمة المتجدّدة ، والمَوْهِبة الراهنة الخالدة ، وهنّأتُ نفسي بها ، وأخذتُ بحظّي منها ، والله تعالى يعرّفه يُمْنَ المولودِ من أطهر والدة وأطيبِ والد ، ويُعمِّر به منزله ، ويؤنس ببقائه رَحْلَه ، ويبلّغ محبيه ، من الآمال فيه ، ما بلّغهم في الماجد أبيه ، إن شاء الله تعالى .

وفيه : ويُنْهي أنّ نِعَمَ الله تعالى وإن كانتْ على مولانا متظاهره ، ولديه مُتناصِره ، فقد كان المملوك يرغَبُ إلى الله تعالى في أن يُجمِّل الأيامَ من نَسْله ، بمَنْ يحفَظُ عليها شرفَ أصْله ، ويَخْلُفُه بعد العُمُر الطويل في نُبله وكرَمِ فِعْله ، ولمّا اتّصل بالمملوك نبأ هذا الهلال البازغ في سَمائه ، المُقرّ لعُيون أوْليائه ، المخيّبِ لظُنُون أعدائه ، حَمِدتُ الله تعالى على مَوْهِبَته ، وسألتُه إقرار نِعْمته ، وأن يُعرّف مولانا بركة قَدمه ، ويُمْن مَقْدَمه ، ويُوفّر حظّه من زيادته ، وسعادَةِ وِفَادته ، وأن يجعَلَه برّاً تقياً ، مباركاً رضيّاً ، ويفسّح في أجله ، ويُبلّغه فيه أمَلَه ، إن شاء الله تعالى .

[التهنئة بالبنات]

(صبح ٩ : ٦٠) لعلي بن خلف :

ويُنهي أن المملوك اتّصل به ارتماضُ [1] مولانا بقدم الكريمة الوافدة ،

(١) يريد قلقه وعدم انبساطه (هامش صبح) .

بطالع السعادة المتجددة ، فعجبَ الملوكُ من وقوع ذلك من مثل مولانا مع كمال نُبله ، وشرف عقله وعلمه ؛ فإنَّ الله تعالى جلَّ اسمُه يقول : (يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثاً ويَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكورَ)[1] وإن ماجدَّده الله تعالى من مَواهبه جديرٌ أن يُتَلقَّى بالسرور والفَرَح ، لا بالاستياء والتَّرَح ؛ لا سيَّما والذَّكَرَ إنما يتفَضَّل على الأنثى بنَجَابته ، لا بحليته وصورته ، وقد يقعُ في الإناث مَنْ هو أشرفُ من الذكور طَبْعاً ، وأجزَلُ عائدةً ونَفْعاً ؛ وقد رُوِيَ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذَا رُزِقَ العَبْدُ الأنثى نادى مُنادٍ من السماء : يا أهْلَ الدار أبْشِرُوا بالرِّزق » واذا رُزِقَ ذكراً نادى منادٍ من السماء : يا أهل الدار أبْشِرُوا بالعِزِّ » فليستقبل مولانا الرِّزْقَ بالشُّكْر فإنّ العِزَّ يَتْبَعه ، ولا يُعارِضُ اللهَ تعالى في إرادته ، ولا يستقِلُّ شيئاً من هِبَته ؛ والله تعالى يُعرِّفه يُمْنَ عهُودها ، وسعادَة قُدُومها ، وأن يَسُرّه بعدها بإخْوةٍ متَتابعين متلاحقين ، يؤيِّدُون أمرَه ، ويُحيُون بعد العُمْر الأطول ذِكْرَه .

[الاجوبة عن التهنئة بالاولاد]

(صبح ٩ : ٦٢) قال في « مواد البيان » :

أجوبة هذه الرّقاع يجب أن تُبنى على شُكْر اهتمام المهنِّئ ورعايته ، والاعتداد بعنايته ؛ وأن الزيادة في تجدّد المهنى [به] زيادةٌ في عَدَده ، وأن نصيبه من تحرُّك السرور فيما يخلص إليه من المواهب كنصيبه : لتناسبُهما في الإخاء ، وتوافيهما في الصفاء ، وأن تراعى مع ذلك مرتبة المهنّي والمهنَّى ، ويبنى الخطاب على مايقتضيه كلٌّ منهما .

---

(١) سورة الشورى ، الآية ٤٩ .

[أجوبة التهنئة بالابلال من المرض والعافية]

(صبح ٩ : ٦٩) قال في « مواد البيان » :

أجوبة هذه الرّقاع يجب أن تكون مبنية على وصف الألم وصورته ، وما تفضل الله تعالى به من إماطته ، وشكر المهنّي باهتمامه وعنايته .

[التهنئة بنزول المنازل المستجدة]

(صبح ٩ : ٧١) فمن ذلك [من انشاء] علي بن خلف :

أشرف المنازل رُقعه ، وأترفها بُقعه ، وأرفعها رفعه ؛ ما اتخذه مولانا لنفسه موطناً ، وجعله بنزوله فيه حرماً آمناً ؛ وصيّره بمخصب مكارمه للعفاة مَرَاداً ومقصداً ، وبمُعذب نوافله للظُّماة مشرعاً وموردا ؛ وللسؤدد بمجده معقلاً ، وللرياسة بشرفه منزلا ؛ والله تعالى يجعل هذه الدار التي تديّرها وحلّها ، وحطّ بها رحله ونزلها ؛ مأهولة ببقائه ، آنسة بسُبُوغ نعمائه ، عامرة بسعادته ، مشيدةً بتناصر عزّه وزيادته ؛ لا تخطئُها حوائم الآمال ، ولا تتخطّاها ديَم الإقبال ؛ ويُعرِّفه من بركتها ، ويمن عتبتها ، ما يقضي بامتداد الأجل ، وانفساخ الأمل ، وبلوغ الأماني ، واتصال التهاني ، بمنّه وكرمه ؛ إن شاء الله تعالى .

[أجوبة التهنئة بقرب المزار، ونزول المنازل المستجدة]

(صبح ٩ : ٧٣) قال في « مواد البيان » :

أجوبة هذه الرقاع يجب أن تبنى على الاعتداد للمهنّى بتعهّده ، والشكر له على تودّده ، والابتهاج بهنائه ؛ والتبرك بدعائه ، وأن المستجدّ غير مباين

لمنزله ، ولا خارج عن أحكام محلّه ؛ وأن تمام بركته ، أن يؤنس فيه بزيارته؛ وما يشابه هذا .

[أجوبة التهنئة بإسلام ذميّ]

(صبح ٩ : ٧٤) قال في « مواد البيان » :

أجوبة هذه الرقاع ينبغي أن تكون مبنيّة على شكر المَهنّأ للمهنّىء ، واعترافه بنعمة الله تعالى عنده ، وابتهاجه بممازجته في الدّين ، الذي جعل الله أهلَه إخواناً متصافين ، وخُلاّناً متوافين ، ومنّ عليهم به ، وبإماطة الحسائِف [١] من قلوبهم ، ونحو هذا .

[أجوبة التهنئة بالصرف عن الولاية والخدمة]

(صبح ٩ : ٧٨) قال في « مواد البيان » :

يجب أن تكون أجوبتها مبنية على شُكر الاهتمام والاعتداد بالمشاركة في الأحوال ، مع وقوع ما ورَد من الخطاب الموقع اللطيف ، وما ينتظم في هذا السلك .

[من مقاصد المكاتبات : التعازي]

(صبح ٩ : ٨٠) قال في « مواد البيان » :

المكاتبة في التعزية بالأحداث العارضة في هذه الدنيا واسعة المجال : لما تتضمّنه من الإرشاد إلى الصبر ، والتسليم إلى الله جلّت قدرتُه ، وتسلية المعزّى عما يُسْلّبه بمشاركة السابقين فيه ، ووعده بحُسن العوض في الجزاء

---

(١) الحسائف جمع حسيفة وهي الضغينة والسخيمة .انظر اللسان فيج ١٠ مادة ح س ف (هامش صبح) .

عنه ، إلى غير ذلك مما ينتظم في هذا المعنى ،

قال : والكاتب إذا كان جيد الغريزة حسن التأتّي فيها بلغ المراد .

ثم قال : وحكمها حكم التهاني من الرئيس إلى المرءوس ، ومن المرءوس إلى الرئيس ، ومن النظير إلى النظير .

[التعازي المطلقة]

(صبح ٩ : ٩٤) علي بن خلف :

رقعة : ليس عند المُصيبةِ — أطال اللهُ بقاء سيدي — خيرٌ من التسليم إلى الله والرِّضا بقضائه ، والصبر على بَلائه ، فإنه تعالى مَدَح الصابرين في كتابه ، ووعدَهُم بصَلَواته . فقال جل قائلاً : (والّذينَ إذا أصابَتْهُم مُصيبةٌ قالُوا إنا لله وإنا إليه راجعُون . أولئك عليهمْ صَلَواتٌ من رَبِّهمْ ورَحْمَةٌ وأولئكَ هُمُ المُهْتَدُونَ)[1] . وقال جلّ قائلاً : (وبَشِّر المُخْبِتِينَ الّذينَ إذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهم والصّابرينَ على ما أصابَهُمْ)[2] ولم تزل الأولياءُ من القُدَماء يَحُضُّون على الصبر وهم لا يَرْجُون عليه ثواباً ، ويَنْهَوْن عن الجَزَع ولا يخافُون عليه عِقاباً ؛ ومَنْ عرفَ الأيَّام وتداوُلها ، والأحوالَ وتحوُّلها ، ووسَّع صدْرَه للنوائب ، وصبرَ على تجرُّع المصائب ، ومَنْ[3] اغترَّ بطول السّلامة ، وطَمِع في الاستمرار والإقامة .

رُقعة : وقد اتّصلَ بالمملوكِ خبرُ الفَجيعة بفلان ، فافيضتِ المَدَامع ،

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان ١٥٦ و ١٥٧ .

(٢) سورة الحج ، الآية ٣٥ .

(٣) لم يذكر في الأصل لهذا الشرط جواباً ويمكن أخذه من المقام أي « فقد حاول محالا ، وضل في سعيه ضلالا » أو نحو ذلك (هامش صبح) .

وتضعضعت الأضالع ؛ وزفرت الأنفاس ، وهمدت الحواس ؛ وأذاب الطرفُ سوادَه على الوجنات بدلاً من الأنقاس ، وخلعت القلوبُ سُوَيداءها على الأجساد ، عوضاً عن جلابيب الحداد ؛ وعضّت الأناملُ جزعاً ، ومزّقت الثيابُ تفجّعاً وأوجُعا ؛ وكل هذا وإنْ فارقَ حميدَ التماسُك ، ووافق ذميم التهالُك ، غير مُوفٍ بحقّ ذلك الدارج الذي بلغَ المعاليَ وهو في مهده ، وشدّ دعائم الفضل ولم يبلغ أوانَ رُشده ؛ وعلم سيدي أنّ غايةَ الجازع وإن صدعت المصيبةُ قلبَه ، وأطاشت الفجيعةُ لبّه ، الصبرُ والسلُوّ ؛ وأنّ نهاية القلِق وإن هجمتْ عليه الحُرْقة بما لا تتوفّر عليه الأضالِع ، ولا تتماسَكُ معه المدامِع ، القرارُ والهُدُوّ ، واللهُ تعالى لا يُريه بعدَ هذا الرُّزْء رُزْءاً بفِنائه ، وينقل ذلك عنه إلى حاسديه وأعدائه .

رقعة : مَنْ عَلِمَ أنّ الأقضيةَ لا تُخْطِىء سهامُها ، والأقدارَ لا تُرَدُّ أحكامُها ، سلّم الأمرَ في السرّاء والضرّاء ، ورَضِيَ بما مَنَاه في البلاء والابتلاء ؛ ولا سيّما في مُصيبةِ الموت التي سوّى بين الخليقة في تجْرِيع صابِها ،واقتحام عِقابها ؛ وقد اتّصل بالمملوك خبرُ الحادث الفاصمِ لعُرى الجلَد ، البارح [1] في الجلد . فاستحالتْ في عين المملوك الأحوال ، ومالتْ عنه الآمال ، ورأى السماءَ وقد تكدّر جوّها ، والشمسَ وقد تعكّر ضَوْها ، والسحائبَ وقد أخلف نوؤها ، والنهارَ وقد أظلم ، والليلَ وقد ادْلَهمّ ، والنسيمَ وقد ركَد ، والمعينَ وقد جمَد ، والزمانَ وقد سُهِمَتْ وجنته ، وسُلِبَتْ حِلْيتُهُ ، وأفْرَجت قبضَتُه عن التماسُك ، وقبَضَتْ على التهالُك ، وعدلَتْ عن التجلُّد ، إلى التبلُّد ؛ ثم أفاقَ من غَمْرةِ فَجيعتِه ، وهَبِيب سِنَة رويّته ، فسلّم لله راضياً بأقضيتهِ ، راغباً في مثُوبتِه .

---

(١) لعله البادح والبلح والبدح بالاهمال والاعجام الشق والمراد ظاهر . (هامش صبح) .

[الأجوبة عن التعازي]

(صبح ٩ : ٩٨) قال في « مواد البيان » :

أجوبة التعازي يجب أن تُبنى على وقوف المُعزَّى على كتاب المعزِّي ، وأنّ إرشاده نقَع غُلّته ، ووعظه نفَع عِلّته ، وتبصيره سكَّنُ أواره ، وتذكيره أخمد نارَه ، وتنبيهه أيقظ منه بحسن العزاء غافلا ، وهدى إلى الصبرَ ذاهلا ، وحسَّن عنده الرزيَّة بعد جهامتها ، ودمَّث نفسه للمصيبة بعد فدامتها ، فسلّم لله تعالى متأدباً بأدبه ، وعمل بالحكم مقتدياً بمذهبه ، وغالبَ الرُّزء بالعزم ، وأخذ فيه بالحزم ؛ وسأل الله تعالى أن يُحسن له العِوض في ردّه ، ويجعله له خلفاً ممن أصيب بفقده ؛ ونحو هذا مما ينخرط في سلكه .

[من مقاصد المكاتبات : التهادي والملاطفة]

(صبح ٩ : ١٠٠) قال في « مواد البيان » :

رقاع التهادي يجب أن تودع من الألفاظ المستحسنة ما يُمهّد لقبول الملاطفة والمبرَّة التي تتميز في المودّة .

قال : وينبغي أن يُطرف الكاتب إذا كان مهدياً أو مستهدياً ؛ وقد جرت العادة أن تُودع هذه الرقاع من أوصاف الشيء المهدى ما يحسِّنه في نفس المُهدَى إليه .

قال : وينبغي لمن ذهب هذا المذهب أن لا يعتمد تفخيم هديَّته ، ولا الإشارة إلى جلالة خطرها ؛ فان ذلك يخلّ بشروط المروءة ويتحاماه الكُرماء.

[ما يكتب مع إهداء الخيل]

(صبح ٩ : ١٠٣) علي بن خلف : في إهداء جواد أدهم أغر محجل :

وقد خدم المملوكُ ركابَه الاكرم ، بجواد أدهم مطهَّم ، قد ساب الليل

غياهبَه وكواكبَه ، فاشتمل بأديمه ، وتحلّى بنجومه ، وأطلع من غُرَته الساذجة قمراً متّصلاً بالمجرّة ، وتحلّى من رُثْمَتِه [1] بالثُّريّا أو النَّثْرة ، صافي القميص ، ممحوض الفصوص ، حديد الناظر ، صليب الحافر ، وثيق القَصَب ، نقيّ العَصَب ، قصير المَطَا ، جَعْد النَّسا ، كأنّما انتعلت بالرياح الأربع أربَعُهُ ، وأصغى لاستراق السمع مسمعه ، إن تُرك سار ، وإن غُمز طار ، وإن ثُنِيَ انحرف ، وإن استوقف وقف ، أديب نجيب ، متين صليب ، صبور شكور ، والله يجعل السعادةَ مطلع غُرَّته ، والإقبال معقد ناصيتِه .

[في استهداء مداد]

(صبح ٩ : ١٢٢) :

أولى ما أنبسط في استهدائه ، وتسمح [نفسي] في استماحته واستجدائه ، ما كان فاقعاً لغُلَّة الأقلام ، مقيداً لشوارد الأفهام ، محبِّراً لبرود البيان ، حالياً في معارض الحسن والإحسان ..

[في استهداء مشروب]

(صبح ٩ : ١٢٣) :

قد انتظم لنا — أطال الله بقاء سيدي — مجلسٌ واقفٌ بين النشاط والفتور ، والكآبة والسرور : لغُرُوب نجزم الخَمْر عن سمائه ، وعَطَله من حُليّ نوره ولألائه ؛ وقد غوّلنا في إطلاقه إلى إحدى الجهتين عليه ، وجعلنا زمامه بيديْه ، فإن رأى أن يروّح أفكارنا بشيء من راحِه المشابهة عَبَقَا وعِتْقَا لأخلاقه وأعراقه ؛ فعل ، إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

(١) هي بالضم بياض في طرف أنف الفرس . قاموس (هامش صبح) .

أفضل ما أهدى سيدي ما أهدى السرورَ إلى أحبته ، ونظم شمل المتحققين بخدمته ؛ وحسم عنهم هواجسَ الفكر ، وأعداهم على الدهر ؛ وقد جمعنا مجلسٌ وهبناه للثناء عليه ، وزُفّت عرائس الخمر إليه ، فإن رأى إيثارنا بما يكمّل نشاطنا ، ويتمّم انبساطنا ، فليعقر همومنا بشيء من عُقاره ، وينظم [جمعنا] في سلك أياديه ومباره ؛ إن شاء الله تعالى .

[الشفاعات والعنايات]

(صبح ٩ : ١٢٤) قال في « مواد البيان » :

وهذه الكتب إنما تصدر عن ذوي الرتب والأخطار ، والمنازل والأقدار ، الذين يتوسل بجاههم إلى نيل المطلوب ودرك الرغائب .

قال : والملتَمَس فيها ممن تُنتَفَذ إليه أحد ثلاثةِ أنواع : إمّا بذْل ماله ولا يَبْذُل مالَهُ إلا ذُو مُروءة يَفْرِض على نفسه حقّاً فيه لقاصديه ، وإما بذْل جاهه وفي بذْل الجاه إراقةُ ماء الوجه والتعرُّضُ لموْقف الرّدّ ؛ وإما الاستنْزالُ عن سَخيمةٍ ومَوْجدة في النزول عنهما كفُّ حَدّ الغَضَب وغَضٌّ طَرْف الحَنَق ، وهما صَعْبان إلاّ على من فَضَلِ حِلْمُه ، ولَطُف فهْمُه .

ثم قال : والكاتبُ يحتاجُ إلى التلطُّف فيهما وإيداعِهما من الخطاب ما يَخْرُج به الشافعُ عن صُورة المثقِّل على المشفُوع إليه بما كلّفه إيّاه ، ويؤدي إلى بلوغ غرَض المشفُوع له ونجاح مَطْلَبه ؛ ثم أتبع ذلك أن قال : وسبيلُ ما كان في استماحة المال ، أن يُبْنَى على الإبانة عن مَوْقع الإفضال ، وفضيلة النّوال ، واغتنامِ فُرَص الاقتدار ، في مَعُونة الأحْرار ، وما جارى هذا — وسبيلُ ما كان منهما في طلبِ الانتفاعِ بالجاه أن يُبْنَى على هَزِّ الأريحيّة لاصطناع الصّنائع ، وتحمّل المشاقّ في تقليدِ المِنَن ، وادّخارِ

الفعل الحَسن ، واغتنام الأجر والشُّكْر – وسبيل ما كان منهما في الاستِنْزال عن السخائم أن يُبْنَى على المُلاطَفَة ، والإشارة إلى فضيلة الحِلْم والصَفْح عن الخاطِيء ، وما في ذلك من حُسْن السُّمْعة في العاجله ، ومتوفّر المَثُوبة في الآجله ، ونحو ذلك .

وذكر أنّ أحسن ما قُصِد في هذا الفَنّ مَسْلَك الإيجاز والاختصار ، وأن يُسْلَك به مَسْلَك الرّقاع القِصَار المجمَلة ؛ لا الكُتُب الطّوال المفَصّلة ؛ وأنْ يُرْجَع فيما يُودَع إلى قَدْر الشافع والمشفوع فيه ، والكاتبُ إذا كان مُرتاضاً ماهِراً لم يضِلّ عن تَنْزيل كلّ شيء (في) منزلته ، وترتيبه في مرتبته .

[أجوبة كتب الشفاعات والعنايات]

(صبح ٩ : ٢٠٤) قال في « مواد البيان » :

هذه الكتب إذا أجيب الملتمسُ إلى حاجته فينبغي أن تبنى أجوبتها على شكر مقصد الشافع ، والإدلال والاسترسال وإنالة المشفوع له وَطَرَه إيجاباً لحق الشافع ، وإن وقع الامتناع والتوقّف عن الإجابة إلى الملتَمَس فالواجب أن تُبنى على إقامة العذر لا غير .

[التشوق]

(صبح ٩ : ١٤٢) قال في « مواد البيان » :

وينبغي للكاتب أن يجمع لها فكره ، ويظهر فيها صناعته ، ويأخذ في نظمها مأخذاً من اللطافة والرّقة يدلّ على تمازج الأرواح ، وائتلاف القلوب ، وما يجري هذا المَجْرى ؛ وأن يستخدم لها أعذب لفظ وألطف معنىً ؛ ويذهب فيها مذهب الإيجاز والاختصار ، ويعدِل عن سُبل الإطناب والإكثار ؛

لئلا يستغرق جزءاً كبيراً من الكتاب فيُمِلّ ويُضجر ، وينتظم في سلك المَلَق والتكلف اللذين لا يعتادهما المتصافون من الأصدقاء .

[رقاع الاستزارة]

(صبح ٩ : ١٥٠) قال في « مواد البيان » :

رقاع الاستزارة إنما تشتمل على وصف حالات [1] الأنس ومجالس اللَّذات ، ومشاهد المسرّات .

قال : ويجب على الكاتب أن يُودعها حلو الألفاظ ، ومونق المعاني وبارع التشبيهات ، ويبالغ في تشويق المستزار إلى الحضور ، ويتلطّف فيه أحسن تلطُّف .

[وهذه نسخ من ذلك] :

علي بن خلف :

رُقْعَتي — أطال اللهُ بقاءَ سيدي — ومجْلِسي بِمَنْ حلَّه من خَدَمه ، ونزلَهُ من صَنائع كرمه ؛ فلَكٌ مُزَيَّنٌ بأنْجُمه ، فإنْ رأى أن يُطْلِع فيه بَدْراً بطُلُوعه وينقلَ قَدَمه إليهم ، ويُكمِّل نقْصَهم بتَمامه ؛ ويُضيف ذلك إلى تَليد إنعامه ، فعل ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

قد انْتَظَمَ لنا — أطال اللهُ بقاءَ سيدي — مجلِسٌ رقَّتْ حَواشيه ، وتَبسَّمتْ راحُه عن حَبَب ، كلآلِىءَ على ذَهَب ، وقامتْ فيه سُوقُ السّرور ، لا يُكْسِدُها إلا تخلُّفُه عن الحضُور ؛ فإنْ رأى أن يُكمِّلَ

(١) لعله مجالات كما لا يخفى . (هامش صبح) .

جذلنا بإطلاع طلعته علينا ؛ ويصدق ظننا بنقل قدمه إلينا ؛ سرّ وأبهج، وتمّم من الإحسان ما أخدج ؛ إن شاء الله تعالى .

وله : هذا — أطال الله بقاء مولانا — يوم صفيق الظلّ ، رقيق غلالة الطلّ ؛ قد ترفّعت شمسه ببرج أنسه [1] ، وافترّ جذلا عن مضاحك برقه ، وترنّم طرباً بزمجرة رعده ؛ ووشّت مدارج نسيمه ، بأرج شميمه ، وقام على منابر السرور يخطب ابنة الكرم لأبناء الكرام ، وينادي بأعلى صوته : حيّ على المدام ؛ فقد وجب على كل موفّق لاجتناء ثمار السرور ، والتحاف مطارف الحبور ، أن يلبّي دعوته ، وينتهز فرصته . ويعوّضه من شمسه الآفلة ؛ براح لإظهار ما اختفى من شعاعها كافلة ؛ ويقفه على التملّي بالكاس والندمان ؛ ويجعله سلكاً ينتظم فيه الإخوان . ورقعتي هذه صادرة إلى مولاي وقد تهيّأ لنا مجلس من مجالس الأنس . يبسط تجعّد النفس فيه بغنم ونغم ، ومزهر وزهر ، وخلان قد تراضعوا لبان العقار ، وتساهموا نقل [2] الوقار ؛ وشجعوا في معارك الخمار ، وأدمنوا على المماساة والاستكثار ؛ إلا أن هذا المجلس مع تمامه مخدج ، وعلى كماله مختلج ؛ لبعد مولاي الحال منه محل الواسطة من النظام ، والأرواح من الأجسام ، فإن رأى أن يكمّل منه ما نقص ، ويميط عنه [ما نغّص] فليجمّلنا بالمصير إلينا ، والطلوع علينا ، وإعفائنا من إضجار الانتظار ، معتداً بذلك في كريم الأيادي والمبار ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

هذا اليوم — أطال الله بقاء سيدي — يوم أعرس فيه الجو بالجارية

---

(١) لعله « أفقه » . (هامش صبح) .

(٢) هو بالفتح وبالضم وبالتحريك ما يتناقل به على الشراب . انظر اللسان ج ١٤ . (هامش صبح) .

البيضاء فَتخدّرَها ، وحَجبها بِسَجْف الغَمام وستّرها ؛ واختالَ اختيالَ المَعرّس في معَرّسه ، بمُصَنْدَله ومُمَسّكه ومُورّسه ؛ واتّخذ من ذَهَب البَوارق نِثاراً ؛ واستنطق من زُنّار الرّواعد أوتاراً ؛ ودعا إلى حُضُور وليمته ، والسّرور بمَسَرّته ، فإنّ رأى أن يلبّي طاب [1] هذا اليوم الصّفيق ، ويتمتّع بعيشه الرافع الرّفيق ؛ فليُطلع علينا طَلعته التي تَبْهَر القمرَ المُزْهر ، وتَصْدَع الليلَ المعتكِر : ليُنْهض غُرّةُ الإصباح ، بغُرّة الراح ، ويَقْطف ثمارَ الأنْس والمحاضرة ، ويتملّى بالسّماع والمُذاكرة ؛ ويأخُذَ بحظّ من لَذاذة الفَيْحة الشبيهة بشمائله ، وبعدَ ذلك من مبَارّه وفواضِله ؛ [فعل] إن شاء الله تعالى .

وله في الاستزارة في بُستان :

كتبتُ ــ أطال اللهُ بقاء سيّدي ــ وقد غدوْتُ في هذا اليوم [إلى] بُستاني والطّيْرُ في الأوكار ، والأنْداءُ تَهْبط كالتّيّار ؛ والليلُ مشتَمِلٌ على الصّباح ، اشتمال الأدْهَم على الأوْضاح ؛ عازماً على مشارَفته ومُشارفةَ ما استمدَدْتُ من عمارته ، لا للخلْوة فيه بمُعاطاة المُدام ، ومُؤانسة النّدام ؛ فحين سَرّحتُ الطّرْف في ميَادينه وجَداوله ، وأقبَلْتُ على تصفّح حلاه وحُلَله ؛ رأيتُ مَناظرَهُ تعتلقُ القلوبَ اعتلاقَ الأشْراك ، وتعتاقُ المستوْفِزَ عن الحَراك ؛ وتُقيم قاعدَ المِزاج والنّشاط ، وتُوقظ هاجِدَ الفَرَح والانْبساط : فمن أشْجار كالأوانِس ، في رَيْحانيّ المَلابس ؛ حاليةٍ من مُوَشّع الزهر والثمر ، بأنْصَعَ من الياقُوت والجَوْهر ؛ كأنما تحفّلتْ لاجتلاءِ عَرُوس ، أو مُعاطاةِ كُئُوس ؛ ما بينَ نَخيلٍ قد نشرَتْ عَذَبَ السّنْدس على ذُرَاها ، وأطلعَتْ طَلْعاً كالخَناجر غَشّيَها صَدَاها ؛ ونَارنْج يحمِلُ أكبرَ العِقْيان ، أو وجَنَات القيَان ؛ وأتْرُجٍّ قد استعار

---

(1) في الأصل « أبطل » ولعله من تصحيف الناسخ . (هامش صبح) .

ثمرةَ أشْواقِ العُشّاق ، إذا صالتْ عليهم يَدُ الفِراق . ومن ريضان [1] زاهيةٍ بنَشْرِها ، وقُضُبُها مختالةٌ في مَلابِس زَهْرِها ؛ ونَرْجِسُها كعينِ محبٍّ حَـدّق إلى الحبيب ، وثَنى جِيدَه خوفَ الرّقيب ، إذا عبثَتْ به النّسيمُ جمعَ بينَ كلِّ قَضيب وإلْفِه ، وسعى بالاعتناقِ من شَوْقه وكَلَفِه ؛ وورْدُها كمَداهِن ياقوت فيها نُضَار ، وشقيقُها كمُدامات عقيقٍ فيها صُوَار [2] ؛ وبنَفْسَجُها فَخِذٌ تَمْضي فيه من القَرْص آثار ؛ أو جامٌ لُجَيْن عليه من النّدى نِثَارُ . ومن أنْهار قُدّتْ حافاتُها قَدّ الأديم ، وحُدّتْ على صراطٍ مستقيم ، ببحرة مَسْجوره ، كالسُّيوف المشْهُوره أو المَهارِق المنْشُوره ؛ إذا خمَشها الهوى خلَع عليها مُتونَ المَبارِد ، أو سُلُوخَ الأساوِد ؛ يتخَرّقُ ذلك كلّه نسيمٌ رقيقُ الغَلائل ، حُلْوُ الشمائل ، يسعى بالتّحيِم ، في المَعَاطِس والشّمِيم ؛ انْصَبَّتْ إلى مجلسٍ فَسيحِ البِناء ، ضيّق الأفْناء ؛ مُوَشّى الجُدْران والسّماء ، في في صَدْره شاذَرْوان يَرْمي بِكَسْرِ البِلّور ، وفي وسَطه نهَر يَنْسَابُ ماؤه انْسِيابَ الشُّجاع المَذْعور ، وتتوسّطُه بِركَةٌ منَمنَمةٌ ينصبُّ الماء إليها بالدّوالي إلى أربع شاذَرْوانات ، ويَخْرج عنها من أربع فطيمات ، يحتَفُّها كلّ شجرٍ مُثْمِر ، وروْضٍ مُزْهِر . فقلت : هذا المَرادُ الذي يَحُطُّ به الرائدُ رَحْلَه ، ويُوفِدُ إليه أهْلَه ، ويدْعُو إلى اختيار مَنْ يهُبُّ إلى السّرور ، ويُساعد عغ الحُضور ، للمشاركة في التملّي ببَهْجَتِه ، والتمتّع بنَضْرته ؛ فكان مولاي أوّلَ مَنْ جَرى إليه ذِكْري ، ووقَع عليه طَرْفُ فِكْري : لأنه الساكنُ في فُؤادي ، الحالُّ في مَحَلِّ رُقَادي ؛ فإن رأى أراه الله ما يُقِرُّ العينَ أن يُكَمِّلَ مسرّتي بنَقْل قَدَمِه إليّ ، وإطْلاع

---

(1) الريضان والرياض جمع الروضة . (هامش صبح) .

(2) الصوار والصوار « أي بالضم والكسر » الرائحة الطيبة والقليل من المسك انظر ج٦ – ص ١٤٧ من اللسان . (هامش صبح) .

سعدِ طَلْعته عليَّ : ليتمَّمَ محاسِنَ ما وصَفْته ، ويكمل الالتذاذ بما شرحْتُه ، فعل إن شاء الله تعالى .

[أجوبة رقاع الاستزارة]

(صبح ٩ : ١٥٤) قال في « مواد البيان » :

لا يخلو المستَزَار من الإجابة إلى الحُضُور أو التثاقُلِ عنه،فإن حضَر على الفَوْر ، فلا جوابَ لما نَفَذ إليه ، وإن وعَد الحضُورَ وتلَوَّم ليقْضي شُغُلا ويحضر ، فينبغي أن يَبْني الجوابَ على سُروره بما دُعيَ إليه ، وحُسْنِ مَوْقعه منه ؛ وأنَّ تَلومَّه للعائق الذي قَطَعه عن أن يكون جواباً عما وردَ عليه ، وأن حضُوره يَشْفَع رُقْعته . وإن أَيِس من الحضور ، وجبَ أن يبنيَ الجوابُ على مـــا يمهِّد عُذْرَه ، ويقرِّرُ في نفس مستَزيره أنه لم يتأخَّر عن المساعدة على الأنس إلا لقَواطِعَ صدّت عنه، يعْلَم المعتذَرُ إليه صحَّتها لينحرس ما بينَهما من المودة ، فإنَّ كثيراً ما تتفاسدُ الخُلاَّنُ من مثل هذه الأحوال .

[في اختطاب المودة وافتتاح المكاتبة]

(صبح ٩ : ١٥٥) قال في « مواد البيان » :

الرّقاع الدائرةُ بين الإخْوان في اختطابِ المُعاشَرة ، وانتماءِ المكاثرة، وطلبِ الخُلْطة والمُوانَسة ، يجب أن يقَدَّر الخطابُ فيها على أن يَصِل المرغوبُ في عِشْرته إلى الانخراط في سلك أحبائه ، والانحياز إلى أهل ولاَئه، ويبعَثَ على قَصْده ، في الالتحاق بوُدّه ، ويدُلّ على المماحصه ، والصّفاء والمخالَصه ، وما جرى هذا المَجْرى مما يتعامل به أخِلاَّء الصِّدق ،ويجعلونه مَهْراً لما يلتَمسُونه من الممازَجة ، ويرُومُونه من الاختلاط والمواشَجَة .

قال : وينبغي أن يذهب الكاتبُ في هذه الرّقاع مَذْهباً لطيفاً ، ويُحْسِنَ التوصّلَ إلى الإفصاح عن أغراضها : ليأخذَ بمَجَامع القُلُوب ، ويُعين على نَيْل المطْلُوب .

[أجوبة اختطاب المودة]

(صبح ٩ : ١٥٨) قال في « مواد البيان » :

لا يخلو مَن يُرام ذلك منه من أن يجيب أو يعتلّ ، فإن أجاب بنى الجواب على وقوع رغبة المختطب أحسن مواقعها ، وابتهاج المختَطب بها ، ومعرفته بقدر ما رآه أهلاً له ومسارعته إليه ؛ وإن اعتل بنى الجواب على أنه قد عَرَض له ما يقصر عنه ، ولا ترضى نفسه به ، وأنّ العذر [ليس] بعادة له في المزايلة ، وطريقة في الانفراد والمجانبة .

[في خطبة النساء]

(صبح ٩ : ١٥٩) قال في « مواد البيان » :

الرقاع في التماس الصِّهْر والمواصلة يجب أن تكون مبنية على وصف المخطوب إليه بما يقتضي الرغبة ، ويدلّ الخاطب عن نفسه بما يؤدي إلى الكفاية والإسعاف بالطَّلِبة .

قال : وينبغي للكاتب أن يودعها من ألفاظ المعاني المنتظمة في هذا الباب أوقعها في النفوس ، وأعودها بتقريب المَرام، وأدلّها على صدق القول فيما تكفّله من حسن معاشرة ، ولين معاملة ، وأن يذهب بها إلى إلى الاختصار والإيجاز .

[في الاسترضاء والاستعطاف والاعتذار]

(صبح ٩ : ١٦٥) قال في « مواد البيان » :

المكاتبة في استعطاف الرؤساء ، وملاطفة الكبراء ، تحتاج إلى حسن تأتٍّ : لما تشتمل عليه من إيجاب حقوق الخدمة ، وما أسلفوه من مرعّى الخِدم ، وما يتبع هذا من التنّصل والاعتذار الذي يسلّ السخائم مـن القلوب ، ويستنزل الأوغار من الصدور ، ويطلع الأنس وقد غـَرّب ، ولها موقع في تأليف الكارم .

قال : وينبغي للكاتب أن يستعمل فيها فِكره ، ويوفيها حقها من جودة الترتيب ، واستيفاء المعاني ، وأن يذهب إلى الألفاظ الجامعة لمعاني العُذر ، الملوِّحة بالبراءة مما قُرِف [١] به ؛ ولا يُخرج لفظه مُخرج من يُقيم الحجة على براءة الساحة مما رُمي به ، فإن ذلك مما يكرهه الرؤساء : لأن عادتّهم جاريةٌ بإيثار اعتراف الخُدّام لهم بالتقصير والتفريط والإخلال بالفروض : ليكون لهم في العفو عند الإقرار عارفة توجب شكراً مستأنفاً ؛ فأما إذا أقام التابعُ الحجة على براءته وسلامته مما رُفع عنه ، فلا يُوضع الإحسان إلا إليه في إقراره على منزلته والرِّضا عنه والاستعطاف [٢] ،بل ذلك واجب له ، في منعه منه ظُلم .

[ومن ذلك لعلي بن خلف]

(صبح ٩ : ١٧٠)

الأعذارُ – أطال الله بقاء سيدي – تنأى على الامتناع ، وتضيق على الاتساع ؛ وذلك بحسب ما تصادفه من قبول وردّ ، ومسامحة ونقد ؛ وأنا

---

(١) في الأصلين « مما قرب منه » وهو تصحيف من الناسخ (هامش صبح) .

(٢) المراد أن إقراره والرضا عنه ليس من الإحسان بل من الواجب تأمل (هامش صبح) .

أحمد الله على أن جعل عُذري إلى من يتمحَّل العذر للمعتذر ، ويصفح صفح المالك المقتدر ، كأنما ائتمَّ بقول الشاعر :

إذا ما أتت من صاحبٍ لك زلّةٌ فكن أنت مُحتالا لزلّته عُذرا

ولم يجعله إلى من يُغلِّب هاجس الظنون ، على واضح الحُجّة ، ومعتل الشك على صحيح اليقين . ونُميَ إليَّ أن غابطاً لمكاني من حضرته ، حسدني على محلّي من مودّته ، وزوّر ما ينكشف عن الإفك والبهتان ، ودلّس الكذب في صورة البرهان ؛ فلما جلاّه في معارض زخارفه أظهر لسيدي عُواره ، وأبدى لطرْفه شُواره [1] ؛ فشَلَّ سمعه عن وعيه ، وطرف طرفه عن رعيه ، واستنمَّ علائم شيمته ، في حسن الضنِّ بأحبته ؛ فقدّمت من الاعتذار ما يُقدّمه المذنب نزولاً على طاعته ، وتأدباً في خدمته ، وشفعْتُه من الشكر بما يقتضيه إحسانُه ويوجبه .

[أجوبة الاسترضاء والاستعطاف]

(صبح ٩ : ١٧٢) قال في « مواد البيان » :

لا يخلو المعتذَر إليه من أمرين : أحدهما أن يقبل العذر ، والآخر أن يستمرَّ على الموجدة ويرفض ما يأتي به من حُجَّة ؛ فإن كان قد قبل العُذر ، وجب أن يبني الجواب على وصول الكتاب ، والوقوف عليه ، والتقبّل لما تضمَّنه ، وتبرئة المعتذر عن الحاجة إلى الاعتذار ، والانقياد إلى الاعتراف بالجُرم والإقرار ، إكراماً لخُلَّته عن التهمة ، وللمودّة عن الظِّنّة : فإن الأمر الذي أوجب العُذر لو صدر منه ، لاقتضى وداده التأولَ له بأنه ماصدر إلا عن باطن سليم ومصلحة أوجبته . قال : وليس هذا المعنى هو الذي يُجاب به مَنْ قُبِل عذرُه فقط : لأنه يجوز أن يجيب بأنه قد قبل العُذر ، وصفح عن

(١) أي عيبه ؛ وشل سمعه أي طرده ، والمراد أنه لم يصغ إليه (هامش صبح) .

الجرم ، على أن لا يعود إلى مثله . وان استمر على القصد [1] بنى الجواب على إبطال العُذر ومعارضتِه بما يقتضيه ؛ والدلالة على خطأ المعتذر ، وأنهَ مما لا يسوغ الصفح عنه ، ولا يليق بالحزم إقالته .

قال : وهذان معنيان يحملان من العبارة ما لا يكاد ينحصر في قول مشروح مبسوط ؛ فضلاً عن قول مجمل موجز ، إلاّ أن المتدرّب بالصناعة إذا مرّت به هذه الأصول أمكنه التفريع عليها .

[في الشكوى]

(صبح ٩ : ١٧٣) قال في « مواد البيان » :

رقاع الشكوى – عصمنا الله من موجباتها – يجب أن تكون مبنية من صفة الحال المُشكية ، على ما يوجب المشاركة فيها ويقضي بالمساعدة إن استدعيت عليها ، من غير إغراق يفضي إلى تظليم الاقدار وإحباط الأجر ، وشكوى المبتلى بالخير والشر سبحانه وتعالى ، ويدلّ على التهالك بالجزع ، وضعف التماسك وقوة الهلع ؛ باستيلاء القنوط والإياس ، وأن يشفع الشكوى بذكر الثقة بالله سبحانه ، والتسليم إليه ، والرضا بأحكامه ، وتوقع الفرج من عنده ، وتلقّي اختباره بالصبر ، كما تتلقى نعمه بالشكر ؛ ونحو هذا مما يليق به ويجري مجراه .

قال : وقد يكتب الأتباع للرؤساء رقاعاً بشكاية الأحوال ومساءلة النظر ، ثم ذكر أن سبيل هذه الرقاع أن يعدل بها عن التصريح بالشكوى إلى لفظ الشكر ومعناه ، وطلب الزيادة والإلحاق بالنظراء في الإحسان : لما في إطلاق الشكاية ، والتصريح بها من التعريض بإخلال الرئيس بما يلزمه النظر فيه من أحوال خاصتهم وتعهّد مرافقهم من الكفاية .

---

(١) أي قصد الصد وبقي على هجره ولم يقبل الاعتذار . (هامش صبح) .

[أجوبة رقاع الشكوى]

(صبح ٩ : ١٧٦) قال في « مواد البيان » :

يجب أن تبنى أجوبة هذه الرقاع على الارتماض في الحال المشكية ، والتوجع منها ، وبذل الوُسع في المعونة عليها ، والمشاركة فيها ؛ وما يجري هذا المجرى مما يليق به .

[في استماحة الحوائج]

(صبح ٩ : ١٧٦) قال في « مواد البيان » :

ورقاع الاستماحة يُختار أن تكون مودعةً من الألفاظ ما يُحرك قُوى السماح ، ويبعث دواعي الارتياح ؛ ويوجب حرمة الفضل المسهِّلة بَذل المال الصعب بذلُه ، إلاّ على من وفّر الله مروءته ، وأرخص عليه أثمان المحامد وإن غلتْ .

قال : وينبغي للكاتب أن يتلطَّف فيها التلطّف الذي يعود بنجاح المرام، ويؤمِّن من الحصول على إراقة [ماء] الوجه . والخيبة بالرد عن البغية ، ويعدل عن التثقيل والإلحاف المضجرين ولا يضيِّق العُذر على السماح إلا أن يتمكن للثقة به ، ويعلم المشاركة في الحال .

(صبح ٩ : ١٧٧) [وهذه نسخ من ذلك : لعلي بن خلف] :

قد تمسّك أملي بضمانك ، وتطلّع رجائي إلى إحسانك ، وكفل لي النجاحَ مشهورُ كرمك ، ورغبتُك في ربِّ نعمك ، ولي من فضلك نسيب أعتزي إليه ، ومن شكري شفيع أعتمد عليه .

وله :

المواعيد — أطال الله بقاء مولاي — عُروس ، حُلو ثمرها الإنجاز والتعجيل ، ومرّه المطل والتطويل ؛ وقد شام أملي من سحائب فضله ، حقيقاً بأن ينهمر ويهمى ، وارتاد من روض نُبله ؛ جديراً بأن يزيد وينمى ؛ فإن كانت هذه المَخيلة صادقة ، فلتكن منه همّةٌ للرجاء محقِّقة ، إن شاء الله تعالى.

وله :

هممتُ أن استصحب إلى مولاي ذريعةً تحجبُ مطلي ، وتكون حجاباً على وجهي في المطالعة بأربي ، فلاح لي من أساريره برقٌ أوضح مقصدي ، ومن أخلاقه انبساطٌ أمال تجعّدي ، ولست مع معرفته بحقٍّ نعمة الله تعالى وحقٍّ مؤمِّله ، محتاجاً عنده إلى ذريعة ولا مفتقراً إلى وسيلة .

وله :

ولا يحملُني مولاي على ظاهر تجملي ، وجميل توكُّلي ، على حال [1] قد أحالتها العُطلة ، وتخللتها الخَلّة ؛ وإنما أُبقي بالتجمُّل على ديباجة همّتي ، وأصون بالتخفيف عن الصديق مروّتي ؛ ولولا أن الشكوى تخفف متحمَّل البلوى ، لأضربت عن مساءلته ، وأمسكت عن تذكيره ، ولكن لا بد للوصيب الشاكي ، من ذكر حاله للطبيب الشافي ؛ وقد كان بَرَق لي من سحاب وعده ما هو جدير بالانهمار ، وأورق من نمائه ما هو حقيق بالإثمار ، فإن رأى أن يسِم وجه التأميل ، بعد الإنجاز والتعجيل ، فعل .

وله :

ما حامت آمالي — أطال الله بقاءه — إلا وقعت بحضرته ، ولا صعبت عليّ جوانب الرجاء إلا سَهُلت من جهته ، ولا كذبتني الظنون إلا صدّقها بعلوّ

---

(١) كذا في الأصول ، والظاهر « بل أنا على » الخ (هامش صبح) .

همته ؛ فلذلك أعتلقُ في المهم بحبله ، وأعتصم في المُلمّ بظلّه ؛ وقد عرض لي كذا وعليه فيه المعوّل ، وهو المرجوُّ والمؤمَّل ؛ وما أولاه بالجَرْيِ على عادته في ريْش جناحي ، والمعونة على صلاحي .

[أجوبة استماحة الحوائج]

(صبح ٩ : ١٨١) قال في « مواد البيان » :

لا يخلو المستماح والمكلَّف حاجة من أن يُسْعِف أو يمنع ، فإن أسعف فقد غَنِيَ عن الجواب ، وربما أجاب المُسعِف بجواب مبني على حُسْن موقع انبساط المستميح ، والاعتذار عن التقصير في حقِّه وإن كان قد بلغ به فوق ما يجب له — تكرّماً وتفضلاً ، وإن منع فربما أجاب بعذر في الوقت الحاضر أو عذر في المستأنف ؛ وربما أخَلّ بالجواب تغافلا .

[في الشكر]

(صبح ٩ : ١٨٣) قال في « مواد البيان » :

رقاع الشكر يجب أن تكون مُودعة من الاعتراف بأقدار المواهب ، وكفاية الاستقلال بحقوق النعم ، والاضطلاع بحمل الأيادي ، والنهوض بأعباء الصنائع ، ما يشحذ الهمم في الزيادة منها ، ويوثِّق المصطنع بإفاضة الصنع ؛ ويعرب عن كريم سجيَّة المحسِنِ إليه .

قال : وينبغي للكاتب أن يفتنّ فيها ، ويقرّب معانيها ؛ وينتحل لها من ألفاظ الشكر أنْوطَها بالقلوب : لتستيقن نفس المتفضل أنه قد اجتنى ثمرة تفضّله ، وحصل من الشكر على أضعاف ما بذله من ماله أو جاهه ، إلاّ أنه ينبغي أنها إذا كانت صادرة من الأتباع إلى رؤسائهم ، ومن يرجع إلى اختصاص وأُثْرة ، أن لا تُبنى على الإغراق في الشكر : لأن الإغراق في

الشكر يحمل هذه الطبقة على التملّق الذي لا يليق إلا بالأباعد الذين يقصدون الدلالة على استقلالهم بحقوق ما أسدِيَ إليهم ؛ فأما من ضفا عليه من النعم ما يدفع الشك في اعترافه بالذل لديه ، فإنه يغنَى عن المبالغة في الشكر والاعتداد ؛ ثم قال : وإنما يجب أن يذهبَ فيما يكتب عن هؤلاء من هذا الفن مذهب الاختصار ، والإتيان بالألفاظ الوجيزة الجامعة لمعاني الشكر ، دون مذهب الغلو والإفراط ، وذو الطبع السليم ، والفكر المستقيم ، يكتفي بيسير التمثيل .

[وهذه رقاع لعلي بن خلف] :

رقعة : وينهى أن الله تعالى لمّا ألهم مولانا البر ، ألهم المملوكَ الشكر ؛ فهو لا يزال يوسع في البر ويزيد ، والمملوك لا يزال يُبدي في الشكر ويعيد ، ولكن شتان بين فاعل وقائل ، ومعط وقابل ، وواهب وسائل ، ورافد وحامد ، وشاكر وشاكد ، والمملوك يحمد الله تعالى إذ جعل يده الطولى ، وحظَّه الأعلى .

رقعة : وصل برّ مولانا وقد أحالت الخَلَّةُ من المملوك حالَه ،وأمالت آماله ، فلأمت ما صدعه الدهر من مرْوته ، ووجدت ما أخلقه من فَرْوته ؛ فكف المملوك يديه [عن] امتحان الخلاّن ، وقبض لسانه عن شكاية الزمان؛ وأقرّ ماء وجهه في قرارته ، وحفظ على جاهه لباس وجاهته ؛ فياله من برٍّ وقع من الفقر ، موقع القطر من القفر ؛ ولم يتقدمه من قدامة الوعد ، ما يتقدم القطر من جهامة الرعد ؛ وكل معروف وإن فاضت ينابيعه ، وطالت فروعه ، قاصرٌ عن الأمل في كرمه ، واقعٌ دون غايات هممه ؛ كما أن الشكر ولو واكب النجم ، وساكب السجم ؛ قاصر عن مكافأة تفضله ، ومجازاة تطوّله ، والمملوك يسأل الله تعالى الذي جعله قدوة الكرام ، وحسنة الأيام ، وربَّ الانعام ، وواحد الأنام ؛ أن يلهم المملوك من حمده ، بقدر ما أسبغه عليه من رفده .

رقعة شكر : عند المملوك لسيّدي أيادٍ وصلت سابقةً هواديها ، وظلّت لاحقةً تواليها ؛ فصارت صدورها نسباً أعتزي إليه ، وأعجازها [سبباً أعوّل في الملمّات عليه] .

رقعة : لولا أنّ الله تعالى جعل الشُّكر ثمرةَ البِرّ ، والحمدَ جزاءَ الرِّفْد ، وأراد إقرارَهُما على أهلِهما من الغابِرين ، وأن يجعَلَ لهم مِنّا لسانَ صدْق في الآخرين ، لكان الذي غَمَرَ به موْلانا من الإنْعام ، يُتحدّثُ عنه تَحدّثَ الرّيَاحِ بآثارِ الغَمَام ؛ ويُكْفى المملوكُ بالإشارة ، مَئُونَةَ العبارة ؛ والمملوكُ وإنْ رام تأديةَ ما يلزَمُه من شُكره ، قاصرٌ عن غاية بِرِّه ، ولو استَخْدَم ألسنَةَ الأقلام ، واستَغْرَق أمَدَى النّثار والنِّظام ؛ وموْلانا جديرٌ بقَبُول اليَسير ، الذي لا تُمكِنُ الزِّيادة عليه ؛ والصَّفْحِ عن التقصير ، الذي تقُودُ الضرورةُ إليه ، إن شاء الله تعالى .

رقعة : لو أنّ هذه العارفَةَ بِكْرُ عَوارِفه ، وباكُورةُ لطائفه ، لعَجَزْتُ عن شُكْرِها ، وقَصَّرت عن نَشْرِها ؛ فكيفَ وقد سبَقَها قرائِن ونظائر ، وتقدّمَها أترابٌ وضرائر ، [مما] أثْقَلَ من المملوك كاهلَه ، وبَسَط به يَدَيْ أملِه ؛ فما يَعْدَم شيئاً فيُرَجّيه ، ولا يفْقِده فيَرْغَب فيه ؛ والذي تَرُبُّه من المملوك جوارِحُه ، وتَحْويه جوانِحُه ؛ علمُه بأنه لا يُجارى أياديه ، ولا يُجازى مَسَاعيه ، والله تعالى يخصُّه من الفضائل ، بمثل ما تبرّع به من الفَواضل .

رقعة : ومِثْلُ مَوْلانا من [ذوي الشّرَف] (1) والسُّودَد من حَسُن مَحْضَره ، وطاب مَخْبَره ، وكَرُم غيبُه ومَشْهَده ، وصحَّ على تغايُرِ الأحوال عَقْدُه ووُدّهُ ؛ وقد اتّصل بالمملوك ما أعاره له مَوْلانا من

(1) بياض في الأصول والتصحيح من المقام . (هامش صبح) .

أوْصافه ، وجرى فيه على عادة فضْله وإنصافه ؛ فطفِق لفضله شاكراً ، ولطَوْله ناشراً ؛ وأضاف ذلك إلى تَوَالدِ إحسانه، ونظْمِه في عِقْد امتنانه .

رقعة : قد طَوَّقَ مولانا [مملوكَهُ] من فضله طوقاً كأطواق الحمائم لا يُنْزَع ، وألبسه بُرْداً من بِرِّه لا يُخْلَع ؛ وأولاه من مَزيده ما قَصَّرت الهِمّة عن تَمنّيه، ولم تَهتدِ القريحةُ إليه فتَستدْعيه؛ ولو وجد المملوكُ جزاءً على عارفته ، وكِفَاءَ لمَثوبته ، غيرَ المُوالاة الصّريحة ، وعَقْدِ الضمائر على المودّة الصحيحة ، واللّهَج بالشُّكْر ، في السرّ والجهْر ، لرمَى مِن وراء عنايته ، ولا استَبْعَدَ طُولَ شُقّته ؛ ولكنِ المملوكُ عادمٌ لما يقابلُ به يَدَهُ الغَرّاء ، عاجزٌ عمّا يقضي به حقَّ مَوْهبته الزّهْراء ؛ ما لم يُحسِن كرمُه أمْرَه ، ويَقْبَل منه على التقصير شُكْرَه ؛ ويُضِفْ ذلك إلى لطائفه ، ويَنْظِمه في سِلْك عَوَارفه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : واجتهادُ المملوك في نَشْر أياديه وشُكْرها ، كاجتهاد مولانا في كِتْمانها وسَتْرِها ؛ فكلّما أبـديتُها بالثّناء أخْفاها ، أو نشَرْتُها بالإشادة طَوَاها ؛ وهيهاتَ أن يخفى عُرْفٌ كعَرْف المِسْك نَشْراً ، ومَنْ كالروضة نَوْراً والغزالة نُوراً[1] ؛ ولو كان المملوك والعياذُ بالله ستَر هذا العُرْفَ بكُفْر ، واغْتَصَه مانعاً لشكْر ؛ لنَمّ عليه حسنُه نُمُومَ الصّباح، وتَوقّدَ توقُّدَ المِصْباح ؛ فكيفَ وللمملوكِ مِقْوَل لا يُسامي [يُعْجِم[2] سَوَادَ] الليالي بالإحْماد ، ويَرْقُم صفَحات النهار بالاعْتِداد .

[الأجوبة عن رقاع الشكر]

(صبح ٩ : ١٨٨) قال في « سواد البيان » :

[إن كانت] هذه الرقاع من المرءوسين إلى الرؤساء فلا جواب لها .

---

(١) الأنسب « ومن كالغزالة نوراً والروضة نوراً » رعاية لـ « نشراً » قبلها . (المحقق) .

(٢) في الأصول « ولا يسامى الليالي » الخ وزدنا ما يقتضيه المقام ويتمم الكلام تأمل (هامش صبح) .

وإن كانت من النظير فالواجب أن يُستعمل في أجوبتها مندوب التناصف والتفاوض .

[العتاب]

(صبح ٩ : ١٨٩) قال في « مواد البيان » :

المكاتبة بالمعاتبة على التحوّل عن المودّة والاستخفاف بحقوق الخُلّة من المكاتبات التي يجب أن تستوفي شروطها ، وتكمل أقسامها : لأن ترخيصَ الصديق لصديقه في المقاطعة والمصارمة دالٌّ على ضعف الاعتقاد ، واستحالة الوداد .

[أجوبة رقاع العتاب]

(صبح ٩ : ١٩٩) قال في « مواد البيان » :

حكم أجوبة هذه الرقاع حكم رقاع أجوبة الاعتذار إلا أنها لا تخلو من الإجابة بالإعتاب أو الإصرار على العتاب .

قال : ويجب أن يسلُك فيها المجيب مذهب المجيب عن رقاع الاعتذار.

[أجوبة كتب العيادة]

(صبح ٩ : ٢١٢) قال في « مواد البيان » :

يجب أن تبنى هذه الأجوبة على وصول الرقعة وما صادفت المريضَ عليه من المرض ، وأنها أهدت رَوْحَ الهدوء ، وأركدت رياحَ السوء ؛ وأقبلت بنسيم الإبلال ، وتضوّعت بأرج الاستقلال ؛ وبشّرت بالعافية والسلامة ، وآذنت بالصّلاح والاستقامة ، وأشباه هذا .

[في الأخبار]

(صبح ٩ : ٢١٩) قال في « مواد البيان » :

كُتُبُ الأخبار وإن كانت من الكتب الكثيرة الدوران في الاستعمال فليست مما يمكن تمثيله ، ولا حصر المعاني الوامقة [1] فيه برسوم تشتمل عليها ، نعم ولا أن نقدّم له مقدمة تكون توطئة لما بعدها ، كما يجري الأمر في سائر فنون المكاتبات الأخر التي لا تخلو من مقدمات تحلّ منها محلّ الأساس من البنيان ، والرأس من الجثمان ؛ لكن المقدمات التي توضع في الكتب من شرطها أن تكون مشتقة من نفس معنى الكتاب ، ومُنهي الخبر لا يمكنه أن يستنبط من كل خبر ينهيه مقدمة تكون بساطاً له ؛ وإنما يقول :كتبت من موضع كذا يوم كذا ، والذي أنهيه كذا ؛ بل الذي يلزمه أن يتحدّاه بطاقته ، ويتحراه بجهده ، أن يبيّن ما يطالع به من الأخبار ؛ ويكشفه ويوضّحه ويفصح عنه ، ولا يقف منه إلا عند الشفاء والإقناع لتقرر صورته في نفس من ينهيه إليه ؛ اللهم إلا أن يكون الخبر مما يوجب الأدبُ العدولَ عن لفظه الخاص به ، والإخبارَ عنه بألفاظ تؤدى معناه ، ولا يهجُم على المُخْبَر بما يسوء سماعُه ، كأن يكون خبراً يرفعه إلى سلطان عن عبدٍ له قد أطلق فيه ما يضع منه ويُسقط مهابته ، أو نحو من ذلك مما يثقُل على السلطان المنغص منه ؛ فإنه ينبغي أن يُعدَل في هذا وأمثاله عن التصريح إلي التعريض ، ومن التصحيح إلى التمريض ، وعن المكاشفة إلى التورية ، وأن يأتي بألفاظ تدل على معاني ما يروم إبداءه ، ويحرص [على] صورة منزلة السلطان وتوقيره عن قرع سمعه بما يكرهه ولا تجوز مقابلتُه به ؛ وأن يقصد إلى استعمال الإيجاز والإطناب في المواضع التي تحتمل كلا منهما ، فهذا ما يمكن أن يُتعرف من رسوم هذا الباب .

---

(١) مراده الواقعة فيه ولعله مصحف عنه . تأمل (هامش صبح) .

قال : ومن نفذ فهمُه وخاطرُه في الصناعة وتدرب فيها ، يكتفي بهذه اللُّمعة ولا يحتاج إلى زيادة عليها .

[الأجوبة عن كتب الأخبار]

(صبح ٩ : ٢٢٤) قال في « مواد البيان » :

الأخبار على أكثر الأحوال لا أجوبة لها ، وإنما هي مطالعات بأمور يُنهيها الخُدّام ، وأصحاب البُرُد إلى السلاطين ، مما تخرج أوامرهم إلى الولاة بما تضمّنته : مما يقتضيه كل خير ينهى من سياسة عامة ، أو مصلحة تامة . قال : فأما ما يستعمله الإخوان في المكاتبة بالأخبار التي يكل بعضهم إلى بعض الإخبارَ بها ، فمنها ما يقتضي الجوابَ ، ومنها ما لا يقتضيه .

قال : وأجوبة ما يقتضي الجواب منها تُفْتَنُّ بحسب افتنان الأخبار والأغراض التي يجيب المجيب بها ، وهو أيضاً مما لا يعبَّر عنه بقول جامع ولا برسم رسم كليّ ، وإنما يرجَعُ فيه إلى الأمور التي يبتدأ بها ويجاب عنها .

[المداعبة]

(صبح ٩ : ٢٢٥) قال في « مواد البيان » :

ومعاني المداعبات التي يستعملها الاخوانُ غير متناهية،والأغراض التي ينتظمها المزاح وتعدّ من طلاقة النفس لا تقف عند قاصيه : لأنها مستملاة من أحوال متباينة ، ومأخوذة من أمور غير معينة ، وحصرها في رسوم جامعة يستحيل ، وتمثيلها غير مفيد ؛ لأنه لا تعلّق لبعضها ببعض ، ولا نسبة بين الواحد والآخر .

ثم قال : والأحسن بأهل الوداد والصفاء ، والأليق بذوي المخالصة والوفاء ؛ أن يتنزهوا في المداعبة الدائرة بينهم عن بذيء اللفظ ومُفحشه ،

وموئلم الخطاب ومقذعه ؛ ويكفوا اللسان واليد عن الانطلاق بما يدل على خفة الأحلام ، والرضا بالرَّذْل من الكلام اللائق بسفهاء العوام ، ويتحرجوا من إرسال قول يبقى وصمة على [مدى الأيام] إذ لا فرق بين جرح اللسان وجرح اليد ، وقد نطق بهذا المثل ؛ لما في ذلك من الترفع عن دنايا الأمور التي لا يتنازل إليها الكرماء ، والتنزه عن المساقط التي لا يستعملها الأدباء ، وصيانة المروءة عما يشينها ويخدشها ، وتوقيرها عما ينقصها ، والأمن من الجواب الذي ربما قدح في النفس وأثّر وأحمى الصدر وأوغر ؛ ونقل عن التوادد إلى التضاد ، وعن التداني إلى التباعد ؛ وقد أشار إلى ذلك أميرُ المؤمنين عليّ كرم الله وجهه بقوله من أبياته المنسوبة إليه :

فربّ كلامٍ يُمِضُّ الحشـــا وفيه من الضحك ما يستطاب

مع مراعاة السلامة من المداخلة المنطوية على الغل ، والمُراآة المبنية على المكر ؛ إذا لم يكن للمقابلة على الابتداء المحض بالجواب المريض ، وغير ذلك مما لا تؤمن عاقبته ، ولا تحسن عائدته . قال : ويكون المستعمل في هذا الفن ما خف موقعه ؛ ولطف موضعه ، وهشّ له سامعُه ؛ وتلقّاه الوارد عليه مستحلياً لثماره ، مستدعياً لأنظاره ، ولا يعدل به عن سمت الصِّدق ، وطريق الحق ، ومذهب التحرز من المَذْق ؛ ويقتصر فيه على النادرة المستطرفة ، والنكتة المستظرفة ؛ واللمعة المستحسنة ، والفِقرة المستغربة ، دون الإطالة المملة ، ولا يجعل المزح غالباً على الكلام ، مداخلاً لجميع الأقسام : فإن ذلك يفسد معاني المكاتبة ، ويُحيل نظام المخاطبة ، ويضع من معناها وإن كان شريفاً ، ويوخم لفظها وإن كان لطيفاً ؛ ويذهب بجِدّها في مذهب الهزل ويميله عن القصد ، وإلى ذلك يشير بعضهم بقوله :

أفِدْ طبعَك المكدود بالجدّ راحة بلهوٍ وعلِّلْهُ بشيء من المزح !

ولكن إذا أعطيته المزح فليكـن بمقدار ما يُعطى الطعامُ من الملح !

وأن يقتصد مع ذلك .

ثم قال : وينبغي أن يقصد إلى استعمال الدعاية في المواضع اللائقة بها ، والأحوال المشابهة لها ، ولا يودع باباً من الأبواب ،ما لا يحتمله من الخطاب : فإن القصد في هذا النوع من المكاتبات إنما هو الإعراب عن الظرف والبراعة، والإبانة عن طلاقة النفس ، والانسلاخ من تعبيس الفدامة والجهامة ،

ثم عقب ذلك بأن قال : ومن وقف من ذلك عند الحد الكافي ، ولزم فيه الأدب اللائق بأهل التصافي ، دلّ على ما ذكرناه ، وشهد المستعملة باحراز ما وصفناه ومن تعدّى ذلك عدّ من المجون والملاعبة ، وحُسِب من رزالة الطبع ونذالة الخِيم وسفه اللسان ، وغير ذلك من الأمور التي لا تليق بالكاتبين الكرام ، الذين هم خيار الأنام ، وولاة النقض والإبرام .

وختم ذلك بأن قال : والكاتب إذا كان مهيّأ الطبع للانطباع برسوم الصناعة ومناسبة أوضاعها ، أغناه الوقوف على هذا القول المجمل في استعمال ما يقع في هذا الباب عن تمثيل مفصل .

[الأجوبة عن رقاع المداعبة]

(صبح ٩ : ٢٢٨) قال في « مواد البيان » :

ينبغي للمجيب عن المداعبة أن يشتق من نفس الابتداء جواباً مناسباً لها ، وأن يبنيه متى أحب الأخذ بالفضل على المسامحة ، واطراح المناقشة ،والإغضاء عمّا يُمضّ إبقاء على المودّة ، وتحسيناً لقبح الصديق ، وتعوداً لعادة الحلم والاحتمال ، وأن يذهب في الجواب مذهب الاختصار ؛ وإيراد النكت الرائعة كما في الابتداء على ما تقدم .

[الابتداء والجواب وأيهما أعلى رتبة وأبلغ في صناعة الكتابة]

(صبح ٦ : ٣٢٤) :

وذهب صاحب « مواد البيان » إلى أن الابتداء والجواب في ذلك على حد واحد ، وإن كان [1] الكاتب قد يجيد في الابتداء ولا يجيد في الجواب وبالعكس ، محتجاً لذلك بأن كلا من المبتدىء والمجيب محتاج من جودة الغريزة ، محتاج من البلاغة والصناعة إلى ما يحتاج إليه الآخر : لأن الكاتب يكون تارة مبتدئاً وتارة مجيباً ، وليست الاجابة بصناعة على حيالها ، ولا البداية بصناعة على حيالها ، بل هما كالنوعين للجنس ، ولاَّ تَمْنَعَ من أن يكون الكاتب ماهراً في نوع دون نوع .

قال : والكاتب لا يكون في الأمر الأعمّ كاتباً عن نفسه ، وإنما يكون كاتباً عن آمر يأمره بالكتابة في أغراضه ويسلمها إليه منثورة ، فيحتاج إلى نظمها وضمها وإبرازها في صورة محيطة بجميع تلك الأغراض من غير إخلال بشيء منها . فعلى المبتدىء من المشقة في إيراد أغراض المكتوب عنه في الصورة الجامعة لها مع نظمها في سلك البلاغة مثلُ ما على المجيب من المشقة في توفية فصول كتاب المبتدىء حقها من الإجابة والتصرف على أوضاع ترتيبها ، بل كلفة المجيب قريبة ، لأنه يستنبط من نفس معاني كتاب المبتدىء للمعاني التي يجيب بها : لأن الجواب لا يخلو من أن يكون يوافق الابتداء أو يناقضه : فإن وافقه فالأمر سهل ، وإن ناقضه فإن كل نقيض قائم في الوهم على مقابلة نقيضه ، إلا أنه أتعب على كل حال من الموافق ، ولا شك أن الجواب بتجزئته قد خف تحمّله : إذ ليس من يجمع خاطره على الفصل الواحد حتى يخرج عن جوابه كمن يجمع خاطره على الكتاب كله .

---

(١) الظاهر أن كان زائدة والاصل وأن الكاتب قد يجيد الخ كما يفيده المعنى وآخر العبارة . (هامش صبح) .

ثم قال : وليس القصد مما ذكرناه مناقضة مشايخ صناعتنا ، ولكن القصد تعريف الحق الذي يجب اعتقاده والعمل عليه .

[في بيان ترتيب الأجوبة]

(صبح ٦ : ٣٢٥) القلقشندي : أعلم أن للجواب حالتين :

الأولى — أن يكون الجواب من الرئيس إلى المرءوس عما كتب به الرئيس إليه .

فالذي ذكره في « مواد البيان » أن للرئيس أن يبني حكاية كتاب مرءوسيه إليه في جوابه على الاختصار ، ويجمع معانيه في ألفاظ وجيزة ، محيطة بما وراءها كأن يقول : وصل كتابك في معنى كذا وفهمناه .

الثانية — أن يكون الجواب من المرءوس إلى الرئيس عما كتب به الرئيس اليه.

قال في « مواد البيان » : والواجب في هذه الحالة أن يحكي فصول كتاب رئيسه على نصها ويقصها على وجهها من غير إخلال بشيء منها ، إعظاماً لقدر الرئيس وإجلالاً لخطابه .

قال : وليس للمجيب إن مرّ في كتاب الرئيس بلفظة واقعة في غير موضعها أن يُبدلها بغيرها ؛ لما في ذلك من الإشارة إلى أن هذا أصحّ من كتاب رئيسه في ألفاظه ومعانيه .

قال : ولا يجوز الخروج عن حكاية لفظ رئيسه في كتابه بحال ، اللهم إلا أن يكون الكتاب الوارد على المجيب في معنى الشكر والتقريظ من رئيسه له والثناء عليه في قيامه بالخدمة ، فإنه لا يجوز أن يأتي به على نصه ؛ لأنه يصير بذلك مادحاً نفسه ، ومدح الإنسان نفسه غير سائغ ؛ ولا يجوز أن يهمل ذكره جملة لأنه يكون قد أخلّ بما يجب من شكره له على تشريف رتبته بإحماده

له والثناء عليه، بل الواجب أن يوقع تلك الصفة على جملة تجعل نفسه بعضاً منها ، مثل أن يقول « فأما ما وصفه من اعتداده بخادمه في جملة من نهض بحقوق خدمته ، وقام بفرض طاعته ، فأهّله لما يرفع الأقدار من إحماده وثنائه ، ويُعلي الأخطار من شُكره ودعائه » وما يضاهي هذا من العبارة التي تشتمل على معاني ألفاظ رئيسه ؛ فإنه إذا قصد هذا السبيل في حكاية كتاب رئيسه في هذا المعنى ، فقد جمع بين البلاغة والإتيان على معاني ألفاظ رئيسه والأدب في ترك التفخيم لنفسه بإضافته لها إلى جملة الخاصة دون إيقاع المدح عليها فقط .

[ما كان يكتب في الاقطاعات عن الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية]

(صبح ١٣ : ١٣١) قال في « مواد البيان » :

والرسم فيها أن يكتب : أميرُ المؤمنين بما وهبه الله تعالى ، من شرف الاعراق ، وكرم الأخلاق ؛ ومنحه من علوّ الشان ، وارتفاع السلطان ؛ يقتدى بإذن الله سبحانه في إفاضة إنعامه وبرّه ، على الناهضين بحقوق شُكره ، ويوقع أياديَه عند من يقوم بحقها ، ويتألفها بحمدها وشكرها ، ولا يُنفّرها ويوحشها بكفرها وجَحدها ؛ ويتحرى بعوارفه المغارس التي تنجب شجرتُها ، وتحلولي ثمرتها ، والله تعالى نسأله أن يوفقه في مقاصده ، ويُريَه مخايلَ الخير في مصادره وموارده ؛ ويعينه على إحسان يُفيضه ويُسبغه ، وامتنان يُضفيه ويُفرغه .

ولما كان فلان بن فلان ممن غرس أميرُ المؤمنين [إحسانَه] لديه فأثمر ، وأولاه طوله فشكر ، ورآه مستقلاً بالصنيعة ، حافظاً للوديعة ، مقابلاً العارفة بالإخلاص في الطـــاعه ، مستدرّاً بالانقياد والتّباعه ، أخلاف الفضل والنعمة (ويُوصف الرجل المقطع بما تقتضيه منزلته) ثم يقال : رأى أمير

المؤمنين مضاعفة أياديه لديه ، ومواصلة إنعامه إليه ؛ وإجابة سؤاله ، وإنالته أقاصي آماله ، وتنويله ما نَحَتَتْ اليه أمانته ، وطَمَحَت نحوه راحتُه ؛ وإسعافه بما رغب فيه من إقطاعه الناحية الفلانية ، أو الدار أو الأرض ؛ أو تسويغه ما يجب عليه من خراج ملكه ، وما يجري هذا المجرى . ثم يقال : ثقةً بأن الإحسان مغروس منه في أكرم مغرس وأزكاه ، وأحق منزل بالتنويل وأولاه . وخرج أمرُه بإنشاء هذا المنشور بأنه قد أقطعه الناحية الفلانية ، لاستقبال سنة كذا بحقوقها وحدودها ، وأرضها العامرة ووجوه جباياتها ، (وينصّ على كل حق من حقوقها ، وحدّ من حدودها) فإذا استوفى القول عليه ، قال : إنعاماً عليه ، وبسْطاً لأمله ، وإبانة عن خطَره .

فليعلم ذلك كافة الولاة والنظار والمستخدمين من أمير المؤمنين ورَسْمه ، ليعملوا عليه وبحسبه ، وليحذروا من تجاوُزِه وتعدّيه ، وليُقرّ بيده بعد العمل بما نُصّ فيه ، إن شاء الله تعالى .

[فيما يكتب في التذاكر]

(صبح ١٣ : ٧٩) قال في « مواد البيان » :

وقد جرت العادة أن تضمّن جملَ الأموال التي يسافر بها الرسول ليعود إليها إن أغفل شيئاً منها أو نسيه ، أو تكون حجةً له فيما يورده ويُصدره ، قال : ولا غنى بالكاتب من العلم بعُنواناتها وترتيبها .

فأما عُنوان التذكرة فيكون في صدرها تلو البسملة ، فإن كانت للرسول يعمل عليها ، قيل : تذكرة مُنْجِحة صدرت على يد فلان عند وصوله إلى فلان بن فلان ، وينتهي بمشيئة الله تعالى إلى ما نُصّ فيها . وإن كانت حُجةً له يعرضها لتشهد بصدق ما يورده ، قيل : تذكرة مُنجحة صدرت على يد فلان بن فلان بما يحتاج إلى عرضه على فلان .

وأما الترتيب فيختلف أيضاً بحسب اختلاف العنوان : فإن كانت على الرسم الأول كان بصدرها « قد استخرنا الله عز وجل وندبناك ، أو عوّلنا عليك ، أو نفّذناك ، أو وجّهناك إلى فلان : لإيصال ما أودعناك وشافهناك به من كذا وكذا » ويقصّ جميع الأغراض التي ألقيت إليه مجملة . وإن كانت محمولة على يده كالحجة له فيما يعرضه ، قيل : « قد استخرنا الله عزّ وجل وعوّلنا عليك في تحمّل تذكرتنا هذه والشخوص بها إلى فلان ، أو النفوذ ، أو التوجه ، أو المصير ، أو القصد بها وإيصالها إليه ، وعرض ما تضمّنته عليه ، من كذا وكذا » ويقصُ جميع أغراضها .

وهذه التذاكر أحكامها أحكام الكتب في النفوذ عن الأعلى إلى الأدنى ، وعن الأدنى إلى الأعلى ، فينبغي أن تُبتنى على ما يحفظ رتب الكاتب والمكتوب إليه : فإن كانت صادرة عن الوزير إلى الخليفة مثلاً فتصدّر بما مثاله « قد استخرت الله تعالى ، وعوّلت عليك في الشخوص إلى حضرة أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — متحمّلاً هذه التذكرة ، فإذا مثلْتَ بالمواقف المطهرة ، فوفّها حقها من الإعظام والإكبار ، والإجلال والوقار ؛ وقدّم تقبيل الأرض والمطالبة بما أشاء مواصلته من شُكر نعم أمير المؤمنين الضافية عليّ ، المتتابعة لديّ ، وإخلاصي لطاعته ، وانتصابي في خدمته ، وتوفيري على الدعاء بثبات دولته ، وخلود مملكته ؛ وطالعْ بكذا وكذا » وعلى هذا النظام إلى آخر المراتب ، يعني مراتب المكاتبات .

[تقاليد لأرباب السيوف]

(صبح ١٠ : ٣٨٩) : يقول القلقشندي : وقد أورد علي بن خلف من إنشائه في كتابه « مواد البيان » المؤلف في ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية عدة تقاليد لأرباب السيوف .

منها — تقليد في رسم ما يُكتب للوزير ، [وهو] :

الحمد لله المنفرد بالملكوت والسلطان ، المستغني عن الوزراء والأعوان ؛

خالق الخلق بلا ظهير ، ومُصوِّرهم في أحسن تصوير ، الذي دبَّر فأتقن التدبير ، وعَلاَ عن المكاثف والمشير ؛ المانّ على عباده بأن جعلهم بالتوازد إخواناً ، وبالتظافر أعواناً ؛ وأفقر بعضهم إلى بعض في انتظام أمورهم ، وصلاح جُمهورهم .

يحمده أمير المؤمنين أن استخلفه في الأرض ، وناط به أسباب البَرْم والنقض ؛ واسترعاه على بريّته ، واستخلصه لخلافته ؛ وقيَّضه لإعزاز الاسلام ، وحياطة الأنام ، وإقامة الحدود وتنفيذ الأحكام ؛ ويسأله الصلاة على سيدنا محمد خاتم الأنبياء ، وخيرة الأصفياء ؛ المؤيّد بأفضل الظُّهَرَاء . وأكمل الوزراء : عليّ بن أبي طالب المتكفّل في حياته ، بنصره وإظهار شريعته : والقائم بعد وفاته ، مقامه في أمّته ؛ صلّى الله عليهما ، وعلى الأئمة من ذرّيتهما ، مفاتيح الحقائق ، ومصابيح الخلائق ؛ وسلّم ، وشرّف وكرّم .

وإنّ الله تعالى نظَر لخلْقه بعين رحمته ، وخصّ كُلاًّ منهم بضَرْب من ضُروب نعمته ، وأقْدرَهم بالتعاضُد ، على انتظام أمُورهم الوُجودية ، وأوْجدهم السُّبُل بالترافُد ، إلى استقامة شُئُونهم الدُّنْيوية : لتنبْجِس عيُونُ المَعَاون بتوازُرِهم ، وتدِرّ أخلافُ المَرافِق بتظافُرِهم .

وأوْلَى الناس باتّخاذ الوُزَراء ، واستخلاص الظُّهَرَاء ، من جعله اللهُ تعالى إلى حقّه داعياً ، ولخلْقه راعيا ، ولدار الإسلام حاميا ، وعن حِماه مُرامِياً ؛ واستخلفه على الدّنيا وكلّفه سياسةَ المسلمين والمُعَاهَدين ، ولذلك سأل موسى عليه السلامُ وهو القَويّ الأمين ، في استخْلاصِ أخيه هارُونَ لوِزَارته ، وشدّ أزْره بمُوازَرته ، فقال : (واجْعَلْ لي وَزيراً مِنْ أهْلي هارُونَ أخي اشْدُدْ به أزْري) [1] . واستوزر محمدٌ صلى الله عليه وسلم

(1) سورة طه ، الآيات ٢٩ — ٣١ .

وهو المؤيَّد المعصومُ الذي لا ينْطِق عن الهوى ابنَ عمه علياً سيِّد الأوصياء؛ بدليل قوله له : « أنْتَ منِّي كَهَارُونَ من مُوسى إلاّ أنَّه لا نَبيَّ بَعْدي » لأن الإمام لو تولّى كلَّ ما قرُب وبعُد بنفسه ، وعوّل في حيطَتِه على حواسّه ؛ لنصَّ ذلك بتطرّق الخَلَل ، ودخول الوَهْن والشَّلَل ؛ وإنما تستعينُ الأئمةُ على ما كفَّلها الله بكُفَاة الأعوان ، وأهلِ النُّصْرة في الأديان؛ وذَوي الاستقلالِ والتشمير ، والمعرفةِ بوجُوه السياسة والتدبير ؛ والخِبْرة بمَجاري الأعمال ، وأبواب الأموال ، ومصالح الرجال .

وإنَّ أمير المؤمنين لم يزل يرتادُ لوزارته حقيقاً بها مستحقّاً نعْتَها ؛ جامعاً بين الكفَاية والغَناء ، والمناصَحة والــولاء ، والأُبوّة والاختصاص ، والطاعةِ والإخلاص ؛ والنُّصرة والعزْم ، وأصالةِ الرأي والحَزْم ؛ ونَفاسة السياسةِ والتدبير ، والنَّظَر بالمصلحة في الصغير والكبير ؛ والاحتيال والتأديب ، وملابَسة الأيّام والتجريب ؛ والانتماء إلى كريم المَناجب ، بضمير المَناصب ؛ ويُكرِّر في الاختيار تقليدَه [1] ، ويُجيل في الانتفاء تأمُّله وتدبُّره . وكلَّما عرَضت له مخَيلةٌ قَمِن تُوافِق إيثارَه ، أخلَفَ نَوْءُها ، وكلما لاحتْ له بارقةٌ تُطابقُ اختيارَه ، خَبَا ضَوْءُها ؛ حتى انتهت رَوِيَّتُه إليك ، وأوقفه ارتيادُه عليك ؛ فرآك لها من بينْهم أهْلا ، وبتَقَمُّص سِرْبالها أوْلى ؛ وبالاستبداد بإمْرتها أحقَّ وأحْرى : لاشتمالك على أعيان الخصائص التي كان زيادٌ [لها] جامعاً ، وحُلُولِك في أعيان المنَاقِب التي لم تزل ترومها متحلِّياً بفرائدها ، وما شُهِرت به من إفاضة العدْل والإقْساط ، وإغاضة الجَوْر والإشْطاط ؛ وإنالة الحقِّ والإنصاف ، وإزالة الظُّلم والإجْحاف ؛ ومراعاة النُّصْح بانسانك شاهداً ، ومناجاته بجذارك جاهداً ؛ ولنُهُوضك بالخَطْب إذا ألَمَّ وأشكل ، والحادثِ إذا أهَمَّ وأعضل؛ وتَفَرُّدِك بالمَسَاعي الصالحه،

(1) لعله « تخيره » تأمل (هامش صبح) .

والآثار الواضحه ؛ والطرائق الحميده ، والمذاهب السّديده ؛ والتحلّي بالنّزاهة والظّلف ، والعطل من الطّبع والنّطف ؛ وفضل السّيرة ، وصدق السّريره ؛ ومحبة الخاصّة والعامه ، والمعرفة بقدر الأمانه ،والاضطلاع بالصّنيعه ، والحفظ للوديعه .

فرأى أميرُ المؤمنين برأيه فيما يُريه ، ويقضي له بالصلاح فيما يعزم عليه ويُمضيه ويسدّد مراميه ومساعيه ؛ ويتعهّده في جميع مقاصده بلطف تحلو ثماره ، وتحسنُ عليه وعلى الكافّة آثارُه ؛ أن قدّ ولاّك النظرَ في مملكته ، وأعمال دولته : برّها وبحرها ، وسهلها ووعرها ، وبدوها وحضرها ؛ وردّ إليك سياسةَ رجالها وأجنادها ، وكُتّابها وعُرفائها ، ورعيّتها ودواوينها ، وارتفاعها ووجوه جباياتها وأموالها ؛ وعقد بك البسطَ والقبْض ، والبرْم والنّقْض ، والحطّ والرفع ، والعطاء والمنْع ، والإنعام والردْع ، والتصريفَ والصّرْف ، ثقةً بأن الصواب منوط بما تُسْدي وتُلحم ، وتُفيض وتنظم ، وتَنْقُض وتُبرم ؛ وتُصدر وتُورد ، وتُقرّر وتأتي وتذر .

فلْتَهْنأ هذه النعمة متملّيا بملْبَسها ، سارياً في قَبَسها ؛ وتلقّها من الشكر بما يَستَرْهنُها ويُخلّدها ، ويُقرّها عليك ويُؤبّدها ؛ واعرفْ ما أهّلك له أمير المؤمنين من هذا المقام الأثير ، والمحلّ الخطير ؛ فإنّما ذلك فضلُ الله يُؤتيه مَنْ يشاء والله ذُو الفضل العظيم .

وأنتَ وإن كنتَ مكتفياً بفضل حصافتك ، وثقابة فطْنتك ، وحُسْن ديانتك ، ووثاقة تجْربتك — عن التبصير ، مستغْنياً عن التنبيه والتذْكير ؛ فإن أمير المؤمنين لا يمتنع أن يزيدك من مراشده ، ما يقفُك على سَنَن الصواب ومقاصده ؛ وهو يأمُرُك بتقوى الله تعالى في سرّك وجهْرك ، واستشعار خشْيته ومراقبته ؛ والله قد جعل لمن اتّقاه مخْرَجاً من ضيق أمره وحرَجه ، ونصبَ له أعلاماً على مناهج فرَجه . وأن تستعملَ الإنصافَ

والعدل ، وتُسْبِغ الإحسان والفَضْل ؛ وتُلينَ كَنَفك ، وتُظهر لُطفك ؛ وتُحسن سيرَتك ، وتُفيضَ بِرَّك ؛ وتصْفَح وتَحلُم ، وتعفُوَ وتَكرُم ؛ وتُبصِّرَ من ترجُو صلاحَه وتفَهِّمَه ، وتُنْصِفَ من أفرطَ جِماحُه وتُقوِّمَه ؛ وتأخذَ بوثائق الحَزْم ، وجَوامِع العَزْم ؛ والغلظةِ والشدّةِ على مَنْ طغى ولَجَّ في غَيِّه وعتا ؛ وبارزَ الله وأميرَ المؤمنين بالخِلاف والشِّقاق ، والانحرافِ والنِّفاق ؛ مستعملاً فاضلَ التدبير عند المُوادَعه ، وفاصلَ المُكافحة عند المُقارَعَه ؛ مُصْلحاً للفاسد ، مُشتِّتاً للشارد ؛ مكثِّراً لأولياء الدولة وخُلصائها ، وحاصداً لبُغاتها وأعدائها ؛ واعظاً مذكِّراً للغافل ، مؤمِّناً للمظلوم الخائف ، مخيفاً للظالم الحائف ؛ مستصْلحاً للمسيئين ، مذكِّراً بإحسان المحسنين ؛ متنجِّزاً لهم الجزاءَ على بَلائهم في الطاعة وآثارهم في الخِدْمة . وأن تنظُرَ في رجال الدولة على اختلافهم نظراً يَسْلُك بهم سبيلَ السّداد ، ويُجْري أمورَهم على أفضل العُرْف المعتاد .

فأما الأماثلُ والأمَراء ، والأعيان والرؤساء ، فتحفَظُ على من أُحْمِدت طريقتُه ، وعُرف إخلاصهُ وطاعتُه ، شِعَار رياسته ، وتزيد في تكرمته ، وتنتهي به إلى ما تتراءى إليه مَواضي همَّته .

وأمّا طوائف الأجناد فتُقِرُّهم على مراتبهم في ديوان الجيش المنصور ، وتخُصُّهم من عنايتك بالنصيب الموْفُور ، وتستخدِمُهم في سَدِّ الثّغور وتسْديد الأمُور ؛ وتُراعي وصولَ أطماعِهم إليهم ، أوقَات الاستحقاقِ إليهم ؛ وإنفاقهم نصاب [1] الوجوبِ منهم .

وأمّا الكُتّاب المستَخْدمون منهم في استخراج الأمْوال ، وعِمارةِ الأعمال ، فتخُصّ كُفاتَهم بما تقتضيه كفايَتُهم ، وأمناءَهم بما تُوجبه

(١) المراد قيامهم بما يجب عليهم من استجادة الخيل والسلاح (هامش صبح) .

أماناتهم ؛ وتستبدلُ بالعاجز الخبيث الطُّعْمة ، والطَّبِع المستشعِر شعارَ المذمَّة : ليتحفظ النَّزِه المأمونُ بنزاهته وأمانته ، ويُقْلِع الدَّنِسُ الخَئُون عن دَنَسه وخيانته ؛ وتأمُر من تختارُه لخدمة أمير المؤمنين منهم أن يَسيروا بالسِّيَر الفاضلة ، ويعملُوا على الرُّسُوم العادلة ؛ فلا يضيِّعوا حقّاً لبيت مال المسلمين ، ولا يُخيفوا أحداً من المعامِلين .

وأما الرعيَّة ، فيأمُرك أن تحكُم بينها بالسَّوية ، وتعتمدَها بعَدْل القضية ؛ وترفَعَ عنها نَيْر الجَوْر ، وتحميَها من وُلاَة الظلم ؛ وتسُوسَها بالفضل والرأفة متى استقامَتْ على الطاعة ، وتأدّبتْ في التِّباعة ؛ وتُقوِّمها متى أجْرَتْ إلى المنازح والافتتان ، وأصرّت على مَغْضَبة السلطان .

وأما الأموالُ وهي العُدّة التي تُرْهِف عزائمَ الأولياء ، وتَغُض من نَواظِر الأعداء ، فتستَخْرجها من مَحَقّها ، وتضعُها في مستحقِّها ؛ وتجتهدُ في وُفُورها ، وتتوفَّر على ما عاد بدُرورها ؛ وأن تُطالعَ أمير المؤمنين بدَرّه وجِلّه ، وعَقْد أمرك وحَلّه ؛ وتُنْهي إليه كل ما تعزِمُ على إنهائه ، وترجعَ فيه إلى رائه : ليُكْرِمك من موادّ تبصيره وتعريفه ، ويزيدَك من هدايته وتوقيفه ؛ بما يُفْضي بك إلى جادّة الخير وسبيله ، ويوضِّح لك علَمَ النَّجاح ودليله .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك : وقد أوْدَعه من تلويح الإشارة ، مايُكتفى به عن تصريح العِبَارة ؛ ثقةً بأنك الأريبُ الألمَعيّ ، والفَطِنُ اللَّوْذَعيّ ، الذي تنتهي به متُونُ التذكير إلى أطرافه وحواشيه ، وتفْضي به هوادي القول إلى أعجازه وتَوَاليه .

فتقلَّد ما قلدَك أميرُ المؤمنين ، وكُنْ عند حُسْن ظَنّه في فضلك ، وصَدِّقْ مخَيلتَه في كمالك ، والله تعالى يعرّف أمير المؤمنين وجه الخيرة في تصيير أمره إليك ، وتَعْويلهِ في مهماته عليك ، ويوفقك لشُكْر المَوْهِبة في

استخلاصك ، والمِنْحة في اجتبائك ، وينهضك بما حمّلك من أعباء مظاهرته ، وجشّمك من أثقال دولته ، ويسدّدك إلى ما يُدِرُّ عليك أخلافَ [نعمته] ، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته .

* * *

ومنها — ما أورده في رَسْم تقليد زَمِّ الأقارب : وهو التقدمة على أقارب الخليفة ، وهذه نسخته :

الحمدُ لله الذي ابتدأ بنعمته ابتداءً واقتضاباً ، وأعادها جزاءً وثواباً ؛ وميّز من اختصّه بهداية خلقه ، واستخلصه لإظهار حقّه ، بأصفاها عطافاً ، وأصفاها نطافاً ؛ وأحسنها شعاراً ، وأجملها آثاراً ؛ واستخرجهم من أطيب البريّة أعراقاً ، وأطهرها شيماً وأخلاقاً ؛ وأقدمها سؤدداً ومجداً ، وأكرمها أباً وجدّاً ؛ وتوحّد بأفضل ذلك وأعلاه ، وأكمله وأسناه ، محمداً صفوته من خلصائه ، وخيرته من أنبيائه ، فأظهره من المنجب الكريم ، والمنتجم الصميم ، والدوحة الطاهر عنصرها ، الشريف جوهرها ، الحلو ثمرها ؛ ورشّح من اختاره من عترته لسياسة بريّته ، والدعاء إلى توحيده وطاعته .

يحمدُه أمير المؤمنين أنّ شرّفه بميراث النبوّة ، وفضّله بأكرم الولادة والأبوّة ؛ وأحلّه في الذِّروة العالية من الخلافه ، وناطَ به أمورَ الكافه ، ويسأله الصّلاةَ على جدّه محمد وعليٍّ أبيه صلّى الله عليهما .

وإن أمير المؤمنين يرى أنَّ من أشرف نعم الله عليه موقعاً ، وألطف مواهبه لديه موضعاً ؛ توفيقَه للمحافظة على مَنْ يواشجُه في كريم نسبه ، ويمازجُه في صميم حسبه ؛ ويُدانيه في طاهر مولده ؛ ويقاربه في طيب محتده ؛ وتنزيل كلٍّ ذي تميّز منهم في دين وعلم ، ودراية وفهم ، وإحلاله بالمنزلة التي يستوجبها بفاضل نسبه ، وفضل مكتسبه ؛ ويبعثُ

أنظاره على التحلّي بخصاله ، والتزيُّن بخلاله : ليحصُلَ لهم من فضْل الخلائق والآداب ، ما يُضاهي الحاصلَ من عَرَاقة المناجب والأنساب ؛ ولذلك لا يزالُ ينُوطُ أمورَهم ، ويكلُ تدبيرهم ، إلى أعيانِ دولتِه ، وأماثل خاصَّته ، الذين يعْتادُون حضرته ويراوحُونها ، ويطالعُونه بحقائق أحوالهم ويُنْهونَها ؛ ويستخرجُون أمرَه في مصالحهم بما يُذَلّل لهم قُطوفَ إحسانه وطَوْله ، ويُعْذِب لهم مَشارعَ بِرِّه وفضله ؛ وما توفيقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكّلُ وإليه يُنيب .

فإن كان العهد إلى خادم ، قال :

ولما كنتَ بحضرة أمير المؤمنين معدُوداً في أُولي النَّباهه ، المترشّحين للاستقلال بأعباء دولتِه وذَوي الوجاهة ، المُستخلَصين لاستكفاء جلائلِ مملكته : لمّا اجتمَع فيكَ من إباء النفس وعِزّتها ، ووَثاقةِ الدِّيانة وحَصَافتها ؛ وسَدادِ السِّيرة واستقامتها ، ونَقاء السريرة وطهارتِها ، وتقيُّلِك مَنْهَج أمير المؤمنين ومذْهَبَه ، وتمثُّلك بهَدْيه وأدبه ؛ ونشْئك في قُصُور خلافته ، وارتضاعِك دَرّ طاعتِه — رأى — والله تعالى يعزِم له على الخير في آرائه ، ويوَفّقه لصالح القول والعمل في أنحائه — أنْ قلّدك زَمَّ بني عمه الأشراف الإسماعيليين ثقةً بسياستِك وحميد طريقتِك ، وإنافةً لمنزلتك وإعراباً عن أثير مكانتِك .

وإن كان العهد إلى شريف قيل بدلاً من هذا الفصل :

ولمّا كنتَ بحضرة أمير المؤمنين ممن زيّن شريفَ محتِده ، بمُنيف سُؤدَده ، وطاهِرَ مَوْلده ، بظاهر مَحْتِده ؛ وكريمَ تالده بنفيس طارفه ، وجليلَ سالفِه ، بنَبيل آنفِه ؛ مقتفياً سَنَن أوّليتك ، مفترعاً على أصُول دَوْحتِك ؛ ضارباً بالسَّهم المُعلَّى في الدِّين والعِلْم ، حائزاً خَصْل السَّبْق في الرَّجاحة والفَهْم — رأى أمير المؤمنين أنْ قلّدك نِقابَة بني عمه الأشراف

الفلانيين : ثقةً بأنك تَعرِف ما يجمَعُهم وإيّاك من الأرحام الواشجه ، والأواصِر المُتمازجه ؛ وتُحسِن السِّيرة بهم ، والتعهُّدَ لهمْ والتوفُّر عليهم .

ثم يوصل الكلام بأيّ الخطابين قُدّم فيقال :

فتقلَّد ما قلَّدك أمير المؤمنين مستشعراً تقوى الله وطاعَتَه ، معتقداً خيفَته ومراقَبَته ؛ سائراً فيمَنْ وَلاّك أمير المؤمنين بسيرته ، مستَنّاً بسُنَّته ؛ متأدِّباً بآدابه ، مقتفياً مَناهج صَوابه ؛ وإكْرام هذه الأسْرة [التي] خَصّها الله تعالى بكرامته ، وفَرَض مودّتها على أهل طاعته ؛ ونَزَّهها عن الأدناس ، وطَهَّرها من الأرْجاس ؛ فقال جل قائلاً : (إنما يُريدُ اللهُ ليُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُم تَطْهِيرا)[1]

واعْرِف لهم حَقّ مراتبِهم الدانيةِ من أمير المؤمنين ، ونَزِّلْهم بحيثُ نَزَّلَهم اللهُ من الدّنيا والدّين ؛ واعتمِدْ تعظيمَ مشايخهم وتوْقيرَهم ، وسياسةَ شُبّانِهم وتَدْبيرَهم ، وتَقْويمَ أخلاقهم وتثقيفَهم ؛ وخُذْهم بلُزُوم الطرائقِ الحميدة ، والمَذاهب السَّديدة ؛ التي تليقُ بأصُولهم الطاهره ، وفُروعِهم المُثْمِره ؛ ومَناحتهم الصَّميمه ، ومَناجبهم الكريمه ؛ وتفَقَّد مَنْشاهم ومَرْباهم ، وخُلَطاهم وقُرْباهم ؛ فمن تناكَرَتْ أعراقُهُ ، وأخلاقُه ، وأنسابُه ، وآدابُه ، بالغْتَ في تنبيهه وتعرْيفه ، فإن نجَع ذلك فيه وإلا بسَطْتَ يدَك إلى تهذيبه ، وإصلاحه وتأديبه : ليَستيقظ من مَنامةِ غِرّته ، ويرجع إلى اللائق بشَرَف ولادته ؛ وانظُر فيهما أوقِف عليهم من الأملاك والمستَغَلاّت ، والضِّياع والإقطاعات ، والرّسُوم والصِّلات ؛ واندُبْ لتولّي ذلك مَنْ تسكُن إلى ثِقَته وأمانتِه من الكُتّاب ، وراعِ سيرتَه في عمارته ، وطريقتَه في تَثْمير ماله وزيادته ، فإن ألفيتَه كافياً أميناً أقررتَه ، وإن وجدْتَه عاجزاً خَئُوناً صرَفْته ؛ واستبدلْت به من يُحْسِن خبَرك ،

(1) سورة الاحزاب ، الآية ٣٣ .

ويُطيب أثَرَك ؛ وأجر الأمْرَ في قسمته بين ذُكورهم وإناثِهم على الرسوم التي يشهَدُ بها ديوانُهم ؛ واكتُب الرِّقاع عنهم إلى الحضرة في اقتضاءِ رُسُومهم ، وما يَعرِض من مهمَّات أمورهم ، وتتنجز كلَّ ما يتعلّقُ بهم وتنوبُ عنهم فيه : لتستقيم شُئُونهم بسياستك ، وتنتظِمَ أحوالهم بحُسْن سَيْرتِك .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك فاعملْ به وانتَهِ إلى متضمَّنه ، إن شاء الله تعالى .

* * *

ومنها — ما أورده في رَسْم تقليد بنقابة العَلَوِيِّين ، وهو :

الحمدُ لله الذي انتجبَ من أسْرار عباده قادَةً جعلهم لمصَالحهم نظاماً ، وانتخب من أخْيار خليقَتِه سادةً صيَّرهم لأمورهم قِوَاماً ؛ وعَدَق بهم هدايةَ مَنْ ضلَّ ، وتقويمَ من دَلَّ ؛ وتعليمَ من جَهِل ، وتذكيرَ من غَفَل ؛ ونصَبَهم أعلاماً على طُرُق الرّشاد ، وأدلةً على سُبُل السّداد .

يحمده أميرُ المؤمنين أن اختصَّه بأثْرةِ الخلافة والإمامة ، وميَّزه بمزيَّة الولاية على الأُمّة والزّعامة ؛ وأنهضه بما كَلَّفه من سياسة بريَّته وتنزيلهم منازِلهَم من اختصاصه وإيثاره ، وإحْلالهم في محَالهَم من استخلاصه واختياره ؛ ويسأله الصلاةَ على أشرف الأمم نِجَاراً وأطيبهم عُنْصُراً ، وأعظمهم مَفْخَراً ؛ سيدنا محمد صلّى الله عليه وعلى أخيه وابن عمّه ، وبابِ حِكْمته وعِلْمه ؛ أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب الراسخ في نَسَبه ، المُداني [له] في حَسَبه ، سيفِه الباتر ، ومُعْجِزه الباهر ، ومُكاتِفه المُظاهر ؛ وعلى الأئمة من ذرّيتهما المهْديّين ، وسلم تسليماً .

وإنّ أمير المؤمنين بما خَصَّه الله تعالى من شَرَف المَنْجَم والمَوْلِد ، وكَرَم المَحْتِد ؛ وخوّله من مَنَاصب الخلفاء والأئمَّة ، وناط به من إمامة

الأمّة – يرى أنّ من نِعَم الله التي يجبُ التحدّثُ بشُكْرِها ، وتَحِقُّ الإفاضةُ في نَشْرِها ، توفيقَه للنظر في أحوال ذَوي لُحْمته ، وأولي مُناسبته ؛ المُواشجين له في أرُومته ، المعتَزين إلى كرم ولادته ؛ وتوخّيَهم بما يُرْفِلُهم في مَلاَبس الجمال ، ويوقِّلُهم في هَضَبات الجَلال ؛ ويُرتّبُهم في الرُّتَب التي يستوجبونها [ويراها] أَوْلى بمَغَارسهم وأنسابِهم ، وماسّاً بأنفسهم وآدابهم ؛ ولذلك يصْرِف اهتمامَه إلى ما يجمع لهم بين شَرَف الأعراق ، وكَرَم الأخلاق ؛ وطهارة العناصر والأواصِر ، وحيازةِ المَناقب والمآثِر .

ولما كنتَ بحضرة أمير المؤمنين من جِلّتهم العُلَماء ، وطَهَرَتِهم الأزكياء ؛ وأبرارهم الصُّلَحاء ، وخيارهم الفُضَلاء ، الذين تضارعَتْ أخلاقُهم وأعراقُهم ، وتقارَعتْ أنسابُهم وآدابُهم ؛ وتشاكهَتْ مواردُهم ومصادرهُم ، وتشابهَتْ أوائلُهم وأواخرُهم ، واتفقت جيُوبُهم ودخائلهم ، وتوضّحت عن الدين والخير مخايلُهم . هذا مع ما يرعاه أميرُ المؤمنين من كريم مَساعيك في خدمته ، وإصابة مَراميك في طاعتِه ؛ واعتصامك بحبْل متَابعتِه ، ونهوضك بحقوقِ ما أسبغَه عليك من نِعْمته – رأى أمير المؤمنين – والله تعالى يَقضي له في آرائه بحُسْن الاختيار ، ويُمِدّه بالعون والتأييد في مجاري الأقدار – أنْ قلّدك النِّقابةَ على الأشراف الطالبيِّين أجمعين ، المقيمين بالحضرة وسائر أعمال المملكة شَرْقاً وغَرْباً ، وبُعْداً وقُرْباً ؛ ثقةً بأنّك تصدِّق مخَيلته فيك واعتقادَه ، وتَستَدْعي بكفايةِ ما استكفاك شُكْرَه وإحمادَه ؛ وتستدرُّ بالاستقلال والغَنَاء أخلافَ إحسانه وفضله ، وتمتري بالاضطلاع بمُضْلِع الأثقال فائضَ امتنانه وطَوْله .

فتقلَّد ما قلّدك أمير المؤمنين عاملاً بتقوى الله وطاعته ، مستشْعِراً لخِيفته ومراقبتِه ؛ وأَحسِنْ رعايةَ من عَدَق بك رعايتَه ، وسياسةَ من وكَلَ إليك سياستَه .

واعلم أنَّ أمير المؤمنين قد ميَّزك على كافَّة أهل نَسَبك ، وجميع من يُواشِجُك في حَسَبك ، وجعلك عليهم رئيساً ولهم سائساً ، فاعْرِف لهم حقَّ القرابة والمشابكة ، وتَشاجُر الأنساب والمُشاركة ؛ فإن الله تعالى يقول : (قُلْ لا أسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاّ المَوَدَّةَ في القُرْبى) [1] . وعُمَّهم جميعاً بالتوقير والإكرام ، والتفَقُّد والاهتمام ؛ واتَّخِذْ شيْخَهم أبا ، وكَهْلَهم أخا ، وطِفْلَهم ولدا ؛ وافرِض لهم من الحَنان ، والإشفاق والفَضْل والإحسان ، ما تقتضيه الرَّحِم الدانيه ، والأواصرُ المُتقاربه ؛ وكُنْ مع ذلك متفَقِّداً لأحوالهم ، مطالِعاً لسِيَرهم وأفعالهم ؛ فمن ألفَيْته سالكاً لأقْصَد الطرائق ، متَخَلِّقاً بأجمل الخَلائق ؛ حارساً لشَرَفه ، متشَبِّها بسَلَفه ، فزِدْه في الأُثْرة زيادةً تُرغِّب أمثالَه في اقتفاء مَذْهبه ، وتبعَثُه على التأدُّب بأدَبه ؛ ومن وجدْته مستحسناً ما لا يليق بصَريح عِرْقه ، راكباً ما ليس من طُرُقه ، فأيْقظه بنافِع الوَعْظ ، وذكِّره بناجع اللَّفْظ ؛ فإن استقامَ على الطريقة المُثْلى ، ورجع إلى الأجْدر والأوْلى ، عرفْتَ ذلك من فِعله ، وفرضتَ له ما تَفْرِضُه لصُلَحاء أهله : فإن الله تعالى قد فتح باب التوبه ، ووعَدَ بإقالة أهل الإنابة ؛ ومَنِ انحرفَ عن التذكير ، وانصرفَ عن التبصير ؛ وأصَرَّ وتمادى ، وارتكب ما يُوجب حدّاً ؛ امتثلتَ أمرَ الله تعالى فيه ، وأقمتَ الحدّ عليه ؛ غير مُصْغٍ إلى شَفَاعه ، ولا مُوجب لحقّ ذَريعه : فإن أمير المؤمنين يصل من ذَوي أنسابه ، من وَكَّدها بأسبابه ؛ ويقطَع من أوجب الحقُّ قطيعتَه ، ولا يراعى رَحِمَه وقرابتَه . ووكِّلْ بهم من يَرْوي إليك أخبَارَهم ، ويكشِفُ لك آثارَهم : ليعلموا أنهم ببال من من مطالَعتك ، وبعينٍ من اهتمامِك ومشارفَتِك ؛ فيكبَحُ ذلك جامِحَهم عن العِثَار والسَّقَط ، ويمنع طامِحَهم من الزَّلَل والغَلَط ، وتَوخَّهم في

---

(1) سورة الشورى ، الآية ٢٣ .

خطابك بالإكرام ، وميّزهم عن محاورَة العوام ؛ ولا تقابِلْ أحداً منهم ببَذاء ولا سَبّ ، ولا قَدْح في أمّ ولا أب ؛ فإنهم فروعُ دوحةِ أمير المؤمنين وعِترتُه الذين طهّرهم الله من الأرجاس ، وفرَضَ قِراهم على الناس . ووَفّر اهتمامَك على صيانة النَّسَب من الوَكْس ، وحياطته من اللَّبْس ؛ فإنه نسَبُ الرسول صلّى الله عليه وسلم الذي يتصل يومَ انقطاع الأنساب ، وسببُه الذي يتشج يومَ انفراط الأسباب ؛ وأثبِتْ أسماءَ كافّة مَنْ يعتزى إلى هذا البيت منسوبةً إلى أصولها : لتأمن من دَخيل مُلصَقَ يتزوّر عليها ، ومختلَقٍ مُلْحَق ينضم إليها . وإن عرف مدَّعٍ نسباً لا حجةَ له فيه ، ولا بينةَ عندَه عليه ؛ فغلّظ له العقاب ، واشْهَره شُهرة تحجزُه عن معاودة الكذّاب ؛ واحتَطْ في أمر المَناكح وصُنْها عن العَوامّ ، ووَقّر كرائمَ أهل البيتِ عن مُلابسة اللئام ؛ وإن ادّعى أحدٌ من الرعيّة حقّاً على شريف فاحمِلْها على السويّة وعِده بإنصاف خصمه ، وامنَعْه من ظُلْمه ؛ وإن ثَبَت أيضاً في مجلس الحُكْم حقٌّ على أحد من الأشراف فانزِعْه منه [وول] [1] على من في البلاد ، أهل السَّداد منهم والرَّشاد ؛ ومُرْهم بتقبُّل مذهبك ، ونَقْل أدبك ؛ واصرف اهتمامَك إلى حِفْظ أوقافهم وأملاكهم ومستغَلاّتهم في سائر الأعمال ، وحُطْها من العَفاء والاضْمِحلال ؛ وتوفّر على تثمير ارتفاعها ، وتزجية مالها ؛ واستخدِمْ لضبط حاصلها ، وجهات مُنْفَقِها ، مَنْ تسكُن إلى ثقته ، وتَثِق بنهْضته؛ووزّع ما يرتفع من استغلالها بينَهم على رُتَبِهم التي يشهد بها ديوانهم .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك فانته إليه منتهجاً لتمثيله ، معتمداً بدليله ؛ وطالعْ أمير المؤمنين بما التبسَ عليك وأبْهَم ، وأشكَلَ واستَعْجَم : ليَقفك على واضح السَّنَن ، ويُرشدك إلى أحسن السُّنَن ؛ واستعِنْ بالله يهدِك

(1) الزيادة ليستقيم الكلام . (هامش صبح) .

لمعونته ، واستهدِه يؤيِّدْك بهدايته ، إن شاء الله تعالى .

* * *

ومنها – ما أورده في رسم تقليد بزم طوائف الرجال .

الحمدُ لله البديع تقديرُه ، الحكيم تدبيرُه ، الذي أتقن ما صنع وأحكمه ، وكمَّل ما أبدع وتمَّمه ؛ وأعطى كلَّ مصلحة من مصالح عباده نظاماً ، وكلَّ مرفِق من مرافق خلقه قِواما ؛ فلا يُقارَب فيما خلَق وصوّر ، ولا يُشاكل فيما قدّر ودبّر ؛ ورأبَ ثَلْم بريّته بمن استخلصه من خاصّتها ، لسياسة عامّتها ؛ وانتخبه من أشرافها ، لتسديد أطرافها ؛ وإقامة من سادَها لإصلاح فاسدِها ، وتقويم مائدها ؛ وتوقيفِها على سَنَن الصواب ، وتعريفها بمحاسن الآداب .

يحمده أمير المؤمنين أن أحلَّه في المنْزلة العليَّة : من اصطفائه واستخلاصه ، والذّروة السنيَّة : من اجتبائه واختصاصه ؛ وفوّض اليه تنزيلَ الرتب وتَخْويلها ، وإقرارَ المنازل وتحويلَها ؛ وناط به البَرْم والنقض ، والرَّفْع والخَفْض ؛ والرِّيْش والحصّ ، والزيادةَ والنَّقْص ؛ وسوّغه الشُّكْر على مواهبه السابغ عطافُها ، الفسيحة أكنافُها ، البعيدةِ أطرافُها ؛ و [يسأله] أن يصلي على نبيّ الرحمه ، ومُفيد الحكمه ، سيدنا محمد خاتمَ الرّسُل ، ومُوضّح السُّبُل ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وابنِ عمه ، وخليفته على أمته وقومه : عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين ، ومَوْلى المسلمين ، وعلى الأئمة من ذُرّيتهما الطاهرين .

وإنّ أمير المؤمنين بما فوّضه الله تعالى إليه من حِمَاية الأنَام ، والمُراماةِ عن دار الإسلام ؛ وكفّله من غَضّ نواظر أهل العِناد ، وتنكيسِ رُءوس رؤساء الإلحاد ؛ لا يزال ينظُر في مصالح عبيده ، وتَوَفُّر سياسة رجال دولتِه وجنودِه ، الذين هم حِزْبُ الله الغالبُون ، وجندُه المنصورُون ؛

ويردُّ النظرَ في أمورهم ، والتقدّمَ عليهم ؛ وزَمَّ طوائفهم ، إلى خواصّ دولته ، وأعيان مملكته ، الذين بَلاَ طرائقَهم ، وحَمِدَ خلائقَهم : من الغَناء والكفاية ، والسَّداد وحُسْن السياسة ؛ ونقّلَهم في الخدم فاستقلّوا بأعبائها وأثقالها ، ونهضُوا بناهض أعمالها ؛ ومضتْ عزائمهُم في حياطة البيضة ، واشتدّت صرائمهم في تحصين الحَوْزة ، وصدقتْ نيّاتهم في المُراماة عن الملّه ، والمحاماة عن الدعوة والدّوْله .

ولمّا كنتَ بحضرة أمير المؤمنين مُعَدّاً لمهمّاته ، معدوداً في أماثل كُفاته ؛ مشهوراً بحسن السياسة لما تُورده وتُصدرُه ، معروفاً بفضل السِّيرة فيما تأتيه وتَذَره — رأى أمير المؤمنين — والله يُرشده لأعوَدِ الآراء بالصلاح والإصلاح ، وأدْناها من الخير والنجاح — أنْ قَلّدك زِمَامَ طائفة الرجال الفلانيين (ويوصفون بما تقتضيه مكانتهم من الدولة وحسن سيرهم في الخدمة) إنافةً بقَدْرك ، وإبانةً عن خَطَرك ، وتنويهاً بذكْرك ، وتفخيماً لأمرك.

وهو يأمُرُك بتقوى الله تعالى وطاعته ، واستشعارِ مراقبته ؛ ورياضة خلائقك على محبّة العَدْل ، وإيثار الفَضْل ؛ واتّباع اللُّطْف ، واجتناب العَسْف ، وتوخّي الإنصاف ، وبَسْط الهيبةِ من غير إجْحاف ؛ وأن تخُصَّ هذه الطائفة من النظر في أمورها ، وتعهُّد صغيرها وكبيرها ، بما يُسَدِّد أحوالهَا ، ويحقّقُ آمالهَا ؛ وتأخُذَها بأحسَن الآداب اللائقة بأمثالها ، وسُلوك الطريقَة المعهودة من أعيانها وأماثِلها ؛ وتُشْعرها من أمير المؤمنين بما يشرَحُ صَدْرها في خدمته ، ويُقِرّ عينها في طاعته ؛ والمسارعة إلى مكافحة أعدائه، والتميُّزِ في نُصْرة أوليائه ؛ وتُطالِع بحال من يستحِقُّ الاحترام ، ويستوجبُ إفاضةَ الإنعام ؛ وتكتبَ الرِّقاع عنها (مستدْعياً للرِّباطات ،في الأطماع والعاجزين شاملاً في التعويد والتأمير والتلقيب والولايات قاصداً في

ذلك ما يُفسح آمالها في الآجال ، ويُوثّقها بدُرُور الأمثال) (١) ؛ فإنهم أمراءُ الحُروب ، وكُفاة الخطوب ، الذين يجاهدُون عن الحَوْزة ، ويُرامُون عن الدولة ؛ وافرض لهم من الإكرام ، وتامّ الاهتمام ؛ ماتقتضيه مكانتُهم في الدوله ، ومَوْضعهم من الخدمه ، وتكفّلْ أوساطهم بالرّعايه ، واصْرِف إليهم شَطْراً موفوراً من العنايه ؛ وألْحِق من بَرَّز منهم وتقدّم ، ونَهَض وخَدَم ، بنظرائه وأمثاله ، وساو بينه وبين أشكاله ؛ وتعهّد أطرافهم بملاحظتك ، وتفقّدْهم بسياستك ؛ وخُذْهم بلُزُوم السِّيَرِ الحميده ، والمذاهب السّديده ، والتوفّر على ما يُرْهف عزائمَهم ؛ ويؤيّد أيديَهم ؛ ولا تُفسّح لأحد من هذه المذاهب في مخالطة العَوّام ولا مشاركة التُّجّار والاحْتِراف ، ووكّلْ بهم من النُّقباء من يَبْتلي سِيَرَهم ، ويُنْهي إليك أخبارَهم ؛ فمن علمته قد اجترأ إلى نَسْخ المَذْهب ، فتناوَلْه بأليم الأدَب ؛ واحْضُضْهم على الإدْمان في نَقْل السلاح ، والضَّرْب بالسيف ، والمطاعنة بالرمح ، والإرْماء عن القَوْس ؛ ومَيِّز مَـــنْ مَهَر واستقلّ ، وقَصَّر بمن ضَجِعَ وأخَلّ ؛ فهم كالجَوَارح التي ينفعُها التعليم والإجراء ، ويضُرُّها الإهمالُ والإبْقاء ؛ وفي صرفك الاهتمامَ إليهم ما يزيدُ في رَغْبةِ ذي الهمّة العليّه ، ويبعَثُ المعروفَ في النفس الدَّنِيّه ؛ وأن تُطالبَهم بالاستعداد ، وارتباط الخُيُول الجِياد ؛ والاستكثار من السّلاح الشاك والجُنَن . وليَكُنْ ما تُطالبهم بإعداده من هذه الأصناف على حَسَب الفُروض من العَطاء ، ولا تُرَخّص لأحد في الاقْتناع بما لا يليقُ بمنْزِلته ، والرضا بما يقَع دُون ما يعتَدُّه أماثلُ طبَقته . ومَنْ مات من هذه الطائفة وخلّف ولداً يتيماً فضُمّه إلى أمثاله ، وانظُرْ في حاله ؛ ووَكّل به مَنْ يفَقّهه في دينه ، ويعَلّمُه ما لا غِنى عن تعْليمه من كتاب الله وسُنّته ، ومن يهذبه في الخدمة ويعلّمه العملَ بآلاتها ، والتنقّلَ في حالاتها ، ويطلِقُ له

(١) كذا في النسخ ولم نهتد إلى المراد منها . (هامش صبح) .

ذلك ما يُفَسّح آمالها في الآجال ، ويُوثّقُها بدُرُور الأمثال) [1] ؛ فإنهم أمراءُ الحُروب ، وكُفَاة الخطوب ، الذين يجاهِدُون عن الحَوْزة ، ويُرامُون عن الدولة ؛ وافرِض لهم من الإكرام ، وتامّ الاهتمام ؛ ماتقتضيه مَكانَتُهم في الدوله ، ومَوْضعهم من الخدْمه ، وتكفَّلْ أوساطَهم بالرِّعايه ، واصْرِف إليهم شَطْراً موفوراً من العنايه ؛ وألْحِق من بَرَّز منهم وتقدَّم ، ونَهَض وخَدَم ، بنظرائه وأمثاله ، وساو بينه وبين أشكاله ؛ وتعهَّد أطرافهم بملاحظَتك ، وتفقَّدْهم بسياستك ؛ وخُذْهم بلُزُوم السِّيَرِ الحميده ، والمذاهب السّديده ، والتوفّر على ما يُرْهف عزائِمَهم ؛ ويؤيِّد أيديَهم ؛ ولا تُفَسِّح لأحد من هذه المذاهب في مخالطة العَوَام ولا مشاركة التُّجَّار والاحْتَراف ، ووكِّلْ بهم من النُّقباء من يَبْتلي سِيَرَهم ، ويُنْهِي إليك أخبارَهم ؛ فمن علمته قد اجترأ إلى نَسْخ المَذْهب ، فتناوَلْه بأليم الأدَب ؛ واحْضُضْهم على الإدْمان في نَقْل السلاحِ ، والضَّرْب بالسيف ، والمطاعنة بالرمح ، والإرْماء عن القَوْس ؛ ومَيِّز مَــــنْ مَهَر واستقَل ، وقَصَّر بمن ضَجِع وأخَلّ ؛ فهم كالجَوَارح التي ينفَعُها التعليم والإجراء ، ويضُرُّها الإهمالُ والإبْقاء ؛ وفي صرفلك الاهتمامَ إليهم ما يزيدُ في رَغْبةِ ذي الهمَّة العليَّه ، ويبعَثُ المعروفَ في النفس الدَّنِيَّه ؛ وأن تُطالبَهم بالاستعداد ، وارتباط الخُيُول الجِياد ؛ والاستكثار من السّلاح الشاك والجُنَن . وليَكُنْ ما تُطالبهم بإعداده من هذه الأصناف على حَسَب الفُروض من العَطَاء ، ولا تُرَخِّص لأحد في الاقْتناع بما لا يليقُ بمنْزِلته ، والرضا بما يقَع دُون ما يعتَدُّه أماثلُ طبَقته . ومَنْ مات من هذه الطائفة وخلَّف ولداً يتيماً فضُمّه إلى أمثاله ، وانظُرْ في حاله ؛ ووَكِّل به مَنْ يفَقِّهه في دينه ، ويعَلِّمُه ما لا غِنى عن تعْليمه من كتاب الله وسُنَّته ، ومن يهذبه في الخدمة ويعلِّمه العملَ بآلاتها ، والتنقُّلَ في حالاتها ، ويطْلَقُ له

---

(1) كذا في النسخ ولم نهتد إلى المراد منها . (هامش صبح) .

من إنعام أمير المؤمنين ما يقُوم بكُلْفتها ولوازمها ، وخُذْ كلاًّ من تُقَدِّمهم بخدمها والجَرْي على عادتها في النُّهوض بما يُستَنْهض به ، ولا يُفسَّح لها في التَّثاقُل عنه ؛ وسوِّ بينَهم في الاستخدام ، ولا تخُصَّ قوماً بالتّرفيه والإجمام ؛ فإنّ في ذلك إرهافاً لعزائمهم ، وتقويةً لمُنَنِهم ، وإفاضةَ العدل عليهم .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، قد وكَّد به الحجةَ عليك ، فتأمَّلْه ناظراً ، وراجِعْه متدبِّراً ؛ وانتَه إلى مَصَايره ومراشِده ، واعملْ على رُسُومه وحدُوده ، يُوفّقِ اللهُ مقاصِدَك ، ويُسْعِد مَصالحك ويتولاّك ، إن شاء الله تعالى .

ورُسوم هذه العهود يتفاضلُ الخطابُ فيها بحسب تَفاضُل الطوائف ومَن يولّى عليها . وهذا الأنمُوذج متوسِّط تُمْكن الزيادةُ عليه والنقصُ منه .

* * *

ومنها — ما أورده في رسم تقليد بإمارة الحج ، وهذه نسخته :

الحمدُ لله الذي طهَّر بيته من الأرْجاس ، وجعلَهُ مَثَابةً للناس ؛ وآمَنَ مَنْ حلَّه ونَزَله ، وأوْجَب أجرَ من هاجر إليه ووصلَه .

يحمدُه أمير المؤمنين أن خصَّه بحيازة البيت الأعظَم ، والحِجْر المكَرَّم ، والحَطيم وزَمْزَم ، وأفضى إليه ميراثَ النبوّة والإمامه ، وتُراثَ الخلافة والزَّعامه ؛ وجعله لفَرْضه موَفّيا ، ولحقوقه مؤدِّيا ؛ ولحُدُوده حافظاً ، ولشَرائعه ملاحِظاً ؛ ويسأله أن يصَلّي على مَنْ أمره بالتأذين في الناس بالحجِّ إلى بيته الحرام لشهادة مَنافعهم ، وتأديةِ مناسكهم ؛ وقَضاءِ تَفَثِهم ، ووَفاء نَذْرهم ، وذِكْر خالقِهم ؛ والطوافِ بحَرَمه ، والشكر على نِعَمه : سيدنا محمدٍ رسوله صلّى الله عليه وعلى وصيّه وخليفتِه ، وباب مدينة علمِه

وحكمته : عليٌّ بن أبي طالب سيد الوصيين ، وعلى الأئمة من ذريتهما الطاهرين .

وإنَّ أولى ما صَرَف أمير المؤمنين إليه همته ، ووفَّر عليه رعايته ؛ مُثابراً عليه ، وناهضاً لحق الله تعالى فيه ؛ النظرُ في أمر رُفَق الحجيج الشاخصة إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ ورده إلى من حلَّ محلَّك من الدين ، وتميز بما تميَّز به صُلَحاء المسلمين : من العلم ، ورجاحة الحلم ، ونفاذ البصيره ، وحُسْن السريره ، وعَدْل السيره ؛ ولذلك رأى أمير المؤمنين أنْ قلَّدك أمرَ رُفَق الحجيج المتوجهة من موضع كذا إلى الحرمين المحروسين ، وولاك الحرب والأحداث بها : واثقاً باستقلالك وغنائك ، وسدادك وإصابة آرائك ؛ فتقلَّد ما قلَّدك أميرُ المؤمنين بعزم ثاقب ، ورأيٍ صائب ؛ وهمةٍ ماضيه ، ونفسٍ ساميه ؛ وشمِّر فيه تشميراً يُعْرِب عن متحلِّك من الاضطلاع ، ويدلُّ على استقلالك بحقِّ الاصطناع ؛ وخُصَّ الحجاج بأتمِّ الأحظ ، وكُنْ من أمرهم على تيقُّظ ؛ واعتمدْ ترقُّبهم في المسير ، وسوِّ في رعايتهم بين الصغير والكبير ؛ فإنهم جميعاً إلى الله متوجهون ، وإلى بيته الحرام قاصدون ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وافدون ؛ قد استقربوا بعيد الشُّقَّه ، واستوطؤوا خشن المشقَّه ، رغبةً في ثواب الله وعفْوه ، والنجاة من عقابه وسطْوه ؛ وتقرُّباً إليه بارتسام أمْره وطاعته ، وإيجاباً للحرمة بالحلول في عراص بيته وأفْنيته ، فمرافدتُهم واجبة ، ومساعدتُهم لازبة ؛ حتى يصلوا إلى بُغْيتهم وقد شملتهم السلامةُ في الأنفس والأموال ، والأمنةُ في الخيْل والرجال : متوجهين وقارين وقافلين ، بعد أن يشْهدوا منافعَهم ، ويؤدوا مناسكهم ، ويعملوا بما حُدّ لهم . ورُدَّهم في سيْرهم عن الازدحام ، ورتِّبهم على الانتظام ؛ وراعِهم في وُرُود المناهل ، وامنعْهم من التحادُث عليها والتكاثُر فيها ؛ حتّى لا ينفصلوا منها إلا بعدَ الارتواء ، ووقوع

التّساوي والاكتفاء ؛ وقَدم أمامَهم من يمنعُهم من التسرُّع ، وأخِّرْ وراءَهم من يحفظهم من التقطُّع ؛ ورتِّب ساقَتَهم ، ولا تُخلِ بحفظهم من جميع جهاتِهم ؛ وطالِعْ أميرَ المؤمنين في كل منْزِلٍ تنزِلهُ ومحلٍّ تحُلُّه بحقيقة أمرك ليقفَ عليها ، ويُمدَّك بما يُنْهضك فيها .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك فتدبَّره عاملاً عليه ؛ متبصِّراً بما فيه ، عاملاً بما يحسُن موقِعهُ لك ، ويزيدك من رضا الله وثوابه ، إن شاء الله تعالى.

* * *

ومنها – ما أورده في رسم تقليد الإمارة على الجهاد ، وهذه نسخته :

الحمد لله الصادق وعْدُه ، الغالب جُنْدُه ، ناصر الحق ومُديله ، وخاذل الباطل ومُذيله ؛ مُحِلِّ النَّكْب بمن انصرف عن سبيله ، ومُنْزِلِ العِقاب بمن تحرَّف عن دليله ؛ الذي اختار دين الإسلام فأعلى مَنارَه ،ووضَّح أنواره ؛ واستخلَص له من أوليائه أعضاداً لا تأخُذُهم في الحق لومةُ لائِم ، ولا يُغْمِضون عن المكافَحة دُونَه جَفْنَ حالم؛ وجَزَاهم على سعْيِهم في نُصْرته جزاءً فيه يتنافسُ المتنافسُون،وإلى غاياتِه يَرْتمي بالهِمَم المُجِدُّون؛ قصداً من الله تعالى في إعزاز دينه ، وإنجازِ ما وعدَ به خُلفاءَه من إظهاره وتمكينه ؛ وقطّاً لشَوْكة أهل العِناد ، وتَعْفية لآثار ذَوي الفساد؛وتوفيراً لأحاظي من بذَل الاجتهاد ، من سُعَداء عبادِه في الجِهاد .

يحمدُه أمير المؤمنين أن اختصَّه بلطيف الصُّنْع فيما استَرْعاه،ووفّقه للعمل بما يُرْضيه فيما وَلاَّه؛ وأعانه على المُراماة عن دارِ المسلمين، والمحاماةِ عن ذِمَار الدين ؛ ومجاهدة [مَنْ] ندَّ عنهما صادفاً ، ونَكَب عن سبيلهما مُنْصرِفاً ؛ وإبادة من عَنَد عن طاعته واتَّخذ معه إلهاً آخرَ لا إلَه إلا هو سبحانه وتعالى عما يقُول المُشْركون عُلُوّاً كبيرا ؛ واستنْزالهم من صَيَاصيهم قَهْراً واقْتساراً ، وإخراجِهم عن بيوتهم عِزّاً واقْتِداراً ؛ وإذاقتهم وَبَالَ

آمرهم [و] عاقبة كفرهم ، اتباعاً لقول الله تعالى إذ يقول : (يا أيُّها الَّذينَ أمَنُوا قَاتِلُوا الّذينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فيكُمْ غِلْظَةً واعْلَمُوا أنَّ اللهَ مع المُتَّقينَ) [1] .

ويسأله أن يصَلّي على أشْهَر الخلْق نُوراً وفضلاً ، وأطْهر البريَّة فَرْعاً وأصلاً ؛ وأرشد الأنبياء دَليلاً ، وأقصد الرُّسُل سبيلا : محمد رسوله الذي ابتعثه وقد توعَّر طريقُ الحق عافِياً، وتَغَوّر نُورُ الهدَى خافِياً ؛ والناسُ يتَسَكَّعُون في حنَادِس الغَمَرات ، ويتورّطُون في مَهاوي الهلَكات ؛ لا يعرفُون أنهم ضُلاَّل فيستَهْدُون . ولا عُمْي فيستَبْصِرون ؛ فأيَّده وعضَّده ، ووفَّقه وسَدّده ؛ ونَصَره وأظهَره ، وأعانه وآزَرَه ؛ وانتخب له من صَفْوة خلْقِه أوْلياءَ كاتَفُوه على ظُهور حقّه ، سَمَحُوا بالأنفس العَزيزة ، والأموال الحَريزة ؛ وجاهدُوا معه بأيدٍ باسطة ماضية، وعزائمَ متكافية متوافية ؛ وقلوبٍ على الكفَّار قَسِية قاسيه؛ وعلى المؤمنين رءوفة حانِيَة. فلمَّا صَدقُوا ما عاهَدُوا الله عليه ، وارتسمُوا أمْره وانتهوا إليه ، شَرّكهم معه في الوصْف والثناء وأضافَهُم إليه في المَدْح والإطراء ؛ فقال جل قائلاً : (محمّدٌ رَسُولُ الله والّذينَ مَعَهُ أشِدّاءُ على الكُفَّارِ رُحماءُ بَيْنَهُم) [2] . صلّى الله عليه وعلى أخيه وابن عمّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب سيف الله الفاصِل ، وسنانِه العامل؛ ومُعْجِز رسُوله الباهر ، ووزيره المُظاهِر ؛ مُبيد الشُّجْعان ، ومُبير الأقران ؛ ومُقَطّر الفُرسان ، ومُكَسّر الصلبان ؛ ومنَكّس الأوْثان ، ومُعزّ الإيمان ، الذي سبَقَ الناسَ إلى الإسلام ، وتقدّمَهم في الصَّلاة والصِّيام ، وعلى الأئمّةِ من ذريتهما الميَامين ، البَرَرة الطاهرين ، وسلَّم تسليما .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٣ .

(٢) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .

وإنّ أمير المؤمنين بما كلّفه الله تعالى من [أمر] دينه ، ووعده من إظهاره وتمكينه ؛ يرى أنّ أفضل ما رنّا إليه ببصر بصيرته ، ورمى نحوه بطامح همّته ، ما شملت الدينَ والدنيا بركتُه ، وعمّت الإسلام والمسلمين عائدتُه ؛ وحلّ محلّ الغيث إذا تدفّق وهمع ، والنهار إذا تألّق ولمع . ولا شيء أعودُ على الأمة ، وأدعى إلى سبوغ النعمة ، من علوّ كلمتهم ، وارتفاع رايتهم ؛ وتحصين حوزتهم ، وإيمان منتصّتهم ؛ وتأدية الفريضة في مجاهدة أعدائهم ، وصرفهم عن غلوائهم ؛ واقتيادهم بالإذلال والصغار ، وكبْحهم بشكائم الإهوان والاقتسار ؛ ومواصلتهم بغزو الديار ؛ وتعفية الآثار ، وإيداع الرعب في صدورهم ، وتكذيب أمانيّ غرورهم ؛ ووعظهم بألسنة القواضب ، ومكاتبتهم على أيدي الكتائب : لما في ذلك من ذلّ الشرك وثبوره ، وعزّ التوحيد وظهوره ؛ ووضوح حجّة أولياء الله تعالى على أعدائه بما ينزله عليهم من نصره ومعونته ، ويؤيدهم به من تأييده وعنايته ؛ لا جرم أن أمير المؤمنين مصروف العزمه ، موقوف الهمّه ، على تنفيذ البعوث والسرايا ، والمواصلة بالجيوش والعرايا ؛ وتجهيز المرتزقة من أولياء الدولة ، وحضّ المطوّعة من أهل الملة ، على ما أمر الله تعالى به من غزو المشركين ، وجهاد الملحدين ؛ نافذاً في ذلك بنفسه ، وباذلاً فيه عزيز مهجته ، عند تسهّل السبل إلى البعثة ، ووجود الفسحة ؛ ومعوّلاً فيه عند التعذّر على أهل الشجاعة والرجاحة من أعيان أهل الإسلام الذين أيقنت ضمائرهم ، وخلصت بصائرهم ؛ ورغبوا في عاجل الذكر الجميل ، وآجل الأجر الجزيل ؛ وأميرُ المؤمنين يسأل الله تعالى أن يجريه فيما يصدر ويورد ، على أفضل ما لم يزل يولّي ويعوّد : من التوفيق في رأيه وعزمه ، والتسديد في تدبيره وحزمه ؛ ويؤتيه من ذلك أفضلَ ما آتاه وليّاً استخلفه ، وأميناً كفّله عبادَه وكلّفه ؛ وما توفيقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكّلُ وإليه يُنيب .

ولما كنتَ بحضرة أمير المؤمنين ممن يُعِدّه لجلائل مهمّاته، ويَعُدُّه من أعيان كُفَاته؛ ورآه سِدَاداً للخَلَل، وعماداً في الحادثِ الجَلَل؛ وسَهْماً في كنانَتِه صائباً، وشهابا في سماء دولته ثاقباً؛ وسيفاً بيَدِ الدين قاطعاً، ومِجَنّاً عن الحَوْزة دافعاً — رأى — وبالله التوفيق — أن يُقدِّمك على جُيُوش المسلمين، وبعُوثهم الشاخصة إلى جهاد المشركين؛ فقلّدك الحرْبَ والأحداث بها، وعقَد لك لواءً بيده يَلْوي إليك الأعناق، ويُنَكِّس لك رؤوس أهل الشِّقاق، وشرّفَكَ بفاخِرِ مَلابسه وحُمْلانه، وضاعفَ لديْكَ مَوادَّ إحسانه؛ وحَبَاكَ بطوْق من التِّبْر، مرَصّع بفاخر الدُّرّ، عادقاً هذه الخدمة منك بالنّصيح المأمون، والنّجيح الميْمُون؛ الذي تتوضّح فيه أنوار اللّبابه، وتلُوحُ عليه آثارُ النّجابه واثقاً بما تَنْطوي عليه من الإخلاص والولايه، وتتحلّى به من الغَنَاء والكِفايه؛ ويفتَرِضه من الاستمرار على سَنَن الطاعه، والاستقامةِ على سَمْتِ الانقياد والتّباعه، وتُوجبه من مناصحة المسلمين، والتشميرِ في نُصْرة الدين.

فتقلّدْ ما قلّدك أميرُ المؤمنين مستشعراً تقْوى الله وطاعتَه في الإسرارِ والإعلان، معتقِداً خِيفَتَه ومراقَبَتَه في الإظْهار والإبْطان؛ مخلِصَ القلب، رابطَ اللُّبّ؛ واثقاً بنصْر الله الذي يُسْبغه على خُلصائه، ويُفْرغه على أوليائه؛ آخذاً بوَثائق الحزْم، متمسكاً بعلائق العَزْم؛ ناظراً من وراء العَواقب متفرّساً في وُجُوه التجارب؛ مقلّصاً سُجُوف الآراء بإصْفَاء غَيار التدبير، مُمِرّاً مرائر التقرير؛ مُوغِلاً في المَخَاتل والمكايد، حارساً للمطالع والمراصد؛ يَقْظَانَ النفْس والناظر، متحرّزاً في موقف الواني والمُخَاطِر. وأن تتوجه على بركة اللهِ وعوْنهِ وحسن توفيقهِ، ويُمْن تأييده؛ بعد أن تتسلّم من الجيُوش المنصورة جرائدَ بعِدّةِ رجال أمير المؤمنين السائرين تحتَ رايتك، المنُوطين بسياستِك؛ وتَعْرِضهُم عليها، فتتخَيّرُ من شُهِرَتْ بسَالتُه وكِفَاحه، وعَتَقَ جَوادُه وكَمُل سِلاحه؛ وعُرِف بصِدْق العزيمة في

مُقارعةِ الأعداء ، وحُسْن الطويّة في الإخلاص والوَلاء ؛ وتستَبْدلُ بالوَرَعَ الجبَان ، والرِّعديد الضعيف الجنَان ؛ الناقِص العُدّة ، المقَصِّر النّجْده ؛ المدخُول النيَّه ، النّغل[1] الطّويّه ؛ فإذا كملَت العدّة من أهل الجلَد والشّهامة ، وأولي الحمَاسة والصّرامة ؛ استدعيْتَ من بيت المال ما يُنْفَق فيهم من مستَحَق أطماعهم ، ومَعُونة طريقهم ؛ وأجريتَ النفقةَ فيهم على أيدي عارضيهم وكُتّابهم ؛ فاذا أزحتَ علَلهم فاستصْحِبْ من العُدّد والسّلاح والخيَم والأزراد والأموال ما يُرْهِبُ الأعداء، ويُنْهِض الأولياء ؛ وأذّنْ في مُطَّوّعة المسلمين ، بجهاد المُشْركين ؛ في [كل] بَلْدةٍ تنزلها ، ومَحلَّة تحلُّها ؛ وابذُلْ لهم الظّهْر والميرة والمَعُونة بالسلاح وما يستَدْعونه ؛ وأرْهف عزائمَهم في غَزو الكُفّار ، وإجلائِهم عن الأوطان والدّيار ، واسْلُك الطريقَ القاصد ، ولا تُفارقُ أهلَ المَنَاهل والمَوَارد ؛ ولا تُغذّ السيرَ إغْذاذاً تنقطعُ له الرجال وتتأخّرُ به الأزْواد ، ولا تتلَومْ في المَنَازل تَلَوماً تتصَرّم فيه الآماد ؛ ويُوجدُ المشركين مُهْلة للاحتيال والاستعداد ؛ وراع جَيْشَكَ عند الحَلّ والتّرْحال ، ولا تُبَاعِدْ بين مَضاربهم إذا نزلُوا ، ولا تمكّنْهم من التفرُّد إذا ارتَحَلُوا ، وخُذْهم بالاجتماع والالتئام ، والتآلُف والانتظام ؛ ولا سيَّما إذا حصَلُوا في أرض العَدُو فإنّهم ربّما اهْتَبَلُوا[2] الفُرْصة في المَسير المتسَرّع ، والمَبيت المتفَرّد ، ونالوا ما تُتَوسّم به الهضيمةُ على أهل الإسلام ، والعياذ بالله .

وإذا دانيتَ القومَ فأعط الحَزَامَةَ حقّها ، مستعملاً تارةً للدّهاء والخدَاع ، وأخرى للّقاء والقِراع ؛ فربما أغنَت المُساتره ، عن المُكاشَره ؛ ونابتْ مَخايِل التّلَطّف ، عن مدَاخل التعسّف ، وكفتْ غوائِلُ المخادَعه ،

---

(١) في الاصول المهروق الطوية ولم نجد هذه المادة . (هامش صبح) .

(٢) أي اغتنموا الفرصة الخ . (هامش صبح) .

عن مَواقِف المماصعَه ؛ وقد قال إمامُ الحرب ؛ وزعيمُ الطّعْن والضّرب : « الحَرْبُ خَدْعة » .

وإذا عزمتَ على المصَاع والمُنافحه ، والإيقاع والمُكَافحه ، فبُثَّ من سَرَعَان الفُرْسان الذين لا تشُكُّ في محض نُصْحِهم ، ولا ترتابُ بصِدْق نِيَّاتهم ، طلائع تُطْلعك على الأخبار ، وعيوناً تَكْشِف لك حقائقَ الآثار ، وتَغُضُّ الطَّرْف عن مجاوري الديار ؛ ومُرْ مَنْ تقدمه عليهم بأن لا يقتحم خَطَراً ، ولا يركَب غَرَراً ، وليكُنْ مَنْ تُنْفذه في ذلك [من] أهل الخِبْرة بالطُّرُق والساحات ، والدخلات والأدودية والفَجَوات ؛ حتّى لا يَتِمَّ للعدُوّ فيهم حيله ، ولا ينالهم منه غيله ؛ فإذا أتوْك بالخَبَر اليقين ، وأقبَسُوك قَبَس النّور المبين ؛ بدأتَ الحرب مستخيراً لله تعالى ، مقدماً أمامَكَ الاستِنْجاح به ؛ واستنزالَ النصر من عنده ، مرتِّباً للكتائب ، معبيّاً للصفوف والمَقَانب ؛ زاحفاً بالراجل محصّناً بالفارس والرامي مجتنّاً بالتارس ؛ واشْحَن القلبَ والجناحين بالشُّجعان المستبقين ، والأبطال الحلاسين ؛ وأنزل إلى رحى الحَرْب مَنْ خفَّ ركابُه من الأنجادِ الراغبين في عُلُوّ الصِّيت والذكر ، الطالبينَ الفَوزَ بالثواب والأجْر ؛ واجعل وراءهم رِدْءاً ، وأعدّ لهم مَدَداً يوازرونهم إن يجئهم ما لا يطيقونه ويَحين (؟)، ويُطايرونهم على ما خلص إليهم وادعين ؛ وقِفْ من التأخير والإقدام ، والنُّفُوذ والإحْجام ، موقفاً تُعْطي الحَزامةَ فيه حظّها ، والرويّةَ قِسْطها ؛ مصَمِّماً ما كان التصميم أدْنى لانتهاز الفُرْصه ، واهتبالِ الغِرّه ؛ متلوِّماً ما كان التلومُ أحمدَ للعاقبة ، وأسلم للمَغَبّة .

واعلم أنَّ ريح النصر قد تَهُبُّ للكافرين على المسلمين ، فلا يكُنْ ذلك قادحاً منك في الدِّين . فإن الله تعالى يستَدْرج بسُنَّة الباطل لا بسُنَّة الإظفار ، ويُريهم الإقْدار في مَخَايِل الأقدار ؛ حتّى إذا فَرِحُوا بما أوتُوا أوردتْهم

كَراذبُ أمانيِّهم مواردَ الهلَكَة، وأُخِذُوا بَغْتة ، ودالتْ دولةُ الحق لأوليائها مرفوعةَ الأعلام ، آخذةً بنَواصي العُدَاة والأقدام ؛ وتحقَّقْ أنَّ الأمورَ بخواتيمها ؛ والأعمال بتَمامها ، وأنه وليُّ [المؤمنين] . ما جَمَع موقِفٌ فِئتَيْ شكٍّ ويَقين ، وكُفْر ودين ؛ إلاَّ كان الفَلَج والنصْر لأهل التُّقى والدِّين ، والخَسارةُ والبوارُ على الشاكِّين الكافرين ، تصديقاً لوعده تعالى إذ يقولُ : (ولَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لعبَادِنا المُرْسَلِينَ إنّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورون وإنَّ جُنْدنا لَهُمُ الغالِبُون) [(١)] .

وتحفظ بنَفْسك ولا تُلْقِها في المُهَالك متهوِّراً ، ولا تَرْم بها في المتالِف مُخاطِراً ؛ ولا تُساعدْها على مطاوعة الحميَّة والنَّخْوه ، وتحرّز قَبْل السَّقْطة والهَفْوه ؛ فإنك – وإن كنت واحداً من الجيش – أوحَدُهم الذين يتبادَرُون إليه ، ويعتمِدُون في السياسة عليه ؛ وما دمتَ محفوظاً ملحوظاً فالهيبة عاليه ، والعين ساميه ، وإن ألَمَّ بك – والله يعصمُك – خَطْب ، أو نالَكَ – والله يكْفِيك – رَيْب ، توجّه الخَلل ، وأُرْهِف حدُّ الوَهْن والشَّلَل . وإن دعتْك نفسُك إلى الجهاد ، وحملك تصرفُك على الكِفَاح والجلاد ؛ فليَكُنْ ذلك عندَ الإحجام ، وتزَلْزُل الأقدام : فإنَّ ذلك يِشْحذ عزائمَ المسلمين ، ويقوي شَكائم المتأخِّرين ، غيرَ مضَيِّعٍ للحذَر ، في الوِرْد والصَّدَر ؛ وكذلك فاحرُس أماثِلَ القُواد ، ووجُوه الأجناد ، الذين تُشْفى صدُور الكفَّار بمَصارعهم ، وتُنْقَع غُلَلهم بمضايعهم ؛ وحامِ عنهم حمايةَ الجُفُون عن المُقَل ، وصُنْهم صيانَةَ الصَّوارِم من الخلَل ؛ ودافِعْ عن كافة [جند] المسلمين المرتَزِقين والمتطوعين ، فإنَّ الله تعالى قد كافى بينَ دمائِهم ، وسوّى بين ضُعفائِهم وأقويائهم ؛ على أنه سبحانه قد وعدَهم عن بَذْل الأنفس في مجاهدة المُلْحِدين ، وإبادةِ المُشْركين ، الجزاءَ الجسيم ، والنعيم

---

(١) سورة الصافات ، الآيتان ١٧٢ و ١٧٣ .

المقيم ؛ والبقاءَ الذي لا يعتَوره فَناء ، والجَذَل الذي لا يعترضُه انقضاء .

وقدِّمْ على الأساطيل والمراكِب الحربيَّة وأعمالها ورجال البَحْر من تختاره لذلك من أماثل الأمَراء المشهورين بالشّدَّة والنُّجْدة ، والبَصَارة والمَهَارة والخِبْرة بشُقَّة البحر والقِتال فيه ؛ ومُرْه بالتَّسحيل وملازَمةِ السِّيف والإرساء من الشُّطوط بحيثُ يتأمّلُ مَضاربك ، ليكون ما حُمِل عليها من ميرةٍ وعُدّة قريباً منك، فإنْ نازلتَ ثَغْراً من ثغور الساحل فاملأْه بالخيل من بَرِّه ، وبالسفائن من بَحْره ؛ واستخْدِم لحفظ ما فيها من الأزْواد والأسْلحة والعُدَد والنِّفْط ودُهْن البَلَسان والحِبال والعَرَّادات وغيرها من الآلات مَنْ تَثِق بأمانته ومعرِفته . وتقدّمْ إليهم بالحَوْطة على ما يخرجونه من العَواري واسترجاعه بعد الغِنى عنه؛ واستظهر بذلك استظهاراً يُحْمَدُ موقعُه لك ، ويعرَفُ به رَصينُ رأيك؛ وسديدُ مذْهبك.واستخلِصْ لمجالستِك من أهل الأصالة والحَزْم، والرَّجاحة والفَهْم، والدِّراية والعِلْم ، والتجارِب في ممارسة الحرُوب ، وملابسة الخُطوب ، من ترجع إلى رأيه فيما أشْكل ، وتعتمدُ على تجربتِه فيما أعْضَل ؛ ولا تستبدّ برأيك فإنّ الاستبدادَ يُعَمِّي المَراشِد ويُبْهِم المَقَاصد .

ولمّا كانت الشُّورى لِقاحَ الأفهام ، والكاشِفَة لغَواشي الإبْهام ، أمرَ الله تعالى بها نبيّه عليه السلام فقال : (وشَاوِرْهُمْ في الأمْرِ فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكّلْ على اللهَ إن الله يُحِبُّ المتوكّلين) (١) .

ولا تُشَاوِرْ جَبَاناً ولا مثَبِّطاً عن انتهاز الفرصة الممكنة ، ولا متَهَوِّراً يحملك على الغِرَّة المُهْلكة ؛ وتأنّ في الآراء فإنّ التأنِّيَ يُجِمُّ الألباب ، ويجْلُوَ وجهَ الصواب ، ويقَلِّص سُجُوف الارتياب ؛ واضرِبْ بعض

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

الآراء ببعض وسَجِّلْها ، وأجِلْ فكرَكَ فيها وتأمَّلْها ؛ فإذا صرَّحَتْ عن زُبْدتها ، وانشقَّتْ أكمامها عن ثمرتها ، فأمضِ صحيحَها ، واعتمد نجيحها ؛ وإذا استوى بك وبالعدوّ مَرْحى [1] الحَرْب فحرِّقْهم بنار الطَّعْن ، وأذِقْهم وبالَ أمرِهم ، وعاقبةَ كُفْرهم ؛ ولا تَرِقَّ لهم ؛ واتَّبِع ما أمر الله تعالى به في الغِلْظة عليهم ، فإنه يقول : (يا أيُّها الَّذينَ آمنوا قاتِلُوا الَّذين يَلُونَكُم مِنَ الكُفَّار ولْيَجدُوا فيكُم غِلْظَةً واعْلَمُوا أنَّ الله مَعَ المُتَّقينَ) [2] . فإن جَنَحُوا للسِّلم والموادَعة مصانعين ، فقابل بالقبول ، فإن الله تعالى يقول : (وإنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فاجْنَحْ لها وتَوكَّلْ على اللهِ إنَّهُ هُوَ السَّميعُ العليمُ) [3] .

وابْذُل الأمانَ لمن طَلَبه ، واعْرِضْه على من لم يَطْلُبه ، وفِ لمن تُعاهده بعَهْده ، واثبُتْ لمن تُعاقِده على عَقْده ؛ ولا تجعل ما تُفْرِطه من ذلك ذَريعةً ، إلى الخديعه ، ولا وَسيلة ، إلى الغِيله : فإن الله سبحانه وتعالى يقول : (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بالعُقُود) [4] . ورسولُه صلى الله عليه وسلم يقول : « الناسُ عِنْدَ شُروطِهِم » وإذا أعانك الله على افتتاح مَعْقِل من مَعاقِل المشركين ، واستضافتِه إلى ما بأيدي المسلمين ، فارفَع السيفَ عن قاطنيه ، واعتمد اللُّطْف بالمقيمين فيه ، وادْعُهم إلى الإسلام ، واتْلُ عليهم ما وعد اللهُ به أهله من كريم المَقَام ؛ فمَنْ أجابك إلى استشْعار ظِلِّه ، والاعتصام بحبله ، فافرِضْ له ما تَفْرِضه لإخْوانك في الدِّين ، واضمُمْ إليهم من علماء المسلمين من يُبَصِّرهم ويُرشِدهم ، ويُثقِّفهم ويسدِّدُهم ؛ وخَيِّرْ مَنْ آثر المُقَام على دينه بين تأدية الجزية ، والاستعبادِ والمَمْلَكة ؛

(١) أي المكان الذي تدور عليه رحى الحرب . (هامش صبح) .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢٣ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية ٦١ .

(٤) سورة المائدة ، الآية الاولى .

فإن أدّوا الجزيةَ فأجرهم مُجْرى أهل الذمّة المعاهَدين ، وخُصَّهم من الرِّعاية بما أمِر به في الدين ؛ وإن أبَوْا ذلك فإن الله تعالى قد أباح دماءَ رجالهم ، واستعبادَ ذراريهم ونسائهم ؛ وابْنِ بالمَعْقِل مسجداً جامعاً يجمّع فيه بالمسلمين ، ويُخطب على منبره لأمير المؤمنين ؛ وارفعْ منارتَه حتى تعلو على كنائس المشركين ؛ وانصِبْ فيه إماماً يؤدّي الصلاةَ في أوقاتها ، وخطيباً مِصْقَعاً يخطُب الناسَ ويعظُهم ، ومكبّرين يَدْعُون إلى الصلوات ، وينبّهون على حقائق الأوقات ؛ وقُوّاماً وخُدّاماً يتولَّوْن تنويرَ مَصَابيحه ، وتعهُّد تنظيفه وفُرُشه ؛ وأطلِقْ لهم من الأرزاق والجِرايات ما يبعثُهم على ملازمته ويُعينهم على خدمته ؛ واحتَطْ على من يحصُل في يدك من أسْرى المشركين ، لتَفْدي بهم مَنْ في قبضتهم من أسَراء المسلمين ؛ وإذا عرضوا عليك الفداء فاحذَرْ من خديعة تُمّ فيه ، أو حيلة تتوجّه في افتكاك معروف منهم بمجهول من أهل الإسلام ؛ وإنْ كان الله تعالى قد فضَّل أدْنياءَ المسلمين على عُظَماء المُلْحِدين ، ولم يسوّ بينهم في دُنْيا ولا آخرة ولا دين ؛ إلا أنّ هذا مما يوجب الحزْمُ الحَوْطةَ فيه . وإن ظَفِرْتَ بنَسيبٍ لطاغيتَهم المتملّك عليهم أو خَصيص [1] به فاحمِلْه إلى حضرة أمير المؤمنين ، ليُقَرَّ بها رهينةً على مَنْ قِبَلهم من المأسُورين ، وسبيلاً إلى انْتزاع ما يبذُلُونه في فِدايته من المَعاقل والحُصُون . وقد أمضى لك أمير المؤمنين أن تعقِدَ الهُدْنة معهم إذا رَغِبُوا فيها على الشرائط التي تعُود بعُلُوّ كلمة الملّه ، وتجمعُ الخواطرَ والاستظهارَ للدوله ؛ فعاقِدْهم محتاطاً ، واشترط عليهم مُشْطِّاً ، وتحرَّزْ في العقد ممَّا يُوجب تأوُّلاً ، ويدخِل وهَنْاً ، ويطرِّق وَهْيا . وتحفَّظْ بجوالي المُعاهَدين والأموال المقْبُوضة في فداء الغَلاّت والغنائم وسَبْي المشركين حتى يُحْمل ذلك إلى بيت مال المسلمين ؛ فينظُرَ أمير المؤمنين في تفريقه على مستحقّه ، وإيصاله

---

(١) اشتهر هذا البناء على الألسنة وفي رسائل الافاضل ولكن لم نجده في كتب اللغة وإنما الذي فيها بهذا المعنى « فلان مخص بفلان أي خاص به وله بـه خصية » فتأمل (هامش صبح) .

إلى مستوْجبه ، وافحَص عن أحوال المستأمنين إليك تفحُّصاً يكشف ضمائرَهم ، ويبلُو سرائرَهم ، وتحرّزْ منهم تحرُّزاً يؤمِّنُك مكايدَهم وحِيلَهم وخدائعَهم وغيلَهم ؛ وإذا نازلتَ حِصْناً من حُصون الكفار ، فكن على يقَظة من مخاتِلهم في الليل والنهار ؛ وانصبِ الحَرَس والأرْصاد ، واحذَرِ الغِرّة ولا تُهمِل الاعتداد : لتعرّف أعداءَ الله أن طرْفك ساهد ، وجَنانك راصِد ، وتفقَّدْ أمر الجيش وأزِحْ علّة من ترقُبُه في الأطماع والمواكَدات ، ومُطَّوِّعته في المعَاون والجِرايات ؛ ولا تغفُلْ عنهم غفلةً تضطرُّهم إلى الانفلال ، وتدعُوهم إلى الانفصال ؛ وأحسِنْ إلى من حَسُن في الكفاح أثرُه ، وطابَ في الإبلاء خبَرُه ؛ وعِدْه عن أمير المؤمنين بالحِباء الجزيل ، والعَطاء والتَّنْويل ؛ فإنّ ذلك قادحٌ لعزائم الأولياء ، باعثٌ لهم على التصميم في اللّقاء ، فإذا أنتَ — بمشيئة الله — شفيْتَ الصُّدور ، واحتذيْتَ المأمُور ، وأعززْتَ الدين ، وذلّلْتَ الملْحِدين ؛ ودوّختَ البلاد ، ونكَّست رءُوس أهل العناد ، فانقلِبْ بعساكر أمير المؤمنين ، ومُطَّوِّعة المسلمين ، إلى حضرته واثقاً بجميل جزائه ، وجليل حِبائه ؛ وطالِعْ في مَوْرِدك ومَصْدَرك ، بما يجدّدُه الله لك ويفتَحُه على يدك ؛ واذكُرْ ما أشكل عليك ليُمِدّك أميرُ المؤمنين بالتبصير والتوقيف ، والتعليم والتعْريف ؛ واستعِنْ بالله فهو خيرُ معين ، وتوكَّلْ على الله فإنه نعم الوكيل .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، فاعمَلْ به وانتهِ إليه يُسَدِّد الله مَساعيَك ، ويصوّب مَراميَك ، إن شاء الله تعالى .

قال القلقشندي : وأورد في خلال ذلك من تقاليد أرباب السيوف جملةً أسقَط من صدرها التحميدات .

ما أورده في رسم تقليد الإمارة على قتال أهل البغي أن يُقال بعد التحميد ما مثالُه :

وإنَّ الله تعالى أوجبَ طاعةَ أُولي الأمْر على كافّة المؤمنين ، وأكَّد فرضها على جميع المسلمين ، فقال جل قائلاً : (يأ أيُّها الَّذين آمَنُوا أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسُولَ وأولي الأمْرِ مِنْكم)[1] . علماً منه تعالى بأنّ الطاعة مِلاكُ الأمر ونِظامُه ، ومِسَاكُ الجُمْهور وقِوامُه، وأنه لا تتمُّ سياسةٌ مع الشِّقاق والانحراف . وأمر سبحانه باستتابة من ألقى العِصْمة من يَدِه ، ونبذَ الطاعةَ وراء ظَهْره ؛ بشافي المَوَاعِظ والتبصير ، ونافع التنبيه والتذكير ؛ فإنْ أقلَع وتاب ، ورجَع وأناب ؛ وإلا جُوهِد وقُوتِل ، وقُوبِل بالرَّدْع حتى يُقْبِل ويعتصمَ بالطاعه ، وينتظمَ في سِلْك الجماعه ، فقال تعالى: (وإنْ طائفتان مِنَ المُؤمنينَ اقْتَتَلُوا فأصْلِحُوا بَيْنَهُما)[2] . وقال : (فَقَاتِلوا الَّتي تَبْغي حَتّى تَفيءَ إلى أمر الله)[3]. وإنَّ الغُلاة فارقُوا اجتماعَ المسلمين، وانسلخُوا من طاعة أمير المؤمنين ؛ نابذين لبَيْعته ، شائين بُطْل دعوته ؛ وشقُّوا عصا الإسلام ، واستخَفُّوا محمل الحرام ، واستوطَئُوا مَرْكَب السيئات والآثام ؛ وعرَّجوا عن قَويم السُّنَن، وسَمَّوْا بأراذل البِدَع أفاضل السُّنَن ، وسعَوا في الأرض بالفَسَاد ، وجاهروا بالعِصْيان والعِنَاد ؛ وكاتَبَهم أميرُ المؤمنين مبصِّراً ، ومُعْذِراً مُنْذِراً ومخوِّفاً محذِّراً ، ودَعاهُم إلى الَّتي هي أصلَحُ في الأولى والأُخْرى ، وأربح في البَدْء والعُقْبى ؛ وأعلمهم أنَّ الله تعالى لا يقبل صلاتَهم ولا صيامَهم ، ولا حَجَّهم ولا زكاتَهم ، ولا يُمْضي قضاياهم ولا حُكوماتِهم ،ولا عقودَهم ومُناكحاتِهم ، ما دامُوا على معصية إمامهم ، ومُفارقة وليِّ أمْرهم ؛ الذي أوجب عليهم طاعتَه ، وفرض في أعناقهم تِباعَته،وتابَعَ في ذلك مواصلاً ، ووالاه مُكاتِباً

(١) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ٩ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية ٩ .

(٤) في الأصل الغلاب وليس بواضح المعنى والمراد البغاة . (هامش صبح) .

ومُراسلاً ، فأصَرُّوا على العقُوق ، واستمرُّوا على اطِّراح الحقُوق ؛ ودعَوْا إلى الأسْوَإِ لها من إقدام الجيُوش عليهم ، ونَقْل العساكر إليهم ؛ ومقابلتِهم بما يقوّم أوَدَهم ، ويُصْلِح فاسدهم ، ويَزَع جاهلهم ، ويُوقظ غافِلَهم .

وإنَّ أمير المؤمنين تخيَّرك للتقدم على الجيش الهاتف نحوَهم : لما يعلمه من شَهامتِك وصَرَامتِك ، وسَدادِك وسياستِك ، وإخلاصك ووفائِك ، وكفايتك وغَنائِك ، (ويوصف بما تقتضيه منزلته ، والأمر الذي هو أهْل له).

وهو يأمُرُك أن تقدم النفوذ إليهم ، مستنْجحاً دعاءَ أمير المؤمنين ، مستنْزِلاً لصُرُوف الغالبين ؛ مستشعراً لباسَ التقوى ، في الإعلان والنَّجْوى ، فإذا نازلْتهم في عُقْر دارهم ، فأذِقْهم بالمضايقة وبالَ أمْرِهم ؛ واسْلُكْ بهم سبيلَ أمير المؤمنين وافتتِحْهم بالإرشاد ، وحُضَّهم على ما يقضي بصَلاَح الدنيا والمَعَاد ؛ فإن استقاموا وتنصَّلوا وراجعُوا ورجعُوا فأعطِهِم الأمان ، وأفِضْ عليهم ظِلَّ الإحسان ؛ وإن أصَرُّوا وتمرَّدوا ، وجاهدُوا واعتدوا ، فشمِّرْ لمنازلتهم ، وصَمِّم في مقاتَلَتِهم ، واثقاً بأن الله تعالى قد قضى بالنصر لأولياء أمير المؤمنين وأهل طاعتِه ، والخِذْلان لأعدائه وأهل مَعْصيته ، إبانةً بذلك عن تأييده لمن اعتَصَم بحبله ، ودفْعه لمن انسلخ من ظِلِّه ، وحُجَّةً بالغةً لمن تمسَّك بطاعته ، وموعظةً شافيةً لمن استخَفَّ بحَمْل معصيته ؛ فإن مَلَّكك الله تعالى البلاد ، وطَهَّرها من أهل الفساد ؛ وشَرَّد عنها الدُّعَّار والأشرار ، إلى أقاصي الدِّيار ، فاجْبُبْ نَواعِقَ الفتنة والضَّلاله ، وعَفِّ آثار ذَوي الغيّ والجَهَاله ؛ وأسْبِغ الأمْن على أهل السَّلامه ، وأفْرِغ العدلَ على مَنْ سلك سبيلَ الاستقامة ؛ وأجْر الأمْرَ في الخُطْبة لأمير المؤمنين على الرَّسْم المحدُود ، والمَنْهَج المعهود . وطالِعْه بما انتهيتَ إليه ، ليكاتِبَك بما تعتمدُ عليه .

ويضمَّن هذا العهد ما يقع فيه من شروط العهد المتقدم ، ويُؤمَر أن

لا يستصحب من الجُند إلاّ من يثق بإخلاصه وصفائه ، ويتسكّن إلى أمانته ووفائه ؛ وأن يرفُض المدخول النّيه ، النّغِل الطويّه ، فإنه لا شيء أضرّ على المحاربة من لقاء عدوّ بجيش مخامرين ، وجُند مُماكرين ؛ وقد يكون في العساكر من يُداهن ويظهر الخدمة وهو في مثل العدو : إمّا لأن بينهما سالف وداد وولاية قد تأصّلت بإطماع وإفساد ، أو يكون لسلطانه قليل الإحماد .

وهذا الذي أوردناه ليس بمثال جامع ؛ وإنما هو الذي يتميز به هذا العهد عما تقدّمه ، والكاتب إذا احتاج إلى استعماله رتّبه وقدّم ما يجب تقديمه ، وأخّر ما يجب تأخيره ، و[أضاف إليه ما تجب] إضافته ؛ إن شاء الله تعالى .

[العهود]

(صبح ٩ : ٣٨٦) يقول القلقشندي : وهذه نسخة أوردها علي بن خلف في كتابه « مواد البيان » :

الحمد لله مُعِزّ دينه بخُلفائه الراشدين ، ومرتّب حقّه بأوليائه الهادين ؛ الذي اختار دينَ الإسلام لصفْوته من بريّته ، وخصّ به من استخلصه من أهل طاعته ؛ وجعله حَبْلَه المتين ، ودينَه الذي أظهرَه على كلّ دين ؛ وسبيلَه الأفسَح ، وطريقَه الأوْضح ؛ وابتعثَ به نبيّه محمداً صلّى الله عليه فصدَع بأمْره ، وأعلَنَ بذِكْره ؛ والناسُ في فتْرة الضّلاله ، وغَمْرة الجَهاله ؛ فلما أنجز في نُصْرة حقّه ، وتأييده لسُعَداء خلْقه [قبضه] [1] إليه محمودَ الأثَر ، طيّبَ الخبَر [وقام] [1] بخلافته ، مَنْ انتخبه من طَهَرة عِتْرته ؛ وأودعَهُم حكمتَه ، وكفّلَهم شريعتَه ؛ فاقتفَوا سبيلَه ، واتبعُوا دليلَه ؛ كُلَّما قَبَضَ منهم سَلَفاً إلى مَقرّ مَجْده ، اصطفى خلَفا للإمامة من بعْده .

---

(١) بياض بالأصل ، والتصحيح مما يقتضيه المقام . (هامش صبح) .

يحمده أمير المؤمنين أن أفضى إليه بتراث الإمامة والرساله ، وهدى به كما هدى بجده من الزيغ والضلاله ؛ واختصه بميراث النبوة والخلافة ، ونصبه رحمة للكافه ؛ وأتم نعمته [عليه] كما أتمها على آبائه ، وأجزل حظه من حسن بلائه ؛ وأعانه على ما استرعاه ، ووفقه فيما ولاه ؛ وأنهضه بإعزاز الملة، وإكرام الأمة، وإماتة البدع ، وإبطال المذهب المخترع ؛ وإحياء السنن ، والاستقامة على لاحب السنن ، ووهبه من بنيه وذريته ، مؤازرين على ما حمله من أعباء خلافته ، ومظاهرين على ما كلفه من إمعان النظر في بريته .

ويسأله الصلاة على محمد خاتم أنبيائه ، والخيرة من خلصائه ؛ الذي شرفه بختام رسله ، وإقرار نيابته في أهله ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه وباب حكمته ، علي بن أبي طالب وصيه في أمته ؛ وعلى الأئمة الطهرة من ذريته ، مناهج رحمته . وسرج هدايته ، وسلم تسليماً .

وإن الله تعالى جعل الخلافة للكافة عصمه ، ولأهل الإيمان رحمه ، تجمع كلمتهم ، وتحفظ ألفتهم ؛وتصلح عامتهم ،وتقيم فرائضه وسننه فيهم ، وتمد رواق العدل والأمنة عليهم؛ وتحسم أسباب الكفر والنفاق، وتقمع أهل العناد والشقاق ؛ ولذلك وصل الله حبل الإمامة ، وجعلها كلمة باقية في عقب أوليائه إلى يوم القيامة .

ولما نظر أمير المؤمنين بعين اليقين ، واقتبس من الحقيقة قبس [الحق] المبين ، عرف ما بنيت عليه الدنيا من سرعة الزوال ، ووشك التحول والانتقال؛ وأن ما فوض الله اليه من خلافته لابد أن ينتقل عنه إلى أبنائه الميامين ، كما انتقل إليه عن آبائه الراشدين ؛ فلم يغتر بمواعيدها المحال ، وأضرب عما تخدع به من الأماني والآمال ؛ وأشفق على من كفله الله بسياسته ، وحمله رعايته من أهل الإسلام المعتصمين بحبل دعوته؛المشتملين

بظلّ بَيْعته ، عند تقضّي مُدّته ونُزُوعه إلى آخرته ؛ في الوقت المعْلُوم ، بالأجل المَحْتُوم : من انتشار الكَلمه ، وانبتَات العِصْمه ؛ وانشقاق العَصَا ، وإراقة الدّما ؛ واستيلاء الفتَن ، وتعطيل الفُرُوض والسُّنَن ؛ فنظر لهم بما يَنْظِم شَمْلَهم ، ويصلُ حَبْلَهم ؛ ويَزْجُر ظَلَمَتَهم ، ويَجْمع كلمتَهم ، ويؤلّف أفئدَتهم ؛ ورأى أن يَعْهَد إلى فلان ولَدِه : لأنه قريعهُ في علْمه وفَضْله ، وعقيبهُ في إنصافه وعدْله ؛ والمَلْمُوح من بعده ، والمرجوّ ليومه وغَدِه ، ولمّا جمعَ اللهُ له من شُرُوط الإمامه ، وكَمَّله له من أدَوَاتِ الخلافه ، وجَبَلَه عليه من الرّحمة والرّأفه ؛ وخصّه به من الرّصَانة والرّجاحه ، والشّجاعة والسّمَاحه ؛ وآتاه من فَصْل الخطَاب ، وجَوامِع الصّواب ومحاسنِ الآداب ؛ ووقاية الدّين ، والغِلْظة على الظالمين ، واللُّطف بالمؤمنين ؛ بعْدَ أن قدَّم استخارةَ الله تعالى فيه ، وسأله توفيقَه لما يُرْضيه ؛ ووقَفَ فِكْرُه على اختيارِه ، ولم يكن باختياره مع إيثارِه ؛ ويَلُوح في شمائله ، ويَسْتَوضِحُ في مخايله ؛ أنّه الوليُّ المجتبى ، والخليفةُ المصْطفى ؛ الذي يحمي اللهُ به ذِمَارَ الحقّ ، ويُعْلي بسلطانه شِعَارَ الصِّدْق ؛ وأنه — سبحانه — قد أفضى إليه بما أفضى به إلى الخُلَفَاء من قَبْله ، وأفاضَ عليه من الكامِنَات ما أفاضه على أهله ؛ وبعدَ أنْ عاقده وعاهَدَه على مثل ما عاهَدَه عليه آباؤه من تقوى الله تعالى وطاعتِه ، واستشعار خيفتِه ومراقبتِه والعملِ بكتابه وسُنّته ؛ وإقامةِ حُدُود الله التي حدّها ، بفُرُوضه التي وكّدها ، والاقتداء بسَلَفه الراشدين ، في المُكافَحة عن الدّين ، والمسامحةِ عن أوزار المسلمين ؛ وبَسْط العدْل على الرعيّه ، والحكم بينهم بالسَّويّه ، وإنصافِ المظلومِ من الظَّلُوم ، وكفِّ يَدِ المغتَصب الغَشُوم ؛ وصَرْف وُلاة الجَوْر عن أهل الإسلام ، وتَخيُّر من ينْظُر بينهم في المظالِم والأحْكام ؛ وأن لا يُوَلّيَ عليهم إلاّ مَنْ يثق بعَدالته ، ويسْكُنُ إلى دينِه وأمانتِه ؛ ولا يفْسَحُ لشريف في التعدّي على مَشْرُوف ، ولا يَقْوى في التَسلُّط على مَضْعوف ؛ وأن يحْمِل الناس

في الحُقوق على التّساوي ، ويُجريهم في دَوْلته على التناصُف والتّكافي ؛ ويأمر حُجّابه ونُوّابه بإيصال الخاصّة والعامّة إليه ، وتمكينهم من عَرْض حوائجِهم ومَظَالمهم عليه : ليعلموا : الوُلاةُ والعُمّال ، أنّ رعيتَه على ذُكْرٍ منه وبَال ؛ فيتَحاموا التثقيلَ عليهم والإضرار بهم ، وأشهد عليه بكلّ ما شرَطه وحَدّده ، والعملِ بما يحمد اليه فيما تقلّده . على أنه غنيّ عن وصيّة وتبصير ، وتنبيهٍ وتذكير ؛ إلا أنّ محمداً سيدَ المرسلين يقول لعليّ صلّى الله عليهما « أرْسِلْ عاقلاً الا فأوصه » [1] .

فبايعُوا على بركة الله تعالى طائعينَ غير مُكْرَهين ، برغبْةٍ لا برهبه ، وبإخلاصٍ لا بمُداهنَه ، بيعةَ رضاً واختيار ، وانقيادٍ وإيثار ؛ بصحّة من نيّاتكم ، وسلامة من صُدُوركم ، وصفاء من عقائدكم ، ووفاءٍ واستقامة فيما تضعُون عليه أيْمانَكم: ليُعَرّفكُم اللهُ [من] سبُوغ النّعمه ، وشُمُول الخِبْره؛ وحُسْنِ العاقبه، واتفاق الكلمه ، ما يُقِرُّ نواظِرَكم، ويُبَرِّد ضمائركم ؛ ويُذهبُ غِلّ صُدُوركم ويُعزُّ جانبكم، ويُذِلُّ مجانِبكُم ، فاعلموا هذا واعملوا به إن شاء الله .

[فيما يكتب في الأمانات]

(صبح ١٣ : ٣٣٠) قال في « مواد البيان » :

والرسم فيه : « هذا كتاب أمان ، كتبه فلان بن فلان الفلاني أمير المؤمنين أو وزيره ، لفلان بن فلان الفلاني الذي كان من حاله كذا وكذا ، فإنه قد أمّنه بأمان الله تعالى وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم وأمانه » .

فإن كان عن الوزير قال : « وأمان أمير المؤمنين فلان بن فلان ، وأمانه

---

(١) كذا في الاصول مضبباً عليه وحرر . (هامش صبح) .

على نفسه وماله ، وشَعْره ، وبَشَره ، وأهله ، وولده ، وحُرَمِه ، وأشياعه ، وأتباعه ، وأصحابه ، وحاله ، وذات يده ، وأملاكه ، ورباعه ، وضياعه ، وجميع ما يخصُّه ويخصُّهم - أماناً صحيحاً ، نافذاً واجباً لازماً ، لا ينقض ولا يُفسخ ولا يُبدّل ، ولا يُتعقب بمخاتلة ، ولا دهان ولا مواربة ، ولا حيلة ولا غيلة . وأعطاه على ذلك عهْد الله وميثاقه وصفقة يمينه ، بنيّة خالصة له ولجميع من ذكر معه ، وعفا له عن كل جريرة متقدمة ، وخطيئة سالفة ، إلى يوم تاريخ هذا الأمان ، وأحلّه من ذلك كلّه ، واستقبله بسلامة النفس ونقاء السريرة ، وأوجب له من الرعاية ما أوجب لأمثاله ، ممن شمله ظلُّه ، وكنفته رعايتُه ، حاضراً و غائباً ، وملّكه من اختياره قريباً وبعيداً ، وأن لا يُكرهه على ما لا يريده ، ولا يُلزمه بما لا يختاره » .

[كتاب ببشارة بفتح]

(صبح ٦ : ٤٤٠) وهذه نسخة كتاب مما أورده في « مواد البيان » ببشارة بفتح ، وهي:

الحمد لله مُديل الحقّ ومُنيره ، ومُذِلّ الباطل ومُبيره ؛ مؤيِّد الإسلام بباهر الإعجاز ، وقصم [١] وَعدِه في الإظهار بوَشيك الإنجاز ؛ أحمدَ كلّ دينٍ وأعْلاه ، ورفَضَ كلّ شرع واجتباه ، وجعله نُورَه اللامِع ، وظله الماتع ، وابتَعَث به السراجَ المنيرَ ، والبشيرَ النَّذِير ، فأوضَحَ مناهجَه ، وبيّن مدَارجَه ؛ وأنارَ أعلامه ، وفَصَّل أحكامه ؛ وسَنّ حلالَه وحرامَه ، وبيّن خاصَّه وعامَّه ؛ ودعا إلى الله بإذنه ، وحضّ على التمسّك بعِصَم دينه ؛ وشمَّر في نَصْره مجاهداً مَنْ نَدَّ عن سبيله ، وعَنَد عن دليله ؛ حتّى قَصَّد الأنصابَ والأصنام ، وأبطل الميْسِرَ والأزلام ؛ وكَشَف غياباتِ الإظلام ، وانتعلَتْ خيلُ الله بقبائل [٢] الهام .

---

(١) كذا في الأصول مضببا عليه بعلامة التوقف ولعله ومتّم وعده الخ كما يفيده السجع .(هامش صبح)
(٢) قبائل الرأس أطباقه وفي الأصول « نبائل » بالنون وهو تصحيف يأباه المعنى .(هامش صبح) .

يحمَدُه أمير المؤمنين أن جعله من وُلاة أمره ، ووفّقه لاتّباع سُنّة رسولهِ واقتفاء أثَرِه ؛ وأعانه على تمكين الدِّين ، وتَوْهين المُشْركين ، وشِفاءِ صُدُور المؤمنين ؛ وأنهضه بالمُرَاماة عن المِلّة ، والمُحاماة عن الحَوْزة ؛ وإعزاز أهلِ الإيمان ، وإذلال حِزْب الكُفْران . ويسأله الصلاةَ على خيرته المجتَبَى ، وصَفْوته المنتَقى ، محمد أفضل من ذَبَّ وكافَح ، وجاهَدَ ونافَح ؛ وحمى الذِّمار ، وغَزَا الكُفّار . صلّى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه عليّ بن أبي طالب سيفِه القاطع ، ومِجَنّه الدافع : وسَهْمِه الصارِدْ ، وناصِره العاضد ؛ فارس الوقائع ، ومَعْنُوس (؟) الجمائع ؛ مبيدِ الأقران ، ومبدِّد الشُّجْعان . وعلى الطَّهَرة من عِتْرته أئمة الأزمان ، وخالصة الله من الإنس والجانّ . وإنّ أولى النّعم بأن يُرْفَل في لباسها ، ويتوصّلَ بالشُّكْر إلى لَبَاثِها ؛ ويُتهادى طَيِّبُ خبَرِها ، ويُتفاوض بحُسْن أثَرِها ؛ نعمةُ الله تعالى في التوفيق لمجاهدة أهلِ الإلحاد والشِّرْك ، وغَزْوِ أولي الباطل والإفْك ؛ والهجومِ عليهم في عُقْر دارهم ، واجتثاثِ أصلهم وهَدْم مَنَارِهم ؛ واستِنْزالهم من معاقِلهم ، وتَشْريدهم عن مَنَازلِهم ؛ وتغميض نواظرِهم الشُّوس ، وإلباسهم لِباسَ البُؤس ؛ لما في ذلك من ظُهور التوحيدِ وعِزِّه ، وخُمود الإلحاد وعزّه ؛ وعلوِّ ملة المسلمين ، وانخفاضِ دولة المشركين ؛ ووضُوح مَحَجّة الحق وحُجّته ، وفُضُوح بُرهانه وآيته .

وكتابُ أمير المؤمنين هذا إليك ، وقد انكفأ عن ديار الفُلاَنيين والمُشركين إلى دَسْت خلافته ، ومَقَر إمامته ؛ بعد أن غَزَاهم بَرّاً وبحراً ، وشرَّدهم سَهْلاً ووَعْراً ، وجرّعهم من عواقب كُفْرهم مُرّاً ؛ وفَرّق جَمائعَهم التي تُطَبّق سُهُوبَ الفضاء خَيْلا ورَجْلا ، وتَضيقُ بها المَهامهُ حَزْناً وسَهْلاً ؛ ومزّق كتائبهم التي تُلْحِقُ الوِهَادَ بالنِّجاد ، وتختطف الأبصار ببَوارق الأغْماد ؛ وسَبَى الذّراريَّ والأطفال ، وأسر البطاريقَ والاقيال ؛ وافتتح المَعَاقِلَ والأعمال ، وحاز الأسلابَ والأموال ؛ واستولى من

الحُصُون على حِصْن كذا وحصن كذا . ومحا منها رُسُوم الشرك وعَفَّاها ، وأثبت سُنَنَ التوحيد بها وأمْضاها. وغَنِم أولياءُ أمير المؤمنين ومتطوعةُ المسلمين من الغنائم ما أقر العُيون ، وحقَّق الظُّنُون ؛ وانفصَلوا وقد زادتْ بصائرهم نَفَاذاً في الدِّين ، وسرائرُهم إخلاصاً في طاعةِ أمير المؤمنين ؛ بما أولاهم اللهُ من النَّصْر والإظفار ، والإعْزاز والإظْهار ؛ ووَضَح للمشركين بما أنزلَهُ عليهم من الخُذْلان ، وأنالهم إيّاه من الهَوَان ؛ أنَّهم على مَضَلَّة من الغَيِّ والعمى ، وبُعْدٍ من الرُّشْد والهُدى ؛ فَضَرعُوا إلى أمير المؤمنين في السِّلْم والموادَعَة ، وتحمَّلُوا بَذْلاً بذَلُوه تفادياً من الكِفَاح والمُقارعه ؛ فأجابهم إلى ذلك متوكِّلاً على الله تعالى ، ومتمثِّلاً بقوله تعالى إذ يقول : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسِّلْمِ فاجْنَحْ لها وتَوكَّلْ على الله إنَّهُ هُوَ السَّميعُ العَليمُ) . وعاقَدَ طَاغيتَهُم على كتاب هُدْنة كتبه له ، وأقرّه في يده ؛ حُجَّةً مضمونة .

أشْعَرك أميرُ المؤمنين ذلك لتأخذَ من هذه النعمةَ بنَصيبِ مثلك من المُخْلصين ، وتَعْرِف موقِعَ ما تفضَّل اللهُ تعالى به على الإسلام والمسلمين ؛ فتُحْسِن ظَنَّك، وتُقِرّ عَيْنَك ؛ وتشْكُر الله تعالى شُكْر المستمِد من فضله ، المعتدّ بطَوْله ؛ وتتلو كتابَ أمير المؤمنين، على كافَّة مَنْ قِبَلك من المسلمين ، ليعلَمُوا ما تولاَّهم الله بـه من نَصْرة وتمكينه ، وإذلال عدُوِّهم وتوْهينه ؛ فاعلَمْ ذلك واعمَلْ به .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة

رقم
الصفحة

رقم الصفحة

فهرس أبيات الشعر

صدر البيت	الشـــاعر	القافيـة	عددالأبيات	الصفحة
		(ء)		
ونشربُها	حسان بن ثابت	اللقاءُ	(١)	٤٤٠
فإنّ	زهير	جلاءُ	(١)	٢٨٣
فإني	زهير	كفاءُ	(١)	٣٠٩
وما أدري	زهير	نساءُ	(٢)	٣٣٥
دع	أبو نواس	الداءُ	(١)	٤٤٣
طعنتُ	قيس بن الخطيم	أضاءَها	(١)	٣٠١
لا تسقني	أبو تمام	بكائي	(١)	١٧٤ و ٢٣٩
قدك	أبو تمام	سجرائي	(١)	١٧٤ و ٤٤٣
حلمـاء	زهير	ولقاءِ	(١)	٢٤١ و ٣٠٧
كأن	المرار الفقعسي	الظباءِ	(١)	٣٠٥
إنّ	مسلمة بن سلم	الشعراءِ	(١)	٤٦٨
إلى بيتِ	أبو نواس	ثَوائي	(١)	٤٣٥
		(ب)		
أقول	أوس بن حجر	أحطبُ	(١)	٤٢٢
رقاقها	امرؤ القيس	مقبوبُ	(٣)	٢٧٢ و ٣٥٣
إذا ما ركبنا	امرؤ القيس	نحطبُ	(١)	٤٣١
ولم يكن	البحتري	طالبُه	(١)	٢٧١
لو أنهم	البحتري	مهربُ	(١)	٤٦٢

صدر البيت	الشـــاعر	القافيـة	عددالأبيات	الصفحة
وإنّ امرءاً	عبد الرحمن بن حسان	لسعيد	(١)	١٦٨
فُشـا	مروان بن أبي حفصة	نافِـدُ	(١)	٤٢٣
إذا	—	البعاد	(٢)	٣٣٤
ولكن	الأعشى	فأفسَدَا	(٢)	٢٠٣
فرَدَّ	عبد الله بن الزبير	سُودا	(١)	٢٤١
وأحببتُ	أبو العتاهية	سعيدا	(٢)	٣٥٩
فيأيُّها	--	العِـدا	(٢)	٣٨١
سأجزيك	أوس بن حجر	وتحمدي	(١)	٤٢٨
قد قلتُ	البحتري	إرعاده	(٢)	٢٦٨
معال	بشار	والفراقدِ	(١)	٤٢١
وأنجدتم	أبو تمام	نجْدِ	(١)	٢٨٩
متى	الحطيئة	مُوقِدِ	(١)	٤٣٩
ودوِّيّةٍ	ذو الرمة	بسواد	(١)	١٨٠
شكرتْ	ابن الرومي	العهادِ	(٣)	٤٦٦
ومن	الطائي	ثمـد	(١)	٣٥٣
ووجهٍ	طرفة	يتخدَّدِ	(١)	١٨١
ستُبْدي	طرفة	تزودِ	(١)	٢٤٨
أرى	طرفة	مُفْسِدِ	(١)	٤٣٩
لها أذنان	طرفة	فرقـدِ	(١)	٤٧٤
يا ابنَ	القرشي	الجنودِ	(١)	٣٨١
قد انقضت	ابن المعتز	بالعيـد	(٢)	١٩١
رأى	المنقري	الصوارد	(١)	٣١٣
من وحش	النابغة الذبياني	الفرد	(١)	١٩١
يادار ميّةَ	النابغة الذبياني	الأمدِ	(١)	١٩١(٢)
سقطَ	النابغة الذبياني	باليدِ	(١)	٤٣٠
تظل	النمر بن تولب	الهادي	(١)	٣٠٢

صدر البيت	الشاعر	القافية	عدد الأبيات	الصفحة
من كان	النميري	عضد	(٢)	٢١٨
أربع	أبو نواس	ودادي	(٢)	٢٦٤
ما قصرّ	(بعض بني يربوع)	مسعودِ	(٢)	٤١٥
صُدْغُه	–	الوعيد	(١)	١٩٢
وله غُرّةٌ	–	صدود	(١)	١٩٢
خليلي	–	تصريد	(٢)	٢٣٩
أبا الحسن	–	محدود	(١)	٢٤١
فظلوا	–	يصَرَّدِ	(١)	٢٩٠
وجعلت	–	بعود	(١)	٣٨٥
		(ر)		
هي الجآذِرُ	ابراهيم أبو الفرج البندينجي	صُورُ	(٧)	٣٧٥
ويقسمُ	الأعشى	أزْورَا	(١)	٤٣٣
وترى	الأفوه الأودي	سَتُمارُ	(١)	٤٥٠
أناةٌ	البحتري	جُبَارُ	(٥)	٢٩٦
غاب	البحتري	بدرُ	(١)	٤٣٣
ولو أنَّ	البحتري	المِنْبرُ	(١)	٤٦٠
نُبّئت	بشار	أميرُ	(١)	٣٤١
وما بي	أبو البيداء	النصرُ	(١)	٣٤١
لا تصرمي	جميل	صدور	(٤)	٢٠٣
ألا قاتل	جميل	ضزيرُها	(١)	٤٧٥
وما تشتكيني	حاتم الطائي	لا أزورها	(١)	٣٥٦
سقوا	الحطيئة	مشافرُه	(١)	٣٧٠
وقائلة	الحماسي	المحاجرُ	(٥)	٣٥٥
وإن	خالد بن صفوان	أخضرُ	(١)	٣٨٢

صدر البيت	الشاعر	القافية	عدد الأبيات	الصفحة
فإنْ	زهير	القتلُ	(١)	٤٢٩
تسيلُ	السموأل	تسيلُ	(١)	٤٢٩
كلّ آتٍ	صالح بن عبدالقدوس	فضل	(١)	٢٤٧
إن العيونَ	عبد الصمد بن المعذل	الأسَلَ	(٣)	٤٥٨
وخيلٍ	عبد الله بن المعتز	ذُبَّلُ	(٢)	٣٤٣
فلو كنتَ	عدي بن زيد العبادي	أقول	(١)	٢٩١
ترى	الفرزدق	منازله	(١)	٤٥٢
يقولون	ابن هندو	هُطْلُ	(٢)	٤٧٢
إذا	يزيد بن الطثرية	يقابله	(١)	٤٤٤
أليس	يزيد بن الطثرية	قليل	(١)	٣٤٢و٣٦٤
وإذا	—	يترحل	(٢)	٤٤١
ألا قد	—	وسيالها	(١)	٤٧٤
وعتاق	—	تستقلّ	(٢)	٤٥٠
وكل	—	الأنامل	(١)	١٢٤
إنّ	الأعشى الأكبر	مهـلا	(١)	١٦٠
فأقسمتُ	(أختعمرو ذيالكلب)	عُضالا	(٤)	٣٢٣
سلبوا	البحتري	والتنزيلا	(٢)	٣٢٤
وإنْ	البستي	الأنامَ له	(١)	٢٧٦،٣٢٣
حملت	جرير	الأبطالا	(٢)	٦٥
لا أسرق	ابن الرومي	انتحاله	(١)	٢٧٠
ومعْشرٍ	أبي العالية	أدِلّه	(١)	١٩٨
إني	أبو العالية	إله	(٥)	٣٢٨
لو أن	كثيِّر	المِطالا	(١)	٢٩٠
طوى	ابن المعتز	هُزالا	(٢)	٤٣٤
ما بُكاءُ	الأعشى	سؤالي	(١)	٢٦٣
وألْوَتْ	الأعشى	المفتلّ	(١)	٤٣٢
كأن	امرؤ القيس	البالي	(١)	١٩٠و٤٣٨

صدر البيت	الشـــاعر	القافيــة	عددالأبيات	الصفحة
وليلٍ	امرؤ القيس	ليبتلي	(٣)	١٥١
قِفَا	امرؤ القيس	فَحَوْمَلِ	(١)	٢٥٩و٣٤٠
ألا أنعم	امرؤ القيس	الخالي	(١)	٢٦١
كأني	امرؤ القيس	خاخال	(١)	١٩٤
فظل	امرؤ القيس	المفتّل	(١)	٤٣٢
إذا ما الثريّا	امرؤ القيس	المفصّل	(١)	١٨٩
وتضحي	امرؤ القيس	تفضّلِ	(١)	٣١١
نظرتُ	امرؤ القيس	اقْفَال	(١)	١٨٨
إنّا	امرؤ القيس	الكاهلِ	(١)	٤٧٥
الله	امرؤ القيس	الرّحْلِ	(١)	١٦و٢٤٧و٤٣٩
وأغَرَّ	البحتري	مُحَجَّلِ	(٤)	٣٦٠
يا هلالا	البستي	هلال	(٢)	٣٣٣
لم يضِرْها	ابن بشر	ذهولِ	(١)	٢١٨
وقد	أبو تمام	نواهلِ	(٢)	٤٥٣
لمّا وضعتُ	جرير	الأخطل	(١)	١٧٧
سقى	جرير	بالرمل	(١)	٣٥٢
يُغْشَوْنَ	الحطيئة	المقبلِ	(١)	٤٣٥
وإنّ حديثاً	أبو ذؤيب	مطافل	(١)	٤٦٣
قف	ذو الرمة	المسلسل	(٢)	٣٣١
قال لي	ابن الرومي	الأطلال	(١)	٣٥٤
فوا حسرتي	سهل بن هرون	إفضالِ	(٣)	٢٨٦
خُلِقْتُ	(يظن) الصولي	ومنزل	(١)	٣٥٤
ثُمّتَ	عبدة بن الطيب	مناديلُ	(١)	٤٣٠
زُمّ	علي بن عاصم العبدي	الأجمالِ	(٢)	٣٦٩
تذكّرتُ	عمرو بن شاش	بتضلال	(١)	٣٧٢
ألا قد	الغنوي	أهلي	(١)	٤٧٤

(م)

فهرس أنصاف الأبيات

فهرس الأعلام

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

مراجع التحقيق

١ – **أراجيز العرب** .

٢ – **الاشتقاق ، لابن دريد** ، تحقيق عبد السلام هارون . مؤسسة الخانجي بالقاهرة ١٩٥٨ .

٣ – **الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر** ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ .

٤ – **الأضداد ، لابن الأنباري** ، الحسينية بمصر .

٥ – **إعجاز القرآن ، للباقلاني** ، تحقيق السيد صقر . المعارف ١٩٥٤ .

٦ – **الأعلام ، لخير الدين الزركلي** ، ط٣ على آلة « الاوفست » في بيروت ١٩٦٩ .

٧ – **الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني** ، دار الكتب المصرية ، وبيروت ١٩٥٥ – ١٩٦١ .

٨ – **الإلمام** .

٩ – **الأمالي ، لأبي علي القالي** ، نشر دار الفكر ببيروت (مصورة عن ط . دار الكتب المصرية ١٩٢٦) .

١٠ – **أمالي الزجاجي . تحقيق عبد السلام هارون** .

١١ – **أمالي المرتضى** ، تحقيق أبي الفضل ابراهيم ١٩٥٤ ، و ط ٢ دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٦٧ .

١٢ – **البحر المحيط ، لأبي حيان** ، نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض .

١٣ – **البدء والتاريخ ، لأبي زيد البلخي(١) ، أو للمقدسي** ، مكتبة خياط بيروت ط. برطرند بمدينة شالوْن على نهر سوْن .

---

(١) ينسب الكتاب اليه ، وأكثر أهل التحقيق على أنه لمطهر بن طاهر المقدسي (الاعلام : أحمد بن سهل البلخي) .

١٤ ـ **البداية والنهاية** ، **لابن كثير** . نشرة مكتبة المعارف ببيروت ، ومكتبة النصر بالرياض ١٩٦٦ .
١٥ ـ **البديع** ، **لاسامة بن منقذ** . تحقيق د. احمـد بديوي وآخـرين . القاهرة ١٩٦٠ .
١٦ ـ **البديع** ، **لابن المعتز** . نشرة محمد عبد المنعم خفاجي ، دار العهد الجديد للطباعة بالقاهرة ١٩٥٨ .
١٧ ـ **بديع القرآن** ، **لابن أبي الاصبع المصري** . تحقيق د. حفني شـرف وآخرين ط(١) ١٩٥٧ .
١٨ ـ **البرهان في وجوه البيان** ، **لابن وهب الكاتب** . تحقيق د. حفني شرف .
١٩ ـ **بغية الوعاة** ، **للسيوطي** . تحقيـق أبي الفضـل ابراهيم ، عيسـى الحلبـي ١٩٦٤ .
٢٠ ـ **البيان والتبيين** ، **للجاحظ** . تحقيق عبد السـلام هارون ، ونشـرة الفتوح الأدبية .
٢١ ـ **تاج العروس** ، **للزبيدي** . المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ .
٢٢ ـ **تاريخ آداب اللغـة العربية** ، **لجرجـي زيدان** . دار مكتبة الحيـاة ببيروت (د ـ ت) .
٢٣ ـ **تاريخ بغداد** ، **للخطيب البغدادي** . نشرة دار الكتاب العربي ببيروت (طبع أوفست) .
٢٤ ـ **تاريخ الجاهلية** ، **لعمر فروخ** .
٢٥ ـ **تاريخ الطبري** . تحقيق أبي الفضل ابراهيم ، وطبعة دي غويه .
٢٦ ـ **تاريخ ابن الوردي** .
٢٧ ـ **التصحيف** ، **للعسكري** .
٢٨ ـ **التعريفات** ، **للجرجاني** . بيروت ١٩٦٩ .
٢٩ ـ **تفسير الكشاف** ، **للزمخشري** . دار الكتاب العربي بيروت .
٣٠ ـ **التمثيل والمحاضرة** . تحقيق عبد الفتاح الحلو ، دار احياء الكتـب العربية ١٩٦١ .
٣١ ـ **تهذيب الأسماء واللغات** ، **لابن شرف النووي** . نشر ادارة الطبـاعة المنيرية بالقاهرة .

٣٢ – **تهذيب اللغة ، للأزهري** . تحقيق عبد السلام هارون . الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٤ .

٣٣ – **ثمرات الأوراق** (على هامش المستطرف) .

٣٤ – **جمهرة أشعار العرب ، جمع القرشي** . تحقيق علي محمد البجاوي . نهضة مصر بالقاهرة ١٩٦٧ .

٣٥ – **جوهر الكنز ، لابن الأثير الحلبي** . تحقيق د. محمد زغلول سلام . المعارف بالاسكندرية .

٣٦ – **حسن التوسل الى صناعة الترسل** .

٣٧ – **حماسة البحتري** . المطبعة الرحمانية بالقاهرة ١٩٢٩ .

٣٨ – **الحماسة البصرية** . حيدر آباد ١٩٦٤ .

٣٩ – **الحماسة لابن الشجري** . مجلس دائرة المعارف ، وبتحقيق الملوحي وأسماء الحمصي ، دمشق ١٩٧٠ .

٤٠ – **خزانة الأدب ، للبغدادي** . بولاق ١٢٨٤ هـ ، وبتحقيق هارون . دار الكاتب العربي ١٩٦٧ .

٤١ – **خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي** . المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٤ هـ .

٤٢ – **الخصائص ، لابن جني** . تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢ .

٤٣ – **خلق الانسان ، للأصمعي** . (ضمن مجموعة الكنز اللغوي باعتناء الدكتور أوغست هفنر) .

٤٤ – **دائرة المعارف الاسلامية** . (الترجمة العربية) .

٤٥ – **دلائل الاعجاز ، لعبد القادر الجرجاني** .

٤٦ – **ديوان الأعشى** . شرح وتعليق د. محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية ببيروت ١٩٧٤ ؛ وفيينا ١٩٢٧ ؛ ودار صادر ١٩٦٦ .

٤٧ – **ديوان امرىء القيس** . تحقيق السندوبي ، الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٣ . وتحقيق أبي الفضل ابراهيم ، المعارف ١٩٦٤ .

٤٨ – **ديوان البحتري** . المطبعة الأدبية ببيروت ؛ وبتحقيق حسن كامل الصيرفي ، المعارف ١٩٦٣ ؛ وطبع القسطنطينية .

٤٩ _ **ديوان الأخطل** • نشر الأب صالحاني ، ونشرة ايليا سليم الحاوي ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٨ •

٥٠ _ **ديوان بشـــار** • نشرة الطاهر بن عاشور •

٥١ _ **ديوان أبي تمام** • تحقيق عبده عزام ، المعارف ١٩٦٤ •

٥٢ _ **ديوان جميل** • تحقيق د. حسين نصار ؛ وتحقيق محي الدين •

٥٣ _ **ديوان جرير** • نشرة الصاوي ، و ط. دار صادر وبيروت ، وتحقيق د. نعمان طه (بشرح ابن حبيب) المعارف ١٩٦٩ •

٥٤ _ **ديوان حسان** • نشر البرقوقي ، الرحمانية ١٩٢٩ •

٥٥ _ **ديوان الحماسة** • بشرح التبريزي ، بولاق •

٥٦ _ **ديوان الحطيئة** • دار صادر ببيروت ١٩٦٧ •

٥٧ _ **ديوان حميد بن ثور (صنعة الميمنى)** • دار الكتب المصرية ١٩٥١ •

٥٨ _ **ديوان ابن دريد** • جمع وتحقيق بر الدين العلوي ، لجنة التأليـف والترجمة والنشر ١٩٤٦ •

٥٩ _ **ديوان ديك الجن** • تحقيق د. احمد مطلوب وعبد الله الجبوري ، دار الثقافة ببيروت ١٩٦٤ •

٦٠ _ **ديوان ذي الرمة** • طبعة كلية كمبردج ١٩١٩ بتصحيح كارليل هنري •

٦١ _ **ديوان رؤبة** • نشرة وليم بن الورد •

٦٢ _ **ديوان ابن الرومي** • اختيار كامل كيلاني ؛ وبتحقيق د. حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ •

٦٣ _ **ديوان زهير بن ابي سلمى** • بيروت ١٩٦٤ •

٦٤ _ **ديوان السموأل** (المضموم اليه ديوان عروة بن الورد) . دار صادر _ دار بيروت ١٩٦٤ •

٦٥ _ **ديوان الشريف الموسوي** • مؤسسة الأعلى ببيروت •

٦٦ _ **ديوان الشماخ** • تحقيق صلاح الهادي ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٨ •

٦٧ _ **ديوان الشعر العربي** • اختيار ادونيس . المكتبة العصرية بصيدا ، بيروت ١٩٦٤ •

٦٨ _ **ديوان طرفة** (بشرح الأعلم) ، باريس ١٩٠١ ، وبيروت ١٩٦١ ، وبتحقيق علي الجندي ، الانجلو ١٩٥٨ •

٦٩ ـ **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات** . تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر وبيروت ١٩٥٨ .

٧٠ ـ **ديوان أبي العتاهية** . ط. بيروت ١٩٦٤ ، و « ليدن » .

٧١ ـ **ديوان عروة بن الورد** (المضموم اليه ديوان السموأل) ، دار صادر ودار بيروت ١٩٦٤ ، و (بشرح ابن السكيت) تحقيق عبد المعين الملوحي ـ مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي بسورية .

٧٢ ـ **ديوان علقمة بن عبدة** . تحقيق الصقال ودرية الخطيب بحلب .

٧٣ ـ **ديوان عمر بن أبي ربيعة** . المطبعة الوطنية ببيروت ١٩٣٤ .

٧٤ ـ **ديوان عنترة بن شداد** . تحقيق عبد المنعم شلبي ، شركة فن الطباعة بشبرا ، ودار صادر ببيروت .

٧٥ ـ **ديوان الفرزدق** . نشرة بيروت ١٩٦٦ (عن طبعة الصاوي) .

٧٦ ـ **ديوان القطامي** . تحقيق د. ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب ، دار الثقافة ببيروت ١٩٦٠ .

٧٧ ـ **ديوان قيس بن الخطيم** . تحقيق د. ناصر الأسد ، ط (٢) ١٩٦٧ .

٧٨ ـ **ديوان كثير** . تحقيق د. احسان عباس ، دار الثقافة ببيروت ١٩٧١ ، والجزائر ١٩٣٠ .

٨٠ ـ **ديوان المتنبي** (بشرح البرقوقي) . دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٨٠ ـ **ديوان المتنبي** (بشرح الواحدي) . برلين ١٨٦١ .

٨١ ـ **ديوان مسلم بن الوليد** . تحقيق د. سامي الدهان ، المعارف .

٨٢ ـ **ديوان ابن المعتز** . نشرة صادر وبيروت ١٩٦١ .

٨٣ ـ **ديوان النابغة الجعدي** . نشر المكتب الاسلامي للطباعة والنشر بدمشق .

٨٤ ـ **ديوان النابغة الذبياني** . تحقيق كرم البستاني بيروت ١٩٦٣ ، وتحقيق فوزي عطوي بيروت ١٩٦٩ ، ونشر محمد شريف سليم القاهرة ، ودار الفكر .

٨٥ ـ **ديوان أبي نواس** . طبع الحميدية المصرية ١٣٢٢ هـ ، ودار صادر وبيروت ، وبتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ـ بيروت ، ونشرة آصاف .

٨٦ ـ **ديوان الهذليين** . دار الكتب المصرية ١٩٥٠ .

٨٧ _ **زهر الآداب ، للحصري** . عارضه بمخطوطات القاهرة وضبطه وشرحه ووضع فهارسه : علي البجاوي . دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٣ .

٨٨ _ **سرح العيون** . تحقيق ابي الفضل ، دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٦٤ . وط. بولاق .

٨٩ _ **سر الفصاحة** . نشرة علي فودة (الرحمانية) وشرح وتصحيح : عبدالمتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح ١٩٦٩ .

٩٠ _ **سمط اللآلي ، للبكري** .

٩١ _ **شاعرية أبي العلاء في نظر القدامى** : محمد مصطفى بالحاج . الدار العربية للكتاب (ليبيا _ تونس) ١٩٧٦ .

٩٢ _ **شرح بديعية الباعونية ، ابن حجة** (على هامش خزانة الأدب لابن حجة). المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٤ هـ . ومخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٨٣ بلاغة .

٩٣ _ **شرح ديوان حسان** ، عبد الرحمن البرقوقي ، دار الأندلس ، بيروت ١٩٦٦ .

٩٤ _ **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى** (صنعة ثعلب) الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٤ .

٩٥ _ **شرح ديوان أبي العتاهية** . تحقيق د. الدهان .

٩٦ _ **شرح ديوان لبيد** . تحقيق د. احسان عباس ، الكويت ١٩٦٢ .

٩٧ _ **شرح شواهد الإيضاح ، ابن يسعون** .

٩٨ _ **شرح الشواهد ، العيني** (مع حاشية الصبان على شرح الاشموني) دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة (د.ت) .

٩٩ _ **شرح شواهد المغنى** . نشر الشنقيطي ، القاهرة ١٣٢٢ هـ . وبتعليق كوجان ، دمشق ١٩٦٦ .

١٠٠ _ شرح **القصائد السبع الطوال الجاهليات** . تحقيق هارون ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣ .

١٠١ _ شرح **المعلقات : الزوزني** . دار صادر ودار بيروت ١٩٦٣ .

١٠٢ _ **شعراء النصرانية ، لويس شيخو** . دار المشرق ، بيروت ط (٢) .

١٠٣ ـ **شعر بشار** ، تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي . دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٣ .

١٠٤ ـ **الشعر والشعراء ، لابن قتيبة** . تحقيق احمد شاكر ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٦ .

١٠٥ ـ **صبح الأعشى ، القلقشندي** . (نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية) ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٦٣ .

١٠٦ ـ **الصحاح ، الجوهري** . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٦ .

١٠٧ ـ **صور البديع ، لعلي الجندي** . دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٥١ .

١٠٨ ـ **طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام** . دار النهضة العربية ، بيروت (د.ت) .

١٠٩ ـ **طبقات الشعراء ، لابن المعتز** . تحقيق عبد الستار فراج ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٨ .

١١٠ ـ **الطرائف واللطائف** .

١١١ ـ **الطراز ، للعلوي** . ط. المقتطف ١٩١٤ .

١١٢ ـ **العقد الفريد ، لابن عبد ربه** . تحقيق أحمد أمين وآخرين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥ .

١١٣ ـ **العمدة ، لابن رشيق** . تحقيق محي الدين ، المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٦٣ .

١١٤ ـ **عيون الأخبار ، لابن قتيبة** (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٦٣ .

١١٥ ـ **الفاضل ، المبرد** . تحقيق عبد العزيز الميمنى ، الهيئة المصرية العامة الكتاب ١٩٧٥ .

١١٦ ـ **فقه اللغة ، للثعالبي** . مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٥٤ .

١١٧ ـ **القاموس الإسلامي** . وضع أحمد عطية عبد الله ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة (الاول) ١٩٦٣ و (الثاني) ١٩٦٦ .

١١٨ ـ **القاموس المحيط** .

١١٩ ـ **قواعد الشعر ، لثعلب** . تحقيق د. رمضان عبد التواب .

١٢٠ ـ **الكامل ، لابن الأثير** . دار الكتاب العربي ، بيروت ط ٢ ، ١٩٦٧ .
١٢١ ـ **الكامل ، للمبرد** . مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، نشر دار نهضة مصر (د.ت) .
١٢٢ ـ **الكافي ، للتبريزي** . تحقيق الحساني عبد الله .
١٢٣ ـ **الكتاب ، لسيبويه** . تحقيق عبد السلام هارون (الاول) دار القلم ١٩٦٦ (الأجزاء التالية) ، دار الكاتب العربي بالقاهرة ، ابتداء من ١٩٦٨ .
١٢٤ ـ **كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري** . تحقيق البجاوي وابي الفضل .
١٢٥ ـ **الكشاف ، للزمخشري** . دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٤٧ ، و ط. مصطفى الحلبي بمصر (د.ت) .
١٢٦ ـ **لحن العوام ، الزبيدي** . تحقيق د. رمضان عبد التواب ، مكتبة دار العروبة بالقاهرة ١٩٦٤ .
١٢٧ ـ **لسان العرب ، لابن منظور** . بيروت ١٩٥٥ .
١٢٨ ـ **المؤتلف والمختلف ، للآمدي** . تحقيق عبد الستار فراج ، مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦١ .
١٢٩ ـ **المثل السائر ، لابن الأثير** . تحقيق د. الحوفي و د. طبانة ، نهضة مصر ١٩٥٩ .
١٣٠ ـ **مجموع أشعار العرب** . تحقيق وليم بن الورد البروسي ، طبع ليبزج ١٩٠٣ .
١٣١ ـ **المختار من شعر بشار** .
١٣٢ ـ **المزهر ، السيوطي** . دار احياء الكتب العربية بالقاهرة (د.ت) .
١٣٣ ـ **المستطرف ، الأبشيهي** . (مصطفى الحلبي) و (الأدبية ببيروت) و (مطبعة المشهد الحسيني بمصر) .
١٣٤ ـ **المستقصى ، للزمخشري** . حيدر آباد ، دار المعارف العثمانية ١٩٦٢ .
١٣٥ ـ **مصادر الشعر الجاهلي** . د. ناصر الدين الأسد . دار المعارف بالقاهرة .
١٣٦ ـ **المصحف الجوامعي الشريف** . بخط قدروغلي .

١٣٧ ـ **المعارف ، لابن قتيبة** . ط دار الكتب المصرية ١٩٦٠ .

١٣٨ ـ **معاهد التنصيص ، للعباسي** . ط. بولاق .

١٣٩ ـ **معجم الأدباء ، لياقوت** . بعناية : د.س. مرجليوث ، ط (٢) مطبعة هندية بالموسكي بمصر ١٩٢٣ ، وطبعة دار المأمون .

١٤٠ ـ **معجم البلدان ، لياقوت** . بيروت ١٩٥٥ .

١٤١ ـ **معجم البلاغة العربية ؛ د. بدوي طبانة** ، منشورات الجامعة الليبية بطرابلس .

١٤٢ ـ **معجم الشعراء ، للمرزباني** . تحقيق عبد الستار فراج ، نشر عيسى الحلبي بالقاهرة ١٩٦٠ .

١٤٣ ـ **معجم ما استعجم ، للبكري** . تحقيق مصطفى السقا . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١ .

١٤٤ ـ **معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس** . تحقيق عبد السلام هارون ، عيسى الحلبي ١٩٦٦ .

١٤٥ ـ **مغنى اللبيب ، لابن هشام** . دار احياء الكتب العربية بالقاهرة (د.ت) .

١٤٦ ـ **المفصل ، لابن يعيش** . المطبعة المنيرية بالقاهرة .

١٤٧ ـ **المفضليات ، للضبي** . تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف بمصر .

١٤٨ ـ **منهاج البلغاء** . تحقيق ابن الخوجه ، تونس ١٩٦٦ .

١٤٩ ـ **الموشح ، للمرزباني** . تحقيق البجاوي ، دار نهضة مصر ١٩٦٥ .

١٥٠ ـ **الموازنة ، الآمدي** . تحقيق السيد صقر ؛ وتحقيق محي الدين .

١٥١ ـ **النثر الفني ، لزكي مبارك** . دار الكتب المصرية ١٩٣٤ ؛ ودار الجيل ببيروت ١٩٧٥ .

١٥٢ ـ **النصف الاول من كتاب الزهرة ، لأبي بكر الاصفهاني** . مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ١٩٣٢ .

١٥٣ ـ **نهاية الأرب ، للنويري** (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

١٥٤ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير** . تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي (عيسى الحلبي) ١٩٦٣ .

١٥٥ ـ **الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي الجرجاني** . تحقيق البجاوي وأبي الفضل ، دار احياء الكتب العربية بالقاهرة (د.ت) .
١٥٦ ـ **وفيات الأعيان ، لابن خلكان** . تحقيق محي الدين (النهضة ١٩٣٨) وتحقيق د. احسان عباس (بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢) .

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
١٣	٤	غفر الله له	غفر له
١٧	١٨	طبقات	طبعات
٦٥	٦	أعرنا	أعدنا
١٠٧	٧	احتاجا	احتاج(١)
١١٧	١٧	عني	غنى (بالعين المعجمة)
١٤٦	١٦	فينتحل	فيتنخل
١٤٩	٩	يصدر	مصدر
١٤٩	١٥	المرجوع	المرجوع [إليها]
١٧٠	الأخير	تعريفنا	وتعريفنا
٢٣٥	الأخير	ص ٢٣٠	ص ٢٣٢
٢٣٧	١١	أتشكع	أتسكّع
٢٥٨	١٢	خالف	سلف
٢٧٣	١١	أحداً اختيارا	أحداً الدنيا اختيارا
٢٨٧	٤	عص	عض (بالضاد المعجمة)
٣١٢	١٧	ابن مِيّادة	ابن مَيّادة
٣٢٧	١١	« يا إمام ...	(ينقل السطر الى نهايـــة ص ٣٦٩)
٣٤٨	١١	إعجاز	أعجاز
٣٦٩	١١	زُمّ العزاء	زُمّ العزاءُ

(١) ويلاحظ أن الفعل ورد في الأصل بألف التثنية .

تابع - جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصــــواب
٣٦٩	١٢	لقمتهن	القمتهن
٣٦٩	١٧	العبدي الأصفهـاني (٩١ المؤتلف)	العنبري (انظـره في طبقات ابن المعتز ٣٥٤) وهناك وردت القصيدة التي منها هذان البيتان
٣٩١	١	ان	انهم(١)
٣٩٦	٤	رزّحُ	رُزّحِ
٣٩٧	٣	قولُ	قولِ
٤٠١	١٠	ألاّ يطالبُه	الاّ يطالبَه
٤٠٣	٥	مجيرته	نحيزته
٤٠٣	٥	نبر	نبز
٤٠٤	(بين السطرين السادس والسابع سقط الآتي) :		

العيوب العارضة المشابهة للعلل المتطرفة على الأجسام ، ليقصد إلى إماطتها

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصــــواب
٤٣٩	٤(هـ)	ص ٢٤٥	ص ٢٤٧
٤٤٨	١(هـ)	ص ٤٣٦	ص ٤٣٨

(١) وقد وردت الاولى في الاصـل .

الطباعة: مطبعة الإنشاء
دمشق - ص.ب: ٥٧٤